نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي
١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الثاني

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

نفحة الريحانة

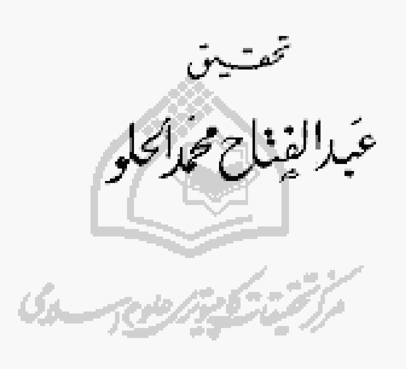
ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضـــل الله بن محب الدين بن محمـــد المحبي

١٠٦١ — ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو



الجزء الثاني

طبع بدار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٩٦٨ م ـ ١٣٨٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بقيـــة

الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق ونواحيها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فصل

ذكرتُ فيه مشاهيرَ البيوت ، التي هي في أُفق دمشق كالثَّوابت واضحة الثُّبوت

فمنهم :

بيت حمزة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[بيت حمزة]

زُبْدة آل البيت، ونَقاوة ذلك المنصر أُبْرِأ من اللّو واللّيت.

آل رسول الله ونعم الآل، والموارِد الصادقة إذا كذب الآل.

وسُراة لُؤيّ بن غالب، ومُلتقى النور بين الزّهراء وعليّ بن أبي طالب.

وهو بيت شُيِّدت دعائمه، وسمتْ فيه [1] سُعود الفلك ونعائمه [2].

عصابة فضل أخصب الدهرُ منهمُ ... فأصبح مُخضَرّاً وقد كان مُغْبرّا

تــكاد يَدِي تَنْدَى إذا ماالمسْتُه ... وتُنبِتُ فى أطْرافها ورقاً خَضْرا [3]

لهم المجد السابق، وبهم يَجْرِى الحَسَب الباسِق.

ماولَدوا غيرَ نجيب، ولا دعَوا إلا كان الدهرُ أوّلَ مُجيب.

وقد رأيتُ أبياتاً ذكرها صاحبُ «دمية القصر»، لم أرَ من تنزّل عليه إلا هُم بأداة الحَصر.

وهى [4]:

سقى آلَ حمزةَ صَوْبُ الحيــا ... فهم فى حساب العُلى الحاصِلُ [5]

---

(١) فى ا: «به»، والمثبت فى: ب، ج. (٢) النعائم: من منازل القمر. القاموس (ن ع م).

(٣) أخذ هذا من قول عنون بن عامر:

تــكاد يدى تَنْدَى إذا ما لمسْتُها ... وينْبُت فى أطرافها الورقُ الخضْرُ

تزيين الأسواق ٦٧، وانظر ريحانة الألبا ٢/٢١٧.

(٤) دميــة القصر (الطباخ) ٢٣٧، ٢٣٨، وهى أبيات لأبى بكر اليوسفى، فى أبى نصر أحمد بن ينقم، وآل ينقم.

(٥) فى دمية القصر:

سقى آلَ يَنْقَم صَوْبُ الحيا ... لهم فى الحسابِ العلى حاصلُ

هم الزائدون هم الفــاضلون   وغيرُهمُ الزائد الفاضــــلُ (١)

لسانِي عن حالهم ســـائلٌ   ودمعي على إثْرهم ســـائلُ (٢)

إذا كنتُ في ظِلّهم قائــــلاً   فإنّي بفضلهمُ قائـــــلُ (٣)



---

(١) في ا : « هم الزائدون » . وهي رواية حسنة ، والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر .

(٢) في ا : « لساني على حالهم » ، والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر . (٣) في ا : « في إثرهم قائلا » . والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر .

فمنهم :

٦٢

السيد محمد بن السيد كمال الدين *

الشريف الرَّضِيّ بنقابته وكفايته ، والسامي عليه [١] برعاية التفنُّن وحفايته .

فهو البحر الذي لايُدرَك شاطئه ، والرئيسُ الذي تُقبِّل بِشفاه الأجفان مواطئُه .

نصَب شِباكَ الأفكار فاقتنَص مابه كمالُ نوع الإنسان ، ووفَّر الله له دواعيَ الحظ

فجمع بين عجائب الحُسْن وغرائب الإحسان .

فاستدارت منطقةُ المجد حول مركز سيادته ، واستنارت كواكبُ المعالي الزاهراتُ بأضواء سعادته .

فكانت له الفِرْدوس حَضْرة ، ونعيم خُلْدها يرِفُّ عليه نَضْرة .

وأناتُه [٢] من رَجاح رَضْوَى [٣] ، وقسماتُه من البدر أضوا .

(*) السيد محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني ، الحنفي .

ولد بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

وربي في حجر والده ، فقرأ القرآن وجوده على أبي بكر السليمي الحنفي ، ثم على عبد الباقي الحنبلي .

وأحضره والده على علماء عصره ، فأخذ على عدد كبير من الشيوخ بدمشق ، والروم ، ومكة ، والمدينة ، ذكرهم المحبي في الخلاصة ، وأجازوا له .

رحل إلى دار السلطنة صحبة والده سنة أربعين وألف ، وحج سنة خمسين وألف .

وولي النيابة الكبرى بدمشق ، وقسمة العسكر ، ودرس بالتقوية ، ولما توفي والده ولي مكانه النقابة ، وانعقدت عليه صدارة الشام .

وله مؤلفات ، منها : « حاشية على شرح الخلاصة لابن الناظم » ، و « التحريرات على الهداية » .

توفي سنة خمس وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٤/١٢٤ ـ ١٣١ . وله ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٩ ـ ١٦ .

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٢) في ب : « وإنابة » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .

وله فى عُلُوّ الهمة مُحْكَم الذِّكر ، وفى دَرَكِ المهمة الفكرةُ الثابتة [١] والعَزْمة [٢] البِكر .

فهناك تتوقّى الأيام حَذِرة ، وتأتيه الليالى مما لم تَجْنِ معتذِرة .

ولو أن هارُوتَ البيانِ يزورُه بلا فتنةٍ للناس علّمه السحرَا

وفضلاء الوقت لاتفارق جَمْعَه ، والأمداح من [٣] كل فمٍ تُقرِّط سمعَه .

ومجلسُه إمّا عِلْم يُمْليه ، «أو بحث يُجْيله» [٤] .

أو شعر يفترعه ، أو بِكْر معنًى يخترعه .

وأخصّاؤه من الذين يعرفون القولَ ويتهافتون عليه ، يوَدُّون أن مسامعَهم وأبصارَهم لم تُصرَف [٥] إلا إليه .

ربيعُ مَعالٍ بالفضائل مُخْصِبٌ لذلك بردُ الآلِ فى حَيِّه اخْضَرّا [٦]

وفى بَحْرِ أنسابٍ إذا غاص غائصٌ فليس يرَاه مثلَ جوهره دُرَّا

***

وله من شريف الكلام ، ما تتشرّف به الأقلام .

فمن ذلك قوله فى الغزل [٧] :

أملٌ ليس ينقضى فى تمنِّى نظرةٍ تُستعادُ عند التفاتِكْ [٨]

ليس أرضاكَ مُسْرِفًا فى تجنِّيـ ـكَ بحالٍ والحسنُ بعضُ صفاتِكْ [٩]

---

(١) فى ج : « التامة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ا : « والعزم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « فى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « أو بحث يحيله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ا : « تسمع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « ربيع معان » ، وفى ج : «ربيع مقال» ، والمثبت فى : ب ، وفيها : « فى حيه خضرا » . (٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٣١ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٣ ، ١٤ .

(٨) فى خلاصة الأثر : « نظرة تستفاد » ، وكذلك فى تراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى خلاصة الأثر : «لست أرضاك» ، وكذلك فى تراجم بعض أعيان دمشق .

لك فى كل مهجـــــة راضها الـ ... حب هوى يستطاب فى مرضاتك

بقــــوام يملى علىّ إذا ما ... ل حديث الرماح فى لفتاتك [١]

ومحيّا يرى ضئيل نحــــولى ... لعذولى والصبح للستر هاتك [٢]

وسنا مبسم إلى الرشد يهــدى ... هائما ضلّ فى دجى مرسلاتك [٣]

يابديعاً تحــــكى الرياض سجايا ... ه أقلّ مهجتى شبــــا لحظاتك

أنا من لا يحيـــله فرط إعرا ... ضك عن مذهب الولا وحياتك

وعلى مقلتى رقيب مـــن الوجـ ... د أرى فى لقــاه بهجة ذاتك [٤]

حسب قلب وناظـــر يتمنّا ... ك بأن لا يرى سوى حسناتك [٥]

ملــح تسلب النهى ومـــزايا ... أيهــا يستطاع واللحظ فاتك [٦]

* * *

ومن مقاطيعه قوله [٧] :

بين تثنّيك واعتـــدالك ... مكائد تقطع المهـــالك

ودون ألحاظك المواضى ... مصائد كم بهــنّ هالك

* * *

ومن معمّياته قوله ، ويخرج منه اسم [٨] جمال :

وشادن أسفر عن وجهــه ... فأشرق الكون به واستنار

وقد رنا نحوى بألحاظه ... وسهمها فاق فدار العذار

* * *

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « حديث الرماح فى فتكاتك » . (٢) فى ب ، ج : « لعذولى والصبح » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى خلاصة الأثر : « للسرهاتك » .

(٣) فى الأصول : « فى هدى مرسلاتك » ، والتصويب من : خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وعلى مهجتى رقيب » .

(٥) فى ب : « حسب قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « وناظر يتملاك » . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أيها يستطاب » .

(٧) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٤ . (٨) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وقوله ، ويخرج منه اسم خضر [١] :

سطَا بلحظٍ مُثْخِنٍ فى الحشا … ظَبْىٌ جيوشُ الحسن أنصارُهْ

وكيف لا يُثْخن قلبى سَطا … سَفْكُ دم العشاق مِعْشارُهْ [٢]

***

وقوله ، ويخرج منه اسم مهدى [٣] :

أهْواه كالغصنِ ليِّناً بَهِجاً … تلطَّف فى سَلْب مهجتى خُدَعُهْ

مُعنِّفى فيه لا تكن خَشِناً … مَن ذا بقلبى مكانه أضَعُهْ [٤]

***

وقوله ، ويخرج منه اسم شعبان [٥] :

قد أثّرتْ شمسُ النهار بوجه مَن … أرْبَى على قمرِ السماءِ إذا اتَّسَقْ

ورقى العِذارُ على صحيفةِ خدِّه … لمَّا بدا من تحته ذاك الشَّفَقْ

***

وقوله ، ويخرج منه اسم حسن [٦] :

دَعِ الجهلَ والزم ساحة المجدِ واطَّرِحْ … عُلُوقاً بأسباب الزمان المماطلِ [٧]

فهل يُرْتَجَى دهرٌ يفوهُ بلا فمٍ … بخفضِ أعاليه ورفْعِ الأسافلِ [٨]

***

---

(١) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٢) فى ا : « سفك دما العشاق معشاره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٤) فى ب ، ج : « من بقلبى » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « أمتصى فيه . . » .

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٦) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « والزم رتبة الفضل واجتنب » .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فلا خير فى دهر » .

وقوله ، ويخرج منه اسم على [١] :

بِرُوحى أنيسٌ نوى طَرْفَه ... مَخائلَ وصلٍ لِسلْبِ النُّهى [٢]

يُقارب خَطْـــو تلافِ نأى ... وبالقلبِ بلهو ولا مُنْتَهى [٣]

* * *

وله فصول قصار ، كل فصل منها تِقْصار [٤] .

فمنها :

حسن السِّيرة ، خيرٌ من كثرة العَشيرة .

كمال الوجاهة [٥] ، أن يصون المرء عرضَه وجاهَه .

رَوْنَق المقال ، أن يطابِق مقتضَى الحال .

كثرةُ المِرَا ، تحُلُّ وثيقَ العُرَى .

صنائع المعروف ، [٦] تقِي مصارفَ الصُّروف [٦] .

تقارُب [٧] الخُطَى ، تحفظك من الخَطَا .

متابعة الهوى ، تحيدك عن حدِّ الاستِوا .

من رفَق فى الطلب [٨] ، عَلِق بالأرَب .

مَن ساهَم مَن دونه ، اتُّهم بالرُّعونة .

من تخلَّق بالأناة، تمنْطَق بمناطِق النَّجاة .

من فوَّض أمرَه لمولاه ، أمِن مما يحذَرُه ويخشاه .

* * *

---

(١) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بروحى أنيس حوى طرفه » . (٣) فى ا : « يقارب خطو تلاق نأى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) التقصار : القلادة . القاموس (ق ص ر) . وهذه الفصول مذكورة فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ . (٥) فى ا : « الزجاجة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تنسى مصارع الصروف » .
(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تقابل » . (٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق: « بالطلب » .

وكان يوماً فى روضٍ فَيْنان [١] ، اخضرّت فيه خمائلُ وأفْنان .

وهو منْشرح الصدر ، ونُدَماؤه حولَه كالنجوم أحاطت بالبدر .

وصَرْف الدهر عنه مصروف ، وطَرْفه دون [٢] تطرُّف ساحتِه مطروف [٢] .

يترنّح فى الخُطْوة يمينا وشمالا ، ويقتطف من الحظّ أمانيَ وآمالا .

والروض يُحَيِّيه بِتَباسِيم زَهْره ، ويرفع إليه رفعَ الحمد ببَنان [٣] قُضْبه الناشئة من مِعْصَم نَهْره .

وهو يَجْلُو من أبكاره ، وعرائس أفكاره .

ماهو أمتَع من بَواكير الرَّياحين ، وأوْقع فى الأسماع من مُطرِبات التَّلاحِين .

فقُرِئ بحضْرته أبياتٌ غنّت بها نُعْم [٤] الجارية بين يدَى المأمون ، وهى :

ولقد أخذْتُم من فؤادِى أنْسَهُ ... لاشَلَّ ربى كفَّ ذاكَ الآخِذِ [٥]

وزعمتِ أنّى ظالمٌ فهجرْتِنى ... ورميْتِ فى قلبى بسهمٍ نافذِ

ونَعَم هجرْتُكِ فاغفرى وتجاوزِى ... هـذا مقامُ المستجيرِ العائذِ

هـذا مقامُ فتًى أضرَّ به الهوى ... قَرِحِ الجفون بحُسْن وجهكِ لائذِ

فأنشد مضمِّنا لهذا المِصْراع قولَه [٦] :

نَقَل العَذُول بأننى أفْشَيْتُ ما ... أخْفَى الحِفاظُ من الغرام الواقذِ [٧]

---

(١) ذكر المحبى هذه القصة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٤/١٢٨ ــ ١٣٠ .

(٢) فى ا : « تطرق ساحته مطروق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « ببنانه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) هكذا ذكر المحبى هنا ، وفى خلاصة الأثر أن اسم الجارية نعم ، وهو ينقل عن ابن خلكان كما سيأتى ، ولم يعين ابن خلكان اسم الجارية ، وإنما قال : « وعنده ــ أى المأمون ــ قينة تغنيه ، وكانت من أجمل أهل دهرها » . وفيات الأعيان ٥/٢٣٢ .

(٥) ترتيب هذا البيت الأخير ، فى وفيات الأعيان ، ولكن المحبى جعله صدر الأبيات هنا ، وفى خلاصة الأثر .

(٦) البيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ .

(٧) فى خلاصة الأثر ٤/١٢٨ : « بأنى أفشيت ما » .

هَبْنِي اقترفْتُ لمـا افْترى فاغفرْهُ لى ... هــــذا مَقامُ المستجيرِ العـائذِ [١]

فلم يَبْقَ أحدٌ ممن تضمنه المجلس إلا وبدَا وبدَه [٢] ، وشَدا وشَدَه [٣] .

فمنْهم ولده السيد عبد الرحمن [٤] ، قال مرتجلا :

نَبـذَ العهودَ مُغـاضِبِى فألَمَّ بى ... فى صورةِ الإشْفاقِ طَيْفُ النّابذِ

فسألْتُه أن لايَنوه بما جرَى ... فيُجيبـــه عنِّى بقــولٍ نافذِ

فمَضى ونَمَّ علىَّ فيما قلتُـــه ... فأتى يهدِّدنى بسيفٍ شاحــذِ

رُحْماكَ قد صدق الخيالُ وإنَّمـا ... هــــذا مقام المستجير العائذِ

ثم تلاه [٥] تِلْوه السيد عبد الكريم [٦] ، فقال :

هَبْ قادنى فيك الغرامُ فما الذى ... ألجاكَ تعْـــذيبى بهجْرٍ واقذِ

أضَراعتى أم ما افترته عَواذِلى ... عنِّى إليك من الكلام النـافذِ

رُحْماكَ بى لاترْعَ غـيرَ مودّتى ... وحِفـاظَ وُدِّى لاتكنْ بالنّابذِ

فلديْكَ منكَ بكَ استْعذْتُ وإنه ... هــذا مقام المستجير العائذِ [٧]

---

(١) جاء صدر البيت فى ب هكذا :

* هبنى اقترفتُ كما افتريتِ واغفرى *

وفى سلك الدرر : « هبنى اقترت كما افترى » .

والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقد أنشد له المحبى ، فى خلاصة الأثر ، بيتين آخرين فى المعنى ، هما :

نبذ الخليطُ مودّتى حيث العِدَى ... حَوْلى بروَّعنى بهجْرِ النابذِ

فسألتُه الرُّجْعَى وقلتُ دَعِ القِلَى ... هذا مقـام المستجيرِ العائذِ

(٢) بدهه بالأمر : استقبله به أو بدأه به . القاموس (ب د ه) . (٣) شده فلانا : أدهشه ، القاموس (ش د ه) .

(٤) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٦٤ .

(٥) فى ا ، وخلاصة الأثر : « تلا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٦٥ . (٧) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ، له أيضا ، هذين البيتين فى المعنى :

رِيمٌ رنا نحوى بطَرفٍ أدْعَجٍ ... فاسْتلَّ روحى من جميع مـآخذى

فطفقتُ أستعفِى اللواحظَ قائلا ... هذا مقام المستجيرِ العائذِ

ثم اقتفى أثره شقيقهما السيد إبراهيم [١] ، فقال :

نظرتْ لواحظُه فأقصدتِ الحشا ... منّى بسهمٍ فى الحشاشةِ نافذِ [٢]

مافوّقتْ إلا وقلتُ لسهمِها ... هــذا مقام المستجير العائذِ

وقال الفاضل عبد الغنى النّابُلُسِىّ [٣] ، حفظه الله تعالى :

لاحظْتُ خالًا تحت صفحةِ خدِّه ... متواريًا خلفَ اللّهيبِ النافذِ [٤]

فسألته ماذا المَقــامُ فقال لى ... هــذا مقام المستجيرِ العائذِ

وقال الفاضل عبد القادر بن عبد الهادى [٥] :

وافَى الحبيبُ بغير وعدٍ زائرًا ... يرنو بطرفٍ بالمجامع آخــذِ

أرْبَى بسكرِ هوًى وسكرِ مُدامةٍ ... حتى إذا سُدَّتْ علىّ منافذِى

ناديْتُه حسْبى فدَيْتُك زائرًا ... هــذا مقامِ المستجير العائذِ

وقال العالم الشيخ عبد الحىّ العَكَرِىّ [٦] :

أنزلتُ آمالى بوادٍ مُخصِبٍ ... وحمًى منيعٍ نعم كهفُ اللّائذِ

فلذاك نادانى يقينى مُعْلنــا ... هــذا مقام المستجير العائذِ

---

(١) ستأتى ترجمته ، فى هذا الباب برقم ٦٦ .   (٢) أقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٢) وورد البيت فى خلاصة الأثر ، بهذه الرواية :

قد أوسعتْ عيناه قلبى أسهمًا ... إن غضّ عنّى هذه أصمَى بذِى

(٣) ستأتى ترجمته فى هذا البـاب ، برقم ٧٢ ، عند ذكر بيت النـابلسى . والبيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ .   (٤) فى خلاصة الأثر ، وسلك الدرر : « متواريا خوف اللهيب النافذ » .

(٥) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٥٨٦ ، برقم ٥٩ .

(٦) أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى ، الصالحى ، الحنبلى ، المعروف بابن العماد .

العالم ، المصنف ، الأديب ، الإخبارى .

ولد سنة اثنتين وثلاثين وألف .

وأخذ بدمشق عن علماء عصره ، ثم رحل إلى القاهرة للأخذ عن علمائها ، فأقام بها مدة طويلة ، ثم عاد إلى دمشق ، ولزم الإفادة والتدريس ، وهو شيخ المؤلف .

وهو صاحب « شذرات الذهب » ، وله أيضا « شرح على متن المنتهى » فى فقه الحنابلة .

توفى بمكة ، سنة تسع وثمانين وألف ، حين ذهب إليها للحج ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ٢/٣٤٠ ، ٣٤١ .

وانظر تحقيق الأستاذ خير الدين الزركلى ، لضبط « العكرى » ، فى الأعلام ٤/٦١ .

وقال الأديب زينُ الدين البُصْرَوِىّ [١] :

وأغنَّ فتّاكِ اللَّواحظِ أدْعجٍ ... يرْمى بنَبْلٍ فى القلوبِ نوافذِ
نادَيْتُه أفلاذِي وقد فتكتْ بها ... هــذا مقام المستجير العائذِ

وقال البارع عبد الرحمن البَعْلِى [٢] :

ولقد وقفْتُ على الطُّلولِ عشيَّةً الـ ... ـتّوديعِ يوم البَيْن وَقْفةَ لائذِ
فاستعْبَرتْ عيناىَ لمَّا بانَ مَــن ... أوْهَى بفُرقته جميعَ مآخــذِى
لامَ العَذُول وقد رآنى وَالِهــاً ... فأجبْتُه خفِّضْ عليك مُنــابِذِى
لَوْ راعَكَ البَــيْنُ المُشِتُّ عذَرْتَنى ... هــذا مقام المستجير العــائذِ

وقال الألمعى إبراهيم بن محمد السَّفَرْجَلانِىّ [٣] :

يا آلَ بَيْتِ المصطفى شِعْرى حَلاَ ... فيكم وطابتْ بالمديح لذائذِى
وافيْتُكم أبْغى حِمــاكم منشداً ... هــذا مقام المستجير العائذِ

وقال الكامل محمد الذهَبِى [٤] :

يامَنْ إذا جاريْتُه فى مَسْلَكٍ ... ألفيْتُه قد سَدَّ طُرْقَ منافذِى
أهْوِنْ بمُضْنــاكَ الذى حيَّرْتَه ... هــذا مقام المستجير العائذِ

ثم طُلب من الأمير المَنْجَكِى [٥] تضْمينه ، فقال :

---

(١) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٢٠ ، برقم ٣٩ . والبيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٤٨ ، برقم ٤٣ .

(٣) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٤٧٩ ، برقم ٤٦ .
هذا وقد جاء بيتا السفرجلانى فى ب ، بعد بيتى الذهبى ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) محمد بن عبد اللطيف الدمشقى ، الشافعى ، المعروف بالذهبى .
فاضل ، نبيل ، بارع ، له شعر مطبوع ، ومشاركة جيدة .
توفى سنة ست ومائة وألف ، ودفن بالذهبية ، من مرج الدحداح .
سلك الدرر ٤/٦٣ .
والبيتان فيه .

(٥) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .
والبيتان أيضا فى ديوانه ١٤٧ .

بِسِوَى جِمَاكُمْ لاَ تَرَانِى مُقْلَةٌ ... يَا مَنْ لَهُمْ وُدِّى المُؤكَّدُ لاَئِذِي (١)

فَإِذَا وَقَفْتُ بِبَابِكُمْ مُتَذَلِّلاً ... هَــذَا مَقَامُ المُسْتَجِيرِ العَائِذِ

واتّصل ذلك بالأديب الباهر الطريقة ، عبد الرحمن المَوْصِلِيّ (٢) ، فقال :

عاهَدْتُهُ أنْ لاَ يَمِيلَ وقد رأى ... نَبْذَ العهودِ فَدَيْتُهُ مِنْ نَابِذِ

رَدَّ الصباحَ لناظِرَىَّ بِهَجْرِهِ ... لَيْلاً وَسَدَّ بالصُّدُودِ مَنَافِذِي

نادَيْتُهُ واليأسُ أمْسَى ضاحِكاً ... وأنامِلُ الآمالِ تحت نَواجِذِي

رِفْقاً بقلبٍ لا يَمِيلُ لغيرِكُمْ ... هَـذا مقامُ المستجيرِ العائذِ (٣)

* * *

قلت : والأبياتَ المتقدِّمة ذكرها ابن خلِّكان (٤) .

وقال : إن المأمون استعاد الصوتَ من نُعْم ثلاث مرات ، وكان بحضرة اليَزِيدِيّ (٥) ؛ فقال : يايَزِيدِيّ ، أيكون شيءٌ أحسنَ ممّا نحن فيه ؟ .

---

(١) عجز البيت فى الديوان :

* يا مَن لهم وُدِّى القديم بلائذِ *

والمثبت فى الأصول ، وخلاصة الأثر .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٠ ، برقم ٤١ .

(٣) وذكر المرادى أيضا ، أن الكمال محمد بن محمد الغزى العامرى قال :

بالله صِلْ مُضْناكَ يا مَن شَفَّنِي ... منه جَوًى أفنَى جميعَ لذائذِي

فبعِزَّةِ الحسنِ استعذتُ وإنه ... هذا مقامُ المستجيرِ العائذِ

(٤) وفيات الأعيان ٥/٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) أبو محمد يحيى بن المبارك العدوى ، المعروف باليزيدى .

المقرئ ، النحوى ، اللغوى ، مؤدب المأمون .

توفى سنة اثنتين ومائتين .

تاريخ بغداد ١٤/١٤٦ ، طبقات القراء ٢/٣٧٥ ، طبقات النحويين للزبيدى ٦٠ ، معجم الأدباء ٢٠/٣٠ ، وفيات الأعيان ٥/٢٣١ .

قلت : نعم ، ياأمير المؤمنين .

فقال : وما هو ؟ .

قلت : الشكرُ لمن خَوّلك هذا الإنْعام العظيم الجليل .

فقال : أحسنتَ ، وصدقت .

ووَصَلني ، وأمر بمائة ألف درهم يتصدّق بها ، فكأنّي أنظُر إلى البِدَر وقد أُخرجت ، والمالِ يُفرّق .





٦٣

أخوه السيد حسين *

إذا كان ذاك الرَّضِيّ فهذا المُرْتَضَى ، وكلٌّ منهما الحسام المجرَّد والسيفُ المُنتضَى .

فهما في السيادة رَبِيبان ، يتضاءل لديهما الأقْعسان .

اشتركا في البَراعَة اشْتِراكَ الشُّمُول ، وفاحا فوحة [1] الزَّهْر وهَبّا هبوب الشَّمول .

فكأنَّ يدَ القادر الفتّاح ، شقَّتْهما [2] من شِقَّي التُّفاح .

ينظُر الأدبُ منهما عن مُقْلَتَيْن ، ويتردَّد الأفاضل بينهما تردُّد النسمات بين روضتين [3] .

وهذا وإن عاجلَه الحِمام ، فاستَسَر [4] قبل التَّمام .

إلّا أنه اهْتَصر الأملَ لَدْنا ، وتبوَّأ من قرارة العيش عَدْنا .

وقد ألان [5] له الدهرُ مِعطفًا ، وأجناه ماشاء من الأماني مِقْطفا .

وناله [6] قُبَيل موته حالٌ سَنِيّة الخِلال ، وسيادةٌ وَرِيفة الظِّلال .

(*) السيد حسين بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني .

ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .

واشتغل ، وبرع ، وسما قدره لمعالي الأمور ؛ فسافر إلى الروم ، وأقام بها زمانا طويلا ، وتقلبت به الأحوال ، إلى أن قدم إلى دمشق ، ورأس فيها ، وصار نائبا بالمحكمة الكبرى ، وقساما بالعسكر ، ودرس بالمدرسة الفارسية .

جمع كتابا ، سماه بـ « التذكرة الحسينية » ، ذكر فيه شعراء متقدمين ، كالشريف الرضى ، ومن نحا نحوه ، وختمه بذكر بعض معاصريه من الشعراء ، ثم ذكر في آخره حصة وافية من نظمه .

توفي سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بتربة الإخشيدية ، في سفح قاسيون .

خلاصة الأثر ٢ / ١٠٥ — ١٠٨ . وله ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ١ ٤ — ٥ ٤ .

(١) في ب : « فوحات » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : « شقيها » ، وفي ج : « ستقيهما » ، والمثبت في : ب . (٣) في ب : « الروضتين » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) استسر : استتر وتوارى .

(٥) في ا : « لان » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في الأصول : « ونال » ، ولعل الصواب ما أثبته .

فلم يقم داعى الهنا بإقْباله حتى قام ناعِى الأُمْنِيَّة ، ولا انتُقِد دينارُ عمرِه على مِحَكِّ الانتقا حتى عُولج بصَرْف المنِيَّة .

فروَّح اللهُ بِرُوحه (١) فى الجِنان ، وعامله بمَحْض الفضْل والامْتنان .

* * *

وقد أثْبَتُّ من شعْره مااستوْفَى أقْسام النَّضارة ، واستكمل فصاحةَ البَداوة وهو من أُبّ الحضارة .

فمنه قوله من قصيدة ، مستهلها (٢) :

لكَ اللهُ هلْ برْقُ الرُّبوعِ يلوحُ ... وهل بان من ليلِ البِعادِ نُزوحُ (٣)

وكم ياترى يسْطُو علىَّ بأدْهَمٍ ... وأشْهبُ طِرْفِ الصُّبح عنه جَموحُ (٤)

أُراقِبُ نجْمًا ضلَّ مَسْلَكَ غَربِه ... وطَرْفِى هامٍ والفؤادُ جريحُ

يبيتُ يناجينى الحمَامُ بسجْعِه ... ويروى حديثَ السُّقْمِ وهْوَ صحيحُ

أطارحُه وجْدِى ويشْكو من الجوَى ... وكلُّ مَشُوقٍ بالغرام يبوحُ (٥)

ينوح ولا يدْرِى البِعادَ وفَرْخُه ... لديْه قريبٌ والزمانُ سَمُوحُ

على غُصْنِه المَيَّادِ أصبح شاديًا ... ونَشْر الصَّبا يَغْدو له ويروحُ

برَوْض بكتْه الغادياتُ فأضحكتْ ... ثُغورَ أقاحٍ بالعبير تفوحُ

أقول له والوجدُ يُمطِر مقْلتى ... وقلبىَ فى نارِ الغرام طريحُ (٦)

ألا ياحَمامَ الأيك إِلْفك حاضرٌ ... وغصنك مَيَّادٌ فَفِيمَ تنوحُ (٧)

(١) فى ب : « روحه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وروح الله روحه : أنعمها .

(٢) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٢ ، ٤٣ ، وذكر ابن شاشو أنه مدح بها نقيب الأشراف بالقسطنطينية . (٣) فى ا : « برق الولوع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « من ليل العناد » .

(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ألم تره يسطو على بدهم » .

(٥) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من نار الغرام » . (٧) سقط هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « فرخك حاضر * وغصنك ميال . . . » .

ألا ياحمامَ الأيكِ تعدُوكَ حالُ مَن ... بأحشاه من حرّ البعادِ قُروحُ

مُغادِرُ أفراخِي صغاراً وليس لى ... جَناحٌ ولم يهبُبْ بفُلْكِيَ رِيحُ (١)

فأيْنَ من النَّائِي عن الإلفِ حاضرٌ ... وأين من الباكى النَّحُوبِ صَدوحُ

فهل يا تُرى من مُنْقذٍ أو مساعدٍ ... يخلِّص من أيْدى النَّوى ويُرِيحُ (٢)

* * *

وقوله ، من أخرى (٣) :

مَعاذَ الهوى أن الصَّرِيعَ به يَصْحُو ... ليعقِلَ ما يُمْلَى على سَمْعِه النُّصْحُ

وكيف تُرجَّى منه يوماً إفاقةٌ ... وزَنْدُ الهوى فى عقلِه دَأْبُه القَدْحُ (٤)

دعِ القلبَ يشقى فى طريقِ ضلالةٍ ... ففى رأْيه أن الوصولَ بها نُجْحُ (٥)

تؤمِّل آمالًا مدى العمرِ دونها ... كأن مَطايا النائباتِ به جُمْحُ (٦)

يُكتِّمُ أسرارَ الغرامِ فؤادُه ... ويفضحُه من مُزْنِ مُقْلتِه السَّحُّ (٧)

لقد ألِفتْ عيْناه أن تنفحَ الدِّما ... وتلك دِما لُبَّ به أحْكَمِ الجرحُ (٨)

يَعافُ الكرَى منه المحاجرَ كلَّها ... نُزولَ جراحٍ جُرْحُها شأْنه الرَّشْحُ (٩)

له فى انتظارِ الطَّيْفِ جَفْنٌ مُؤرَّقٌ ... تَعوَّده من شدَّةِ الأرَقِ القَرْحُ (١٠)

(١) فى ب : «مبادر أفراخى» وفى ج : «فغادرت أفراخى» والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من منقذ ومساعد » ، وتمام القصيدة بنوها فيه .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) فى خلاصة الأثر :

* وزَنْدُ الهوى فى عقلِه عظُم القدْحُ *

(٥) فى ب : « دع القلب يشقى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « يؤمل آمالا » .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ويكتم أسرار الغرام » . (٨) فى ا : « أن تنضح الربا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « وتلك دما عقل » .

(٩) فى خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « نزول جراح » ، وفى ب : « شانه الرشح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (١٠) فى خلاصة الأثر : « تفيه من شدة الأرق القرح » .

ولم يدرِ أنّ الطيفَ يحذَر أن يُرَى ... نزيلَ بيوتٍ دأْبُ أبوابِها الفتحُ

غدا دهرُه بالهجرِ ليلًا جميعُه ... وحسْبُك دهرٌ بالنَّوى كلُّه جُنْحُ

كأنّ نجومَ الأفقِ فيه تنصَّرتْ ... فليس لغيْر الشَّرْق وجْهتُها تنْحُو (١)

كأنّ الثريَّا والنسورَ تخاصمتْ ... وظَلَّا على حدٍّ يُجانبُه المَزْحُ (٢)

كأنّ به الشُّهْبَ الثواقبَ تنبَري ... مَراسِيلَ ذاتِ البَيْن يُرْجى بها الصلحُ

كأنّ به خَيْطَ المَجرَّة جدولٌ ... تَوارَدَه الجَيْشانِ وازْدحم النَّزْحُ (٣)

كأنّ ظلامَ الليلِ في الجوِّ عِثْيَرٌ ... تَغَشّى صفوفَ الجيشِ من جَوْنِه قَتْحُ (٤)

كأنّ به العَيُّوقَ مَلْكٌ مُبجَّلٌ ... كأنّ اخْضرارَ الفجرِ في أُفْقِه صَرْحُ (٥)

* * *

وقوله من أخرى، مستهلها (٦):

خَفِّضْ عليك أخا الظِّباءِ الغِيدِ ... وارْحَمْ مدامعَ جَفْنِيَ المَسْهودِ

كم ذا أُعلِّلُ بالأماني تارةً ... قلبي وطَوْرًا بانْتظارِ وعُودِ (٧)

ولَكَمْ أبيتُ بليلةِ المَلْسوعِ في ... أذْني سميعٌ في التفاتِ رَصيدِ (٨)

* * *

---

(١) في ا: «لغير الشوق»، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر، وتراجم بعض أعيان دمشق.

(٢) في خلاصة الأثر: «كأن الثريا والنسور تخاصما»، وكذلك في تراجم بعض أعيان دمشق.

(٣) في ا: «وازدحم البرح»، وفي ب، وخلاصة الأثر: «وازدحم الترح»، والمثبت في: ج، وتراجم بعض أعيان دمشق، وفيه: «تزاحمه الجيشان»، وهي رواية حسنة.

(٤) في ا: «من جونة قبح»، وفي ج: «من جوده فتح»، وفي خلاصة الأثر، وتراجم بعض أعيان دمشق: «من جونه قبح»، والمثبت في: ب.

والعثير: التراب والعجاج. والجون: الأسود والأبيض، ضد.

(٥) في الأصول: «كأن اخضرار الفجر في أفقه طرح»، والمثبت من خلاصة الأثر، وتراجم بعض أعيان دمشق.

والعيوق: نجم أحمر مضيء، في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها. القاموس (ع و ق).

(٦) الأبيات في خلاصة الأثر ٢ / ١٠٦، وذكر أنه مدح بها رؤساء الروم.

(٧) في الأصول: «بانتظار وعودى»، والمثبت في خلاصة الأثر.

(٨) في ا، ج: «في التفات وصيد»، والمثبت في: ب، وخلاصة الأثر.

ليلةَ المَلْسوع ، كناية عن السَّهر المؤلِم .

ومن اللطائف : دواء المَلْسُوع الصِّياح إلى الصباح .

والملسوع اسم مفعول ، من لسعته الحيَّة أو العقرب .

وأول من استعمل هذه الكناية الشَّريف الرَّضِيّ ، في قوله [١] :

أتبيتُ رَيَّانَ الجفونِ من الكرى ‏ ‏ ‏ وأبيتَ منك بليلةِ الملْسُوعِ

ومن نوادر البيت ، أن « تبيت » مضموم التاء ، وهو للمخاطب ، و « أبيت » مفتوح التاء [٢] وهو للمتكلم ، والخطاب في الأول مُستفاد من تاء المضارعة ، والتَّكلُّم في الثاني مستفاد من الهمزة ، وأن الأول مرفوع ؛ لحلُوله محَلَّ الإسم ، والثاني منصوب بأن مضمرة بعد واو المُصاحَبة .

* * *

يا مُسرفا في هجْرِه لمتيَّم ‏ ‏ ‏ هجَرتْ محاجِرُه لذيذَ هُجودِ

أهْونْ برغبتك القِلَى والجَهْدَ في ‏ ‏ ‏ تعْذيبِ شِلْوِ فؤادِيَ المفْؤُودِ [٣]

* * *

الشِّلْو : العُضو ، وفي الحديث [٤] : « ائْتِنِي بِشِلْوِهَا الأيْمَنِ » .

والشِّلْو : شِلْو الإنسان ، وهو جسده بعد بِلاه ، وكلاهما هنا مُحتمِل .

* * *

لم يُبْقِ هجْرُك فِيَّ قلبًا خافقًا ‏ ‏ ‏ لسرُورِ وعدٍ أو لحزنِ وَعيدِ [٥]

---

(١) ديوانه ١/٤٩٧ ، ورواية البيت فيه :

أهْوِن عليك إذا امتلأتَ من الكرى ‏ ‏ ‏ أنِّى أبيتُ بليلة الملسوعِ

(٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٣) في ب : « أهون برغبتك العلى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ج : « القلى والهجر » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٤) النهاية ، لابن الأثير ٢/٤٩٨ . (٥) في خلاصة الأثر : « أو خوف وعيد » .

وغدوتُ من فِعْل السَّقام كأنني أوْهامُ فِكْرٍ في خيالِ بليـــدِ
أدْنَيْتَني حتى ملكْتَ حُشاشتي وتركْتَني وَقْفاً على التّنْكيدِ

* * *

وله من أخرى ، أولها[1] :

عجبتُ لقلبي مايُكِنّ من الوَجْدِ ونارِ جَوًى لاتفْتُر الدهرَ عن وَقْدِ[2]
سقى مَعْهدي والرَّبْعَ من أرضِ جِلّقٍ أسَحُّ غمامَيْ أدْمُعِي والحَيَا الرَّغْدِ[3]
أُريدُ الحَيَا فالدمعَ أحْـــذَرُ إنّه يُحرِّم منهـــا ماءها الطَّيِّبَ الوِرْدِ

* * *

من قول مِهْيار[4] :

بكَيْتُ على الوادِي فحَرَّمْتُ ماءه وكيف يَحِلُّ المـــاء أكثرُه دَمُ

* * *



منها :

وناعِسِ طَرْفٍ بات يمزُج راحَــه بريقَتِـــه مَزْجَ الضمائرِ بالوُدِّ
يُنادمني والسكرُ يَخْفِضُ صوتَه كهَيْنَمَةٍ بالروضِ من نَسْمةِ الرَّنْدِ

* * *

منها :

سَقاه غَمامُ الحسنِ صَوْبَ عِهادِه فـــأثْمَر بدرًا قد تنوَّر بالوَرْدِ

* * *

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٢) في ا : « عجبا لقلبي » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « أسح غمام أدمعى » والمثبت في : ب ، ج . (٤) تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ١٦٣ .
والبيت في ديوانه ٣/٣٤٤ ، وانظر ريحانة الألبا ١/٣٤ .

قلت : هذا شعر تجاوز في الطف الحدّ ، يحمرّ له خجلاً وردُ الرُّبَى وورْد الخدّ .

* * *

ومن أحاسنه[1] التي عطّلت الياقوت والدُّرّ ، ومن يصْبُو بمحاسنه فقد بان له العُذر ، قوله :

إلى م ترى ذا العهـــدِ يُتْلِفه الغَدْرُ ... وحتّى م وعدٌ دون إنجازِهِ الحَشْرُ

أبيتُ ولى قلبٌ على جَمْرةِ الغضَــا ... وأعْبـــاء أحزانى على مُهْجتى وِقْرْ

وقد ضلّ أَنْسُ الأُفْقِ مَسْلَكَ غَرْبِهِ ... بحِنْدِسِ ليـــلٍ ليس يَعْقُبه فجرْ[2]

وباتتْ تُناجينى بشَجْوٍ حمــامةٌ ... لها تحت ذيلِ الليلِ في شأْنهـــا هَدْرُ

تنوح على الغصن الرطيب فينْثنى ... طَرُوبًا كمن مالتْ بأعْطـافِهِ الخَمْرُ

أناشِدةٌ تشـــدو على فَنَنِ الرُّبَى ... مُفارِقةً إلفًا وقد خانها الصـــبرُ

أراكِ مُنَدَّاة الجناحِ تخـــبِّرى ... أدَمْعى الذى نَدّاه وَهْنـــاً أم القَطْرُ

[3]منها في الحماسة[3] :

وإنّى صبورٌ عنـــد كل مُلِمَّةٍ ... يشيبُ لها فَوْدٌ ويَحْدَوْدَبُ الظهرُ

ولا ارْتاعَ لى قلبٌ لخطْبٍ إذا غدا ... علىَّ له الإبْرامُ والنَّهْىُ والأمرُ

فلا خَيْرَ فى قلبٍ أبَتْ أن تُذيبَه ... خطوبٌ فلولا السَّبْكُ ما عُرِف التِّبْرُ

وقد زادنى جَوْرُ الزمان تأرُّجاً ... كما زاد نَشْرَ المسك فى سَحْقِهِ الفِهْرُ[4]

* * *

(١) فى ب : « إحسانه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ج : « وقد ضل نسر الأفق » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وقد زادنى جور الزمان تأدبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

هذا من قول سعيد بن هاشم الخالِدِىّ[١] :

تَزِيدُنى قسوةُ الأيّامِ طِيبَ ثَنًا   كأنّنى المسكُ بين الفِهْرِ والحجَرِ

والفهر : الحجر الذى يُسحَق عليه .

* * *

وإن لاح لى فوق السَّما كَيْن مَطْلَبٌ   فلا المُرتقَى صعبٌ علىَّ ولا وَعْرُ[٢]

ولستُ بِهَيَّابٍ ليومِ كريهـــةٍ   وقد صافحتْ فيــه المُهنَّدَةُ البُتْرُ

فإن خانَنى دهرِى فما خانَنى الحِجَا   وإن خذَلَتْنى الصَّحْبُ لم يَخْذُلِ الصبرُ

ولا أشتكِى خطبًا يُشـــدِّدُ وَطْأةً   علىَّ فلولا العسرُ ما خُلِق اليسرُ[٣]

* * *

منها[٤] :

ولستُ الذى يُمْضِى الليالى أمانيًا   يضيع سُدًى فى شأنِها الوقتُ والفِكرُ

ولا أكره الخطْبَ المُلِمَّ فرُبَّـــما   أتى النفعُ من حالٍ تراءى به الضُّرُّ

ولله ألطافٌ يدِقُّ خفاؤهـــا   فكم خِيفَ أمرٌ كان فى ضِمْنه النصرُ

وكم عمَّنى بالفضلِ والنِّعَمِ التى   يقِلُّ عليها منِّىَ الحمدُ والشكرُ

إذا رُمْتُ أُحْصِى وصْفَها بِبيانِها   فهيهاتَ يُحْصَى الرَّملُ أو يُحْصَر القَطْرُ[٥]

* * *

---

(١) أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى ، عرف هو وأخوه محمد بالخالديين .
وكان أديبا ، شاعرا ، اشترك مع أخيه فى تأليف عدد من الكتب .
توفى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .
فوات الوفيات ١/٣٤٦ ، وهو فيه : « سعد بن هاشم » ، معجم الأدباء ١١/٢٠٨ ، وهو فيه : « سعد بن هشام بن سعيد » ، يتيمة الدهر ٢/١٩٩ .
وقد ورد اسم أبيه فى ب : « هشام » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والبيت فى يتيمة الدهر ٢/٢٠٧ .

(٢) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . القاموس (س م ك) .

(٣) فى ا : « يجدد وطأة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .   (٥) فى ب : « أحصى فضلها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله من أخرى ، مطلعها[1] :

أرانى الزمانُ فِعَالًا خسيسا وخطْبًا يبدِّل نُعْماه بُوسا

* * *

منها[2] :

ومُذ أسْكرتْنى صُروفُ الزمانِ نسِيتُ بها الكأسَ والخَنْدَرِيسا[3]

وألزمتُ نفسىَ حالَ الخمولِ وعِفْتُ المُنى وهجرتُ الجليسا

فقد يمكثُ السيفُ فى غِمْدِهِ مَصونًا ويستوطنُ اللّيْثُ خِيسا[4]

* * *

ومنها فى المديح :

بعزْمٍ تراه إذا ما بدا بمُعضِلِ أمرٍ يَفُلُّ الخميسا

ولا يَملِكُ القلبَ منه الرَّدَاحُ ولو أشْبه الوجهُ منها الشموسا[5]

ولو تكُ لو لم تَمِسْ ما اهتدتْ غصونُ الرّياض إلى أن تميسا[6]

* * *

وله من أخرى ، مستهلها[7] :

خَفِّض عليك أخا الظِّباء الرُّتَّعِ أنت الشريكُ بما رميْتَ به معى

أرسلتَ من أجفان لَحْظِكَ أسهُمًا مذ فُوِّقَتْ لم تُخْطِ قلبَ مُرَوَّعِ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ج : «ومذ أذكرتنى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : «خطوبه الزمان» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

والخندريس : الخمر .

(٤) فى خلاصة الأثر : «فى غمده * حصونا» .

والخيس : موطن الأسد وغابه .

(٥) فى الأصول . «منه الشموسا» ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

والرداح : الثقيلة الأوراك .

(٦) مكان : «تك لو لم تمس» بياض فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ .

قد ظَـــلَّ موقعَها الفؤادُ وإنَّنى ... لم ألقَ غيرَكَ ثَمَّ فى ذا الموضعِ [١]

كَلِفٌ بحبَّاتِ القلوبِ كأنما ... تبغِى الوقوفَ على الضَّميرِ المُودَعِ [٢]

يامن غدا يسْطُو علىَّ بهجْـــرِه ... أوَما رحمتَ نحيبَ صَبٍّ مُولَعِ

شيْئان تنْصدعُ الجوانحُ منهما ... تغْريدُ ساجعةٍ وأنَّةُ مُوجَعِ

كم رُمْتُ أخْفى عن سواكَ صَبابتى ... وبها ينُمُّ علىَّ شاهدُ أدْمُعِى

يهْنُو لِغَيِّ فيك قلبى ثم لا ... يُصغِى لِغَشٍّ بالرَّشاد مُقَنَّعِ

قل للعَذُول عليك يتْركُ غِشَّه ... بالنُّصْح لى فلذاكَ أُذْنِى لا تَعِى

لم تُخْفِ قطُّ بشاشةٌ لُؤْمَ الفتى ... فالطبعُ يفضح حالةَ المتطبِّعِ

إن المَلامَ وحقِّ وجهكَ فى الهوى ... مازاد غيرَ تولُّهى وتولُّعِى

قد زاد فيك تألُّمِى بتألُّمِى ... وتفكُّرِى فيه انتهى لتمتُّعِى [٣]

* * *

الأبياتُ الثلاثة الأُوَل، هى بعينها [٤] ثلاثة المِهْيار :

أوْدِعْ فؤادى حُرَقاً أو دَعِ ... ذاتك تؤذِى أنتَ فى أضْلعِى

أمْسِكْ سِهامَ اللحظِ أو فارْمِهـا ... أنتَ بما ترْمِى مصابٌ مَعِى

موقِعُها القلبُ وأنت الذى ... مَسْـكَنُه فى ذلكَ الموضعِ

* * *

ومن مقطَّعاته قوله [٥] :

إذا منعتْ سُحْبُ العواذلِ وجهَه ... وحجَّب عنى نورَه وهْو ساطعُ

---

(١) فى الأصل : « قد طل موقعها » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « كلفت بحبات القلوب » . (٣) فى خلاصة الأثر : « وتفكرى فيك » (٤) فى ب : « لمهيار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والأبيات مما ليس فى ديوانه المطبوع ، وهى فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ .

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٥ .

فمن نارِ أحْشائي تصاعد بَرْقُها ... وهاطِلُها ما أمْطرته المدامعُ [١]

* * *

وله فى الغزل :

عجبْتُ لحُسادِى عليك وليْتهم ... دَرَوا أنَّنى من نقْضك العهدَ فى ضَنْكِ [٢]

مضى ظنُّهم فى مَيْنِ وعدِك صحةً ... وحقق إنْجازاً عَريًّا عن الشِّرْكِ

فبَيْن وعيدٍ صادقٍ لا تَحيدهُ ... ووعدٍ كَذُوبٍ ليس يُؤذن بالشَّكِّ

غدوْتُ ولى حالٌ كما تشْتهى العِدَا ... وسُحْبُ دموعى أنبتَتْ كَلأَ الهَتْكِ

فلله مَن أخلصتُ دهرِىَ وُدَّه ... وعذَّبنى بالغدْرِ والهجرِ والفَتْكِ

* * *

وقوله ، فى شخص اسمه موسى :

يناديك ياموسى فؤادٌ تكثَّرتْ ... عليه وُشاةٌ فى هَواكَ خُصومُ

وليس عجيبا أن توَلَّه فى الهوى ... وأنت له بيْن الأنام كليمُ

* * *

وله فى غرض [٣] :

كم ذا تطَلُّ مُؤرَّقَ الأجفانِ ... ماعشْتَ وثَّابًا لنَيْلِ أمانِى

فبكلِّ وادٍ أنت رائدُ مطالبٍ ... وبكلِّ نادٍ أنت ناشدُ شانِ

تَرِدُ الخطوبَ لموردٍ هاعَتْ به ... أُسْد الفَلا مذعورةَ الأعْيانِ [٤]

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ما أمطرتها المدامع » . (٢) فى ب ، ج : « فى نقضك العهد » ، والمثبت فى : ا .

(٣) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) فى ا : « لمورد هامت به » ، وفى ب : « لمورد أعتابه » . والمثبت فى : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وهاع يهيع : جبن وفزع .

وفى ا : « سند الفلا » بدون نقط على النون ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « سند العلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لا تهتدي فيه القَطا لورودها ... إلا بوِرْدِ الضَّيْغَمِ الظَّمآنِ (١)

وكأنما رِيشُ النواهض حولَه ... وَقْعُ النِّبال عقيب يوم طِعانِ

وترى المَطايا عُوِّضتْ من طائها ... نُونا لمُقْتَحِمٍ له ومُدانِ

فأتيته والأُسْد توجس خِيفةً ... فيه مفارقة ثبات جَنانِ (٢)

وحَشا خطوبٍ قد شققتُ ضميرها ... بيدٍ تدقُّ عوالىَ المُرّانِ (٣)

وغدوتَ تعتسفُ الفَلا وتجوبُها ... لمطالبٍ قد زُيِّنتْ وأماني

وفَرَيْتَ وَفْر ظلامها بصوارمٍ ... وصلتْ عُرى الإصْباحِ باللَّمعانِ (٤)

وركبت متنَ مَهامِهٍ متوخِّياً ... دارَ العُلى فوصلتها بأمانِ (٥)

وبذلت شَرْخَ العمر وهْو نفيسُه ... في سُوق رَغْبات الهوى النَّفساني (٦)

قسماً بأيامِ الشباب وطيبها ... وبنظمِ شَمْلٍ شتَّه الحَدَثانِ (٧)

وبآيةِ القلبِ الصريعِ إذا نأى ... عنه الأليفُ وأقفرته مَغاني (٨)

لأشدُّ ما يلقَى امرؤٌ في دهره ... شيئان صدقُ قِلًى وبُعْد مُداني (٩)

* * *

(١) في ب : « لا تهتدي فيه القطاء لوردها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « توحش خيفة » . (٣) المران : الرماح اللدنة الصلبة . القاموس (م ر ن) .

(٤) في ب : « عرى الإصلاح » ، والمثبت في : ا ، ج .
وهذا البيت ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) في ا : « وركبت متن مهامه متوجها » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « وركبت متن مهابة متوخيا » ، والمثبت في : به ، ج . (٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « وهي نفيسة » .

(٧) حدثان الدهر : نوائبه .
وبعد هذا البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

وبما حَدَا الحادي بهم يومَ النوى ... وبعَبْرةٍ أرْبَتْ على الهَتَّانِ

(٨) صدر البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

* وبآية القلب الصَّديع إذا نأى *

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « ضد قلى » .

وله مضمِّنا بيت الأرَّجانيّ (١) مرتجلا (٢) :

لستُ أنسَى لياليًا قد تقضَّتْ … بوصالٍ وطِيبِ عَيْشٍ بمَغْنَى

كم قضَينا بها لُبانةَ أُنْسٍ … وظفِرْنا بكلِّ ماتتمنَّى

حيثُ غُصْنُ الشبابِ رَيَّانُ من ما … ءِ صِباه مع الهوى يتثنَّى

قد أتتْ بغتةً وولَّتْ سِراعًا … كطُروقِ الخيال مُذْ زار وَهْنَا

أترى هل تعود لى بالتَّداني … ومُحالٌ جَمْعِي بها أو تُثنَّى

غيرَ أنى أعلِّلُ النفسَ عنها … بالأماني الكِذابِ وَهْمًا وَوَهْنَا (٣)

أتمنَّى تلك الليالى المُنِيرا … تِ وجهدُ المحبِّ أنْ يتمنَّى (٤)

* * *

وله يخاطب مليحا مرِض (٥) :

يا من تعالاه السَّقا … مُ لقد حكيتَ بذاك جَفْنَكْ

إذ صار يا بدرَ السَّما … ءِ مُضاعِفًا ذا الضعفُ حُسْنَكْ

لم ينتقِصْ بالسُّقْمِ حُسْـ … ـنُكَ سيِّدى واللهِ إنَّكْ (٦)

* * *

يُشير إلى قول ابن سَناء المُلْك (٧) فى مليح شفَّه السَّقام (٨) :

أشْبهْتَ جسمِى نحولاً … فهل تعشَّقْتَ حسنَكْ (٩)

---

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٢ .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١٠٨ .

(٣) فى ب ، ج : « وما وذهنا » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى الأصول : « إذ جسمى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٥) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٥ .

(٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لم ينتقص » .

(٧) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣١١ .

(٨) الأبيات فى ديوانه ٥٣٢ .

(٩) صدر البيت فى الديوان : « حكيت جسمى نحولا » .

وكانَ جَفْنُكَ مُضنىً فصرتَ كلكَ جَفْنُكْ [1]
وزادَكَ السُّقْمُ حسناً والله إنَّكَ إنَّكْ

***

وللسيد محمد ثلاثة أبناء، كثلاثة هَقْعَة [2] الجوزاء، وإن أرْبَوا عليها في السَّنا والسَّناء:



(١) في الأصول: « وكان جسمك مضنى »، والتصويب من الديوان.
(٢) هقعة الجوزاء: ثلاث كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي. القاموس (هـ ق ع).

٦٤

السيد عبد الرحمن (*)

هو في السِّن يكبرهم، وفي الأخذ بأطراف الشِّعر يكثُرهم.

ومكانه منهم الأخطر الأنفس، وصبح الفضل عن[1] بَلَجه يتنفَّس.

وذاته شُغْلٌ للمحبِّ الواجِد، وشأنُ القلوب في محبَّته شأنُ القلب الواحد.

فمَنَّقَ الكلامَ لمَّا نوَّر، ورتَّب[2] محاسن[3] البديع في دُرَر كَلِمِه وطوَّر.

وقد فُجِعت به بنو الآداب في مَيْعة[4] شبابه، وفقدت منه سيِّداً ألمَّ بخالصة الأدب ولُبابه.

فلا عُذْر للدمع إن لم[5] يساجل عليه المُزْن، ولا للنفس إن لم تُعاشر في مُصابه الحُزْن.

وأرجو الله سبحانه، أن يمتِّعه برَوْحه وريحانه.

وكنت[6] صَحِبْته أياماً، نبهْت فيها حظوظاً نياماً.

(*) السيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني، الدمشقي، المعروف بابن النقيب.

ولد سنة ثمان وأربعين وألف.

وتخرج بوالده، وغيره من فضلاء العصر، حتى برع وأتقن فنونا، ثم تعاطى الإنشاء ونظم الشعر في شبيبة عمره، فأحسن فيهما كل الإحسان، وهو صاحب النكات المتقنة، والمعميات العويصة.

توفي مطعونا، سنة إحدى وثمانين وألف، ودفن بمقبرة الفراديس.

خلاصة الأثر ٢/ ٣٩٠ – ٤٠٤، وله ترجمة على طريقة النفحة، في تراجم بعض أعيان دمشق ١٦ – ٢٧.

(١) في ا: «على»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ب، ج: «وزين»، والمثبت في: ا.

(٣) في ا: «محاسنه»، والمثبت في: ب، ج. (٤) في ب: «صبغة»، والمثبت في: ا، ج.

(٥) في ا: «ألا»، وفي ج: «أن لا»، والمثبت في: ب. (٦) بعد هذا في ا زيادة: «في»، والمثبت في: ب، ج.

فما زلت أتروّح نسيمَ لُطفه وأتنشّقه ، وأقول فيه ما[1] يقول المُفتون فيمن يعشقُه .

* * *

وكان ألحفَنى من أشعاره بطُرَف تُرْوَى وتُنقَل ، ويمثلها يُجْلَى القلبُ من صَداه ويُصْقَل .

وها أنا ذا أورد منها ماألتزمه وتترك عنك دُرَر البحور ، فإن بها[2] زينةَ الصدور ، وتلك بها زينة النُّحور .

وكل ما أذكر له إما تشبيه زَهْرًا وزَهْر ، أو وصفُ روض يُطِلّ على نَهَر .

وهو ممن أُغرِىَ بهذين النوعين ، فأتى منهما بجُمَل متكاثرة ، ونظَم فيهما بِدَعًا أضحت لها عقود الترائب متناثرة .

وذلك إما لميلٍ غريزىّ فى فطرته ، أو لأن دِمَشْق مُتَروَّحُ فِكرته .

وحسبك من طبعٍ لو كان للسحب صارت زمانَ فصلَ الربيع ، وفِكرةٍ لو كانت للنجوم السيّارة جَرَيْن سعْدا أكبر فى التربيع .

ويكفيك من مُتروَّح تَنفتح العينُ منه على بَهجةٍ ونَضارة ، ومَسْرحٍ ينجلى القلبُ منه جِدَّةً[3] وغَضارة .

* * *

فمن ذلك مَقامته الربيعيّة ، كتبها للأمير حمزة الدَّفْتَرِى ، بدمشق ، وقد احتوت على مُعظَم تشبيهات الزهور .

وهى :

إلى روضةِ الآداب رَيْحانة النَّدَى تحايا حفاظٍ حرّ كتْبها يدُ الوُدِّ

---

(١) فى ب : « كما » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « به » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ب : « بهجة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فجاءت كأنفاسِ الرِّياحِ تسحَّبتْ على رَشَحاتِ الطَّلِّ من وَجْنة الوردِ

هذا ، وقد عنَّ للخاطر ياسيدي أن يزُفَّ إليك بوادِرَه ، ويجْلِيَ عليك نوادره .

إذ لابد للنفوس أن تمْرَح ، وللنوادر أن تُستباح وتُستَملح .

وقد أشعرت أنى دُفِعتُ إلى مناجاة الفكر الفاتر ، عند قلة المحادثة والمناظر .

فخاطبنى فى ابتكار النُّخَب[1] ، وأغرانى بافتراع أبكار الأدب .

وقال : ماتقول فى دُعابة تقلِّص ذَيْلَ الوقار ، وتُزْرِى بأكْؤس العُقار .

فقلت : إيه ، يانَبِيه . ثم لزمتُ الإصاخة لتلقِّيه .

فسلك بى طريقاً من الواهمة[2] ، كأنما أعدَّه لهذه المنادمة .

فأفضَى إلى روضٍ مُندًّى ، كأنما تجلَّل بالنعيم وتردَّى .

وقد فُرِشتْ مُلاءة النَّوْر على مَيادِينه ، وحرشت[3] أيْدِى النَّسيم بين رياحِينه .

يخترقه نهرٌ كأنما يسيلُ من دُرَّة ، أو ترقرق من عَبْرة .

وعليه دُرٌّ من الفواقِع منظوم ، وبِساطيه وَشْىٌ من الأزاهِرِ مَرْقوم .

فمن [4]نرْجِسٍ نَعْتُه الفُتور ، وورد كأنما انْتُزِع من أوْجُه الحُور .

وأقاحٍ كأنه ثَغْرُ الحبيب بلا مِرَا ، وقصورٍ من العَسْجَد السَّبيك مُشْرِفَةِ الذُّرَى .

وياسَمِين كأنه أنْمُل الأبكار ، أو صُلْبانٌ من الفضة صِغار .

وبنَفْسَج كأنه العوارضُ الطَّرِيرة ، أو رَصَّة القُرْط فى سالِفةٍ مهْمُومةٍ غَرِيرة .

وشقِيقٍ كأنه أقْداحُ العقيق ، قد رسَب بقرارتِها مسكٌ فَتيق .

---

(١) فى ا : « النجب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الواهمة : قوة الوهم .

(٣) فى ا : « وهرشت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) بياض فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج .

وآذَرْيُون [(١)] كأنّهنّ مَداهنُ عَسْجَد ، على سواعدِ زَبَرْجَد .

قد ضُمِّخت أوساطُها بغالية ، وسَماواتُها [(٢)] من ذاك خالية .

وسُوسان [(٣)] كبياضِ السَّوالف ، أو جِيادِ الوصائف .

وتَرَنْجان [(٤)] كأنها وشْمٌ على زُنود ، أو بِساطُ سُنْدُسٍ مَمْدود .

ومَرْدَقُوش [(٥)] كأنما مَفْروقُهُ آذانُ خُرَّد [(٦)] ، ومجموعُهُ صَرْحٌ من الزُّمُرّد مُمَرَّد .

ورَيْحان يُعِدُّه النديم ليوم الفَراغ ، ويحْكيه الحبيبُ بسلاسِل الأصْداغ .

وقَرَنفُل كأنما تَوقَّد بالجمْر ، وانْعقد من الخمْر .

على مكاحل خضرٍ معشوقة ، وسواعدَ صُفْرٍ ممشوقة .

وسُنْبُل [(٧)] لا زَوَرْديّ الأديم ، عَنْبَرِيّ الشَّمِيم .

تخالُه بأكُفّ الولائد ، كأنه شُنوفٌ عُلِّقت إلى مَراود .

ويادورد ، تسمّى براءته العنبرَ والورد .

كأنه هالةُ البدر في القياس مزوّقة [(٨)] تشكّلت [(٩)] من الألماس .

---

(١) في ا ، ج : « وآذريونه » ، والمثبت في : ب .

والآذريون : نور أصفر ، معرب آذركون ، أي لون النار . شفاء الغليل ١٢ .

(٢) في ب : « وسماواتها » ، والمثبت في : ا ، ج .

والسماوة : سقف كل شيء . القاموس (س م و) .

(٣) قال الشهاب الخفاجي ، في شفاء الغليل ١٢٣ : « سوسن ، بالضم : زهر معروف ، ووقع في كلام بعض المولدين سوسان بالألف ، ولم أره » .

(٤) في ا ، ج : « وترنجانه » ، والمثبت في : ب .

والترنجان : اسم نوع من الريحان ، عامي مولد . شفاء الغليل ٦٥ .

(٥) في ج : « ومردقوشه » ، والمثبت في : ا ، ب .

والمردقوش : الزعفران ، أو نبت آخر طيب الرائحة . شفاء الغليل ٢٠٧ ، وانظر الصحاح ٣/١٠١٩ .

(٦) في ا : « جرد » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٧) سنبل ، كقنفذ : نبات طيب الرائحة ، ويسمى سنبل العصافير ، أجوده السوري ، وأضعفه الهندي . القاموس (س ن ب ل) .

(٨) في ا : « شمسته » ، والمثبت في : ب ، ج .

والشمس : ضرب من القلائد . القاموس (ش م س) .

(٩) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

والطيرُ جذلان مبتهج ، بين فرد ومزدوج .

قد صدح ومرح ، وغنّى بكل مقترح .

فمن عندليب قد أخذ من الغرام بنصيب ، وحرّك نوازع الحب [1] الحبيب ،

كأنما رُقِش [2] بحُوّة [3] اللّعَس ، أو قدّ طوّق من أديم الغَلَس .

ومن شُحرور ، قد أعلن بالسرور ، وترنّم خلف الستور .

ثم برز للمناغاة كل أورق صدوح ، كأنه راهب في مسوح [4] .

وقد صيغت من الأبنوس قوائمه ، وصُبغت بعصارة المرجان ملاغمه .

ومن مُطوّق قد حنّ إلى إلفه وتشوّق ، وترسّل بالأغاريد وتنوّق .

ومن قُمريّ راح يقهقه بترجيعه ، ويحكى إبريق المدام عند سكب نجيعه .

ومن ساجعة ، ذات غنّة متراجعة ،

معشوقة التفويف ، مُعلَمة الرداء الخفيف .

يندى بمرتحل الرذاذ عاتقها ، وفي أحشائها زفرة من الشوق لا تفارقها .

ومن ساقِ حُر [5] كأنما اكتحل بنار الجوانح ، وبرز على منصّة المفاوح [6]

لكل مُطارح .

جوارٍ على قُضبِ الأراك تنوّحت   وما هي إلا للقلوب جوارحُ

وإذا بولدان كأنهن شوارد آرام ، أو بدور تمام ، يتطلعن من فروج الغمام .

(١) في ب : « الحب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ا : « نقش » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ب : « جودة » ، والمثبت في : ا ، ج .

والحوة : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد . القاموس (ح و ى) .

(٤) في ا ، ج : « مسلوح » ، والمثبت في : ب .   (٥) ساق حر : ذكر القمارى ؛ لأن حكاية صوته ساق حر . القاموس (س و ق) .   (٦) في ا : « النواح » ، والمثبت في : ب ، ج .

من كل ذي طَرْفٍ مَنْهوبِ[1] النظر، بادِي الفُتورِ والحَوَر.

مُحيّاً وسيمٍ يَنْدَى بمائه، قد أطلَع فيه النعيمُ آيةَ رُوائِه.

وجِيدٍ ممشوقِ الغَيَد، على قوامٍ رهيفِ التَّثَنِّي والمَيَد.

كأنه الغصنُ يمرَح في بُرْدِه، والصبحُ ينْساخُ نورُه من طَوْقِه[2] وعِقْدِه.

قد رفعوا سُجوفَ التكلُّف، وهصَروا بأغصانِ التألُّف.

وعلى يدِ كلِّ واحدٍ كأسُ مُدامٍ، وإبريقٌ منزوعُ الفِدام[3].

وهما يتعاقران السُّلافَ على روضٍ وغَديرٍ، وسماعِ بَمٍّ[4] وزِير.

حتى مَرَج[5] الدَّوْحُ بهم واضطرب[6]، وجرَت الأكوابُ على الخَبَب.

فبينما أنا متعجِّبٌ من هذه الآثارِ العبْقريّة، ومتأمِّلٌ في هذه المحاسنِ الربيعيّة.

وإذا بالفكرِ قد رفع الحجابَ مُنشِداً، وإلى وجهِ الطربِ مرشِداً.

فقال:

إليكَ نَزْعَـــةَ آدابٍ يروضُ بها ... طـــيرُ الفصاحةِ إيناساً وتطريبا[7]

لا تعجَـــلِ اللومَ فيه واسْتَشِفَّ لها ... معنًى يرِفُّ ويندَى يُمْنـــاً طِيبا

وربَّمـــا أفصحتْ من بعد عُجْمَتِها ... وعاد ترْجيعُهـــا مَدْحاً وتشبيبا

فعـــادَ سَمْعُكَ مِثْلُ القريضِ بها ... فليس يألُـــوكَ إبداعاً وتهذيبا

فحيثُ ما جُلْتَ تلقَى روضـــةً أُنُفاً ... منها ومِســـكاً على الأرجاءِ منهوبا

---

(١) في ب: «مبهوت»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ب: «طرفه»، والمثبت في: ا، ج.

(٣) الفدام: شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي. القاموس (ف د م).

(٤) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزهر. القاموس (ب م م).

والزير: الدقيق من الأوتار أو أحدها. القاموس (ز و ر).

(٥) في ب: «سرح»، والمثبت في: ا، ج.

(٦) في ب، ج: «وأطرب»، والمثبت في: ا.

(٧) في ا: «نزعة آداب»، والمثبت في: ب، ج.

ومُسْتَرِقًا لم يزل بالدَّلّ مُنْتطِقًا	بالطَّرْفِ مُتَّشِحًا بالحسن مَعْصُوبَا [1]
من حيث لا روضةٌ عند العِيانِ ترى	فيها ولا مُسْمِعًا يشدُو ولا كُوبَا
وإنما هو تَمْويهٌ على نَسَقٍ	تخالُه شارِبًا للذهنِ مشروبَا
والشعرُ ضربٌ من التصويرِ قد سلكتْ	فيه القرائحُ تدريجًا وترتيبَا
فالروضُ روضُ السجايا طاب مَنْبِتُها	والزهرُ زهرُ الثَّنا تُهْديه مَرْغوبَا
والكأسُ كأسُ الودادِ المحْضِ مُرْتَشَفًا	والحسنُ حسنُ الوفا تلقاه محبوبَا [2]
والطيرُ طيرُ بيانٍ ظلَّ مُغْتَرِدًا	طُوبَى لمن بات يقْرِي سمعَه طوبَى [3]
والسجعُ طِيبُ حديثٍ ظلَّ جوهرُه	بين الأخلاءِ منثورًا وموهوبَا
وتلك أوصافُ مَن طابتْ مَكاسِرُه	ومن غدا جوهرًا للفضلِ منْخُوبَا [4]
أعْنِي به حمزةَ الرّاقِي إلى شرفٍ	يُرَى به كوكبُ الجوزاءِ محْجُوبَا [5]
من راح مُقْتدِيًا للفضلِ يجمعُه	والعُرْفُ يصنعُه بدءًا وتعقيبَا
والمكرُماتُ غدتْ في طبعِه خُلُقًا	وخَلّةُ الودِّ دأبًا منه مَدْءُوبَا
إليك يا مَوْئلَ الآدابِ غانيةً	تُهْدِي ثناءً كأنفاسِ الرُّبَى طِيبَا [6]
زَفَّهُ بمَيْشلك سمعَ الودِّ منك بها	وأولِها بجميلِ القولِ ترحيبَا

* * *

وقوله في تشبيه الياسمين : « أو صاحبان » إلخ ، من قول ابن قُرْناص [7] :

---

(١) في ا : « بالحسن مغصوبا » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٢) في ب : « كأس مدام المحض » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) مكان « سمعه » بياض في : ا ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) في ا : « طابت مكارمه » ، والمثبت في : ب ، ج .
والمكاسر : الخبر ، والأصل .
(٥) في ب : « محبوبا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « إليك يا مؤمن الآداب » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٧) أبو إسحاق شمس الدين إبراهيم بن محمد بن هبة الله الخزاعي ، الحموي ، ابن قرناص .

انْظُرْ إلى خَيْمةٍ وقد نُصِبَتْ خضراءَ عند الصَّباح مُبْيضَّهْ
كأنَّها قُبَّةٌ لِراهبــــــةٍ وقد كستْها صُلْبانُ من فِضَّهْ

***

ومن التَّشابيهِ في البَنَفْسج قوله :

بَنَفْسَجٌ بذَكِيِّ المسكِ مخصوصُ كَخَدِّ أغْيَد بالتَّخميشِ مقروصُ

***

(١وقال آخر١) : بنفسجٌ كآثار العضّ ، في البدن الغَضّ .

وقوله : « وشقيق ، كأنه أقداح العقيق » إلخ ، هذا نقل فيه تشبيه الأَذَرْيُونة(٢) من بيت قيل فيها ، وهو(٣) :

وحَوْلَ آذَرْيُونةٍ فوقَ أُذْنِه ككأْسِ عقيقٍ في قرارتِه مِسْكُ

وضمير « حول » يرجع إلى المحبوب .

والأَذَرْيُون : نَوْرٌ أصفر ، معرّب آذركون(٤) ، أي لون النار . والعرب(٥) كانت تجعله خلف أذنها تيمُّنا .

وأصله أن أرْدشير ابن بابَك ، كان يوماً بقصْره ، فرآه فأعجبه ، ونزل لأخْذه فسقط قصره ، فتيمَّن به .

وهو نَوْرٌ خريفيّ ، يَمُدّ ويقْصُر .

أديب فاضل ، له اليد الطولى في النظم .
توفي بحماة ، سنة إحدى وسبعين وستمائة .
النجوم الزاهرة ٧/٢٣٨ .

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) في ب : « الأذريون » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٤) في ا : « آذركوه » ، وفي ج : « آذركونه » ، والمثبت في ب ، وهو موافق لما في شفاء الغليل ١٢ ، والنقل عنه ، كما سيأتي .

(٥) كذا جاء في الأصول ، وفي شفاء الغليل : « والفرس » .

قاله الشهاب ، في « شفاء الغليل » .

وقال غيره : هو ورد مُدَوَّر له أوراق [1] حُمْر ، في وسطه سواد ، له نُتوء وارْتفاع ، فيُشَبَّه بكأس عقيق كالأول [2] ، وقد يكون أصفر ، وعليه قوله [3] الآخر :

وآذَرْيون كأنَّهنَّ مداهنُ عسْجد ، على سواعد زَبَرْجَد . إلخ

وهذا حلّ الأبيات لابن المُعْتَز [4] :

سَقْيًا لروضاتٍ لنـــــا ... من كلِّ نَوْرٍ حاليَهْ
عيونُ آذَرْيونِهـــــا ... الشَّمس فيهـا كاليَهْ [5]
مداهنٌ من ذهب ... فيهـــــا بقايا غاليَهْ

والمداهن جمع مُدْهُن .

قال الجَوْهَرِيّ [6] : المُدْهُن ، بالضم لا غير : قارورة الدُّهْن ، وهو أحد ما جاء على مُفْعُل ، مما يستعمَل من الأدوات ، والجمع المداهن .

ومعنى كَلاءة عيون الآذَرْيون للشمس ، أنها تستقبلها وتدور معها حيث دارت .

وقوله : « سنبل لازوردى الأديم » ، وقد استعمل هذا التشبيه في مَقْطوع له مشهور ، يقول فيه [7] :

أصْبح السُّنْبلُ الجَنِيُّ لدينا ... فوق سُوق فيها النَّدَى يترَدَّدْ [8]

---

(١) في ا : « أوراقه » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) ساقط من : ب ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في الأصول : « قول » ، ولعل الصواب ما أثبته ، فقد تقدم هذا القول له ، في صفحة ٣٧ .

(٤) هكذا نسب الخفاجي هذه الأبيات إلى ابن المعتز ، والبيتان الثاني والثالث في شفاء الغليل ١٢ لابن الرومي ، ولم أجد شيئا من ذلك في ديوان ابن المعتز المطبوع ، وكذلك في ديوان ابن الرومي المطبوع ، والبيت الثالث غير منسوب في تلخيص الخطيب القزويني المفتاح . شروح التلخيص ٣ / ٨ ، ٤ .

(٥) في شفاء الغليل :

كأنَّ آذَرْيونَهـــا ... والشمسُ فيه كالِيَهْ

(٦) الصحاح ٥ / ٢١١٦ .   (٧) الريحان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « السنبل العجيب » .

كَشُنُوفٍ لَطُفْنَ من لازَوَرْدٍ عُلِّقَتْ فى مَراوِدٍ من زَبَرْجَدْ

***

وله فى السُّنْبُلِ أيضا :

وسُنْبُلٍ وافَى على سُوقِهِ غِبَّ الحَيَا فى زُرْقِهِ لا تُحَدّ
مَكْفُوفَةِ الحافاتِ زَهْراتُهُ مَدْرُوبَةُ الأوراقِ فى كلِّ بَدْ[1]
كأنَّما تَمْعِيفُ أطرافِها مَحَاجِنٌ صِيغَتْ من اللّازَوَرْدْ

***

وله أيضا فيه :

ياحُسْنَهُ من سُنْبُلٍ ناصعٍ يَبْدُو لنا فى قائمٍ أخضرِ
كأنّه من حَوْلِ زَهْراتِهِ زَرَافِنٌ صُفَّتْ من العَنْبَرِ[2]

***

ومن تشابيهه النادرة ، قوله فى الوردِ[3] :

وأقبلَ الوردُ من بُرْعُومِهِ خَجِلاً يُبْدِى لنا فوقَ رَيَّا نَشْرِهِ العَبِقِ[4]
دراهمًا من يواقيتٍ على قُضُبٍ تراكمتْ تحت دِينارٍ على طَبَقِ
وقد أحاطتْ لِرَقْصِ الدَّمْقَبَنْدِ بها من الزَّبَرْجَدِ حِيتانٌ من الوَرَقِ

***

البُرْعُوم ، والبُرْعُم ، والبُرْعُمة والبُرْعُومة ، بضمّهن : زهرة الشجرة قبل أن تنفتح.

---

(١) فى ج : « مكفوفة الحافات . . . مدروزة الأوراق » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وذرب السيف : كان حادا .
(٢) الزرفين ، بالضم والكسر : حلقة الباب ، وقد زرفن صدغيه ، جعلهما كالزرفين . القاموس (ز ر ف ن) . (٣) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٨ . (٤) فى ا : « من برعومه خجلا » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « من برعومه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وفى ا : « يبدى لنا فرق ريا نشرها العبق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

ورقص المستبند : معروف للعجم ، يأخذ بعضهم بيد بعض ، يقال له الفَنْزَج [1] ، بفتح الفاء .

ولقد أتى بأبدع ما يُستعذَب ويُستغرَب .

ومنزعه في هـذا ما في كتاب « ازدهار [2] الأزهار » الشقائق [3] ، حيث أنشد فيه [4] :

وقد فتح الوردُ جُنْبُـذاً بَهِجاً ... يكاد منه الدينارُ يَنْسبِكْ [5]

عقيقُ أوراقِهـا على ذهبٍ ... يحمله من زَبَرْجَـدٍ سَمَكْ [6]

قال : لم أسمع في زِرّ الورد الأخضر ، الحاوى للزهر الأحمر ، أبدعَ من هـذا التشبيه [7] ، بل لم أسمع فيـه شيئاً البتّة غـيره [7] ، وهو من بدائـع التشبيهات ، وروائع التوجيهات ، التي يطرَب عليها [8] الأديب ، ويهتزّ لها العاقل الأريب .

وقد أغار عليه الأمير طاهر [9] ، فقال [10] :

انظرْ إلى الورد ... كأنه ... خَـدٌّ ... مُوَرَّدْ

---

(١) في أصول النفحة : « الفزج » ، والتصويب من المعرب ٢٣٧ ، والألفاظ الفارسية ٦٣ ، وشفاء الغليل ١٦٨ ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « الفنزج » . (٢) في أصول النفحة : « ازدهاء » ، وما أثبته في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ . (٣) ا : « الشقاشق » ، وفي ب : « الشقاقي » ، والمثبت في : ج ، ولم أعرفه . (٤) البيتان والنقل بعدهما في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ ، وقد ذكرهما ابن شاشو تعقيبا على البيتين السابقين في قافية الدال ، ومطلعهما قوله : « أصبح السائل .. » ، حيث قال : « ومأخذه ما رأيته منقولا من ازدهار الأزهار لبعضهم » .

(٥) الجنبذ : كالجلنار من الرمان . القاموس (ج ن ب ذ) . (٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « عقيق أوراقه » . (٧) ساقط من : تراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لها » .

(٩) لعله يعني طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، الذي أرسله المأمون للأمين .

كان أديبا ، حكيما ، شجاعا .

توفي سنة سبع بعد المائتين .

تاريخ بغداد ٩/٣٥٣ ، وفيات الأعيان ٢/٢٠١ . (١٠) نسب ابن شاشو ، في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ هذين البيتين إلى الأمير منجك ، ولم أعثر عليهما في ديوانه .

مِن حولِهِ وَرَقٌ كحيـ ـتانٍ خُلِقْنَ من الزَّبَرْجَدْ

* * *

ومما يُستَبدع ويُستظرف ، قوله فى تشبيه المُضَعَّف (١) :

وَنَرْجِسُ الروضِ قــد حَيَّ بمُضْعَفِهِ فى أصفرٍ فاقعٍ مع أبيَضٍ يَقَقِ (٢)

كأنه وهْـــــو فى قُضْبٍ مُنعَّمةٍ يُلْقى النسيمُ عليها نفسَ مُعتنِقِ (٣)

أمْشاطُ دُرٍّ من الإبْريزِ فى جُمَمٍ جَعْـدٍ فما بين مجموعٍ ومُفْترِقِ (٤)

* * *

الجُمم : جمع جُمَّة ، وهى من الإنسان مُجتمَع شعر ناصيته .

* * *

وقوله فى تشبيه الياسَمِين (٥) :

وأطْلَعَ الياسَمِينُ الغَضُّ حين بدا دُرًّا يفُوح بنَشْرٍ منـه مُنْفَتِقِ (٦)

كرَوْبَجاتٍ صغارٍ سال فى لُمَعٍ من أُفْقِها ذائبُ الياقوتِ فى الشَّفَقِ (٧)

* * *

وقوله فى الزهر المعروف بالعنبر (٨ بوى ، ومعناه رائحة العَنْبَر ٨) :

وذِى قامةٍ فى الزَّهْرِ تَنْدَى غَضارةً بَدَا فاختِيَ اللونِ من عَنْبَرِ الشِّحْرِ (٩)

---

(١) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧ . (٢) أبيض يقق : شديد البياض . القاموس (ى ق ق) .

(٣) فى ب : « نفس معتبق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى ا : « ابرازدر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧ . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أبدى لنا الياسمين الغض حين بدا » .

(٧) الروبج : الدرهم الصغير الخفيف . القاموس (ر ب ج) .

وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « كزوبجات » ، وهو خطأ .

(٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب (٩) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان . ينسب إليـه العنبر الشحرى . معجم البلدان ٣ / ٢٦٣ .

لَهُ جِمْرُ زُغْبٌ تَشَكَّلَتْ حَوْلَهَا ... مِنَ الزَّهْرِ إِفْرِيزٌ كَأَجْرِبَةِ العِطْرِ
تَكَوَّنَ لُطْفًا فَوْقَ زِرِّ زَبَرْجَدٍ ... تَكَتَّبَ بِالأَلْمَاسِ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ

* * *

وقوله فى الأبيض منه :

وَذِى هَالَةٍ فى الزهر أَبْيَضَ نَاصِعٍ ... تَكَوَّنَ لِلْمَاشِى مِنَ العَنْبَرِ الوَرْدِ
يَرُوقُكَ هُدَّابٌ بِهِ رَاحَ أَشْيَبًا ... تَدَنَّرَ فى زِرٍّ كَبَارِزَةِ الهِنْدِ [١]
أَحَاطَتْ بِهِ الزَّهْرِ فى زِىِّ دَارِهِ ... ظُرُوفٌ مِنَ الكَافُورِ مَثْقُوبَةِ الزَّنْدِ [٢]

* * *

وقوله فى الزهر المعروف بحَلْقَة المحبوب :

وَزَهْرٍ كَأَمْثَالِ الشُّنُوفِ لَطَافَةً ... تَدَاخَلَ مِنْ أَجْزَائِهِ البَعْضُ فى البَعْضِ [٣]
تَدَ أَحْكَمَتْ إِبْرَامَهَا المُزْنُ خِلْقَةً ... لَدَيْنَا وَأَعْطَتْهُ أَمَانًا مِنَ النَّقْضِ

* * *

ونقلتُ عنه ، قال : أنشدنى العلامة شيخ وحده المرحوم أبو العباس أحمد المَقَّرِىّ المَغْرِبِىّ [٤] ، فى [٥] كتابه « أزهار الرياض فى أخبار عياض » [٦] فى جملة ما أورده من شعر ابن زَمْرَك الأندلسىّ [٧] ، فى [٥] كتاب ذكر أنه من تآليف بعض سلاطين

(١) فى ب : « يروقك أهداب » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى الأصول : « كبارزة الهند » ، ولعل الصواب : « كبارزة النهد » . (٢) فى ا ، ج : « مثبوتة الزند » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ب : « تداخل فى أجزائه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ١١٣ . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . وخلاصة الأثر ٢/ ٣٩٣ ، ونقل فيه أيضا هذا الخبر فى صفحتى ٣٩٣ ، ٣٩٤ . (٦) أزهار الرياض ٢/ ١١ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الصريحى الأندلسى ، المعروف بابن زمرك .

ولد بغرناطة ، ونشأ بها ، وتلمذ للسان الدين بن الخطيب وغيره ، فبرع فى الكتابة والشعر .

ترقت به الأمور حتى صار كاتم سر الغنى بالله محمد بن يوسف ، صاحب غرناطة ، والمتصرف برسائله وحجابته .

قتل نحو سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

الإحاطة ٢/ ٢٢١ ــ ٢٤٠ ، أزهار الرياض ٢/ ٧ ــ ٢٠٦ ، الدرر الكامنة ٥/ ٧٨ .

تلمسان [1] بنى الأحمر ، وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع [2] ، سلطان الأندلس ، الذى كتب إليه ابن زَمْرَك المذكور ، بعد ابن الخطيب [3] .

قال : وهو سِفْر ضخم ، سماه بـ « البقيّة [4] والمدرَك من شعر [5] ابن زَمْرَك » ليس فيه إلا نظمه فقط [6] .

---

(١) تلمسان وتلمسان : مدينتان بالمغرب متجاورتان مسورتان ، بينهما رمية حجر ، إحداهما قديمة والأخرى حديثة ، واسم الحديثة أقادير . معجم البلدان ١/٨٧١ .

وأقادير هى التى تعرف اليوم بأغادير ، المدينة التى وقع بها الزلزال المشهور .

(٢) ابن الأحمر المخلوع هو الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ،

ثامن ملوك دولة بنى نصر بن الأحمر بالأندلس .

وعرف بالمخلوع ؛ لأن أخاه إسماعيل استمال إليه جماعة من أهل غرناطة ، فنادوا بدعوته ، وخلعوا الغنى ، ففر إلى تونس ، سنة إحدى وستين وسبعمائة ، ثم سنحت له الفرصة ، سنة ثلاث وستين وسبعمائة فعاد إلى غرناطة ، ووطد بها دعائم ملكه .

توفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

الإحاطة ٢/٣ ــ ٥٩ ، أزهار الرياض ١/١٩٠ ــ ٢٠٤ ، الدرر الكامنة ٥/٦٣ .

أما حفيده الذى لم يسمه المقرى ، فهو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ، المؤرخ الأديب .

صاحب « نثر الجمان فى شعر من نظمنى وإياه الزمان » .

فقد ذكر المقرى فى نفح الطيب ٧/١٤٩ ، نقلا عن حفيد ابن الأحمر المخلوع ، فى الموضع الذى ذكر فيه شعر ابن زمرك ، أن الأخير استعطف والده السلطان أبا الحجاج بأبيات ، وهو ما يقطع بأن الحفيد إنما هو إسماعيل بن يوسف .

توفى أبو الوليد سنة سبع وثمانمائة .

جذوة الاقتباس ٩٩ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، لسان الدين بن الخطيب .

ولد بغرناطة ، ونشأ بها ، وبرع فى الأدب ، وارتقت أحواله ، فاستوزره أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل صاحب غرناطة ، ثم وزر لولده الغنى بالله محمد من بعده .

ولسان الدين مؤرخ جليل ، ووزير نبيل .

خنق فى سجنه ، سنة ست وسبعين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٤/٨٨ ، نفح الطيب ، القسم الثانى منه .

(٤) فى ب : « سماه بالبعية » ، وفى ج : « سماه البغيـة » ، والصواب فى ا ، وخلاصة الأثر ، وأزهار الرياض ٢/١١ ، وقد عاد المقرى فأكد هذه التسمية حين شرحها بقوله ــ نقلا عن ابن الأحمر الحفيد ــ : « أما البقية فلما بقى بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشح الدهر بإمساكه ؛ والمدرك لأجل ما ترك فى مبيضاته ، ولم يخرجه فى حياته » . أزهار الرياض ٢/٢١ .

(٥) فى أزهار الرياض ٢/١١ : « كلام » . (٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وأزهار الرياض .

فقال [١] : ومن وصفه فى زهر القَرَنْفُل الصَّعْب الاجْتنا بجبال الفتح ، وقد وقَع له مولانا الغنى [٢] بالله بذلك ، فارْتجل قطعا .

منها :

أَتَوْنى بنُوّارٍ يرُوق نَضارةً كخدِّ الذى أهْوَى وطيب تنفّسِهْ
وجاءُوا به من شاهقٍ متمنّعٍ تمنُّعَ ذاك الظَّبى فى ظل مَكْنِسِهْ
رعى اللهُ منه عاشقاً متقنِّعاً بزهْرٍ حكى فى الحُسن خدَّ مؤنِّسِهْ [٣]
وإن هبَّ خفّاقُ النَّسيم بنفحةٍ حكى عَرْفَه طيبا قَقَضى بتأنُّسِهْ [٤]

※ ※ ※

قال [٥] : وكنتُ من إعمال الفكر فى عدة تماثيل ، [٦] أصف فيها ماتكون من هذا [٦] الزهر على حالة تحشر لها النفس بتحْريك نازِع الاقْتدار ؛ وبصرف عنها الخاطر إكباراً [٧] لأن [٨] أكون فاتح هذا الباب من غير وطئة [٩] ثابتة فى اسمه ومقتباه ، حتى رأيت فى ذكْر مَعْزاه ماترى ، فقلت فيه عدة مقاطيع .

منها [١٠] :

وجَنِيّ من القَرَنْفُل يُبْدِى لك عَرْفاً من نَشْره بابْتسام
فوق سُوقٍ كأنها من أبارِيـ ـقِ الحُمَيّا مَساكِبُ للمدامِ [١١]

---

(١) أزهار الرياض ٢/٣٩ ، ونفح الطيب أيضا ١٠/٣٧ ، ٣٨ . (٢) فى الأصول : « المغنى » . وفى خلاصة الأثر : « المستعين » ، وكل ذلك خطأ . (٣) فى ا : « عاشقا متمنعا » . وفى ب : « عاشقا متقتقا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، وأزهار الرياض ، ونفح الطيب .

(٤) سقطت « قضى » من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، وأزهار الرياض ، ونفح الطيب ، وفى خلاصة الأثر : « يفى بتأنسه » . (٥) أى المترجم . (٦) فى ب : « أصف فيها تكون هذا » ، وفى ج : « أصف بها تكون من هذا » ، والمثبت فى : ا ، وفى خلاصة الأثر : « أصفه بما تكون من هذا » .

(٧) ساقط من : ب ، وفى ج : « إكبار » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٨) فى ب ، ج : « إلا أن » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٩) فى ب : « وطيه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (١٠) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ . (١١) فى الأصول : « مساكبا » ، والتصويب من خلاصة الأثر .

وسَدَتْ فوقها السُّقاةُ خدوداً   داميات مِنها مكان المُدامِ [1]

* * *

ومنها [2] :

قم بنا يانديمُ فالطيرُ غرَّدْ   لمُدامٍ كؤوسُه تتوقدْ

فلدينا قَرَنْفُلٌ قد نَمَاهُ   جبلُ الفتحِ نشْره قد تصعَّدْ

بين سُوقٍ عُوجِ الرِّقاب لِطافٍ   ثَمرات من لِينها تتجعَّدْ [3]

* * *

ومنها [4] :

أهْدَى لنا الروضُ من قَرَنْفُلِهِ   عبيرَ مسْكٍ لديْه مَفْتوتِ

كأنما سُوقُه وما حملتْ   من حسنِ زَهْرٍ بالطِّيب منْعوتِ

صَوالجٌ من زَبَرْجَدٍ خرطتْ   لها الفوادِي كُرات ياقوتِ [5]

* * *

ومنها [6] :

أرى زهْرَ القَرَنْفُل قد حَكَتْهُ   قُدودٌ تَرْجَحِنُّ به قيامُ

أخَال لَوَاْنَّها أعْناقُ طيْرٍ   نُهِضْنَ به لقلتُ هي النَّعامُ [7]

توقَّد زَهْرُه جمْراً لدينا   وتلك لها من الجمْرِ الْتِقامُ

* * *

---

(١) فى ا ، ج : « وشدت فوقها السقاة » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ .

(٣) فى ب : « ثمرات من لينها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ . (٥) فى ب : «لها الفوادى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ . (٧) فى ب : « أخال بأنها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومنها فى الأبيض منه من أبيات [١] :

مَاتَرى نَاصِعَ القَرَنْفُلِ وافَى ... بِتَحايَا الشَّمِيمِ بين الزُّهورِ
قُضُبٌ من زَبَرْجَدٍ حاملاتٌ ... قِطَعاً فُكِّكَتْ من الكافورِ

***

هذا ماوجدتُه منقولا عنه .

ورأيت فى أشعار بعض المتأخِّرين مِمّن تقدمَ تشبيهَ هذا الزهر .

فمِمّن استعمله ممّن أدركتُه أبو مُفْلح البَيْلونِيّ الحلبىّ [٢] ، فى مقصورة له [٣] ، [٤] حيث قال [٤] :

قَرَنْفُلُ الرَّوضِ شِفاهٌ ضمّها ... لَعْساً لكى يلثِمَ ناشقاً دنا

***

واستعمله قبله الكمال محمد بن أبى اللطف المقدسىّ ، المتوفَّى [٥] سنة ثلاث وثلاثين وألف فى قوله [٦] :

حكى القَرَنْفُلُ مُحْمَرّاً على قُضُبٍ ... خُضْرٍ لها صار بالتَّفضيل منعوتَا
كفًّا على مِعْصَمٍ نَقْشٌ به خَضِرٌ ... غدا له كافر العُذّال مَبْهوتَا [٧]

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ .

(٢) سيترجمه المؤلف ، فى الباب الثانى ، ضمن هذا الجزء ، برقم ١١٢ . (٣) زاد المؤلف فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ : « مقدمة التاريخ » . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج وخلاصة الأثر .

(٥) كمال الدين هو محمد بن عبد الحق بن أبى اللطف القدسى ، الحنفى .

كان فاضلا ، ظريفا ، رقيق الحاشية .

وكان كثير الأسفار ، رحل إلى القاهرة وأقام بها سنين عديدة ، واشتغل على علمائها ، وبرع ، ثم سافر إلى الروم ، وطلب تدريس المدرسة العثمانية بالقدس ، فوجهت إليه ، ومرض فى طريقه من الروم إلى بيت المقدس ، وتوفى بها ثانى يوم وصل إليها ، عن ستين سنة .

خلاصة الأثر ٣/٤٨٢ .

(٦) خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ ، ٣٩٥ . (٧) فى ا : « كفى على معصم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

أَبْدَتْهُ خَوْدٌ وقد ضَمَّتْ أناملَها ... كأساً تُشعِرُ لُطْفاً صِيغَ ياقوتَا [١]

* * *

والذى حازَ فى تشبيهه قصبَ السَّبْق ، [٢] فيما أعلم [٢] ، الشهاب بن خَلُوف [٣] الأندلُسِىّ ، أحد المشاهير المُجيدين ، حيث قال ، من قصيدة [٤] :

ولِلقَرَنْفُلِ راحاتٌ مُخضَّبةٌ ... على مَعاصِمَ خُضْرٍ فتنةِ الرَّائى

كأنجُمٍ من عقيقٍ فى ذُرَا فلكٍ ... من الزُّجاج أرَتْ أشْطانَ لألاءِ [٥]

* * *

وكان السيد المترجَم لما أنشأ هذه المقاطيع التى تقدَّمت اشتهر أمرُها ، فحذَا حذْوَه فى بابها جماعةٌ من أدباء الشام ، ونظموا فيه تشابيه متنوِّعة .

فمنهم الأمير مَنْجَك [٦] ، حيث قال [٧] :

قَرَنْفُلُنا العطرىُّ لوناً كأنَّه ... رُءُوسُ العذارَى ضُمِّخَتْ بعبيرِ

مداهنُ ياقوت بأعلى زَبَرْجَدٍ ... لقد أُحكِمتْ صُنْعاً بأمْرِ قديرِ

* * *

ومنهم شيخنا المُهَمَّنْدارىّ [٨] المفتى ، حيث قال [٩] :

قَرَنْفُلٌ فى الرياضِ هيئتُه ... تَحْكى وقد مَدَّ للسحابِ يَدَا

---

(١) فى ا ، ج : « كأس تشعر » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٣) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٦ : ٤ . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٥) فى ب : « شيطان لألاء » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ . (٧) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ ، ولم أجد البيتين فى ديوانه .

(٨) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦٠ ، برقم ٥٥ .

(٩) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ .

فَوَّارَةً مِن زَبَرْجَدٍ فتَقَتْ ... فَفَار منها العقيقُ والْجَمَدُ

* * *

وقال أيضا[1] :

هذا القَرَنْفُلُ قد بدَا ... في لونِه الثَّانِي تَجَمُّدْ[2]

فكأنَّ مِرْآةَ الأنِيقِ ... لدَى الرياضِ إذا تَنَهَّدْ

قِطَعُ العقيقِ تناثرتْ ... فتخطَّفَتْه يدُ الزَّبَرْجَدْ

* * *

ومنهم شيخُنا عبد الغنيّ النَّابُلُسِيّ[3] ، في قوله[4] :

كأنَّ قَرَنْفُلاً في الروضِ يَسْبِي ... شذَا رَيَّاه مُنْتَشِقَ الأُنوفِ

سواعِدُ من زَبَرْجَدَ قائماتٌ ... بلا بدَنٍ مُخَضَّبَةُ الكُفوفِ

* * *

وقوله[4] :

قم يانَدِيمِي لداعِي اللَّهوِ مُنْشَرِحاً ... فقد ترنَّمتِ الوَرْقاءُ في الورَقِ

وانظُرْ إلى حسنِ باقاتِ القَرَنْفُلِ ما ... بَيْنَ الرُّبَى نفَحتْ كالمَنْدَلِ العَبِقِ

أطْفَى النسيمُ لهيباً من مشاعِلِها ... في ظُلْمَةِ الروضِ حتى جمرُهنَّ بَقِي[5]

* * *

وقوله[6] :

بين الحدائقِ أعْطافُ القَرَنْفُلِ في ... زهْرٍ بريحِ الصَّبا الزَّاكِي وتَمْثِيلِ[7]

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٢) في ا ، وخلاصة الأثر : « الثاني يجمد » ، وفي ج : « الثاني مجمد » ، والمثبت في : ب .

(٣) سيترجمه المؤلف ، في هذا الفصل ، وسيأتي برقم ٧٢ .

(٤) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٥) في ا : « في ظلمة الروض » ، وفي ب : « في جمرة الروض » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .

وفي ب ، ج : « حتى جمرهن نقي » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٦) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٧) في خلاصة الأثر : « بريح الصبا الزاكي وتمثيل » .

مثلُ العرائسِ فى خُضْرِ الملابسِ قد لاثَتْ على وجْهِها حُمْرَ المناديلِ

* * *

وقوله فى الأبيض منه (١) :

هيّا بنا فالطيرُ صاحَ مُغرِّداً ما إن يُقاس لدى الورى بمُغرِّدِ
والروضُ مَدَّ من القرَنْفُلِ للنَّدَى كاساتِ دُرٍّ فى زُنودِ زَبَرْجَدِ

* * *

وقوله فى الأبيض المُشْرَب بحمرة (٢) :

وزهرِ قَرَنْفُلٍ فى الروض يحكى قصورَ دمٍ على صفحات ماء (٣)
رأى وجَناتِ من أهْوَى فأغضَى فبان بوجْهِه أثَرُ الحياء

* * *

وقد تطفَّلت أنا على عادتى ، فقلت (٤) :

وافَى القرَنْفُلُ مُعجباً فينا بمنظرِه الأنيقْ
يُبْدِى زُنودَ زَبَرْجَدٍ حملَت رُءوساً من عَقِيقْ

* * *

هذا ماوصلنى من التشبيهات التى نُظمت فيه ، وإن ظفرتُ بشىء أُلحقْتُه .

عَوداً على بدْء .

ومن رَوْضِيَّاته قوله (٥) :

قادنى للرُّبَى مَرُوح العِنانِ نَفْحُ رَوْحِ النسيمِ فى الرَّيْحانِ (٦)

---

(١) فى ا ، ج : « منها » ، والمثبت فى : ب . والبيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ ، ٣٩٦ .
(٢) خلاصة الأثر ٢/٣٩٦ . (٣) فى ا : « على وجنات ماء » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) بيتا المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٦ . (٥) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٦) فى الأصول : « صبوح العنان » ، والمثبت فى تراجم بعض أعيان دمشق .

وَاهْتِزَازُ الأَوْرَاقِ فِى القُضُبِ الهِيـ ... ـفِ أَرَتْنِى فِى سَاحَةِ البُسْتَانِ [1]
طُرَرَ الغِيدِ قَدْ رَقَصْنَ بِهَا عِنْـ ... ـدَ اجْتِلَاءِ الطِّلَا عَلَى العِيدَانِ [2]

* * *

وقوله [3] :

كَأَنَّمَا شَجَرَاتُ الدَّوْحِ فِى خَجَلٍ ... تَنْدَى فَيَبْلُغُ أَقْصَى الحُسْنِ مَبْلَغُهَا [4]
أَرْوَاحُ دُرٍّ تَبِيتُ المُزْنُ فِى بَشَرٍ ... مِنَ الزُّمُرُّدِ بِالأَنْوَاءِ تُفْرِغُهَا [5]
مَاجَتْ بِمُدْرَجَةِ الأَنْفَاسِ وَاطَّرَدَتْ ... كَأَنَّمَا حَوْلَهَا أَيْدٍ تُدَغْدِغُهَا [6]

* * *

وقوله [7] :

وَالنَّهْرُ يَصْدَا بِهَاتِيكَ الظِّلَالِ كَمَا ... يَصْدَا مِنَ الغِمْدِ حَدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ [8]
وَالزَّهْرُ يَفْرِشُ فِى شَطَّيْهِ مَا رَقَمَتْ ... فِيهَا السَّحَائِبُ مِنْ رَيْطٍ وَمِنْ حِبَرِ
رَبِيعَةَ الوَشْىِ لَا يَنْفَكُّ زِبْرِجُهَا ... يَجْلُو لَنَا مِنْ حُلَاهَا أَحْسَنَ الصُّوَرِ [9]

* * *

[10] الزِّبْرِج ، بالكسر : الزينة من وَشْىٍ أو جوهر ، أو نحو [11] ذلك .
ويقال : الزِّبْرِج : الذهب [10] ، والزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة .

* * *

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالقضب الهيف » . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « عن الميدان » . (٣) تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ .
(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « كأنما شجرات الدوح فى خجل * تبدو . . . » .
(٥) فى ا : « أدواح در » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى ا : « بالأنوا تضوعها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى ب : « فاطردت » ، والمثبت فى : ا ، ج وتراجم بعض أعيان دمشق . (٧) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٣ .
(٨) فى الأصول : « يصدى من الهند » ، والمثبت فى تراجم بعض أعيان دمشق .
(٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ربعية الوشى » . (١٠) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(١١) فى ب : « ونحو » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله :

بادِرْ بعيْشك فالنعيمُ مخيِّمٌ ومُلاءةُ البستانِ فى تفْويفِ

والطيرُ مغْترِدٌ عليه يشُوقُه جِيدٌ بأعْناق الغصون الهِيفِ [1]

تُصْغى له أذْنُ الطَّروبِ فينْثنى والشوقُ مِلْءُ فؤادِىَ المشْغوفِ

* * *

وله [2] :

ومجلسٍ حفَّتِ الغصونُ بنا فيه ووجهُ الرياضِ مُبْتهِجُ

كأن أوراقَها يرِفُّ بها فوق النَّدامَى نسيمُها الأرِجُ

خُضْرٌ من الأزْرِ لاتزال بها مناكبُ الرّاقصات تختلِجُ

* * *

وله [3] فى روض ألقتِ الأشجار ظلالَها عليه ، فالشمس من فُرُوجها عيونٌ ناظرةٌ إليه [4] :

وبطنٍ من الوادى حَلَلْنا مسيلَه خلالَ غصونٍ عا كفاتٍ على الشُّرْبِ

تُنقِّط منه الشمسُ فى مِسْكَة الثَّرى مَدَبَّ عِذارِ الظلِّ فى وَجْنةِ التُّرْبِ

بخِيلانِ كافورِ الشُّعاعِ كأنما أبتْ غيرجلْدِ النَّمرِ يُفرَش بالسُّحْبِ [5]

* * *

رأيت بخطِّه عقيب هذا : قلت : وما كنتُ أحسَبنى زُوحِمت فى هذا المعنى ، ولا سُبِقت لهذا المعنى ؛ حتى وقع إلىَّ حال مطالعتى لـ « تتمة اليتيمة » من قول السيد

(١) فى ب : « بأعناق القدود الهيف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٣) وضعت هذه الكلمة فى مؤخرة التقديم للأبيات فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « يفرش للشرب » .

أبى البركات العَلَوِىّ (١) ، فى الأشجار والقَمر (٢) ، ماصورته :

ألا صرِّفْ لنــا خمراً فنفسُ الصَّبِّ مَدْهوشَه (٣)

على أدْواحِ رَيْحانٍ بماء الطَّلِّ مَرْشوشَهْ (٤)

كأن الأرضَ من حُسْنٍ بجِلْدِ النَّمِرِ مفروشَهْ

فعجبت من مُواردتى إياه فى اشتراك الخواطر ، مع اقْتران المناسبة بين الشمس المنيرة والقمر الزّاهر .

ثم وقع إلىّ من أناشيد صاحب « الذخيرة » (٥) للتِّهامىّ (٦) أيضاً ماصُورته فى تشبيه الثُّرَيَّا (٧) :

وللثُّريا رُكُودٌ فوق أرْحُلِنا كأنها قطعةٌ من فَرْوة النَّمِرِ (٨)

* * *

قلتُ : وقد نزع فى (٩) هــذا المعنى البديع قول عبــد المحسن الصُّورِىّ (١٠) ،

---

(١) واسمه على بن الحسين . يقيمة الدهر ٤/٣٠ ، تتمة اليتيمة ٢/٣ .   (٢) فى تتمة اليتيمة ٢/٥ : « والقمراء » . ، والقمراء : ضوء القمر .

(٣) بعد هذا البيت فى التتمة قوله :

فصرِّفْها وقَرِّبهــــا وغرِّبْ وهْى معْشوشه

(٤) فى تتمة اليتيمة : « على أنواع ريحان » ، وبعد هذا البيت فى التتمة قوله :

ترى الشَّجْراء فى القمرا ء بالأفياء منقوشه

(٥) لم ينشر هذا القسم بعد من الذخيرة .

(٦) أبو الحسن على بن محمد التهامى ، الشاعر .

أصله من تهامة ، ورحل إلى الشام والعراق ، وولى خطابة الرملة .

ثم رحل إلى مصر بكتب من حسان بن مفرج الطائى ، إلى بنى قرة ، فاعتقل فى مصر ، وحبس ، ثم قتل سرا فى سجنه ، سنة ست عشرة وأربعمائة .

تتمة اليتيمة ١/٣٧ ، دميــة القصر ١/١١٠ « تحقيق » شذرات الذهب ٣/٢٠٤ ، وفيــات الأعيان ٣/٦٠ .

(٧) ديوان التهامى ٤٢ .   (٨) فى ب : « فوق أرجلنا » ، والصواب فى : ا ، ج ، والديوان ، وفيه : « كأنها قطعة من جلدة النمر » .   (٩) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(١٠) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٩٠ .

من أناشيد الثَّعالِبىّ ، وهو [١] :

فاسْقِنِيها مَلْأَى فقد فضح اللَّيْـ ... ـلَ هلالٌ كأنه فِتْر زَنْدِ [٢]

والثُّرَيّا خَفّاقةٌ بجناح الْـ ... ـغَرْبِ تهوِى كأنها رأسُ فَهْدِ

* * *

وتشْبيه وقوع الشُّعاع قد أكثر فيه الشعراء القولَ .

فمنه قول المعوج الشاعر [٣] :

كأنّ شعاعَ الشَّمْسِ فى كلّ غُـدْوة ... على ورَقِ الأشجار أوَّل طالعِ [٤]

دَنانيرُ فى كَفّ الأشَلّ يضمُّهـــا ... لقبْضٍ تهوّت فى فُروجِ الأصابعِ [٥]

وهو مأْخوذ من قول المُتَنَبّى [٦] :

وألْقى الشرقُ منهـا فى ثيابى ... دنانيراً تفِرُّ من البَنانِ

وأخذه القاضى الفاضل ، فقال [٧] :

والشمسُ من بين الأرائِك قد حكَتْ ... سيفاً صَقِيلاً فى يَدٍ رَعْشاءِ [٨]

وللنَّامِى [٩] :

سماه غصونٍ تحجُب الشمسَ أن تَرى ... على الأرضِ إلّا مثلَ نَثْرِ الدراهمِ

ومما يُضاهى هذا قولُ الصَّلاح الصَّفَدِىّ فى القمر :

---

(١) يتيمة الدهر ١/٣٢٥ . (٢) فى يتيمة الدهر . «فتر زند» . (٣) معاهد التنصيص ١/١٤٤ .

(٤) فى الأصول : « كأن شعاع الشمس كل غدوة » ، والمثبت فى معاهد التنصيص .

(٥) فى معاهد التنصيص : « لقبض فتهوى من فروج الأصابع » . (٦) ديوان أبى الطيب ٥٥٧ ، ومعاهد التنصيص ١/١٤٤ . (٧) ومعاهد التنصيص ١/١٤٤ وديوان القاضى الفاضل نقلا عن المعاهد .

(٨) فى الأصول : « فى يدى رعشاء » ، والمثبت فى : الديوان ؛ ومعاهد التنصيص .

(٩) أبو العباس أحمد بن محمد الدارى ، المعروف بالنامى .

من خواص شعراء سيف الدولة ، وله المنزلة بعد المتنبى .

توفى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

وفيات الأعيان ١/١١٦ ، ترجمة رقم ٥٠ ، يتيمة الدهر ١/٢٤١ .

والبيت فى معاهد التنصيص ١/١٤٤ .

كأنما الأغصانُ فى دَوحِها ... يلُوح لى منها سنا البدرِ
ترْسٌ من التِّبْرِ غدا لامعاً ... يقيسُه أسْوَدُ بالشِّبْرِ [1]

وقوله :

وكأنما الأغصانُ يثْنِيها الصَّبا ... والبدرُ من خَلَلٍ يلوح ويُحْجَبُ
حسناءُ قد عامَتْ وأرْخَتْ شعرَها ... فى لُجَّةٍ والمَوْجُ فيها يلْعَبُ

وقوله :

كأنما الأغصانُ لمّا انْثَنَتْ ... أمام بَدْرِ التِّمِّ فى غَيْهَبِهْ
بِنْتُ مَليكٍ خلْفَ شُبّاكِها ... تفرّجتْ منه على مَوْكِبِهْ

* * *

وللسيِّد فى الغزل [2] :

ولما تفاوضْنا الحديثَ عشيَّةً ... ومالتْ بِعطْفَيْه المُدامةُ فانْتَغَى [3]
وضعتُ له كَفِّى فوسَّدَ نغْنغًا ... تناهتْ به مائيَّةُ الحسْنِ فاستكْفَى [4]
وكنتُ أراعيه بالحْظِى تسرُّقًا ... فملّكتُ طَرْفِى منه من بعدِ ما أغفَى

* * *

وله [5] :

قد لوى جيدَه حَياءً وحَيَّى ... بكؤوسِ المُدامِ كأسًا فكأسَا

---

(١) فى ب : « يقيسه الأسود » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٣) فى ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « ومالت بعطفيه المدامة فاستغنى » . (٤) فى ا : « تناهت به ماهية الحسن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

ولعله أراد بالنغنغ العنق . انظر القاموس (ن غ ن غ) .

(٥) تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ .

فَفَضَضْتُ اليدين عن يانع الزهـ ـرِ لعَنِّى أجِـدُ لى فيـه أُنْسَا [(١)]
نُمْنِعُ فى نَصاعـةِ الزهرِ مَرْآ هُ لعينى وكالحريرةِ مَسَّا [(٢)]

* * *

وله :

قُمْ وسَقِّ المُدامَ كُوبًا فكوبَا فخطيبُ الرِّياضِ أضْحَى طَرُوبَا [(٣)]
والنَّواويرُ فى الأكِمَّةِ تجْلِى حَبَبًا من تَجْنِيها مقلوبَا [(٤)]
غَـيرَ أن الرياحَ قد مزَّقتْ عنْ دِ اعْتِناقِ الغصونِ منها الجُيوبَا

* * *

وله [(٥)] :

توسَّمْتُه لما تكامل حسنُه وقد رقْرقتْ فيـه الشَّبِيبةُ ماءَها
تخيَّلْتُ بأن الحوْلَ حانَ ربيعُه وأن الرِّياضَ الحزْنَ أبدتْ رُواءَها [(٦)]
فنفَّسْتُ عن طير الجوى بتأوُّهى وأرْسلتُ عينى بالدموعِ وراءَهَا

* * *

---

(١) فى ج : « ففضضت اليدين » ، وفى تراجم بعض أعيـان دمشق : « فنفضت اليدين » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وعجز هـذا البيت وصدر الذى يليـه ساقطان من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ا : « نعنع فى بضاخته » ، والمثبت فى: ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى ا : « قم واسق المدام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) النواوير : جمع نوارة .

(٥) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٣ .

(٦) فى ا : « حال ربيعه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وفى ب : «وأن رياض الحزن أبدت بداءها» ، والمثبت فى: ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وله (١) :

نَبَّهْتُـه سَحَراً والكأسُ فوق يدى ۝ والعودُ مصْطخِبُ الأوتار يُجْليه (٢)

فرفَّع الجيـدَ عن كفِّى وقد فترتْ ۝ أطْرافُه وأنا أُدْنيـــه من فيه

كما ترفّع غصنُ البان منْتصباً ۝ حالا فحالا إذا مارُحْتَ تَثْنيــه

※ ※ ※

وله (٣) :

وأهْيفَ ممْزوجِ اللّواحظِ مُتْرفٍ ۝ رَهيفِ التّثَنّى ناهزَ العشْرَ فى السّنّ (٤)

دَعانى إلى باكُورةِ الحسْنِ صَغرُه ۝ ولم أرَ شيْئاً مثلَ باكورةِ الحسْنِ (٥)

※ ※ ※

وله فى راقص (٦) :

وأهْيفَ مهْضومِ الحشا كادَ رقْصُهُ ۝ يُحكِّم فينا السِّحْرَ من كلِّ جانبِ

يميــلُ به ثقْلُ الخطا فتردُّه ۝ رَجاجةُ أعْكانٍ له ومَساربِ (٧)

※ ※ ※

ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه هذه الأبيات ، أحسن فيها المراجعة كل الإحسان :

وجليسٍ منّيْتُــه طَرَفَ الأُنْـ ۝ ـسِ وذَكّرتُه قديمَ العهودِ

قلتُ كيف النّديمُ قال يُحَيِّى ۝ ويُفدِّى بأنْفسٍ وجُدودِ

قلتُ كيف المُدامُ قال مع الزّ ۝ ـحانِ حَيِّى بنَرْجسٍ وورودِ (٨)

---

(١) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٢) فى ب ، ج : « مصطحب الأوتار » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ . (٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « رشيق التثنى » . (٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « دعتنى إلى باكورة الحسن سنه » .

(٦) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أعكان له ومناكب » .

(٨) فى ا : « حى بنرجس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قلت والنَّقْل قال تقْبيل خَـدٍّ ... من حبيبٍ ورشْفُ ثَغْرٍ بَرُودِ

قلتُ والطِّيب قال طَشٌّ من الما ... وَرْدِ يُزْجِى سحابَ نَدٍّ وعُودِ (١)

قلت كيف القِيانُ قال إليْهِنَّ ... انْقِيادُ الأوتارِ عند النَّشِيدِ

قلت كيف الغِناء قال تطرّقْـ ... ـت ولم يَعْدُ فيـــه بيتَ القصيدِ

أشْتهِي في الغنـــاء بَحَّـةَ حَلْقٍ ... ناعمِ الصوتِ مُتْعَبٍ مَـكْدُودِ

كأنينِ المُحِبِّ أنْحلَه البَيْـ ... ـنُ فضاهَى به أنينَ العُودِ

* * *

ومن تشابيهه النُّجوميّة، قوله من قصيدة، مستهلها :

لِعَيْنيْكَ في الأحشاء مانَفَثَ السحرُ ... وللحبِّ في الألبابِ مافعَل الخمْرُ

منها (٢) :

كأن المُنَى ماءٌ كأنِّىَ ناهِلٌ ... كأن القَيافِى البِيدَ مابيْننا جِسْرُ

كأن الثُّرَى أُفْقٌ كأن مَطِيّتِى ... هلالٌ كأن السَّيْرَ غايتُه الحشْرُ

كأن نَجاشِيَّ الظلامِ مُتيَّمٌ ... كأنِّىَ مُلْقًى في ضمائرِه سِرُّ

منها :

ولم يبْقَ لى إلا ثَمالَةُ مُعْدِمٍ ... يجاذِبُها من كلِّ ناحيةٍ ذِكْرُ (٣)

ليالٍ يَراها القِصْرُ حتى كأنما ... تـكْنُفُها من كلِّ ناحيةٍ فجْرُ (٤)

كأن دُجاها في أديمِ نَهارِها ... عَصِيمُ مدادٍ كادَ يجْحدُه السِّفْرُ (٥)

---

(١) في ب : « والطايب قلت » ، والمثبت في : ا ، ج . وفي ج : « قال طس من الماورد » ، والمثبت في : ا ، ب . والطش : المطر الضعيف ، والطس : إناء من نحاس لغسل الأيدى .

(٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٤) القصر : ضد الطول .

(٥) في ب : « عصيم مدام » ، والتصويب من : ا ، ج . والعصيم : البقية من الشيء ، والأثر .

كأن به الجوزاءَ عِقْدُ لآلئٍ ... تطوّقه من صدرِ زنجيةٍ نَحْرُ [(١)]

كأن الثريّا في اختلافِ نُجومِها ... بوادرُ آمالٍ يُحاولُها الحُرُّ [(٢)]

كأن السُّها معْنًى دقيقٌ فيختفي ... ويبْدو جِهاراً إن تواجَهه الفِكْرُ

❊ ❊ ❊

توارَدَ في هذا التشبيه مع البَابِيّ الحَلبيّ، [(٣)] في قوله :

كأن السُّهَا معنًى يجولُ بفكْرةٍ ... فآونةً يَخفَى وآونةً يبْدُو [(٤)]

ابن هانئ [(٥)] :

كأن سُهاها عاشقٌ بين عُوّدٍ ... فآونةً يَبْدو وآونةً يَخْفَى

ابن خفاجة [(٦)] :

كأن السُّها إنسانُ عينٍ غَريقةٍ ... من الدمعِ يبْدو كلما ذرَفَتْ ذَرْفَا

حازم [(٧)] :

كأن السُّها قد دَقّ من فَرْطِ شوقه ... إليها كما قد دقّق الكاتبُ النُّقَطا [(٨)]

ابن جانْدار [(٩)] :

كأن السُّها ذو صَبْوةٍ غاله النَّوى ... فأنحله والبَيْنُ للصَّبّ يُنْحِلُ

❊ ❊ ❊

---

(١) في ب : « تطرقه من صدر زنجية نحر » ، وفي ج : « تطرقه » ، والمثبت في : ا .

(٢) في ا : « يثار لها الحر » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) يعني مصطفى بن عبدالملك ، وقيل ابن عثمان البابي الحلبي ، وسيترجمه المؤلف ، في الباب الثاني ، برقم ١١٠ .

(٤) في ب : « يجول بفكره » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) ديوانه ١١٣ . (٦) ليس في ديوانه المطبوع .

(٧) أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني .

كان ــ كما يقول المقري ــ خاتمة شعراء الأندلس الفحول ، مع تقدمه في معرفة لسان العرب وأخبارها .

توفي سنة أربع وثمانين وستمائة .

أزهار الرياض ٣ / ١٧٣ ، بغية الوعاة ١ / ٤٩١ ، نفح الطيب ٣ / ٣٤١ .

والبيت في نفح الطيب ٣ / ٣٤٢ .

(٨) في ب : « قد دق من فرط شوقه » ، والمثبت في : ا ، ج ، ونفح الطيب .

(٩) حسين بن شهاب الدين العاملي ، ابن جاندار ، سيترجمه المؤلف في هذا الباب ، في أدباء جبل عاملة ، ويأتي برقم ١٠٣ .

وله (١) :

كأن بنى نَعْشٍ سَفِينٌ تخالفتْ عواصِفُها وَهْناً فشتَّتها البحرُ (٢)

كأن سُهَيْلًا حين صَوَّب آفِلًا فُؤادُ مُحِبٍّ راح يُرْجِفه الهجرُ

* * *

ابن هانئ (٣) :

كأن سُهَيْلاً في مَطالع أُفْقِه مُفارِقُ إِلْفٍ لم يجدْ بعدَه إِلْفاً

ابن خفاجة (٤) :

كأن سُهَيْلًا فارسٌ عايَنَ الوَغَى ففرّ ولم يشهَد طِراداً ولا زَحْفا

حازم (٥) :

كأن سُهَيْلاً إذْ تناءتْ وأَنجدتْ غدا يائساً منها فأتْهم وانحطَّا

* * *

وله (٦) :

كأن به الشِّعْرى الغُمَيْصاءَ خَلْفه شقيقتُه الخنساءُ يقدُمها صَخْرُ (٧)

كأن امتدادَ الأُفْقِ فوق نجومه قَساطِلُ حَرْبٍ زَغْفُ فرسانِها نَضْرُ (٨)

---

(١) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج ، وهو من القصيدة الرائية التي يذكر المؤلف توارد المترجم مع غيره في بعض معانيها .

(٢) يقول الفيروزابادي ، في القاموس (ن ع ش) : « وبنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ؛ أربعة منها نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى ، تنصرف نكرة لا معرفة ، الواحد ابن نعش ؛ ولهذا جاء في الشعر بنو نعش » .

(٣) ديوانه ١١٣ .

(٤) في ب نسب بيت حازم لابن خفاجة ، وتقدم عليه ، ونسب بيت ابن خفاجة لحازم .

والبيت ليس في ديوان ابن خفاجة المطبوع .

(٥) نفح الطيب ٣ / ٢ : ٣ .

(٦) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج ، وهو تمام قصيدة المترجم الرائية السابقة .

(٧) الغميصاء : إحدى الشعريين ، والأخرى العبور . القاموس (غ م ص) .

(٨) في ب ، ج : « زغف فرسانها تضر » ، والمثبت في : أ .

ودرع زغف ودروع زغف ، وهي الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل . القاموس (ز غ ف) .

والنضر : الذهب والفضة . القاموس (ن ض ر) .

كأن عمودَ الصبحِ تحتَ هلالِهِ ... لتزكيةٍ من تحت منطقهِ خنصرُ

* * *

وله معمّيات فى غايات الإتقان .

فمنها قوله ، فى اسم محمد [١] :

رُبَّ ظبيٍ مُقَرْطَقٍ قد تبدَّى ... خلتُ بدراً من فوقِهِ قد تلالا [٢]

لاح فى الثغرِ جوهرٌ من ثنايا ... هُ فأبدى فى الخدِّ خالا بلالا [٣]

* * *

وقوله فى هانى [٤] :

حين بان الخليطُ وازدادَ وجدى ... قلتُ والدمعُ فى الخدودِ يسيلُ [٥]

يارسولى إليه روحىَ خُذْها ... مُنجداً إثرَهُ بها يا رسولُ

* * *

وقوله فى سليمان [٦] :

لقد سقانى الحبيبُ كأساً ... لم أروَ منها ورُمتُ أخرى

فقال خُذْ مابقِى بكأسى ... سُؤْراً وأحسِنْ بذاك سُؤْرا

فعندما جاد لى بما فى ... أواخرِ الكأسِ مُتُّ سُكْرا

* * *

وقوله فى رمضان :

فى يدِ الارتهانِ عينى تملَّتْ ... بعد عشرٍ بطيفِ من قد تولَّتْ

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ .

(٢) المقرطق : لابس القرطق ، وهو لباس شبيه بالقباء ، وانظر إلى استعمال القرطق بمعنى القرط ، فى شفاء الغليل ١٧٧ .

(٣) يشير إلى سواد الصحابى الجليل بلال بن رباح .

(٤) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ ، ٣٩٢ .

مُذ أغارتْ وأَخَذَتْ بفؤادِي   من رهـــينٍ لحيثما هي حلّتْ

***

وقوله في صالح :

لم أنْسَهُ وسُلْطَانَ يأسِرِ طــرفهُ   عَرَضًا إذا ترك القلوبَ أسارَى [1]

صـــادَ القلوبَ بِطَرْفِهِ وقَوامِهِ   من بعد ماقد حلّ فيـــه ودارَا

***

وقوله في عبد اللطيف :

يالَســـاقِي نَاشِرِ الْأَدبِ   دار مَعْ طَيِّ بِساطِ الأَرَبِ

لابسٍ من نَشْرِ مادار به   ثوبَ عَرْفٍ هـــزّنِي للطَّرَبِ



***

وقوله في علي :

غَيمٌ رفيعٌ لم يـــكد يبدو لشمسِ الأُفْقِ حاجبْ [2]

فغَـــدا يقِلُّ الشمسَ لِيـــنُ قَوامِهِ من غـــير حاجِبْ

***

وقوله في سليم [3] :

ورْقاءُ قلبيَ قد أضحتْ مُرفْرِفةً   على قَوامِك يامَن طرفُه عَجَمِي

وإنهـا هبَطتْ منـــه على غُصُنٍ   فغُضَّ طَرْفَك وارْسلْه إلى القدَمِ

---

(١) في ب ، ج : « يأسر نفسه » ، والمثبت في : ا . وفي ب : « غرضا إذا ترك القلوب أسارى » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ا ، ج : « غيم الرفيع فلم يكد » ، والمثبت في : ب .

(٣) لعله وحده في خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٢ .

وهذا في غاية المَنعة ، فلهذا تعرَّضت [1] [2] إلى حلّه [2] ، فأقول :

أرادها من أنها بعمل التحليل وهي بستة ، وبالعجمية شش ، فإذا هبطت سارت سيف والغَضَّ [3] الألف ، وهي يك ، ولها اللام بالعدد الحسابيّ من أَبْجَد ، وغض مرادفه [4] كيف ، وهي بمائة ، فإذا هبطت ، لها الياء والميم من الغاية .



---

(١) في ج : « أتعرض » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : « حله » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « والغصن » ، والمثبت في : ب ، وهو موافق لما سبق في البيت ، ولما سيأتي .

(٤) في ا : « مرادفة » ، وفي ج : « مراده » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

٦٥

السيد عبد الكريم *

هو منهم بيتُ القصيد ، وواسطة عِقْد المجْد النَّضيد .

تجسَّم من شرف مَحْض ، وكرم لا يحتاج [١] خيرُه إلى خضٍّ [١] ومخْض .

إلى ماحاز من أشتات الكمال ، والمعالى [٢] المُرْبية على الآمال .

وهو بعد أبيه النَّقيب ، ومحله فوق المُعَلّى [٣] والرقيب [٤] .

فمهما ترقَّى البدرُ فقاصِرٌ عن مَراقيه ، والبحر لو عَذُب لكان بعض سواقيه .

وله مع النَّباهة رُوح الفضل وجسمه ، ومن بِشْر أساريره ينهض أثرُ المجد ورسْمه .

وبيني وبينه وُدٌّ مُورَّث [٥] في الأعقاب ، وحُبٌّ خالد مادامت الأحْقاب .

ولى في كل لحظٍ منه أملٌ يُنشيه [٦] ويعيده ، وفي مَرْأى وجهه نَوْرُوز إذا مضى أقبل عِيدُه .

(*) السيد عبد الكريم بن محمد بن محمد كمال الدين الحسيني ، ابن حمزة ، الحنفي ، الدمشقي .

ولد بدمشق ، سنة إحدى وخمسين وألف ؛ ونشأ بها في ظل أبيه .

قرأ وحصل على جماعة ؛ منهم : والده ، ونجم الدين الغزى ، ومحمد البلبانى الصالحى ، وخير الدين بن أحمد الرملى الحنفى ، وأجاز له محمد بن سليمان المغربى .

وتولى نقابة الأشراف بدمشق مرات عديدة ، وتولى تدريس القيمرية البرانية ، وترددت إليه الناس لقضاء حوائجها ، ورحل إلى الروم .

توفى سنة ثماني عشرة ومائة وألف ، ودفن بتربة مرج الدحداح في المقبرة الغربية .

سلك الدرر ٣ / ٦٦ ــ ٨٠ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له ، وللسيد عبد الكريم ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٢٧ ــ ٣٩ .

(١) في سلك الدرر : « خيره إلى خضخضة » . (٢) في سلك الدرر : « والمعانى » .

(٣) المعلى : القدح السابع في الميسر ، وهو أفضلها إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . اللسان (ع ل ا) ١٥ / ٩١ . (٤) الرقيب : أمين أصحاب الميسر ، أو اسم السهم الثالث من قداح الميسر . اللسان (ر ق ب) ١ / ٤٢٥ . (٥) في ا ، ج : « موروث » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٦) في ا : « يثنيه » ، وفي ج : « نشأة » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

وإذا أردتُ مدحَه أرسلتُ نفْسِي وما تجُود ، فلا تنْتهى عند وصفٍ من أوصافه إلا وتقول أحسنَ الموجود .

وأنا أرجو الله تعالى فى كل مايشاؤه ، (١) وأسأل له (١) (٢ ماهو ٢) مايلوم به ممتلئاً رِشاؤه .

* * *

وقد أوردت له من نفثاته السِّحْرِيَّة ، ونسماته الشِّحْرِيَّة (٣) .

ماهو أحسنُ من نَوْر تفتحه الصَّبا ، وأوقعُ من خُلْسة الوصلِ فى عهد الصِّبا .

فمن ذلك قوله (٤) :

لقد دعانا إلى الرَّنى الطَّرَبُ ... فأجبنـــاه حسْبما يَجِبُ (٥)

واستبقْنا والشوقُ يحدُونا ... كأن أشْواقَنا لنـــا نُجُبُ (٦)

وشَمْلُنــــا والحظوظ تسعدنا ... مجتمِعٌ سِلْكُ عِقْدِنا الأدبُ

فحلَلْنا منبســــطاً [illegible] وهو ... للرائين مُنْتخبُ (٧)

وقد حبانا الربيعُ مقْتبِلًا ... بمزاياه والمُنَى نُخَبُ

فالروضُ مُخْضلَّةٌ ملابسُه ... تجمَّع الحسنُ فيه والأرَبُ (٨)

وقد تنـــاغتْ به بَلَابِلُه ... فمنهمُ فاقِدٌ ومصطحِبُ

---

(١) فى سلك الدرر : « وأسأله » .

(٢) فى سلك الدرر : « من الخير » . (٣) نسبة إلى الشحر . انظر ما تقدم فى صفحة ٤٥ .

(٤) القصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٦٧ ــ ٦٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) فى ب : « لقد دعانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) فى ا : « واستقبنا والشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
ونجب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة .

(٧) فى سلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « هو للزائرين منتخب » . (٨) فى سلك الدرر : « يجمع فيها الحسن والأدب » .

وموكبُ الزَّهرِ في حدائقه مُنْتَزَه بالعيونِ مُنْتَهَبُ(١)

تُظِلُّ مَغْناه وهْو مُزدهِرٌ قِبابُ نَور كأنها سحُبُ

يُنْعِشُنا العَرْفُ من شَمِيمِهما ومثلُ هذا العبيرِ يُكتَسَبُ

والمَرْجُ رَحْبُ الفِناء مُصْطحِبٌ عليه ذَيْلُ النسيمِ مُنْسحِبُ(٢)

تخالُه من زَبَرْجَدٍ نَضِرٍ بحرًا غدا بالنسيمِ يضطربُ

يشوقُنا حسنُه ومنظرُه يَسُرُّنا حيث زانه الخِصبُ(٣)

ولانسكابِ المياهِ حسنُ صَدًى يرقُص عند استماعِه الحَبَبُ

فمذ نَعِمْنا بذا وذاك وقد تكنَّفتْنا بفَيْئِها القُضُبُ

أخصبَ رَبْعُ المنى وطاب به الـ ـعيشُ لنا واستفزَّنا الطَّرَبُ

فعاد للوجدِ مُدْنَفٌ طَرِبًا وهكذا مُدنَفُ الهوى طَرِبُ

ومال وَفْقَ الهوى وحُقَّ له ذلك إذْ ليس ما به لَعِبُ(٤)

وراح يُمْلِي غرامَه ولِما في غَزَلٍ رقَّ صَوْغُه عَجَبُ(٥)

ومن يكن بالغرامِ ممتحَنًا لا غَرْوَ بالشوقِ قلبُه يَجِبُ

يا بأبي مُتْرَفٌ ألِفْتُ به الـ ـوَجْدَ وما غير مجتنِي السَّبَبُ

أطمعْتُ فيه الهوى ومَعْدِنُه بمغنطيسِ الجمالِ مُنْجذِبُ(٦)

بمائه فتنةٌ لذي نُسُكٍ مهذَّبٌ زان حُسْنَه الأدبُ

تمازجَ اللطفُ والعفافُ به كذا لَمَى الثغرِ منه والشَّنَبُ

---

(١) في ا «منزه بالعيون» ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وقد شاع في عصر المؤلف استعمال منزه ، مكان متنزه . (٢) في سلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « رحب الفناء مصطحب» ، وفي سلك الدرر : « عليه ذيل النسيم منسحب » . (٣) في ب : « يسوقنا حسنه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) هذا البيت ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق . (٥) في ج : « في غزل وصوغه عجب » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) في سلك الدرر : «مغنطيس الجمال » .

بَدْرٌ مُحَيَّاه ما به كَلَفٌ   بِرَوْنَقِ الحسنِ راح يَحْتَجِبُ

وقَدُّه السَّمْهَرِىُّ من مَرَحٍ   ما اهْتَزَّ إلَّا ازْدَهتْ به القُضُبُ

وما بِطَرْفٍ رَنَا لوامِقِهِ   إلا وسهمُ اللَّحاظِ مُنْتَشِبُ[1]

شَهِىُّ لَفظٍ تــكاد رِقَّتُه   تَسْتَرِقُ اللُّبَّ وهْو مُحْتَجِبُ

مَنطِقُه مُسْكِرٌ لمستمــعٍ   وسُكْرُنا من سَماعِهِ طَرَبُ

قد مُنِحتْ بالجمــال صورتُه   وقد مُنِحْتُ الهوى ولا عَتَبُ

أوْسَعَني فيه حبــه وَلَهًا   وليس إلا هواه لى أَرَبُ

وقد أبى غيرَ مُهجتِى سَكَنًا   وهْى له مَرْتَــعٌ ومُنْقَلَبُ

فلا خَلَا مِن هواه لى خَلَدٌ   وذاك بينى وبينه نَسَبُ[2]

* * *

وقوله[3] :

لا وصدقِ أنَّنِا المُحِبُّ الوَدودُ   لغرامٍ سما به للسُّعــودِ

ونُزولِ الحِمَى وقد طال نأىٌ   باشتياقٍ نَمَا مِن المَعْمودِ

وارْتِضاعٍ لمـا جَلَتْها أكُفٌّ   خَضَبَتْها دِما ابنةِ العنقودِ[4]

وارْتشافِ اللَّمَى ولَثْمِ الخدودِ   واعْتناقِ الدُّمَى ذواتِ النُّهودِ[5]

ما الهوى بى كما يظُنُّ جَهولٌ   بل غرامى بمـا عليه شُهودى

* * *

---

(١) فى سلك الدرر : « وما بطرف » .

(٢) جاء عجز البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق هكذا :

* ودام هذا الإخاء والنَّسَبُ *

(٣) الأبيات فى سلك الدرر ٣/٦٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٦ .   (٤) فى ا : « دم ابنة العنقود » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .   (٥) فى سلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « ولثم خدود » .

وقوله [١] :

لستُ إلا كَلًّا على إشفاقِكْ فبرُحْماكَ جُزْ على أخلاقِكْ [٢]

وأعِدْ نظرةَ الحنـــان ليهْدَا رَوْعُ من لم يزل على ميثاقِكْ [٣]

وارْعَ وُدًّا رضِيتَه منـه حاشا نَبْذُ وُدٍّ أتى على مِصْداقِكْ

إن قلبًا حمّلتَه عَرَضٌ أنْـ ـتَ به جوهرٌ على إطْلاقِكْ

كيف يرضَى دون التّسلّى بلقيا كَ محبٌّ إقالةً من وَثاقِكْ [٤]

* * *

وقوله أيضا [٥] فى الغزل [٦] :

أمْنَحِ الطرفَ منك طَلْقَ العِنانِ لاجْتلاء الورود فى الأغصانِ

والْثَمنْ باللِّحاظ منه خدودًا صِبْغُها من صنائع الرحمنِ

واغتنمْ طيبَ وقتِـه فلَعَمْرِى إنّه غُرّةٌ بوجـهِ الزمانِ [٧]

فانتهِزْ فيه فرصَـــةَ الأمانى لكَ وحَسْبُ الشَّجِىِّ نَيْلُ الأمانِى [٨]

حيث وجهُ الزمانِ طَلْقٌ وريْعا نُ التّصابِى إقبالُه مُتدانِى [٩]

وبحيث المُنَى يَسُرُّك منهـــا ما تدانتْ قِطَـــافُه للبَنانِ

واصْطَحِبْ للنّدامِ كلَّ مُجيدٍ اِقْصارَ الفصولِ ذاتِ المعانِى

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٣ / ٦٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٦ ، ٣٧ . (٢) فى سلك الدرر: « فبرحماك جد على عشاقك » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « فبرحماك جد على أخلاقك » .

(٣) فى سلك الدرر : « وأعد نظرة الحنان اللتى » . (٤) فى ب : « إقالة من وشاقك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) ساقط من ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٦) القصيدة فى سلك الدرر ٣ / ٦٩ ، ٧٠ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣١ ، ٣٢ . (٧) فى ب : « طيب وقتها » ، وفى سلك الدرر: «طيب وصله» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فحسب الشجى » . (٩) فى ا : « وريعان اتصاف اقتباله » ، وفى ج : « وريعان التصاق اقتباله » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « وريعان الصبا فى اقتباله » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

أَلْمَعِيّ حُلْوِ الحديث يُجارِيـ ـكَ بِمَا تَشْتَهِيهِ ذِي تِبْيانِ

واصْطَفِ للغناء كُلَّ طَرُوبٍ ناعِمِ الصوتِ مُتْقِنِ الألحانِ [1]

يُوسِعُ السمعَ شَدْوُه طَرَباً والْـ ـقلبَ شَجْواً بِأَنَّةِ الألحانِ [2]

واغْنَ يا صاحِ قبل فَوْتِكَ واسْتجْـ ـلِ عَرُوساً بِمُطْرِبَاتِ الأغاني

واحْتَسِيها عذراءَ كأساً فكأساً يتلألأ حَبَابُهـا كالجُمانِ [3]

يتَهادى بهـا إليك غَرِيرٌ خَنِثُ اللحْظِ فاتِرُ الأجْفانِ

لَيِّنِ العِطْفِ يسْتَبِيكَ إذا ما قامَ يختالُ مِثْلَ خُوطِ البانِ [4]

يُشْبِهُ النَّوْرَ منه رَوْنَقُ وجهٍ وتَرى الخَدَّ منه كالأُرْجُوانِ

واجْتَنِ لِلْمَشَامِّ من يانِعِ الزَّ هرِ صنوفاً من روضِكَ الفَيْنانِ [5]

وأَطِلِ العودَ في المَجامِرِ والنُّدْ مانَ حَيِّ بماءِ وردِ القِنانِ [6]

فَلَعَمْرِي هذا هو العيشُ فاغْنَمْ فسِوى اللهِ كُلُّ شيءٍ فانِ [7]

---

(١) في الأصول ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « واصطفي » .

(٢) في سلك الدرر : « بأنّة الأشجان » ، ورواية البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

يوسِعُ القلبَ شجْوُه طربا والْـ ـقلب شوقا بأنَّةِ الأشجانِ

(٣) كذا في الأصول « واحتسيها » ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) الخوط : الغصن الناعم .

(٥) قبل هذا البيت في تراجم بعض أعيان دمشق زيادة :

واجعلِ النُّقْلَ من مُقَبَّلِهِ قَهْـ ـو لأشهى من نَهْلَةِ الظَّمْآنِ

وجاء « واجتني » في ا ، ب ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « والندمان حيوا بماء ورد القنان » . (٧) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق .

وكتبتُ إليه أمدحه بقولى [١] :

كتمتُ هواه لو يُفيد التَّكَتُّمُ ... وكيف ودمعُ العين عنه يُتَرْجِمُ [٢]

لك اللهُ قلبى كم تُقاسى لَواعِجاً ... لها فى الحشا نارٌ من العشق تُضْرَمُ [٣]

أَبِيتُ بقاسٍ لا يزال يُذيقنى ... من الصَّدِّ مالم يلقه قبـلُ مغرمُ

فـلْمتُ قلبى طائعـا غـيرَ أننى ... أُؤَخِّر رجـلاً فى الهوى وأقدِّمُ

وما كنْتَ أدرى أن للعشقِ فتنـةً ... وأن اجْتنابَ الشرِّ للحُرِّ أسْلَمُ [٤]

فلمـا رأى وجْـدِى عليـه تغيَّرتْ ... خلائقُه ثم انثنى يتحكَّمُ

وصَـدَّ وجازانى على الوُدِّ بالقِلَى ... وأعرض عنى وهْو بالحـال يعلَمُ [٥]

وبَدَّل ميثاقى وأضْحى مُجانباً ... يمُرُّ فيَثْنى عِطْفَـه لا يسلِّمُ [٦]

وأغدق دمعى وهْـو ماءٌ مُمنَّعٌ ... وحَلَّلَ قتْـلى وهْـو أمرٌ محرَّمُ

عفا اللهُ عنـه من بخيـلٍ بقُربِه ... وسامحه من ظالمٍ ليس يرحمُ

أُقضِّى به عمرى مع اليأس والمُنى ... ولى من عَذُولى كلَّ وقتٍ مُهَيِّمُ [٧]

أَبِيتُ أُعانى الوجـدَ ليلةَ لم أكنْ ... بغـيرِ ثنـا فَرْدِ الورى أترنَّمُ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧١ ، ٧٢ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٨ ، ٣٩ ، وصدرها ابن شاشو بقوله : « وكتب بعض أفاضل دمشق مادحا له » .

(٢) فى سلك الدرر : « كتمت هوائى » . (٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من الشوق تضرم » . (٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أن للعبد فتنة » . (٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وصد وجازانى » ، وفى سلك الدرر : « على الصد بالقلى » . وفى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « وهو بالحال أعلم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٦) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من : ج ، كما سقط هذا البيت والذى يليه من تراجم بعض أعيان دمشق ، والبيتان فى : ا ، ب ، وسلك الدرر .

وفى ب : « يمرونى » . والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر .

(٧) عجز هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* وشوق بأحْناء الضلوعِ مُخيِّمُ *

عَنيتُ النقيبَ السيدَ السَّنَدَ الذى غدا مثلَ بسمِ الله فهوَ مُقدَّمُ (١)

وحيدٌ له الأفضالُ طبعٌ وشيمةٌ وفيه انْتهى جودُ الورى والتَّكرُّمُ

إذا كان نورُ الشمسِ لازمَ جِرْمِها فطلعتُه الزهراءُ نورٌ مجسَّمُ

ونادِيه روضٌ بالفضائل مُزهِرٌ لسانِىَ فيه البُلْبُلُ المترنِّمُ (٢)

تُعطِّرُ هَبَّاتِ النسيمِ خِلالُه فيأتيت بعَرْفٍ غيرِها تتنسَّمُ

ويفْترُّ عن لألاءِ بِشْرٍ كأنه مُقبَّلُ شادٍ ألعسٍ يتبسَّمُ (٣)

أمولاىَ أنت الناسُ يافوقَ فوقِهم لأنَّك للطلابِ رزقٌ مقسَّمُ

هواكَ بقلبى ليس يبرحُ لحظةً به أبتدِى الودَّ الصحيحَ وأختِمُ (٤)

ولى فى عُلاكَ الباهرِ المجْدِ فى الورى عقودُ كلامٍ بالثناء تُنظَّمُ

قوافٍ إذا ما أُنشِدتْ بين أسرةٍ فقُسٌّ لديْها بالفصاحة أبكمُ (٥)

وماهى إلَّا الزَّاهراتُ فلو بدت لقامتْ مقامَ الزُّهْرِ والليلُ مظلِمُ

تمتَّعْ بها من مادحٍ ليس يرتجى من الدهرِ شيئا غيرَ أنَّك تسلَمُ

وحسبُك شكْرِى مابقيتُ على المدى وقلبى وأعضائى تصدِّق والفمُ (٦)

* * *

---

(١) صدر هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* نقيبِ العُلى والسيدِ السَّنَدِ الذى *

(٢) عجز هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* يرُوق كما راق العِذارُ المنمنَمُ *

(٣) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق ، وفى ب : «مقبل شادن» ، وفى سلك الدرر : «مقبل شادى اللمس إذ يتبسم» ، والمثبت فى : ا ، ج .

واللعس : سواد فى باطن الشفة .

(٤) سقط هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له من تراجم بعض أعيان دمشق . (٥) فى ب ، ج : «فى الفصاحة أبكم» ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : «وحسبك شكرا» .

فكتب إلىَّ مراجعا بقصيدة على رَوِيِّها ، وكنت مريضا ، وهى [1] :

حسْبُ المُنى حيث الحوادثُ نُوَّمُ ... وحواسدِى وعواذِلى واللُّوَّمُ [2]

وافتنِىَ الحسناء فى داجِى ذَوا ... ئبِها وللأشواقِ فىَّ تحكُّمُ

عذراء وافتْ وهى تخترق الضيا ... من وجهها مُدْلاح فيــــه تبسُّمُ

فتعطّرتْ منها الرُّبوعُ وفاض فى ... أنحائها منهـــا السَّنا يتنسَّمُ [3]

ولطالما راقبتُ من وَلَهِى بهـــا ... طَيْفًا بنَمٍّ بزَوْرةٍ تُتغنَّمُ [4]

ومن اغتذى ضَرْعَ الهوى هل عَيْنُه ... يومًا بتهويمِ الكرى تتنعَّمُ

كَلاَّ إذا الأحشاء خامَرَها الهوى ... قِدْمًا فلاعجُه بها متضرِّمُ

وافتْ فحقَّ لىَ الهناء بها كما ا ... واشون حُقَّ لهم بذاك توغُّمُ [5]

فغدوتُ ذا طَرَبٍ قريرَ العين سِهْ ... لَكُ الشَّمْلِ بالأحباب لى مُتنظِّمُ

لا بِدْعَ أن أزْهُو إذاً وأجُرَّ ذَيـ ... ـلَ العُجْبِ تِيهاً والهوى أتهكَّمُ [6]

وأمِيدَ نَشْوانًا بكأسِ حديثها ... وثناء ناظمِ عِقْدِها أترنَّمُ

لِمَ لا أكُنْ بثنائه [illegible] ... وهو الأمينُ وبالمنى المتكرِّمُ [7]

الأرْيَحِىُّ المَكرُمات ومن حوَى ... حسنَ الخلا فيها غدا يتوسَّمُ [8]

رَبُّ الفصاحةِ والنباهةِ مَن غدا ... وله من الفضـــل الجسيمِ تجسُّمُ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٢ ، وذكر المرادى أنه غير الوزن لا القافية ، وقد ذكر ابن شاشو منها الأبيات الثمانية الأولى ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٣٩ .

(٢) فى ا : « حسبت المنى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى ا : « وفاض من » ، والمثبت فى : ب ، ج ،وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى ا ، وسلك الدرر : « منها السنا يقسّم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى ب ، وسلك الدرر : « بزورة تتنعم » ، وفى ج : « بزورة متغنم » ، وفى سلك الدرر : « بزورة تتنعم » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « بزورة تتغنم » ، والمثبت فى : ا .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وافت وحق لها » ، وفى سلك الدرر : « لهم بذاك ترغم » . وتوغم عليه : اغتاظ .

(٦) فى سلك الدرر : « لا بدع أن أسلو » .

(٧) كذا فى الأصول : « لا أكن » .

(٨) فى سلك الدرر : « غدا يتوسم » .

ما اللطفُ في النَّسمات إلا من كَرِيـ ... ـمِ خِلالِه وبعَرْفِهـــا تتنسّمُ (١)

تخِذَ التَّطوُّل بالمكارِمِ عادةً ... فكأنه كَلِفٌ بذاك مُتيَّمُ (٢)

لا غَرْوَ أن ملأتْ محامدُه المسا ... مِعَ واستلذَّ سماعَها المترنِّمُ

يافرعَ أبنـــاءِ الكرام ومَن لهم ... في كل مجدٍ رُتبةٌ وتقدُّمُ (٣)

بُشْراك ما أُوتيتَ من أجْرٍ بما ... عاينْتَ من وَصَبٍ عِداكَ يُيمّمُ (٤)

فتَهنَّ مأجوراً ومسروراً بما ... فيهِ أتتْك فلا عـــدَتْك تعمّمُ

وعِدَاتُك أسْقامٌ عَنَتْك وللعِدَى الأ ... عادِين وافتْ بينهم تتقسّمُ (٥)

وبقِيتَ في ظـــلِّ التَّهاني سالمًا ... والعيشُ مخضَرًا لديك مُخيِّمُ (٦)

وإليكَهـــا قُسِّيَّةً ألفاظُهـــا ... كالدُّرِّ في سِلْكِ الثناء تُنظَّمُ (٧)

جادت بهـــا منّي قريحةُ مُوقِنٍ ... بجُمودها إذ جاء منك مُهِمٌّ

فاعذُرْ وكن بثنائها متمتِّعا ... حسبَ المُنَى حيث الحوادثُ نُوَّمُ (٨)

***

فكتبتُ إليه معتذراً عن مراجعته بقصيدة ؛ لعارِض المرض ، وما أقول إلا كما قال الدِّيباجيّ (٩) : كلامي في خطابه مماثِل لانعكاس الناظِر ، ورَدّ الفوّارة ماء

---

(١) في سلك الدرر : « وبعرفهـا يتنسم » . (٢) في ب : « تخـذ التطول في المكارم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٣) في سلك الدرر : « في كل محمد رتبة وتقدم » ، وفي هامشه : « محمد كمجلس ومقعد » .

(٤) في ا : « عداك يتمم » ،والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٥) في ا «أسقام عدتك» ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٦) في ج ، وسلك الدرر : « والعيش مخضر » على أن الجملة حال ، والمثبت في : ا ، ب ، على أن « مخضرا» مفعول « بقي » .

(٧) في ب : « وإليكها قبسية » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) في ب : « بثنائها متنعما » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٩) في ا ، ج : « الديباج » ، والمثبت في : ب .

والديباجي هو أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد .

أديب من أهل مرو ، كانت إليه خزانة كتب جامعها .

توفي سنة تسع وستمائة .

بغية الوعاة ١/ ١١١ ، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٩ .

الغَمام الماطِر [١] :

ليس فَمِى فيك يبلغ الشكرَا	من بعد ماقد ملأتَهُ دُرّا [٢]
بعثْتَ لى بالحياة فى كَلِمٍ	يزيد فى العمر لطفُها عُمْرَا [٣]
من كل لفظٍ فى اللفظِ أحسَبُه	ينفُث هاروتُ منه لى سِحرَا
لم تصْطَنِع جَبْرَكَ القلوبَ لمن	يدعوك إلّا وتقْتنى أجْرَا
يامن هو الروضُ فى خلائقِه	يَعْبَق من نَسْمةِ النَّدَى نَشْرا
شَوْقى لتقْبيلِ راحتَيْك لقد	جاوزَ حتى لم يُبْقِ لى صَبْرَا
لكنَّ عُـذْرى إليك مُتَّضِحٌ	فاقبلْ حَمَاكَ الإلهُ لى عُذْرَا [٤]

❊ ❊ ❊

فبعث إلىّ بهذه الأبيات [٥] :

أيُّهـا الموسِعُ المنى بِشْرَا	دُمْتَ تَستنطِق اللَّهى شُكْرَا [٦]
ودام ثغرُ الوِداد يبْسِم من	بِشْرِ مُحيّاك لافِظاً دُرَّا [٧]
وحبذَّا منك ذا لآمـالِهِ	فهو لعَمْرى ينافِس الشّحْرَا [٨]
لقد منحت المُحِبَّ منك بمـا	أثلَج منه الفؤادَ والصدرَا [٩]
مِن كل لفظٍ فى اللطفِ أحْسَبُه	ينفُث هاروتُ منـه لى سِحْرَا
فدُمْ لنـا روضةً نُسَرُّ بهـا	ومِن رُباها نستنشق العِطْرَا

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٢ ، ٧٣ . (٢) فى ا « ليس فهمى فيك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٣) فى ب : « بعثت لى فى الحياة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) فى ب وسلك الدرر : « لكن عذرى لديك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ . (٦) فى سلك الدرر : « تستنطق النهى شكرا » . (٧) فى ا : « وأدم لثغر الوداد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . وفى ب : « مبتسم من » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٨) فى سلك الدرر : « ينافس السحرا » ، وتقدم الحديث عن العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٥ .

(٩) فى ب : « أباج منه الفؤاد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر.

وفيك مادامتْ لنا المُنى أَمَمٌ ... إن نِلْتُها كان لى بها البُشْرَى [١]

* * *

وكتب إلىّ [٢] يستدعينى إلى مُتنزَه [٣] :

أنعم اللهُ للجناب صَباحَــــهُ ... وبإسعادِه أراش جناحَهْ

وحَبانا حَسْبَ المُنَى بمعاليهِ ... وآدابِ فضلِه المستباحَهْ [٤]

وأقرَّ العيونَ منّا بما مِن ... غَضِّ آدابه أجاد اقتراحَهْ

يا أمينَ الكمالِ وابنَ ذوى الفضلِ ... وخِدْنَ العُلى وربَّ الفصاحَهْ

لاعدِمْتُ الوفاء منك بأوفى ... صِدْقِ عبدٍ يُجدى إلى نَجاحَهْ [٥]

فأجِبْ داعياً إلى منزلِ القصفِ ... صباحاً لـكى تنال رَباحَهْ [٦]

مُسْعِداً حظَّه ببِشْرٍ ولُطفٍ ... بهما الصدرُ راح يلْقَى انشراحَهْ

وابْقَ سَلْماً خَدِينُك السَّعدُ ما أَسْــ ... ـعَدَ خِلٌّ إلى خليلٍ صباحَهْ [٧]

* * *

فخاطبته مرتجلا [٨] :

أسعد اللهُ من تـكون صباحَهْ ... فمحيّاكَ للصباحِ صَباحَهْ

بأبِى أنت رائشاً لجناحى ... فى زمانٍ عدِمْتُ فيه نَجاحَهْ

كان قِدْماً جوادُ حَظّى جَمُوحاً ... فلأنْتَ الذى أزَحْتَ جِماحَهْ [٩]

قد أتتنى أبياتُك الغرُّ تختا ... لُ وقد أوتيَتْ جميعَ المَلاحَهْ

---

(١) فى سلك الدرر : « وفيك دامت لنا المنى أمم » .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ .

(٤) فى سلك الدرر : « بمعالى » وآداب » . (٥) فى سلك الدرر : « لا عدمنا الوفاء » ، وفى ب : « صدق وعدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، وسلك الدرر : « لكى تنال » ، وفى ج : « لكى ينال » ، والمثبت فى : ا ، وفى سلك الدرر : « تنال رباحه » .

(٧) فى سلك الدرر : « إلى الخليل صباحه » .

(٨) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ ، ٧٤ .

(٩) فى ب : « أرحت جماحه » ، وفى سلك الدرر : « أنت جماحه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مُبْدَعاتٍ لا يبرحُ الطرفُ عنها ... فهْيَ قَيْدُ النَّواظرِ اللَّمّاحَهْ

كلُّ لفظٍ منها كَوُسْطَى نِظامٍ ... زَيَّنَ العقدُ منه جِيدَ الفصاحَهْ

قد دعتْني إلى اغتنامِ عُهودٍ ... أنا منها في غِبْطةٍ وارْتياحَهْ [1]

ألفُ سَمعٍ وطاعةٍ ولكَ الأمْـ ... ـرُ الذي ما برِحْتُ أرجو نجاحَهْ [2]

وابْقَ واسْلَمْ على المَدى لمُحِبٍّ ... لكَ يدْعُو غُدْوَهْ ورواحَهْ

***

وعزم يوماً على التنَزُّه في حديقة اتَّخذها مَألَف نشاطه، ومَحَلَّ أُنْسه وانْبِساطه. فكتب إليَّ يستدعيني [3]:

تتفدَّاكَ مُسْتَماحَ الوِدادِ ... ثابتاً في حِفاظِه كَودادِي

مُستباحَ الجَنَى وطَلْقَ المُحيَّا ... ذا جَنانٍ رَحْبٍ وبِشْرٍ بادِي

يا كريماً خصالُه تجذبُ الآ ... مالَ طبعاً لفضلِه المستفادِ [4]

أنْعِمْ للعيونِ بِشْرُ مُحيَّا ... ك فكن مُفْضِلاً بذاكَ مُبادِي

وأجِبْ مسعداً بلُقياكَ داعٍ ... عَمّهُ الشوقُ فهْو بالمِرْصادِ

وابْقَ سالماً ممتَّعاً بأماني ... ك على رَغْمِ مَعْطِسِ الحُسّادِ

ماتداعتْ إلى التَّداني أمانٍ ... من مَشوقٍ أشواقُه في ازْديادِ

***

ولما قدمتُ من الحج كتب إليَّ، فأهدى ليَ البدرَ من بيت شرَفِه، والعيشَ في نَضْرة ترَفِه:

بُشْرَى بمَقْدَمِ خيرِ منك مسعودِ ... أهْدَى لنا رَوْحَ أُنْسٍ منك معهودِ

---

(١) في سلك الدرر: « إلى اقتسام عهود »، وفي ب: « في غبطة وانشراحه »، والمثبت في: ا، ج، وسلك الدرر. (٢) في ا: « ولكن الأمر »، والمثبت في: ب، ج، وسلك الدرر.

(٣) القصيدة في سلك الدرر ٣/٧٤.

(٤) في سلك الدرر: « لفضله المستجاد ».

أعاد أُنْسَ تدانينا وأسْعَدنا   بعد التَّباعد حيناً في ذُرا الْجُودِ

فلْيَهْنِ معشَرَ أحْبابٍ وحُقّ لهم   بأن يُهَنّوا ببشرٍ منك مشهودِ

كما يحقُّ هَناءُ الْجَناب بما   رَوِيت من زَمْزَمِ الْمُشْفِي لمقصودِ

بُشْراك بشراك ما بُلّغت من نِعَمٍ   وما نعِمْتَ به من فضلِ معْبودِ

مُخيِّمٌ بمِنى حيث انْثنى أمَمٌ   قريرُ عينٍ بموجود وموعودِ

مُتمِّماً بطَوافٍ نُسْكَ حَجّتك مَعْ   زَوْرنا بحسْنِ قَبولٍ غيرِ مردودِ (١)

مُيمِّما سيِّداً مَن زاره وجبتْ   له الشفاعةُ حقّاً غير مجحودِ

عليـه أفضلُ ماصلّى الأنامُ على   جنابه مِن صلاة عِدْلَ معدودِ (٢)

تُتْلى بأوْفى سلامٍ والرضا أبداً   يَنْدَى على آلهِ والصحبِ بالجودِ

مُثْنٍ عِنانَك فوراً نحو طَيْبته   عَوْداً لأحمد إذ هُو أحمدُ العودِ (٣)

فمن تطيّبَ من دَارِيِّ تُربتِه   يَشَمُّ ما عاش عَرْفَ المسكِ والعودِ (٤)

وأبْشر بحمدك في الأخرى سُراك عمَّا   فما السُّرى عند صُبْحٍ غير محمودِ

ودُمْ حَليفَ مسَرّاتٍ خَدِين تُقى   في ظلِّ سعدٍ نَدِيّ العيشِ ممْدودِ

واعْذُر أخاك بما أبْدتْ قريحتُه   من رَوْح أُنسك لا من مثل جُلْمودِ

واعذُرْ تأخُّر خَجْلَى دون موعدها   فما القضاء بمنْكورٍ ومجحودِ (٥)

فلا برحْتَ نعيمَ البالِ مقتنِصاً   بِيضَ الأماني بسَعْدٍ غير موؤودِ (٦)

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) في ب : « ما صلى الإله على » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) طيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) مسك داري : منسوب إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢ / ٥٣٧ .

(٥) في ب : « تأخر حجلى » ، وفي ج : « تأخر خجلا » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « نعيم البال منتضيا . . . بسعد غير موءود » ، والمثبت في : ا ، ج .

وردت علينا سَنة من سِنِي يوسف لم تدع للأُنْس وقتا ، ولم تبعث إلا إساءة ومقتا .

فأقبل الربيعُ وولّى ، ولم نَدْرِ[1] أجاء أو لا .

وقد طُمِست آثار المسرّات ، عند ما قامتْ نوائب المَضرّات .

فذكرتُ أوقاتى معه ، حيث مآربى به مجتمعة .

تُشْرِق بِحُلاه ، وتبتهج بِعُلاه .

وكان وعدَنى بإرْسال بعض قِطَع ، من نظْمه المبتدع .

فكتبتُ إليه :

رُقْعتى إلى الحضرة الشّريفة صدرَت عن ذهنٍ كَليل ، وحدٍّ فَليل ، وقلقٍ[2] كثير ، وتصبُّر قليل .

وخاطرٍ مُنْقَرِض ، وأسًى فى الصدر مُعترِض .

كيف والأنسُ تقلّص ذيله ، وأظلم دونَ الأمل نهارُه وليلُه .

وهِيضَ عَضُده ، وغِيض ثَمَدُه[3] .

فليَبْكِ عليه الباكى ، وليَبُثّ ما يجده من فَقْده الشّاكى .

فهذا الوَرْد كما جاء راح ، وما تعطّر به مجلسُ رَاح .

فهو لذلك شَقّ جَيْبَه بل قلبه حُزْنا ، واستعْبر حتى فُقِدت دموعُه ، فاستنْجد للبكاء طَلًّا ومُزْنا .

وغطّى رأسه بأكْمه ، خَجْلان من سَماجة أيّامه .

---

(١) فى ب ، ج : «يدر» ، والمثبت فى : ا .   (٢) فى ا : « وقلقل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الثمد : الماء القليل .

وكان يقال له : اختشى ألمَ القطعِ فاحْتَسى الزَّعْفران ، وأمّا الآن فقد احْتساه ليغيب حواسّه عن[1] آلام الزّمان .

بل سمع بالنـار تتسعَّر[2] لاستقْطاره ، فنافَد بْن يُعجَل[3] بقبض رُوحِه ، وألا يُعذَّب باسْتِقْطاره .

وما زال[4] يستجير من جوْر الدهر[5] الخؤون ، إلى أن رقّ له النسيمُ وحنَتْ عليه الغصون .

فهذا حال الورد وهو زَهْر ، فكيف حال صَبٍّ[6] يدْرِي مواقع[6] الدهر .

تذكِّرك عهودُه الماضية ، أيامَ كان بخدمتك في[7] العيشة الرّاضية .

وأنت تُغنّيه بنَضارة لفْظك عن الورود المتنوّعـة ، وبفنون حِفْظك عن الطُّرَف المتجمِّعة .

فأيُّ عيشٍ له[8] بعدها يَطيب ، ولا روضٌ صَبَاه مُخْصِب ولا غُصْنه رَطِيب .

فإن رأيتَ ولك[9] الرّأي أن تتلافَى في بعض رَمَق ، فتُهْدِي لي الحيـاةَ من أشعارك الغضَّةِ في طَبَق .

لأستبدل بها من صدأ الهمّ صِقالا ، وأفرّج بها عن فكْرتي ارْتباطا واعْتقالا[10] .

فتعود كُهولتي صِبا ، وتهُبَّ رِيحي صَبا .

فعندها أقول للآمال : دع الأيام تكُن غِضابا ، إذا ما اجْتَنَيْتَ من هـذه الشَّفَةِ رِضابا .

---

(١) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « تستعر » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « يعجله » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « ولا زال » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٥) في ب : « الزمن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « يدرى بمواقع » ، وفي ب : « يدرى دواقع » ، والمثبت في : ج . (٧) في ا : « من » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٨) ساقط من : ب ، ج ، وهو في ا . (٩) في ج : « ذلك » ، والمثبت في : ا ، ب .
(١٠) في ا : « أو اعتقالا » ، والمثبت في : ب ، ج .

فمهما مَنَنْتَ ، تطوَّلتَ وأحسنت .

فالوقت إساءةٌ أنت إحْسانُه ، وناظِرٌ ليس إلّا أنت إنسانُه .

فالله يُبْقِيك ما انْهَشَّت بك أساريرُه ، وقامت بك عن ذنوبه معاذيرُه .

* * *

فراجعني بقوله :

سيّدي الأمين ، ومُؤيّدي في كل حين .

حرس الله تعالى من الغِيَرِ حصنَ جنابك ، ومن الكدَرِ صَفْوَ أوقاتك .

وتولّى حفظ مَلَكِيِّ[1] ذاتِك ، وصَوْنَ مُضافاتِك من كل فاتك .

وشرح منك وبك الصدور ، وأنعمَ[2] منك وبك البالَ وحَباك السرور[3] .

لازلت تُحْيِي[4] برُوحِ تلافيك التياحي ، وتُحْيي[5] بريحِ تلافيك ارْتياحي .

فلقد وايْمُ اللهِ أوْلَيْتَ من صنيعك منه ما أمْلَيْتَ ، فكأنّما بلساني نطقْتَ ، وعمّا أعْرَبَه جَناني أعْرَبْت .

فصديقُك في الحال قد واساك ، ورفيقُك في المجال قد ساواك .

غير أنه وجَم عن بَثّ أحْزانه ، من تقلُّبِ وقتِه وانقلابِ عيانِه .

يقـول إيهٍ وقد وجَمْتُ ومَن يَنْطِق أو من يُطِيق مُحْتَمِلاَ

كيف وقد تقلّص من الوقت ذيلُ أنْسِه ، وصار من المَقْت يحسُد يومَه لأمسِه .

واعْتاض[6] مُسْتامُ[7] جميلَ عوائدِه ، بصَفْقة الخسْران من فوائدِه .

---

(١) في ا : « ملك » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « فأنعم » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ا : « بالسرور » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ج : « تحيى » ، والمثبت في : ا، ب .
(٥) في ا : « وتحيى » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في ا : « أو اعتاض » ، والمثبت في : ب، ج .
(٧) في ب : « مستهم » ، والمثبت في : ا ، ج .

فهناك الوردُ زاد[1] فيه بُرهة وجلا[2] ، وعاد سُرعةً نادماً خجلا .

فحُقّ له ما به قد وصفْتُه ، بل وإن لم يَعُد لمثلها لسكنت أنصفْته .

هذا وهو زائر مُجتاز ، فما حال من هو لمواقع دهره الظَّلوم مجاز .

تعرّض مجتازاً فكان مُذكّراً ‏ ‏ ‏ بعهد اللوى والشيء بالشيء يُذكر

فياله من مُذكّر مُصيب ، قد حبانا[3] من مآثره بأوفى نصيب .

حيث ذكّر الفطنة السليمة ، بسوابق عوائدها الكريمة .

فجاءت جرْياً على العادة ، بما استوجب منّي الشكرَ وزيادة .

فعند ذلك تنفّستْ نفَس المصدور ، وهنالك نشطْتُ كما نشِط المخمور .

وامتثلتُ الطّلب ، حيث كان عينَ الأدب .

واستدعيْتُ القريحة الخامدة ، واستنطقْتُ الفكرة الجامدة .

فأبدتْ هذا المقول ، حيث علمتْ بأن العذرَ عندكم مقبول[4] :

أرغدُ العيش ما وفاك زمانُه ‏ ‏ ‏ وتواخاك يا أخيَّ أمانُهْ[5]

وصفا مشْرب التآنس واشتدّ ‏ ‏ ‏ عليك للقصف والهنا إخوانُهْ[6]

وتدانتْ به الأماني وأزرتْ ‏ ‏ ‏ بالثريّا في نَسْقِها نُدمانُهْ[7]

وتداعى من المحبّ حنينٌ ‏ ‏ ‏ وتدانى من الحبيب جَنانُهْ[8]

فغدَوا والمُنى لهم أمَمٌ يُحْـ ‏ ‏ ‏ ـسنُ كلٌّ شكراً لمنْ ذا امتنانُهْ[9]

---

(١) في ا : « ذاو » ، وفي ج : « زاد » ، والمثبت في : ب . (٢) جلا : من الجلاء . (٣) في ا : « جاءنا » ، وفي ب : « حيانا » ، والمثبت في : ج . (٤) الأبيات العشرة الأولى في تراجم بعض أعيان دمشق ١٣٧ . (٥) في ب ، ج : « ما واتاك زمانه » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ج : « وتوخاك يا أخي » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في : ب . (٧) في ج : « وتداعت بك الأماني » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في ا : « وتدانى من الحبيب » ، وفي ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « من الحبيب حنانه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٩) في الأصول : « والمنى لهم أم » ، والمثبت في تراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ب : « شكر المرء امتنانه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

هكذا العمرُ يُستفاد وحقًّا ... يُستجاد احتسابُه وبيانُهْ

يا حبا الله بالأحبة مَغْنًى ... فَيَأَتْ غصنَ روضِه أفنانُهْ

هو للقصْف منزلٌ مستطابٌ ... طال ما ضمَّ شملَنا فَينانُهْ

جاور السفح فاكتسى عاطرَ النَّـ ... ـفح فأضحى ذاكِى الشَّذى رَيْحانُهْ[1]

فرعى اللهُ سالفَ العهد منه ... حيث لى بالسعودِ كان اقترانُهْ[2]

وأمانينا تبادرنا مُسْتبقا ... تِ والعيشُ طَلْقٌ عِنانُهْ[3]

وأماليك تُستفاد وآدا ... بُك روضٌ يشوقنا عُنْوانُهْ[4]

حيث كانتْ تَنْدَى أراكةُ حظِّى ... من نَدَى لفظِك الشهىِّ وِزانُهْ

فسقى اللهُ بالحيا ذلك السَّـ ... ـفحَ وحَيَّى عهودَه رِضْوانُهْ

وحبانا منها بأحمدِ عَوْدٍ ... وأرانى بك المُنى إحْسانُهْ

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ذاك الشذا ريحانه » . والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ب : « سالف العصر منه » .

(٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « وأمانيك تستفاد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٦٦

السيد إبراهيم*

صغيرُهم الذى هو فَذْلَكة حسابهم ، والجامع الكبير لما تشعَّب[1] من بحر أنسابهم .

(*) السيد إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى الحنفى .
المحدث ، النحوى ، العلامة .
ولد فى دمشق ، سنة أربع وخمسين بعد الألف .
ونشأ بها فى كنف والده ، واشتغل عليه ، وعلى شقيقه السيد عبد الرحمن ، وتخرج بهما .
وقرأ على جماعة ، منهم : محمد البصنوي الدمشقى ، ومحمد بن سليمان المغربى ، ويحيى الشاوى ، وإبراهيم الفتال الدمشقى . وأجازه جماعة من الأعلام ، من دمشق وغيرها .
وسافر إلى الروم ، فقرأ على علمائها ، ثم إلى مصر ، متوليا نقابة الأشراف بها ، سنة ثلاث وتسعين بعد الألف ، وأخذ عن علمائها .
تولى نيابة محكمة الباب الكبرى بدمشق ، والقسمة العسكرية ، والنقابة مرات ، ودرس بالأحمدية والجوزية .
ومن مؤلفاته « أسباب الحديث » لخص فيه مصنف أبى البقاء العكبرى ، وزاد عليه ، ومنها « حاشية على شرح الألفية لابن المصنف » لم تكمل .
حج سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فلما عاد مرض ، ولم يزل حتى توفى بمنزلة ذات الحاج سنة عشرين ، ودفن بها .
سلك الدرر ١ / ٢٢ — ٢٤ ، ونقل المرادى صدر ترجمة المحبى له فى « النفحة » ، وقال : « ولم يذكر له من الشعر سوى القصيدة التى سبك فيها نسبه ، ولم أظفر له بغيرها من الشعر حتى أثبته هنا لإيجازه » .
وللسيد إبراهيم ترجمة على طريقة النفحة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٣٩ — ٤١ ، وذكر له ابن شاهين قصيدة النسب ، وأخرى سينية ، بدأها بقوله :

أحِنُّ إلى تلك الرُّبَى والمآنسِ ... بذات الغضا والساجعاتِ الأوانسِ

(١) فى ب : « انسمت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وله الاطِّلاع الذي يخفى عنده صيتُ ابن السَّمْعانيّ (١) ويعدَم ابنُ العَـديم (٢) ، والرِّواية التي يشفع حديثُها قديمَ الفضل فالحديث يشهد بفضله القديم .

وقد طلع من هـذا الفلك بدراً (٣) تستمِدُّ منه البدور ، وحلَّ من المجد صدراً (٤) تنشرح برؤيته (٥) الصدور .

وعُنِيَ بالرحلة من عهد رَيْعانه ، فسطَع نُور فضله بين إشراق الأملِ ونَمَعانه .

وهو أينما حلَّ حلا (٦) ، وحيثما جالَ جلا (٧) .

والقلوب على حبِّه مُتوافقة ، وأخبار فضله مع نسمات القَبول مترافقة .

وكنت لقيتُه بالروم أوَّل ما حَلَلْتُهـا (٨) ، فسرّيْت كُرْبتي في تلك الغربة بلقائه وجَلَّيْتُها (٩) .

و نَسِيتُ ذنبَ الدهرِ لما رأيتُه ... ودهرٌ به ألقاه ليس له ذنْبُ

وهو الآن بدمشق مقيم ، بين رَوْحٍ وريحانٍ وجنة نعيم .

---

(١) بيت السمعاني عائلة في العلم كبير .
وأبعدهم صيتا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، صاحب «الأنساب» «والذيل على تاريخ بغداد» .
مؤرخ ، من رجال الحديث .
توفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة .
طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة الخامسة) ٤/٢٥٩ ، اللباب ١/٩ ، وفيات الأعيان ٢/٣٧٨ ـ ٣٨١ .

(٢) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن العديم .
من أهل حلب ، جال في دمشق ، وفلسطين ، والحجاز ، والعراق .
له اشتغال بالحديث والتاريخ ، وهو صاحب شعر حسن .
توفي بالقاهرة ، سنة ستين وستمائة .
إعلام النبلاء ٢/٣١٣ ، الجواهر المضية ١/٣٨٦ ، معجم الأدباء ١٦/٥ ـ ٥٧ ، فوات الوفيات ٢/٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

(٣) في سلك الدرر : « بدر » .
(٤) في سلك الدرر : « صدر » .
(٥) في ا : « به » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر .
(٦) في ج : « حلى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر .
(٧) في ج : « جلى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر .
(٧) هـكذا على طريقة المؤلف في الفاك .
(٩) في ب : « وجليتها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

تحيّته فيها سلام ، وآخر دَعْواه إجلال واحترام .

رغبتُه إلى[1] التوسُّع فى المعلومات ممتدَّة ، ونفسُه باقتناء محامد[2] المعلوات[3] مشتدَّة .

***

وله فى الأدب بَسْطة وباع ، وشعر مُتَحلٍّ[4] بروْنق وانطباع .

فما رويتُه من نظمه الذى أتحفنى بإملائه ، وجلا عن مرآة فكرى صَداها باجْتلائه .

قوله من قصيدة يذكر فيها نسبه ويفتخر[5] :

غَيرى الذى يَسْتام رِبْحَ تَدانٍ ... بمذَلَّةٍ هى صفقةُ الخُسْرانِ[6]

ومن الرَّدَى أن أرْتضى بمذلَّةٍ ... وخلائقى تسمو على كِيوانِ[7]

وأُضيعَ حقِّى والشهامة شيمةٌ ... مُتَّتْ إلىَّ من النَّبِي العدنانِ[8]

الهاشمىِّ محمدٍ مَن قد رَقَى السَّبْعَ الطِّباقَ وخُصَّ بالقرآنِ[9]

وبابنِ عمِّ المصطفى نَسبى سَما ... أعْنى عليًّا سيدَ الشجعانِ

وبفرْعه سِبْطِ النَّبى مَجْدى سَما ... أعْنى حسينًا سيدَ الشبانِ

وبزَيْن عُبّاد الإلهِ وباقرٍ ... وبصادقٍ فَخْرى على الأقرانِ

---

(١) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلافة العصر . (٢) ساقط من : ا ، وسلافة العصر ، وهو فى : ب ، ج . (٣) فى سلافة العصر : « المعلومات » .

(٤) فى سلافة العصر : « متجمل » . (٥) ذكر المحبى نسب بنى حمزة جميعه ، فى ترجمة السيد حسين ابن كمال الدين بن محمد . خلاصة الأثر ٢/١٠٥ .

والقصيدة كلها عدا الأبيات الخمسة الأخيرة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٠ .

(٦) فى ا : « ربح تدان » ، وفى ج : « ربح تدانى » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) فى ب : « أن أرتقى بمذلة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى الأخيرة : « وخلائقى تعلو على كيوان » .

وكيوان : زحل . القاموس (ك و ن) .

(٨) فى ا : « والشهامة شيمتى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى ا ، ج : « وخص بالعرفان » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وكذا بإسماعيلَ ثم محمدٍ ... وكذا بإسماعيلَ وهو الثاني [1]

وبأحمدٍ ثم الحسينِ وفرْعِه السَّـ ... ـامي نقيبِ دمشقَ الحرّاني

أعني به إسماعيلَ ثم بفرعِهِ ... أعني الحسينَ العارفَ الربّاني

ثم الشجاعِ عليٍّ من حاز التقى ... وبناصرِ الدين الرفيعِ الشانِ

ومحمدِ النسّابةِ الشهمِ الذكي ... وبحمزةٍ ذي الفضلِ والعرفانِ

وبذي التقى الحسنِ البهيِّ وفرْعِهِ ... أعني عليًّا قدوةَ الأعيانِ

وبحافظِ العصرِ الهمامِ محمدِ الـ ... ـمدْعو بشمسِ الدين ذي الإتقانِ

وعليٍّ نقيبِ دمشقَ مُسنِدِ عصرِه ... وبأحمدَ السّامي بحُسْنِ بيانِ

وبحمزةٍ ذي الفضلِ والتأليفِ في ... علمِ الحديثِ وحافظِ القرآنِ [2]

ومحمدِ المدعُوِّ كمالَ الدين مَن ... رحلتْ له الطلابُ من بغْدانِ [3]

مفتيّ دارِ العدلِ ثم محقّقِ الـ ... ـعصرِ الحسينِ وفارسِ الميدانِ

أعني محمداً النقيبَ بجلّقٍ ... ومحمدٍ وهو الكمالُ الثاني [4]

أعني نقيبَ دمشقَ جدّي من سما ... بنصيحةٍ لله في الإعلانِ [5]

وبوالدي الحبْرِ الهمامِ محمدٍ ... من فاق في تحقيقِهِ الجرْجاني [6]

وهو النقيبُ بجلّقٍ أيضا ولي ... عِزٌّ بمَوْلى عزُّه أسْماني

---

(١) إسماعيل الأول ، هو إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . وإسماعيل الثاني ، هو إسماعيل الثاني ابن محمد بن إسماعيل الأعرج .

(٢) حمزة هذا هو حمزة بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حمزة المتقدم ذكره في البيت الثاني عشر .

(٣) بغدان : لغة في بغداد . (٤) الكمال الأول تقدم ذكره في البيت الثالث عشر ، وهو كمال الدين محمد بن حمزة بن أحمد ، والكمال الثاني هو كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن محمد الكمال الأول .

(٥) في ب ، ج : « بنصيحة لله بالإعلان » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق :

« بالفضلِ والتحقيقِ والإتقانِ »

والمثبت في : ا .

(٦) الجرجاني هو علي بن محمد بن علي ، المعروف بالسيد الشريف .

عالم عظيم ، عرف بإتقانه العربية وتحقيقه .

توفي سنة ست عشرة وثمانمائة .

البدر الطالع ١/٤٨٨ ، الضوء اللامع ٥/٣٢٨ .

مولاى مَن عزَّ الذليلُ ببابِه السّامى مُفيضُ الفضلِ والإحسانِ
مفتى الأنامِ محمدٌ مَن قد رقى بذُراهُ فخراً مذهبَ النُّعمانِ
فردُ الزمانِ وواحدُ العصرِ الذى وافتْ له الفتوى ولا مِن ثانِ
واللهُ حقَّق مارجوْتُ بفضلِه فالعزُّ عزّى والزمانُ زمانى
واللهَ أرجو أن يديمَ له البقـا ويقيه من شرّ الزمان الجانى (١)

ومحاسنُ هؤلاء الاخوان ، لم يتمتّع بمثلها أوان (٢) ، وأدبُهم كُتبتْ على الأرض ألوان :

فلنصرفْ عنانَ الإطالة ، ونسلّمْ على السيادة (٣) الطاهرة الأصالة .

* * *

ولى (٤) من فضُول (٥) الكلام ، قصيدة فى مدح (٦) آل رسول الله (٦) عليه الصلاة والسلام .

وكان سببُ إنشائها ذِكْرى لهؤلاء العصابة ، وفى ظنّى أنى قدحْتُ فيها زَنْد الإصابة .

فعَنَّ لى أن أذكرها هنا لهذا السبب ، وأنا متوسّل إليهم بفضل النَّسَب .

والقصيدة هى هذه :

ماضَرّه لو كان عَلَّل بالمُنَى فلقد رضيتُ ولَذَّ لى فيه العَنَا
اليأسُ أقتل ما يكون لذى الهوى فعسى نُداوَى بالمُنَى ولعلّنا
بل ماعليه لو سَخَا بخيـاله فيزورَ فى بعض الليالى مَوهِنا (٧)

---

(١) عجز البيت فى ب :

* ويقيه شرَّ طوارقِ الحِدْثانِ *

والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « زمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « السادة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٥) فى ا : « فضول » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « الرسول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) الموهن من الليل : نحو منتصفه .

زُرْ ياخيالُ ودعْ مراقبةَ العِـــدى ... فلكَ الأمانُ لقــــد تساويْنا ضنَى

ولقد خفيتُ عليك فاطلبْ مَضْجعى ... فوسادتى تهْديك أنّى هاهنا

أوْلا فمُرْنى أن أزور كزَوْرتى ... والدارُ بالجرْعاء جامعــةٌ لنا (١)

قل للذى نزل الغضا متباعِـــداً ... عنّى وكان له فؤادى مسكنا

هــــذا الغضا قلبى وسفحُ محاجرى ... يجرى العقيقُ وذى ضلوعى مُنحنَى

ولقد عنيتُ رشاً تخِذْتُ تولّعى ... فيه إلى صـــــدقِ الوفاء تديُّنا

بدرٌ إذا شبّهتُ باهرَ حسنِـــــه ... بالبدرِ كان الوجهُ منــه أحسنا (٢)

نشوان من خمرِ الشّبيبـة والصِّبــا ... لحظاتُه شَرَكُ العقول إذا رنا

إن مرّ بالأغصان خرّتْ رُكّعاً ... لقوامه أو بالقنـــــا فضح القنا

ما أبْدع الرحمنُ طلْعـــةَ وجهِه ... إلا ليودِعهـــــا الجمالَ المُمْكِنا

جسدٌ يسيلُ لطافةً كالماء من ... ترَفٍ أرقَّ من الحرير وألْينا

سترَ الجمالُ خُـــدودَه بعوارضٍ ... قتَل النفوسَ بها وأحْيى الأعيُنا

والشمسُ يمنعها اجتلاها أن ترى ... فإذا اكتستْ غيماً رقيقاً أمكنا (٣)

نادمْتُـــــه والراحُ يعطِف عِطْفَه ... كالغصنِ يعطِفه النسيمُ إذا انثنى

متألِّفيْن على الصّبابة والهـــوى ... متسرْبلَيْن ردا الأمانةِ والمُنى

حيث الزمانُ كما نحبُّ وخُلْقـــه ... سهلٌ وليس كأهلِه متلوّنا

حتى تغـــــيّر عن حقيقـةِ حاله ... وبطبْعه أعْـــدته أولاد الزِّنا (٤)

وعفتْ رسوم الودّ وانقشع النّدى ... فالعيشُ قفْرُ الرَّبْعِ مُغبَرُّ الفِنا

والدهرُ قد عمّتْ مواقعُ خَطْبــه ... من لم يكن يجْنى الذنوبَ ومَن جنى

---

(١) الجرعاء، والغضا، وحاجر، والعقيق، والمنحنى: أماكن يكثر ذكرها فى الشعر، ولايراد بها مكان بعينه. (٢) فى ب: «بدرا» على النصب، والمثبت فى: ا، ج.

(٣) فى ا: «يمنعها ضياها»، والمثبت فى: ب، ج. (٤) فى ب: «عن حقيقة أهله»، والمثبت فى: ا، ج.

كلٌّ على مِقْدارِه أخْطارُه ... فأحقُّهم بالمجــــدِ أكثرُهم عَنَا

ما ماسَ في بُرْدِ المعـــالى ناعماً ... إلا الذى لبِس العَجاجَ الأدْكَنا

زُوحِي فِدَا نفَرٍ بصــبْرِهمُ على ... نُوَبِ النوائبِ أحْرزوا فضلَ الثَّنَا

بلغتْ بهم عَلْياؤُهم رتباً غــدا ... منها السناء مُفرَّعاً وكذا السَّنَا (١)

وإذا دعا داعٍ بياخَــيْرَ الورى ... كلٌّ يقول مرادُ ذا الداعِى أنَا

وإذا العُلَى عَلِقتْ بغــير حبالِهمْ ... رُمِيتْ وحاشاها بِشُنُوِّ الثنا (٢)

لا تقدرُ الفصحاء تحصُر فضلَهم ... لو أن ذَرَّ النملِ كانت ألْسُنَا

طالُوا السِّماكَ فمن أراد لحَاقَهمْ ... أوْمَتْ مَساعِيه إليــه قِفْ هُنَا (٣)

لم تنتج الزَّهْراء إلا أزْهراً ... وشرافة الحسنَيْن إلّا مُحْسِنَا

ياسادتى يا آلَ أحمــدَ مدحُكمْ ... فرضاً يَرَاه مَنْ تسَمَّى مؤمِنَا

أنا قد حُسِبتُ عليكمُ فى نسْبة ... شُرِّفتُ وتلك أجلُّ فخرٍ يُقْتَنَى (٤)

لا تمنعوا عــنِّى عِنايةَ فضلِكم ... فأنا الفقيرُ وأنتمُ أهــلُ الغِنَى

***

---

(١) فى ا : « بلغت بهم علياهم رتب غدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « رميت وحاشاى . . . » وبقية عجز البيت بياض ، وفى ب : « رميت وحاشاها بشنو الشنا » ، والمثبت فى : ج . (٣) السماك : أحد كوكبين نيرين ؛ يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . القاموس (س م ك) . (٤) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

بيت العماد

بيت فضل وكَرَم ، دمشقُ بهم من عهد ذات العماد إرَم .

بمثْل رتبتهم يَشْمخ العِزّ المتقاعِس ، وبمثْل طَلاقتهم يتنبّه الحظّ المتناعِس ، وفي ذلك المجد فليتنافَسِ المتنافِس .

فضْلهم على الكرام ، فضلُ الحلال على الحرام .

ولهم من المَزِيّة على أهل الكمال ، مَزِيّةُ الصَّبا على الجَنوب واليمينِ على الشِّمال .

هم القومُ حازوا صِفاتِ العُلى بحسْن الطباعِ ولطفِ الشِّيَمْ
ودُنْياهمُ طلْعةُ المجْتَلي ودهرُهمُ واضحُ المُبْتَسَمْ
ومن حقِّهم شكرُ آلائِهِمْ ومن حقِّ شانيهمُ أن يُذَمّ

فنهم :

٦٧

شهاب الدين بن عبد الرحمن *

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [(١)] ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [(٢)] .

لَهُو جَواد اسْتَبَق فحاز السَّبْق ، وانطلق فأبْعد [(٣)] الطَّلَق .

وشهاب تألَّق ، وشهمٌ قَنَص وما حَلَّق .

تبنَّغ حتى لم يُبْقِ مَطْمَعا ، ولاح فأرى الشمسَ والبدر معا .

وهو فى عيشٍ موافق وزمن مُعِين ، وروضة مُنًى طَلَّة [(٤)] وماء مَعِين .

والجود لا يُعْطَى إلا ببَنانه ، والدهر لا يسطو إلا بجَنانِه .

إلا أنه تصرَّفت به [(٥)] فى آخره الأعمال ، فقُبِض على فَتْرة من الآمال .

(*) شهاب الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة سبع بعد الألف .

تربى فى حجر والده ، واشتغل فى مبدأ أمره على الحسن البورينى ، والشهاب أحمد العيثاوى ، والشهاب أحمد الوفائى ، وعلى والده .

وأخذ عن أبى العباس المقرى ، ولازم المولى السيد محمد بن محمود الحميدى ، شريف ، قاضى العسكر .

درس بعدة مدارس ؛ منها : النورية الكبرى ، والناصرية الجوانية ، والشبلية ، والسليمية ، وولى قضاء الركب الشامى ، وحج .

وسافر إلى الروم ؛ لطلب فتيا الشام ، فلم يتيسر له ، ثم أعطيت له ، وعزل عنها ، فأقام بداره لا يخالط أحدا ، ولم يزل منغص العيش ، شاكيا دهره ، متلهفا على ماضى عزه ومنصبه ، حتى توفى سنة ثمان وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٢/٢٣١ ــ ٢٣٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٦ ــ ٤٨ .

(١) سورة الشمس ١ ، ٢ . (٢) سورة الشمس ٤ .

(٣) فى ا بعد هذا زيادة : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب ، ج : « طلة » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله المآثر الغرّ ، يزينها خطّ [١] أغلى قيمة من الدُّرّ .

فإذا دجا ليلُ قلمه ، وطلعت فيه شهبُ [٢] كَلِمه .

لم يقعُد له بها شيطان مَقْعَدا ، إلّا وجد له شهابا رَصَدا .

فأسرارُها مَصُونة عن كل خاطف ، مطويّة بأيدي الصَّون عن كل قاطف .

* * *

وقد وقفتُ من آثاره على قِطَع ، كأنما الحسنُ منها مُقتطَع .

فأثبت منها ماهو نشوة المتغنّى [٣] ، وشهدة المُتمعِّي [٤] .

ونزهة المُتلفِّظ [٥] ، وكفاية المتحفِّظ .

فمنها قوله في الغزل [٦] :

برُوحِيَ فتَّانٌ بلحْظيه قاتلٌ ... يُرِينا المنايا الحمرَ بالأعيُن النُّجْلِ [٧]

يميل بقَدٍّ أخْجلَ الغصنَ والقنا ... يجورُ على قتــــلِ المحبّين بالهَزْلِ

عجبتُ لهذا الحبِّ تُرْضى فِعالُه ... وإن هو بعد العزِّ بدّل بالذلِّ

* * *

وقوله في دير مُرّان [٨] :

أيادَيْرَ مُرَّانَ سقــــاكَ غمامُ ... تروح وتَغْدُو غِبَّهُنَّ سلامُ [٩]

وحيّاكَ من دَيْرٍ وحيَّى معاهــــدًا ... بِمَغْنــــاكَ مانَاحَ الزمانَ حَمامُ [١٠]

---

(١) في ب : « حظ » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) في ا : « المتعني » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) كذا في الأصول .

(٥) في ب : « المتقط » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٦) الأبيات في خلاصة الأثر ٢ / ٢٣٣ . (٧) في خلاصة الأثر : « بلحظيه فاتك » .

(٨) سيذكر المؤلف دير مران فيما بعد ، والأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٨ ، ٤ .

وفي ا هنا وفيما يأتي « دير مروان » ، والتصويب عن : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « تروح وتغدو عيشهن سلام » .

(١٠) في ب : « مادح الزمان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وقفتُ على رَسْمٍ به راحَ دارساً … وقد فاح من عَرْفِ الرياض خُزامُ [١]

فقلتُ ولى فيه رَسِيسُ صَبابةٍ … وفى القلب منّى لوعةٌ وغرامُ

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا … أنيسٌ ولم تُهْرَقْ هناك مُدامُ

***

والبيتُ مُضمَّن ، وأصلُه [٢] :

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا … أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ [٣]

بلى نحن كنا أهْلَها فأبادَنا … صُروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ [٤]

***

ودير مُرّان معروف بدمشق ، بالقرب من الرَّبْوة [٥] .

وقد تداولت ذكره الشُّعرا [٦] ، وحسبك من وصْفِه ماحكاه الثَّعالبيّ عن الببَّغا [٧] .

وهو دير قديم ، مترنّح بناؤه وكثير من ...

دَيْرٌ أطلَّ فوق وادٍ نَضِرٍ ، يرضع طفلُ نَوْرِه ثَدْيَ المطر .

إلا أن الدهر عَفَّى [٨] صورةَ رَسْمِه ، ومَحا محاسن هيئةٍ كانت روحاً لجسمه .

---

(١) الخزام ، هو الخزامى : خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار . القاموس (خ ز م) .

(٢) البيتان لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى يتشوق مكة ، لما أجلتهم عنها خزاعة ، وهما له فى : أنساب الأشراف ١/٨ ، ٩ ، تاريخ الطبرى ٢/٢٨٥ ، وجاء اسمه فيه عاص بن الحارث ، وهو خطأ . صوابه فى صفحة ٢٨٤ السابقة حيث تقدمت أبيات من القصيدة منسوبة لعمرو بن الحارث ، سيرة ابن هشام ١/١١٤، ١١٥، اللسان (ح ج ن) ١٣/١٠٩، معجم البلدان ٢/٢١٥ ، ٤/٦٢٣ ، ونسبه ياقوت فى الأول لمضاض بن عمرو الجرهمى .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها . معجم البلدان ٢/٢١٥ .

(٤) فى أنساب الأشراف ، وسيرة ابن هشام : « كنا أهلها فأزالنا » .

(٥) ذكر ابن شاشو أنه فى سفح قاسيون ، وذكر أنه دير النسائم الأقصى ، وأنشد أبيات الخزاعى الآتية . وقال ياقوت : نقلا عن الخالدى : « هذا الدير بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران » معجم البلدان ٢/٦٩٦ .

(٦) فى ب : « البلغاء » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) انظر يتيمة الدهر ١/٢٥٣ .

(٨) فى ا ، ج : « أعفى » ، والمثبت فى : ب .

وكانت به مقاصيرُ كأنها مقاصير جَنَّة ، فأصبحت الآن وهي ملاعب جِنَّة .

فقد عميتْ أخبارُ قُطَّانه ، ودثَرت[1] آثارُ أوطانه .

من وَهْي بِنائه ، وسكنِ الحوادث بِفنائه .

وقفتْ عليـه السُّحْبُ وَقْفةَ راحمٍ فبـكتْ له بعيونِـهـا وقلوبِها

وهو أحد الدِّيارات المذكورة في الشعر القديم .

قال فيه الخليع[2] :

يادَيْرَ مُرَّان لا عُرِّيتَ من سكَنٍ قد هِجْتَ لي شجَنًا ياديرَ مُرَّانا[3]

سَقْيًا ورَعْيـا لِمُرَّانٍ وساكنِهِ ياحبَّذا قاطنٌ بالديرِ مَن كانَا[4]

حُثَّ الْمـدامَ فإنّ الـكأسَ مُتْرعةً مّما يهيِّجُ دواعِي الشوقِ أحيانَا[5]

* * *

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٢) أبو علي الحسين بن الضحاك الباهلي .

شاعر من البصرة ، نادم الأمين ومدحه ، ثم اتصل بالمعتصم أيام خلافته ، ومدحه ، ومدح الواثق .

توفي ببغداد ، سنة خمسين ومائتين .

الأغاني ٧/١٤٦ ـ ٢٢٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ـ ٤٩٤ ، ترجمة رقم ١٨٣ .

والأبيات في الأغاني ١/١٩٣ ، والديارات ٢٢ ، ومعجم البلدان ٢/٦٩٥ .

(٣) رواية الشابشتي وياقوت : « دير مديان » في الوضعين ، ورواية أصول الأغاني توافق ما في النفحة.

قال ياقوت : « وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مران ، وأنشده كذا ، والصواب ما كتب؛ لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض » .

ودير مديان : على نهر كرخايا ، قرب بغداد ، وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ، ويمر على العباسية ، ويشق الكرخ ، ويصب في دجلة . معجم البلدان ٢/٦٩٥ .

ورواية الأغاني لعجز البيت : « هيجت لي سقما يادير مديانا » .

ورواية الديارات ، ومعجم البلدان له : « ما هجت من سقم يادير مديانا » .

(٤) رواية الأغاني :

سَقْيًا ورَعْيًا لـكَرْخايا وساكنِها والجُنَيْنة بالرَّوْحاء مَن كانَا

ورواية الديارات ، ومعجم البلدان :

سقيا ورعيا لـكَرْخايا وساكنه بين الجنينة والرَّوحاء من كانا

(٥) جاء هذا البيت في صدر القصيدة في رواية ياقوت ، والشابشتي .

وفي الأصول : « حيث المدام » ، والتصويب من : الأغاني ، ومعجم البلدان .

وحيث انساق الكلام إلى الدِّيارات ، فلنذْكر مشاهيرَها على طريق الاختصار ؛ فإن لها تعلُّقًا بما نحن فيه .

فمنها :

ديرُ القائمِ الأقصى ، على شاطىء الفُرات ، بطريق الرَّقَّة .

يقول فيه هاشم بن محمد الخزاعِيّ (١) :

بدَيْرِ القــائمِ الأقْصَى غزالٌ شادِنٌ أحْــوَى

بَرَى حُبِّي له جسمي ولا يدْرِى بمــا ألْقَى (٢)

وأُخفِى حبَّــه جُهْدِى ولا واللهِ لا يَخْفَى (٣)

ومنها (٤) :

دير زَكَّا ؛ موضعان (٥) .

قال أبو الفرج : دَيْرُ زَكَّا بالرُّها .

وقال الخالِدِىّ والشَّابُشْتِي: دير زَكَّا من ناحية البَلِيخ .

قال الرَّشِيد (٦) :

غزال مَرابعُــه بالبَلِيخ إلى دير زَكَّا فجِسرِ الخَرِبْ (٧)

---

(١) هكذا نسب المحبي الأبيات إلى الخزاعى ، ونسبها لأبيه أيضا ابن عساكر ، في تراجم بعض أعيان دمشق ، ونسبها ياقوت إلى عبدالله بن مالك المغنى ، ثم قال : « وقال الخالدى : هو لإسحاق الموصلى » . معجم البلدان ٢/٦٨٤ .   (٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « برى جسمى له حبى » .

(٣) في معجم البلدان :

وأكتم حبه جهدى ولا واللهِ ما يَخْفَى

(٤) من هنا إلى نهاية بيت الرشيد ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٥) انظر الديارات ١٣٩ ــ ١٤٦ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ١٨٩ ، ونقل عنه .

(٦) يعنى العباسى أمير المؤمنين . كما جاء في معجم البلدان ٢/٦٦٥ . والبيت أيضا في المشترك . الموضع السابق . والديارات ١٤٤ .   (٧) عجز هذا البيت ساقط من : ج ، وهو في : ا ، والرواية فيه : «وجسر الخرز» ، وهو خطأ ؛ لأن الأبيات بائية، وقد أثبت رواية المشترك ؛ لأنها أقرب إلى ما في : ا ، ورواية معجم البلدان : « فجسر الخشب » ، ورواية الديارات : « فقصر الخشب » .

وفي المشترك بعد هذا : « ودير زكى : قرية بغوطة دمشق ، لها ذكر ؛ فإن صحت الروايات الثلاث ، فهى ثلاثة مواضع » . وذكر ياقوت هذا أيضا في معجم البلدان ٢/٦٦٥ .

ومنها :

دير عَبْدُون [١] ، وهو بظاهر المَطِيرة [٢] ، ببغداد .

يقول فيه ابن المُعتزّ [٣] :

سقى المَطِيرةَ ذاتَ الظلّ والشجرِ ودَيْرَ عَبْدون هطّالٌ من المطرِ [٤]

وقال ياقوت ، فى المُشْتَرك : ديرُ عَبْدون موضعان : أحدهما بسُرَّ مَن رأى ، إلى جانب المَطِيرة ، من نواحى بغداد ، سمى بعَبْدون أخى صاعد [٥] بن مَخْلَد ، وزير المعتمد على الله ، كان كثيرَ التردُّدِ إليه والمُقام به .

ودير عَبْدون قرب جزيرة ابن عمر ، يليهما [٦] دِجْلة ، [٧] وقد خرِب [٧] ، وكان من مُتنزّهات الجزيرة [٨] .

والمَطِيرة ، كسفينة [٩] : قرية بنواحى سُرَّ مَنْ رأى ، والصواب المَطَرِيَّة ، لأنه بناها مطر بن فَزارة الخارجى [١٠] .

ومنها :

دير مارتَ مَرْيَم [١١] ، وهو ديرٌ قديم من دِيارات ، الشام الأوَّليّة .

يقول فيه ابن هُرْمُز :

(١) تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ ، ومعجم البلدان ٢/٦٧٨ ، والمشترك ١٩٠ ، والديارات ١٧٤ .
(٢) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . معجم البلدان ٤/٥٦٨ .
(٣) جاءت هذه المقدمة وبيت ابن المعتز بعدها فى ج بعد كلمة «دير عبدون» الآتية ، والمثبت فى : ا ، ب . وبيت ابن المعتز فى معجم البلدان ٢/٦٧٨ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .
(٤) فى الأصول وتراجم بعض أعيان دمشق : « ذات الظل » ، والمثبت فى معجم البلدان .
(٥) فى ب : « مساعد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمشترك .
(٦) فى المشترك : « بينهما » . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والمشترك .
(٨) إلى هنا انتهى النقل عن المشترك . (٩) فى ب بعد هذا زيادة : «هداية» ، والمثبت فى : ا ، ج . وتقدم التعريف بها . (١٠) فى معجم البلدان ٤/٥٦٨ : «قال البلاذرى : وبيعة مطيرة محدثة ، بنيت فى خلافة المأمون ، ونسبت إلى مطر بن فزارة الشيبانى ، وكان يرى رأى الخوارج ؛ وإنما هى المطرية ، فغيرت ، وقيل المطيرة» . (١١) انظر الديارات ٢٠١ ، ومعجم البلدان ٢/٦٩٢ ، والمشترك ١٩١ ، وجاء هذا أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .

نعمَ المحلُّ لمن يسْعَى للذَّتِه ... دَيرٌ لمريمَ فوقَ الظهرِ معمورُ[1]

ظِلٌّ ظليلٌ وماء غيرُ ذِي أَسَنٍ ... وقاصراتٌ كأمْثالِ الدُّمَى حُورُ[2]

وزاد فى « المشترك » ثانيا بنواحى الحِيرَة ، من بناء آل المنذر بين الخَوَرْنق والسَّدِير .

وثالثا ، قال الشَّابُشْتِيّ : دير أَتْرِيب[3] بمصر ، يقال له دير مارت مَرْيم .

ومنها :

دَيْر مَرْجُرْجُس[4] ، كان بالمَزْرَفة[5] بينه وبين بغداد أربعة فراسخ ، وكان من مُتَنَزَّهات بغداد .

وآخر بين بلد وجزيرة ابن عمر ، على ثلاثة فراسخ من بلد ، على جبل يظهر للرَّائى من فراسخ عِدَّة[6] .

ومنها :

دَيْر العَذارَى[7] ، وهو بسُرَّ من رأى .

يقول فيه جَحْظة البَرْمَكِي[8] :

ألا هل إلى دَيْرِ العَذارَى ونظرةٍ ... إلى مَن به قبل المماتِ سبيلُ[9]

---

(١) جاء البيتان غير منسوبين فى معجم البلدان ٢/٦٩٢ ، وهذه النسبة أيضا فى تراجم بعض علماء دمشق ٤٨ .
(٢) فى معجم البلدان : « كأمثال المها » .
(٣) فى ا : « أرب » ، وفى ب : « أرجب » ، وفى ج : « أصرت » ، والمثبت فى : المشترك ، ومعجم البلدان ، وفى الشابشتى : « بيعة أتريب » .
(٤) انظر الديارات ٤٥ ، ومعجم البلدان ٢/ ٦٩٧ ، والمشترك ١٩١ .
(٥) فى ب : « المزارقة » ، وفى المشترك : « المزرقة » ، وكلاهما خطأ ، والصواب فى : ا ، ج ، والديارات ، ومعجم البلدان .
والمزرفة : قرية كبيرة فوق بغداد ، على دجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . معجم البلدان ٤/ ٥٢٠ .
(٦) فى ا : « من عدة فراسخ » ، وفى ب : « من سبعة فراسخ » ، والمثبت فى : ج ، والمشترك .
(٧) انظر : الديارات ٦٩ ، ومعجم البلدان ٢/٦٨٨ ، والمشترك ١٩٠ ، وجاء هذا أيضا مع الشعر فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .
(٨) البيت فى معجم البلدان ٢/ ٦٧٩ مما أنشد أبو الفرج الخالدى لجحظة .
(٩) فى معجم البلدان جاء عجز البيت هكذا :

* إلى الخير من قَبْل المماتِ سبيلُ *

وقال ياقوت(١) : ديْر العَذَارَى ثلاثة مواضع ؛ أحدُها بين أرض الموصــل وبين بَاجَرْمَا(٢) من أعمــال(٣) الرَّقَّة ، وهو ديْر قديم ، كان به نساء مُترهِّبات ، وبذلك سُمِّى .

[و](٤) دَيْر العذارى بقرب سُرَّ مَن رأى .

ودير العذارى ، موضع بظاهر حلَب ، فيه أكثر بساتينها .

ومنها :

ديْر سِمْعان(٥) ؛ أربعة مواضع .

وسمعان هو شَمْعون الصفا ، من الحواريِّين ، وله دِيَرَة(٦) كثيرة .

والذى اشتهر هذه(٧) .

أحدُها فى غُوطَة دمشق ، وفيه دُفِن عمر بن عبد العزيز فى الصحيح من الأخبار ، ولا يعرف الآن .

(٨ودير سمعان ، من نَواحى أنطاكِية ، دير كبير كالمدينة ٨) .

ودير سَمْعان ، قربَ لِلْمَعرَّة ، يقال : فيه قبرُ عمر بن عبد العزيز . والأول أصحّ .

وديْر سَمْعان ، من نواحى حلب ، بين جبل بنى عُلَيْم والجبل الأعلى .

ومنها :

---

(١) فى المشترك ١٩٠ ، ١٩١ . (٢) فى ج : «باجر » ، وفى المشـترك : « باجرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ومعجم البلدان ٢/٦٧٨ ، ويؤيده ما جاء فيه ١/٤٥٤ : « باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ، وميم وألف مقصورة من أعمال البليخ ، قرب الرقة ، من أرض الجزيرة » .

(٣) فى ب بعد هــذا زيادة : « أرض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمشترك .

(٤) تــكملة لازمة من المشترك . (٥) المشترك ١٨٩ ، وانظر أيضا معجم البلدان ٢/٦٧١ .

(٦) فى ب ، ج : « ديور » ، والمثبت فى : ا ، والمشترك . (٧) فى ج : «هذا» ، وفى ب مكان هذه الـكلمة ، والتى تليها الواقعة فى أول السطر : « واحد » ، والمثبت فى : ا ، والمشترك .

(٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والمشترك .

دَيْرُ هِنْد : موضعان[١] ، وهما بالحِيرَة ، يقال لأحدهما دير هند الكبرى ، والآخر دير هند الصغرى .

فأما هند الكبرى فهى بنت الحارث بن عمرو ، آكل المُرار ، وهى أم عمرو بن هند ، بَنَتْهُ بظاهر الحِيرَة ، وترهّبت به .

وأما هند الصغرى[٢] فهى بنت النُّعمان بن المنذر ، المعروفة بالحُرَقَة[٣] ، صاحبة القِصَّتَيْن[٤] مع خالد بن الوليد والمُغيرة بن شُعْبة .

***

[٥] ومن شعر المترجم ، ما كتبه لبعض أحبابه ، فى صدر رسالة [٥] :

سلامٌ على مَن فى الفؤادِ وِدادُه ... وإن غاب عن طَرْفى فما غاب عن قلبى[٦]

وإنِّى وإن غِبتمْ وبِنْتمْ عن الحِمَى ... فحُبِّى لكم يزداد فى البعد والقرب[٧]

***

وكتب إلى والدى ، فى صدر رسالة أرسلها إليه[٨] ، وهو بالروم ، تتضمّن عتابا ، وكان عُزِل عن الفُتْيا[٩] :

أمولاىَ فضلَ اللهِ دام لك الفضلُ ... ودمتَ به تزهو وأنت له أهلُ[١٠]

---

(١) المشترك ١٩١ ، ١٩٢ ، وملحق كوركيس عواد . الديارات ٢٤٥ . (٢) الديارات أيضا ١٥٧ ، ومعجم البلدان ٢/٧٠٧ . (٣) كذا فى المشترك ، وفى معجم البلدان «بالحرقة» بفتح الحاء .

(٤) فى الأصل : « القضيتين » ، والمثبت فى المشترك ، وانظر لذلك معجم البلدان ٢/٧٠٨ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والبيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٧ .

(٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وإن غب عن عينى » . (٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وإنى وإن بنتم وغبتم » ، تقديم وتأخير . (٨) فى الأصول : « إلى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٩) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٣٣ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٧ .

(١٠) فى ب : «كان لك الفضل» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

يبعُــد منى القلب ماعـــجّ لَغْوُه بجِلّق حتى مَجّهُ العقلُ والنَّقلُ [١]

فـــلا تَغْضَبنْ إن الشّهابَ لَوائقٌ برُكْن عمادٍ شادَهُ المجدُ والفضلُ [٢]

وأنت لأدْرَى بى ودادًا وخُـــلّةً وأنْ ليس يلوِى القلبَ عن حُبّكم عَذْلُ [٣]

فقلبِىَ قلبِى مثـــــلَ ماقد عهدْتَه وقلبُك فيما أدّعِى شاهـــدٌ عَدْلُ

* * *

فكتب والدى ، رحمه الله تعالى ، إليه :

ورد علىّ [٤] كتاب ، ذلك الجناب .

لازالت شهبُ الآفاق هِدايةً لأصفيائه [٥] ، ورُجُوما لشياطين [٦] أعدائه .

فاستْدعى شكرِى وحمدى ، واستفْرغ فى الثناء على مُرسِلِه عهدى ، واستخلص فى الصَّفا ماعندى .

فكأنما اشْتمَلَتْ معانيه مما عندى ، واشْتملتْ على حقائق دقائق قصْدى .

فرتع ناظرِى منه فى روضٍ أريض ، وحظيتُ من الانْتعاش بوُروده بما يحظَى به المريض ، لو لقِىَ بيمينه منْشور العمرِ الطويل العريض ، بعد ماحال الجَرِيض ، دون القرِيض [٧] .

وإنى وإن بلغتُ غاية الاجْتهاد ، فى أداء بعضِ مايُوجب الخلوص والاتّحاد ، من نَشْر طيِّب الثناء فى كلّ ناد ، ورفْع لواء الولا على رؤوس الأشْهاد .

---

(١) فى ب : « ماعج شوقه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى ا ، ج : « مجه النقل والعقل » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ب : « شاده المجد والفضل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فأنت لأدرى » . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « لأصفائه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « للشياطين » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) هذا مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لاينفع ، والجريض : الريق يغص به ، والقريض : الشعر . وأصل المثل أن رجلا كان له ابن نبغ فى الشعر ، فنهاه أبوه عن ذلك ، فجاش به صدره ، ومرض حتى أشرف على الهلاك ، فأذن له أبوه فى قول الشعر ، فقال هذا القول . مجمع الأمثال ١ / ١٢٩ .

وربما انعكس ذلك إلى المسامع ، لكن على كل خير مانع .

فقد تجرى الرياح ، بما لا تشتهى الملاح .

فإن تكُ قد عُزلتَ فلا عجيبٌ ضياءُ الشمس يمحوه الظلامُ

ويعز علىَّ أن أنظر إلى [1] ذلك الصدْر ، [2] وقد جلس فيه [2] غيرُ ذلك البدْر .

وإنى لأستحى لعينى أن أفتحها على الصغير ، وقد جلس مجلس الكبير .

فإنى [3] لذلك ضَيِّقُ ساحةِ [4] الصدر ، قريب غَوْر الصبر .

كثير المباراة ، قليلُ المداراة .

فما أسْرع الأيام على الكريم فيما يضرُّه ، وعلى اللئيم فيما يسرُّه .

فترفع كلَّ وَغْد خسيس ، وتخفِض كل حُرٍّ نفيس .

وكالبحر يسفل فيه الجواهر اللطيفة ، وتطفو فوقه الجيفة .

وكالميزان يرفع من الكِفَّة ، ما يميل إلى [5] الخِفَّة .

ويخفِض ما يَفِى بالرُّجحانِ ، ويبعد من النقصان .

لولا الحظوظُ التى فى عقلها نَبَاهة لما علا الشمسَ بَهْرامٌ ولازحلُ

ولا بِدْع ، فهى علامة ، على قيام القيامة .

وهذا الخروج ، مقدِّمة يأجُوُج ومأْجوج .

ياضَيْعةَ الأعمارِ فى طلبِ العلى بالعلمِ والنَّسبِ الذى بالشَّينِ

ولا غَرْو ، فهى للدهر شيمةٌ مألوفة ، وسجيَّة فى الكرام معروفة .

على أن المنصِب بصاحبه ، والمَرْكِب براكبه .

فالصغير منه بالكبير كبير ، والكبير منه بالصغير صغير .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وقد حبس محبس فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى الأصول : « فإن » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أنت الكبيرُ الذى لا العـزلُ ينقُصهُ   قدراً ولا المنصبُ العــالى يُشرِّفهُ

***

ووقفت له على تحريرة كتبها على بيت المتنبّى (١) :

وكذا الكريمُ إذا أقام ببلدةٍ   سال النُّضارُ بها وقام المــاء

قال فيها :

المفهوم من كلام الواحِدِىّ ، (٢) أنه اختار كون قوله « وقام الماء » معطوفا على الجزاء ، أعنى « سال » ؛ فيكون داخلا تحت الشرط ؛ ليتمّ التشبيه فى خَرْق العادة فى كلا (٣) الأمرين ، ويظهرَ وجهُ الاتّصال فى البيتين كما قرَّره .

ولا شك أن المعطوف على الجزاء جزاء ، فيحتاج حينئذ (٤) إلى بيان وجْهِ لزوم (٥ الجزاء للشرْط ٥) ، وتسبُّبه عنه .

والذى يظهر فى وجهه ، أن معنى « وقام الماء » (٦ أن الماء ٦) جَمَد تحيُّراً وخجلا واستعظاما ؛ لمَّا رأى عظيمَ سخائه ، وشاهد عميمَ جوده وعطائه .

وقد صرَّح بتفسير ذلك فى البيت الذى بعده حتى صار جليًا (٧) ، بحيث يصلح أن يكون استئنافا بيانيًا ، أعنى قوله (٨) :

جَمَــد القطار ولو رأتْه كما رأى   بُهِتتْ فلم تتبجَّسِ الأنواء (٩)

إذ الضميرُ فى قوله : « كما رأى » يعود إلى القطار .

والمراد بالقطار ، هو المــاء المذكور فى البيت الذى قبله ، كما لا يخفى ، وإلّا لم تظهر المناسبة والاتّصال .

---

(١) ديوان أبى الطيب ١١٦ .   (٢) شرح الواحدى ١٩٥ .   (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٥) فى ا : « الشرط للجزاء » تقديم وتأخير ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٧) شرح الواحدى ١٩٦ .

(٨) ديوان أبى الطيب ١١٦ .   (٩) فى شرح الواحدى : « ولو رأته كما ترى » ، ثم ذكر بعد ذلك أنه روى : « كما رأى » ، وفى ب : « بهتت فلم تجبس الأنواء » ، والصواب فى : ا ، ج ، والديوان ، وشرح الواحدى له .

هذا ماخطر بالبال .

وأما مااستفدناه من تجْويز كون الواو للحال ، فذلك الوجهُ الوجيه ، تنحسم به مادَّةُ الإشكال ، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال .

***

ومن عجيب الاتفاق أنه وقع ماهو قريب من هذا الاستشهاد فى تفسير بيت عويص ، عرض من هذه القصيدة على سبيل الاستطراد ، وهو قوله [1] :

لاتكثر الأموات كثرة قِـلَّة إلا إذا شقيتْ بك الأحياء [2]

مُحصَّل ماحكاه الواحدىّ [3] ، من كلام ابن جِنّىّ ، فى تفسير البيت ، أنه على حذف مضاف ، تقديره « شقيت بفقدك » .

والمعنى ، أنه لاتصير الأموات أكثرَ من الأحياء إلّا إذا مِتّ .

واستبعد الواحدىُّ أن أحدا يخاطب ممدوحَه بمثل هذا .

ومُحصَّل ماذكره الواحدىّ ، فى معنى البيت ، أنه أراد بالأموات القتلى ، وتقدير المضاف المحذوف « شقيت بفضلك [4] وقتلك إياهم .

والمعنى ، إذا غضبتَ على الأحياء ، [5] زادت الأمواتُ بمن يَقْتُلهم قَتْلُك من الأحياء [5] .

وفى كلٍّ من الوجهين تعسُّف لايخفى ، ولكن يشهد لقول ابن جِنّىّ حكاية أبى عُمر [6] الشّامىّ ، قال : عُدت أباعلى الأوْراجىّ [7] ممدوحَ المتنبّى ، فى علته التى مات

---

(١) ديوان أبى الطيب ١١٨ . (٢) فى ا : « إلا إذا كثرت بك الأحياء » ، وهو خطأ صوابه فى : ب ، ج ، وديوان المتنبى ، وشرح الواحدى له . (٣) شرح الواحدى ١٩٩ . (٤) فى شرح الواحدى : « شقيت بك » أى بفضلك . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « أبى عمرو » ، وفى ب : « عمر » ، والمثبت فى : ج ، وانظر حاشية ديوان أبى الطيب ١١٨ .

(٧) هو أبو على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب . انظر ديوان المتنبى ١١٤ ، وشرح الواحدى ١٩١ .

فيها بمصر ، فأنشدنى قوله فيه : « لاتكثر الأموات » إلخ ، ثم لم يزل يكرّره ويبكى حتى مات .

وروى السُّلَمِيّ فى حكايته : « فجعت » مكان « شقيت » .

ويشهد لقول الواحدىّ ، البيت الذي بعده [١] ، فإنه مناسب للمعنى الذى ذكره .

ثم يساعد الأولَ ، معانى الأبيات التى قبله ، من وصف عموم كرمه وإحسانه للناس ، فناسب أنهم يشقَوْن بفقده ، ويكادون يموتون من بعده . فليُتأمّل .

وقال الواحدىّ ، فى تفسير قوله : « كثرة قلة » ، [٢] أى : كثرة فى الأموات تحصل عن قلة [٣] الأحياء .

ولا يخفى مافى هذا المعنى من كثرة السّماجة ، وقلّة الجدوى ، وتحصيل الحاصل ، من غير دليل يدلُّ على أن كثرةَ الأموات مضافة إلى قلّة غيرهم .

ولو أريد بالقلّة العدمُ ، كما هو شائع واقع فى الكلام الفصيح ، لكان أقربَ ، إذ كثرةُ الأموات فى الحقيقة عدم محض ، وصحّ ذلك على كلٍّ من قولَيِ ابن جنّىّ والواحدىّ .

ولو أُريد بالقلّة الإقلالُ ، وقلةُ الجدوى ، كما يقال : مات فلان من القلة ، أى الفقر ، بمعنى أنهم ماتوا من الإقلال حين انقطعت عنهم مكارمُه ، لأمكن أيضا .

وهذا الوجه إنما يجرى على قول ابن جنّىّ ، ولا بُعْدَ فى ذلك ، إذ الظاهر أن خطاب الممدوح بمثل ذلك لم يكن مُستهجَنا عند المتقدّمين ؛ لظهور حقيقة تيقّن الموت ، ألا ترى إلى قول أبى نُوَاس ، فى آخر قصيدته التى قالها فى تهنئة جعفر البَرْمكىّ [٤] :

---

(١) وهو قوله :

والقلب لاينشقّ عمـــا تحته حتى تحلّ به لك الشحنـــاء

ديوان أبى الطيب ١١٨ ، وشرح الواحدى ١٩٩ .

(٢) الذى فى شرح الواحدى : « أى كثرة تحصل عن قلة ، وهى قلة الأحياء » .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « تحصل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ديوان أبى نواس ٧٤ .

سلامٌ على الدنيا إذا ما فَقِدتمُ　　بَنِي بَرْمَكٍ مِن رائحين وغادِ

وقوله (١) :

إنما الدنيا حُمَيْدٌ　　وأياديه الجسامُ

فإذا ولَّى حُمَيْدٌ　　فعلى الدنيا السلامُ

لا سيَّما إذا كان الممدوح من الأعيان ، ولم يكن بذي سلطان . انتهى .



(١) لم أجد هذين البيتين في ديوانه .

٦٨

أخوه إبراهيم *

هذا الجناب الأفضل ، والمحل الأمْرع الأخْضل .

مكان القول فيه ذو سَعة ، والألسنة كلها على مدحه مُجتمِعة .

فمن يتقدَّمْ فليقُل ماشاء فى وصف شمـائله ، وحَقٌّ على المـدح أنْ يتباهَى بمخايل خمائله .

وحسْبُك من امْرئٍ لم ترَ له ذامًّا ولا شانيا ، ولا ذاكرا يعلم اللهُ أن له فى الفضل ثانيا .

فقد جمع إلى كرَم أصله ، أعْظمَ مَزِيَّة من باهرِ فضله .

فقضى الحقَّ الواجبَ عليه ، واستدْعَى حِيازةَ التَّفضيل (١) بالحجَّة إليه .

فالدُّرُّ يُنثَر من يديهِ (٢) وفيه ، والخيرُ مجموعٌ لدَيْه وفيه .

وهو رَيَّانُ من كل فَنّ ، سَمْح من غير تبجُّحٍ ومَنّ .

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

واشتغل فى ابتداء أمره على والده ، وعلى الحسن بن محمد البورينى ، فى أنواع العلوم ، وعليهما تخرج فى الأدب .

وأخـذ الحديث عن الشهب الثلاثة : أحمد العيثاوى الشافعى ، وأحمـد الوفائى الحنبلى ، وأحمد المقرى المالـكى .

وحين برع ، اشتغل بالتدريس ، فأعاد لوالده فى تفسير « الـكشاف » ، ودرس بالمدرسة النورية الـكبرى برتبة الداخل .

حج إبراهيم العمادى مرتين ، ثانيتهما قاضيا بالركب الشامى ، وسافر إلى الروم عقيب موت والده .

وكان قوى البادرة ، كثير المحفوظات ، لذيذ المعشرة ، عظيم الهيبة .

لحقه الفالج فى آخر عمره ، ولازمـه مدة سنة ونصف ، ثم توفى ، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٢٣–٢٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٥–٥٧ .

(١) فى ب : « التفضل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « يده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مجلسه يأْرَج أرَجَ الزَّهْر ، وسماحُه يفيض فَيْضَ النَّهْر .

وعيْنُه في اكْتساب المحامد ممنوعة السِّنات ، وصحيفةُ وجهه كلها قُرُبات وحسنات .

وهو وحيدُ الدهر في الأدب وفريدُه ، والْمَعيُّه الذي وفي البلاغة كلَّ ما تريده .

ببنانٍ قد قبَض على أزِمَّة البيان ، ولسان قد امْتطى صَهْوَة الإحسان .

* * *

وله من [1] النظم بِدَعٌ [2] جلائل ، إلا أنها في العدد قلائل .

والنجومُ أجلُّها [3] أعْلاها ، والمعادن أقلُّها أغْلاها .

فمن شعره قوله [4] :

إن يكن زاد في الحسانِ جمالٌ	أكَّد الحسن فيهمْ تأْكيدَا
فلقد أسَّس العِــذارُ بخدِّي	مُنْيَتِي رَوْنقاً ولطفــاً مَزِيدَا
وهْو عَمْرِي لاشكَّ أزْهَى وأبْهى	حيثما قد أفاد معنًى جديدَا [5]

* * *

وقوله [6] :

يامليحاً قد حاز كلَّ الجمـــالِ	وحبيباً تفْــديه زوجي ومالِي
كلما زِدْتُ في هواك غــــراماً	قلَّ صبْري وزاد فيك انْتحالِي
آهِ من حسنِ مَبْسمٍ لك كالدُّ	رِّ ولحظٍ يرْوِي عن الغزَّالِي
خُذْ لعبدٍ غدا قتيلَ عيونٍ	قد رمتْه خاظُها بِنِبــالِ [7]
لك خَصْرٌ قد صار مثلي نحيلاً	حمَّلته الأرْدافُ ثقْلَ الجبالِ

---

(١) في ج : « في » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ا : « بديع » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ب : « أجلاها » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ١ / ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) في ا : « حسبما قد أفاد » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) القصيدة في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٦ . (٧) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

لكَ وجْهٌ قد أخجل الشمسَ نوراً ⁂ لكَ جِيدٌ قد فاق جِيدَ الغزالِ

لكَ قدٌّ كالرمح يهتزُّ تِيهاً ⁂ قد رماني بأسْمَرٍ عسّـــالِ [1]

فترفَّقْ بعبدٍ رِقٍّ عميـــدٍ ⁂ قد غدا في هواكَ رَقَّ الخلالِ [2]

نحلتْه الأسقامُ شوقاً ووجداً ⁂ فغدا جسمُه من السُّقم بالِي [3]

كلُّ ما مَرَّ شَرْحُه بعضُ حالي ⁂ وهو عندي إن كان يُرضيك حالِي [4]

***

وقوله من قصيدة ، أولها [5] :

ما رياضٌ حِيكتْ بأيْدِي الغمامِ ⁂ باكَرَتْها بصَوْبِ مُزْنٍ هامِي

عَلَّها وابلُ الحيا بعـــد نَهْلٍ ⁂ فأماطتْ عن ثغرها البسّامِ [6]

وتحلَّتْ بنورِ نَوْرٍ نضـــيدٍ ⁂ من عَرارٍ ونرجسٍ وبَشامِ [7]

فعليـــلُ النسيمِ منها إذا هبَّ ⁂ كفيلٌ بصحةِ الأجسامِ [8]

فهْيَ نوراً كبهجة الشمسِ حسناً ⁂ وهْيَ لطفاً كالبُرْءِ للأسقامِ [9]

كمُحيّا الأستاذ مولاي يحيى ⁂ دام يحيـــا على مدى الأيّامِ

***

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لك قد يهتز كالرمح تيها » .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « رق الخيال » .

والعميد : من هده العشق .

(٣) هكذا « بالى » التزاما للقافية . (٤) في ب : « كل ما مر بعض شرح حالى » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « كل ما مر ذكره شرح حالى » ، والمثبت في : ا ، ج .

و « حالى » الثانية ضد المر .

(٥) القصيدة في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٦ . (٦) العلل : الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول .

(٧) في ب : « وتحلت بنود نور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ا ، ب : « نور نضيد » ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في تراجم أعيان دمشق : « بعليل النسيم » .

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « كالبرء في الأسقام » .

وكتب إلى والدى ، وهما بدار الخلافة ، قوله[١] :

إليكَ أخى نصيحةَ ذى اخْتبارِ ... له حزمٌ وزَنْدٌ فيه وارِى

إذا جار الزمانُ وكلُّ دهرٍ ... على أحرارِه فى الجَوْرِ جارِى

وأكْسَبكَ اغْتراباً وانتزاحاً ... فكُنْ متغرِّباً فى أسْكدارِ[٢]

ترى فيها ظِباءً سانحاتٍ ... بألحاظٍ يَصِدْنَ بها الضَّوارِى

وطوراً تلتقى غصناً رطيباً ... علاه حديقةٌ من جُلّنارِ[٣]

فقَضِّ العمرَ فيها فى سرورٍ ... وصِلْ ليلَ التَّواصُلِ بالنهارِ

وخَلِّ الأهلَ عنك وقلْ سلامٌ ... على الأوطانِ منِّى والديارِ

* * *

فراجعه بقوله[٤] :

أتتْك نصيحةٌ من ربِّ فضلٍ ... إمامٍ فى الفضائلِ والفخارِ

له فى كل علمٍ طِيبُ مجنَى ... وفضلٌ زانه كَرَمُ النِّجارِ[٥]

ونظمٌ يُعْجِز البلغاءَ لفظاً ... ونثرٌ كاللآلى والدرارِى

يقول وقولُه لا شكَّ صدقٌ ... عليك إذا اغْتربتَ بأسْكدارِ

نعم هى جنّةٌ حُفّتْ بحُورٍ ... وولدانٍ حكَتْ شمسَ النهارِ

ولكن لم أجِدْ فيها خليلاً ... يُعين أخا الغرامِ على اصْطبارِ

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٢٤ ، وصدرها المحبى هناك بقوله : « وكتب إلى والدى ، وقد عزم على السفر من قسطنطينية ، وبقى والدى بها قوله : » . (٢) أسكدار : بلدة بالروم ، إليها ينسب الشيخ محمود الأسكدارى ، ولى صالح ، كانت وفاته بعد السبعين وألف . انظر خلاصة الأثر ٤/٣٢٧–٣٢٩ ، وانظر فى أسكدار أيضا ريحانة الألبا ١/٢٤٨ . (٣) الجلنار : زهر الرمان . (٤) قصيدة فضل الله المحبى ، فى خلاصة الأثر ١/٢٤ ، ٢٥ . (٥) فى خلاصة الأثر : « وفضل زانه » .

يســـاعدنى على كَلَفِى بريمٍ ... يُعذِّب عاشقِيه بالنِّفـــارِ (١)

له لحظٌ يصـــولُ به دلالاً ... فيفْتِنُ ربَّ نُسْكٍ ذا وقارِ (٢)

وقـــدٌّ إن تثنَّى فهْو غُصنٌ ... يُحرِّكُ من هوى نائِى الديارِ (٣)

فمالى والقرار بهـــا وأنَّى ... يطيبُ لىَ القرارُ بلا قرارِ (٤)

قضاءٌ من إلٰهى ليسَ يجْرِى ... على قدرِ الإرادة باختيارِى

❊ ❊ ❊

وطلب من والدى تأليفه « الرِّحلة الرومية » ، فبعثه إليه ، وكتب معه :

تبسَّم عن ثغرِ الأقاحِى لِثامُها ... وغنَّتْ على الأفنانِ صُبْحًا حمامُها

وغرَّدتِ الأطيارُ من بهجةِ الرُّبَى ... فمالتْ لها الأغصانُ وهْو سلامُها

وحيَّتْ بخدٍّ كالشقيق مُورَّدٍ ... ورِقَّةِ خَصْرٍ لانَ منه قَوامُها

فأحْيَتْ عليلا طال وقتُ انْتظارِه ... ووافتْ فوافَى بالصباحِ ابْتسامُها

تقلَّدتِ الزُّهْرَ الدرارِى كأنَّ من ... ثنائىَ على ربِّ المعالى نظامُها

هُمامٌ أطاعتْه يَراعٌ يَراعُـــه ... يَراعُ مُعادِيها ويُرْعَى ذِمامُها

تخضَّرتْه العَليا إذا انْحطَّ قدرُها ... غدا فوقَ فرقِ الفرْقدَيْن مَقامُها

وهاتيْكَ فكرٍ قد أتتْ نحوَ بابِكم ... بغير يديْـكُم لم يُفَضَّ خِتامُها (٥)

وصحْبتُهـــا منِّى الدعاءُ ورحلتى ... تُشرِّفُ بالأنظار وهْو مَرامُها

وها هى قدجاءتْك تشكُو من الظَّما ... بأدْنى ابتسامٍ منك يُرْوَى أُوامُها

فما القلبُ يصفُو إذ تزيد همومُه ... ولا الشمسُ تبْدو إذ يُحيط غمامُها

---

(١) فى ب : « على كلف بريم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى الأصول : « فيفتك رب نسك » ، والمثبت من : خلاصة الأثر . (٣) فى ا : « تثنى فهو نسك » ، والتصويب من : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « تحرك من هو » ، والمثبت فى : ب .
(٤) فى الأصول : « بها قرار » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) فى ب : « لا يفض ختامها » ، وفى ج : « لن يفض ختامها » ، والمثبت فى : ا .

فلا زلتَ تُبقي كلما رنَّحَ الصَّبا غصوناً وقد غنّى عليها حَمامُها

مدَى الدهرِ ما أهدَى لبيبٌ رسالةً لرَوضةِ فضلٍ فاحَ منها بَشامُها

❊ ❊ ❊

فأجابه بقوله :

أروضةُ زهرٍ جاد سَحًّا غَمامُها فأهدَى لنا نَشْرَ العبيرِ خُزامُها

أم الرّاحُ في الأقداحِ لاحتْ فأسْكرتْ فؤادي وثَمَّ فُضَّ منها خِتامُها

تطوف بها ذاتُ الوشاحِ خَريدةٌ يروقُك مَرْآها ويحلو كلامُها

مريضةُ أجفانِ اللّحاظ سليمةٌ وما صحةُ الأجفانِ إلّا سَقامُها

مُثقَّلةُ الأرْدافِ خَفَّ وِشاحُها مُرنَّحةُ الأعطافِ لَدْنٌ قَوامُها

مُضمَّنةٌ من ذِي وفاءٍ قصيدةٌ بليغةُ ألفاظٍ بديعٌ نِظامُها

أخي فِطنةٍ رقّتْ وراقتْ علومُه فلله منها لُطفُها وانسجامُها

أطاعته أبكارُ المعاني وعونُها بفضلٍ فأضحَى في يديه زِمامُها

وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشا ويمنحه نفساً عزيزاً مَرامُها

تُحاول منّي أن أردَّ جوابَها وفِكرتيَ استولى عليها قَتامُها

وقد لعبتْ أيدِي المشيبِ بمَفْرِقي وتوّجَني دُرًّا يسوءُ انتظامُها

رعى اللهُ أيامَ الشبابِ ومَبدَه وأوقاتَ أُنسٍ ليت عمريَ عامُها

وحيّ لُيَيْلاتٍ مضتْ وتصرّمتْ لياليَ أُنسٍ كان صُبحاً ظلامُها(١)

يُغازلني فيها أغنُّ مُهفهَفٌ لواحظُه وسْطَ الفؤادِ سِهامُها

وبِتُّ يُعاطيني كؤوسَ حديثِه فلله من خمرٍ حلالٍ حَرامُها

وطوراً يُحيّيني بوردةِ خدِّه وآونةً من خمرِ فيه مُدامُها

---

(١) في ج : « ليالي وصل » ، والمثبت في : أ ، ب .

فريقته نفسُ الشَّمولِ وثغرُه ... حَبابٌ لها يطفو ومن فيه جامُها(١)

وقد عفتْ أبيات القريضِ ونظمه ... وقُوِّض من بين الفؤاد خيامُها

ولكن بحمدِ الله جادتْ قريحتي ... وماخلتُ يوماً أن تجود جَهامُها(٢)

فدونكها يا ابن الكرامِ بديعةً ... تؤمُّ ذرَى ناديك يُهْدَى سلامُها

ودُمْ وابْقَ ما أنشأ بليغٌ قصيدةً ... تضوَّع مِسْكاً بالثناء ختامُها



(١) في ب : « حباب له يطفو » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٢) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

٦٩

فضل الله بن شهاب الدين (*)

الفضلُ التامُّ له منه جُلُّه ، والحسنُ للناس بعضُه وله كلُّه .

والزيادة من فضل الله لا تنتهى ، والنِّعَم لديْه منها ما يشتهى .

وقد وُلد فى طالع عنه الإقْبال يُترجِم ، فكاد يقضى له بالسَّعد مَن لم يكن يتنجَّم .

(١ والحِجر تكفيه عن تنجيم وتقويم ، نشْئة خَلْق وخَلَق له فى أحْسن تقْويم (١) .

فاقترن باليمن (٢) باستهلاله ، حتى كأن نُونَه خُطَّت من هلاله .

فودَّت الجوْزاء لو كانت قِلادة تراقيه ، والزُّهَرة لو غدت عِوَض ذُؤابتِه (٣) التى تُراقيه .

(*) فضل الله بن شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة خمس وأربعين وألف .

وعنى بالاشتغال من طليعة عمره ، فقرأ فنون الأدب على إبراهيم الفتال ، ومحمد العيثى ، وتخرج بأبيه وعميه : عماد الدين ، وإبراهيم .

فرغ له والده عن المدرسة الشبلية ، فدرس بها ، وسافر إلى الروم ، واجتمع بشيخ الإسلام يحيى المنقارى ، فأقبل عليه ، ووجه إليه رتبة الداخل ، فرجع إلى دمشق .

ولما توفى والده أعطى مكانه قضاء بيروت ، ولم تبق عليه كثيرا ، فرتبط داخل داره لأدب يقتبسه ، أو كتاب يطالعه .

وكان فضل الله من فضلاء الوقت ونبغائه ، وله شعر باهر ، ونثر معجب .

توفى سنة ست وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٣/٢٧٢–٢٧٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨–٥٥ .

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « اليمن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا ، ب : « ذابته » ، والمثبت فى : ج .

ونشأ فى نعمة تتملى [١] اقْتبالا [٢] ، وكرامةٍ تسْبِغ سِرْبالا .

ووقايةُ الله تحفظه ، وعيون الألْطاف [٣] تحفُّه و [٣] تلْحظه .

حتى جمع أرْيحيَّة الشباب ، ونَجابة الكهول ، وحلَّ من الفضل المحلَّ السامىَ والمَرْبَع المأْهول .

وتقدَّم إلى دقائق العلوم فتغلْغل فى شِعابها ، وتميَّز على نُظَرائه بحلِّ رموزها وتسْهيل صِعابها .

وهذه دعوةٌ شاهدُها مَن كان مثْلى بَرِيئًا من الرِّيْب ، ولست أُخْبر عن الموتى ولا [٤] أستشهد الغيْب.

* * *

وقد بلغنى من بدائع فكره المتأجِّج الوَقْد ، وروائع شعره الخالى من [٥] التكلُّف والنَّقْد .

ماتناثر على مُذْهَباته الدُّرَر ، وتكاثر على محاسنه الغُرَر .

فمن ذلك قوله [٦] :

مُذْ مال خرَّتْ له الأغصانُ ساجدةً	خُوطٌ به من رحيق الثغرِ إسْكارُ [٧]
حَطَّ اللِّثامَ فغاب البدرُ من خَجَلٍ	وقد بدا فى الدُّجَى للصبح إسْفارُ
أضحى كجسمى منه الخَصْرُ ليس يُرَى	ومَنْطِقَتُه من العشاق أبْصارُ [٨]

---

(١) فى ج : « تتملأ » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ج : « إقبالا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ا « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٢ ، ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ ، ٥٣ .

(٧) فى خلاصة الأثر : « خرت له الأقمار ساجدة » .

والخوط : الغصن الناعم .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ونطقته من العشاق أبصار » . وبين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى تراجم بعض أعيان دمشق .

وشادنٍ مشـــــلُ قلبي خافقٌ أبداً   ولَحْظُه الفاتكُ الفتّانُ سحّارُ[1]
كأنّمـــــا شعرُه في خالِ وجنتِه   دخانُ قطعةِ نَدٍّ تحتهـــــا نارُ

* * *

قلت هذه القطعة قطعة عمادية، والقول بأنها تماثل نَزْعةً عِنادية.

* * *

ولابن سَناء الملك فيما يُشبه هذا التشبيه، وإن لم يكن منه[2]:

سمراءُ قـــد أزرتْ بكلّ أسمرٍ   بلَوْنها ولِينِهـــا وقدِّها[3]
أنفاسُهـــا دخانُ نَدِّ خالِهـــا   وريقُها من ماءِ وردِ خدِّها

وأقرب منه قول السيد محمد العُرْضِيّ[4]:

على وجَناتِه خالٌ عليــــــه   تبـــدّتْ شعرةٌ زادتْه لطفا
كقطعةِ عنبرٍ من فوقِ نارٍ   بدا منها دخانٌ طاب عَرْفا[5]

ومثله للسيد باكير بن النقيب[6]:

(١) جاء عجز البيت في خلاصة الأثر هكذا:

* ولحظه الفاتنُ الفتّاك سحّارُ *

(٢) لم أجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع، وهما في خلاصة الأثر ٣ : ٢٧٤.

(٣) في ب: «سمراء قد زارت بكل أسمر»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر.

(٤) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي، الحلبي.

ذكره المحبي في خلاصة الأثر، فقال: «كان من أفاضل الشهباء الأمجاد، وممن الأدب في مرتبة لاتنال بالاجتهاد».

ولي القضاء مدة، ثم اشتغل بالتدريس، ثم ولي إفتاء الشافعية بحلب سنتين، ثم سافر إلى الروم، وحين توفي أخوه أبو الوفاء أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب، و[illegible].

توفي محمد العرضي سنة إحدى وسبعين وألف، [illegible] من العمر [illegible] سنة.

إعلام النبلاء ٦ / ٣١٨، خبايا الزوايا، لوحة ٦٧ ا، خلاصة الأثر ٤ : ٨٩، ريحانة الألبا ١ : ٢٧٤.

والبيتان في: خلاصة الأثر ٣ : ٢٧٤، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٣.

(٥) ذكر ابن شاهين بعد هذا في صفحة ٥٣، ثلاثة أبيات لإبراهيم الأكرمي، وبيتين للأمير منجك، وبيتين لابن شاهين، في المعنى.

(٦) السيد باكير بن أحمد بن محمد، المعروف بابن النقيب، ستأتي ترجمته في هذا الجزء، الباب الثاني، برقم ١١٦.

في خدِّه القاني المضرَّجِ شامةٌ ... قد زِيد بالشَّعرات باهرُ شأنِها

كلهيبِ جمرٍ تحت قطعةِ عنبرٍ ... قدأُوقِدتْ فبدا ذَكِيُّ دُخانِها [(١)]

* * *

وله [(٢)] :

ومُديرٍ لنــــا المُدام بكأسٍ ... مثـــل عِقْدٍ حَبابُه منْظومُ

هو بدرٌ وفي اليمين هلالٌ ... فيه شمسٌ وقد علتْهـــا النجومُ

مَن دنا دَنَّه يشمُّ عبيراً ... من شَذاه رحيقُه مختومُ [(٣)]

حَيِّ يُصاح بالفلاح عليهـــا ... واصْطحِبْها تنْفكُّ عنك الهمومُ [(٤)]

ودعِ العمرَ ينقضي بالتصابي ... وكذاك الوُشاةَ دعْهم يلومُوا

* * *

قوله : « هو بدر » ، إلى آخر البيت ، قد أحسن فيه ، لـكن تشبيه الـكأس بالهلال محلُّ نظَر ، والمتعارَف تشْبيهه بالبدر ، كما في قول ابن الفارض [(٥)] :

لها البدرُ كأسٌ وهْي شمسٌ يُديرُها ... هلالٌ وكم يبـــدو إذا مُزجتْ نَجْمُ

إلَّا أن يكون قصد الزَّوْرَق ، فإنه شُبِّه به الهلال ، كما في قول ابن المُعتزّ [(٦)] :

وانْظُرْ إليــه كزورقٍ من فضةٍ ... قد أثْقلَتْـــه حمولةٌ من عنْبرِ

فعـكَس التشبيه .

---

(١) في ا : « زكي دخنها » ، وفي ب : « دخنها » ، والمثبت في : ج .

(٢) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .

(٣) في ب : « من رحيق شذاه مختوم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) في خلاصة الأثر : « واصطحبها » ، وهو المناسب للمعنى .

(٥) شرح ديوان ابن الفارض ٢ / ١٣٩ ، وخلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ .

(٦) ديوانه ٤ / ٩٨ ، وخلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ .

ويمكن أن يقال [1] : إنه شبَّهه بالهلال ، بالنَّظر إلى هيئته ، إذا أمْسَكه السَّاقِي ، كما يفعل الأعاجم في مُناولة إناء المشروب ؛ وذلك أنهم يقْبضون بالإبهام والمُسبِّحة على الإناء من فوق ، فيَسْتتر نصفُ الكأس [2] بالأصْبعَيْن ، ويبقى النصفُ ظاهِرًا كهيئة الهلال [3] . انتهى .

※※※

وله [4] :

ذَمَمْتُ النَّوَى من قبلُ منِّى جهالةً ... ولم أدْرِ أن البَيْنَ أصلُ شِفائِي

فحِينَ لَمَّا حازه البعد حازَنِى ... سَقامٌ فأخْفانِى عن الرُّقَباءِ

وصرتُ إذا شاء الزيارةَ زُرْتُه ... ولم ترَنى عينٌ لفَرْطِ خَفائِي

※※※

أخذه [5] من قول كُشاجِم [6] :

وما زال يَبْرِي أعْظُمَ الجسمِ حبُّها ... ويَنْقُصها حتى لَطُفْنَ عن النَّقْصِ [7]

فقد ذُبْتُ حتى صرتُ إن أنا زرتُها ... أمِنْتُ عليها أن يرَى أهلُها شخصِي [8]

※※※

وله [9] :

أطار الهوى مِن جمر خدَّيْه جَذْوةً ... فصَلَّى بها قلبي الذى ضمّ أضْلُعِي

---

(١) ذكر المحبي هذا أيضا في خلاصة الأثر ٣/٢٧٤ ، وقال : إنه وقع له في حل بيت فارسي مشكل تعريبه، ثم ذكر تعريبه في بيتين . (٢) في ا بعد هذا زيادة على ما في ب ، ج : « من فوق » .

(٣) انظر تعليق ابن شاشو على هذا ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ . (٤) الأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ . (٥) قبل هذه الكلمة في ا زيادة عن ما في ب ، ج : « النقص » .

(٦) البيتان في ديوانه ١٠٦ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .

(٧) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أعظم الجسم حبه » .

وفي ب : « لطفن من النقص » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « وقد ذبت . . . أنا زرته . . . يرى غيره شخصي » ، وفي الديوان أيضا : « وقد ذبت » . (٩) البيتان في : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ .

وصعّده مِنْ بعــــد ماقد أذاقَهُ وقطَّرَهُ من مقلتي دَرّ أدْمُعِي [1]

* * *

أحسن منه قولُ ابن النّبيه [2] :

تعلّمتُ علمَ الكيمياءِ بحبِّــه غزالٌ بجسمي مابعَيْنيه من سُقْمِ [3]

فصعّدتُ أنفاسي وقطّرتُ أدْمُعي فصحّ من التَّقْطير تصغيرةُ الجسمِ [4]

وللشّهاب الخفاجيّ :

في بُـكائي راحةٌ من شجَني بعــد يأسٍ من أمانٍ يُطمعُ

فـكأنّ الحزنَ من نار الجوَى ذاب حتى اسْتقْطرتْه الأدْمُعُ

* * *

وله [5] :

أيا شاهراً سيْفاً يُشابه لَحْظَه يصُول به ضَرْباً وموقعُه القلبُ

دعِ السيفَ وانظر نحوَ مَنْ رمتْ قتله فعيناك كلٌّ منهما صارمٌ عَضْبُ [6]

* * *

وله [7] :

دَائِيَ الحبُّ والأمانى طبيبي والنَّوى والفِراقُ من عُوّادِي [8]

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : «فصعده . . . وقطره فى مقلتى . . . » .

(٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣١٠ .

والبيتان فى ديوانه ٧٢ ، وخلاصة الأثر ٣/٢٧٥ .

(٣) فى الديوان : « ما يخفيه من سقم » .

(٤) فى ا ، ج : « تصغيرة الجسم » ، والمثبت فى : ب . وفى الديوان :

* فصحّ بذا التدبيرِ تصْغيرةُ الجسْمِ *

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « دع السيف تخويفا لمن رمت قتله » . (٧) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « والأمانى طبيب » .

ودوائي ذِكْرُ النَّوى وسَمِيرِي ضَيْفُ طيفٍ مُوَكَّلٌ بسُهادِي[١]

* * *

وله[٢] :

بِي ظَبْيُ إِنْسٍ لاحَ في قُرْطُقٍ قد فضح الدُّرَّ سَنا ثغرِه[٣]

ما فيـــه من عيبٍ سوى أنه أشْبَهَ جسمِي بِضَنَى خَصْرِه[٤]

* * *

وله :

تحجَّبَ البدرُ في غَيْمِ الصدودِ وفي ليلٍ من الهجرِ عن مأسورِ ألفاظِه[٥]

ومرَّ يبخلُ حتى بالسلامِ ترى مِن خَوْفِه نَقْطَ سمعي دُرَّ ألفاظِه[٦]

* * *

وله :

كأنَّ مَبْدَأَ نَبْتِ الشارِبَيْنِ وقد بدا على شفةٍ شطَّتْ عن الدَّنَفِ

زُبانيا عقربَيْ صُدْغَيْه قد حَمَتا رحيقَ ريقتِه عن رشفِ مُرْتشِفِ[٧]

* * *

وله[٨] :

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « ذكر النوى » ، وفي خلاصة الأثر : « موكل بسوادى » .

(٢) البيتان في : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (٣) تقدم ذكر القرطق ، في صفحة ٤٦ ، من هذا الجزء . (٤) في الأصول ، والخلاصة : « أشبه جسمي بضنى حضره » ، والمثبت في تراجم بعض أعيان دمشق . (٥) في ب : « في غيم الصدود » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « ومن تبخل » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ا ، ب : « نقط سمعى » ، والمثبت في : ج . (٧) في ا : « ذبابتا عقربي » ، وفي ب : « زبانا عقربي » ، وفي ج : « ذبابتا عقربي » ، والصواب ما أثبته ، وزبانيا العقرب : قرناها .

وفي ا : « عقربي خديه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٨) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ .

فديتُك رابني الإعراضُ عنّي ... ولم أعرفْ له سبباً وحقِّكْ (١)
سوى أنّي أقيـمُ على ودادِي ... وأنّي يا حبيبي عبدُ رِقِّكْ (٢)

* * *

وله (٣) :

إذا زارني ليلاً مَخافةَ عُذَّلٍ ... وأسفرَ وجهاً صارَ صبحاً بغُرَّتِهْ
وإن زارني صُبْحاً وأرخى غدائراً ... على الوجهِ صارَ الصبحُ ليلاً بطُرَّتِهْ

* * *

وله (٤) :

وبدرٍ حكَتْهُ الشمسُ عند شروقِها ... إذا غرُبتْ في فيه والليلُ سائلُ (٥)
إذا ما تثنّى قدُّه وَسْطَ روضةٍ ... تخِرُّ له الهيفُ الغصونُ الموائلُ

* * *

وله :

لمّا غدا جيدُك الحالي بعقدٍ من ... قلائدٍ وعقودٍ عاطلَ الخالِ
دمي تقـلّده ظلماً ألستَ ترى ... نقطاً عليـه دمي سمّوه بالخالِ

* * *

وله (٦) :

ودّعني مَنْ نواهُ أودَعني ... شوقاً يزيدُ الفؤادَ نيرانَا (٧)
وقال لي والبكا يغلبُـه ... ياليتَ يومَ الفراقِ لا كانَا

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « فديتك دأبك الإعراض عني » . (٢) في أ : « وأني بحبيب » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (٤) البيتان أيضاً في تراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (٥) في أ : « والليل سائل » ، وفي ب الكلمة « سايل » بلا نقط ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ ، ٥٢ . (٧) في أ ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « من هواه أودعني » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « يزيد الغرام نيرانا » .

٧٠

علي بن إبراهيم *

هو الآن في الحضرة الخَضِرة ، مُتعيِّن في نُظَرائه بالمعالي النَّضِرة .

فيكاد يُشير إليه ، من يُغمِض عيْنيه .

ومن أراد أن يكون السَّعْدُ من خَدَمِه ، فليضعْ قدمَه مكان قدمِه .

فالإقْبال كأنما خُلِق لأجْلِه ، واليُمْنُ في مَواطِئه بخَيْلِه ورَجْلِه .

وهناك جَـدٌّ لو كان بظُبَة[1] صارِم ما نَبا غِرارُه ، وبِشْرٌ لو سال بصفحة البدر ما خِيف سِرارُه .

وأنا إذا جئتُ أصِفُه ، ولا[2] أقدِر أنْ أُنْصِفه .

قلت : أعلى اللهُ مكانَه ، وشيَّد في أفق النَّباهة أرْكانَه .

فما زال الأمنُ يواصل هَدُوَّه[3] ، والجَذَلُ يصاحب رَواحَه وغُدُوَّه .

(*) علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي ، الحنفي ، الدمشقي .

ولد بدمشق ، سنة ثمان وأربعين وألف .

ونشأ بها ، فقرأ على والده ، وعميه : شهاب الدين وكمال الدين ، ومحمود الكردي ، وإبراهيم الفتال ، ورجب القصيري الميداني الفرضي ، وغيرهم .

ولي تدريس المدرسة السليمانية ، في الميدان الأخضر ، وإفتاء الحنفية ، بدمشق ، ثم عزل عنها .

وكان صدرا من صدور دمشق ، مهابا ، عالما ، أديبا ، حاذقا .

توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، بباب الصغير .

سلك الدرر ٣/١٩٦ ـ ٢٠١ ، وقد نقل المرادي ترجمة المحبي له ، وما أورده من شعره .

وللعمادي ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٧ ، ٥٨ .

(١) في ب : « بضبة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) في ب : « لا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٣) رجل هدو : هاد . القاموس (هـ د ى) .

وله السـلامةُ التى يُهَنَّأ بها ويُحَيَّ ، والدنيا التى لم تزل غَضَّة العهدِ طَلْقَةَ المُحيَّا .

وله عندى وراء ذلك ثناء بَرِىء من الـكَلَف ، وامْتداحٌ لو نالَه البـدرُ لانجلى عنه الـكَلَف .

وهو فى الفضل كأبيه وجدِّه [١] ، وإذا قيس بهما فقد انتهى لأقصى حَدِّه .

وأما أدبُه فقد حلَّ من البراعة مـكانا عليًّا ، وهَمَى وَدْقُه على رُبَى الإجادة وَسْمِيًّا ووَلِيًّا [٢] .

فإذا جال يَراعه ، ملأ القِرْطاس بلاغةً وبَراعة .

وإذا وشَّى الصحائفَ من حبـائر بَديهته وإملائه ، فـكأنما أفاض عليها من أنواره ولألائه .

وقد أثبتُّ له ما يبهج الأدب وبزينه ، وإذا وُزِن به الشعر رجَحتْ موازينه .

فمنه قوله ، فيما كتبه إلى الأستاذ زين العابدين الصدِّيقى [٣] ، يستدعيه لدمشق [٤] :

---

(١) تقدمت ترجمةأبيه برقم ٦٨ ، فى هذا الجزء .

أما جده ، فهو :

عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى ، الحنفى ، الدمشقى .

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ يتيما .

وقد أخذ عن مشايخ عصره ، وحج فأخذ عن علماءالمدينة ، واجتهد حتى صار فى عصره ممن يشار بالتردد إليه ، والاكتساب من علومه .

واشتغل بالإفتاء ، والتأليف ، والتدريس بمدارس الشام .

توفى سنة إحدى وخمسين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٢ / ٣٨٠ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب ، ريحانة الألبا ١ / ٢٢١ ، سلافة العصر ٣٧٢ .

(٢) الوسمى : أول مطر الربيع . والولى : المطر يستعقب بعد المطر .

(٣) ستأتى ترجمته ، فى الباب السابع ، برقم ٢٢٥ .　　(٤) القصيدة فى سلك الدرر ٣ / ١٩٧ ، ١٩٨ .

قد ألبس الروضَ أنواعاً من الحِبَرِ ... وتوّج الغصنَ إكليلاً من الزَّهَرِ

ومدّت الأرضُ وسطَ الروضِ حاشيةً ... من الزُّمُرُّدِ في مُستنزَهٍ نَضِرِ

وقام كلُّ خطيبٍ في الرياضِ شدا ... بلحنِ معبدَ وقْعَ المثنّى والوتَرِ (١)

وفاح نشرُ عبيرٍ في دمشقَ غدا ... يُغني بطيبِ شذاً من عنبرٍ عطِرِ

كأنّ عطرَ غوانٍ قد ضمَخْنَ به ... أتتْ به من نحورٍ نسمةُ السَّحَرِ (٢)

ورقبتُ فرصةَ الإغفاءِ فاغتنمتْ ... كالسحرِ بين فتورِ الجفنِ والشَّعَرِ (٣)

فاستجمعتْ كلَّ لطفٍ مع لطافتِها ... واستصحبتْ كلَّ عَرْفٍ طيّبِ الأثرِ

فقمتُ أنشقُ ريّاها وقلتُ لهــا ... جودي على فتى لاتَ مُصطبري

وخـــبّريني أهذا العَرْفُ منشؤه ... عن طيبِ مَخبَرٍ أم عن طيبِ الخبرِ

قالتْ أعندك من هــذا النبا أما ... كفاكَ رونقُ هذا العهدِ من خبرِ (٤)

فالشامُ شاميةٌ والأرضُ نديـــةٌ ... والسحبُ هاميةٌ بالطلِّ والمطرِ (٥)

من أجلِ أنّ إمامَ الوقتِ أعني به ... زينَ الأنامِ وكهفَ البدوِ والحضرِ

ذاك الهمامُ الذي بالمجدِ قد بهرتْ ... آياتُ محتدِهِ السامي على الزُّهُرِ (٦)

وابنُ الإمامِ الذي ما مثلُه أحدٌ ... إذ كان في الغارِ ثاني سيدِ البشرِ (٧)

---

(١) معبد بن وهب المدني ، مولى بني مخزوم .

بدأ حياته يرعى الغنم في المدينة لمواليه ، ثم ظهر نبوغه في الغناء ، فأثنى عليه الناس ، ورحل إلى الشام فرافق [illegible] ، واتصل بالأمراء والكبراء .

توفي سنة ست وعشرين ومائة .

الأغاني ١/٣٦ .

(٢) ضمخ جسده بالطيب : لطخه به . (٣) في أ ، وسلافة العصر : « ورقبت فرصة الإغفاء فاغتنمت » ، وفي ب : « [illegible] » بدون نقط على النون والتاء ، والمثبت في : ج ، ومعناه : [illegible] ، وقت الندى متخفية . وفي سلافة العصر : « بين مقل الجفن والشعر » . (٤) في ج : « من هذا النبأ » . والمثبت في : أ ، ب ، وسلافة العصر . (٥) في سلافة العصر : « فالشام شامية » ، وفي [illegible] .
(٦) في سلافة العصر : « الزاهي على الزهر » . (٧) يعني [illegible] أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه .

يرومُ جِلِّقَ قصداً أن يشرِّفَها ... بالبِشرِ منه فتضحى نُزهةَ النظرِ (1)

فقمتُ أهلاً بما أدّيتِ من نبأٍ ... أودعتِ في السمعِ منه أنضرَ الدُّررِ

وصِرتُ ألثمُ فاهاً فرحةً وهوًى ... ومنطقاً وِردُه أحلى من الصَّدَرِ

فأنجِزِ الوعدَ لطفاً منك سيِّدَنا ... فالشامُ إن جُزْتَ صِينتْ عن يدِ الغِيَرِ

فعينُ الزهرِ وسطَ الروضِ شاخصةٌ ... لكي تراكَ فتحظى منك بالبصرِ (2)

* * *

ومن بدائعه قوله (3) :

عزَّ هذا العزيزُ في سلطانِهْ ... ومضى والجمالُ أكبرُ شانِهْ

وأرانا من سحرِ عينيْه هارو ... تَ وماروتَ من شبا أجفانِهْ

فاستمالَ القلوبَ نحو مُحيّا ... كان سلبُ القلوبِ من برهانِهْ (4)

وحبانا من جمالٍ ما تمنّى ... من شذا وردِه ومن ريحانِهْ (5)

وأرانا بروقَ الثنايا اختلاساً ... خوفَ واشٍ وحاسدٍ يرْيانِهْ

ورأيتُ المُدامَ في فيهِ لمّا ... لاحَ فوقَ اللَّمى وضوءُ جمانِهْ (6)

فشهدتُ المُدامَ في الكونِ طُرّاً ... من لَماهُ والسكرَ في لمعانِهْ (7)

وضروبُ الجمالِ قد جُمعتْ فيـ ... ـهِ وفي شكلِهِ وفي ألوانِهْ

قدُّه كالقضيبِ من فوقِ رِدفٍ ... ذي اهتزازٍ يميسُ في أعكانِهْ

تحتَ وجهٍ كالروضِ أودعَ فيه ... كلَّ معنًى يروقُ في إبّانِهْ

---

(1) في سلك الدرر : « نزهة البصر » .

(2) في سلك الدرر : « فتحظى منك بالبصر » . (3) القصيدة في سلك الدرر ٣ / ١٩٨ .

(4) في سلك الدرر : « سلب العقول » . (5) في سلك الدرر : « من شذا ورده » .

(6) في سلك الدرر : « ورأيت الغرام » ، وفي ا : « وضوء جمانه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(7) في سلك الدرر : « من لماه » .

خدُّه كالشَّقيقِ فى اللونِ والصِّبْـ ... ـغِ كأسِ الرِّياضِ فى عُنْفُوانِهْ (١)

تحته جيدُه الذى حلَّ فيـــه ... خالُه مُختفٍ لِجُلِّ مكانِهْ (٢)

فافْتَتَنَّا بقـــامةٍ وبجيــــدٍ ... وسبانا زُمُرُّدِى هِمْيـــانِهْ

طَرَّ عقلى بِطُرَّةٍ شَكْلَ سِينٍ ... بيدَيْه قد طرَّها وبَنَـــانِهْ (٣)

* * *

وقوله (٤) :

وكأنما المصباحُ وَسْطَ حديقةٍ ... مَحْفوفةٍ بالوردِ والنَّسْرِينِ

بدرٌ بدا تحت السحابِ أحاطَهُ ... قُزَحٌ بقوسٍ مُحْكَمِ التَّنْوِينِ

أو غادةٌ قد أُلبِست أبهاتُها ... حُلَلَ الجمالِ بديعةَ التَّلْوِينِ

أو شادِنٌ قد خُطَّ تحت جبينِهِ ... بالطُّرَّةِ الدَّعْجاءِ شَكْلُ السِّينِ (٥)

* * *

وقوله (٤) :

باكِرْ صَبُوحَكَ مِن فيهِ مُشَعْشَعَةً ... تُضِيءُ إنْ رُشِفَتْ منه كمِصباحِ

بيضاءُ مثلُ نهارِ الوصلِ رؤيتُها ... وحالةَ الوصلِ تُحْكَى لونَ تفّاحِ (٦)

لأنّ مَنْبِتَ دُرِّ الثَّغْرِ حانتُها ... ودَنُّها مِن عقيقِ اللونِ وضّاحِ (٧)

---

(١) فى سلك الدرر :

خدُّه كالشقيقِ فى اللونِ والصِّدْ ... ـغِ كأس الرياض فى عنفوانه

(٢) سقطت : « جيده » من : ا ، ب ، وهى فى : ج ، وسلك الدرر . وفى سلك الدرر : « خاله مختف » . (٣) هذا البيت ساقط من سلك الدرر . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .

(٥) عجز البيت فى سلك الدرر :

* بالطُّرَّةِ العجماءِ تحت السِّينِ *

(٦) فى سلك الدرر : « وحالة الرشف » . (٧) فى سلك الدرر : « لأنّ منبت » .

وعاذلٍ قال ماقى الرَّاحِ مَعْتَبةٌ ... فاسْتغْن عنها بكاساتٍ وأقْداحِ
فقلت ياجاهـــلاً فى الحبِّ معرفتى ... إليك عنِّى فــلا أُصْغِى إلى اللَّاحِى
لاأشربُ الرَّاحَ إلا من مُقَبَّلِ مَـن ... تقْبيلُ مَبْسِمِه أشْهى من الرَّاحِ (١)

***

وله فى العذار (٢) :

ما كنتُ أحسَب قبل نَبْتِ عِـذاره ... أن العِـــذارَ لحُسْنه تأْكيدُ
حتى بدَا فى خــــدِّه مُتجعِّدًا ... كفتَيتِ مِسْكٍ لايلينُ جــــديدُ
فكأنَّ مُحمرَّ الخــــدودِ شقائقٌ ... عن لَثْمِ أفواهِ الأنامِ تَحيــــدُ
وكأنَّ مُعْوجَّ العِـــذارِ بصُـــدغِه ... شَرَكٌ لحَبَّاتِ القلوبِ يصيــــدُ

***

(٣) وله ، فى (٣) البيت الأخير استخدام (٤) :

وعاذلٍ قال عَقْـــربٌ ادَعتْ ... أحْمدَ نَوْعِ الجمالِ سيِّـــدَهْ
قلتُ عجيبٌ لهـــا مارهبتْ ... عقربَ صُـــدْغٍ رأت مُمدَّدَهْ
قالوا رأتْه وأنت تخـــبره ... ذاك لِلَسْعِ القلوب أرْصَدَهْ (٥)
فقلتُ إذْ بانَ عقربٌ بكمُ ... لمـــا أتتْه رأتْ تأوُّدَهْ (٦)
خافَتْ على قلبهـــا يمزِّقُه ... فزَحْزَحتْه وقبَّلتْ يدَهْ

***

وكتبتُ إليــه أستأذنه فى التنزُّه أيَّاما بقصْره ، الذى أحاطت به السَّراء إحاطةَ النِّطاق بخَصْره (٧) :

---

(١) فى سلك الدرر : « تقبيل راحته » . (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .
(٣) فى ب ، ج : «وفى» ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر. (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .
(٥) فى ا : « قالوا أرته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفى سلك الدرر : « للسع القلوب ترصده » . (٦) فى سلك الدرر : « إذ بان أن عقربكم » . (٧) نقل المرادى هذا الفصل أيضا ، فى سلك الدرر ٣/١٩٩ ، ٢٠٠ .

سيدى وسَنَدى ، أنقَذ اللهُ على يديك الخواطرَ من همومها ، وجَلَّى عنها بحُسْن توجُّهك غياهب غمومها [١] .

الزمنُ وما أدْراك [٢] ، [٣] لم يبْقَ فيه إدْراك [٣] .

من نكَباتٍ لولا طَيْشُ نِصالها لاتَّصلتْ اتِّصال الشُّؤْبوب [٤] ، وصَدَماتٍ لولا تكسُّر نِصالها لكانت كالرُّمح أنْبوبا على أنْبوب .

ولكن ثَمَّ نفوسٌ من الفكر طائشة ، لا تحسَبُها إلا من ناهلٍ [٥] الحمام عائشة .

فهى تستدعى بعضَ مألوفاتها عن رَوِيَّة ، طامعةً فى حَسْوة من الأمانى إمَّا قَدِيَّة أو رَوِيَّة .

وذلك لدَفْع صائل ، لا لتوقُّع [٦] طائل .

وإلَّا فكلُّنا يعرف زمانَه ، [٧] ويعلم أن النهوضَ فيه زَمانَة [٧] .

وقد طلبنا فلم نجد غيرَ قصرِك الحِمَى من النَّوازلِ مَقَرًّا ، ولا مثلَ ساحتِه للأمْن من الغوائل مَقرًّا .

إذ هو القصر الذى أقرَّت له القصورُ بالقصور [٨] ، ولبست منه الشِّعْرَى العَبُور [٩] ثوبَ الغَيُور .

فعسى ما عزَّ على العِيان من لُقياك ، نستنشِق فيه من مَواطِئك عَرْفَ رَيَّاك .

فإن أذنْتَ فمثلُك مُنَزَّه عن التغاضى ، ومثلُنا مُولَّه بالتَّقاضى .

---

(١) فى سلك الدرر : « عمومها » .

(٢) فى ب ، وسلك الدرر : « أدريك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) هذه الجملة ساقطة من : ب ، وفى ا : « لم يبق فيه إلا أدراك » ، وفى سلك الدرر : « لم يبق لنا فيه إدراك » ، والمثبت فى : ج .

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٥) فى ا : « تساحب » ، وفى ب ، ج : « تساهل » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٦) فى ب : « توقع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٨) ساقط من سلك الدرر .

(٩) الشعرى العبور والشعرى الغميصاء : أختا سهيل . القاموس (ش ع ر) .

ولكَ [١] الفضلُ الذي إذا كشَّر الدهرُ عن نابِه ، تَكشِفُ الحوادثَ عَنّا [٢] به .

والثناءُ على سجيّتك ثناءُ الروضِ المُونِقِ ، على الغديرِ المُغْدِقِ .

والسلامُ على خُلُقِك العاطِرِ ، سلامُ النسيمِ على الغصنِ الناضِرِ .

وبقيتَ في يومٍ أغَـــرَّ مُبشِّرٍ ‏ ‏ ‏ بسعادةٍ غَرَّاءَ تَطلُعُ في غَـــدِ

لِتُقيمَ كلَّ مُؤَوَّدٍ وتُنيمَ كُلَّ ‏ ‏ ‏ مُسَهَّدٍ وتَضُمَّ كلَّ مُبَدَّدِ

***



(١) في الأصول : « ولكن » ، والمثبت في سلك الدرر . (٢) في ا : « عما » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر .

بيت النابلسي

هذا البيت لي فيه نَسَب ، مُدْلٍ وربُّ البيت بنشَب .

وجدِّي من قِبَل الأُمّهات كبيره إسماعيل [1] ذلك الإمام ، والفائق في الإضاءة على البدر التَّمام .

شيخُ التوفيق ، وأحقُّ من يُدْعَى بالبَرِّ الشفِيق .

أحلَّه اللهُ دار القَرار ، وبوَّأه منازلَ الأبرار .



(١) هو إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي . انظر خلاصة الأثر ١/٤٠٨ ، وقد عين المحبي هذه القرابة ، في خلاصة الأثر ٤/٤١٠ ، فقال : « ولنا قرابة معهم من جهة الأمهات ؛ فإن جدي محب الله ابن عمة صاحب الترجمة » يعني إسماعيل بن عبدالغني .

٧١

حفيده إسماعيل *

سَمِيُّهُ ووَلِيُّهُ ، سقاه من الرِّضا وَسْمِيُّه ووَلِيُّه .

غُرةُ وجهِ الدهر ، والقمر نصفَ الشهر .

جرى ففات ، واستغرق الصِّفات .

وأرْبى على الأكفاء وبَرَّز ، وأعْلَمَ حُلَّة الفضل وطَرَّز .

فقصَّر فى حَلْبة البراعة مُجارِيه ، واستشْعر فَوْتَ الطلب مُبارِيه .

وحاشيتُه على « الدُّرَر » أقرّ لها ابنُ عَزْمِى (١) بانحلال عَزْمه ، واعترف الْوَانِي (٢)

(*) إسماعيل بن عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة سبع عشرة وألف .

وقرأ بدمشق على الشرف الدمشقى ، ومحمود الكردى ، وعمر القارى ، والعمادى المفتى ، وتفقه بالشيخ عبد اللطيف الجالق ، وأخذ الحديث عن النجم الغزى ، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا بالروم ، وأخذ بالقاهرة عن الشهاب أحمد الشوبرى الحنفى ، والشيخ حسن الشرنبلالى .

وحين برع شرع فى إلقاء الدروس بالجامع الأموى ، سنة سبع وثلاثين وألف ، وانتفع به جماعة ، منهم إبراهيم الفتال ، وكان إليه أيضا تدريس المدرسة القيمرية بدمشق ، وتدريس جامع السلطان سليم بصالحية دمشق .

رحل إسماعيل النابلسى إلى الروم مرارا ، وإلى القاهرة ، ودخل حلب ، وحج .

وصنف كتبا حين لزم بيته ، واعتزل عن الناس للتحرير والمدارسة ، منها : « كتاب الإحكام شرح الدرر » فى اثنى عشر مجلدا .

توفى سنة اثنتين وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، بالمدفن المعروف باسم أسرته .

خلاصة الأثر ١/٤٠٨ـ٤١٠ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦٣ـ٦٧ .

(١) هو مصطفى بن محمد ، الشهير بعزمى زاده ، أو ابن عزمى ، قاضى العسكر .

عالم فاضل ، ومؤلف نحرير .

توفى فى حدود سنة أربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣٩٠ ـ ٣٩٢ .

(٢) هو محمد بن مصطفى الوانى .

فقيه حنفى رومى .

له « نقد الدرر » وهو تعليقات على « درر الحكام فى شرح غرر الأحكام » . توفى سنة ألف .

الأعلام ٧/٣٢٠ .

بأنه وانٍ عن لَحاقها لعدم حزْمه .

فإذا أعمل لسانَه وفمَه ، وأخذ دَواتَه وقلمَه .

تجارَى يَراعُه وطبْعُه ، وحدّث عن البحر العُباب نَبْعُه .

فأبدى خاطرُه الشُّموسَ من الطُّروس ، وأطْلَع فكرُه النَّقا ونفائس الذخائر في شُوق العروس .

* * *

وتحائفُه في الأدب جواهر أصْداف ، وزواهر أسْداف .

أوردتُ منها دُرًا يلْفظه البحر ، فيزيَّن به من المعلومات [1] الغرّ الصدرُ والنَّحْر .

فمن ذلك قوله ، وكتَبه في صدر رسالة لبعض أحبابه [2] :

إن طلبتمْ أُبدِي لكم شرحَ حالِي ... فهو أمرٌ يَكلُّ عنه مَقالِي

لاتقـــولوا مُسافرٌ باتَ مقيمٌ ... كلَّ يومٍ سرورُه في كَمالِ

ثم ماقد أصابنا [illegible] رفيقٍ وعزيزٍ ... ومتْبعِ الأفْضالِ

فهْوأمرٌ عجزتُ إذرُمْتُ أُحْصِي ... منه حالا فكيف بالأحْوالِ

غير أنى قصدتُ من رَقْمِ هذا ... فهْمَكم حالنا على الإجمالِ

* * *

وكتب أيضا [3] إلى بعض إخوانه [4] :

إذا قيـــل أىُّ إمام هُمامٍ ... بليغٍ لقـــد فاق للفاضِلِ [5]

---

(١) في ا : « المعلوات » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٠٩ .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٧ . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أي عام إمام » تقديم وتأخير .

غزيرِ النَّوالِ عزيزِ المثالِ ... شريفِ الخصالِ وذِي النائلِ [١]

وحَبْرِ الأنامِ وبحرِ الكرامِ ... خيرٍ يُرام بلا سائلِ [٢]

كريمِ الأُصولِ ومُحْيي القَبُولِ ... وفضلاً يصولُ على الجاهلِ [٣]

أشار إليك جميعُ الأنامِ ... إشارةَ غَرْقَى إلى الساحلِ [٤]

* * *

أصلُه ماقاله فى كتاب « العقد » [٥] ، [٦] لابن عبد ربِّه [٦] : أنه وقف بعضُ الشعراء على عبد الله بن طاهر ، فأنشده :

إذا قيلَ أىُّ فتًى تعلمون ... أهَشَّ إلى الباسِ والنائلِ [٧]

وأضربَ للهامِ يومَ الوغَى ... وأطْعَمَ فى الزمنِ الماحلِ

أشار إليك جميعُ الأنامِ ... إشارة غَرْقَى إلى الساحلِ

* * *

ومن شعره قوله [٨] :

لَوَى وجهَه عنِّى على زعمِ أننى ... أداهنه من أجْلِ أمرٍ أحاوِلُه [٩]

فقلتُ له خفِّضْ عليك فإننى ... تكلَّفْتُ هذا الأمرَ ممَّن أحاوِلُه

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « عزيز المثال » . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وخير الأنام » .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى خلاصة الأثر : « وفضل يصول » . (٤) فى ب : « جميع الورى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) العقد الفريد ١ / ٣١٥ ، وخلاصة الأثر ١ / ٤٠٩ .

(٦) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٧) فى ا : « أى فتى تعلموه » ، والمثبت فى : ب ، ج وخلاصة الأثر ، والعقد ، وفى ا : « أهش إلى الباس والنايل » ، وفى ب : « أهش إلى البائس فى النائل » ، وفى خلاصة الأثر : « أهش إلى البائس السائل » ، والمثبت فى : ج ، والعقد . (٨) البيتان فى : خلاصة الأثر ١ / ٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ . (٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لوى جيده عنى » .

وقوله [١] :

ولو لم يكنْ علمِى بأنك فاعــلٌ ... من الخيرِ أضعافَ الذى أنا قائلُ [٢]

لمــــا بسَطتْ كفِّى إليك وسيلةً ... ولا وصلتْ منّى إليك الرسائلُ [٣]

***

وله هذه الرباعية [٤] :

قد أقسم لى لمَّـــا اعْترانِى الوَلَهُ ... أنْ يعطِف لى لكنَّه أوّلَهُ

لا يسمحُ بالوِصالِ إلا غلَطاً ... فى النادرِ والنــادرُ لا حكمَ لَهُ



(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « أضعاف الذى أنا فاعل » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « أضعاف الذى أنا سائل » . (٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لما سطرت كفى » . وفى ب : « لما بسطت يدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) الرباعية فى : خلاصة الأثر ١/٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ .

٧٢

ولده عبد الغنى *

الوِرد الرَّوِىّ ، والنَّهج السوِىّ .

خلقه اللهُ للفضل أهلا ، وأشْرَق به الهدَى طفلا وكَهْلا .

فترشَّح (١ للعلى ، وتوشَّح ١) بتلك الحُلا .

وما انفصل عن طَلّه الوَبْل ، وكما تعرفه البراعةُ من بعد تعرفه من قَبْل .

بحرُ علمٍ لا يُدرَك غَورُه ، وفلَك فضل على قُطْب الرجاء دَوْرُه .

ولم يقْنَع بالمَجاز عن الحقيقة ، حتى تبوَّأ البُحْبُوحة من تلك الحديقة .

والدَيْه من المعلومات مايشقُّ على القلم حَشْرُه ، ويتعسَّر على الكَلِم نَشْرُه .

وتآليفه تُكاثِر السحبَ المواطِر ، حشوُها فوائدُ عُقْلةُ الأفكار وقيْدُ الخواطر .

(*) عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى ، الدمشقى ، الحنفى ، النقشبندى ، القادرى .

ولد بدمشق ، سنة خمسين وألف .

واشتغل من أول أمره بقراءة القرآن ، ثم بطلب العلم ؛ فأخذ عن والده ، وأحمد القلعى الحنفى ، ومحمود الكردى ، وعبد الباقى الحنبلى ، ومحمد الحاسنى ، والنجم الغزى ، وإبراهيم بن منصور الفتال ، وغيرهم ، وأجازه كثير منهم .

رحل إلى بغداد ، ومصر ، والحجاز ، وتنقل فى فلسطين ولبنان .

وابتدأ فى قراءة الدروس وإلقائها ، والتصنيف لما بلغ عشرين عاما .

وأدمن القراءة فى كتب الصوفية ، وانقطع عن الناس ، وظهرت له أحوال غريبة .

وله مؤلفات كثيرة ، ذكرها المرادى فى كتابه ، فاستغرقت نحو سبع سفحات ، وأحصى بعضهم له ثلاثة وعشرين ومائتى مصنف .

توفى فى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ودفن بالقبة التى أنشأها فى صالحية دمشق .

الأعلام ٤/١٥٨ ، ١٥٩ ، تاريخ الجبرتى ١/١٥٩–١٦١ ، سلك الدرر ٣/٣٠–٣٨ ، الباشاة والقضاة (ولاة دمشق فى العهد العثمانى) ٦٤ ، ولعبد الغنى النابلسى ترجمة على طريقة النفحة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦٧ — ٨٣ .

(١) ساقط من : ب ، وسقط من : ج : « للعلى » فقط ، والمثبت فى : ا .

وله أشعار أغلبُها فى الزهد ، إلا أنها فى الحلاوة بمثابة الشُّهد .

وهو ممن نَحَوْت إلى كعبته ، ورميتُ نُشّاب البراعة من جُعْبته .

ومضى لى فى صحبته حين ، لم أنشق به إلا شمّامات ورياحين .

أسارع إليه مسارعة مُوفٍ لا مُقرِض ، وأتعرّض إلى خدمته تعرُّض مُقْبِل لا مُعْرِض .

فأستجلى أحاسنَ المحاسن ، وتنقاد لى بدائعه ذُلُلَ المراسِن .

وقد انقبض حيناً عن الناس ، وعَدّ الوحشةَ من الإيناس .

وانعكف على دواوينه ، وكَلِف بالعلم وأفانينه .

ثم نَبّه جَفْنَه بعضَ انتباهة ، فطار فى أُفق الشام بين نزاهة ونباهة .

وسافر ذكرُه للرُّكبان زادا ، كما أقام فضلُه للوارد عَتادا .

وقد ورد القاهرة وأنابيبا أماطل الشوق وهو غريم ، وأطاب فيض الدمع وهو كريم .

فتألّفت معه فى مجالس الأستاذ زين العابدين [(١)] لا زالتْ مطارح أعماله سعيدة ، ومطامحُ آماله قريبة والأكدارُ عنها بعيدة .

كما تألّف الأرْىُ مع القَنْد [(٢)] ، ونيطت الكفُّ إلى الزَّند .

ورَوّيْتُ غُلَلَ الشوقِ من تلك الرّاح ، بما لم يكن فى قُدرة الماء القَراح .

وكتبتُ إليه لمّا دخل القاهرة :

أهلاً بمولًى للثناء أهــــــلْ ‏ ‏ ‏ ‏ يَفْديه منى القومُ والأهــــلْ

من جَــلّ عن مَثَلٍ ومَن مِثْلِه ‏ ‏ ‏ ‏ هيهات أن يُلْفَى له مِثْــلْ [(٣)]

---

(١) تأتى ترجمته فى الباب السابع ، برقم ٣٢٥ . (٢) الأرى : العسل . والقند : عسل قصب السكر إذا جمد . (٣) فى ب : « عن مثل وعن مثل » ، وفى ب : « عن مثل وعن مثله » ، والمثبت فى : ج .

فضلُ البرايا فيــــه مُستَجمِعٌ (١) فكأنَّه إن تختبرْ فضــــلُ

إن ذكرتْ آياتِه فتيـــةٌ (٢) راح فمُ الدهرِ لهـــا يتلو

كم طال شوقى وغرامى له والدهرُ من عاداته المَطْلُ

حتى قضى اللهُ لنــــا بالّلقا فتمّ لى من قُرْبِه السُّؤْلُ

وكان لى فى فضــــلِ عِرْفانِه عن كلّ شغلٍ فى الورى شُغْلُ

مولاى الذى سار فى بُروج الفضل مَسيرَ الشمس ، وقامت فضائلُه فى جسم العالَم مقامَ الحواسّ الخمس .

لا زال (٣) فى السكون والحركة ، موافق (٤) اليُمْن والبركة .

يفرح به كلُّ قُطرٍ ينازِلُه ، كأنه البدر والدنيا مَنازِلُه .

ومن شايعَه مسعودٌ يومُه وغدُه ، وله من العيش أهْنأه وأرْغَدُه .

كتبتُ هذه الخدمةَ ولى قلبٌ على شوقه يتقلّب ، وما عهدتُه انقلب إلى غيرك ولو يـكون له ألفُ لَوْلَب .

كيف وأنا شُعبةٌ (٥) من دَوْحتِك ، وغُصنٌ من سَرْحتِك .

بل نَبْتٌ سقَتْهُ أياديك ، وزهرٌ تفتح بما أفاضتْهُ غَواديك .

وكنت قبل أن يُسوِّد الدهرُ منشورَ (٦) عِذارى ، ويكلِّفنى وقد رأى كَلالى إلى بَسْط أعْذارى .

ومَشْرب العيش لم يَخْشَ غُصَّةَ لونِه (٧) يشرق بها من مَسْمع الصبّ ناهِلُه ، وموردُ الأُنس قد صفا عذبُه ولكن تكدَّر من خوف (٨) الوُشاة مَناهِلُه .

---

(١) فى ب : « فيه مجتمع » . (٢) فى ب : « إن ذكرت آيآته فئة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « تزال » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « مرافق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ب : « شعب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « منثور » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) فى ا : « لون » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ب ، ج : « حوض » ، والمثبت فى : ا .

وشرفُ الشام بك [١] شرفُ الجِنان [٢] بالرَّوح ، وانْتعاشها بأنْفاسك انتعاشُ الغصنِ بالنسيم المُرَوِّح .

أَسْتغنى بطُرَفك عن الثلاث المُذهِبات [٣] ، وأَسْتكفى بتحائفك التى علّقتُها بأذن حمْى عن السَّبع المُذْهَبات [٤] .

إلى ما تناولتَهُ من دقائق حقائق ، يحمرُّ لها خجلاً فى روض مَذْهب النُّعمان شقائق .

وقد ربطْتُ بك جملتى فما أَعُدُّ سِواك وكيف لا ، وإنى ما أتيتُك إلا فريضة وآتى جميعَ الناس [٥] إلا تنفُّلا [٥] .

ونظمتُ من مَدْحك فى جِيد الدهر قلائد ، يقول البحرُ من [٦] أين أخذ مثل [٧] هذه الفوائد .

وكنت أتمنّى أُساهِمُك العمرَ وأُشاطِرُكه على شَرْطِ ألا أتصوّر ما يُنفّر خاطرَك .

وأبى الدهر إلّا تشتيتى عنك [٧] فى البلاد ، ولولا هَيبتُك [٨] لقابلْتُك لقلتُ جرَّعنى صابَ الفُرقة من ساعة الميلاد .

لكنى أحمَد الله تعالى على أن تدارَكنى مُدّةَ غَيْبتك ، بحضور معنًى من شَخصك يُسليِنى فى الجملة عن رُؤيتك [٩] .

ثم أَردَفَ ذلك ولو بعد تراخٍ فى المُدّة ، باجْتماعٍ كان النعمةَ [١٠] الغيرَ المترقَّبةَ والفرجَ بعد الشِّدّة .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « الجسان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) يعنى : الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن . (٤) يعنى القصائد السبع الطوال الجاهليات ، أى المعلقات .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٨) فى ا : « هنية » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى ب : « نتيك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (١٠) فى ب : « كالنعمة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

حيث يُحمَد المَغْدَى والمَراح ، ولو اقترح على الزمان مطلَبٌ كان هو الاقتراح .

فأمتعني الله فيه[١] بمَقْدِمك ، وأسعدني بأغْلى[٢] موطىء[٣] قدمك .

فسَقْيا لوقتٍ جمع بيننا ، ورَعْيا لدهرٍ أزاح بَيْننا[٤] .

ولله بلدٌ موطِن[٥] مُنى ، وطَلاَّعةُ أقمارِ سَنا .

ومُترَّمُ نعيمٍ وحظّ ، ومتمتَّع قلب ولحْظ .

وأحسبها الآن نافستْ بفضل الكمال ، وكمال الفضل ، وستصْدر بالأماني والآمال ، مُوفّاة بالثناء الجزْل ، والقول الفصْل .

وها عندى على هذا الجميل ثناء الرَّوْض على الغمام ، والزَّهْر على الأكمام ، والسَّاري على القمر التَّمام .

ولئِن نَسِيتُ جميلَ مصرٍ بعدَها طولَ الزمان فلا بلغتُ الشَّاما

* * *

ثم فارق مصر مُوفَّر الآمال ، ودخل الحجاز مختوما له بصالح الأعمال .

فالله سبحانه وتعالى يقرِن التوفيق بسكونه وحركته ، ويُنْهِضنا إلى ما عرفناه من يُمْنه وبركته .

* * *

وقد اخترتُ من شعره الرائع التَّطْريز ، ونثْره الخالص الإبْريز .

ما يرُوق كما راقتْ ناجِمةُ الحَباب ، ويشُوق[٦] كما تشُوق[٦] أحاديثُ الأحْباب .

---

(١) ساقط من : ا ، وفي ج : « فيك » ، والمثبت في : ب . (٢) في ا : « فيه علا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « مواطىء » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) البين : البعد .
(٥) في ب : « موطى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ب : « كما شاقت وتشوق » ، والمثبت في : ا ، ج .

فمن قوله فى الغزل [١] :

دَبَّ العِـــذارُ بخدِّه فتضرَّجا … رَشأٌ أبانَ على الشقيق بنفسجا

وأمالَه سكرُ الدلالِ فعربدتْ … لحظاتُه هيبات ما أحـــدَ ثجا

رَخْصُ البنانِ أغنُّ أوطفُ أحورٌ … كالبدرِ أبهى من رأيتُ وأبهجا [٢]

لم يكفِهِ دَعَجُ العيونِ ملاحــةً … حتى تشَرْبَشَ بالبَها وتتوَّجا [٣]

ونفضَّضتْ وجناتُه وتذهَّبتْ … والحسنُ دَمَجَ سالفيْه ودبَّجا [٤]

يختالُ كالغصنِ الرَّطيبِ بمعطفٍ … لَدْنٍ أرانا السَّمْهَرِيَّ مُعوَّجا

ويظلُّ يكسِر مُقْلتيْه تدلُّلاً … أينَ النجاةُ لعاشقٍ أينَ النَّجا [٥]

ومُعَرْبدِ اللَّحظاتِ أطلقَ حسْنَه … فتقيَّدتْ بشهودِه مُقَلُ الرَّجا

صَلْتُ الجبينِ بدَا كبدرٍ زاهرٍ … يا صاحبيَّ قِفا هنـــا وتفرَّجا

قد ذاب قلبي في هـــواه صبابةً … وبحُسْنه لكمينِ شوقي هيَّجا

وفنى اصطباري في الهوى وتجلُّدي … والدمعُ أمطرَ في الجفونِ وأثْلَجا [٦]

يا أيُّها القمرُ الذي القمرُ الذي … من صُدْغِه من صُدْغِه ليلٌ سجا

حتَّى مَ يلحاني عليــك سَفاهةً … مَن ليس يدري ما الهوى وتبهْرَجا

جُدْ بالوصالِ فإنَّ لى بك مَدْخلاً … لم يُبْقِ لى عن حسْنِ وجهك مَخْرَجا [٧]

مَن لى بمن فضَحَ البدورَ ملاحةً … وبطَرْفِه فتنَ الغزالَ الأدْعَجا

---

(١) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٠ ، ٧١ . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أحوى أوطف » . (٣) والقاموس : « الشربش : هدب الثوب . مولد » . (٤) دمج سالفيه : أدخلهما فى بعض . وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « دماج سالفيه » . ودبجه : نقشه .

(٥) فى ب : « يكسر مقلتيه تذللا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) فى ب : « أمطر فى العيون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فإن لى بك منزلا » .

فاضت مياهُ الحُسْنِ في أعطافِهِ ... والجسمُ أزْبَدَ فوقَ رِدْفٍ مَوَّجا(1)

* * *

وقوله :

يا قَدَّه ما أرْشقَكْ ... يا خَدَّه ما أشْرقَكْ

وأنتَ يا ناظرَه ... جلَّ الذى قد خلقَكْ

تُرسِلُ نحوى أسْهُماً ... هل كان قلبي دَرَقَكْ(2)

يا أيها العاذلُ في ... هواه ماذا أطْرَقَكْ

أفْحَشْتَ في لَوْمِكَ لي ... أكْثرتَ فينا حَنَقَكْ

تحُومُ حولَ حُسْنِهِ ... ما تختشي أن يحرقَكْ

باللهِ قِفْ يا أمَلِي ... إنَّ فؤادى علِقَكْ

ومِلْ أيا معطفَه ... سبحانَ من قد مَشَقَكْ

لكَمْ أنادي الدمعَ يا ... دمعي أقِفْ مُغْرَوْرَقَكْ(3)

وأُنذِرُ القلبَ الهوى ... يا قلبُ هذا سرقَكْ

صَبْرِي قضَى و ما قضَى ... منكَ المُنَى مَن عشِقَكْ

دعْ عنكَ ذا الهجرَ وجُدْ ... بحقِّ مَن قد خلقَكْ

* * *

وقوله :

يا قمراً يُزْرِي بشمسِ الفَلَكْ ... كلُّ جمالٍ وبهاءٍ فَلَكْ

---

(١) في ب : « والردف أزبد فوق جسم موجا » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « والجسم أزبد فوق جسم موجا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) الدرق : جمع الدرقة ، وهو الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . (٣) كذا « أقف » في الأصول كلها .

مَلَكْتَ قلبي فترفَّقْ به ... ما أنت فى حسنِك إلا مَلَكْ
اللهَ اللهَ بنــــا يا رَشاً ... فإن قلبي فى الهوى قد سَلَكْ
أرسلْتَ لى طَيْفَكَ تحت الدُّجَى ... يا طَيْفُ حَيِّ اللهُ مَن أرْسلَكْ
مَولايَ ما ذنْبي إليك اتَّئِدْ ... فى قتْلتي مِقْدارَ أنْ أسألَكْ
إن كنت لى أضمرتَ غَدْراً بلا ... ذنبٍ وحقِّ اللهِ ما حلَّ لَكْ
اعطِفْ علينــــا وترفَّقْ بنا ... وافعلْ جميلاً بالذى جمَّلَكْ[1]
قد ذُبْتَ يا قلبي عليه جَوًى ... وَيْحَك يا قلبُ أما قلتُ لَكْ[2]
وأنت يا ناظر عيْنِي اتّئِدْ ... إيَّاكَ أن تَهْلِكَ فيمَن هلَكْ[3]

* * *

ومن نُتَفِه قوله[4] :

وروضٍ بَدا فيه الشقيقُ مُقَبِّها ... يُشا كِلُه خدُّ الحبيبِ المُورَّدُ
فقال له المعشوقُ يوما وقد سَرَتْ ... عليه الصَّبا حتّى غدا يتبغدَدُ[5]
سرقْتَ خُدودِي ثم زوَّرْتَ شامتي ... وما ذاك إلا أن قلبَك أسْوَدُ

* * *

وقوله فى بركة ماء[6] :

وبركةٍ تذهَــــلُ العقولُ بها ... تحارُ فى بعض وصْفِها الفِكَرْ

---

(١) فى ا : « أو ترفق بنا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) سقطت « قد » من : ب ، وفيها : « ذبت أيا قلبي . . . ويحك ياقلبي » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « ياناظر قلبي » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ . (٥) التبغدد : التدله والتنعم . انظر المحكم فى أصول الكلمات العامية ٣٧ . وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « حتى غدا يتبغدد » .
(٦) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .

كأنها مُقْلَةٌ مُحَدِّقَةٌ عَبْرَى من الوجد نالها السهر[١]

تبكى وما فارقتْ لهــا وطناً يوماً ولا فات أهْلَها وطَرُ

يا حُسْنَ أنْبُوبِهــا لِصِحَّتِه والماء يعلو به وينْحدرُ[٢]

كصَوْلَجانٍ من فضة شُبِكتْ فواقعُ الماء تحتها أُكَرُ[٣]

والبيتان الأخيران مُضَمَّنان .

❊ ❊ ❊

ووقع لابن ظافر[٤] ، أنه دخل فى أصحاب له يعودون صاحباً لهم ، وبين يديه بِرْكةٌ رَقَّ[٥] ماؤُها ، وصحت سماؤُها .

وقد رَصَّ[٦] تحت دساتيرهــا نارَنْج[٧] فضح الخضار[٧] ، وملأ بالمحاسن عيونَ النُّظَّار ، فــكأنما[٨] رُفعت[٩] صَوالجُ فضة على كُراتٍ من النُّضار .

فأشار الحاضرون إلى وصفها ، فقال[١٠] :

أبْدعْتَ يا ابنَ هلال فى فَسْقيةٍ جاءتْ محاسنُها بما لم يُعْهدِ

عجباً لأمْواهِ الدَّســاتِيرِ التى فاضتْ على نارَنْجِهــا المتوقِّدِ

فــكأنهنَّ صوالجٌ من فضةٍ رُفعتْ لضَرْبِ كراةِ خالصِ عَسْجَدِ

❊ ❊ ❊

وله :

كتب الجمالُ بطِرْسِ وَجْنته لنا سطراً به مُحيِى الجمالُ المشرقُ

---

(١) فى ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « عين من الوجد » . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « والماء يعلو بها » . (٣) هكذا جمع فقاعة ، على فواقع ، والمعهود فقاعات .

(٤) فى كتابه بدائع البدائه ٢ / ٥٤ ، ٥٥ . (٥) فى البدائع : « راق » . (٦) فى ب : « دس » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبدائع . (٧) فى البدائع : « فتن قلوب النظار » . (٨) فى ب : « فكأنه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبدائع . (٩) فى ج : « وقفت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والبدائع .

(١٠) أى على بن ظافر .

فكأنما ذا آمِرٌ سلطانُ البَها ... وأتى لمن يهوى ومن هو يعشقُ

نَمّ العيونُ على القلوبِ رسُومَه ... وقومَنا خَرجَ الوطاقَ تفرّقوا[١]

* * *

وله[٢] :

وصديقـــةٍ وافَيْتُها متنزّهاً ... وربُوس نرجسِها طوارِقُ حولَكْ

والأقحوانُ يظلُّ يركع بالصبا ... فكأنما هو عابدٌ متنسّكُ

فجلستُ بينهما كأنّي صخرةٌ ... هذاك يغمز ذا وهذا يضحكُ[٣]

* * *

ومن مقطّعاته قوله[٤] :

خاطبتُ معسولَ الرُّضابِ وقلتُ هل ... من رَشْفةٍ تشفي الحشا بشفائِها[٥]

فأجابني والثغرُ منـــه باسمٌ ... ما كلُّ بارقةٍ تجـــودُ بمائِها

* * *

ومن رُباعيّاته قوله[٦] :

خُذْ حِذرَكَ من عيونه يا قلبُ ... لمّا يرنو فإن هذا حربُ

والعشقُ على النفوسِ سهلٌ صعبٌ ... لا يعرفُ كيف الحالُ إلا الربُّ

* * *

وله[٧] :

---

(١) الوطاق : الخيمة . (٢) الأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .

(٣) في ج : « وجلست بينهما » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وفي ب ، ج : « كأني صخرة » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٦ . (٥) في ا : « معسول الرضاب » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ . (٧) البيتان في سلافة الدرر ٢ / ١٧٩ .

لاتحسبُوا شامةً في خدِّه طُبِعتْ هاتيكَ حبّةُ قلبٍ زادَه حبَّا

فدبَّ ينقلُها نملُ العــــذارِ له والنملُ من شأنِه أن ينقلَ الحَبّ

* * *

أخذَه من قول بعضهم :

عوارضُه تسبِي العقولَ بحُسْنِها وتنقلُ حبّاتِ القـــلوبِ نمالُها

وأنشدني [١] السيد سليمان الحَمَوِيّ [٢] ، من لفظه لنفسه في هـذا المعنى ، وقد أحسن :

وأغيدٍ أفرطَ في تِيهِهِ حتى رأينا منه شيئًا عُجابْ

فأطلعَ اللهُ له عارضًا أمطرَ خدّيْه أليمَ العذابْ

كأنملٍ في التشبيهِ لـكنه نملٌ بدا ينقلُ حبَّ الشبابْ [٣]

* * *

وله [٤] :

يا قلبُ صــــبرًا في هوًى من لم ترَعْه صبوتُكْ [٥]

وأنت يا ناظــــرَه إنْ هي إلّا فتنتُكْ [٦]

* * *

وله :

---

(١) هذه المقدمة والأبيات بعدها مما زاد في ج على ما في : ا ، ب .

(٢) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول ، صفحة ٥١٠ ، برقم ٤٩ . (٣) كذا « كأنمل » ، ولعل الأولى : « كالنمل » . (٤) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ ، وذكر ابن شاشو أنه قالهما مقتبسا .

(٥) في ج : « من لم تدعه صبوتك » .

(٦) من قوله تعالى ، في سورة الأعراف ١٥٥ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ .

[وذى] خَدٍّ تعلَّق فيه قلبي ... فأحرق خدُّه قلبي بنارِ (١)
وخافَ على الجمال يفِرُّ منه ... فقيَّده بسِلْسِلة العِذارِ

* * *

أحسنُ منه قولُ ابن سعيد الغرْناطِيّ (٢) ، في الخال :

كأن خالًا لاح في خــدِّه ... للعين في سِلْسلةٍ من عِذارْ
أسِيرُ يخْدِم في جنَّــةٍ ... قيَّده مولاهُ خوفَ الفِرارْ (٣)

* * *

ومن قوله : « وخاف على الجمال » إلخ ، تذكَّرت قولَ أحمد بن شاهين (٤) ، في مناقضته :

مذ نبَت العارضُ في خــدِّه ... بُدِّلت الحمرةُ بالاصْفِرارْ (٥)
كأنمــا العــارضُ لمَّــا بدا ... قد صار للحسنِ جَناحًا فطارْ

* * *

وبلغه أنه عِيب عليه استعمالُ التَّكْرار في شعره ، فقال :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في ا ، ج ، دون : « وذى » ولا يستقيم وزن صدر البيت فيهما ، كما ترى مع المقطوعة . (٢) أبو الحسن على بن موسى بن محمد ، المعروف بابن سعيد الأندلسي .
صاحب « المغرب » ، و « المشرق » ، و « عنوان المرقصات والمطربات » .
شاعر ، أديب ، مؤرخ .
ولد ونشأ قرب غرناطة ، ورحل إلى مصر والعراق والشام .
توفى سنة خمس وثمانين وستمائة .
بغية الوعاة ٢/٢٠٩ ، فوات الوفيات ٢/١٧٨ ، نفح الطيب ٣/٢٩ – ١٣٥ .
ولم أجد هذين البيتين في مصادر ترجمته .
(٣) في ا : « يخدم في وجنته » ، وفي ب : « يخدم في جنته » ، والمثبت في : ج .
(٤) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ . (٥) في ا : « بدلت الحمرة » ، والمثبت في : ب ، ج .

أعِيبَ تَكْرارُ لفظِ نظْمى والنظمُ من ذاكَ ما تضرَّرْ[1]
وأطْربُ النَغْمةِ المَثـانِى وأحسنُ الشُّكْرِ المُكرَّرْ

* * *

وله :

قد أبحْتُ الخدودَ منه ودادِى فرَمتْنى الخدودُ فى نارِ يأسِى[2]
وبَقِى ذلكَ العِـذارُ حَماه اللّـ ـهُ حتى انتصفتُ من وَسْواسِى
صدق الناسُ ليس للوردِ وُدٌّ إنمـا الوُدُّ كلُّه للْآسِ

* * *

نِسْبتُه عـدمَ الودِّ للورد بسبب قِلَّة مُكْثِه ، ونسبةُ الود للآس بسبب دوام لُبْثِه .

وهذا مستعْمَل فى الأشعار كثيراً ، كقول ابن زَيْدون[3] :

لا يكُنْ وُدُّك وَرْداً إنّ وُدِّى لك آسٌ[4]

* * *

وله[5] :

شبَّهْتُه بالغُصْنِ بين الرُّبَى ووجهه بالزَّهْرِ مُنْفَضَّا[6]

---

(١) فى ب : « أعبت تكرر » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : « واللفظ من ذلك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فى نار باس » ، وفى ج : « فى ناربأس » ، والمثبت فى : ب .
(٣) ديوانه ٣ .
(٤) فى الديوان :

لا يكنْ عهدُك ورداً إن عهدى لك آسٌ

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ . (٦) فى ب : « بالزهر من فضه » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالزهر منقضا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فأصبحَ الغصنُ له مُطْرِقاً والزهرُ من فَرْطِ الحيا غَضّا

* * *

وله في زهر البَلَسان[١] :

وأشجارِ بَلَسانٍ بها لعبَ الصَّبا فبهْجَتُها بين الحدائقِ مُفْرِطَهْ

كأنّ بياضَ الزَّهرِ فوق غُصونِها كُفوفُ لُجَيْنٍ بالنُّضارِ مُنَقَّطه[٢]

* * *

وله[٣] :

لمّا تكاملَ حسنُه وجمالُه وزهَى كغصنٍ بالدّلالِ رشيقِ

نزلَ العذارُ على الخدودِ كأنّه ظلُّ الزَّبرْجَدِ في رياضِ عَقيقِ[٤]

* * *

وله[٥] :

شكا لي نسيمُ الروضِ ضَعْفاً أجبْتُه وقلبي بأثقالِ الغرامِ كَليلُ[٦]

أعلَّكَ غصنٌ عَلّني صَدُّ مثْلِه إذاً فكِلانا يا نسيمُ عَليلُ

* * *

---

(١) في ب : « البيلسان » ، والمثبت في : ا ، ج .
وزهر البلسان أبيض صغير ، بهيئة العناقيد ، يستخرج منه دهن عطر الرائحة .
والبيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ .

(٢) في ا : « كأن بياض الثغر » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٨٠ . (٤) في تراجم بعض أعيان دمشق : « نزل العذار » .

(٥) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .

(٦) في ب : « شكا لي نسيم الروض » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وله مضمِّناً (١) :

أدار علينا الكأسَ ظَبْيٌ مُهَفْهَفٌ … قطعْنا الدُّجى وَصْلاً به نتنعَّمُ

وغنَّى على النَّايِ الرَّخيمِ مُشَبِّباً … فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

* * *

مثله (٢) للشِّهاب الخفاجيِّ (٣) :

لنا مجلسٌ فيه من اللهوِ مُطْرِبٌ … وآدابُنا ما بينه تترنَّمُ (٤)

ونايٌ يُناجينا بأسْرارِ ربِّنـــا … ونحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ (٥)

* * *

وله في أرْمَدَ (٦) :

يا قومِ لا تحسَبوا في عينه رمداً … لقد ألَمَّ بنا مِن قولكمْ ألَمُ

ماذا سوى أنه مذ رام يقتلني … رنَا إليَّ فأغْضى والسيوفُ دَمُ (٧)

مثله للصَّلاح الصَّفَدِيِّ :

أيقظْتُه من كَراه بعد ما رَمِدَتْ … عيناه لا مسَّها من بعدها ألَمُ (٨)

قد زُرْتُه وسيوفُ الهند مُغْمدةٌ … وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

* * *

وله ، في مليح اسمه عثمان ، وفي يده شمعة (٩) :

---

(١) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٦ . (٢) هذه المقدمة والبيتان بعدها مما زاد في : ب ، على ما في : ا ، ج . (٣) البيتان في ريحانة الألبا ٢ / ١٢٦ ، ١٢٧ . (٤) في ب : « وآدابنا فيما بينه تترنم » ، والمثبت في نسخة من الريحانة ، وفي أصلها : « ما بيننا » . (٥) في ب : « ونادى يناجينا » ، والمثبت في ريحانة الألبا ، وفي نسخة منها : « بأسرار به » . (٦) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ . (٧) في ب : « من رام يقتلني » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في ا : « بعد ما بهرت » ، والمثبت في : ب ، ج . (٩) البيتان له ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ .

بأبى مليحٌ لاح يحمِلُ شمعةً ... فى كفِّه ليـــلاً فَراقَ لعيْنِى
لمّـــا بدا وأضاء نورُ جمالِه ... قلت انْظروا عثمانَ ذا النُّورَيْنِ

* * *

ولابن المُعتزّ فى مثله ، بيده شمعتان [1] :

وافَى إلىّ بشمعتين ووجْهه ... بضيائه يزْهو على القمريْنِ
نادَيْتُه ما الإسمُ يا كلَّ المُنَى ... فأجابَنِى: عثمان ذو النورَيْنِ [2]

* * *

وكان السيد عبد الرحمن بن النَّقِيب [3] أطْلَعه على دُعابة لبعض الأندلسيّين ، فعمل على أسلوبها مَقامةً ، وهى هذه [4] :

وأنا الذى أهْـــدَى أقلّ بَهارِه ... حُسْنًا لأحسنِ روضةٍ مِئْنافِ [5]

إن أحْلَى ما تمزَج [6] به كؤوسُ المودّة ، وأعْطَر ما استنشقه مَشَمُّ الخواطرِ المستعِدّة .

خبرٌ له الطَّربُ مُبتدا ، وحديث تَرويه عن القريحة مُسْنَدا .

وذلك حين اشتغَلت هواتفُ السرور ، وتغنَّى فى دَوْحة الأنس كلُّ بُلبل وشُحْرور .

وتنبَّهتْ ذاتُ الجناح بسُحْرةٍ ... فى الواديْين فنبَّهتْ أشواقِى [7]
وأنا الذى أمْلِى الهوَى من خاطرِى ... وهى التى تُمْلِى من الأوراقِ

حتى خرجت أسوق مَطايا الأسى ، لأبيع كافورةَ الصّبح وأشترىَ عنبرَ المسا .

---

(١) ليس فى ديوان ابن المعتز .   (٢) فى ب : « ذى النورين » ، وفى ج : « ذا النورين » ، والمثبت فى : ا .   (٣) يعنى السيد عبد الرحمن بن محمد ، من بيت حمزة ، وقد تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٣٤ برقم ٦٤ .

(٤) ذكر ابن شاشو هذه الدعابة أيضا ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٤ ــ ٧٦ .

(٥) فى ب ، ج : « أقل بهارة » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

والمئناف : الراعى ماله أُنُفَ الــكَلإ ، أى ما لم يرع منه . وقد جعله هنا وصفا للروضة .

(٦) فى ب : « يمتزج » ، وفى ج : « تمزج » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/١٢٣ ، ١٢٤ ، من أبيات لابن لؤلؤ الذهبى .

والصبحُ قد أهْدَى لنا كافورَهُ   لمَّا استردَّ الليلُ منَّا العنْبَرَا (١)

قاصداً أُدَّراعَ (٢) حُلَلِ اللهو ، إلى حَوْمة الطرب والزَّهْو .

ومتحرِّشا بأذْيال البُكور والأصائل ، ومُعْتبِراً بقول القائل :

باكِرْ إلى اللذاتِ واركبْ لها   سوابقَ اللهوِ ذواتِ المِراحْ (٣)

من قبلِ أن ترْشِفَ شمسُ الضُّحَى   رِيقَ الغَوَادى من ثُغور الأقاحْ (٤)

فبينما أنا كذلك وإذا بشقيق شفيق ، ورفيقٍ هو بي في سائر الأمور رفيق .

فأقبل عليَّ إقبالَ الكرام ، وقد لمعَت بالبِشرِ صفحاتُ وجهِه بعد أن حيَّا بالسلام .

تشربُه الرَّاحُ وهو يشربُها   يطربُ من حسنِ وجهِه الطَّربُ (٥)

فسألتُه في المُسايرة والمُنادمة ، وحَثَثْتُه على المسامرة والمكالمة .

فأسْفَر وجهُه عن شموسِ الفرح ، وقال (٦) ابتهالاً وابتهاجاً بنسمات المسرَّة والمرَح .

وقال : مرحبا بقولك المسموع ، ورأيك الذي اتَّفقتْ عليه الجموع .

لِدَواعِي الهوى وحكمِ الخلاعَهْ   ألفُ سمعٍ لا للوقارِ وطاعَهْ

فسِرْنا حتى أتينا مُنْتَزها رَحْبَ الأكْناف ، متناسِق النعوتِ والأوْصاف .

نسيمُه يعثُرُ في ذَيْلِه   وزهرُه يضحكُ في كُمِّه

فوجدْناه ذا ظِلٍّ ظليل ، وماءٍ أعْذبَ من السَّلْسبِيل .

---

(١) في ب : « أهدى لنا كافورة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في ب : « أدرع » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) في ب : « سوابق اللهو ذات الجناح » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) هذا البيت في ريحانة الألبا ١/٣ .

(٥) في ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « تشربه الكأس حين يشربها » ، والمثبت في : ا .

(٦) ساقط من : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ؛ وهو في : ا .

أشجاره ثابتة ، وأغصانه نابتة .

نَهْرُهُ مسرعٌ جرى وتمشَّتْ في رُباهُ الصَّبا قليلاً قليلاً[1]

تصدح[2] حمائمُه ، [وتسرح نسائمُه][3] ، وتتفتح[4] كمائمُه .

ولي من الوُرْق في أوْراقها طَرَبٌ كأنهن على العيدان قَيْنَاتُ

فقصدنا منه إلى[5] قصرٍ مَشِيد ، مُتزخْرِف الجوانب بألوان الأطلية وأنواع الشِّيد .

فيه الغُرَفُ الرفيعة ذاتُ التزيين ، والمقاصيرُ المصنوعةُ لقاصِرات الطَّرْف عِين .

وإيوانٍ يقولُ لمن يراه[6] على قَدْرِي وفوق الكُلِّ أَشْرَفْ[7]

أَلَمْ تَرَ أن طيرَ العِزِّ أضحى يَحُومُ بساحَتِي وعلىَّ رَفْرَفْ

وقد طَلَّتْ شَبابيكُه[8] على تلك الأرْجاء المُونِقة ، والجداول المتدفِّقة .

وأرضُه مفروشة بأنْخرِ الوَشْي والدِّيباج ، وقد أطلقتْ فيه مباخرُ الطِّيب فزاد في[9] الابْتهاج .

حوَى عجباً لم يَحْوِه قطُّ مجلسٌ[10] على أنه في الحسنِ أعْجوبةُ الدهرِ

فجلستُ أنا وصاحبي على تلك الأرِيكة[11] المَنْوعة ، والفُرُش المَرفوعة .

نتناشد الأشعار ، ونتشبَّث[12] بأذيال الأفكار .

---

(١) في ا : «نهره مسرعا» ، وفي ب : «نهره واسع» ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في ب : «تصدح» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) ساقط من : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وهو في : ا ، ب .

(٤) في ب : «وتتفتح» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) في ا : «على» ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) في ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : «لمن رآه» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) استعمل «على» بمعنى «أعلى» .

(٨) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ١٢٩ ، أن الشباك مولد ، وقال هو كوة مشبكة بالحديد .

(٩) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

(١٠) في ا : «حكى مجلسا» ، والصواب في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(١١) في تراجم بعض أعيان دمشق : «الأرائك» .

(١٢) في ب : «ونتشبب» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وحـــديثه السحرُ الحلالُ لو أنّه　　　لم يجنِ قتلَ المسلمِ المتحرِّزِ [١]

إن طال لم يُملَلْ وإن هي أوجزتْ　　　وَدَّ المحدَّثُ أنهـــا لم توجزِ

ولم نزلْ رافلين في غلائل المسرّة ، ومتنعّمين بلطائف الأُنس على أوج [٢] هاتيك الأسرّة .

حتى عُـدْنا وقد شمّرت الشمسُ لمغيبها الذيل ، واصفرّ وجهُها خوفًا من هَجْمة عساكرِ الليل .

الشمسُ هاربةٌ للغرْب دارعـــةٌ　　　بالنيل مصفرّةٌ من هَجْمة الغسَقِ [٣]

وقد ظهر الهلالُ في حمرة الشفق ، كحاجبِ الشائبِ أو زورق الوَرِق .

لا تظنّ الظلام قد أخـــذ الشمـ　　　ـسَ وأعطى النهار هـــذا الهلالاَ [٤]

إنمـــا الشرقُ أقرضَ الغربَ دينا　　　رًا فأعطاه رَهْنَـــه خلخالاَ

وبينا أنا راجعٌ مع صاحبي في أخريات الطريق ، وإذا برفيقٍ لي وهو على الحقيقة رفيق .

فاعترضني وقال لي : أين كُنتَ ، ومن أين توجهت .

فقلت له : [٥] كنت مع صاحبي ، الذي [٥] هو هذا اليوم مصاحبي [٦] .

في مُنتزه هو فضاء الأرض ، ذات الطُول والعَرْض .

وصدّقتُه في كل ماحاولتُـــه　　　مما تقدّم في الـــكلامِ الأوّلِ

---

(١) البيتان لابن الرومي ، وهما في ديوانه ٩٠٤ ، وقد سقط البيت الثاني من : ا ، وهو في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وفي ا : « وحديثه السحر الحلال » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، والديوان .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أرج » .　　　(٣) في ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « بالنيل مصفرة » ، والمثبت في : ا ، ج .　　　(٤) في تراجم بعض أعيان دمشق :

لاتظنّ النهارَ قد أخـــذ الشمـ　　　ـسَ وأعطى الظلامَ هذا الهلالا

(٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « كنت وصاحبي » .　　　(٦) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

وغَيْمُ ذلك الفَضا هو الظلُّ الظَّلِيل ، وغَيْثه المُنْهمِر هو [١] الأعْذب من [٢] السَّلْسبيل .

وأشجارُه هى حبالُ الأمطار ، وحمائمُه الصادحةُ أصوات الرعدِ فى جوانب الأقطار .

وكمائمُه حَبُّ البَرَد ، ونسائمُه المعلومة فيها [٣] ورد .

وما ذلك القصرُ الموصوف ، سوى جُبَّتى هذه وثوبى هذا الصُّوف .

والشَّبابيك جُيوبُه وأطواقُه ، ولا عجب [٤] أن نفحت [٥] فيه مباخرُ [٦] الطِّيب فإنها قراطيسُه وأوْراقُه .

وبالقياس على هذا تأويلُ مابقى من العبارات [٧] السابقة ، والإشارات المتلاحقة .

وبذلك انتهى الكلام ، وتم ماقصدناه [٨] من الدُّعابة والسلام .

* * *

والدُّعابة التى أطْلعه عليها هى هذه [٩] :

لابُدّ للنفس أحياناً إذا سئمت ... أن تستريحَ إلى الآدابِ والمُلَحِ

فَخُصّ بِهامن أحاديث النِّدام إذا ... أحْيَتْ مذاهبُها فى كلِّ مُقْتَرَحِ [١٠]

وهاهنا نزْعة [١١] يختلف إليها [١١] النَّديم ، ويتعلق [١٢] بها الطَّبعُ [١٣] السَّليم .

وذلك أنى طُفْت الجِنان ، وبَوْت الفروعَ والأغصان .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) فى ب : « فى ما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) فى ب : « نجيب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) فى ب ، ج : « نفخت » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق « تفتحت » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ب : « مفاخر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٧) فى ب : « العبرات » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) فى ب : « قصدنا » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « أورده » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٩) أورد ابن شاشو أيضا هذه الدعابة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٢ ـ ٧٤ . (١٠) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من أحاديث الكرام » . (١١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « يألفها » . (١٢) فى ب : « ويتعلق » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (١٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « القلب » .

فلم أرَ مثلَ نَبْعَةٍ ، فى خير بُقعة .

حَسَنة البِزَّة ، يانعة الهِزَّة .

دَوْحُها مُغَنٍّ ، وطَيْرها مُرِنّ .

يُطارحنى مـــن بينهن ابنُ أيكةٍ هتوفُ الضُّحى بعد العشيّةِ مِرْنانُ[(١)]

أُجاذبهُ هُدْبَ الغــرامِ وفى الحشا نَزُوعٌ إلى ذِكْرِ الأحبَّـــة حَنَّانُ

فأسْمعنى خطابَه ، وفرَّغ لى[(٢)] وِطابَه[(٣)] .

فقلت : ماهذا[(٤)] الفَنَن ، وعلى مَ هذا الشَّجَن .

فقال : أما الفَنَن فمِنصّة ، وأما الشجن فعن غُصَّة .

فتلكأتُ عنه تلكُّأ الشَّاك ، وقلت :[(٥)] مَن وَشاك .

فقال لبستُ مُلاءةَ[(٦)] الربيع ، وكتمتُ الغرامَ لو أستطيع .

فقلت : لأمرٍ ماخطبتْك[(٧)] الغِيد ، وأعارتْك حُلَى[(٨)] الجِيد .

فقال : بل مَوَّهْتُ النُّحول ، وأخفيتُ عنوانَ الذُّبول .

وأما ما أحاط بالمُقلَّد[(٩)] فوَثاق ، وقد تطرَّف[(١٠)] مَن طبَع[(١١)] أغلال الهوى على[(١٢)] قوالب[(١٣)] الإطباق .

---

(١) فى ب : « يطارحنى مَهْن ابنة أيكة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ا : « لها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .   (٣) الوطاب : جمع الوطب ، وهو سقاء اللبن .   (٤) فى ب : « هـذه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق بعد هذا زيادة : « له » .   (٦) فى ا : « ملاءات » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .   (٧) فى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « خضبتك » ، والمثبت فى : ا .   (٨) فى ا : « على » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالمقلة » .   (١٠) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تطرق » .

(١١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « اطباع » .   (١٢) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

(١٣) فى ا : « قالب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق.

فلما تممتُ مُطارحته ، وتممتُ بنفا كِبته .

سايرتُه بأرسانه [١] ، وقاولته بلسانه .

وقلت : إيه ، فيما [٢] نحن فيه .

غصنٌ نضير ، ووادٍ عطير .

روضُه حَزْن ، ونسيمه لَدْن .

وماؤه صاف ، ونديمه وَصّاف .

فزدْني من ندامك ، [٣] وأوضحْ لي تَرْنامك [٣] .

ففي أي الحالتين [٤] تُفيض ، فلا بعدك [٥] مَعْبَد [٦] ولا دونك غَرِيض [٧] .

فقهقه ورجّع ، ثم أنشد فأسمع :

خُذْ بنا في محـاسنِ الأوصافِ ... فهي نَقْلٌ ما بين أيدي الظِّرافِ [٨]

وانتخبْ للمُدام كلَّ حـديثٍ ... من قِصارِ الفصول داني القِطافِ

يتمنّى الجليسُ عنه مُعـادًا ... لتلقّي مُعـادِه الشفّافِ [٩]

واقتحمْ لُجّـةَ القَرِيضِ بفكرٍ ... يلتقي الدُّرَّ في حَشا الأصْدافِ

وتنقّلْ من الدُّعابةِ للجِـدِّ ... وخيِّمْ حيث المعاني اللِّطـافِ

---

(١) الأرسان : جمع الرسن ، وهو الحبل في رأس الدابة . (٢) في ب : « فما » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « بما » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « وأوضح لي ترنامك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) في ا : « الحالين » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « الحلتين » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « بعد » . (٦) تقدم التعريف به ، في هذا الجزء ، صفحة ١٢٦ . (٧) هو عبد الملك ، المغني .

من مولدي البربر ، أتقن صناعة الغناء ، وسكن مكة .

لقب الغريض لجماله ونضارة وجهه .

توفي نحو سنة خمس وتسعين .

الأغاني ٢/٣٥٩ .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « الأوصاف * تتعاطى ما بين أيدي الظراف » . (٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لتلقي معاده الشفاف » .

فلما أتى بِنَقّال (١) قَرِيضِهِ ، وألَمَّ إليَّ بتَعْرِيضِهِ .
ندب إلى أن أُمْتَخِضَ (٢) الفِكرَ ، وأُكَشِفَ (٣) قناعَ البِكْرِ .

فأبرزْتُها عذراءَ في زِيِّ غادةٍ ... تُزَفُّ على وجهِ الدُّعابةِ والهَزْلِ
وما ثَمَّ إلّا نَبْعَةُ الشعرِ نَبْعَةً ... يَرِنُّ بها طيرُ الفصاحةِ والنُّبْلِ



---

(١) في ب : « بِنقل » ، وفي ج : « بنقل » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٢) في ب : « امتحض » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٣) في ب : « وكشف » والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفي الأخير بعد هذا زيادة : « عن » .

بيت الغفور

بيتٌ فضله موفور ، وذنبُ الزمان بأهله مغفور .

وقد خرج منه جماعة أجِلَّا ، فضلُهم أبْهر من النجوم السيّارة وأجْلى .

فمنهم :



٧٣

أحمد بن وليّ الدين *

الأديب الأريب، واحدُ الخِبْرة والتَّجْرِيب.

نظَم الشُّهب في الكتب، ورفع النُّقْب عن أسرار الحُقَب.

وهو من كل المَشارب شارب، وفي كل المَسارب سارِب.

فطوراً له طورٌ لجِـــدٍّ مُدافعٍ   ووقْتاً له سَمْتٌ لهَزْلٍ مُجانبُ

ولله منـــه جانبٌ لا يُضيعُه   ولِلَّهْو منه والخلاعةِ جانبُ (١)

واتَّفق أن ضرب الدهر على صِماخَيْـه بصِمام من الصَّمَم، فزاده ثِقَل تلك الخلاَّـة خِفَّة تُنْشِط الرِّمَم.

فما برح يشرب صِرْف الهنا من أدْنانه، ويهصر غصنَ المُنَى في أفْنانه.

(*) أحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن القرفوري، الدمشقي.

أديب، فقيه.

ولد بدمشق، سنة أربع وثمانين وتسعمائة.

وقرأ بدمشق، على عبد الحق الحجازي، وعلى غيره.

وكانت له مشاركة جيدة في الفقه وغيره، ودرس بالقصاعية الشافعية.

وأصابه صمم، فعتزل الناس، إلا عن إخوان ألفهم وألفوه، وكان له مايقوم به من وقف أجداده.

كان صاحب نظم جيد، وله اليد الطولى في الأحاجي وحلها.

توفي سنة سبع وثلاثين بعد الألف، بدمشق، ودفن بمقابر أسرته.

يقول المحبي: « والقرفوري، بضم القافين، كما نقله البوريني، من خط الشمس بن طولون المؤرخ، ولا أدري هذه النسبة لماذا ».

خلاصة الأثر ١ / ٢٩٩ — ٣٠١، وله ترجمة على طريقة النفحة، في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٩، ٦٠.

(١) هذا البيت في العقد الفريد ٣ / ١٣، غير منسوب، وروايته فيه:

فلِلنُّسْك مني جانبٌ لا أُضيعُه   ولِلَّهْوِ مني والبطالةِ جانبُ

وانظر ريحانة الألبا ٢ / ٣٩، ١٨٦.

حتى أثرت في ذوائبه أفاويف الشيب، ودعاه الناعي الذي لا يعترض إجابته الريب.

***

وهو شاعر لشعره حظٌّ من الحسن، كأنما تُغازله الجفونُ الوُسْن.

أثبتُ له ما يهيج الطرب، ويحلو في الأفواه كما يحلو الضَّرَب.

فمن ذلك قوله في مراجعة العمادي المُفْتي [1]، وقد كتب إليه قصيدة، لم أر منها إلا قولَه [2]:

فُتِـــنْتُ بظبيٍ كحّلت — أجفـــانَه بالسَّقَمِ

يفترُّ عن ثغـــرٍ بدا — عذبَ الثنـــايا شَبِمِ

أجْرى دموعي في الهـوى — كمُفرِقات الدِّيَمِ [3]

وسَلَّ سيفَ جَفْنِه — وهزَّ قدًّا لَهْذَمِ [4]

واختال في ثوب الصِّبا — يَسحب كلَّ مُعْلَمِ

مصـــائبٌ ما جُمعت — إلا لقتـــل المغرمِ [5]

ياقاتَلَ اللهُ الهـــوى — بدَّل دمعي بالدمِ

فكم له في خَـــلَدِي — سرائرٌ لم تُعلَمِ [6]

***

---

(١) عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي، الحنفي، الدمشقي.
تقدم التعريف به، في الجزء الأول، صفحة ٧٨.

(٢) الأبيات في: خلاصة الأثر ٢/٣٠٠، وتراجم بعض أعيان دمشق ٩٥. (٣) في ب: «كهتون الديم»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر، وتراجم بعض أعيان دمشق. (٤) في ا: «وسل قد لهذم»، وفي تراجم بعض أعيان دمشق: «وقد سيف لهذم». والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر.
واللهذم: الحاد القاطع من السيوف والرماح.

(٥) في تراجم بعض أعيان دمشق: «لقتل مغرم». (٦) في خلاصة الأثر: «سرائر لم تعلم».

وهذا مارأيته فى جوابه [١] :

دُرٌّ سَمتْ فى القِيَمْ   وسُمِّيت بالكَلِمِ [٢]

أم روضـــةٌ دامتْ علَيْـ   ـها هاطـــلاتُ الدِّيَمِ

فلاح منهـــا نورُ نَوْ   رِ نَوْرِها المبتسِمِ

أم غادةٌ قلبى كليـ   ـمُ لَحْظِها المكلِّمِ

من نَهْدِها وثَغْرِها   فى الطِّرْسِ قَتّـالُ المُغْرَمِ

حيَّتْ فأحْيَت بالّلقــــا   قلبــــا إليها قد ظَمِى

لِمْ لا ومُهْدِيهــــا كريـ   ـمٌ للكرامِ ينتمِى [٣]

ألفاظُه كالسحرِ إلا   أنهــــا لم تَحرُمِ [٤]

مُهــــذَّبٌ أخلاقُه   بحُسْنِ تلك الشِّيَمِ [٥]

كنَشْرِ روضٍ قد سرى   غِبَّ حَيَا مُنْسَجِمِ [٦]

***

وكان بينه وبين أحمد بن شاهين [٧] صحبة وُدُّها شَرْع لا يُنسَخ ، وعهدُها عَقد لا يُفسَخ .

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٣٩٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « درٌّ سمت بالقيم » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « للكرام ينتمى » .

(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ألفاظه كالخمر » .

(٥) رواية عجز هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* تفوح بين الأمم *

وهى تتفق مع رواية خلاصة الأثر ، فرواية البيت فيه :

مهذَّب آدابُه   تفوح بين الأمم

(٦) فى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « كنشر روض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .

وكلاهما من أول مَرْباه ، كالغصن يترنح فى رُباه .

متعاكفان[1] على تعاطُف وائتلاف ، ومتعارفان عن تمارُج واختلاف .

فملقا فتى أحْكم بينهما بسِحْره[2] الأُلفة ، وأماط فيما بينهما حجاب الكُلفة .

وبقيا سنين مُتلازمَيْن تلازمَ الدليل بالمدلول ، والعلةِ بالمعلول .

ومتّصلَيْن اتّصال الأرواح بالأشباح ، والمساء بالصباح .

حتى اكْتسى خدُّ الفتى بالعِذَار ، وطلع الشيبُ فى عوارضِهما مُتْهما بالإنْذار .

هنالك تيقّظ الفُرْفُورِىّ من سِناته ، وعَدّى عما[3] كان فيه من هَناتِه .

وكتب إلى الشّاهِينىّ[4] :

ولمّا أن بدا شَيبٌ بفَوْدِى ... خلُصتُ من الصبابةِ باحْتيالِ

وصرّفتُ المحبة كيف شاءتْ ... كأن الحبّ لم يخطُر ببالِى[5]

فأحسنُ ما يُقال بأن قلبى ... سَلا يسلو سُلُوًّا فهو سالِى

* * *

فكتب إليه قصيدة هزّ بها إلى رَعْىِ حقوقه ، واستدْفاع عقوقه .

وموافقته فيما إليه جَنح ، متيمّنا بما إليه طيرُ رَشادِه سَنَح .

سيّما وقد تبيّن الرشدُ من الغىّ ، وصار النشرُ إلى الطّىّ .

والقصيدةُ المذكورة ، من أحاسن أشعاره المشهورة .

إلا أنها طويلة جدّاً ، فاقتصرت من وابِلها على الطّلّ ، واكتفيتُ عن أكثرِها بالأقلّ .

---

(١) فى ا : « معتكفا » ، والمثبت فى ب ، ج .

(٢) فى ا : « شجرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « كما » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٩ .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « كأن الشوق » .

ومطلعها :

أقصيدتى مُورِى بجَهْدكِ مُورِى ‏ ‏ ‏ ‏ وتيمَّمى خِدْنَ العُلى الفُرْفُورِى

يا ألفَ مولاىَ ولستُ بقائلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ غيرَ الصوابِ لصاحبى وسميرى

مالى أراكِ مُفرِّطا فى صُحْبتى ‏ ‏ ‏ ‏ فكأنّنى عِقْد بكفِّ صغيرِ

خفِّض عليكِ فلستَ أوّلَ قاذفٍ ‏ ‏ ‏ ‏ من جوِّ شاهقةٍ لجوْف شَفيرِ

أوَ قد زعمتَ بأننى مُتَبالكٌ ‏ ‏ ‏ ‏ فى إثْرِ روض ليس بالمَطْورِ

ما الروضُ فيما قد حويْتَ مُحتَّمٌ ‏ ‏ ‏ ‏ كلّا ولا للغيْرِ فضلُ خَضيرِ (١)

هىَ دِمْنةٌ خضراء لم يأنَسْ بها ‏ ‏ ‏ ‏ ريم وليس سَرابُها بعَبيرِ

أنّى تقول ولا أخالُك قائلا ‏ ‏ ‏ ‏ العَيْرُ عَيْرِى والنَّفيرُ نفيرِى

صدقتْ بناتُ الفكرِ فيما ألفتْ ‏ ‏ ‏ ‏ إن العَباءةَ عندكم كحَبيرِ (٢)

ما للفِراسةِ لم تُصدِّق فيكمُ ‏ ‏ ‏ ‏ والألمعيةُ لم تُعنْ بنَصيرِ (٣)

***

ومنها ، وهو محلّ الشاهد :

فوَ حقِّ سَلْوتىَ التى قد أصبحتْ ‏ ‏ ‏ ‏ بَرْداً على كبدى لكل عَسيرِ (٤)

هذا فؤادى مِلْءُ صدرى حزْنه ‏ ‏ ‏ ‏ وأنَا بجَفْن فى السُّلوّ قرير

ومَناكِبى أمستْ تلائم مضْجعى ‏ ‏ ‏ ‏ ثم ارْعَويتُ فما استعفْتُ زفيرى

وغدوتُ أضحك مِلْءَ فىَّ تعجُّباً ‏ ‏ ‏ ‏ حين استمرّ على البِعاد مَريرى (٥)

---

(١) فى ب : « كلا ولا للروض » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « إن العبادة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والحبير : البرد الموشى .

(٣) فى ب : « لا تصدق فيكم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « فوحق سلوانى » ، والمثبت فى : ا ، ج (٥) المرير من الحبال : ما اشتد فتله ، واستمر : اشتد وقوى .

وتصافحتْ يُمْناىَ باليَسَرِ التى ... قد كانتا فى غِلّ خيرِ خبيرِ[١]

وتبدّلتْ عيناىَ أحسن مَنظراً ... وهى الصحائفُ فى دُجى وبكُورِ[٢]

للهِ أنتَ وما صنعتَ فإنّمـــا ... أنقذتنى من هُوّةٍ وسعـــيرِ

وكذاكَ ينجُو ذو الصداقةِ فى الهوى ... وكذا بذنبِ بذنْبِى مغفورِ[٣]



---

(١) سقط من ب من قوله : «باليسر . . » إلى قوله : « وتبدلت عيناى » فى البيت الثانى ، وهو فى : ا ، ج . (٢) فى ج : «وتبدلت عيناى» ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ا : «وكذاك ينجى ذو الصبابة فى الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٧٤

ولده عبد الوهاب (*)

المفتي بحق ، والسامي على رتبةٍ هو بها أحق .

فقيهُ المذهب النُّعماني ، ومن توفَّرتْ له في الشبيبة الأماني .

فأشير إليه بالجلال ، وأُثْنِيَ عليه بكرَم الخِلال .

لم يزَل يصِلُ في الجِدِّ الليلةَ باليوم ، ويعتاض في الاشتغال السهرَ من النوم .

ويُنفق من الزَّاد ، فيخزن في الفؤاد .

والعلم كما عرَفتَ بعيدُ المَرام ، لا يُرى في المنام ، ولا يُورَث عن الآباء والأعمام .

حتى بلغ مَبْلغًا يقصُر عنه أملُ المتطلِّع ، وحلَّ محلًّا تنقطع دونه رغبة المتطمِّع [1] .

(*) عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الفرفوري ، الدمشقي ، الحنفي .

ولد سنة اثنتي عشرة بعد الألف .

واشتغل على : عبد اللطيف الجالق ، والشريف الدمشقي ، وأخذ الحديث عن عمر القاري .

ثم لزم العمادي المفتي ، ومال إليه العمادي بكليته ، فصيره معيد درسه ، في « صحيح البخاري » .

فرغ له أحمد بن شاهين عن تدريس الجقمقية ، ودرس ، وأفاد ، وتولى النيابة الكبرى مرات متعددة ، ونال رتبة الداخل .

ولما ولي الوزارة أحمد باشا الفاضل ، صيره مفتيا بالشام .

توفي سنة ثلاث وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، بجانب مزار الشيخ أرسلان .

خلاصة الأثر ٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٦٠ — ٦٣ .

(١) في ب : « المتطامع » ، والمثبت في : ا ، ج .

ونزل من القلوب بمنزلةٍ هى المُصافاة بين الماء والرَّاح ، وأورد العيونَ الرياضَ وأورد القرائحَ القَراح .

فللنَّواظِر فيه مَرْتَع ، وللخواطر منه[1] مُتمتَّع[2] .

وله الأيادِي البِيض ، والطَّوْلُ الطويل العريض .

بارَتْ يداه السُّحْبَ فارْتجعتْ ... عنها ووابلُ وَدْقِها وَشَلُ

فالرعْـــد فى أحْشائِها قَلِقٌ ... والبرقُ فى حافاتِها خَجِلُ

ثم وَلِىَ الإفتــاء فأدَّيَتْ أمانةٌ إلى أهلها ، وجاءته النِّعَمُ تَتْرَى ولكن على مَبلِها .

فلم يلبث حتى تضمَّنه ضريحُه ، وسَفَتْ عليه رِيحُه .

فلا زالت السحائبُ الحوامل ، تضَع مَشْهد قبرِه كلَّ طَلٍّ ووابِل .

* * *

وله شعر ليس مثله عليه بمستنكَر ، فالإتيان به غيرُ مُستكثَر .

فمنه قوله :

قد يلْبس الشعرَ شوقى تارةً حُلَلاً ... كوشْيِ صَنْعاء يزهو فوق حَسْناء[3]

وتارةً ليس تَمْلِى فيـــه مجتمِعاً ... فيعْتريه فتـــورٌ عند إلْقائي[4]

* * *

وقوله[5] :

دَعِ الحبَّ إن الحبَّ للعقلِ سالبُ ... وعِشْ خالياً فالحب فيه النَّوائبُ[6]

---

(١) فى ج : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « مسمع » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج . (٤) فى ا : « عند الالقاء » ، وفى ب : « عند لقياء » ، والمثبت فى : ج . (٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ . (٦) فى ا : « فالحب فيه نوائب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

فلا يصْلُحَنْ إلَّا لمثْلى فإننى فتًى دون نَعْلَيْه السُّها والكواكبُ
فمَن كان مثْلى كان بالحبِّ لائقًا وإلَّا غصبٌ بالصبابةِ لاعبُ

* * *

وقوله[1] :

إن غبتَ عن ناظرِي يامَن كلِفتُ به فما أراك عَقيبَ الآن فى عمرِى
لأنّ عينىَ تجرى بعد فُرْقتِكمْ دمًا ويتْبعُه ماطُلّ من بَصَرِى[2]

* * *

وقوله من الرباعيات :

واللهِ وحقِّ مُحكَماتِ السُّوَر ما غبتَ عن الفؤادِ بل عن بَصَرِى
من منذ غَدوْتُ فى هواكم دَنِفًا أيامُ نَواكَ لم تكنْ من عمرى

* * *

وكتب إلى جَدِّى محبِّ الله[3] :

يامَن أياديهِ سحابٌ ممطرٌ ولديْه حاتمٌ فى السَّخا لا يذكَرُ
وعليه من سِيَا الكرام دلالةٌ وشواهدٌ تبدُو عليه وتظهرُ[4]
طوّقتنى من راحتيك بمِنّةٍ أضحتْ على طُول الليالى تُنشَرُ[5]

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ .
(٢) فى ب : « ما ظل من بصرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٣) ستأتى ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٨٠ .
والأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ .
وهى أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦١ ، وذكر ابن شاشو أن الفرفورى كتبها للمولى عبد الرحمن العمادى .
(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وشواهد تبدى لديه وتظهر » . (٥) فى ب : « على طول الليالى تنثر » . والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

لم أَقضِ حقَّ ثنائِها لو أنَّ لى في كلِّ جارحةٍ لسانًا يشكرُ [١]

* * *

وله :

أنا واللهِ ما الجفاءُ غرامى لا ولا الهجرُ والصدودُ مرامِى

ولئِنْ غِبتُ عنكمُ ففؤادِى مثلُ ماتعهدون بل هو نامِى

* * *

وله [٢] :

للهِ بدرٌ قد حكى بخدودِهِ وردَ الرُّبى وشقائقَ النُّعمانِ

وبثغره زهرَ الأقاحِ منضَّدٍ وبقدِّه الميَّاسِ غصنَ البانِ

وبطيبِه طيبَ الرياضِ ونشرَها وبصُدغه للآسِ والرَّيحانِ

وإذا محاسنُه بدتْ لعيونِنا تُجْلَى فلا نحتاجُ للبُستانِ [٣]

* * *

هذا فيه سِماتٌ [٤] من قول جَحْظَةَ البَرْمَكِى [٥] :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في سائر الأصول ، والمراجع المتقدمة ، وفي ا ، ج : « لسان يشكر » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « لسانا يذكر » ، والمثبت في خلاصة الأثر . (٢) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/١٠١ . (٣) في ب : « فلا نحتاج لبستان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ا : « شمات » ، وفي ب : « شمامة » ، والمثبت في : ج . (٥) أبو الحسن أحمد بن جعفر ابن موسى البرمكي ، المعروف بجحظة .

راوية ، شاعر مليح الشعر ، يعرف الموسيقى ، ويجيد الغناء .

نادم ابن المعتز ، والمعتمد .

وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين .

تاريخ بغداد ٤/٦٥ ، معجم الأدباء ٢/٢٤١ ، وفيات الأعيان ١/١٢٦ ، ترجمة رقم ٤٤ .

خِلْتُه فى المُعصفَرات القَواني   وردةً فى شقائقِ النُّعمانِ

أنتِ تُفّاحتى وفيك مع التفّا   ح رُمّانتانِ فى غُصْنِ بانِ

لا أرى فى سِواكِ مافيكِ من طِيـ   ـبٍ ومن بهجـــةٍ ومن رَيْحانِ [1]

وإذا كنتِ لى وفيك الذى فيـ   ـكِ فمـــا حاجتى إلى البستانِ [2]



---

(١) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وفى : ا : « فلا حاجتى » .

بيت القاري

من البيوت التي تقلّد نحرَها جِيدَ الدهر ، واكتسب النسيمُ بعَرْف ثَراها (١) أَرَجَ الزَّهْر .

مدائحهم كصحائف المحسنين بَياضاً ونقَا ، وذِكْراهم كعهد المُوقنين وفاء وتقى .

فمنهم :



---

(١) في ب : « ثناها » ، والمثبت في : ا ، ج .

٧٥

عمر بن محمد *

علَمُ فضلٍ وإنصاف ، وشرَف نُعوت وأوصاف .

افتخَر به [١] الآباء والبَنُون ، وتجمَّلتْ بفضائله الشهورُ والسِّنون .

شهرتُه من العلم شُهرةُ القمر ليلةَ بَدْرِه ، ومحلُّه من الكمال حيثُ يستمِدُّ كلُّ ذي قدرٍ قدرَه .

عمرَ الله به دارَ ابنِ عامر [٢] ، وجاد نافعُ [٣] نَوالِه فهو لمستنجِد

(*) زين الدين عمر بن محمد بن أحمد ، وقيل عبد القادر ، القارى ، الشافعى ، الدمشقى .

ولد سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .

وقرأ على كثيرين ، منهم : العماد الحنفى ، والنور النسفى ، ومحمد التنورى الميدانى ، وعبد الملك البغدادى ، والبدر الغزى ، والشهاب أحمد بن أحمد الطيبى .

وبرع فى فنون كثيرة ، حتى صار من أجلاء الشيوخ بالشام ، وكبير العلماء ، وصدر الشيوخ ، وانتفع به كثيرون ، منهم : أحمد بن شاهين ، وعبد الوهاب الفرفورى ، والسيد محمد بن حمزة النقيب .

ودرس بالمدرسة الشامية الحوانية ، وكانت له بقعة تدريس فى الجامع الأموى .

ونال جاها وثروة ؛ بسبب أوقاف انتقلت إليه ، وانحصرت فيه .

توفى سنة ست وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

تراجم الأعيان ٢ / ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٣/٢٢٣ ـ ٢٢٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٣ ، ٨٤ .

(١) فى ب : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبى .

أحد القراء السبعة ، تولى قضاء دمشق .

وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائة .

تهذيب التهذيب ٥/٢٧٤ ، طبقات القراء ١/٢٣ ، ميزان الاعتدال ٢/٤٤٩ .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وهو نافع بن بن عبد الرحمن الليثى المدنى .

أحد القراء السبعة ، أقرأ الناس نيفا وسبعين سنة .

توفى بالمدينة ، سنة تسع وستين ومائة .

طبقات القراء ٢/٣٣٠ ، وفيات الأعيان ٥/٥ .

عاصم[1] ولمجتديه غامر .

وبالجود تحوز المدحَ الأفاضل ؛ كما أن الرياضَ تمدح فيها البلابل .

تحلّتْ بفضائله للعلوم نحور ، وتجلّت له منها وِلْدان وحور .

سطور شيَمِ نُظِمت لآليها[2] من الدُّرِّ النَّثير ، إذا رأتها الأنام اشتغلت بالتَّسْبيح والتكبير .

* * *

وله أدب توشّمت[3] بصنعةِ السحبِ وشائمه ، وبلغ كلا الخافقين مشهورُه وشائعه[4] .

وهو في القَرِيض قليلُ الكلام، إلا أن كلامَه يَكْتَسِب لتشريف الصحفِ والأقلام.

فمن شعره قوله[5] :

لولا ثلاثٌ هنّ أقصى المُنى ... ما اخترتُ أن أبقى بدار النَّفادْ

تهذيبُ نفسي بالعلوم التي ... بها تمهّد نِلْتُ جميعَ المُرادْ

وطاعةٌ أرجو بإخلاصها ... به تُشرقُ أرضُ الفؤادْ

كذاك عِرْفانُ الإلهِ الذي ... لأجلِه كان وجودُ العبادْ

فأسألُ الرحمنَ بالمصطفى ... وآلِهِ التَّوفيقَ فهو الجوادْ[6]

* * *

(١) أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي .
أحد القراء السبعة ، تابعي ، محدث .
توفي سنة سبع وعشرين ومائة .
تهذيب التهذيب ٥/٣٨ ، طبقات القراء ١/٣٤٦ ، ميزان الاعتدال ٢/٣٥٧ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٤ .

(٢) في ا : « لياليها » ، وفي ب : « لالاليها » ، والمثبت في : ج .

(٣) توشمت : تحسنت . (٤) الوشائع : جمع الوشيعة والوشيع ، وهو علم الثوب ، أي زينته .

(٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٢٢٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٣ ، ٨٤ ، وذكر ابن شاشو أنه قالها في أواخر أمره .

(٦) في ب : « فأسأل الرحمن من فضله * وله التوفيق . . . » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

هذه الثُّلاثيَّات نظَم فيها كثير من المتقدِّمين والمتأخِّرين .

فمنهم ابن صابر القَيْسِيّ ، قال :

لولا ثلاثٌ هُنَّ واللهِ مِنْ ... أكبرِ آمالي من الدنيا

حجٌّ لبيْتِ اللهِ أرجُـــو به ... أن يقبـــلَ النِّيَّةَ والسَّعْيا

والعلمُ تحصيلاً ونشْراً إذا ... رَوَيْتُ أوسعتُ الورى رأْيا

وأهـــلُ وُدٍّ أسألُ اللهَ أن ... يُمْتِع بالبُقْيا إلى اللُّقْيا

ما كنتُ أخْشَى الموتَ أنَّى أتى ... بل لم أكنْ ألتــــذُّ بالمحْيا

* * *

ومثله لأبي حيَّان :

أما إنه لولا ثلاثٌ أحبُّهـــا ... تمنَّيْتُ أنِّي لا أعَـــدُّ من الأحْيا

فمنهـــا رجائي أن أفوزَ بتوبةٍ ... تُكفِّر لي ذَنْبا وتُنْجِح لي سَعْيا

ومنهنَّ صَوْنُ النفسِ عن كلِّ جاهلٍ ... لئيم فلا أمْشي إلى بابه مَشْيا [1]

ومنهنَّ أخْـــذِي بالحديث إذا الورَى ... نسُوا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعوا الرأْيا [2]

أأتْرُكُ نصًّا للرسولِ وأقْتَـــدي ... بِشخصٍ لقـــد بُدِّلْتُ بالرُّشْدِ الغَيَّا

* * *

وكتب مقرِّظا على نظم [3] :

تأمَّلْتُ ذا النظمِ البديعِ وما حَوَتْ ... معانيه من حسنِ الصياغةِ والسَّبْكِ

فشاهدتُ رَوْضًا بالفضائلِ مُزهِراً ... وعايَنْتُ دُرًّا قد تنظَّم في سِلْكِ [4]

---

(١) في ب : « ومنهم صرف السمع » ، وفي ج : « ومنهن صون السمع » ، والمثبت في : ا ، والديوان .

(٢) في ب : « إذا الروا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ .

(٤) في ا : « وعاينت روضا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

٧٦

حفيده محمد بن على (*)

هو من بحْرِه خَليج ، ولرَوْضه عَرْف وأرِيج .

بأنْوارِه تُحاسَنُ الأقمار ، وبأمْداحه تُعطَّر الأنْديةُ والأسْمار .

فهو شِربٌ سائغٌ بلا كَدَر ، وسَمَرٌ مُمْتِع بلا سَهَر .

وصِحّةٌ فى نعمةٍ عَقِيبَ (1) مَرَض ، وفَرْحةُ رَامٍ أصِيب بسهْمه غرَض .

* * *

وله شعر كالزُّلال النَّمير ، إذا صافح الأسماعَ تَبسم له القلبُ والضَّمير .

فمنه قوله (2) :

خلتْ العيونَ الرَّامياتِ بأسهمٍ ... يَجْرحْنَ قلباً بالبِعادِ مُعذَّبا (3)

فاعْجَبْ لِلَحْظٍ قاتِلٍ عشَّاقَه ... فى حالتَيْـه إذا مضَى وإذا نبَا

* * *

(*) محمد بن على بن عمر القارى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة إحدى عشرة وألف .

وقرأ على جده ، وعلى المفتى فضل الله بن عيسى البوسنوى ، وتلقى على كثيرين ؛ منهم : الشرف الدمشقى ، وعبد اللطيف الجالقى ، وأبى العباس المقرى ، والمولى عبدالله بن محمود العباسى .

فرغ له جده عن المدرسة الشامية الجوانية ، فدرس بها برتبة الداخل .

وولى قضاء الحج ، سنة إحدى وخمسين وألف ، وسافر إلى الروم ، ونال جاها وحرمة بين أقرانه .

وقد سقط تاريخ وفاته من خلاصة الأثر ، وذكر المحبى أنه دفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٥٤ ، ٥٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٤-٨٦ .

(1) فى ج : « عقب » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(2) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٥٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ .

(3) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « يجرحن قلبا بالفراق معذبا » ، وفى خلاصة الأثر : « بالبعاد معذبا » .

وهذا معنى جيِّد جدا ، وهو ينظر من طَرْفٍ إلى قول ابن الرُّومِيّ [١] :

نَظَرَتْ فأقْصَدَتِ الفُؤادَ بسهمِها ثم انْثَنَتْ عنه فكاد يَهِيمُ [٢]

وَيْلاَىَ إن نَظَرتْ وإن هى أعْرَضتْ وَقْعُ السهامِ ونَزْعُهنَّ أليمُ [٣]

وقد لطُفَ [٤] الخَفَاجِيّ ، وأجاد كل الإجادة فى قوله :

سِهامٌ جُفونِهِ أعْرَضْنَ عنِّى فأسْرعَ فَتْكُها ونَما جَواهَا

فيالَكِ أسْهُماً تُصْمِى الرَّمايَا إذا قصَدتْ إلى شىء سِواهَا



(١) البيتان فى : التمثيل والمحاضرة ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ ، دون نسبة فى الأخير .

(٢) فى التمثيل والمحاضرة ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « فأقصدت الفؤاد بأسهم » ، وفى التمثيل والمحاضرة : « فظل يهيم » .

(٣) فى الأصول : « وإن هى أقصدت » ، والمثبت فى المراجع السابقة .

(٤) فى ب : « تلطف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٧٧

حسين بن محمد (*)

فَرعٌ طاب منه جَنَى ومهتَصر ، فلو طلبت ماء الحياة لوجدته من صَباحته يُعتصَر .

خَلَقه الله نُوراً مصوَّرا ، وأطلع غصنَ كمالِه غضّاً منوَّرا .

بوجه يتْبَعه التهليل والتكبير عند شُروقه ، وحسنِ أداء يشْربه السمعُ فتدبُّ نشوة الحميَّا في عروقه .

في كل نادٍ منــــه روضُ ثَناء وبكل خدّ منه جدولُ ماء (١)

ووجْهُه المشرق بالجمال ، يصف مافيه من أنواع الــكمال .

وقد عشق الأدبَ وزهرةُ (٢) حسنه في أول ما انفتقت عنها الــكِمامة ، فما ناهَز العشرين إلا وتسامت لوائحُ فكره من أن تحجبَها الغمامة .

فهنالك (٣) ماتشاء من نوادرَ مرتجلة ، وآثارٍ بأحْسن القول متَّصِفة .

إن خطَّ فنَقْشُ العيد ، على مَعاصم الحسان الغِيد .

وإن لفَظ فجوهر العقود ، وعصير الخمر من (٤) العنقود .

إلا أنه لم تُلمحْه المُقَل ، حتى اختار الملأ الأعلى فانْتقل .

(*) حسين بن محمد بن على القارى ، الحنفى ، الدمشقى .

أديب فاضل ، صاحب نوادر .

نشأ في كنف أخيه أحمد ، وتلقى عن إبراهيم بن منصور الفتال ، وغيره .

ودرس بالمدرسة الجهاركسية ، بصالحية دمشق .

توفى سنة سبع وسبعين وألف ، عن سبع وعشرين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٨٦ ـ ٨٩ .

(١) في ا : « روض ثنا » ، وفي ج : « روض ثنى » ، والمثبت في : ب .

(٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٣) في ا : « فهنالك » ، والمثبت في : ب ، ج

(٤) في ب : « عن » ، والمثبت في : ا ، ج .

فقامت النّواعِي يندُبْنَ بدرا في أول كَماله خَسَف ، ويبكين غصناً في ابتداء نَضْرته قَصَف .

فحيَّتْ ثَرَايا ضَمَّه سُحُبُ رحمـــةٍ   ليخْضلَّ روضٌ جسْمه فيـه موضعُ

***

فمما اخترته من شعره قوله [1] :

أُفْديه ظَبياً بالشراب مُولَّعـــا   يترشَّف الأقْداحَ وهْــو الأكْيسُ

فكأنه البــــدرُ المنير إذا بدَا   من نُور طَلْعته أضاء المجلسُ

***

وقوله مضمنا [2] :

بالله سَلْ طَرْفِيَ السهرانَ هــل هَجَعا   ومابه الوجـدُ والتبْريحُ قد صنَعا [3]

قد حدَّث الناسُ عن مُضْنَى الهوى دَنفا   وما أصابُوا ولكن شنَّعوا شَنَعا

يابْنَ الكرام ألا تدْنو فتُبصر ما   قد حدَّثوك فما راءٍ كمن سمِعا

***

هـذا البيت مما أكثر تضمينه قديما وحديثا ، ولا أدرى لمن هو [4] . وفيه عَكْس التشبيه : إذ ليس السامع أرْق حالا من الرائى ، وبه يتم غرَض الشاعر الذى استدلَّ لأجله .

***

ومن شعره قوله [5] :

زار وَهْنــــا مُرنَّحَ الأعْطافِ   بعد أن كان مائلا للْخلافِ

---

(١) البيتان في : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . (٢) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/١١٣ . (٣) في خلاصة الأثر : « ومابه العشق والتبريح » . (٤) لم يذكر العيني أيضا في شرح الشواهد لمن هذا البيت . انظر حاشية الصبان ٣/٣٠٢ . (٥) الأبيات في : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٨٦ .

كم على صُدْغِهِ وراحَ لَماهُ ... رُحْتُ سكرانَ سالِفٍ وسُلافِ [(١)]

صَدَّ ظُلْماً ولم يكن لِيَ ذنْبٌ ... غيرُ دمعٍ أذاعَ ما هو خافِ

أيها العاذِلُ الجهولُ تأمَّلْ ... في مُحيَّاهُ ثم قُلْ بخِلافِ [(٢)]

* * *

ومما رأيته منسوبا إليه ، ولا [(٣)] أتحقَّقه [(٤)] :

أُنادِي إذا نامَ الهَجِيعُ تأسُّفاً ... وقلبيَ من بين الضلوعِ كَلِيمُ [(٥)]

هنيئاً لِطَرْفٍ فيك لا يعرِفُ الكرَى ... وتَبّاً لقلبٍ ليس فيك يَهِيمُ [(٦)]

* * *

ومن رباعياته قوله [(٧)] :

إن جُزْتَ بحيِّ مُنْيتي حَيِّيهِ ... وأَخْبِرْهُ من المحبِّ ما يُرْضِيهِ [(٨)]

إن زار فقد حَيِيتُ في زَوْرته ... أو صَدَّ فإن مُهْجتي تَفْدِيهِ [(٩)]

---

(١) في خلاصة الأثر :

كم بأصداغِهِ وراحِ لَماهُ ... رحتُ نَشْوانَ سالفٍ وسُلافِ

وفي ب : « سكران سالفا » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « ثم قل بخلاق » . (٣) في ب : « ولم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) البيتان في : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، وفيه : « وأنشدني قوله أيضا : » ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أنادي إذا نام الخلي تأسفا » . وفي ا : « أناديك إذا نام الهجيع » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لقلب فيك ليس يهيم » . (٧) خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . (٨) في خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « عن المحب » .

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « فقد حييت من زورته » .

بيت الحسب

بيت أبى وجَدِّى ، ومَنْبِت عِرق مَحتِدى ومجدى .

ارْتضعتُ دَرَّه واغتذيْت ، وإلى فضلِه انْتسبتُ واعْتزيت.

والمجدُ ما افتخرت به [١] العرب من القدم .

وإنِّى من العرب الأقْدمين ... وقد مات من قبل خَلْقِى الـكَرَمْ [٢]

وفى كَرَم العِرْق بالمَنْبِت الطيِّب ، عَوْن على أثْمار تروّتْ بالعارِض الصَّيِّب .

فأنا إذا افْتخرت هزَّتْنى أرْيحيَّة الطَّرَب ، ونافستْ بآباء تملَّكنى عنـد ذِكْرِهِم حَمِيَّةُ العرب .

أولئك آبائى فَجِئْنى بمثلِهم ... إذا جمعتْنا ياجريرُ المَجامِعُ [٣]

---

(١) فى ب : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) البيت فى ريحانة الألبا ١/٤ ، ٢/٧ ، وروايته فيه :

فإنِّى من العرب الأكرمين ... وفى أوَّلِ الدهرِ ضاع الـكرمْ

(٣) البيت للفرزدق . ديوانه ٥١٧ .

فأول من سكن منهم الشام ، وشام من بارق إقبالها ماشام :

٧٨

القاضي محب الدين*

فضاهى بغزارة علومه أنهارها ، وأخجل بمنثوره ومنظومه أزهارها .

بماذا أصفه وأحليه ، وأى منقبة من الجلالة أوليه .

وأطراف القلم بنعوته لاتحيط ، حتى ينزح بمناقير العصافير البحر المحيط .

إمام أئمة الفنون ، المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون .

فكان بالشام علمها الذى يهتدى به المبتدى ، ومقتفاها الذى يقتدى به المقتدى .

فتدانت[١] به القلوب المتباعدة ، وتلاقت الآمال المتواعدة .

فما ولدت أرحام الأرض من حفال[٢] الأزهار والنبات ، التى أرضعتها الخضراء بدر أخلاف الأمطار وهى فى حجر الصبا وحضانة النسمات .

ألطف من شمائله التى عطرت أردان الصبا ، وأعادت للغاب نشوة الصبا فصبا .

ولم يزل يحلى الليالى العواطل ، وتدين تسقيه السحب الهواطل .

ويبدع فى آثاره صدورا وأعجازا ، ويطلع رسائله مملوءة بلاغة وإعجازا .

حتى رداه[٣] الردى ، وعداه الحمام من ذلك المدى .

(*) محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين بن داود الحنبلى .
جد والد المؤلف .

(١) فى ا : «فدانت» ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) الحفال : الكثير المجتمع . وفى ب : «طفال» ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ا : «راده» ، والمثبت فى : ب ، ج .

فأنار الله مثواه ، وجعل الجنة مأواه .

* * *

تخلفه ثلاثة فتيان ألف المجد بينهم ، فإن قلت أين الحسن فانظر أيهم .
فالأوسط من مرض الشعر فى عافية ، لكنه قعد[1] على طريق[2] القافية .
وأما الكبير ، وهو :



(١) فى ا : « قدر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « الطريق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٧٩

عبد اللطيف*

فعظيم الأرومة ، ورونق المزيّة المرومة .

أنبت خَطّيّها[1] وشيجه ، وقوّم أغصانَها تخريجُه .

يفترع الهضاب ببُعد همّه ، ويُصيب الأغراض بمُسدَّد سَهْمِه .

أصيل الرأى والحزْم ، مَلِيّ[2] التدبير والعزم .

ضاعف الله له نِعَما يتقبّلها ، مازال يُوفى على ماضيها مستقبلُها .

بهمّة ترى الدنيا هبات مقسومة ، ونُقطة من نُقط الدائرة موهومة .

وفكر يغرف من بحر ، وعنده يصغر عمرو بن بحر[3] .

فوصْفُه واسع المجال ، ومثْلُه قليل في الرجال .

(*) عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين الحنفي ، القاضي .

ولد سنة ست وستين وتسعمائة .

وقدم مع والده إلى الشام، فحضر عند البدر الغزي، وأخذ عنه، وله مشايخ كثيرة سافر إلى الروم ، ومدة بقية المجاورة ، وهناك صحب السلطان مسعود بن حسن بن أبي نمي ، وصار له حظوة عندهم ، ومدحهم بقصائد .

ثم عاد إلى دمشق ، وسافر إلى الروم ، ثم تولى قضاء حماة ، وأخيرا استقر بدمشق يدرس بالشامية ، والظاهرية .

وله مؤلفات ؛ منها : تفسير على سورة الفتح ، وكتاب جمعه في خمسة علوم (التفسير والحديث ، والفقه ، والتصوف ، والأدب) .

توفي سنة ثلاث وعشرين بعد الألف .

تراجم الأعيان ٢/٣٤٥ ، خلاصة الأثر ٣/١٩ ، ٢٠ .

(١) في ا ، ب : « خطها » ، والمثبت في : ج .

والرمح الخطى : منسوب إلى الخط مرفأ للسفن بالبحرين ، تجلب إليه الرماح . معجم البلدان ٢/٤٥٣ .

(٢) في ب : « ملى » ، وفي ج : « على » ، والمثبت في : ا .　　(٣) يعني أبا عثمان الجاحظ .

أسَّس وبنَى ، وعطَف أعِنّة المِدَح وثَنَى .

***

وله أشعار كما اتّسقت اللآلى ، وسفَرت وجوهُ الحسان عن ضوئها المُتلالى .

أثبتُ منها ما تُكتَب بدائعه على الأحْداق ، وتتنافس كَلِمَهُ الأطواقُ فى الأعناق .

فمنه قوله من قصيدة مستهلها :

هى الدار حتّى عهدَها مدمعِى الجارِى	عفَتْ غير سُحْمٍ ماثلاتٍ وأحْجارِ
رسومٌ محاها كلُّ سافٍ وهاطلٍ	فهُنّ كجسمى أو غوامضِ أسرارِى[1]
أقمنا حيارَى سائرين فلم نجِدْ	مُجيباً سوى دمعٍ من البَيْن مِدْرارِ
ولا عجبٌ لو أصبح الدمعُ حائراً	كقلبك فى تلك المعاهد يا جارِى[2]
معاهدُ لا أدرى أمِن طِيبِ تُربِها	نسيمُ الصَّباحيّت أم العنبرُ الدّارِى[3]
وقفْنا بها حتى لِطُول وُقوفنا	تخيَّلتُ أنّا قد خُلِقْنا من الدّارِ
أذَلْنا مَصُونات الدموع بِرَبْعِها	ولمّا نجِدْ من سكّبْنا الدمعَ من زارِ[4]
خلَتْ بعد ما كانت مَناخاً لراكبٍ	ومَلْعَبَ أتْرابٍ ومَجْمَعَ سُمّارِ
ومَرْتَعَ غِزْلانٍ ترى الصَّيد صَيْدَها	فقُلْ فى غزالٍ يصْرعُ الأسَدَ الضارِى

---

(١) فى ب : « كل ساق وهاطل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « لو أصبح الدير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « لو أصبح الدمع جاريا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « فى تلك المعاهد يا حار » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) بين هذا البيت ، والذى بعده تقديم وتأخير فى : ب ، والمثبت فى : ا ، ج .

والعنبر الداري : نسبة إلى دارين ، وهى فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ .

(٤) فى ا : « من سكبنا الدمع من زارى » ، وفى ج : « من سكبنا الدمع من ثار » ، والمثبت فى : ب .
وأذال مصونات الدمع : ابتذلها .

وعصرِ تَصابٍ قد فُجعتُ بفقْدِه وماضي شبابٍ رحتُ من حَينِه عاري[1]

لئن قصُرتْ أيامُــــه فلَشدَّ ما تولّت وأبقتْ طولَ بثٍّ وتذكارِ[2]

ألا في أمانِ الله عصرٌ لفقْـــدِه من العيش واللّذاتِ قلّمتُ أظفاري

وقلتُ لداعِي الغيِّ نكِّبْ فطالما لغيرِ رضَى الرحمن أشغلتُ أفكاري

***

وقوله ، من قصيدة أخرى[3] ، يمتدح بها أستاذه محمد بن محمد بن إلياس ، المعروف بابن جوى ، مفتي السلطنة :

عوّضتَ معروفاً عن اليأسِ يا خادماً بابَ ابنِ إلياسِ[4]

فاصْغَ لما أشرحُ من حالةٍ أسمُو بهـــا ما بين أجناسِ

خدمتُ مفتي العصر وهْو الحيا فلم يدَعْ بِرّى وإيناسِي

وصرتُ في خدمتِه ناعمــاً في نعمـةٍ تُسدَى بلا بأسِ[5]

لا أعرف الهـــمَّ ولا أشتكي خطباً يلِي قلبي بوسْواسِ[6]

فسَيْبُه سيلٌ إذا رُمتَـــه ومجـدُه كالشامخ الراسي[7]

إن كسَر الدهرُ فؤادَ امرئٍ تراه بالجَـــبْرِ هو الآسي

إن رُمْتَ تدري بالنّدَى سَحَّهُ فصَوْبُه مَـــعْ مَرِّ أنفاسي

أما ترى رِقّةَ مدحي له تُغْنيك عن دَنٍّ وعن طاسِ

قد أمرَ الفتـــيحُ بأمرٍ علَى أجبتُه طوعاً على راسي

---

(١) ترك نصب « عاريا » لضرورة القافية . (٢) في ب : « فاشدما » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) في الأصول: «بابه بني الياس» ، ولعل الأولى ما أثبته .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٦) في ا : « قلبا يلي قلبي » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٧) في ب : « فسيبه سبب » ، والمثبت في : ا ، ج .

قـــال لِبنِي الدنيا ألا هكذا ... فليصْنَعِ النـاسُ مع النـاسِ

* * *

البيت الأخير مُضمَّن ، من ثلاثة أبيات للفتح بن أبي حُصَيْنَة[1] .

ولهـا قصة[2] ، وذلك ما ذكر أنه امتـدح نصر بن صالح[3] بحلب ؛ فقال له : تمنَّ .

فقال له : أتمنّى أن أكون أميرا بحلب .

فجعله أميراً ، [4] وخوطب بالأمير ، وقرَّبه نصر ، وصار يحضر فى مجلسـه فى جملة الأمراء[4] .

ثم وهبه أرضا بحلب ، قِبْلِيّ حمّام الواسانى[5] ، فعمرها دارا ، وزخرفها ، وقرنصها ، وأتمَّ بناءها ، وكمّل زخارفها ، ونقش على دائر الدَّرابزين قوله :

---

(١) أبو الفتح الحسن بن عبدالله بن أحمد بن أبي حصينة السلمى .
أمير ، شاعر ، من أبناء معرة النعمان .
انقطع إلى بنى مرداس ، ومدحهم بقصائده ، فأثرى ، وارتفع شأنه .
توفى سنة سبع وخمسين وأربعمائة .
فوات الوفيات ١/٢٣٩ ، معجم الأدباء ١٠/٩٠ .

(٢) القصة والشعر فى : ديوان ابن أبي حصينة ١/٣٦٠ ، ٣٦١ ، وزبدة الحلب ١/٢٧١ ، ٢٧٢ ، وفوات الوفيات ١/٢٤٠ ، ٢٤١ . ومعجم الأدباء ١٠/٩٩ ، ١٠٠ .
ولعل المحبي نقل القصة والشعر عن ابن شاكر ، فبينهما تقارب كبير فى الرواية .

(٣) فى فوات الوفيات : « نصر بن أبي صالح » ، وفى معجم الأدباء أنه محمود بن صالح .
وهو شبل الدولة نصر بن صالح ابن مرداس الكلابى ، صاحب حلب .
قتل فى معركته ضد الجيش الفاطمى ، سنة تسع وعشرين وأربعمائة .
الكامل لابن الأثير ، حوادث سنة ٤٢٩ هـ .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٥) فى ا ، ج : « الواشانى » ، وفى ب : « الوشانى » ، والمثبت فى المصادر السابقة .
وذكر محقق ديوانه ، أن حمام الواسانى معروفة ، كانت جارية فى وقف الحاج موسى الأميرى ، قرب خان الوزير ، وقد درست اليوم . راجع حاشية الديوان .

دارٌ بنيناها وعشنا بها … فى نعمةٍ من آلِ مِرْداسِ[1]

قومٌ محَوْا بُؤْسى ولم يتركوا … علىَّ للأيام من باسِ[2]

قل لبنى الدنيا ألا هكذا … فليصْنع الناسُ مع الناسِ[3]

فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصرَ بن صالح .

فلما أكل الطعام ، ورأى الدار ، وحسنها ، وحسن بنائها ونقوشها ، وقرأ الأبيات ؛ فقال : يا أمير ، كم خسرت على هذه ؟

فقال : والله يامولانا ما للملوك علم ، بل هذا الرجل وَلِىَ عمارتها .

فلما حضر المِعْمار ، قال له : كم لحِقكم غرامة على[4] هذا البناء ؟

فقال له المعمار : غرِمنا عليها ألفى دينار مصرية .

فأحضر مِن ساعتــه ألفى دينار مصرية ، وثوبَ أطلَس ، وعمامةً مُذهَّبة[5] ، وحصانا أبْلَق ، بطَوْق ذهب ، وسَرْج ذهب ، ودفع ذلك إلى الأمير الفتح ، وقال له :

قُلْ لبنى الدنيا ألا هكذا … فليصْنع الناس مع الناس[6]

* * *

وقد ضمَّن هذا البيت القاضى شهاب الدين بن حَجَر ، فى مدح البدر الدَّماميِنى ، [7] فأحسن جدا حيث قال[7] :

---

(١) هذه الرواية توافق ما فى زبدة الحلب ، وفى فوات الوفيات ، ومعجم الأدباء : « فى دعة من آل مرداس » . (٢) هذه الرواية أيضا رواية زبدة الحلب ، وفى الفوات والمعجم : «على فى الأيام من باس» .
(٣) فى الفوات : « فليفعل الناس بالناس » ، وفى معجم الأدباء :

* فَلْيُحْسِنِ الناسُ إلى الناسِ *

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٥) فى ب : « مدهنة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) أعاد ابن شاكر ، وياقوت هنا روايتهما السابقة لعجز هذا البيت . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

نسيتُ أن أمدح بدرَ العُــلَى ... فلم يدعْ بِرِّى وإينــاسِى
قُل لبنى الدنيا ألا هــكذا ... فليصنعِ الناسُ مع الناسِ (١)

* * *

وله يصف منتزها فى الروم ، بالقرب من أق بابا :

حللت بالرُّوم دَوْحا هـاج أشجانى ... حَنَى علىَّ بخـيْراتٍ وإحسانِ (٢)
حوَى مع الأُنْس ما يُسلِى اللبيبَ به ... عن ادِّكارِ شآمٍ أو خُراســانِ (٣)
مجامرُ الزَّهر فى أرجائه نفَحَتْ ... والوُرْق قد صدَحتْ فيه بأفْنانِ (٤)
أشجارُه بسَقَتْ أغصانُه اتَّسقتْ ... خِيامَ ظِلٍّ ولكن ذاتُ أفْنانِ (٥)
والسَّرْوُ تختــال فى أزْهَى ملابسها ... كأنهــا الغِيدُ فى قَدٍّ وميلانِ
تُميلها الريحُ إذْ تَثْنى معاطفَهــا ... فتنهبُ اللُّبَّ من أحشاء وَلْهانِ
وقد رأى بَصَرِى من حسنِ رَوْنقه ... أضعافَ ما وصَفُوا فى شِعب بوّانِ (٦)
فدَام يسْقيه فى الأسْحار فيضُ ندًى ... وصوْبُ غيثٍ غزيرِ الهطْلِ هتّانِ (٧)

---

(١) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «حللت فى الروم» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : «ما يسلى الحبيب به» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : «والأرق قد صدحت» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) سقط هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٦) شعب بوان بأرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا ، وقد أورد ياقوت طرفا من أبيات الشعراء فيه ، وغرة ذلك قصيدة المتنبى ، التى بدأها بقوله :

مغانِى الشعبِ طِيبًا فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمانِ

معجم البلدان ١/٧٥١ ، وديوان أبى الطيب ٥٥٧ .

(٧) فى ا : «غزير الظل» ، والمثبت فى : ب ، ج .

٨٠

أخوه محب الله *

هذا أصغرهم الذى أنار الحلك ، والسعد الأكبر بين كواكب هذا الفلك .

وهو جدّى الذى وصل خيره إلىّ ، وفرض الله تعالى حقّه علىّ .

فأنا القائم بآثاره ، وأحمد الله على ما خصّنى به من إيثاره .

صاحب النّسب الوضّاح ، المتقلّد تلك المفاخر والأوضاح .

بنور وجهه جلَى خيْط الظلام بخيْطه[١] ، ومحاسن مجد يهْزن بما كسيْته[٢] من حبْر المديح وريْطه .

أهّله الله لعظيم ما استوفاه ، وهيّأه للاستقلال بما استكفاه .

فأطلق عنان الاعتنا ، وتفنّن فى غرائب الافتنا .

فلم تضق له ساحة[٣] ، ولا قصرت له راحة .

(*) محب الله بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين بن داود الحنفى .

جد الأمين المؤلف .

ولد سنة إحدى وألف .

وقرأ على تلامذة والده ، منهم : عبد الرحمن العمادى ، وغيره .

وأقبلت عليه الدنيا ، وتوفرت له دواعى المعالى ، وملك من الذخائر والتحف مالا يضبط بالإحصاء .

ولى نيابة الشام ، وقسمتها العسكرية ، واشتغل بالتدريس بالمدرسة الناصرية البرانية ، والمدرسة الدرويشية برتبة الداخل ، كما أعطى رتبة قضاء القدس .

وسافر إلى الروم ، فلازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وحظى عنده .

توفى سنة سبع وأربعين وألف ، بدمشق ، ودفن فى تربة أسرته ، قرب جامع جراح .

خلاصة الأثر ٣ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والنظر تراجم بعض أعيان دمشق ٩٨ .

(١) فى ب : « يخيطه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « كسيته » ، وفى ب : « كسينه » ، وفى ج : « كسته » ، ولعل الأولى ما أثبته . (٣) فى ب : « مساحه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والمجدُ يُرشِفه رُضابَه ، والشرفُ يُرقيه هضابَه .

في حَوْزَة مَحُوطة ، وسعادة بالأماني مَنُوطة .

وبه الكفاية في الخطْب إذا عمّ ، والمُلِمّ إذا ألمّ [1] .

إلا أنه لم تطُل مُدّته ، ولم تتوسّع في مُتصرّفاتها عِدّته .

فقُبِض في سِنّ الكهولة ، واسْتوحشتْ [2] لفقْده المنازل المأهولة .

فالله يُحيِّيه في فسيح الرِّضوان ورَحْبه ، ويجعلُ الرحمات المتواليات من حِزْبه وصَحْبه .

* * *

وله نظمٌ أثير ، ودُرٌّ نثير .

أثبتُّ منها ما أحكم نسقًا ورَصْفا ، وتناهى في الحسن تحْلية ووصْفا .

فمن ذلك قوله :

أُفديك يامَــــن حاز قلبي ... مستأثرًا بجميـــعِ لُبّي [3]

قُــــل لي بحقّ أبيك من ... أغْـــراك في تَلَفِي وسَلْبي

هل كان مـــن ذنبٍ فإنّي ... تائبٌ منـــــه لربّي [4]

أو عـــــن دَلالٍ فالذي ... تختـــارُه حظُّ المحبّ [5]

* * *

وله :

في سبيلِ الغـــرامِ قلبي مُعنّىً ... أثخنتْه نِبالُ العيـــونِ جِراحَا

قيّدتْه فليس يرجـــو خَلاصًا ... مِن هـــواها ولا يرُوم براحَا

(١) في ب ، ج : « لمّ » ، والمثبت في : ا .   (٢) في ا : « واستوحش » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ب ، ج : « مستأثر بجميع لبي » ، والمثبت في : ا .   (٤) في ب : « من ذنب » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٥) في ا : « خطب المحب » ، والمثبت في : ب ، ج .

والشاعر هنا يشير إلى نسبته « المحبي » .

يشتكى حُرْقة التبــاعُد حتى علّم الوُرْق فى الرِّياض النُّواحا[١]
وإذا ما أراد كَتْمَ هَــواه زاده دَمْعُ ناظِــريه افتضاحا

* * *

وقوله :

تظنُّ العِدى والظَّنُّ مُرْدٍ ومتْلفُ بأنّى أخشى من عظيم وأفْرَقُ
وهيهات بل عفْو وحِلم وعفّــة وما كُنْت من شيء سوى العارِ أشفقُ
ويبْغون أن أعْطِي قيــاداً ودونه تسيلُ دماء من رجال وتُهْرَقُ

* * *

وكتب لبعض أحبابه :

لو وصفتُ أشـواقى لأعربتُ عن حَصَر ، ماء البيان فى إحصائه[٢] حَصِر[٣] ، وطولُ الباع فى البراعة عند استقصائه قصير .

ولتـكلّفتُ ماليس فى الوُسْع والطاقة ، ولاعْترفتُ مع الوُجْد والغنى فى البـلاغة بالعُدْم والفاقة .

ولأقررْتُ مع القُدرة بالعجز ، ولنَبَا غربُ عَضْبِي وإن كان لَدْنَ الهز .

ولستُ أشرح وَجْداً لايشرح ، وحنيناً مُبرّحا لا يَبْرح .

ولا أصِف دمعا يَـكِفُ ولا يقف ، ولا مقلةً تجافتْ عن الـكرى ولا تجِف .

ولا أُعرِب عن شوق[٤] بنار الصَّبابة يتلهّب ، وقلبٍ على فراش الضَّنَى يتقلّب .

وكيف لى بعدّ مالا يُعَدّ ، وقد غلَب الوجد .

---

(١) فى ب : « فى الرياض النياحا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « إحصـائه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « حصر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « لشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وغاضَ الجَلَد [١] ، وفاضَ الكَمَد .

وخَلَبَ الخَلَبَ وسَلَبَ ، وتغلَّبَ الوجد على القلب فغلَبَ [١] .

وجفا [٢] الجَفْنَ [٣] الكَرى فما كَرّ ، وخانه الصبرُ فما ثبت ولا استقرّ .

ولو أغرقتُ في البَيان لخضت في غِماره ، وغرقتُ في تيّاره ، وعثرت في مِضْماره

وكبَوْتُ ونَبَوْتُ ، وضلِلت وزَلَلْت .

لكنّي حين عجزتُ أوْجزْت ، ولمّا قصَّرت اقتصرت .

فأضْربْتُ عن ضُروبه ، وأعرضتُ عن عُروضه .

واكتفيتُ عن ذِكْرِ كلّه ، بإبْداء بعضِه .

وأشْفقْت على الكتاب من الاحْتراق ، إذا درجْتُــه [٤] على نِيران الأشْواق ،
وطويتُه على لواقح الفِراق .

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٢) في ب : « وجفى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : « جفن » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « أدرجته » ، والمثبت في : ب ، ج .

٨١

محمد بن عبد اللطيف الشهير بالخَلْوَتِيّ *

هذا الفرعُ نتيجة ذلك الأصل ، فلهذا هو في حِدّة الذكاء أمْضى من النَّصْل .

تحقَّق بالعلم الحديث والقديم ، وتصرَّف في طريقه الواضح القويم .

وزهد زُهْد ابن أدْهَمَ [1] ، ورغب عن أن يقبض على درهم .

فتنازعته الحظْوة بين الأمانى والأمان ، ولم تدعْ له أيامه مقترحا على الزمان .

وكان له أخٌ أكبر منه ، إلا أنه في ناحية ، ولا أرى [2] ذاك إلا الشمسَ المنكسِفة وهذا الشمس الضَّاحية .

(*) محمد بن عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين الحنفي ، الخلوتي ، الدمشقي ، الحنفي ، المعروف بشقير .

ولد سنة ثمان عشرة وألف .

وقرأ على : عبد اللطيف الجالق ، وفضل الله بن عيسى البوسنوي المفتي ، ويوسف بن أبي الفتح .

وأخذ عن جماعة كثيرين ؛ منهم : العمادي المفتي ، والنجم الغزي ، والفتح البيلوني ، وعلي القردي الصالحي .

وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ أحمد العسالي .

سافر إلى القدس ، والقاهرة ، وحج من طريق مصر .

وكان فاضلا ، بارعا ، كثير العبادة ، والمطالعة لكتب التفسير والتصوف .

وله رسائل وتحريرات على مواطن من التفسير لطيفة .

توفي سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته بالقرب من جامع جراح .

خلاصة الأثر ٤/١٥ — ١٨ .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التيمي ، البلخي .

عرف بالزهد ، والانصراف عن الدنيا ، مع غنى أبيه وسعة ملكه .

توفي سنة إحدى وستين ومائة .

البداية والنهاية ١٠/١٣٥ ، حلية الأولياء ٧/٣٦٧ ، ٨/٣ .

(٢) في ا : « أدرى » ، والمثبت في : ب ، ج .

وله فى المحاضرة محاسنُ غلبت على الأقمار التمائم ، فهى [(١)] زُهْر لها المحاسن بُروج وزهَرات لها القلوب كمائم .

فأين حلّ فالمحلّ به أنيس ، وهو إذا فارقه عليه حبيس .

***

وله شعر أزهى من الزَّهْر ، وأبهى من الحَباب على النَّهْر .

فمنه قوله :

ذا ربـــعُ دَعْـدٍ بالأجارعِ فارْبَعِ	إن كنت مَن يرعى حقوقَ الأرْبُعِ
لى مقـــالةٌ تسقِى الطلولَ ومَسْمَعٌ	يدعو حمائمَهنّ قولِى أسمـــعِ
فأنا المُجيبُ لهنّ عـــن شجْنٍ وهُنّ	سَجعْن عن طربٍ وفَرْطِ توجُّعِ [(٢)]
ما الصادحُ الجذلانُ مثل النّادبِ الْـ	ـولْهــانِ ذا داعٍ وذلك مُدّعِ
ولقـــد حبسْتُ على الديار ركائبى	والركبُ بين مُودِّعٍ ومُودَّعِ
وكلاهما يرضى بأن يقْضى أسًى	ويكونَ غـــيرَ مُشيِّعٍ ومُشيَّعِ
فلكم جرّعْنا الوجـدَ مُرًّا طعمه	لمّـــا تزايلْنا غـداةَ الأجْرعِ [(٣)]
هى وقفةٌ فى الدار لابلّتْ صَـــدَى	قلبى ولا أرقيْتُ فيهـــا أدْمُعِى
ماذا الذى يُجْديك نَدْبُ معاهـــدٍ	أسَدتْ بهـا هُوجُ الرياحِ الأرْبَعِ [(٤)]
سكانُهــا نقضوا العهـودَ وضيّعوا	ياحافظاً للعهـد غـــيرَ مُضيِّعِ
فاشْمَخْ بأنفِك عـــن أناسٍ خلّفوا	ما أوْعـدوك وحبـــلَ وُدّهمُ دعِ
واشكرْ لأغْـــربةٍ نعَبْن ببَيْنهم	من أسْـــودٍ يدعو الزِّيالَ وأبقعِ [(٥)]

---

(١) فى ا : « فهو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فأنا المجيبهن عن شجو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « مرطعمه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) أسد بالشىء : أغرى به . (٥) فى ا ، ب : « نعبن بينهم » ، والمثبت فى : ج .

والأبقع : الذى فيه سواد وبياض .

واصدِف عن البَرْق اللَّمُوع بأرضِهمْ ... وارقُدْ قَرِيرَ الجَفْنِ غيرَ مُرَوَّعِ (١)

مَنْ شـاقه ريحُ الشَّمالِ فإننى ... لم أُعْطِـه وجهًا ولم أتطلَّعِ

لا ساعَد الرحمنُ قلبًا ذا كرًا ... أيامَ مَن خان العهـودَ ولا رُعِى

النـاسُ بين مُجاهِرٍ لك فى الأذى ... ومُـوارِبٍ تغْـلِى ضمائرُه فَعِى (٢)

أغفلتَ رأيَهم ورُمْتَ رشـادَهم ... أنت الملومُ فذُقْ أذاهم واجْـرَعِ (٣)

قابلتَ جهلَهم بحِلْمٍ واسـعٍ ... قل للقوادحِ عنـد ذاك توسَّعِى (٤)

الفَتَاكَ عينُ الرأىِ فى تدْبيرهم ... لو لم تـكنْ لله لم تتـورَّعِ (٥)

خُلِقوا من الشرِّ الصريحِ وصُوِّروا ... شَرَّ الورى سكنوا بشرِّ الموضعِ

ما للزمانِ جـرى على عاداتِه ... فى رِفعـةِ الأدْنَى وخفضِ الأرْفـعِ

وبنُوه قد جُبِـلوا على أفعـالِه ... فالحر بيْنَهم بحالٍ أشْنعِ

دهرٌ قضى أن لا يطيبَ لماجدٍ ... قُل لليَّـالى ما بدا لكِ فاصْنَعِى

فأعْرِض عن الدهرِ الخَؤُونِ وأهلِه ... وافْزَعْ إلى ربِّ البرايا وارْجِعِ

***

وقوله من أخرى، كتب بها إلى محمد الكَرِيمىّ (٦) :

نراجع إلى الفضلِ أهلَ الـكلامْ ... ونأخذُ عن كلِّ حَبْرٍ هُمامْ (٧)

ونسألُ مِن ساحةِ الأكرمين ... ونخضَـعُ للمجد لا للأنامْ

فنتْبع من رفعتْه النفوسُ ... ونترُك من قدَّمتْه اللئـامْ

---

(١) فى ا : « قرير العين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « وموارى تغلى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ا ، ج : « تغلى ضمائره نعى » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « فذق أذاهم وارجع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « قل للقوادح » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « ألفتك عين الرأى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٦٧ ، برقم ٩ .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٦ ، ١٧ .

(٧) فى خلاصة الأثر : « نراجع فى الفضل » ، وهى رواية أفضل .

فأختـارُ طوراً زوايا الخمولِ وطوراً أحبُّ الأمورَ العظامْ

ترانى على كلِّ حالٍ أرى أسيرَ الهوى ومليكَ الغرامْ

وما جرعَةُ الحب إلا المَنونُ وما لوعةُ الهجرِ إلا الهُيامْ

وما راحـةُ العشقِ إلا العَنا ولا صحةُ الصَّبِّ إلا السَّقامْ

ولى حَسرةٌ بعد أخرى لهـا زفـيرٌ وليس له انْحسامْ

يُذيب الحشا ويُثير الشُّجونَ بنارٍ غدا وَقْدُها كالضِّرامْ[1]

وهل للهوى غيرُ مَن ذاقه فنشكُو له مُرَّ سَمْعِ المَلامْ[2]

ولا كلُّ مَن غاص بحرَ الهوى حوَى مِن جواهِره باغتنامْ

ولا كلُّ مَن قد سما للعـلومِ يقرِّر مُشكِلَها عن إمامْ

فذاكَ هو النَّدْبُ بدرُ العـلومِ ومن لم يزل نورُه فى التَّمامْ[3]

كخِلِّى الـكَرِيمىِّ مَن فضلُه تلفـَّـــــه يافعاً باهْتمامْ

مُهذَّبُ أخـــلاقِ أهلِ الوفا حفيظٌ لعهدِ التقى والذِّمامْ[4]

---

(١) فى ب : « يذيب الحشا بزير الشجون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « مر سمع الـكلام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ا : « بحر العلوم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وفى خلاصة الأثر : « ومن نوره لم يزل فى التمام » .

(٤) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر بعـد هذا تمام القصيدة ، وهو ثمانية عشر بيتا ، وذكر إجابة الـكريمى لها .

٨٢

السيد أبو الأمْداد فضل الله بن محبّ الله *

والدى الذى هو سببُ حياتى الفانية ، تتْبعها حياتى الباقية .

فإنى مِن صُلبه خرجتُ ، وعليه تخرّجتُ .

ولا أعُدُّ من الفضل ، ما كثُر لَدَى أو قَلّ . إلا منه ابتداؤه ، وإليه انتهاؤه .

وكنتُ أطْوعَ له من قلمِه لِكَلِمه ، وأوْفق من[1] بنانِه لبيانه .

ما مِلْت عن نَهْجه ولا تنحيْت ، من حين دَبّيْت إلى حين التحيْت .

أرجو على يديه حسنَ التحلِّى[2] ، والاطِّلاعَ على أسرار التّجلِّى .

حتى أسعدَ فى آخرتى ودنياى ، وأفوزَ بالحسنى فى مَماتى ومَحْياى .

وكان هو حريصاً على فائدةٍ يلقيها علىّ ، وعائدة يجرّ نفعَها إلىّ .

(*) فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين المحبى ، الدمشقى .

والد المؤلف .

ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .

واستكثر فى أوائله من القراءة على أحمد بن شمس الدين الصفورى ، واتصل بخدمة عبد الرحمن العمادى المفتى ، وأخذ عن الشهاب الخفاجى ، فى مصر ، كما أخذ بها عن النور على الأجهورى ، والنور على الشبراملسى ، والشهاب الشوبرى .

رحل إلى حلب ، والروم ، ومصر ، وبيروت ، ودرس بالدرويشية ، والأمينية ، ومدرسة الأربعين وناب فى محكمة الصالحية ، وتولى قضاء آمد ، وبيروت .

وله مؤلفات ؛ منها « شرحه على الآجرومية » ، وهو طويل ، وجمع كتابا من مفردات الأبيات ، يحتاجها المنشىء فى ترسلاته ، ورتبها على أبواب ، وله كتاب التاريخ ، الذى ذيل به على تاريخ الحسن البورينى .

توفى فضل الله سنة اثنتين وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، قبالة جامع جراح .

خلاصة الأثر ٣/٢٧٧ـ٢٨٦ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٩٨ ، ٩٩ .

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ح .   (٢) فى ب : « التحلى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

حتى خصَّنى بتعليم ما تفرَّد به من صنْعة الإنشاء ، وذلك فضـــل الله يؤتيه مَن يشاء[١] .

وأنا فيما ذكرْتُه واصفٌ نفسى ، وأما وَصْفُه فممَّا لا يقوم باسْتيفائه[٢] رَمْسِى ولا نِقْسى[٣] .

إن قلتُ : فاضل . فقد ساواه فى الفضل مَن[٤] سِواه ، أو قلتُ : ماجد. فقد شاركه فى المجد مَن عَدَاه ، وهو تعدَّاه .

وأنا لا أرضى له إلا التوحُّد ، ولا أقبل له إلا التفرُّد .

فإنه من[٥] منذ وُجِد ، إلى أن فُقِد .

لم يزلْ ربيب نعْمة ، غَذِىَّ حِشْمة .

والجاهُ فى زمن أبيه ، يُخْشى من أنفته وتأبِّيه .

والأمْداد فضلُ الله ، لأبى الأمداد فضلِ الله .

وله عَزْمة تلين قَسْوة الدهر الأبِىِّ ، ويتْلى حديثُها كما يُتْلى الحديثُ عن النبىِّ .

إلى بِشْر يترقرق ماؤه فى غُرَّته ، وينفتق[٦] نُور الشرف بين أسِرَّته .

وله كلماتٌ كحديث الصديق ، أو عتيق الرَّحيق ، يجمع لذَّة حلوِ الحديث إلى نَشْوة المزِّ العتيق .

بخطٍّ ينطق من[٧] غير لسان ، ويُفصِح من غير بيَان[٨] .

وشِعرٌ إذا رأيتَه ، روَيْتَه .

ونثرٌ تحفظُه ، حين تلحظُه .

---

(١) ذكر المحبي هذا أيضا ، فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٨ . (٢) فى ا : «به» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) النقس : المداد . (٤) زيادة من : اعلى ما فى : ب ، ج . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٦) فى ب : « وتنفتق » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « عن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ا : « بنان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله تآليفُ ضربت من الإجادة بسَهْم ، وأقرّ لها أهلُ البلاغة من كل شهْم .
هي لعِقْد الفضل واسطةُ النِّظام ، ولمطْلَع المجد بيتُ القصيد وحسنُ الختام .

* * *

فمن شعره قوله ، من قصيدة مطلعها [1] :

حديثُ غرامى فى هواكَ صحيحُ ... وقلبى كأقوال الوُشاة جريحُ
وشوقى إلى لُقياكَ شوقُ حمامةٍ ... لها فوق أفْنان الغصون صُدوحُ [2]
فتندُبُ أطْلالا لهــا ومعاهداً ... وتظهِر أشْجانا لها وتصيحُ [3]
فلا مؤنسٌ فى الدار لى غير صوتها ... إذا هاج وَجْدى والدموع تسيحُ
كلانا غريبٌ يشْتكى الهجرَ والنَّوَى ... فيبكى على إلْفٍ له وينُوحُ
فقلبى وجَفْنى ذا يذوبُ صَبابةً ... حَزِينًا وهــذا بالدموع قَرِيحُ
ومُهجــةِ صَبٍّ مُستَهامٍ مُتيَّمٍ ... بها صار من داء الغرامِ قُروحُ
أهِيمُ غراماً حين أذكُر جِلَّقاً ... ودمعى بسفْح القاسِيُون سَفوحُ [4]
ولو كان طَرْفى فى يدىَّ عِنانُه ... سعيْتُ ولكن عن مُناى جَمُوحُ

* * *

وقوله من أخرى ، مستهلها [5] :

رعى اللهُ أيام الشَّبيبة من عَصْرِ ... وهزَّ نسيمُ العيش رَيْحانةَ العمرِ
وحَيَّى بِقاعاً تُنْبت الحسنَ تُرْبُهــا ... وتُبْدِى لنا الأقمارَ من فَلَك الخِدْرِ
حلَلْتُ بهــا والدهرُ أبيضُ مُقبِلٌ ... وعَيْشى مقيم فى خمائله الخُضْرِ

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٢٨٢ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٩٩ . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لها فوق أغصان الفنون صدوح » . (٣) عجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من : ا ، وهما فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى ج ، وخلاصة الأثر : « وتظهر أشجانا بها » . (٤) قسيون : هو الجبل المشرف على مدينة دمشق . معجم البلدان ٤/١٣ . (٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٨١ .

تُحيطُ بِيَ الغِيدُ الحِسانُ أوانِساً ... كما اشْتبكَتْ زُهْرُ النجومِ على البدرِ [1]

* * *

هذا نَقلٌ من قول ابن خَفاجة فى النسيب [2] :

غَزاليَّةُ الألحاظِ رِيميّـــةُ الطُّلَى ... مُداميَّةُ الألْمَى حَبابيّةُ الثغرِ [3]

تَرنَّحَ فى موشيّةٍ ذهبيّةٍ ... كما اشتبكتْ زُهْرُ النجومِ على البدْرِ [4]

وفى المقامة الحُلْوانية [5] : وقد أحاطتْ به أخلاطُ الزُّمَر ، إحاطةَ الهالةِ بالقمر ، والأكْمامِ [6] بالثَّمر .

* * *

وله من أخرى مستهلها [7] :

ضيفٌ يُمشّـــاه الغرامُ بفكرِهِ ... ورجاً يَحارُ بطيِّـــه ونَشْرِهِ

منها فى الغزل :

ومُهفهفٍ نَشْوانُ من خمرِ الصِّبا ... لعبتْ بنـــا قَهراً سُلافةُ خمْرِهِ

يرْنُو إلىَّ بساحرٍ من طَرْفِهِ ... عنه روَى هاروتُ قصةَ سِحْرِهِ

بدرٌ تكامَلَ فى المحاسِنِ خَلْقُهُ ... لمّا غـــدا منه المَحاقُ بخصْرِهِ

* * *

هذا معنى أرقُّ من خَصْرٍ مليح ، وفيه مع هذه المقابلة تنْشيط وتمْليح .

وأظنه رأى بيت المُطّوِّعِى [8] فاسْتجاد مَعناه ، وشيَّد بوصْف الكمال مَغْناه .

---

(١) فى ا : « على الدهر » ، وفى ج : « على الصدر » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) البيتان فى ديوانه ٥٠ ، وانظر ريحانة الألبا ٢ / ٧١ .   (٣) فى ب : « رومية الطلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وريحانة الألبا .   (٤) فى الديوان ، وريحانة الألبا : « ترجح فى موشية » .   (٥) ليس هذا فى المقامة الحلوانية ، وإنما هو فى المقامة الصنعانية . انظر مقامات الحريرى ٩ .

(٦) فى ب : « والكمام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمقامات .   (٧) مستهل هذه القصيدة والبيت الأخير منها ، فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٨٠ ، وذكر أنه عمل هذه القصيدة للوزير أحمد باشا الفاضل .

(٨) تقدم التعريف بأبى حفص عمر بن على المطوعى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٧٨ .

وبيت المُطَوِّعِيّ :

قضيبٌ ولكنْ مَبْسِمُ النَّورِ ثغرُه   وبدرٌ ولكن المَحاقَ بخَصْرِهِ

ولقد مرَّ بي أبيات في هذا المعنى لابن مَخْلَد ، لعبتْ بي لَعِبَ الشَّمول ، بخمرة العقول .

وهي :

لعبتْ بِهِ نُجْلُ المَحاجِرْ   لَعِبَ الخَناجِرِ بالحَناجِرْ

بأبي رواقِدُ في سُوَيْـ   ـداء القلوبِ وفي النَّواظِرْ

هُنَّ البدورُ ولا مَحا   قَ لهنَّ إلا في الخواطِرْ (١)

***

تتمة الأبيات من القصيدة :

قد بات يسقينا مُدامةَ ثغرِه   وتُضيء مجالسَنا لآلئُ دُرِّهِ

طَرْفي بجنَّةِ حسنه متنعِّمٌ   والقلبُ في نارِ الجحيمِ بهَجْرِهِ

قد لامني فيه العذولُ جهالةً   لم يدرِ ما صَحْوُ الهوى من سُكْرِهِ

بَحْرُ المحبَّةِ ليس يبلُغ غَوْرَه   لم يُلْفِ ساحلَ بَرِّه من بحرِهِ (٢)

ياقلبُ رِفْقاً كم تُحمِّلني الأسى   أوَ ما ترى جَوْرَ الزمانِ بجَوْرِهِ

مَهْلاً لقد حمَّلتني عِبْئاً لقد   أعيي الجبالَ الشُّمَّ شِمَّةُ وِزْرِهِ

وألفتُ صَرْفَ الدهرِ حتى إنه   سِيَّانِ عندي عُسْرُه مع يُسْرِهِ (٣)

***

من أحاسن محاسنه قوله (٤) :

---

(١) في ب : « إلا في المواصر » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ب : « ليس يدرك غوره » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٣) في ا : « من يسره » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٣ / ٢٨٢ .

وَمَصُونٍ عليه غَيْرَةُ حُسْنٍ … حَجَبَتْه عن أعْيُنِ الأوهامِ [1]

حُبُّه في القلوبِ سِرٌّ خَفِيٌّ … كخَفَاءِ الأرْواحِ في الأجسامِ

مَلِكٌ لم يدَعْ من الحسنِ شَيئاً … لِسواهُ يَراه في الأحلامِ

***

وقوله :

ألا يابنَ الأُلَى سادُوا أراك تفوقُهمْ … وتبلغُ إن شاء الإلهُ العلَى حتْماً

فأنت هلالٌ والهلالُ نُمُوُّه … دليلٌ له أن يغتدِى قمراً تمَّ

***

هذا من قول الآخر [2] :

إنَّ الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّه … أيقنْتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً

قلت : عامَّةُ أهل الأدب وغيرهم على أن نجاح الأمور وسعادتها ، ونحوستها وخيبتها ، بأوائلها .

وفي أمثال العامة :

« ليلة العيد من العصر ما تخفَى [3] » .

« والليلة المُضيَّة تبان من عشيَّة » .

« واليوم المبارك من أوَّله يبين [3] » .

ويقولون : « لو أراد يسعدنى أيش كان يقعدنى » .

كما قيل [4] :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً … ولم يَفْخَرْ فليس له افتخارُ [5]

---

(١) في خلاصة الأثر : « غيرة حسن » .

(٢) البيت لأبي تمام ، وهو في ديوانه ٣٨٠ ، والتمثيل والمحاضرة ٢٣٠ .

(٣) انظر ريحانة الألبا ٢/٣٣٨ .

(٤) في ج : « وقد قيل » ، والمثبت في : ا ، ب ، والبيت في ريحانة الألبا ٢/٣٣٨ ، ونسبه الخفاجي إلى باهلي .

(٥) في ا : « فليس له فخار » ، والمثبت في : ب ، ج ، وريحانة الألبا .

وقال [١] :

وإذا الفتى مرَّتْ له فى عمرِه ... خمسونَ عاماً للتُّقى لايجْنَحُ [٢]

عكفتْ عليه المُخزِياتُ فما لَهُ ... مُتحوَّلٌ عنها ولا مُتزحْزَحُ

وإذا رأى إبْليسُ غُرَّةَ وجهِه ... حَيَّى وقال فَدَيْتُ مَن لا يُفلِحُ

والمنجِّمون على خلافه ؛ فإنهم يقولون : هذا بحسَب الطالِع ، فقد يكون فى أول العمر ، وقد يكون فى أوْسطه ، وفى آخره .

وكذا فى الشرع ، قد [٣] يُولد المرء مؤمنا أو كافرا فى أول أمره ، وفى أوسطه ، وآخره ، ثم يعرِض له خلافُه .

وما ذهبوا إليه أوهام . انتهى باختصار .

ومن كتاب اللآلى [٤] قال الشِّهاب : قلت : الواهم ابنُ أخت خالتِه ؛ فإن الأول فى وادٍ وهذا فى آخر ، بعيد عنه بمراحل ؛ لأن الجمهور أرادوا [٥] أن الله خلق فى كل أحدٍ استعداداً للسعد وغيره ، تظهر علاماته [٦] عليه فى أول أمره [٧] .

كما قال :

فى المهدِ ينطِق عن سعادةِ جَدِّه ... أثرُ النَّجابةِ ساطعُ البرهانِ

وأما برُوزه من القوّة ، فقد يُسرِع وقد يُبْطِى ، كما لا يخفى .

***

وله :

أنا ما بين زُمْـــرةِ الأقرانِ ... خَصَّ حَظِّى الزمانُ بالحِرْمانِ [٨]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « للتقى لايجنح » ، وفى ب : «لم يجنح» ، والمثبت فى : ج . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « الأولى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ا ، ب : « أراد » ، والمثبت فى : ج . (٦) فى ب : « علامته » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) فى ا : « عمره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ا : «أنا من بين» ، والمثبت فى : ب ، ج .

فالعُلالاتُ لى سحائبُ يَبْـدُو ... بَرْقُها خُلَّباً مكانَ الأماني [1]

* * *

هذا من قَوْل بعضهم : بَرْقٌ خُلَّب ، وعُلالات [2] للنفس وخُدَعٌ لها .

قال كعب [3] :

فلا يَغُرَّنْكَ ما منَّتْ وما وعدتْ ... إن الأمانيَّ والأحلامَ تضليـلُ

وقد استحسنوا قول بعض الحكماء : الأمانيُّ أحلامُ المستيقظ .

ونظَمه القاضي محمد بن هبة الله الحُسَيْنِيّ الأنْدَلُسِيّ ، فقال :

كم ضيَّعتْ منك المُنَى حاصلاً ... كان من الواجبِ أن يُحفَظا
فإن تعلَّلتَ بأطْماعِها ... فإنَّمـا تحـلُمُ مُستيقِظا [4]

ومن النوادر :

أحاديثُ نفسٍ كاذباتٌ وما لها ... فوائدُ إلا أن تَسُرَّ الفتى العانِي [5]
وأكثرُ ما تُمْليه يظهرُ ضِدُّه ... فكلُّ أمانِي القلبِ أحلامُ يَقْظانِ

وأحسن منه :

إنما هــذه الحياةُ منامٌ ... والأمانيُّ حُلْمٌ بها المرءُ صَبُّ
فلهـذا تأتي على العكسِ مِمَّا ... كرِه الناسُ دائمـاً وأحبُّوا

* * *

وشعره كثير مجموع [6] في ديوان ، والطِّرْس يُستدَل على مافيه من العُنوان .

* * *

(١) في ا : « فالعلالات لى سحائب يبدو » ، والمثبت في ب ، ج . (٢) في ا : « وعلامات » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) ديوانه ٩ . (٤) في ا : « فإن تعللت بأسماعها » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٥) في ب : « أحاديث نفس » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٦) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

ومن مُنشآتِه ، التي أعدَّها من بدائع مَقُولاته .

ما كتبه على لسان فرسٍ إلى (١ مُنْت بارُوم ١) ، وجرى فيها على طريقة الوَهْرانيّ (٢) ، في (٣) رُقعته التي كتبها (٤ على لسان بَغْلته ٤) ، وعلّقها في عنقها ، وسيَّبها في دار الأمير عِزّ الدين مُوسَك (٥) .

* * *

فأما رُقعة أبي ، رحمه الله تعالى ، فهي :

الهمام (٦) المُقدام في حَلْبة الرِّهان ، والإمام المُصلِّي به يقتدي المجلِّي والثاني في ميدان البيان .

غُرَّةُ جبهة دُهْم الليالي ، مَن شُبِّبَ أيّامه ربيعُ الفَخار والمعالي .

جعل الله مُجمَل سعادته غنيّاً عن الإفصاح ، وجيادَ أوصافه الحسنة متبارية (٧) في ميدان المُدّاح .

بجاه سيدنا محمد الذي علا على البراق ، وتشرّفت به الآفاق .

---

(١) في ب : « مفتى الروم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني .
ظريف ، أديب ، منشئ .
قدم إلى مصر من وهران ، أيام صلاح الدين الأيوبي ، فلقي بها أئمة الإنشاء ، كالقاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني ، وسلك في كتابته مسلك الهزل ، فأقبل الناس عليه .
توفي بداريا ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة .
وفيات الأعيان ٤/١٩ .
(٣) في ب بعد هذا زيادة : « قوله و » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .
(٥) الأمير عز الدين موسك بن جكو ، ابن خال صلاح الدين .
كان حافظا للقرآن ، سامعا الحديث ، محسنا إلى الناس ، ملازما لسلطان في غزواته .
توفي بدمشق ، سنة ست وثمانين وخمسمائة .
النجوم الزاهرة ٦/٧٨ ، ١١٠ .
(٦) في ا : « الإمام » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) في ا : « مبارية » ، وفي ب : « تباريه » ، والمثبت في : ج .

أُنْهِي إلى عالى حضرته ، بعد [١] تقبيل سامى سُدَّته .

أنه لا يخفَى ماورَد عن النبيّ النَّبيه ، أَهْدى الله إليه صلاته وسلامَه [٢] : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ » .

وإنّى [٣] تلك الفرسُ الأصيلة الطَّرفَيْن ، والحُجْر [٤] العريقة الجانبين .

فأبى من العِتاق الْمُعْنقيَّة [٥] ، وأمّى من الصَّافِنات الجياد السَّقلاويَّة [٦] .

نشأتُ بأراضى [٧] الشام ، وشَمَمْتُ ذلك العَرار والبَشام .

وقد كان شرَّفنى المولى بالرُّكوب ، وأمَّلْتُ منه المطلوب .

وفزت بالمراد ، وسَبقتُ الجياد .

وتقدَّمتِ الجاشية أمامى ، وحُملت الغاشيةُ [٨] قُدَّامى .

ومشيتُ بالأدب والوَقار ، ولم يصدُر منى عثار ولا نِفار .

وقد طرق سمعى أن المولى صار فارسَ الميدان ، وسابقَ يوم الرِّهان .

وأمْتطى الصدارةَ صَهْوةُ الإقبال ، وسُحب له جَنِيبُ [٩] العزِّ والإجلال .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (باب الخيل معقود فى نواصيها الخير ، وباب الجهاد ماض مع البر والفاجر ، من كتاب الجهاد ، وباب قول النبى صلى الله عليه وسلم : أحلت لكم الغنائم ، من باب فرض الخمس ، من كتاب الجهاد ، وباب حدثنى محمد بن المثنى ، من كتاب المناقب) ٤/٣٣ ، ٣٤ ، ١٠٤ ، ٢٥٢ .

وأخرجه مسلم أيضا ، فى صحيحه (باب الخيل فى نواصيها الخير ، من كتاب الإمارة) ٣/١٤٩٣ .

(٣) فى ب : « وأنت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى الأصول : « والحجرة » .

وفى القاموس (ح ج ر) : « الحجر . . . الأنثى من الخيل ، وبالهاء لحن » .

(٥) فى ج : « المعنقية » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ولعله نسبة إلى أعنق ، فحل من خيل العرب ، ينسب إليه ، والمعناق الفرس الجيد العنق . القاموس (ع ن ق) .

(٦) فى ا : « السقلافية » ، وفى ب : « الصقلاوية » ، والمثبت فى : ج .

والسقل والصقل ، ككتف : القليل اللحم من الخيل ، أو القليل لحم المتنين . القاموس (س ق ل ، ص ق ل) .

(٧) فى ا : « بأرض » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) الغاشية : غطاء السرج . المعجم فى اللغة الفارسية ٢٢٧ .

(٩) فى ا ، ب : « جنب » ، والمثبت فى : ج .

ومَلَكَ زمامَ الأمور ، وشدَّ حِزامَ العزم فى مصالح الجمهور .

فحصَلَ لى كمالُ السرور والنشاط ، وكدت أن أفكَّ نفسى من الرِّباط .

وأجِدَّ [1] فى المَسِير ، إلى تهنئة جَنابِه الخَطِير .

لـكن أقعدتْنى الأيامُ عن ذلك ، ومنعتْنى عن سُلوك هذه المَسالك .

لِما حلَّ بى من مُواصلة الصِّيام ، والركوع والسجود عند القِيام .

وتقدَّمنى فى المَسِير الرفيق ، الذى اجتمعتُ أنا وإيّاه فى طريق .

إن العوائقَ عُقْنَ عنك ركائبى فلهُنَّ من طربٍ إليك هَدِيلُ

وكان بلَغنى أنه ركَض فى مَيدان حضرتك بعضُ اللئام ، ووضع قدمَه قوله حيث شاء من المَلام .

ونسَبنى إلى البطَر والجموح ، وسلوك طريقٍ من قلة الأدب مَطْروح .

وأن البحرَ علىَّ [2] تعكَّر ، والوِرْدَ الصافىَ تكدَّر .

فوالله ليس لما قيل ، أصلٌ أصيل .

وكنت أوَدُّ أن أتوصَّل إلى بِرّه ، وأكْرَعَ من فائض بَحْرِه .

وأُورِد مواردَ إحسانه ، وأفوزَ بلُطْفه وامْتنانه .

فلا خيرَ فى حُبٍّ [3] لا يُحمل أقذاؤه [4] ، ولا يُشرَب على الكدَر ماؤه .

وقد علم أن البهائمَ لا تعلم [5] شعرَ أبى تمّام ، ولا تعرف شعر أبى الطيّب الهُمام .

ولا تطرَب الخيلُ ، إلا بسماع الصَّهيل .

والعَلّاف [6] ، لا يعرف مسائل الخلاف .

---

(١) فى ب بعد هذا زيادة : « نفسى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) بعد هذا فى ب زيادة : « ماء » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) الحُبّ : الجرة الكبيرة ، أو الخابية .

(٤) فى ا : « اقتاؤه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « تعرف » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) يشير إلى أبى الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف ، المتكلم المعتزلى ، المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين . انظر وفيات الأعيان ٣ / ٣٩٦ .

وصاحبي وإن كان هو الأصيل العريق ، لـكنه مُقتِّر للضيف [١] في العَلِيق .

كثير الشِّعر قليل الشَّعير ، يُنْشِد بلسان التقصير :

وما لى صنْعةٌ إلا القوافى وشعرٌ لا يُباع ولا يُعارْ

فالشعيرُ أبعد من الشِّعْرَى العَبُور [٢] ، ولا وُصولَ إليه ولا عُبور .

فالبطن ضامِر لا يشَدُّ عليه حِزَام ، والفم خالٍ ليس فيه إلا اللِّجام .

وقد بُليت بعد الهُزال بالخَرَس ، وأصبحت كما قيل : الجُلُّ [٣] خيرٌ من الفَرَس .

وغيرى ممَّن ليس له أصل ولا فصْل ، ولا أدب عنده ولا فضْل .

يرتَع في رياض الإنْعام ، ويجهل أنه من الأنْعام .

حمارٌ يَسِيبُ في روضـــةٍ وطِرْفٌ بلا عَلَفٍ يُربَطُ

فإن أنعَم المولى بحَلِّ وَثاقى من يد الحِرمان ، وأحلَّنى من ربيع فضله في رَبْوة الإحسان .

فأكرمُ الخيل أشدُّها حنينًا إلى وطنه ، وأعْتق الإبلِ أكثرها نِزاعا إلى عَطَنِه .

فلينْتهِزْ فُرَص الاقتدار ، ويغْتنم التَّجاوُز عن عثرات [٤] الأحرار .

فالدابة تُضرَب على النِّفار ، لا على العِثار .

فليس لى سواه أعوِّل عليه ، وأرفع قصَّتى إليه .

وهيْهات أن يُثْنَى إلى غيرِ بابه عِنانُ المطايا أو يُشَـــدَّ حِزامُ

* * *

---

(١) في ا : « الضيق » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) الشعرى العبور والغميصاء : أختا سهيل . القاموس (ش ع ر) . (٣) الجل للفرس ، كالثوب للإنسان . وانظر التمثيل والمحاضرة ٣٤٠ .

(٤) في ب ، ج : « ثمرات » ، والمثبت في : ا .

وهذه رُقعة الوَهْرانيّ ، وهي من لطائف نزَعاته ، ومحاسن مخترعاته :

المملوكة ريحانة بَغْلة الوَهْرانيّ ، تقبّل الأرض بين يدي الأمير عزّ الدين ، حُسام أمير المؤمنين .

نجّاه الله من حرّ السّعير ، وعظّم بداره قوافل العِير .

ورزقه من التّبن والشّعير ، وَسْق مائة ألف بعير .

واستجاب فيه أدْعية الجمّ الغفير ، من الخيل والبغال والحمير .

وتُنْهِي إليه ماتُقاسيه من مواصلة الصّيام ، والتعب في الليل والدّوابُّ نيام .

قد أشرفَتْ مملوكتُه على التّلَف ، وصاحبها لايحمل الكُلَف ، ولا يُوقِن بالخلَف ، ولا يقول بالعلَف .

وإنما يحلّ به البلاء العظيم ، في وقت حاجتي إلى القضيم .

والشّعير في بيته مثلُ المسك والعبير ، والإطريفل الكبير .

أقلُّ من الأمانة في النصارى الأقباط ، والعقل في رأس قاضي سُنْباط [(١)] .

فشعيرُه أبْعد من الشِّعْرى العَبور ، ولا وصول إليه ولا عبور .

وقرْطُه أعزُّ من قُرْطَى مارِية [(٢)] ، لا يخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية .

والتِّبْن ، أحبُّ إليه من الابن .

والجُلُبّان [(٣)] ، أعز عنده من دُهن البان [(٤)] .

---

(١) سنباط : بلدة من أعمال الغربية بمصر . القاموس (س ن ب ط) ، وفي الخطط التوفيقية ١٢ / ٢ ه أنها قرية من مديرية الغربية بمركز زفتا ، في غربي ترعة الساحل . (٢) هي مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها ، وعليهما درتان كبيضتي حمام ، لم ير الناس مثلهما ، ولم يدروا ماقيمتهما . وفي المثل : « خذه ولو بقرطي مارية » ، يضرب في الشيء الثمين ، أي لا يفوتنك بأي ثمن يكون .

ثمار القلوب ٦٢٩ ، مجمع الأمثال ١ / ١٥٦ .

(٣) الجلبان : نبت . القاموس (ج ل ب) . (٤) في ب : « البان » ، ومثبت في : ا ، ج . والبان : شجر ، ولحب ثمره دهن طيب . القاموس (ب و ن) .

والقَضِيمِ ، بمنزلة الدُّرِّ النَّظِيمِ .

والقصَّة ، أجلُّ من سبائك الفِضَّة .

والفُول ، دونه ألفُ باب مقْفول .

وما يهُون عليه بعلف الدوابِّ ، إلا بفنون الآداب ، والفِقه الأُلباب ، والسؤال والجواب ، وما عند الله من الثواب .

ومن المعلوم أن الدوابَّ لا تُوصَف بالحلوم ، ولا تعيش بسماع العلوم .

ولا تطرَب إلى شعر أبي تمّام ، ولا تعرف الحارثَ بن همّام [1] .

ولا سيّما البغال ، التي تُستعمل في جميع الأشغال .

مِسْكَبة [2] قَصِيل ، أحب إليها من كتاب التَّحصيل .

وقُفَّة دَرِيس ، أشهى إليها من فقه محمد بن إدريس [3] .

ولو أكل البغل كتاب المقامات ، لمات .

ولو لم يجد كتاب الرَّضاع ، لضاع .

ولو قيل له : أنت هالك ، لم يأكل موطأ مالك .

وكذلك الجَمَل ، لا يتغذَّى [4] بشرح أبيات الجُمَل .

ووقوفه في الكَلاَ ، أحبُّ إليه من شعر أبي العَلا .

وليس عنده طيّب ، شعرُ أبي الطيّب .

وأما الخيل ، فلا تطرَب إلا إلى استماع الكَيْل ، وإن أكلت كتاب الذَّيْل ، ماتت بالنهار [5] قبل الليل ، والوَيْل لها ثُمّ الويل .

---

(١) الحارث بن همام ، شخصية اعتمدها الحريري واخترعها ، وبنى عليها الرواية في كتابه «المقامات» .

(٢) المسكبة : محل السكب . (٣) الإمام الشافعي ، رضي الله عنه . (٤) في ب : « يقتدي » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) في ب : « في النهار » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولا تستغنى الأكاديش [١] ، عن أكل الحشيش ، بكل ما فى الحماسة من شعر أبى الخريش .

وإذا أطعمت الحمار ، شعر ابن عمّار [٢] ، حلّ به الدمار .

وأصبح منفوخا كالطبل ، على [٣] باب الإسطبل .

وبعد هذا كله فقد راح صاحبها إلى العلّاف ، وعرض عليه مسائلَ الخلاف ، وطلب من بيته عشر قِفاف ، فقام إلى رأسه بالخفاف [٤] .

نخاطبه بالتقصير ، وفسّر له آيةَ العير [٥] ، وطلب منه قفّة شعير ، حمل على [٦] عياله ألف بعير .

فانصرف الشيخُ منكسر القلب ، مغتاظا من الثّلْب ، وهو أخسّ [٧] من ابن بنت الكلب .

فالتفت إلى المسكينة ، وقد سلبه الغيظ ثوبَ السّكينة .

وقال لها : إن شئتِ أن تكدّى فكدّى [٨] ، لا ذقتِ شعيرة ما دمتِ عندى .

فبقيت المملوكة حائرة ، لا قائمة ولا سائرة .

فقال لها العلّاف : لا تجزعى من خَيالِه ، ولا تلتفتى إلى [٩] سِبالِه [١٠] .

---

(١) كذا ، ولم أجده . (٢) تقدم ذكر ابن عمار ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٥ .

(٣) فى ب : «فى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) جمع خف .

(٥) لم يرد لفظ « العير » فى القرآن إلا فى سورة يوسف ، ولعله يريد قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ . سورة يوسف ٧٠ .

(٦) فى ب : « إلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « أخسر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) تكدى من كدى وتكدى ، بالتشديد ، بمعنى سأل وتسول ، وكدى ، من الكد ، وهو الجد فى العمل .

(٩) فى ا : « على » ، والمثبت فى : ب ، ج . (١٠) السبال : جمع السبلة ، وهى مقدم اللحية .

ولا [١] تنظرى إلى [١] نفقته ، ولا يكنْ عندك أخسّ من عَنْفَقته [٢] .

هذا الأمير عز الدين ، سيف المجاهدين .

أنْدَى من الغَمام ، وأمْضَى من الحُسام ، وأبهى من البدر ليلة التَّمام .

لا يردُّ سائلا ، ولا يخيِّب آملا .

فلما سمعت المملوكة الكلام ، جذَبت اللِّجام ، ورفست الغلام ، وقطعت الزِّمام ، وشقت الزِّحام ، حتى طرَحت خدَّها على الأقدام ، ورأيك العالى والسلام .

* * *

وله من [٣] رسالة [٤] كتبها إلى منصور الطبيب الغزوانى [٥] ، يشكو إليه علة لزمتْه ، وبرداً وقع فى ذلك العام ، خارجا عن مُعْتاد الشام :

أنا أصبحتُ لا أُطيق حَراكاً كيف أصبحت أنت يا منصورُ

قد طالت العِلّة ، وطابت العُزلة .

فليس فى الحركة ، هذا الآن بركة .

والانْقطاع ، أرْبحُ مَتاع ، والاجتماع جالبُ الصُّداع .

والاخْتلاط ، محرِّك الأخْلاط .

والوحشة استئناس ، وأجْمَع للحَواسّ .

فهو [٦] زمان السكوت ، وملازمة البيوت ، وأوان القَناعة بالقُوت ، وذلك قُوت من لا يموت .

---

(١) فى ا : « تنطوى على » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) بعض هذه الرسالة فى خلاصة الأثر ٣/٢٨٥ ، ٢٨٦ . (٥) فى ا ، ج : « القروانى » ، والمثبت فى : ب ، وجاء اسمه فى خلاصة الأثر : «منصور الطبيب العيسوى» ، ولم يترجم فيها . (٦) فى ا : « فهذا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

والحرّ حرٌّ ، وإن مسّه الضرّ .

فوَطْؤُه خفيف ، وضالته رغيف .

لُزوم البيت أرْوَحُ فى زمانٍ عَدِمْنا فيه فائدَةَ البُروزِ[(١)]

فلا السلطانُ يرفَع من مَحَلِّى ولستُ على الرعيّة بالعزيزِ

ولستُ بواجدٍ حُرًّا كريمًا أكون لديْه فى حِرْزٍ حَرِيزِ

وإنى لأشكو من تسَحُّب هذا السحاب ، وتسلُّط هذا الرَّباب .

ولم أرَ قطُّ والله[(٢)] كالغمام ، الكثير الإنعام .

الذى مَن تورَّط فيه غرِق ، ومن تنشَّط فيه[(٣)] عام .

سحابٌ مجنون ، يُصِم الآذان برَعْده وبرقُه يُغشى العيون .

وغمامٌ شديد الإيلام ، كأن صوْبَه صَوْبُ مَلام ، أو عرَق حَمام .

ومطرٌ كأفواه القِرَب ، وصوتُ رعدٍ يُميت الطَّرَب .

حتى كأن صوتَه صوتُ عذاب ، أو سطوةُ ليُوثٍ غِضاب .

أو أنّه مهجور مُرْتاب ، من تصرُّم أسباب[(٤)] وِداد الأحباب .

أو كأنه نَعْرَةُ فِيل ، أو نفخة إسْرافيل .

أو شَقّ السماء بشدّة فانشقّتْ ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[(٥)] .

ولمَع برقٌ خفّاق جلّاب ، مُشرِق كالشمس إلا أنه شديدُ الاضطراب ، سريع الاحْتجاب ، لمّاع ، دفّاع ، يُختار دونه لَمْعُ السّراب ، ومَنْع الشّراب[(٦)] .

حتى قال قائلنا : ليت بذى الغمام جَهام[(٧)] ، وليت ذا البرق المتألّق خُلَّب وسيفه المسْلول الصارمَ كَهام[(٨)] .

---

(١) فى ب ، وخلاصة الأثر : « أروح فى زمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) سورة الانشقاق ٢ . (٦) فى ب : « الشراب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) سحاب جهام : لا ماء فيه . (٨) سيف كهام : لا يقطع .

وليته كان كاذِبَ المَخِيلة [1] ، وليت لَقْحة نَوْئِه هذا شحيحةً بخيلة .

ولم أرَ حالَ هذا السحاب الغَيداق ، إلا كحال مُولَّهٍ [2] مُشتاق ، شديدِ الأشواق ، وَكَّافِ [3] الآماق .

مشتعِلِ الزَّفَرات ، متقاطِرِ العَبَرات .

فسبحان من أرسل السماء مِدْرارا ، وجعل القِطار [4] في هذه الأقطار بحارا .

ألا يُرى كيف مَنَّ اللهُ سبحانه بالوقوف ، على السُّقوف .

وبالثبوت ، على البيوت .

ولم يعلم هل [5] هذا السحاب ، أصبح يجود لسُقْيا رحمةٍ أم سُقْيا عذاب .

وأما الثلوج فإنها شيَّبتْ نواصِيَ الجبال ، مع شدة الاحتمال ، فما الظنُّ بنواصِي الرجال ، مع تزاحُمِ الأهوال ، وتراكُمِ الأثقال .

اللهم إنا نستعيذُ بك [6] أن تقلب الأعيان [7] ، فتجعلها سببَ [8] لموتان ، في الحيوان ، أو أن [9] تُعيد الطوفان ، في آخر الزمان ، وبالله المُستعان ، وعليه التُّكلان .

***

وأبَق له عبدٌ وهو بالقاهرة ، فكتب إلى دمشق ، يُخبر بإباقته :

وأما ياقوت الممقوت ، سوَّد الله وجهَه ، وعامله بالنَّكال أيْنما توجَّه .

قد أبَق في هذه الأيام ، كما هو دأبُ جنسه الخسيس الخبيث فما عليه مَلام .

---

(١) المخيلة : التي تحسبها ماطرة .

(٢) في ا : « متوله » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ب : « وكاف » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) القطار : السحاب الكثير القطر .

(٥) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٦) في ب : « نستعيذك بك » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) في ب ، ج : « العيان » ، والمثبت في : ا .

(٨) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٩) في ا : « وأن » ، وفي ب : « أو أن لا » ، والمثبت في : ج .

والَّلومُ للحُـــــرِّ مقيمٌ رادعٌ   والعبدُ لا يردعُه إلا العصا [١]

ولما بلغَنا ذهابُه من اليَمّ ، تباشرْنا بزَوال الهمّ .

وأنشدنا :

* إلى حيثُ ألقتْ [٢] رَحْلَها أمُّ قَشْعَمِ *

ولو طلبَ منا الإجازةَ أجزْناه [٣] ، والمكاتبة كاتبْناه ودَبّرْناه ، وعن خِدْمتِنا أبعدْناه .

ولو أردْناه تطلَّبْناه ، وبما يليق عاملْناه .

وإذا رأيتَ العبدَ يهربُ ثم لم   يُطْلَبْ فمولى العبدِ منه هاربُ [٤]

ولو لم يكن لى فى هـذه السَّفْرة من الرِّبح الذى ليس به خَفا ، إلا ذَهاب هذه الغُمّة [٥] السوداء لكفى .

وفى الحديث الشريف [٦] : « اطلُبوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ » ، ومن أمثالهم : قَبحَ الأَلْكَع ومَن يرجُوه .

وقد كنّا قديما نسمع ، أن الخادم بمنزلة النعل يلبس ويخلع .

والعبد لو كانت ذُؤابة رأسه ذهبا ، لكان رصاصةً [٧] رِجْلاه .

---

(١) هذا البيت لابن دريد ، من مقصورته ، شرح المقصورة للتبريزى ١٩١ .

(٢) عجز بيت لزهير بن أبى سلمى ، ورواية الديوان للبيت :

فَشدَّ ولم يُفْزِعْ بيوتا كثيرة   لَدَى حيث ألقتْ رحلَها أم قَشْعَمِ

شرح ديوان زهير ٢٢ .

وأم قشعم : هى المنية ، والحرب ، والداهية الكبيرة ، والحرب أراد زهير .

ثمار القلوب ٢٦٠ .

(٣) فى ب : « لأجزناه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) البيت لناصح الدين الأرجانى ، وهو فى ديوانه ٥٣ ، وانظر ريحانة الألبا ١/ ٣٣٠ .   (٥) فى ا : « النعمة » ، وفى ب : « النقمة » ، والمثبت فى : ج .   (٦) يقول ابن الديبع بعد أن ذكر هـذا الحديث : « له طرق ، عن أنس وجابر وعائشة وابن عباس وابن عمر ، وأبى بكرة وأبى هريرة وكلها ضعيفة ، وبعضها أشد فى ذلك من بعض » . تمييز الطيب من الخبيث ٢٦ ، ٣٥ .

(٧) فى ب : « رصاصه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومن أبق عن الخدمة ، فقد يعدُّ بُعْدُه نعمة ، وقربُه نقْمة .

فقد يفرُّ المُهْرُ من عَلِيقه ، ويطير الفَراش إلى حريقه .

فما كل شجرة تحلُو لذائقها ، ولا كل دار تُرحِّب بطارِقها .

ومَن أبَق عن مَولاه مُغاضِبا ، وجانَب إحسانَه الذى لم يكن له مُجانبا .

يجدُ من مفارقةِ[1] معاهد الإحسان ، مايجدُه من مفارقة معاهد الأوطان .

ويكون ذنبُ عقابِه فيه ، وكم عبدٍ أبَق من مَواليه .

وقد رُوِى مرفوعا عن سيِّد الأمة[2] : « أيُّمَا عَبْدٍ أبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ » .

وبالجملة فقد حصل لنا بذَهابه غايةُ المَسارّ ، و

إذا ذهب الحمــــارُ بأم عمرو فلا رجعتْ ولا رجع الحمار[3]

وله يصف فتى :

حسنُه يملأُ القلوب والصدور ، وليس البدرَ إلا أن فيه حسنا تلاشَتْ فى دقائقه البدور .

ريمٌ من الروم ، خادم مخدوم .

قد كساه الزمان[4] ملابس جماله ، ووهبَه الأوان محاسنَ كماله .

بديعُ جمالٍ كل مازاد ناظرى به نَظَراً زادتْ محاسنُه حسنَا[5]

جرى فيه ماء النعيم والهيَف ، وتحكَّم فيه تيهُ الحسن والصَّلَف .

---

(١) فى ب : « مفارقته » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (باب تسمية العبد الآبق كافرا ، من كتاب الإيمان) ١/٨٣ . (٣) الواو قبل البيت ، وصدره ، ساقطان من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

والبيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٤٥ :

(٤) فى ا : « الجمال » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « كلما زار ناظرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

باهٍ بقدِّه ، زاهٍ بورْدِيّ خدِّه .

ألصق بالقلب ، من علائق الحبّ[1] .

كلّما لاح وجهـــــه بمكانٍ كثرتْ زحمةُ العيون عليه

ذو قدٍّ ميّاد[2] ميّال ، يُبدى الملال والدّلال[3] .

يتمايل من خمر الصّبا ، تمايل الغصن [4]إذا أمالته[4] الصّبا .

ويتصرّف مع القلوب ، كتصرّف السحاب مع الجنوب .

فهو ألطف من نسيم الشّمال ، على أديم الماء الزّلال .

كأنّ حـــــديثه خُلَسُ التّشاكى مع الأحباب أو قُبَلُ الوداعِ

قد حلّ بالشام ، فازدهرتْ به ازْدهار الخدّ بالوِشام[5] .

وغرّدتْ أطيارُها ، وتمايلتْ طربا أشجارها .

وتدانتْ ولا تَدانِيَ المحبّين ، وتعانقتْ ولا تعانق العاشقين .

وأحداقُ الحدائق باهتْ في رياض جماله ، والأغصانُ تاهت في لين قدّه واعتداله .

أسفر فرأيت البدر طالعا من أطواقه ، وأقبل بحاقٍ كأنّما صُبغتْ من دم عُشّاقه .

فالشمسُ طالعة من أزراره ، والبدرُ من مشارق أنواره .

له مَبْسِم لو تبسّم في الليل صيّر الظلام نهارا ، ولو استعار الرّاحُ منه الحَبَب لقال :

* شمَّل الحلْيَ أهلُه أن يُعارا[6] *

شــكل ظهر في طريق الحسن بالبَياض ، وصحّح حديثه الحَسَنَ أجفانَ المِرض .

---

(١) في ا : « القلب » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) زيادة من : ب ، على ما في : ا ، ج .

(٣) بين « الملال والدلال » تقـديم وتأخير في : ب ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ا : « من خمر » ، والمثبت في : ب ج . (٥) الوشام : جمع الوشم . (٦) هذا مثل ، يضربه المسئول شيئا هو أحوج إليه من السائل . مجمع الأمثال ١/٢٥٣ .

أَوْقد نارِى ، وأمات اصْطبارِى .

وكم فى الناس من حسَنٍ ولـكن عليه لِشقْوتى وقع اخْتيارِى[1]

فـكلِف به بعضُ سُـكّانها ، وهَام فيه بعضُ أعْيانها .

وقد تزايَد فيه الغرامُ[2] ، ومَن يعشَق يلَذّ له الغرام .

وقد هاجت بلابلُ بَلْباله ، وقصد أن يرفع لخَفرته[3] بعضِ خِصاله ، فى[3] عَرْض حالِه .

فاللحظُ ، يُعرِب عن اللفظ .

فما كانت إلا نَظْرة ، أعقبتْ حسرة .

أتعبت الخاطر ، وسرّت الناظر .

وقد قيل : إن الحسْن عليه زكاةٌ كزكاة المال ، وليست زكاتُه عند علماء المَحبّة إلا عبارةً عن الوِصال .

ولما دعاه داعى الهوى أخذ يُبْدِى له الالتفات ، ويُرِيه الصّدّ تارات .

قد جرى بينهما فى مَيْدان الصُّحبة بدهم الليالى والأيام ، طِراد خيل اللهو فى حَلْبة المَحبّة والغرام .

وهو قانع منه[4] بالقليل[5] ، راضٍ بالنظر إلى وجهه الجميل .

ومضتْ معه أوقاتٌ من مواسمِ العمر محْسوبة ، والسُّعود إلى طوالعِها منْسوبة .

حيث الزمانُ ربيع ، والروضُ مَريع .

والنسيم عليل ، والوقتُ سَحَر وأصيل .

ألطف من عِدَة الحبيب ، وألذّ من غفْلة الرقيب .

---

(١) رواية عجز هذا البيت فى ا :

* عليك من الورَى وقع اخْتيارِى *

والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) لعل الأولى هنا : « الملام » . (٣) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « بالتقبيل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وماتفضُلُ الأوقاتُ أخرى لِذاتِها ... ولكنَّ أوقاتَ الحسانِ حِسانُ

فقد كانت أطيبَ من نَيْلِ المراد ، ولكنها أقصرُ من ساعات الأعياد .

فلو كان دهري عِقْداً لكانت واسطتَه ، أو كان عمري جِيداً لكانت قِلادتَه .

فهيهات أن تُنْسَى ، وعسى أن تعود عسى ، ربما أحسن الزمان وإن كان قد أسا .

هذا ، فبينما هما على هذا الحال ، في أرْغَد عيش وأنْعَم بال .

إذ دَنَتْ شمسُ النَّوَى بالطلوع ، وفضَح التطبُّعُ شِيمَةَ المطبوع .

وحارَبني فيه رَيْبُ الزمانِ ... كأنَّ الزمانَ له عاشقُ

فعلمت من مقدار الفِراق ما كنت جهلتُه ، ووجدت من شخصه ما كنت ضَلَلْتُه .

وقد أظهر دمعي ما أضمرتُه ، وأبان من وَجْدِي ما أخفيتُه .

عجباً لقلبي يوم رَاعَنِي النوى ... ودَنَا التفرقُ كيف لا يتفطرُ[1]

أأكفكف بالأكُفِّ الدموع ، وأحنو على نار الغَضَا الضلوع .

وقد جزِعتُ ساعة وَداعِه ، حتى خفتُ على تفطُّر كبدي بانصداعه .

وما خُلِق الفِراق ، إلا لتعذيب قلوب العشاق .

فتكلّمَ الحب عن[2] لساني ، وبرّح الشوقُ بكتماني .

لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِه ... يومُ الفِراقِ فعلتُ ما لم أفعلِ[3]

كأن قائلَ ذلك كان حاضراً معنا ، أو كأنه قال ذلك لنا .

وقد انثنيتُ بجسمٍ ناحِلٍ ، أو بتُّ من صَبْرِي على مَراحِل .

---

(١) في ا : « عجبا لقلبي حين راعني النوى » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب ، ج : « على » ، والمثبت في : ا . (٣) البيت لجرير ، في ديوانه ٣ ٤ ٤ ، وفيه : « أن آخر عهدكم * يوم الرحيل ... » .

ما إن تركتُ وداعَه عن جَفْوةٍ لكن جزعتُ لبَيْنِه وفِراقِه[1]

وما خلَوْتُ ساعة مذ تفارقنا من نَفَسٍ تتقيَّد له الأضلُع ، وذِكْرٍ تفيضُ له الأدمُع .

وتَشَكِّي الفِراق ، وتذكُّر أيام التَّلاق .

وسهَّل التوديعَ يومَ النوى ما كان قد عوَّده الهجْرُ

فالنظر إلى عين الشمس [2] أسهل عليّ و [2] أهْون على عيْنِي من أن أنظُر إلى ذلك الصَّدْر ، وقد خلاَ من ذلك البدْر .

كفى حزَنًا بالهائمِ الصَّبِّ أن يرى منازلَ مَن يهوَى مُعطَّلة قَفْرا[3]

ما أُعوِّل إلا على العَوِيل لو كان يُغْنِي ، ولا أسْتنصِر غيرَ الوَجْد لو كان يُجْدِي .

والله سبحانه يقدِّر التَّلاق ، ويضم مُشتاقًا إلى مُشتاق .

فكم من حبيبَيْن ، فرَّق بينهما البين .

وأليفَيْن ، عادا بعد الفِراق للوصْل حليفَيْن .

وقد يجمعُ الله الشَّتِيتَيْن بعْدما يظُنان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقِيَا[4]

---

(١) في ا : « من جفوة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) ورد عجز هذا البيت في ا هكذا :

* منازلَ مَن يهوَى على غيرِ مايهوَى *

وفي ب : « منازل من يهواه معطلة قفرا » ، والمثبت في : ج .

(٤) البيت لمجنون بني عامر ، من قصيدته المؤنسة ، في تزيين الأسواق ٦٨ ، وهو غير منسوب ، في اللسان (ش ت ت) ٢/٤٨ .

وهنا أنهيت الكلام على هـذه القضية . وختمت بهم عصابةً أحرزوا في مجال القصَبة .

وقد عنَّ لى أن أذكر قصيدة جعلتها لجبهة دمشق إكليلا ، ووصفتُ بها من محاسنها روضا أريضاً وظلاًّ ظليلا .

فلتكن مُنوِّهة بمحاسن فضائل هـذا الجمع ، وختمة لأوصافهم التى هى آخرُ مايقرع السمع .

والقصيدة هى قولى :

سقَى دمشقَ موطنَ الأوطارِ ... دمعى وصَوْبُ العارضِ الزَّخَّارِ

حتى يُرَوِّيا بهـا كلَّ ثرى ... تصوَّرت فى صُورةِ الأنوارِ [1]

يسافرُ الطَّرْفُ بهـا إلى مدى ... يُغنِى بهـا الخُبْرُ عن الأخبارِ

وباكرتْ نَيْرَبَهـا نسيمةٌ ... عابقةٌ فى رَوْضِهِ المِعْطارِ [2]

من قبل أن تصدَّى بأنفاسِ الورى ... بليلةَ الأذيالِ فى الأسحارِ

فنبَّهتْ أطفالَ نبْتٍ نُوَّمًا ... ترضعُ ثدْىَ الدِّيمةِ المِعطارِ

والرِّياضِ طيبُ أنفاسٍ بهـا ... تُبدِى الثناءَ الجَمَّ للأمطارِ

يتلو خطيبُها بصوتٍ شاكرٍ ... مِدْحتَه فى منبرِ الأشجارِ

وينثر الزَّهرَ فينظم النـدى ... بحسنِ ذاك النظمِ والنِّثارِ

لوى القضيبَ ثم جيداً غَنِمَتْ ... تقبيـلَه مباسمُ الأنوارِ

والمـاءُ فى خَريرِه منهمكٌ ... والطيرُ عاكفٌ على التَّهْدارِ

إن ردَّه اللحنُ أنشدتْ غصونُها ... تسمعُ منـه رنَّةَ الأوتارِ

(١) فى ب : « كل الربى » . والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تقدم التعريف بالنيرب والنيربين ، فى الجزء الأول ، صفحة ٧٣ .

وربّما انحنت لتقرا أسطراً ... في النهر خطّها النسيمُ السّاري

والنَّوْرُ قد فتّح عن أكمامه ... وفكّك الوردُ عن الأزرارِ

والرَّبوةُ الغنّاء حيّاها الصّبا ... فنفحتْ عن جونةِ العطّارِ

أعيذُ بالسّبعِ المثاني دوحَها ... على احتواء السّبعةِ الأنهارِ

ودير مرّان القديم لا عدتْ ... سُحْبُ الحيا مافيه من آثارِ (١)

فيه حديثُ البيغا وعهدُه ... حَلْيٌ لجيدِ سالفِ الأعصارِ (٢)

والمرجةُ الفيحاء والوادي الذي ... منظرُه الباهي جلاءُ الأبصارِ (٣)

معاهدٌ فيها النّدامى أغصنٌ ... مثمرةٌ فواكهَ الأسمارِ

من كلّ وضّاح الجبينِ مسفرٍ ... عن طلعةٍ تهزأ بالأقمارِ

فالنجمُ سار طالباً لقيته ... لذاك قد لُقّب بالسّيّارِ (٤)

وشاب حزناً طرفُه وما رأى ... شبيهَه في الفلكِ الدّوّارِ

يعرّق وجهَ الكأسِ بالحبابِ إن ... فاه وخدَّ الرّوضِ بالقطارِ

منتقبٌ بالورد من خجلته ... جوداً ومرتدٍ حُلَى الوقارِ

وكلُّ مختارِ المعاني حسنُه ... قيدُ النّهى وعقلةُ الأفكارِ

تلميذُه هاروتُ يروي فنّه ... عن لفظِه عن طرفِه السّحّارِ

أهدتْ لي السُّقمَ عيونُه لذا ... وهبتُها النومَ عن اضطرارِ (٥)

خطَّ الجمالُ فوق طِرسِ خدّه ... سطراً برأسِ القلمِ الغُباري (٦)

---

(١) تقدم التعريف بدير مرّان، في صفحة ٩٦، من هذا الجزء. (٢) تقدم ذكر حديث البيغاء، في الشكل السابق. (٣) يذكر البدري أن المرجة كانت عامرة آهلة، وأنها من المحاسن التي لاتدرك. نزهة الأنام ٧٣، ٧٤.

(٤) في ب: «طالبا لنفسه»، والمثبت في: ا، ج.

(٥) في ب: «أهدت لي السقم عيونها إذا»، والمثبت في: ا، ج. (٦) قلم الغباري: قلم ضئيل، مولد من الرقع والنسخ، منفتح العقد من غير ترويس، وقد سمي بذلك لدقته، لأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشيء عند ثوران الغبار، وتغطيته له.

وبالقلم الغباري تكتب بطائق الحمام، التي تحمل على أجنحتها في ورق الطير.

صبح الأعشى ٣/١٢٨.

أرَى على وَجْنتِــــه دائرةً ... حَرّرها الجمــالُ بالبركارِ [1]

فالخالُ فى كُرسيِّهـا قد استوى ... كمَركزٍ لذلك المُدارِ [2]

قد كاد موجُ رِدْفِهِ يُغـــرِقُه ... لولا اعتلاقُ الخَصْرِ بالزُّنَّارِ

وكاد أنْ يسيــــلَ لولا أنه ... جاذَبه تشبُّثُ الإزارِ [3]

أذكُرُ عهــــدَه فمن تأوُّهِى ... فَمُ الدجى مُحترقٌ بالنــــارِ

وإن تقاعَسْتُ لمــاضِى عهــدِه ... فإنّ عُذْرى سيدُ الأعـذارِ [4]

ولى إلى الجامعِ شوقٌ والهٌ ... لايفتُر الدهرَ عن التَّذكارِ

للهِ أقوامٌ به أعِزَّةٌ ... من خُلَّصِ الأخيارِ والأبرارِ

فى جُنْحِ لَيْلاتِهِم أذْكارُهم ... تعرِفُهــــا بلابلُ الأسحارِ

كم دعوةٍ فى المَحْلِ أضحتْ لهمْ ... تفْرِى جفونَ السُّحْبِ باستعبارِ

فارقتُهم لاعن رضًى واختيــا ... عِنــانُ عزْمِى فى يدِ الأقدارِ

نَشوانُ خمرِ السُّهدِ طرْفى نومُه ... أغْرقه البكــاءُ فى تيّارِ

وما بكائى غير [illegible] أدمعٍ ... يُوقظُ من نَوْمتِه اصْطبــارِى

لعلَّ مــن لُطْفِ الإلهِ مددًا ... يوصِلنى بهم إلى دِيارِى [5]

فأكسِبُ الفوزَ بفضْــلِ قُرْبِهِمْ ... فربَّما يُجرُ بالجوارِ

لازال رَيْحــانُ تحيّاتى لهمْ ... يرِفُّ فى روضِ الثَّنا المِعطارِ

واللطفُ مازال يُحيِّى أرضَهمْ ... تحيـــةَ النسيمِ للأزهارِ

❊ ❊ ❊

(١) فى ا : « حررها الجمال بالفرجار » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وفى شفـاء الغليل ٤٦ : « بركار ، آلة معروفة لم يسمع فى شعر قديم ، والذى فى الجوهرى أنه فرجار ، بالفاء ، معرب بركار » .

(٢) فى الأصول : « فالعار فى كرسيها » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٣) فى ب ، ج : « إلا أنه » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : « تثبت الإزار » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « وإن تقاعست لماضى عهده » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ب : « يوصلنى بهم إلى الديار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهذه فصول جعلتُها لشعراء خِطّة الشام من وُجوه قُطّانها ، المُنيخين في أعطانها ، المقيمين بأوطانها .

ابتدأتُ منها بأهل المسجد الأقصى ، وانتهيتُ إلى أهل حَماة على الوجه المستقصَى .

***

فصـــــل

في شعراء القُدْس

التى كانت قِبلةَ القُبَل ، وروضةَ الشرف التى أنبتتْ غصونَ الكرامة مُثمِرَةً بالقُبَل .

وناهيك بتربة عُجِنت بماء الوَحْى ، وتوفّر لقصْدها [1] الوَخْد والوَخْى [2] .

وأهلها أصحابُ الذوات القدسيّة ، والبلاغة القُسيّة .

والآراء السَّديدة ، والنفوس الشّديدة .

عصابةٌ في رءوسِ المجدِ إن ذُكِروا ... يفُوح مسكُ ثناءِ البدوِ والحَضَرِ [3]

ليت المَكارمَ لم تعشقْ شمائلَهمْ ... فلِلْكمالِ رقيبٌ عائِنُ النَّظَرِ

(١) في ا : « لقصده » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) الوخد : الإسراع ، والوخى : القصد .

(٣) في ا : « في نفوس المجد » ، والمثبت في : ب ، ج .

فمن مشاهير بيوتها :

بيت العلي

سلسلته لا يستقل بذكرها قلم ، ولا يقطع عَلَمٌ من وصفها إلا ويبدو علم .
ما منهم إلّا مَن شدّ مئزره للأمر ، وروى ظمأ الآمال بنائله الغمر .
عَفّ الإزار ، خفيفٌ من الأوزار .
ازدادت به قبيلته وعشيره ، وظهرت فيه مخائل الرشد وتباشيره .
وأشهرهم :



٨٣

محمد بن عمر الصُّوفِيّ *

إن كان أسرتُه بين الورَى علَمَا ... فإنه علَمٌ فى ذلك العلَمِ

ملَكَ التصرُّف فى التصوف، وأبْدَع التفرُّع فى التعرُّف.

وطريقتُه فى القوم، مُبرّأة من المحْذور واللَّوْم.

تحلَّى (١) فى إماطة الشُّبَه بالاتقاء، وترقَّى فى ذِرْوة المعارف حدَّ الارْتقاء.

وهو على ودائع الأسرار مأمونٌ ثِقَة، والقلوبُ كلها على جلالتِه مُتَّفِقة.

ففَمُه قُفْل إجابة، ويدُه مفتاح إجابة.

وكلماتُه تدلُّ على تمكُّنه فى علم الأخيار، وتُعرِّف أن (٢) نظَرَه بمرآة الخيال (٣) مُجلاة من (٤) غُبار الأغْيار.

* * *

ولم يبلغنى من شعره إلا تائيَّة ابن حَبيب، ومطلعها (٥):

بسم الإله ابْتدائى فى مُهمَّاتِى ... فذاكَ حِصْنىَ فى كلِّ المُلِمَّاتِ

(*) محمد بن عمر بن محمد، العلمى، القدسى.

كان من أصلح صلحاء زمانه، وأعرفهم بالله تعالى، وللناس فيه اعتقاد كبير، ويروون عنه كرامات مشهورة.

وكان فى أول أمره يسكن دمشق، بخانقاه تقى الدين عمر الكردى، ثم حج وجاور، واستقر آخرا بالقدس.

وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وألف، ودفن بجبل الطور، ظاهر القدس.

خلاصة الأثر ٤/ ٧٨، ٧٩.

(١) فى ا: «تجلى»، والمثبت فى: ب، ج. (٢) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج.

(٣) فى ب: «الخيار»، والمثبت فى: ا، ج. (٤) فى ب: «عن»، والمثبت فى: ا، ج.

(٥) يعنى تائيته فى السلوك، التى افتتحها بقوله الآتى، تبعا لابن حبيب فى تائيته، وقد ذكر المحبى منها ستة أبيات، فى خلاصة الأثر ٤/ ٧٩.

بيت أبي اللطف

ثَنِيَّةُ العلمِ والفُتُوَّة ، وهضبة الحلمِ والمُرُوَّة .

ما منهم إلا من حَذَا (١) برِياسة ، وتروَّى من نفاسة وكَياسة .

وأضاء بدراً وشمسا ، وأفاض عشراً وخمسا :

أَلطافُهم لا تَزالُ سابغـــةً سائغةً حُجِبَتْ عن الرَّنَقِ

تطيبُ آثارُهم لأنّهُمُ من طَيِّبِ العُودِ طيِّبِ الوَرَقِ

* * *



(١) في ا : « حدى » ، والمثبت في : ب ، ج .

وأقربهم عهداً :

٨٤

على بن جار الله *

أحدُ أمجادهم ، ومتقلّد نجادِهم .

فاتَهم فضلا وكرما ، وأضحى لزُوّار المكارم مُناخا وحَرَما .

لا يرتجع وفدُ الآمال عن ساحتِه ، ولا يزول لَقَبُ النَّدى عن راحتِه .

وهو رئيس الحرَم ومُفتِيه ، ومُلتَمَس الفضل ومُؤتيه .

وله القدرُ العلِيّ ، والفضل الجلِيّ ، وكلماتُه على صدور الغانيات من الحُلِيّ .

إلا أنه فسيحُ مَدى الافْتنان ، ممْدود حِبال الامْتنان .

لم يزل فى شِعاب الفَتّاك يتوغّل ، وفى طريق الانْتهاك يتغلْغل .

وظفِر آخراً ظَفْرة النِّظّام ، فتفرّقت آراؤه فى أمورٍ أعْيَت على الانْتظام .

وكان أمير غَزّة ابن رِضْوان(1) ممن كثرت عليه عيونُه ، وساءت فيه ظُنونُه .

(*) على بن جار الله بن أبى بكر بن محمد ، ابن أبى اللطف ، القدسى ، الحنفى .

كان فاضلا ، محققا ، قوى الحافظة ، أديبا .

سافر إلى الروم مرارا ، وولى إفتاء الحنفية بالقدس ، وخطابة المسجد الأقصى .

توفى بغزة هاشم ، فى سنة سبعين وألف ، قتله حاكمها الأمير حسين بن حسن ، قيل : عدوانا ، وقيل : ورد فيه أمر شريف بقتله ، وذلك لأمور منكرة كانت صدرت منه ، يرجع أكثرها إلى حب الدنيا والرئاسة.

خلاصة الأثر ٣/ ١٥١ ، ١٥٢ .

(1) حسين باشا بن حسن بن أحمد بن رضوان ، الغزى .

ولى إمارة غزة ، بعد وفاة أبيه ، سنة ثلاث وخمسين وألف .

وفى آخر عمره ، وشى به إلى السلطنة ، فسجن بقلعة دمشق ، وضبطت أمواله ، وأخذ إلى الباب العالى ، وقتل فى سجنه هناك ، سنة ثلاث وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/ ٨٨ ، ٨٩ .

فاحْتال عليه ، في اسْتِدنائه إليه .

حتى إذا حصَل على تلك الأغراض ، فتك فيه على غِرّة فَتْكة البَرّاض [١] .

وذهب كأمسِ الذّاهب ، والدهر هكذا واهِب ناهِب .

فالله يُسهِم له مع أهل الثواب ، ويلهمُه عند السؤال الجواب .

* * *

وقد أثبَتُّ له من أشعاره ماتوَدُّ الشمس سَناه ، والنسيمُ اللّدْن رِقّةَ معناه .

فمنه قوله ، من قصيدة مطلعها [٢] :

خليليَّ هذا الدهرُ دانتْ عجائبُه … فطَمِّن فؤادا إن نَشِبْنَ مخالبُهْ [٣]

ولا تَعْتَبَنْه إن تأخّر ذو حِجًا … فذا الدهرُ لم يُحْرِز سِباقًا مُعاتبُهْ

سكِرتُ بهذا الدهرِ لامن عُقارِه … ولكن لِما أبْدتْه عندى عجائبُهْ

فما محرِم الإنسان إلا علومُه … وما ذائقُوه السُّمَّ إلا أقاربُهْ [٤]

* * *

وهذا فيه إيماء إلى قول ابن العميد [٥] :

---

(١) هو البراض بن قيس الكنانى ، أحد فتاك العرب .

وكان من خبر فتكته ، أنه كان وهو فى حيه عيارا ، يجنى الجنايات على قومه ، فخلعه قومه وتبرأوا من صنعه ، فتنقل فى أحياء العرب ، وقدم على النعمان بن المنذر ، فعرض عليه النعمان أن يجيز لطيمته إلى عكاظ على حى قيس وكنانة ، فقال البراض أنا مجيزها على كنانة .

وكان عروة بن عتبة ، الذى يقال له الرحال حاضرا ، فقال للنعمان : أهذا العيار الخليع يكمل أن يجيز لطيمة الملك !

فدفعها إليه النعمان ، فرحل عروة بها ، وتبع البراض أثره ، حتى إذا صار بين ظهرانى قومه وثب إليه البراض بسيفه ، فضربه ضربة خرمتها ، واستاق العير ، فصارت فتكته مثلا .

ثمار القلوب ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٥٢ . (٣) فى الأصول : « فطمن فؤادى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر . (٤) فى ج : « فما يحرم الإنسان » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفى ا : « إلا عيونه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى ا : « وما ذائقوه السهم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) البيتان فى : التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، خاص الخاص ١٢٦ ، خلاصة الأثر ٢/١٥٢ ، وفيات الأعيان ٤/١٩٤ ، يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ .

آحِ الرجالَ مـــن الأبا عـــدِ والأقاربَ لا تُقارِبْ

إنَّ الأقاربَ كالعقـــا ربِ بل أضرُّ من العقاربْ

وفى المثل : ظلم الأقارب أشدُّ مَضَضا من وَقْع السيف .

وقيل : إنما أخْشَى سَيْل تَلْعَتِي .

والتَّلْعة : مَسِيل الوادى ، من السَّنَد [١] إلى بطن الوادى .

ومعنى المثل ، إنما أخاف شرَّ أقاربى [٢] ، [٣] ويضرب به مَن يخاف أن يُؤْتَى من مأمَنِه ، ومن جهة خاصّته وأقربائه .

وأما قولهم فى مثل آخر : ما أقْوم بسَيْل تَلْعَتِك .

فمعناه : ما أطيق هِجاك وشَتْمك الذى تشتمنى به ، ولا أثبُت له [٣] .

ولبعضهم :

جانِبْ إذا أرْشدت أهْلَ القُدس من أباعـــدٍ تودّ أو أقاربِ

فالقُـــدسُ طُشتُ ذهبٍ لكنّه ممتلئٌ يقال بالعقاربِ

* * *

وله من قصيدة مستهلها :

عِدْ فمضْناك يُعادْ وابْقَ فالفانِى يُبادْ

وتلافَى مُهجةً أتْلفَها منك البِعادْ

وأبْقِ أحْشاءً لها منك جُرحٌ وضِمادْ

أوْ فعوِّضْنى طَيْفاً منك قد أعْيَى السُّهادْ

مُحْنقى فيك وهِجْرا نُك قَدْحٌ وزِنادْ

(١) فى خلاصة الأثر ٢ : ١٥٢ : « النجد » . والسند : ما قابلك من الجبل ، وعلا عن السفح .

(٢) فى ا : « أقربائى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) هذا كله ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

قاتِلي والقتلُ لي في جَدَدِ الحبِّ مُرادُ (١)
كلُّ صَبٍّ لايرى الـ هُلْكَ تعدُّ الرَّشادُ
كـدَّرَ العشقُ لنا من صفاءٍ وصِفادُ
سَلْوَتي عزَّتْ فهل شيءٌ عزيزٌ لايُرادُ
صادَني لَحظُك يا أهْيفُ والأُسْدُ تُصادُ
كنتُ قبلَ العشقِ لا يَجذِبُ آمالي عِنادُ
مُمتطٍ صبوةَ أوْ راحٍ وللدهرِ انقيادُ
لفظَتْني شُقَّةُ الدَّ هرِ تخافتني البلادُ
وكذا مما يَمضغُ الـ أبحُرَ تعفوه الجيادُ
سامَني الدهرُ فما مالِيَ عكسٌ وطِرادُ
يمنحُني وَصلَ إذ غامي ومثلي لايُكادُ
لا تضِقْ يا قلبُ فالإعـ ـسارُ لليسرى نِجادُ
وترى الصبرَ لا يُحـ ـسنُ بالفحل جِدادُ
إنْ تبرّأني فيناه الأ خانِ بينما في الوهادُ (٢)
ليَ من قومي وقومي في ركنُ عزٍّ واعتمادُ
نحن آلَ اللطف أوْ وادُ أساورةٍ شِدادُ (٣)
حَلْيُنا اليقْظةُ إذْ ما الْـ غيرُ حلاهُ الرقادُ (٤)

---

(١) جدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٢) في ا ، ج : « يتبناني الوهاد » ، والمثبت في : ب . (٣) في ا : « أساوات شداد » ، وفي ج : « وسادات شداد » ، والمثبت في : ب .

(٤) ورد البيت في ب هكذا :

حليُنا اليقظةُ إذ ما حيةُ الغير رُقادُ

والمثبت في : ا ، ج .

كلَّ عصرٍ حضرةُ القدْ　　سِ لنا منها عمادْ

شيخُنا الفاروق فى قرْ　　طاسِ إنْشاها المدادْ

عمرُ الليث إذا صا　　لَ وإن طال جَوادْ

هادىء الْخَلْق إذا ما　　عن طريق الحقِّ حادْ[1]

كعبةُ الطائفِ والرَّا　　جى وللعافِين زادْ[2]

من نُشورِ غيثُ نُعْ　　ماهُ وناديه مَعادْ

جمرةُ الكونِ ولكن　　ليس يعلوها رَمادْ[3]

وأخو المجدِ أبو اللطْ　　فِ سَما المجدِ المُرادْ

مُدرِكُ الغاية إن آ　　يسَ فى السبقِ الجوادْ[4]

***

وله (٥ من أخرى ٥) يمتدح بها[5] الأمير حسين ، أمير غَزّة :

احْفظْ فؤادَك يا مُفَنِّدِى　　نارُ الهوى تَمْتارُ جِدًّا

هذا سهامُك فى الحشا　　حمرا شواكلُها ومُرْدًا[6]

إن شئْتها أبدَيْتُها　　من مُقلتِى دمعاً وسُهدًا

نعَم اهْتِزازُ قَوامِك الـ　　مَعْسولِ لا يختار رَدًّا

فاعْمِلْه فى حركاتِهِ　　إن رمتَ أن لا تُبْقِ فردًا

أمُعذِّبِى بئس الهوى　　إن لم يكن قربًا وبُعدًا

فامنَحْ فؤادىَ نظرةً　　إن شئت للتَّعذيب مَدًّا

---

(١) فى ب : « عن طريق الحد حاد » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٢) فى ا : « والرا * جى وإن طال جواد » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٣) فى ب : « ليس يعلوه رماد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : « مدرك الغايات إن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .　(٦) فى ج : « جرد شواكلها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

نِعْمَ الشهادةُ مُنجِدًا   لو سوَّغتْ للوصلِ شُهدَا

لو أنّ فعْلك للزما   نِ رددْتَه كلأً ووَرْدَا

فلَكمْ أتى بمبرِّحٍ   منه اصْطبارِى كان سَدَّا

ولَكم أبان مخالبًا   خلَّيْنَ للأهداب نِدَّا

يا جاعلًا أحْداقَنا   قُرطًا ومِنطقةً وغمدَا

شخَصت لناظِرك المُكحَّـ   ـلِ أنفُسٌ صيدًا وأُسْدَا[١]

فى موقفٍ يدَعُ النفو   سَ ذوائبًا والدمعَ جَعْدَا

ويقسِّم الأكْباد حسْبَ الْ   وَصفِ سوْسانا ووردًا[٢]

فكأنَّ سيفَ حسين يُو   ضِحُ للورى حَدًّا وحدًّا[٣]

ويُرِى لكلِّ مُنابِذ   إفْرِنْدَه بالرَّقْمِ حَدًّا

فكأنما إدريسُ أوْ   دعَ فيه ما أخْفى وأبْدى

بطلٌ يُشيرُ لمثله   نَفْعًا وللمُجْدين رِفْدَا

السابقُ الشُّمَّ الأنو   فَ أبًا وأبْناء وجَدًّا[٤]

حامى قِبابِ المجد ما   بذلوا لها شرفًا ومجدًا

أمظلِّلَ الأبْطالِ عِقْ   بانًا وكاسِى الفقر بُرْدَا[٥]

أيْسَرْتَ غُرَّةَ غُرَّةٍ   ومنحتَها للفخرِ عِقْدَا

حتَّى سبَتْ بنظامِها   عجَمًا وأتْراكًا وهندَا

---

(١) فى ب : « شخصت لناظرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « ويقسم الأكباد حب الن * فس . . » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « يوضح الورد جدا وحدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) فى ا : « السابق الشيم » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٥) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وفى ب : « عق * بانا وكاس الفقر » ، والمثبت فى : ج .

تِيهاً أعَزَّهُ إنَّمـــا أرْبابُك عِزٌّ ليس يَصْدَا

***

وله من أخرى ، أولها(١) :

مِن دياجِى البعد هـال المقربِ وَمْضُ ... أم بِمِضْمارِ التهـانى ثَمَّ رَكْضُ

لا أُمَـنِّى النفس ما لى وأُنَّى ... عاقَـنِى من أدهم الأيام رَكْضُ

كان تَسْآلى مُخِـلاًّ بالعطـا ... يومَ لا نَأْىَ دنا والعيشُ غَضُّ

يومَ كان الشُّرْبُ سَمـا وأنا ... بِتُّ نَيْلُ ثم سَمـا والكلُّ أرضُ

صاحِ عاطِينى ولا تسـأَلْ لما ... جَفْنُ كأسى وجفونى لا تُغَضُّ

إن تقـلْ جُرْحُ زمانى كاتمٌ ... منهمُ فى القلب جُرْحٌ لا يُمَضُّ

عَلِق القلبُ بلَحْـظٍ إن ... قاتلٍ أو كَفُّهُ ظَنَّ الكفُّ غَمْضُ(٢)

مَن مُجيرى من هوى مَن لَيْثُه ... فى عَرِين القلب زَفْراتٌ ورَبْضُ(٣)

كنت لا أعرفُ تمزيق الكرى ... ورأى كيف عَضْبَ الجفن يفضُو

ورأى طُغْيـان قلبى فرَنا ... لِيُريه شُهُبُ الطاغِى تقُضُّ(٤)

فتناسيْتُ بـاِمْعٍ برْقِهِ ... مذ بدا لى منه بَسْطٌ ثم قَبْضُ

قال لى والصَّحْـو ما خمرَه ... واستملَّى قَدَّه طولٌ وعرضُ(٥)

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/ ١٥١ .

(٢) رفع « غمض » لضرورة القافية .

(٣) فى خلاصة الأثر :

من مجيرى من هوى من ليثه ... فى عرين القلب فرات وربضُ

(٤) فى ا : « ورأى طغان قلبي . . . شهب الطاق » ، وفى ب : « وأرى طغنان قلبي » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) عجز هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

هـــل تخمّرتْ بنُور طُرّتى   أم جفون الشّعر دَاناهُنّ غُمْضُ[١]

قاتُ شَيْبِى مِن سعيرِ مُهْجتى   أَبْرزتْه زفراتُ القلب ومْضُ[٢]

أو سِنانٌ طاعنٌ قابَ الصّفَا   أو شهابٌ إذ خَتْمِ العيشِ فَضُّ[٣]

ودموعى ماءُ قلبى نـــارُه   أخرجتْها من قُرُوحِ الجَفْنِ بَضُّ[٤]

قال لى والغصنُ يثْنيه الهـــوى   قد أتى من سائل الأجْفان عَرْضُ[٥]

فارْجِــعِ الدمـــعَ لتطفِئَ نارَه   حيث لى فى منْزل الأشواقِ عَرْضُ

حِلْيــةُ العاشق قربٌ وقِلَى   أىُّ وجــدٍ لفؤادٍ لا يُرَضُّ[٦]

❊ ❊ ❊

قلت : هذا شعر مقدارُه خطير ، إلا أنه فَطِير .



---

(١) فى ب : «هل تخمرت» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ا : « أنباهن غمض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى ج : « قال شيبى . . . زفرات القلب رمض » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفيها : « أو ختم العين فض » . (٤) بض يبض : سال قليلا قليلا . (٥) فى ب : « من وابل الأجفان » ، وفى خلاصة الأثر : « من سائر الأجفان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والعرض هنا : الغزير من الدمع .

(٦) يعنى بقوله : « لا يرض » لا يؤثر فيه الوجد ، من الرض ، وهو الدق والجرش .

٨٥

حافظ الدين العَجَمِيّ*

فارسُ مَجال ، وربُّ رَوِيَّة وارْتجال .

تُؤخذ الفصاحةُ عن لفظه ، وتُسْتَملَى فنونُ البلاغة من[1] حِفْظه .

وله حظٌّ من الأدب عظيم ، واختصاص بنَثير ونَظِيم .

إلا أن شعرَه أملُ الكثرة ، وهى كما عرفت متواخِيةٌ مع العَثْرة .

وكان نَبَا به فى حَداثته وطنُه ، وضاق ببعض الحوادث عَطَنُه .

فطار كلَّ[2] مَطار ، ولم يُعرِّج على أوطانٍ وأوطار .

ومع أنه يُراقبه من الجلالة حافظ ، وهو له فى كل شؤونه مُطالع مُلاحظ .

كان كَلِفًا بالغِلمان ، مُغْرًى بهم فى كل الزمان .

وعشق بدمشق فتى[3] اتخذه للخدمة ، وهام به هَيمان ذى الرُّمَّة[4] .

(*) حافظ الدين محمد بن جمال الدين أحمد العجمى ، المقدسى ، الحنفى ، القاضى .

أديب فاضل ، كثير الإحاطة باللغة

قرأ وحصل ببلده ، وتفوق فسافر إلى الروم مرارا ، ولازم شيخ الإسلام محمد بن سعد الدين .

كانت له الرحلة إلى مصر ، وولى القضاء بها فى أماكن عدة ، ثم عاد إلى الشام ، وأعطى قضاء طرابلس

الشام ، ثم سافر إلى دار الخلافة ، سنة أربع وأربعين وألف ، وولى القضاء ببوسنه وصوفيه .

وقد اشتغل بالإفتاء ، والتدريس بالمدرسة العثمانية بالقدس ، حين عاد إليها من مصر .

توفى سنة خمس وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٤١٢ ـ ٤١٤ .

(١) فى ا : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب بعد هذا زيادة على ما فى ا ، ج : « يوم » . (٣) ذكر المحبى فى الخلاصة ٣/٤١٢ : أنه كان يدعى بخندان . (٤) غيلان بن عقبة ، شاعر أموى ، عشق مى المنقرية ، واشتهر بها .

توفى سنة سبع عشرة ومائة .

تزيين الأسواق ٧٨ ، شرح المقامات للشريشى ٣/٤٠ ، الشعر والشعراء ١/٥٢٤ ، وفيات الأعيان ٣/١٨٤ .

وتحمّل فيه أنواع المشاق، وشهد حتى مصارعَ العشاق.

وشرب بالفتى، ولم يقل السُّلوُّ متى.

وكان قد فضح النهارُ ليلَه، وأقْعم[1] الهرَمُ فى هاتِه سَيْلَه.

فمضغَتْه أفواهُ التشْنيع، وعضَّتْه أضراسُ النَّدامة على هذا الصَّنيع[2].

ثم خرج عنه الفتى مُجانبا، وخلّاه هو وكمده جانبا.

واتّفق له أنه كان فى جمعٍ من الأعيان، مِمّن يضيق عن وصف تيقُّظهم نطاقُ البيان.

إذ سقط الفتى سقوطَ النَّدى، وحلَّ حلولَ الأمل فى ذلك المُنتدى.

فلم يتمالك الشيخ أن وقع مَغْشيًّا عليه، وفمه على ظاهر قدمَيه.

فاغتنم تلك الفرصة، وأطفأ بتقبيلهما تلك[3] الغُصّة.

والفتى يُظهر امتناعَه، والخجل حطّ عليه قناعه.

حتى زايل مكان زلَّة القدم، هنالك قرع الشيخ سنّ الندم.

وشرع يطلب العفو، وينسُب ماوقع منه إلى الغَفْو.

ثم لم يقرّ به القَرار، دون أن عزم على الفَرار.

وخرج إلى الروم حاملَ أثْقال، وهو [4] بريدُ ترحُّل [4] وانتقال.

وانتهى أمرُه إلى أن صار قاضياً بصُوفيه، وبها انتقل من ظلّ العافية، إلى ظل الرحمة الوافرة الوافية.

* * *

---

(١) فى ج: «وأقحم»، والمثبت فى: ا، ب. (٢) فى ب: «المضيع»، والمثبت فى: ا، ج.
(٣) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج. (٤) فى الأصول: «يريد ترحل»، ولعل الصواب ما أثبته.

وقد أثبتُّ من شعره ماله فى إصابة شاكلة الصواب اشتهار ، فإنه إن [(١)] كان حاطبَ ليل فأنا فى انتخاب أحاسنه [(٢)] قاطفُ نهار .

فمن ذلك قوله :

رأى ما حلَّ من فَرْط التَّصابِى ... ومن مَيْل الجفون إلى انتهابِ

فمال إلى انعطاف العِطْف نحوى ... وأحْيَى القلبَ من رَشْف الرُّضابِ [(٣)]

وقام لنشر بُرْدِ الوصل يطوى ... بأيدى اللُّطف أرْدِيَةَ العتابِ

غزالٌ كالغزالة قد غزانى ... بأجفانٍ أصابتْ كلَّ صابِى

صَبا قلبى إليه فكلُّ صَبٍّ ... سليمُ الطبع مأسورُ التَّصابِى

جرحتُ بنظرتى خدَّيْه وَهْماً ... فقابلنى بأنواع العقابِ

أرى تعذيبَه للقلبِ عَذْباً ... لأشْقَى من مَراشفِه العِذابِ [(٤)]

متى حسَر النِّقابَ عن المُحيَّا ... سَبَى العقلاءَ وَسْنِى فى النِّقابِ [(٥)]

بكأسِ الثغرِ منه عِقْدُ دُرٍّ ... تكلَّل مثلَ حبَّات الحَبابِ

إذا أتْبعتُه فى المَشْيِ طَرْفِى ... فلا أدرى الضلالَ من الصوابِ

أدار على صباحِ الجِيد شعراً ... كليْلٍ جلَّ حسناً عن خِضابِ [(٦)]

وسَيَّبه على الأرْدافِ يسْعَى ... كأفعى فى التِفاتٍ وانْسيابِ

قسا قلبا ولكن لان عِطْفا ... أما هذا من العَجَب العُجابِ

قضى بالقتْلِ للعشّاق قطعاً ... بحُكْمٍ منه قَطْعِىِّ الجَوابِ [(٧)]

---

(١) فى ا : « وإن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « إحسانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « إلى انعطاف الوطف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «لأشقى من مراشفه» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) ورد عجز البيت فى ا هكذا :

* سبى العقلاء فى سَبْىِ النقابِ *

والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « حل حسنا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ا : « للعشاق عمرا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وذلك حين أدْمَوْا منـه خَدًّا ... بنَظْرتهم له خلفَ الحجابِ
ولم يُقِمِ الشهادةَ حالَ قَتْلٍ ... لكيْ يحتاج فيهـا للنِّصابِ
يُصيب إذا رمى فى القلبِ سهما ... وكم بالجَفْن منه مِن مُصابِ
قد استَلَبَ النُّهَى باللطفِ منّى ... وبالَغ فى فُنون الإسْتلابِ
فنارُ القلب منّى فى التهابٍ ... وطَرْفى الصَّبُّ منـه فى انْصبابِ

* * *

وقوله فى الغزل :

أيامَن يُحيِّى الحسنَ منـه بدورُ ... وقد جذبتْه للخُدورِ بدورُ
أراك تجُوز الحيَّ بالقلب خائفاً ... رقيباً ومِن شأن المحبِّ يزورُ[1]
أمالَكَ أن تَدْنِى العِنـانَ لحىٍّ مَن ... يُزار فمحبوبُ القـلوبِ مَزُورُ
فكن مُصْغِياً سمعـا فإن لسانَه ... يقول لأرْباب المحبـةِ زُورُوا
إذا زرتَ أحْياء الأحبَّـهِ زُرْهُمُ ... وإلّا فدَعْواك المحبـةَ زُورُ

* * *

وقوله :

وأهْيَفٍ زارنى والليـلُ مُعتكِرٌ ... فأشرقتْ من سَنا لألائهِ دورُ
قالت عقاربُ صُدْغَيْه ندُور على ... لَسْعِ الحشا قلتُ ها كُنّ الحشا دُورُوا

* * *

وهذا فى باب التَّورية مُستظرَف .

ومثله قولُ بعضهم[2] :

هَويْتُ غصناً لأطيـارِ القلوب على ... قَوامِـه فى رياض الوجـدِ تغْريدُ[3]

---

(١) فى ب : « تجوز الحى والقلب خائفا » ، وفى ا : « تجوز الحى بالقلب خائفا » ، والمثبت فى : ج.

(٢) بعد هذا فى ب زيادة على ما فى : ا ، ج : « والبيت الثانى لابن حجة » . (٣) فى ا : « فى رياض المجد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قالتْ لَواحِظُــــه إنا نَسُودُ على ... بِيضِ الظُّبا قلتُ أنتم أعينٌ سُودُوا [١]

***

وقوله من قصيدة ، مطلعها :

هو الوجدُ فى روضِ القلوبِ مَنازِلُهْ ... يترجمُ عنه أين حَــلّ مُنازِلُهْ

وأين خَـلِيُّ السرِّ من عارفِ الهـوى ... فَذَا عالمٌ فيـــه وذلك جاهلُهْ

ولولا الهوى ما مالَ قلبٌ إلى الهوى ... ولا غرّدتْ من فوق غصنٍ بَلابِلُهْ [٢]

فهل حافظ فيــه حــديثًا مُعَنْعَنًا ... يُسائلنى عنــه وعنه أسائلُهْ [٣]

فمالى وللأطلالِ لاطَالَ ظِلُّهــا ... أُناشدُها عمّن ترُوح رواحلُهْ [٤]

ومالى وذِكْرِى للتّشبيبِ سَفاهةً ... وقد فعــل التّشبيبُ ماهو فاعلُهْ

ومالِى وللبَيْـــداءِ أقطعُ مَتْنَها ... على ظَهرِ يَعْبوبٍ تناءتْ مَراحلُهْ [٥]

ومالى ورَسْمِ الدارِ والرسمُ قد عَفَا ... وماذا عسى يومًا يُجاب مُسائلُهْ

ومالى ووصفِ الشيبِ لابانَ صُبْحُه ... ولا ظَهرتْ فى العارِضَيْنِ مَخائلُهْ

ولا انفكّ طِرْفُ اللهوِ يجرى على الصِّفَا ... بمضمار شوقٍ لا تـكِلُّ جحافلُهْ [٦]

ولا قصُرتْ يومًا خُطاه ولا انثنتْ ... قوائمُه فى السَّبْقِ عمّا تُحاوِلُهْ

ولا زِلْتُ فى ليـلِ الشَّبيبةِ والصِّبا ... تُضىءُ عليــــنا بالسرورِ مَشاعِلُهْ

ولا عُطِّلتْ أوقاتُ صَفْوٍ ولا خلَتْ ... من الأُنْسِ ساحاتُ الهوى ومنازلُهْ [٧]

وما زالَ غصنُ العمرِ بالعِزّ مُورِقًا ... ومَنْشؤه صافِى المَناهـــلِ آهلُهْ

---

(١) سودوا : من السيادة ، و « سود » ، من السواد . (٢) فى ب : « ممامال قلبى إلى الهوى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى الأصول : « حديثا معنفا » ، ولعل الصواب ماأثبته . (٤) فى ج : « ومالى وللأطلال » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا : « لاطال ظلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) اليعبوب : الفرس السريع الطويل . (٦) فى ب : « لاتنك جحافله » ، وفى ج : « لاتسكن جحافله » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ا : « عن الأنس » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « ساعات الهوى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ولا برحت فى الدهر مرآةُ عيشِنا صقيلةَ وجهٍ لا تراه نوازِلُه [(١)]

ولا هجرتْ ذاتُ السِّوارِ مُتيَّماً يقابلُها يوم اللقا وتقابلُه

ولا صدَّ خالى العارضَين ولا ثنَى ولا مال عنِّى مائلُ القدِّ مائلُه

غزالٌ متى ما رُمْتُ أفْهِمُه الجوى يغازلنى من جَفْنِه وأغازلُه

منها [(٢)] :

عواملُه فى القلب قَدٌّ وحاجبٌ وجَفْنٌ وكم فى الخلقِ صالَتْ عواملُه [(٣)]

فذلك رُمْحٌ والحواجبُ قوسُه وذلك سيفٌ قد حَمَتْه حوامِلُه [(٤)]

به صِرْتُ أوْهَى من خيالٍ إذا سرَى لذلك جسمى زائدُ السُّقمِ ناحِلُه

***

ورأى بدار الخلافة سِرْبا من الظِّباء الغِيد، قد اعتلَوْا النَّواعير فى أيام العيد. فدارت تلك الأفلاك، بهاتيك النجوم الممثَّلة بالأملاك.

فقال يصفهم :

ماشاهدتْ مُقلتى فى غُرْبتى حسَنًا إلَّا بُدورا بدارِ الرُّومِ قد سُلِبُوا

كأنَّ ناعورةً دارتْ بهم طَرَبًا قلبى فيهم كيف ماشاءوا به انقلبُوا

***

وقال أيضا :

ويومِ عيدٍ كساه الأُنسُ حُلَّتَهُ كم من جميلٍ به فى صُورةِ المَلَكِ

بُدورُ تِمٍّ بأُفْقِ الحسنِ قد طلَعوا فزال ما كان فى الأكوان من حَلَكِ [(٥)]

---

(١) فى ب : « ولا برحت بالعمر » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : « لاتراه منازله » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب . (٣) فى ب : « وكم فى القلب صالت عوامله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « والحواجب قيسه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وفى ج : « بأفق الأنس » .

كأنهم في نَوَاعيرٍ تدُورُ بهم نجومُ أُفْقِ السّما في دارَةِ الفلَكِ

***

ووقفتُ على « ديوان » جمعه لنفسه ، وكتب على ظهره من نظمه ، قولَه :

ستفنى الليالى واللآلِي بحالِها وماهى إلا النظمُ من حافظ الوُدِّ (١)

فإن عشتُ أنْشتُ الزمانَ وإن أمُتْ فلى شاهدٌ بالنظمِ والنثرِ من بعدِي



(١) في ا : « من طالب الود » ، والمثبت في : ب ، ج .

٨٦

مَرْعِيّ بن يوسف الكَرْمِيّ *

مُقدَّم في العلوم الشرعية ، غيرُ متأخِّر في العلوم الأدبيّة المَرْعِيّة .

فهو من الفضل في مُنتهاه ، ومن الأدب في محل سُهاه .

وله جَودة إتقان ، وتمسُّك بالهُدى وإيقان .

مع زهد يحُول [1] بين القلوب ولَذّاتها ، وتبتُّل لا يرغَب في العبادة إلا لِذاتِها .

نَقِيٌّ مما يُصْدِئ مرآة نُهاه ، فما صَبا لطَبْيٍ ولا اعْتاق بمَهاة .

يَهِيم في صلاح وسَداد ، إذا هامت الشعراء في كلّ واد .

وهو أوحدُ من ألَّف وصنَّف ، وأعظم من قرَّظ وشنَّف .

* * *

وله أشعار ومنشَآت جلاَ [2] أُفقَها ، وجَلَّى طَرْفَها وطُرَقَها ، وأطلَع من تحت غصون الأقلام كالرياض وَرَقَها .

(*) مرعى بن يوسف بن أبي بكر الكرمى المقدسى .
الإمام ، المحدث ، الفقيه ، أحد أكابر علماء الحنابلة .
أخذ عن محمد المرداوى ، والقاضى يحيى الحجاوى .
ودخل مصر ، وتوطنها ، فأخذ بها عن الإمام محمد حجازى الواعظ ، وأحمد الغنيمى ، وكثير من المشايخ المصريين .
وتصدر للاقراء والتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى المشيخة بجامع السلطان حسن .
وانقطع الكرمى إلى العلم ، فظل ملازما للافتاء ، والتدريس ، والتحقيق والتصنيف طيلة حياته .
وقد ذكر له المحبي كثرة كاثرة من المصنفات ، منها في فقه الحنابلة : « غاية المنتهى » ، و « دليل الطالب » .
توفى بمصر ، سنة ثلاث وثلاثين وألف .
خلاصة الأثر ٤/٣٥٨ ـ ٣٦١ ، وانظر الأعلام ٨/٨٨ .

(١) في ب : « يجول » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « حلا » ، والمثبت في : ا ، ج .

فمن شعره قوله :

لمّـــــا رأيتك مقبلاً متبسّما ... والحسنُ عمّك والبَها والسُّؤدَدُ

والمسكُ خالُك فاح عطراً نَشْرُه ... والوردُ خـــدُّك جمرُه يتوقّدُ

قلت ارتجالا بيتَ شعرٍ مفرداً ... أنت المرادُ وفى المحاسنِ مُفْرَدُ(١)

ياواحـــــداً فى حُسْنِه وجمالِه ... إنّى وحقّك فى هواك مُوحّـــدُ

❊ ❊ ❊

وقوله :

أيامَن حَـــلا لى ثغرُه ورحيقُه ... رُوَيْدَك إن القلبَ زاد حريقُهُ

ويامن تجـــلّى بالدّلالِ ومَلّنى ... ومن لحظِه سَيْف يلوح بريقُهُ(٢)

ويامن حَكاه الغصنُ وهْو وَريقُه ... وَورْدٌ وشُهــــد وَجْنتاه وريقُهُ

تُعلِّق آمالى بذاك وتنثنى ... وهل ينثنى عمّن يحبُّ مَشوقُهُ

وصيّرتَ لى ذنبًا ولم آتِ مُذنباً ... وحمّلتنى بالهجرِ مالا أُطيقُهُ

صبرتُ ومُرّ الصبر فتّتَ مُهجتى ... وإن كنتَ فى شكٍّ فسَلْ من يذوقُهُ

❊ ❊ ❊

وقوله :

مُذ غاب عن عينى وأعرض عامداً ... مَن كنت أهواه تغـــــيَّر حالِى

وأتى العــــذولُ مُوبِّخاً ومعاتِباً ... مامَن يقاسِى مثلَ من هو خالِى

❊ ❊ ❊

ومن أمثالهم فى هذا الباب :

الراكبُ لا يعرف حال الماشى .

(١) فى ب : « بيت شعر مفرد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : «ويا من تجنى بالدلال» ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ج .

والشبعان يفُتُّ للجوعان فتًّا بطِيًّا .

مَن نام لا يشعُر بشَجْو (١) الأرِق .

* * *

وله (٢) :

بِرُوحِي مَن لي في لِقاه وَلائمٌ ... وكم في هواه لي عذولٌ ولائمُ

على وَجْنتَيْـــه وَرْدتان وخالُه ... كمِسْكٍ لطيفِ الوصف والثغرُ باسمُ

ذوائبُه ليلٌ وطلعـــةُ وجهِه ... نهارٌ تبـــدَّى والثنايا كمائمُ (٣)

بديعُ التثنِّي مرسِلٌ فوق خـــدِّه ... عِذاراً هوى العُذْرِي لديه مُلازِمُ (٤)

ومِن عجَبٍ أنِّي حفِظتُ وِدادَه ... وذلك عنـــدي في المحبةِ لازمُ

وبيْنِي وبين الوصل منه تَبايُنٌ ... وبيني وبين الفصْل منه تلازُمُ

* * *

وله (٥) :

ليت في الدهر لو حظِيتُ بيومٍ ... فيـه أخْلو من الهوى والغرامِ

خالِيَ القلبِ من تَبارِيحِ وجدٍ ... وصـــدودٍ وحرقةٍ وهيـامِ

كي يُراحَ الفؤادُ من طولِ شوقٍ ... قد سَقاه الهوى بكأسِ الحِمامِ

* * *

---

(١) في ا : « بشجون » ، وفي ب : « بحال » ، والمثبت في : ج . (٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٣٦٠ ، ٣٦١ . (٣) في خلاصة الأثر : « والثنايا بواسم » . (٤) في الأصول : « عـذار هوى » ، والمثبت في خلاصة الأثر . وفي ا : « هوى العذرا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٣٦١ .

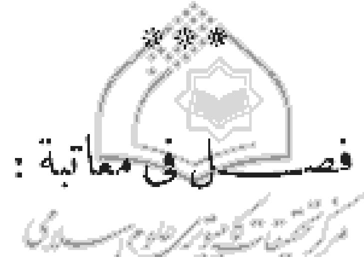
﴿ ومن مُنْشَـآته ﴾

فصـــــل في مُعاتبة بتصديق الوُشاة :

المولى يعلم أن الواشىَ لا يخلو من أحد أمرين ؛ إمَّا أن يكون محبا ودوداً ، أو عدوًّا حسودا .

فإن كان الأول فيستحيل أن يقصد المحبُّ [1] لحبيبه ضَرَرا ، ويحمِّله من الإثمِ وِزْرا .

وإن كان الثانى فمعلوم أنه يجتهد فى أذِيَّته بكل طريق ، ويحرْص أن يُغْرِىَ عليه كلَّ عدو وصديق .



فصـــــل في معاتبة :

الصديقُ لفظ على الألسنة موجود ، ومعناه فى الحقيقة مفقود .

فهو كالكِبْريت الأحمر ، يُذكَر ولا يُبْصَر .

أو كالعَنْقاء والغُول ، لفظ يُوجَد بلا مَدْلول .

وما أحسن قول القائل :

صادُ الصديق وكافُ الكيمياء معاً   لا يُوجَدان فدَعْ عن نفسِك الطَّمَعا

وقول الآخر :

لما رأيتُ بنى الزمانِ وما بهم   خِلٌّ وَفِيٌّ للصداقةِ أصْطفى

أيقنتُ أن المستحيلَ ثلاثةٌ   الغُول والعنْقاء والخِلُّ الوَفِى

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وسئل بعض الحكماء عن الصديق فقال : اسم لا معنى له .

وهذه شيم غالب أبناء هذا الزمان ، من الأخلاء والإخوان [١] .

فمثلهم كمثل العرض لا يبقى زمانين ، ويستحيل فى أسرع من طرفة عين .

أو كلمع السراب ، المستحيل فيه الشراب .

أو كالخيال الذى يبدو فى المنام ، وهو فى الحقيقة أضغاث أحلام .

ومن كان بهذه الصفة ، فلا ينبغى الوثوق به ، ولا التأسف [٢] على فقده ، ولا التألم على فرقته ، ولا الحزن على غيبته .

* * *

فصـــــل فى تهنئة بفتح :

بعد تهنئة بتأييد عزائمه ، وشفك دماء العدى على ألسنة صوارمه .

ظهرت فى سماء السعد مطالعه ، وشرفت أقلام سطرت بها وقائعه .

فهو الفتح ، الذى قضى على دم العدى بالسفك ودموعهم بالسفح ، وتليت لديه آيات التهانى [٣] : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ .

وسيوفه وإن كانت باكية دماً فمواضيها بهذا الفتح ضاحكة ، وجنوده [٤] منصورة كيف لا ! ومن أنصاره الملائكة .

* * *

فصـــــل فى الحث على المواعيد :

مثله من يتبع قوله بفعله ، ويأنف من [٥] تكرير عداته بمطله .

---

(١) فى ب : « والخلان » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب بعد هذا زيادة عن ما فى ا ، ج : « عليه و » . (٣) سورة النصر ١ . (٤) فى ب : « وجيوشه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

فإن مرارة المَطْل تذهب حلاوة الإعطا ، وتكرير الطلب يشرب ماء الحيا .

والمرجوّ تحقيق رجاء العبد [١] بالإنجاز ، وتبليغه ما أمّله وأمّ له إنْ جاز .

* * *

فصل فى شكوى حال غريب :

ويُنْهِى أن غَيْن الغُربة قد أوقعته فى هاء الهواء ، وكاف الكُربة رمته فى ألف الأشجان .

وأصبح صادُ صبره مفقودا ، ونون نَوَاله مطرودا .

فعسى لحظةٌ منك تخلّصه من غَيْن غوائل الدهر ، وتُنقذه من قاف القهر .

* * *



فصل فى مخاطبة محدِّث :

سلامٌ يتّصل به سَنَدُ المحبّة والشوق ، ويتسلسل معه حديثُ الغرام والتوق .

وقد صحّت من الضَّعف آثارُه ، وحسُنت من طريق [٢] المحبّة أخبارُه .

من عنعنتْ [٣] بالسَّنَد العالى [٤] أحاديثُ كماله ، من غير إبْهام ولا انقطاع ولا إنكار لمسانيد فضله وأفضاله .

* * *

فصل فى مخاطبة منْطِقىّ :

سلامٌ تنطبق كُلّيّاته وجزؤيّاته على قضايا الأشواق ، وتُنتِجُ [٥] مقاماتُه من

---

(١) فى ا : «الصبر» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «طرائق» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : «تعنعنت» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا بعد هذا زيادة على ما فى ب ، ج : «من» .

(٥) فى ا : «وتبهج» ، وفى ب : «وتنتج» ، والمثبت فى : ج .

الأشكال مايعجز عن وصف خاصّة الرّسْم والحدِّ من الاشْتياق .

* * *

فصـــــل فى مخاطبة نحوىّ

سـلام تبرُز ضمائر الشوق من « توْضيح » « مسالكِ » معانِيـه ، وتظهَر عواملُ الغرام من مُعْرَبات مَبانيه .

يُهـديه مُحبٌّ انتصبَتْ محبته على التّمييز ، وارتفعت مودّتُه بماضِي عهدكم لأنه يرى أن العهدَ عزيز .

محبٌّ مُبتدأُ أحواله لايُعرب عنه الخبر ، وأفعالُ أشواقِهِ لا يحْـكيها إلَّا من له [1] خبر .



---

(١) فى ب : « عنده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٨٧

بَشِير الخليلى *

أديب بلُطْف الطبع مذكور ، وفضلُه غيرُ مجْحود ولا منكور .

له ذهن يكشِف الغامض ، ويسبِق البارِق والوامِض .

ومذهبُه ينشرُه [١] الأدب ويبسُطه ، وطبعه يمرح به الزَّهْوُ ويُنْشِطه .

أقرَّ عينَ الخليلِ [٢] بالعَرُوض ، واتَّخذ نَقْد القريض فى [٣] ذِمَّته من الفروض [٣] .

وهو ممن [٤] نُظِمت كلماتُه نَظْم اللآل [٤] ، إلا أنه غرَّته مطامعُه فى المدائح غِرَّة الآل .

يتكثَّر من العِدَة ، ويتقلَّل من الجِدَة .

فما أخْصب له وادٍ ولا نما ، فكأنه العَروض بَحْرٌ بلا ما .

* * *

وأنا لم أقِف من شعره إلا على قصيدة لاميَّة ، راجع بها الإمام خيرَ الدين الرَّمْلِي [٥] عن قصيدة على وَزْنها .

مطلعها [٦] :

(*) بشير بن محمد الخليلى ، القدسى .
أحد من تفرد بالشعر والأدب فى القدس .
توفى سنة ستين وألف .
خلاصة الأثر ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(١) فى ا : « ينشر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) يعنى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، مخترع علم العروض ومقننه .

(٣) فى ا : « ذمة الفروض » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : « ممن نظم اللآلى » ، وفى ج : « ممن نظم كلماته نظم اللآلى » ، والمثبت فى : ب .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج
وخير الدين الرملى ، هو صاحب الترجمة التالية .

(٦) مطلع قصيدة خير الدين ، وقصيدة الخليلى فى الرد عليها ، فى خلاصة الأثر ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ .

ما كان مَرْمَى فؤادى حيث هُيِّئَ لِى   فيه البِناد بهِنْدٍ بعـــد مُرْتَحَلِى (١)

وقصيدته هى قوله :

صَوْبٌ من الغيث وافَى زائدَ الهَطَلِ   أَحْيَى رُبَى القُدْس بعدَ الجَدْبِ والمَحَلِ (٢)

أم شمسُ فضلٍ ترقَّتْ فى مطالعِهـــا   أَوْجَ الفَخارِ فحلَّتْ ذِروةَ الحَمَــلِ

أم بدرُ أُفقِ المعالى قد تنقَّـــل فى   بُروجِه وكمالُ البـدر فى النُّقَـــلِ

لا بل هو الجامعُ العَرْفَ الذى ملكتْ   أوصافُه الغُرُّ رَحْبَ السهلِ والجبلِ

أراد ربُّك فى تحريـــكِه حِـكَماً   ورُبَّمــا صحَّت الأجسامُ بالعِلَلِ

فزيَّن المسجدَ الأقصى بحِلْيتــــه   وشَوَّه الرَّمْـــلةَ الرَّمْلاءَ بالعَطَلِ

فاهتزَّ من طَرَبٍ هــــذا لزَوْرته   وارتجَّ من حَرَبٍ هــذا لِمُرتَحَلِ (٣)

فكم على الساحل البَحْرِىِّ من حَزَنٍ   وكم على المسجد القُدْسِىِّ من جَذَلِ (٤)

وكيف لا وهو خيرٌ إن أقام على   أرضٍ تسامتْ وإن يرحلْ فلا تَسَلِ

تجمَّعتْ فيــــه أوصافُ الكمالِ كما   تجمَّعتْ قِسْمَ التفصيلِ والجُمَــلِ (٥)

أَحْيَى الدُّروسَ وقد أَحْيَى الدُّروسَ بها   وجد وابلُها الظمآنَ بالنَّهَلِ (٦)

معالمٌ لو رأى الرازى حقائقَهــــا   لَباتَ بالرَّىِّ يشكو أبرحَ الغُلَلِ (٧)

بجُودِ كفٍّ لو الطائىُّ شاهــــدَه   لقــال لا ناقتى فيها ولا جمــــلِى

---

(١) فى ب : « ما كان مرمى فؤادى حيثما هى لى » ، والمثبت فى ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « عند الجدب والمحل » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « واهتز من طرب هذا لزائره » .

(٤) ورد البيت فى خلاصة الأثر هكذا :

وكم على المسجدِ القدسىِّ من فرحٍ   وكم على الساحل البحرى من خَبَلِ

(٥) فى خلاصة الأثر : « قسم التفصيل فى الجمل » .   (٦) فى ب : « وجاد وابلها الظمآن بالمطل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٧) يعنى بالرازى ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر ، والرى ، بالكسر : شد العطش ، وبالفتح : قصبة بلاد الجبال .

وفى خلاصة الأثر : « يشكو برح الغلل » .

ومنطقٍ يتركُ الألبــــابَ حائرةً ... والـكاملَ العقلِ مثلَ الشاربِ الثَّمِلِ [1]

كم أنْشَدَتْ لذوى الفتوى براعتُه ... أصالةُ الرأىِ صانتْنى عن الخَطَلِ [2]

قلَّدتَ جيدَ أهــالى القدسِ عِقْدَ ثَنَا ... من دُرِّ ألفاظِك الخالى عن الخَلَلِ

قصيدةً مالهـــا مِثْلٌ يُناظِرُها ... سارتْ بلاغتُها فى الـكونِ كالمَثَلِ

لو أنْصفوا لم يكن موجودُهم بَدَلا ... عنها وهل ليتيمِ الدُّرِّ من بَدَلِ

مِن أعجبِ الأمرِ تقريضى لها هذراً ... ولو سترتْ عَوارى كان أصلحَ لى [3]

فما نِظامىَ لمَّا أن يُقاس بهـا ... إلا نظـيرُ قياسِ الشمسِ مَعْ زُحَلِ

لكنْ رأيتُ انتظارى مع قُصورِ يدى ... فى سِلْكِ مَدْحِـكُمُ عفواً من الزَّلَلِ

فرُمْتُه فأتَى يسعَى على عَجَـــلٍ ... فاعجَبْ له من بَسيطٍ جاء فى رَمَلِ

ولَذَّ لى وصفُك الزّاهى فأذْهـلنى ... عن البَداهةِ بالتَّشْبيبِ والغَزَلِ [4]

أنا البشيرُ وكلٌّ اسمٌ لصاحبه ... منه نصيبٌ بِنُجْحِ القَصْدِ والأملِ [5]

فدُمْ فما زلتَ نوراً يُستضاءُ به ... إلى الهدى وبعوْنِ الله لم تزَلِ

تحْمِى حِمَى مِلَّةِ الإسلامِ أشرفَ مَنْ ... نال الفَخارَ من الأمْلاكِ والرُّسُلِ [6]

صلَّى عليه إلٰهى دائمـــا أبداً ... والآلِ والصحبِ أهلِ العلمِ والعملِ

ما أنْشدت فاسْتمالتْ عقلَ صاحبِها ... ما كان مَرْمَى فؤادِى حيثُ هِيَّ لِى [7]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « يترك الألباب ذاهلة » .

(٢) فى ا : « لذوى الفتيا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وعجز هذا البيت افتتاحية لامية الطغرائى ، التى يقال لها لامية العجم .

(٣) فى ا : « تقريض لها هذرا » ، وفى ب : « تقريضى لها هذرا » ، وفى ج : « تقريضى لها هذرا » ، وفى خلاصة الأثر : « تعريضى لها هذرا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وصفك الزاكى » ، وفى ا : « من البداهة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى ب : « فكل اسم لصاحبها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر : « تحمى حمى ملة المختار » ، وسياق البيت يؤيد هذه الرواية .

(٧) رواية ب أيضا كما جاء فى أول القصيدة : « ما كان مرمى فؤادى حيثما مَن لى » .

وفى خلاصة الأثر : « فاستمالت قلب سامعها » .

أدباء الرملة

٨٨

خير الدين بن أحمد الحنفي*

بقيّة السلف ، وخيرُ الخلف .

ذاتُه كاسْمه ، والفضل كلُّه برَسْمه .

(*) سقط اسم المترجم ، والعنوان قبله « أدباء الرملة » من : ج ، وهما في : ا ، ب .

وهو :

خير الدين بن أحمد بن على الأيوبى ، العليمى ، الفاروق ، الرملى ، الحنفى .

ولد سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، بالرملة .

وبها نشأ ، وقرأ القرآن ، ثم جوده على موسى بن حسن القبى الشافعى الرملى ، كما قرأ عليه شيئا فى فقه الشافعية .

ورحل إلى مصر ، سنة سبع بعد الألف ، والتحق بالجامع الأزهر ، فلازم به عبدالله بن محمد النحريرى الحنفى ، وأخذ عن محمد بن محمد الحانوتى سراج الدين ، وأجازه ، وقرأ على محمد بن بنت الشلبى ، وأبى النجا سالم السنهورى ، وعبد الرحمن اليمنى ، وأبى بكر الشنوانى ، وسليمان بن عبد الدائم البابلى ، وإبراهيم اللقانى .

ثم قدم إلى بلدته الرملة ، سنة ثلاث عشرة وألف ، وأقام بها يفتى ، ويدرس ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان يأكل من كسب يده ، من كروم غرسها ، وعقارات بناها ، ولم يتعرض من الجهات والأوقاف لشىء .

ولخير الدين مؤلفات كثيرة نافعة ، أكثرها فى فقه الحنفية ؛ منها : « فتاويه » ، و « حواشيه على منح الغفار » ، و « حواشيه على شرح العينى للكنز » ، وله « ديوان » جمعه على حروف المعجم .

توفى سنة إحدى وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٣٤ – ١٣٩ .

وقد ضبط المحبى فى الخلاصة أنسابه ، فقال : « والعليمى ، بضم العين المهملة وفتح اللام وسكون الياء وكسر الميم ، هذه النسبة إلى سيدى على بن عليم ، الولى المشهور .

والفاروقى ، نسبة إلى الفاروق ، أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ؛ فإنه صح نسبة ابن عليم إليه .

والأيوبى ، نسبة إلى بعض أجداده ، دون ابن عليم » .

وعلمُه كلمةُ إجماع ، ومدحُه عطر أفْواه وحَلْيُ أسماع .

فهو فى الفقه عالمُ الشرع ، ومحرّر الأصل والفرع .

وعلمٌ[1] الشُّهرة المَنْشور ، إلى يوم البَعْث والنُّشور .

وأما فى الفرائض فله السهم والتَّصيب ، وإذا اقتُسِمت فريضةُ[2] الشكر فله الحظُّ والتَّعْصيب .

إلى علوم غيرها أخذَ جُلّةَ[3] خيرِها ، وسار فيها سِيرةً اقتدَى الجهابذةُ بسَيْرها .

فهو من منذ حلّ فى الكون ، مَدَدُه التوفيق والعَوْن .

رمَقتْه عينُ العناية ، فدلت عليه كلمةُ الفضل بالصَّريح والكناية .

فسمتْ هِمَمُه ، وكَرُمت ذِمَمُه ، وانتعشتْ به من الفضل رِمَمُه .

وشغْله علمٌ يفيده ، ونخرٌ يشيده .

ورياسة يتفيَّأ وارفها ، وطهارة يلتحف مَطارِفَها .

إلى وَقار تَرزُن به الأرض ، ومقدار له النافلةُ من الحظوة والفَرْض .

فطار صِيتُه فى الأقطار ، وتغنَّى به راكبُ الفلْك وحادى القِطار .

وصُرِفت[4] الأعنّةُ إلى الْتماس خيره ، وطارت القلوب بجناح العزيمة تيمُّنًا بطَيْره .

وكان على اعْتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه منها بالمرتبة الرفيعة .

يُعنَى بالآداب فيُصيِّرها[5] رَوْنَقًا متّسِقا ، وينْظِم لآلى نِكاتها فى أسلاك الإجادة نَسَقا .

---

(١) فى ب : « وعالم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « جلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : «وصرف» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : «فيعيرها» ، والمثبت فى : ب ، ج .

ويقول الشعر في المرتبة العالية ، ولا يختار من الثناء إلا القيم الغالية .

* * *

وقد أوقفني صاحبنا إبراهيم بن عبد العزيز الجِينِيني[1] على « ديوان » نظمه ، جَرَّدت منه أشياء حَظُّها الإصابة وتَصويبها ، وسهم الانتقاد لا يُصيبها .

فمن مُطوّلاتها قوله في الغزل[2] :

أمِن ذِكْرِ جارٍ بذات السَّلَمْ ... أرِقْتَ دموعا جرت كالدِّيَمْ

وأم هاجتِ الرِّيحُ من جانبٍ ... به شـادنٌ أهْيَفٌ قد أَلَمّْ

أتحسَبُ أن الهوى مُختفٍ ... ودمعُك منه جرى وانسجَمْ[3]

عجبتُ لخصْرٍ له ناحِـلٍ ... على حَمْلِ رِدْفَيْه أنَّى التأمْ

إذا ما رَنا باهْـتزازٍ فقد ... رَبا عنده هَيَجـانُ الألَمْ

فلا عجبٌ إن نأى مُعرِضًا ... لأن الظِّبا لم تزلْ فيه [illegible]

وأُدْعَى فصيحًا لدَى عاشقي ... وأُدْعَى لديْه بِداء البَكَمْ[4]

ترفَّقْ بقلبٍ غـدا في يديْكَ ... رقيقًا وفَوِّقْ بتلك الشِّيَمْ

---

(١) هكذا جاء اسمه في النفحة « إبراهيم بن عبد العزيز » ، وفي خلاصة الأثر ٢ / ١٣٥ : « إبراهيم ابن سليمان » ، ويؤيده ما في سلك الدرر ١ / ٧–٩ ، فقد ترجمه المرادي بهذا الاسم .

وهو إبراهيم بن سليمان بن محمد الجينيني ، الحنفي ، نزيل دمشق .

ولد في حدود الأربعين بعد الألف ، وأخذ عن شيخه خير الدين هذا ، ولازمه . وكتب كتاب الأسئلة الفقهية له ، وهو الذي رتب فتاويه .

ورحل إبراهيم إلى مصر ، فأخذ عن علمائها ، كما أخذ عن علماء دمشق .

وله بعض رسائل تاريخية ، كما أكمل تاريخ ابن عزم .

توفي الجينيني سنة ثمان ومائة وألف ، بدمشق ، ودفن بتربة باب الصغير .

والجينيني ، نسبة إلى جينين ، بلدة من بلاد حارثة ، من أراضي الشام ، ومولده بها ، [illegible] ٨ .

وفي معجم البلدان ٢ / ١٨٠ : « جينين : بلدة حسنة بين نابلس وبيسان ، من أرض الأردن ، بها عيون ومياه » .

(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢ / ١٣٥ .

(٣) انسجم الدمع : [illegible]

(٤) في خلاصة الأثر : « لدى عترتي » .

وضاهيْتُ خَصْرا له ناحلاً ... ولازمنى فى هواه السَّقَمْ

فذُبْ يا فؤادى بنارِ الجوى ... فكم ذا نهيْتُك عن ذا فلَمْ[1]

أما آن أن ينقضى ذا القِلَى ... وما آن منك أوانُ الكرَمْ

***

وكتب إليه بَشِير الخليلى[2] ، يسأله عن بيتيْن للمتنبّى ، بقوله :

أيا مَن غـــدا فى البَرايا فريدا ... وفى العلم رُكْنا منيعاً مَشِيدا[3]

ومَن صار قُسُّ الذكا باقِلاً ... لديْه وأضحى لَبيدٌ بَليدا

يقـــول أبو الطيِّب المُجتبَى ... وأعنى الإمامَ المجيدَ المُجيدا

طلبْنا رِضـــاه بترْكِ الذى ... رَضِينا له فتركْنا السجودَا[4]

ومنها له آخر بعـــده ... وجدْناه صعبا لدينا عَنِيدَا

كأن نَوالَكَ بعضُ القضاء ... فما نُعْطَ منه نجِدْه جُدودَا[5]

فأوضِح لنا وجه معناهما ... بَقِيتَ على الدهر صَدْرا مُفيدَا

ولا زلتَ تُوضِح للمُشكلا ... تِ ما نظم الناظمون القَصِيدَا

***

فأجابه بقوله :

رِضاهُ السجودَ لممدوحِـــه ... وممدوحُه ليس يرضى السجودَا

ومعنى السجودِ الخضوعُ كما ... أتى لغـــةً مستفيضا وُرودَا

فمن حُسْن أخلاق ممدوحِـــه ... خضوعَ الأنام له ان يُرِيدَا

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فكم قد نهيتك » .

(٢) صاحب الترجمة السابقة .

(٣) فى ا : « ركنا منيفا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ديوان أبى الطيب ١٢٣ ، من قصيدة له يمدح بها بدر ابن عمار بن إسماعيل الأسدى .

(٥) ديوانه أيضا ١٢٤ ، وروايته : « فما تعط منه » .

وعِزُّ مَقَــــــام له مقتضٍ يكون الخضوعُ وجوبا أكيدًا[1]

ولـكن أرى تركه للرِّضــــا به لابذاك صوابا ســــديدًا

وبيتُ النوالِ جــديرٌ بأن تميل إليـــــه فؤادا وفودًا

فمعْنى الُجدود الحظوط التى تسيء بخوتنا ويَعنى السُّعودًا

فمـــــا يُعْطَ ليس بحقٍّ له ولـكن يراه اعتقادًا جُدودًا

وإن القضاء لـكل الورى على مقتضَى تلك فضلا وجُودًا

وقبـــــل العطاء بلا مُوجب هو الفضلُ إن تبْغِ منه الورُودًا

فشابَهَ نفسَ القضا فمـــــاله وهـــذا بليغٌ فخُذْه مُفيدًا

* * *

وله من قصيدة مدح بها مفتى الروم يحيى بن زكريا[2]:

أفيحيَى لِمَن الخطابُ تنبهى وتنبِّهى فى القول لاتتبلَّهِى

هو للذى الأكبادُ تضربُ نحوه من كل فجٍّ تنْتهى إذ تنْتهِى

وبه استوى صُنْبُ الشريعة قائما فى كلِّ إقليمٍ وصُقْعٍ فهْىَ هِى[3]

مهلاً رُويدًا رائدَ الروم اتَّئِدْ وبهِ بهِ لك إذْ تراهُ بهِ بهِ

واحملْ ثنائى إنَّ وَهْنى عاقنِى عن أن أكون أبا المَضا بتوجُّهِى

مع أننى مع ذاك لاأدعُ الذى يُرْضِى الإلهَ وفيه عينُ تفكُّهِى

فحديثه المَرْوِىُّ فيه وإن نأى ما أكْتفِى ماأشْتِقِى ماأشتهِى[4]

* * *

---

(١) فى ا ، ج : «وعن مقام» ، والمثبت فى : ب . (٢) تأتى ترجمته فى الباب الثالث ، برقم ٤٠١ .

(٣) فى ب ، ج : « فى كل إقليم وصقع فهو هى » ، ولا يستقيم مع الشرح الآتى . والمثبت فى : ا .

(٤) فى ا : « ما اكتفى ما أنثى ما أشتهى » ، وفى ب : «ما أكتفى ما أشتفى ما أنتهى» ، والمثبت فى : ج .

قوله : « فهى هى » ، أى عينُ الشريعة .

وهذا الأسلوب ؛ إما يختلف فيه الضمير فيرجع[1] الثانى إلى المذكور سابقا كما هنا ، وإما أن يُعاد بعينه .

قال الشَّرِيشىّ[2] : الأسباط إخوة يوسف عليه السلام ، وهم هم .

أى ، وهم أنبياءلم يتغيرُوا عن مراتبهم .

ويقال : « هو هو » أى كما عهدتَه لم يتغيَّر . انتهى .

وقوله : « تحديثه » إلخ . فى هذا البيت أسلوب لطيف ، وهو أن تذكر لفظًا بعده ألفاظ يتعلّق كلٌّ منها به ، مع اختلاف المعنى ، فالتقدير[3] فيه : ما أكتفى فيه ، ما أشتق[4] فيه ، ما أشتهى فيه ، وهو من البدائع[5] .

والأصل فيه قول الصاحب ابن مَطْروح[6] :

لا أرْعوِى لا أنْثنِى لا أنْتهِى ... عن حبِّه فلْيَهْذِ فيه من هَذَى[7]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى شرحه على المقامات ٢/١٢٠ ، معلقا وشارحا قول الحريرى :

قدباعتِ الأسْباطُ قبْ ... لى يوسفا وهمُ همُ

(٣) فى ب : «والتقدير» ، وفى ج : « فلعتبر » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ا : « أشتى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « البديع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) جمال الدين يحي بن عيسى المصرى ، ابن مطروح .

شاعر ، كان ناظر الخزانة بمصر أيام الصالح أيوب .

توفى بمصر ، سنة تسع وأربعين وستمائة .

شذرات الذهب ٥/٢٤٧ ، النجوم الزاهرة ٧/٢٧ – ٢٩ .

والبيت فى ديوانه ٢٠٤ .

(٧) رواية الديوان :

لا أنتهِى لا أرعوِى عن حبِّه ... لا أنْثنِي فلْيهذِ فيه مَن هَذَى

ومن مقتطعاته قوله فى تشبيه الزَّنْبق الذى يوجد فى ساحل البحر الشامِىّ ، ونُوّارُه أبيض ، قطعة واحدة ليس متفرقا[١] :

وزَنبقةٍ قد أشبهتْ كأسَ فضةٍ ... برأسِ قضِيب من زُمُرُّدةٍ عَجَبْ
سُداسِىُّ شكلٍ كلُّ زاويةٍ به ... على رأسِها الأعلى هلالٌ من الذهبْ[٢]

* * *

وقوله متغزلا فى الخال[٣] :

بالخدِّ منه شَقِيقٌ جلَّ واضِعُهُ ... أعْيَى الورى فيه شاماتٌ بحُمْرَتِهِ[٤]
أقولُ هــذا ولا عِىٌّ ولا عَجَبٌ ... قلبُ الشَّقِيق الذى فى وسْطِ وَجْنتِهِ

* * *

هذا معنى استعمله الشعراء كثيرا ، ومن أجوده قول الحاجِرِىّ[٥] :

لاتُنكِروا الخالَ الذى فى خَـدِّه ... كلُّ الشَّقِيق بنُقطةٍ سوداء

* * *

وقوله فى العذار[٦] :

عندما جَــدَّ بالحبيبِ عِذارٌ ... أظهــرتْ لأمُه لفَتْكِ البَرِيّهْ

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٤ . (٢) فى ا ، ج : « هلال من ذهب » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٤ ، وذكر المحبى هناك أنه ذكره فى مجموعته التى سماها بـ « مطالب الأدب وغاية الأرب » . (٤) فى ا : « جل خالقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجرى .
أكثر من ذكر حاجر فى شعره ، فنسب إليها .
يتميز شعره بالرقة ، وجمال المعانى .
قتل بإربل ، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٣/١٦٩ .
والبيت ليس فى ديوانه المطبوع

(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٥ .

قالتِ الناسُ عند ذلك فيـــه ... قمــرٌ تلك لأمُه القمريّهْ [١]

* * *

وله [٢] :

مُهَفْهفُ القَـــدِّ مذ كَوانِي ... بحُمْرةِ الخدِّ منـه فى الحَيّ [٣]

فقلتُ بى أنت داوِنِي قا ... ل آخرُ الطبِّ عندنا الْـكَيّ [٤]

* * *

وقوله [٥] :

مَن شارَكَ الإنسانَ فى اسْمِــهِ ... فحَقُّه قطعاً عليـــه وَجَبْ

لذاكَ مَن سُمِّىَ مِن خلقِــه ... محمداً فاز بهـــذا السَّبَبْ

* * *

ولقد أجاد الأبُوصيرِىّ [٦] ، حيث قال :

فإنّ لى ذمّةً منـــه بتسْميتى ... محمّداً وهْو أوْفَى الخلقِ بالذِّمَمِ [٧]

* * *

وسمع قولَ القائل :

مُحِبُّكَ يرعَى هواكَ فهـــلْ ... تعود لَيـــالٍ بضِـــدِّ الأمَلْ

فمَنْقُوطها قـــــد بدا نحْسُه ... ومُهمَلُها فهو سعـــدٌ حصَــلْ

---

(١) فى ا : « لامه قريه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) خلاصة الأثر ٢/٢٣٥ . (٣) فى ب : «بجمرة الخد» ، والمثبت فى : ا، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « داونى فقا * ل . . » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٤ . (٦) أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى المصرى .
الشاعر المشهور ، عرف بالبردة والهمزية فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .
توفى سنة ست وتسعين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٤١٢ ، الوافى بالوفيات ٣/١٠٥ .

(٧) فى ب : « وإن لى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فقال منشئاً :

من الشهرِ حاذِرْ ثالثاً ثم خامساً — وثالثَ عَشْرٍ ثم سادسَ عَشْرِهِ
كذا واحدٌ من بعد عشرين رابعٌ — يليها وتالِيه تنَلْ مَحْضَ يُسْرِهِ

* * *

وكتب إلى آل [1] العماد بدمشق ، فى صدر رسالة :

أيا مَن عَجَّ من لَغَبِ — فلم تظهرْ له نِيَّهْ
نَصَحْتُك فاعتمِدْ أبداً — مُراجعةَ العِماديَّهْ

فراجَعوه بقولهم :

أمولاىَ خيرَ الدين ياشيخَ عصرِنا — ومَن فيه لا زلتَ الزمانَ اعتمادُنا [2]
فأنت عمادُ الدين بالحقِّ قائماً — فشاد إلٰهى مِن دُعاكَ عِمادَنا

فكتب إليهم :

يارب خيرُ الدين يدعو ضارعاً — متذللاً لك خاضعاً متواضعاً
بِصفا فؤادٍ للعمادِ وآلِهِ — فهمُ الكرام سوابقاً وتوابعاً

فكتبوا إليه :

سألت إلٰهى خاضعاً متواضعاً — ولا شكَّ مَن يدعوه يلقاه سامعا
بقاءك خيرَ الدين للناسِ عُمدةً — ومكثك يامولاىَ فى الأرض نافعاً [3]

* * *

وفيهم يقول أيضا :

يامَنْ همُ أعمِدةٌ — كلُّ عمادٍ وحدَهْ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « لازال الزمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « ومثلك يامولاى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إن نزلتْ نائبــةٌ بنا قصَــدْنا قَصْــدَهُ

***

والجيفيني[١] المذكور ، هو ببركاته[٢] اعْتدّ ، وبأسباب فوائده اشتد . فتقلَّد به من الأدب ماتقلَّد ، وبقِيَ له مادام ذِكرُه وتخلَّد . وهو الآن غُرَّة الزمن البَهِيم ، تــكْلَف الألبابُ بخِصاله الحميدة وتَهِيم . كما قلت فيه :

لابن عبــد العزيز إبراهيماَ خُصَلٌ كم بهِنَّ أبرَا هِيماَ[٣]

أدبٌ يُخجِل الرياضَ ولفظٌ هِمْتُ فيه وحُقَّ لى أن أهِيماَ

وكمالٌ يهفو له كل فهمٍ طَبْع منه يطلب التَّفهيماَ

رأيُه الصبحُ والصباحُ إذا لا ح جَلا بالضِّياء ليلاً بَهِيماَ[٤]

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٥٦ ، وخلاصة الأثر ٢/٢٣٥ . (٢) فى ا : « ببركته » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) هكذا ذكر أن أباه عبد العزيز ، وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٥٦ .

وخصل : جمع خصلة ، بالضم ، وهو يريد جمع خصلة بالفتح .

وأبراهيما كلمتان : « أبرا » ، و « هيما » جمع الهائم .

(٤) سقط « الصباح » من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

٨٩

نجم الدين بن خير الدين

هو من حين نَجَمَ ، تهلَّل عارِضُه وانْسَجم .

ولم يَرْضَ بالأرض دارا ، فاتَّخذ مافوق فلك[١] الأفلاك مَدارا .

حتى النجومُ عدَت تقول تعجُّباً جاوزْتنا شرفاً فأين تُرِيدُ

فأجابهنَّ أُمِرتُ أن أرْقَى العُلى مادام لى فى الارتقاء مَزِيدُ

حتى تَرَيْنى والسماء قواعـدِى والشمسُ أرضٌ لى وأنتِ صَعِيدُ

أطْلعه الله الطلوعَ المُطَهَّر ، وألبسه أثوابَ النباهة العلَم[٢] المشهَّر .

فقام على مَيْعةِ شبابهِ مقامَ أبيه فى حَوْزَته ، ورَازَ[٣] الأمرَ بتوْفيقِ الله مثلَ رَوْزَته .

وبَنَى مثلَ مابَنَى ، ومالَوَى يداً عن مكرُمةٍ ولا ثَنَى .

تلاقَى أبوه العُلَى بالعُلى فبثَّ نَداه ووالَى جَـداهْ

فلمَّا مضى وقضى نَحْبَه تلافَى تَلافِى المعالى أباهْ

وكان[٤] بينى وبينه مودة على الغيب ، مأمونة بعَوْن الله من الشائبة والرَّيْب .

وكنت لا أفكر فى مُستحسَن سواه إلا أعرضْتُ دونه ، ولا أرجو لقـاء غائبٍ إلا رجَوْتُ أن يكونه .

---

(١) فى ا : « ذلك » والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « العلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « ورزا » ، وفى ج : « ودان » ، والمثبت فى : ا .

وراز الأمر : أقام عليه وأصلحه .

(٤) فى ب : « وكانت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فلما مررتُ على الرَّمْلة عند رحلتى إلى القاهرة ، كان أوّلَ طالعٍ علىّ من آفاقها الزاهرة .

ففاتحتُه بهذين البيتين :

لقد كنتَ فى قلبى ولم يحصلِ اللِّقا وأنت به أحلَى من المَبْسِمِ العَذْبِ

فقرَّتْ بحمدِ الله عينى بنظْرةٍ فلم أرَ أحلَى منك فى العينِ والقلبِ

وكان فى صُحبته أمين الدين[1] القُدْسِيّ وأبو الهدى الرَّمْليّ ، وهُما ماهما ، جاد صَوْبُ فضلِهما وهمَى .

وبينه وبينهما مُصافاة تقتضى حقا يُوَفَّى ، وفرضاً يُؤدَّى ، ووَصْفاً يُصفَّى .

فقلت أخاطب أمين الدين :

يا أميناً ذاتُه دُرٌّ ثمينْ أنت للعلياء عينٌ ويمينْ

إن ودًّا صادقاً أودعتنى أناعنه عُمْرَ دهرى لأمينْ[2]

حاضراً أحبُوكَ أصنافَ الثَّنا وعلى غَيْبِك أنِّى لا أمِينْ[3]

وقلت فى أبى الهدى :

هَدانِى النجمُ إلى مِدْحةِ مَن تلفَّع المجدَ وبالفضلِ ارْتدَى

وكيف لا يُهْدَى إلى الرشادِ مَن دليلُه النجمُ إلى أبى الهُدَى

وهو الآن فى تلك الخِطّة رئيسُ الحَفْل ، وإمام الفرض فيها والنَّفْل .

زَنْد مجده قادح ، وما فيه طاعن ولا قادح .

فالله يجعل نتائجَ حياته ، تابعةً لأحسن مُقدِّماته .

* * *

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) يقال : فلان مَيَّانِ الود ، إذا كان غير صادق الخلة . اللسان (م ى ن) ١٣/٤٢٦ .

(٣) لا أمين : لا أكذب .

وكان صدر بيني وبينه محاورات ، بأرق معان وألطف عبارات .

تلاحظ بها أقمارُ المُنى فتُشرِق ، وتنظر إلى أكناف الحِمى فتراها[1] بِصَيِّبها تُورِق .

فمما كتبته إليه هذه النونية :

رُدُّوا المسرَّةَ والكرى لجفوني ... وهو القرارُ لقلبيَ المحزونِ

لم أدرِ قبل هواكمُ أن النوى ... يُبْدِي من الأشجان كلَّ دَفِينِ[2]

أو أن سلطانَ المحبةِ يقتضي ... أن الأسودَ تبيتُ أسرَى العينِ

أما النفوسُ فلم يدَعْ منها الجوى ... إلّا بقايا زَفْرةٍ وأنينِ[3]

لما رأى الطيفُ رقَّ ترحُّما ... وبكى عليَّ بلؤلؤ مكنونِ

وسرى وأيقن أنه لو زارني ... أخرى لأخطأني فلا يعدُوني

آهٍ وهل يشفي العليلَ تأوُّه ... شوقًا لعهدٍ بالوفاء قمينِ

أيَّامَ يحدُوني الصِّبا ويسوقني ... قسراً إلى اللَّذاتِ غير غَبِينِ[4]

لا أختشي مَسَّ الحوادث آمِنا ... وأخو النُّهى مَن بات غيرَ أمينِ

والآن أبكي إن أصِبتُ بنعمةٍ ... قبل الزَّوالِ لفطنتي ويقيني

ولقد سبَرْتُ بني الزمان فلم أجدْ ... خِلاً إذا أرضيتُه يُرضيني

فتركْتُ مَن كنت الضَّنينَ عليه مِن ... فَرْطِ الهوى وأراه غيرَ ضَنِينِ[5]

وغدَوْتُ فيهم كالحسام مُجرَّدا ... من غِمْدِه فرداً بغَيْر مُعينِ

نَاءٍ عن اللَّذاتِ إن بَخِلَ الحيا ... أغنيتها عنه بغيْثِ جُفونِي[6]

---

(١) في ب ، ج : « فتراها » ، والمثبت في : ا . (٢) في ب : « لم أدر أن هواكم قبل النوى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : « فلم يدع منها الهوى » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) الغبين : المغبون .

(٥) في ب : « من كنت الظنين عليه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « أغنيته عنه » ، والمثبت في : ب ، ج .

لا أرتضى شمس النهار قرينةً وأعافُ ظلّى أن يكون قرينى

أستصغرُ العظماء حيث وجدتُهم وأرى مقاتل والثريّا دُونى (١)

ليس احتقارى للأنام تهاوُنًا بهمُ ولا خطر الورى بظنُونى

لكن أعدُّ من البهائم مَن خلا عن فضلِ فردِ العصر نجم الدّينِ

مَولًى سواه هلالُ شكٍّ فى العلى وجنابُه المحروس شمسُ يقينِ

قد كوّن الرحمنُ جوهرَ ذاته ليُرى العبادَ عجائب التّكوينِ

وأظنُّه من فَرْط طاعتِه أتى للكون بعد الكاف قبل النونِ (٢)

بحرٌ بحارُ الأرض تغرَق فى ندَى كَفّيْه لستَ تحيطُه بسَفينِ

لا يبلُغ المِكْثارُ عُشْرَ صِفاته لو حُفّ بالتأييد من جبْرينِ (٣)

هو نجلُ خيرِالدين شيخِ العصر مَن غنِيتْ مآثرُه عن التّدْوينِ

فسقَى ضريحًا ضمّه صَوبُ الحيا يهْمِى عليه من الرِّضا بهتُونِ

أمعلِّمَ الشعراء وصفَ ذوى العلى فتراه يهْديهم إلى المَضْمونِ

أنا مَن عرفتَ ودادَه وجهلتَه ولسوف تغنَم منه خيرَ خَدينِ

فبقيتَ فى حفظِ الإله ممتّعا بالعزِّ والإسْعاف والتّمكينِ

فعُلاكَ فخرٌ للزمان وأهلِه وبقاك أكبرُ نعمـــةٍ للدِّينِ

ولذاك لم أنطِق بمدْحِك داعيًا إلا أجاب الناسُ بالتّأمينِ

* * *

(١) فى ا : « أستصغر العلماء » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « لتكون بعد الكاف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « لو جف بالتأييد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وجبرين ، لغة فى جبريل .

فكتب إلىّ [١] جوابها رسالةً ، وشّحها من نفائس أنفاسه نثرا وشعراً ، ولم يُهْدِ النجم فى مطالع البدائع إلا النَّثْرَةَ والشِّعْرَى [٢] :

أهلاً بطيفٍ من حبيبٍ زارَا ⁂ أهدى حياةً شافهتْ أوطارَا [٣]

أفديه من طيفٍ ألمّ بمضجعى ⁂ فأثار فى أحشاء قلبىَ نارَا

شوقا إلى خِلٍّ تذكُّرُ عهدِه ⁂ لم يُبْقِ فى قلبى الخفوقِ قرارَا [٤]

أصْبُو إليـــه إذا تألّق بارقٌ ⁂ وأحِنُّ إن رَكْبٌ إليه سارَا

وإذا ترنّم صادحٌ فى أيْكةٍ ⁂ من نحوِه اختطف الفؤادَ وطارَا

إن أبْهى ما أفصح به اليَراع بيدٍ أنه رضيع ثُدِىِّ المحابر ، وأسْمَى ما خطب به القلمُ وهو على منابر الدفاتر .

سلامٌ أحْلَى من رحيقِ الأفواه لدى الصباح ، وهيامٌ أجْلَى عن عتيق الشِّفاه من الصّباح ، وأعْبق من عَبير وردِ الخدود والتفاح ، وأنْشَق من عبير شَقيقها وقد فاح ، وأنسق [٥] من المُزْن فى فم الأقاح .

وبَثُّ أشواق يقف لسانُ القــلم عن إحْصائها ، وتجِفُّ أفواه المحابر عن [٦] إرادة استقْصائها .

إلى مَن أجْمع أهلُ الفضل على توحُّده فى الدهر ، واتّفق أهلُ [٧] الحلِّ والعقد [٧] على تفرُّده بالفخر .

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) النثرة : كوكبان بينهما قدر شبر ، وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب . القاموس (ن ث ر) . (٣) فى ب : « أهدى حديث شفاهة أوطارا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « تذكر عهده ⁂ شوقا فى قلبى .. » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « وأنشق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ب : « عند » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « العقد والحل » ، تقديم وتأخير .

وظهرتْ مَعاليه ظهورَ الشمس فى الإشْراق ، وعَمّتْ أضواء إفاداتِه عمومَ ضِياءِ البدرِ فى الآفاق .

وهيْهات تخْفَى فى الظلام مشاعل ، أو تُستر على الأيام هذه الفضائل .

وقد هبّتْ الشّمال بنَشْرها ، وسارت الرُّكبان بذِكْرها .

لا بَرِحت أنوارُها مشرقةً على الأنام ، وآثارُها جِلاء لقلوب الإخوان من غُصَص الأيام .

وقد وردتْ القصيدة التى هى شَرَفُ الزمان ، ونخر البراعة والبيان .

فلا زالتْ أيادى مولانا مشكورةً مقبولة ، ومَبَرّاتُه وصِلاتُه واصلةً[1] موصولة .

ولا برحَت الأسماع تتحلّى بدُرّه الثمين ، آمين آمين ، وبالنبىّ الأمين .

***

[2] فكتبت إليه[2] بهذه القصيدة ، وهى :

أما المَشُــــوق فلا يُطيق قرارَا ... وأراه يقْضى عمره تذْكارَا

يُضْنيهِ مُعترِض البُروقِ إذا همَا ... فيُحِسّ منهــا فى الحُشاشةِ نارَا

وَجْدٌ لقد قصُرتْ مُناه على الظِّبَا ... أترُوم منه على الهوى إقْصارَا[3]

وأبيك ما اخْترتُ السُّلوّ ولو جفَا ... مَن كنت أهواه وشطّ مزارَا

بأبِى من النَّفَر القواتِلِ جُؤْذرٌ ... ترك الأسودَ بناظريْه أسارَى

رَقمَ الجمالُ على صحيفةِ خــدّه ... سطراً فظنّتْــه الوُشاة عِــذارَا

يرْنُو بأكحلَ مُرْسِلٍ من لحْظِه ... لِمنيّــة المُضنَى شَباً بتّارَا

يامُهلِك العشاقِ مهـــلاً فى شَجٍ ... تخِذَ التّهتُّك فى هواك شِعارَا

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى الأصول : « فكتب إلى » ، والقصيدة تدعى كما جاء فى أثنائها . (٣) فى ا : « أتروم منه عز الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لولاكَ لم يَهْوَ الحسانَ ولم يكنْ ... مِمَّن يَذِلُّ لغـــيرك استكبارَا

لا أنْسَ عهـــدك والزمانُ بحالِه ... والعيشُ يمنحُه المُنَى ما اختارَا

أيامَ نأخـــذُها كُمَيْتاً سَلْسَلاً ... لا مُرَّةً كلاً ولا مُصْطارَا (1)

في روضـــةٍ فُرِشتْ بِساطاً أطْلَعتْ ... نُوّاره عَوَضَ النّثارِ نِثارَا

غنّاء نَمْنَمهـــا الربيعُ فأظهرتْ ... حِكَماً لنـــا قد أبدعتْ أسرارَا (2)

طابتْ فكادتْ أن تُشابِه خُلْقَ مَن ... ساد الأنام فضـــائلا وفَخارَا

مولايَ نجمُ الدين أفضـــلُ ماجدٍ ... قد طاب فَرْعاً حيث طاب نِجارَا (3)

شَهْمٌ إذا بَخِل الغمامُ أفاض مِن ... كَفَّيْــه بحرا بالعطـــا زَخَّارَا

لو صادفتْ صُمَّ الصخورِ رَذاذَهُ ... منـه لأنبتهـــا الربيع بَهارَا (4)

طَلْقُ المُحيّا لو يلوح شُعاعُـــه ... في وَجْـــه حظّي لحظةً لأنارَا

أهْـــدَى إليَّ رسالةً في ضمنها ... أهْـــدَى إليَّ العمرَ والأوطارَا

من كلِّ لفظٍ شائقٍ يبـــدو به ... معنًى يُدير على العقول عُقارَا

لا زلتَ تُوليني ودادك منعماً ... وبقيتَ تعلو في الورى مقدارَا

وإليك روض قد تفتّح زهرُه ... فصدحتُ في عالي ذُراه هَزارَا

من كل قافيـــةٍ غـدتْ من حسنها ... نَجْماً كذاتك في العلى سيّارَا (5)

كالرّاح تلعب بالعقول وإن تشا ... كالسحر في حَـدَقِ الحسان توارَى

وأعْـذُر إذا أخّرتُ فيك مدائحي ... فلأنتَ مِمّن يقبـــل الأعذارَا

لولاكَ ما نَظَّمتُ عِقـــداً دُرُّه ... ينحلُّ فيـــه عَسْجَداً ونُضارَا

فالسُّقمُ قـــد أفنَى رُواء قريحتي ... بَغْياً كأنّ له عليهـــا ثارَا

---

(1) المصطار : الخمر . (2) في ا : « ينعمهـا الربيع » ، والمثبت في : ب ، ج . (3) في ب : « حيث طاب نخارا » ، والمثبت في : ا ، ج . والنجار : الأصل . (4) البهار : نبت طيب الرائحة .
(5) في ب : « غـدت في حسنها » ، والمثبت في : ا ، ج .

أنا مَن عرفتَ محلَّه من وُدِّه وسيغتدى لثَرى نعالِكَ جارَا
واسلمْ لنا ولسُؤْدَدٍ أصبحتَ فى سامِى حِمَـــاه تُزيِّنُ الأقطارَا

***

وكتب إلىّ من تَوالِيد طبعه المطبوع ، قوله :

أحِبّایَ إن شَطَّ الحبيبُ عن الحِبّ وفارقَه يحتاج طِبًّا على طِبّ[1]
فإن غابَ عن عيْنِى خيالُ أحبّتِى فحُبُّهمُ استولَى على حَبَّةِ القلبِ
وما عنـدكم من شِـدَّة الشوقِ فهْو فى فؤادىَ فاسألْ إن شككْتَ عن الركبِ[2]
أتاح إلٰهى قُربَكم ولِقــاكمُ ليلْتئِمَ الشَّملُ المشتَّت بالقُرْبِ
فذالكَ اختيـارى ثم قصْدى وبُغْيتى ألا إنّمـــا الدنيـا اجتماعُك بالحِبّ
فلا خيرَ فى عيشٍ بغير أفاضلٍ ولا خـيرَ فيمن مالَه صاحبٌ يُذْبِى
فعندىَ طِيبُ العيش صُحبةُ عالِمٍ بصحْبتِه يَنزاح عن خاطرى كَربِى
فيا أخاصَ الإخوانِ قـد جاء منكمُ رِسالةُ قولٍ رائقٍ رَيِّقٍ يَسْبِى
لقــد كنتُ فى ضِيقٍ وهمٍّ وكُربةٍ فلما أتَى المكتوبُ طار به لُبِّى
ففَاحَ لنا مِن نَشْرِه طِيبُ عَنْبَرٍ به انتعشتْ رُوحى وجسمِى مع القلبِ

---

(١) فى ب : « إن شط المحب » ، وفى ج : « أحب وإن شط الحبيب » ، والمثبت فى : ا .
(٢) فى ب : « من الركب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أدباء صفد وصيدا

٩٠

أحمد الخالديّ الصَّفَديّ *

هو من الفضل في ثَنِيَّة ، لا تتعدّاها إلى غيرها أُمْنِيَّة .

معشوق الشِّيَم ، فائضُ فَيْضِ الدِّيَم .

وآباؤه لهم ذكر بالجميل خالد ، ومجدٌ تناولوه ولَدًا عن والد .

وهو قد جمَع مافيهم من المناقب ، وأرْبَى في توقُّد ذكائه على النجوم الثواقِب .

وله تآليف فائقة ، وأشعارٌ رائقة .

فمما أستحسن من شعره ، قوله في تخميس الهمزيّة :

كنتَ نُوراً وكان ثَمّ عَماء   ونبيًّا وليس طِينٌ وماء

(*) أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي ، الصفدي ، الحنفي .
ولد بصفد ، وبها نشأ .
ثم ارتحل إلى القاهرة ، وأخذبها عن كثيرين ، منهم : محمد بن محمد بن عبد الرحمن البهنسي ، وأحمد ابن محمد بن شعبان العمري ، وعلى بن حسن الشرنبلالي ، ومحمد بن محيي الدين النحريري ، وعلى بن محمد ابن على ، ابن غانم الخزرجي ، وأجازه هؤلاء وكثير غيرهم .
ورجع إلى صفد ، ودرس ، وأفتى ، وناب في القضاء ، وألف .
ومن مؤلفاته : « شرح على ألفية ابن مالك » ، و « كتاب في العروض » .
توفي بصفد ، سنة أربع وثلاثين وألف ، ودفن بمصلى العيدين .
والخالدي : نسبة إلى خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .
خلاصة الأثر ١/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

فإذا كان من عُلاك العَلاء كيف ترْقى رُقِيّك الأنبياء

يا سماء ما طاولتْها سماء

* * *

وله من قصيدة طويلة ، مطلعها [١] :

مَن لي بهيْفاء لا أسْطِيعُ سُلوانا عنها وفي دمعِ عيني عَيْن سُلْوانا [٢]

أجَلْ ومن حبِّها قد هِمْتُ ذا قَلَقٍ فسَلْ حنيناً وسلْ بدراً وسل آنا

وقد حوتْ رِقّةً منها شهدتُ فلم أقدرْ على النفسِ لولا لطفُها جانا

مذ أقبلتْ ناهزتْني في مُداعبةٍ فصرتُ منها عليلَ القلب حَيْرانا



(١) مطلع القصيدة فقط في خلاصة الأثر ١/٢٩٨ .   (٢) سلوان : محلة في ربض مدينة بيت المقدس، تحتها عين عذبة ، تسقي جنانا عظيمة .
انظر معجم البلدان ٣/٧٦٢ .

(نفحة الريحانة ٢/١٨)

٩١

حسن الدَّرْزِىّ العَيْلبُونِىّ (*)

القول فى عقيدته مُتشعِّب ، والأمر فى تبرِئته وعدمِها متصعِّب (١) .

وأنا لا أشكُّ فى إيمانه ، وأعتقد فيه ما يعتقدُه أهلُ زمانه .

وأقول إذا وصفْتُ شانَه : إن إطلاق الدَّرْزِىّ عليه مما شانَه .

كيف وتوْبةُ هـذا الحزب ردَّها الشرع ، والحاكمُ بقَبولها مخالفٌ لأمْر الله فى الأصل والفرع .

وقد جمعنِى وإيَّاه القضاء والقدر ، فى أوقاتٍ كنت لا أعرف فيها الغَمّ والكَدَر .

فرأيتُ رجلا ذا لسان فصيح ، جاريًا من (٢) هَواه فى مَيْدان لَهْوٍ فَسِيح .

لا يُصَدّ إذا صَمّم ، ولا يرِدّ عما تَمّم (٣) .

وهو يُغالى (٤) فى شِعره ، ويشْكى كساد سِعره .

(*) حسن الصفدى العيلبونى الدرزى .

شاعر حسن المطارحة ، طيب العشرة .

رحل إلى مصر ، وأخذ بها عن الشمس البابلى ، والشيخ سلطان ، والنور الشبراملسى ، وغيرهم .

ودخل دمشق ، وجاور بها مدة ، بالخانقاه السميساطية ، ثم ارتحل منها إلى عكا ، فأقام بها مدة .

توفى بعكا ، سنة خمس وثمانين وألف .

والعيلبونى ، بفتح العين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة فلام فوحدة مضمومة بعدها واو ثم نون : نسبة إلى عيلبون ، قرية من أعمال صفد .

خلاصة الأثر ٢/٧٩ ، ٨٠ .

(١) فى ا : « متصعب » ، وفى ب : « مستصعب » ، والمثبت فى : ج .

وقد ذكر المحبى ، فى الخلاصة ، فى ترجمته ، أن له قصيدة نونية هجا بها الدروز ، وهى طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت .

(٢) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « نهم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « بشعره ويشتكى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ويزعُم قومٌ أنه يتنسَّك فى مَلَئِه[1] فتكا ، ويتهتَّك فى وَحْدته هَتْـكا .
ويَخْبِط فى الأعمال ويتْبَر ، وهو يهلِّل ويكبِّر .
ويحسِّن ويقبِّح ، وهو[2] يستغفر ويسبِّح .
وكنت عزمتُ على أن لا أطرِىَ له ذكرا ، وأخلُص من أن آتى شيئًا نُكراً .
ثم عَنَّ لى الإتيانُ به ، لمكان فضلِه وأدبِه .
ولم أقصِد بذكْر هذه العيوب ، التى يعلم حقيقتَها علّام الغيوب .
بُغْض شخصٍ فات ، واقْتفَته يدُ الآفات .
وحاشا الله أن أكون ممَّن يصدُر ذلك من فِيه ، ولكن عمَلًا بما سمِعتُه من الناس فيه .
والله يحْبوه منه لطفًا خفيًا ، ويُنيله عفْوًا يكون به حَفِيًا .

* * *

فمن شعره ، وهو معنى لطيف[3] :

حكى دخانًا سَما من فوق وَجْنَةِ من ... قد مَصَّ غَلْيونَه إذ هزَّه الطربُ[4]
غـيمٌ على بدرِ تِمٍّ قد تقطَّع من ... أيْدى النسيمِ فولَّى وهْو ينسحِبُ
فقلتُ والنارُ فى قلبى لهـا لهبٌ ... لقد حكَيْتَ ولكن فاتَك الشَّنَبُ

* * *

(١) فى ا : « ملايه » ، وفى ب : « ملابه » ، وفى ج : «ملائه» ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) فى ا : «وبه» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢ / ٧٩ ، ٨٠ .
(٤) رواية خلاصة الأثر رفع « دخان » على أنه فاعل « حكى » ، ونصب « غيم » فى البيت التالى ، على أنه مفعوله .
وهى رواية أفضل .

والبيت الثانى ، منه قولى[١] :

ما كان إعطاؤه الغاليونَ عن مَلَلٍ ... منّا وحاشا بهـــــذا قطُّ ماعرفا

لكن أراد يُرينا من بدائعـــه ... بدرًا تقطَّع عنـــه الغيمُ فانكشفا

* * *

وكتب إلى علىّ بن بُجَع[٢] البَعْلِىّ[٣] ، وكان أعاره مجموعا ، فردّه عليه[٤] :

أرسلتَ مَجْموعى وقـــد أمْسكتَ ما ... هو قلبىَ المَوْدُوع بين ضلوعِى[٥]

فبـكيتُ من شَوْقٍ إليـــه مَدامعًا ... حمرا وليْست غـــير صِرْفِ نَجيعِى

فجرتْ على هـــذى البطاقةِ أحْرُفاً ... مجمـــوعُها يُومِى بِسلْب جميعِى[٦]

* * *

---

(١) فى ب : « قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم .

(٣) على بن أحمد بن محمد البعلى ، الدمشقى ، الشافعى ، المعروف بابن بجع .

ولد سنة سبع وثلاثين وألف .

وقرأ على علماء عصره ؛ منهم : خير الدين الرملى ، وأحمد القشاشى ، وإبراهيم بن حسن الكورانى ، وعبد السلام اللقانى .

وكانت له الرحلة إلى الرملة ، والمدينة ، حين حج ، ومصر .

توفى سنة أربع وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٣/١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٤٧ ، وفيـه أيضا أن على بن بجع أرسل إليـه مع الكتاب هذين البيتين :

جاءتْ من المولى الأجلّ بطاقةٌ ... ترجو مَرامًا ليس بالممنوعِ

فالقلبُ عندكَ رَهنُ وُدٍّ صادقٍ ... والآن قد أرسلتُ بالمجموعِ

(٥) فى خلاصة الأثر :

* هو قلبىَ الّذْ كان بين ضلوعِى *

(٦) فى الخلاصة ٣/١٤٧ ، أن على بن بجع كتب إليه بعد هذا :

لا تَبْكِ عينُك واتّئِدْ فلربما ... أودعتَه واللهِ غيرَ مُضيعِ

وارحمْ أسيرَ هوًى طَلِيقَ مَدامعٍ ... لم يقْض فى شرع الهوى برجوعِ

تذكَّرت بالبيت الأول ، ما يُروَى أن بعضَ الأدباء اسْتعار من آخر مجموعا ، ومطَله به ، ثم اجتمعا فى مجلس بعد[1] تَراخٍ ، فقال المستعير : إنِّى متشوِّق إليك ، وقلبى عندك .

فقال الآخر : وأنا متشوِّق إليك ، ومجموعى عندك .



(١) فى الأصول بعد هذا زيادة : « أن » .

٩٢

محمد بن محيي الدين المعروف بالحادِي الصَّيْداوِيّ (*)

هو مع قلة أنْداده ، واحدٌ فى تهيئة مواد القبول وإعداده .

فاخْتلف إليه السعيُ رائحًا وغاديا ، وأطْرب بذِكْره الثناء شاديا وحاديا .

إلا أنه ترامَى فى بَحْبُوحة التصلُّف (١) ، وتكلّف (٢) والعلى لاتُنال بالتكلُّف .

ففوَّقَتْ إليه سهامَها لَواحظُ الظنون ، وقِدْمًا (٣) قيل أرضُ صَيْدا تُذبِت العيون .

وهو صاحب فكر حَدِيد ، وأدبٍ وافرٍ مَدِيد .

فاضلٌ ملءُ إهابِه ، عارفٌ بإيجاز الأدب وإسْهابِه .

* * *

وله كتاب « ألحان الحادى ، فى المراجع والمبادى » (٤) .

استحسنتُ من شعره فيه قطعة ، رأيتها فى مفازة وحدها منقطعة .

(*) فى ب : « محمد بن عبد القادر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهو :

شمس الدين محمد بن عبد القادر الحادى ، الصيداوى ، الشافعى .

مفتى صيدا ، وأحد الأدباء الفضلاء .

أخذ عن الشمس بن المنقار ، ومحب الدين جد المؤلف ، والملا أسعد الدين بن معين الدين التبريزى ، والشمس محمد الداودى ، والشهاب العيثاوى ، والشمس الميدانى .

كان لطيف المحاضرة ، فمال رؤساء الشام إلى منادمته ، وله اليد الطولى فى حل الألغاز .

وهو صاحب كتاب «ألحان الحادى بين المراجع والبادى» ، وضعه على أسلوب « ألحان السواجع » للصلاح الصفدى .

توفى بصيدا ، سنة اثنتين وأربعين وألف .

إيضاح المكنون ١/١١٧ ، ١١٨ ، خلاصة الأثر ٤/١١ ـ ١٤ .

(١) فى ب بعدهذا زيادة : «والتكلف» ،والمثبت فى:ا ،ج . (٢) ساقط من : ب،وهو فى:ا،ج.

(٣) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « فى المرابع والمبادى » ، والمثبت فى : ا ، ج . وقد جاء اسمه فى إيضاح المكنون ، وخلاصة الأثر : « بين المراجع والبادى » .

وهى قولى [١] من قصيدة [٢] :

إذا أنكرتْ دعوَى المحبّ شهودُهُ ... فحسبىَ أنّى فى الغـرامِ شهيدُهُ

فلِلّـه شوقٌ لا يقـرُّ قرارهُ ... من البُعدِ حتى مالَه من يعودُه [٣]

وقد مـلَّه عُوّادُه وهـو مُدنَفٌ ... حليفُ جوًى صبُّ الفؤادِ عميدُهُ

رعى اللهُ أياماً تقضّت بقُربهمْ ... ومَن لى بذاك القُرب مَن ذا يُعيدُهُ

أيا عاذلى عمّن نعيمِىَ وعْـدُهُ ... ونارُ جحيمى بُعـدُه ووعيدُهُ [٤]

ولم يتعطَّفْ بالوِصال لمُغـرمٍ ... وقد طال منـه هَجرُه وصُدودُهُ

فهـذا مَلامِى مُسْمِعِى لا يريدُه ... وهـذا غرامى لا أزال أرُودُهُ

وإن كادَنى دهـرِى بجَوْر زمانِه ... تخلّصتُ منـه بالذى عَمّ جُودُهُ [٥]

***

قولى : « وقِدْماً [٦] قيل : أرضُ صَيْدا تُنبت العيون » ، إشارة إلى قول [٧] ابن السّاعاتى [٨] ، وقد هرب غلام [٩] ، فأمر أن يَمُرَّ فى نَرْجِس صَيْداً :

للهِ صَيْـداءُ مِن بلادٍ ... لم تُبقِ عندى همّاً دَفِينا

نَرْجِسُها حِليةُ الفَيافِى ... قد طبّق السهلَ والحُزونا [١٠]

---

(١) يعنى قول الصيداوى ، فهو ينقل عنه . (٢) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٤ / ١٢ هذه الأبيات ، وقدم لها بقوله فى ذكر ألحان الحادى : « وقد استوعبت شعره الذى ذكره فيه ، فلم أر له أجود من قوله ، من قصيدة راسل بها الشيخ الإمام حسن جمال الدين الصيداوى ، مستهلها : » . (٣) فى خلاصة الأثر : « فلله شوقى » ، وفى ب : « حتى ماله من يعوده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وحر جحيمى » .

(٥) صدر البيت فى خلاصة الأثر :

* وإن كاد دهرى قد يجورُ زمانُه *

وقد ذكر المحبى ، فى الخلاصة بعد هذا ، قصيدة حسن الصيداوى ، التى راجعه بها .

(٦) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٨٧ .

(٨) الأبيات فى ديوانه ١ / ١٦٨ . (٩) فى ب : « غلامه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١٠) فى ا : « حلة الفيافى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

وكيف ينجُو بهـا هَزِيمٌ وأرضُهـا تُنبتُ العيـونا

***

ومما يهزُّنى إلى الطرب فصلٌ لابن شاهين [١] ، فى وصف صَيْدا ، قال فيه :
وأما صَيْدا ، فإنها بين البلاد أَسْدُ البَيْدا .
وما أدرى كيف يذمُّها بعضُ الناس ، وأهلها يُعوِّذونها من شَرِّ الوَسْواس الخَنَّاس
ولعَمْرِى إنها بلدة لولا حرارةُ مائها وهوائها ، وبُرودة أَوْضاعها وأبنائِها .
لـكانت جنّةَ المَـأْوى ، فى الدنيا والآخرى .
اللهم إنا نسألك الإنصاف ، ونعوذ بك من التعصُّب والاعْتِساف .
وكيف يشتُم [٢] الإنسان بلدةً إذا جُلِب إليها الماء يكتسب حرارة ، وإذا استُجلب إليها العذبُ السائغ ينْقَلب إلى عُفوصة ومَرارة .
وهى كما قال أبو الحسن الباخَرْزِىّ ، فى مَدْح محاسن الرّىّ ، ولُطْف هوائها ومائها :

صادفتُ فيهـا كلَّ شىْء جائزاً أقْصى حدودِ البردِ غيرَ الماء [٣]

وكيف لا يُمْدح الماء الحارّ ، وهو الذى يجلب المَسارّ ، ويدفع المَضارّ .
وينفع فى الحَمّام ، للاغْتسال والاستحمام ، ويحلِّل الأورام ، وإن شئت فقل يجلب البِرْسام [٤] ، والسلام .

*

---

(١) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .
(٢) فى ب : « يسأم » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « كل شىء جائزا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) البرسام : علة يهذى فيها . القاموس (ب ر س م) .

شعراء جبل عاملة

٩٣

حسين بن عبد الصمد الحارثي *

هو في الإشراق مستمدُّ [١] الشمس ، وله مَزِيَّة اليوم على الأمس .

نبيه المقدار والمكانة ، مُتحلٍّ بالتصلُّف والاستكانة .

رَكَض [٢] في مَيْدان الطلب مَطايا الأشواق ، وضرب آباطَها بعصا المشارب والأذواق .

حادِيه أملُه ، ودليلُه عملُه [٣] ، والراحلة عملُه [٣] .

وهو في الإسْآد [٤] والإعْناق [٥] ، مُهدي تُحَف القبول لجواهر الأعناق .

حطَّ رَحْلَه ببلاد فارس ، فطابت بها منه مَجالٍ [٦] ومَغارِس .

ووجد مَشْرَبًا عَذْبًا من الشُّهرة فورَده ، وقصَّرت النُّظراء عن مَداه فانفرَد .

بطابعٍ ألطفَ من نسيم السَّحَر ، يمسَح عن عيون الأكام [٧] ويعانق قُدود الشَّجَر

(*) حسين بن عبد الصمد بن محمد العاملي ، الحارثي .
ولد سنة ثمان عشرة وتسعمائة .
وقرأ على شيوخ عصره ، وتنقل بين أصفهان ، وقزوين ، وهراة ، وحج ، ثم استقر في البحرين .
كان إماما في فقه الإمامية ، أديبا ، ذا نظم حسن .
ألف وصنف ، ومن مؤلفاته : « دراية الحديث » ، و « شرح ألفية الشهيد » ، وله « ديوان » من شعره .
توفي بالبحرين ، سنة أربع وثمانين وتسعمائة .
أعيان الشيعة ٢٦/٢٢٦ ــ ٢٧٠ ، روضات الجنات ٢/٢٥ .

(١) في ا بعد هذا زيادة : « من » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) في ب : « أركض » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) كذا في الأصول ، ولم أعرف وجهه . (٤) الإسآد : سير الليل كله .

(٥) الإعناق : السير السريع . (٦) في ا : « مجاز » ، وفي ج : « مجاد » ، والمثبت في : ب .

(٧) في ا : « الآكام » ، والمثبت في : ب ، ج .

وأدبٍ يجرى فى ميدانه طَلْق العِنان ، ويمضى فى معركته ماضِيَ الظُّبَةِ والسِّنان .

ولم يَزل يتردَّد من بلدةٍ إلى أخرى ، وتتعاقب عليه مراتبُ لم تجدْ أحقَّ منه ولا أحْرَى .

حتى اخْتَرمه الأجَل ، ومضى لما عند الله عزَّ وجلّ .

***

وقد أثبتُّ من نَظْمه ما يُزْرِى ائْتِلافُه بلُؤلؤ العقود ، ومن نَثْره مايَزِين نقدُه النقود .

فمن ذلك قوله [١] :

فاح نَشْرُ الصَّبا وصاح الديكْ ... وانْثنى البانُ يشتكى التحريكْ [٢]

قُمْ بنا نجْتلى مُشَعْشَعَةً ... تاه من وجْدِه بها النَّسِيكْ

لو رآها المجوسُ عاكفةً ... وَحّدُوها وجانبوا التّشْرِيكْ

إن تَسِرْ نحونا نُسَرّ وإن ... مِتّ فى السيْر دوننا نُحْيِيكَ [٣]

***

وهو أول من اخترع هذا الوزن والقافية ، واقتفَى أثره ابنه البهاء ، فى قوله [٤] :

---

(١) البيت الأول والرابع ، فى الكشكول ١/١٠٨ ، ١٠٩ ، فى قصيدة طويلة ، والأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ .

(٢) جاء هذا البيت فى الكشكول هكذا :

فاح ريح الصَّبا وصاح الديكْ ... فانتبهْ وانْفِ عنك ما يفْنِيكْ

(٣) فى ب : « نسر وإن . . . نحونا نحييك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى خلاصة الأثر : « نسر وإن . . . » .

ورواية الكشكول لصدر البيت :

* إن تسِرْ صَوْبنا نُسَرّ وإنْ *

(٤) انظر : ريحانة الألبا ١/٢٠٩ ، خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ ، الكشكول ١/١٠٩ .

يانَدِيمِى بِمُهجتى أفْدِيكْ قُمْ وهاتِ الكؤوسَ من هاتِيكْ

ثم تداول الأدباء هـذا الوزن والقافية ، ولولا خوف الملل لذكرتُ من ذلك الجملة الكافية .

***

ومن شعره قوله (١) :

ماشممْتُ الوردَ إلا زادنى شوقاً إليكَ

وإذا ما مال غصنٌ خِلته يحنُو عليـــكَ

لستَ تدرى ما الذى قد حلَّ بى من مُقلتيْكَ

إن يكنْ جسمى تناءى فالحشا باقٍ لديْكَ

كلُّ حسنٍ فى البرايا هو منسوبٌ إليكَ (٢)

رُشِق القلبُ بسهمٍ قوسُه من حاجبيْكَ

إنَّ ذاتى وذواتى يامُناى فى يديكَ (٣)

آهِ لو أسقَى لأشفَى خمرةً من شفتيْكَ (٤)

***

ورأى قول الوزير أبى الفضل الدَّارِمِىّ (٥) :

أنبت ورداً ناضِراً ناظِرِى فى وجْنتِه كالقمرِ الطالعِ (٦)

---

(١) الأبيات فى الكشكول ١/١٢٥ . (٢) فى الكشكول : « فهو منسوب إليك » .

(٣) فى الكشكول : « يا منايا فى يديك » . (٤) فى ب : « لو أسقى فأشفى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والكشكول .

(٥) أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز الدارمى .

شاعر من أهل بغداد ، تنقل فى البلاد ، وسفر بين القائم بأمر الله العباسى ، والمعز بن باديس صاحب أفريقية .

توفى سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

جذوة المقتبس ٦٨ ، الذخيرة ، القسم الرابع ، الجزء الأول ٦٧ — ٩٢ .

والبيتان فى : الذخيرة ، القسم الرابع ، الجزء الأول ٧٤ ، الكشكول ١/١٠٦ ، بدون نسبة .

(٦) فى الذخيرة : « نفرس وردا » ، وفى الذخيرة ، والكشكول : « فى وجنة » .

فَلِمْ منعتُمْ شَفْقى لَثْمهُ ... والحقُّ أن الزرعَ للزَّارعِ [١]

فكتب [٢] :

لأنَّ أهلَ الحبِّ فى حَيِّنا ... عبيدُنا فى شرعنا الواسعِ [٣]

والعبدُ لامِلْكَ له عندنا ... فزرعُه للسيد المانعِ

* * *

وقد أجاب عنه بعض المغاربة بقوله :

سلَّمتُ أن الحكمَ ما قلتمُ ... وهو الذى نُصَّ عن الشارعِ

فكيف تبْغى شَفَةٌ قطْفَه ... وغيرُها المدعوُّ بالزارعِ

وردَّه الحافظ أبو عبد الله التَّنَّيسى [٤] التِّلِمْسانى :

فى ذا الذى قد قلتمُ مَبْحَثٌ ... إذْ فيه إبهامٌ على السَّامعِ [٥]

سلمتمُ الحكمَ له مطلقاً ... وغيرُ ذا نُصَّ عن الشارعِ

يعنى أنه يلزم على قول المحب أن يُباح له النظرُ مطلقا ، والشرع خلافه .

وأجاب بعضُ أئمتنا الحنفية بقوله :

* لأن أهل الحب فى حكمنا *

البيتين اللذين أجاب بهما المترجَم .

وهو جواب حسن .

ولبعض المغاربة ، مخاطبا أبا الفضل المذكور :

قل لأبى الفضل الوزير الذى ... باهَى به مَغربنا الشرقُ

---

(١) فى ا : « فلم منعتم شفة لثمه » ، وفى الذخيرة : « شفتى قطفه * والحكم أن الزرع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والكشكول .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

والبيتان فى الكشكول ١/١٠٦ .

(٣) فى ب : «لأن أهل الحب فى حبنا» ، وفى ج : «. . فى حكمنا» ، والمثبت فى : ا ، والكشكول.

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : «إبهام على السامع» ، والمثبت فى : ا ، ج.

غرسْتَ ظالماً وأردت الجَنَى   وما لِعِرْقٍ ظالمٍ حَقُّ

قلت قوله : « وما لعرق ظالم حق » ، هذا بعض حديث رواه التِّرْمِذِيّ[١] ، وحسَّنه ، فى باب إحياء الموات : « مَنْ أَحْيَ أرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ، وَلَيْسَ لِعِرْقِ ظَالِمٍ حَقٌّ » .

رُوِى بالإضافة والتنوين .

والعرق : البناء ، والأشجار ، والبئر ، والنهر . انتهى .

* * *

وكتب إلى ولده البهاء ، هذا اللغز ، وهو أغْرب الألغاز وأصعبُها :

أيها الولد المُؤيَّد بالإعْزاز ، الموفَّق فى حلِّ المُعمَّيات والألغاز .

أخبِرْنى عن اسمٍ آخرُ أوله آخرُ الحروف ، وآخر ثانيه بهذا الاسم معروف .

قَلْبا آخريه يتوافقان ، وقلْبا أوَّليه متعانقان .

لولا ثالثهُ لصار الاسم حرفاً ، ولولا ثانيه لصار الفعل ظرفاً .

ولولا رأسُه لصارت الرَّجل من النَّجاسات ، ولولا رابعُه لما يتحقق رابع القياسات .

بعضه قاتل ، وبعضه الآخر نصف قاتل[٢] .

طرَفا أوله فعلُ أمرٍ بحرفين ، وطرفا ثانيه ما نُهِيت عن قوله للأبوين .

وإن نقص رُبعه من رُبعه بقِىَ ربعه ، وإن زِيد رُبعه على ربعه حصل رُبعه .

صدرُه علامةُ قلب العاشق ، وثانيه علامة الرقيب المنافق .

ولولا رُبعه لم تتميز القبلية عن القابليّة ، ولم تفترق المعانى عن علة الفاعلية .

بعضه يمين ، والبعض فى اليسار كَمِين .

---

(١) سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٦/١٤٦ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وبطرف آخره[1] يبتدئ المَقام ، وبطرفه الآخر ينتهى الكلام .

* * *

فأجابه :

يا سيّدى وأبى وأستاذى ، ومن إليه فى العلوم استنادى .

هذا اسم رباعىّ الأعضا ، ثلاثىّ الأجزا .

اثنا عشرىّ الأصول ، عديم الحرف المفصول .

من الأسماء معدود ، وإلى الأفعال مردود .

لولا ثلث أوله لصار السّخيف بالكرم موصوفا ، ولكان كل فقير بسواد الوجه معروفا .

ولولا رابعه[2] لاتحدت الماهيّة بالوجود ، ولم يتميّز الحاسد من المحسود .

[3]ولو عُدم ثانيه لم يكن جمع الثمر ثمارا ، ولصارت قرية بالرّىّ حمارا[3] .

ولو عُدم رُبعه لم يكن القلب فى الجسد ، وتبدّلت السكينة بالغِلّ والحسد .

ولصارت الهِرّة بعض الأزهار ، ولم تتميّز الحِنْطة عن بعض الثمار .

أوله بالعراق وآخره بالشام ، وبثلثا رُبعه يتمّ الإيمان والإسلام .

وبثلث ثالثه يبتدئ السؤال ، وبثانى ثانية ينتهى القِيل والقال .

* * *

وقد شرح السيد محمد المعروف بكِبْريت[4] ألفاظ السؤال والجواب ، وتكفل بهما فأصاب شاكلة الصواب .

---

(١) فى أ : « آخر » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى أ : « ربعه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : أ ، وهو فى : ب ، ج . وفى ب : « ولم عدم » .

(٤) ستأتى ترجمته ، فى الباب السادس ، برقم ٣١٤ .

قال فى شرح ألفاظ السؤال :

هى فى اسم قاسم .

قوله : « آخر أوله » ، أول الاسم قاف ، وآخره بالنظر إلى بَسْطه مسمّى الفاء ، وهو آخر حروف الحلق ، كما ترى ، و « آخر ثانيه » وهو الألف كذلك الفاء ، وهو موصوف بهذا الوصف ؛ لأنه هو هو .

قوله : « قلبا آخريه » ، وهما السين والميم ، « يتوافقان » لأن حقيقتهما الياء ، « وقلبا أوليه » [1]وهما الألف واللام من قاف ، ولا حرفان « متعانقان[2] » ، لولا ثالثه »[1] وهى[3] مسمّى السين « لصار الاسم حرف » عطف وهى أم ، أى بعد حذْف السين من الاسم .

« ولولا ثانيه » ، وهو الألف « لصارت الرجل » القدم « من النجاسات » .

« ولولا ربعه » وهو الميم ، « لم يتحقق » القياس التمثيلىّ ، وهو « رابع القياسات » .

« بعضه قاتل » ، وهو سَمّ ، « وبعضه » ، وهو : قا « نصف قاتل » .

« طرفا أوله » ، وهما القاف والفاء « أمر بحرفَيْن ، وطرفا ثانيه » الذى هو ألف أُفّ .

قوله : « وإن نقَص ربعه » ، الذى هو السين « من ربعه » ، الذى هو القاف ، « بقى ربعه » وهو الميم ؛ لأن الباقى بعد طرح ستّين من مائة أربعون .

« وإن زِيد ربعه » عكَس القضيّة .

قوله : « صدره علامة قلب العاشق » ، أى ثانى حروفه ، وهو الألف ، والمراد منه

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « متفقان » ، والمثبت فى : ج .
(٣) فى ب : « وهو » ، والمثبت فى : ا ، ج .

جوهر لفظه ، هو فعل من الألفة ، ولم يزل قلب العاشق يألف قلبَ[1] المعشوق ، وكذا « الرقيب المنافق » .

قوله : « لولا ربعه » ، الذى هو الألف ، « لم تتميَّز القبلية من القابلية » ؛ لأن به[2] الفرق فى هذين اللفظين ، ومثله الفعليّة[3] والمفعولية[4] .

قوله : « بعضه يمين » ، يعنى الميم ؛ لأنه يُقال[5] : مُ اللهِ . فى أيْمُن الله ، أو المراد : ما عدا القاف ، وهو اسم ، « وبعضه » ، وهو السين فى لفظ[6] « اليسار كامن » .

قوله : « وبطرف آخره » ، الأول أو الآخر « يبتدئْ المقام » ، بل ويختم ، « وبطرف آخره »[7] كذلك « ينتهى الكلام » ؛ لأن الميم نهايةُ لفظ الكلام .

***

وهذا شرح ألفاظ الجواب :

قوله : « رباعىّ الأعضاء » ، أى حروف قاسم أربعة .

« ثلاثىّ الأجزاء » ، أى جملته تنقسم ثلاثة ، من غير عكس .

« اثنا عشرى الأصول » ؛ لأن كل حرف يشتمل على ثلاثة أحرف .

قوله : « عديم الحرف المفصول » ؛ لأنه مركّب من حرفين فحرفين .

وهو معدود من الأسماء ؛ لأنه اسم وُضع لِمُسمًّى بعينه ، ومردود إلى الأفعال ؛ باعتبار أنه مشتق من القسم .

قوله : « لولا ثلث أوله » ، الذى هو القاف ، والمراد القاء « لصار لفظ السخيف » بعد حذف الفاء : سخىّ ، والسخىّ موصوف بالكرم .

---

(١) زيادة من : ب ، على ما فى : أ ، ج . (٢) ساقط من : أ ، وهو فى : ب ، ج .

(٣) فى أ : « الفاعلية » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : أ ، ج .

(٥) ساقط من : أ ، وهو فى : ب ، ج . (٦) فى أ : « الألفاظ » ، وفى ب : « لفظ آخره كذلك » ، والمثبت فى : ج . (٧) فى ب : « آخر » ، والمثبت فى : أ ، ج . والذى تقدم فى السؤال : « وبطرفه الآخر » .

قوله : وإذ حذف الفاء من لفظ فقير ، بَقِيَ قير ، وهو أسود الظاهر والباطن .

قوله : « ولولا رابعه » الذى هو الميم « لاتحدت الماهية بالموجود » ؛ لأن وجود الشيء هيئته[1] ، فكأنه قال : لاتحدت الهيئة بالماهية .

وفيه تسامُح ؛ لأن المراد من الميم مُسمَّاها ، وهو مفرد ، فكيف يُطلق على المركّب من الميم والألف .

ويُمكن أن يقال : تعدُّد المراد فى هذا الباب كثير ، وهو أدخل فى الإلغاز .

قوله : « ولم يتميَّز الحاسد عن المحسود » ، كالأول ؛ لأنه لافرقَ بين المحسود والحاسد فى أصل المعنى .

قوله : « لوعدم ثانيه » الذى هو الألف ، من لفظ الثمار ، بقى : ثمر ، فلم يَبْقَ الجمع .

قوله : « قرية بالرَّىّ » أى وهى خار ، وإذا لم تكن الألف فيه بقى : خر . وهو بالفارسية اسم الحمار .

قوله : « ولو عدم ربعه » ، الذى هو السين « لم يكن » ذلك الربع « قلب الجسد »[2] ؛ لسُقوطه[3] ، « وتبدلت السكينة » ، فكانت كينة ، من قوله تعالى[4] : ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا ﴾ .

وفى الصِّحاح[5] : « وباتَ فلانٌ بِكَيْنَةِ سَوْءٍ بالكسر ، أى بحالةِ سوء » .

والاستكانة : الخضوع .

قوله : « الهرة » ، المراد منه سِنَّوْر ؛ بعَمل الترادف ، وإذا لم تكن فيه السين كان نوراً .

---

(١) فى ب : « ميئة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى أصل الجواب المتقدم : « القلب فى الجسد » . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) سورة المؤمنون ٧٦ . (٥) الصحاح (ك ى ن) ٦/٢١٩١ .

قوله : « الخنطة »[١] ، المراد منه : سلت. على التسامح .

قوله : « أوله بالعراق » ، يعنى القاف ، فى لفظ العراق ، « وآخره » ، وهو[١] الميم فى لفظ « الشام »[٢] .

قوله : « وثلثا ربعه » ، وهما السين والنون ، من بَسْط الرابع[٣] [٤] وهو السين[٤] ، « يتمّ به الإيمان » ؛ لأنه تمّ[٥] بالنون ، « والإسلام » ؛ لأن[٦] تمامه بالسين ، ولا يلزم أن يكون آخرا[٤] .

قوله : « وثلث ثالثه » ، الذى هو السين ، وهو المراد من بَسْطِه « يبتدئ السؤال » حقيقةً ، كما ترى ، « وبثانى ثانيه » ، وهو اللام من الألف ، « ينتهى القيل والقال » .

⁂



---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) فى أصل الجواب المتقدم : « بالشام » .
(٣) فى ا ، ب : « الربع » ، والمثبت فى : ج .   (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : « يتم » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

٩٤

ولده بهاء الدين *

الذى استرَق النُّهَى ، وأشرق بدراً فى فلك الازْدِها .

الهمام الفَذّ البَذّ ، من تَطْرب بذكره الأسماع وتَلْتذّ .

تَحلَّى من الفوائد العلمية بما تحلَّى ، واشتهر اشْتهار الصبح إذا تجلَّى .

وازدادتْ به الدنيا ازْديانَ العاطِل بالحَلْى ، والمُشكل بالجَلْى .

والَمفرِق بالتاج ، والمقدمة بالإنْتاج .

وحصل بينه وبين الفضل فى الاتّحاد التّساوِى ، فأنْتج مطلبُه من الشكل الأوّل هذا اللازم المَساوِى .

وأنا أذكر لك خبرَه على جليَّته فاعتمد عليه ، وإياك تُلْغى [١] ماألقّه الشهاب [٢] من [٣] ذِكْر حالِه ولا [٤] تجنَحْ إليه .

(*) محمد بن حسين بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين بن عز الدين الحارثى ، العاملى .

ولد ببعلبك ، سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة .

وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم ، وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل أصفهان ، وأقام بمصر مدة ، ثم انتقل إلى القدس ، ونزل دمشق .

كان أمة وحده فى الأخذ بأطراف العلوم ، والتضلع بدقائق الفنون .

طارت شهرة مؤلفاته فى الآفاق ، وهو صاحب « الكشكول » ، و « المخلاة » ، وله شعر جيد .

توفى بأصبهان ، سنة إحدى وثلاثين وألف .

خبايا الزوايا ، لوحة ١٥٨ ا ، خلاصة الأثر ٣/٤٤٠ ، الذريعة ٢/٢٩ ، ٦/٢٤٠ ، روضات الجنات ٥٣٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٠٧ ، سلافة العصر ٢٨٩ ، نزهة الجليس ١/٢٤٩ .

(١) فى ا : « تلقى » ، وفى ب : « تلق » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ترجمته فى الريحانة ، وخبايا الزوايا . (٣) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « فلا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وذلك أنه كان بالشام تكوّن خِلقته، وبها بان رُشْده وأحسبه من حين لَقْتَه قابِلته في خِرقته .

ثم انتقل به أبوه إلى قزوين وهلاله آخذٌ في تدويره ، وذهنه في مَبادِي ملاحظته للدقائق وتصويره .

فاستكمل ثَمّة فضائله المعجبة ، وصيّر عندها فضائلَ الأوّل كالمتحجّبة [١] .

ولما طَفَّت حَصاتُه في العراق ، وتجاوزت فيه المدائح من الغلوّ [٢] إلى الإغراق .

استدعاه الشّاه فصيّره رئيسَ العلماء في تَخْت مُلْكه ، وحَلّى جِيدَ مملكته منه بجوهر عِقد كلٌّ جَهابِذَتِه شذراتٌ في سِلْكه .

ثم رغب في الفقر والسياحة ، واستهبّ [٣] من مَهابّ [٤] القبول رياحه .

فطلع طلوعَ الشارِد ، يرِد البلادَ كالطَّيف الوارد .

وهو يقتري المسالك ، ويقتحم المهالك ، ويُعاني الممالك .

فحجّ البيت الحرام ، ودخل مصر أمّ الأهرام .

ثم ورد دمشق فنمّ عليه فضله كما نم ريحُ الورد على الورد ، ومنها ظهر بحلب الشهباء كما ظهر العلَم الفرْد .

فلم يُمكنه إلا أن شدّ للعجم نطاقَ التّسيار، ولما وصلها حطّ بها [٥] رَحْلَ الاختيار، فصنّف وألّف ، وأبدع حدّ الإبداع وما تكلّف .

وابتسمت به دولةُ الشاه عباس ، وأماطتْ أقوالُه فيها حنادِسَ الشُّبَه والالتباس .

مع عزم ينفلق دونه الصخر الأصمّ ، وحِلم يقصُر عنه الطّودُ الأشمّ .

ورأيٍ عليه المعوّل ، وفكر هو المعقول الأوّل .

---

(١) في ا : « كالمحتجبة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ا : « الغلول » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) في ب : « وأسهب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « مهب » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٥) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

وهنـاك ماشئْت من رقة ألفاظ (١) ، ولطافةِ مَعانٍ تتعـلمَّ منهـا السحرَ غمزَاتٌ وألحاظ .

وتفنُّن فى العبارات يتحيَّر له اللاحِظ ، وغرائبُ آدابٍ تـكِلُّ فى استخراج دقائقها عيونُ الجاحظ .

إذا طلعت أغصانُ أقلامِه فى رياض أدبِه الجَنِيَّة الغُروس،سجدتْ لها الأقلام سجدةَ الشكر فى محاريب الطُّرُوس .

وأقلام إفادتِه لا تُنْسَب بإعياء قَطّ ، وصحائف مجده لم تُشَنْ من حسودٍ بنَقْط .

وهو فى اللِّسانين فارسٌ بطل ، فالعربىُّ من بعده تعجَّم والفارسىُّ بطَل .

* * *

وله من عقائل اللسانين كلُّ فائقة الطَّرْف ، استوفتْ فى مدى البلاغـة للطفَ والظَّرْف .

فمن بدائعه قوله (٢) :

وأهْيفِ القَدّ لَدنِ العِطْفِ معتـدلٍ ... بالطَّرْف والظَّرْف لايَنفكُّ قتّالا (٣)

إن جال أهْـدى لنا الآجالَ ناظِرُهُ ... أو صال قطَّع بالهِجْران أوْصالا

وإن نظرتُ إلى مرآة وَجْنتِـه ... حسبتُ إنسانَ عينى فوقهـا خالا

كأن عارِضَـه بالمِسك عارَضنِى ... أو ليـلَ طُرَّتِه فى خَـدِّه سالا

أو طاف من نورِ خَـدَّيْه على بصَرِى ... فخَطَّ بالليلِ فوق الصبح أشْكالا (٤)

* * *

(١) فى ب : « الألفاظ » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٢ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ا : « أوطار نورخديه » ، وفى ب ، ج : « أوطاف نور خديه » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وكتب إلى والده وهو بالهَراة ، فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة [1] :

يا ساكنى أرضَ الهَراةِ أما كفَى ... هــــذا الفِراقُ بلَى وحقِّ المصطفَى

عودُوا علىَّ فربْعُ صبرِى قد عفَا ... والجَفْن من بعــد التَّباعُد ماغفَا [2]

وخيالُكم فى بالِى ... والقلبُ فى بَلْبــالِ [3]

إن أقبلتْ من نحوِكم ريحُ الصَّبا ... قلنا لهــــا أهلاً وسهلاً مَرحبَا

وإليكمُ قلْبُ المُتيَّمِ قد صَبا ... وفِراقُكم للروح منــــه قد سبَا

والقلبُ ليس بخالِى ... من حبِّ ذات الخــالِ

ياحبَّــذا رَبْعُ الحِمَى من مَرْبَعِ ... فغزالُه شَبَّ الغَضــا فى أضلُعِى

لم أنْسَه يوم الفــراقِ مُودِّعِى ... بمَدامعٍ تجرِى وقلبٍ مُوجَعِ

والصبُّ ليس بسالِى ... عن ثَغْرِه السَّلْسالِ

* * *

وله ، وهى من غُرَرِه [4] :

خلّيــانى ولَوْعتِى وغرامِى ... ياخليلَيَّ واذْهبــا بسَلامِ [5]

قد دعاه الهــوى فلبَّاه قلبى ... فدَعانى ولا تُطيلا مَلامِى [6]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ ، ٤٥٠ ، وسلافة العصر ٢٩٥، ٢٩٦ ، والكشكول ١/٢٤ ، وفيه : « وهو فى هراة ، سنة ٩٨٩ » . (٢) فى الأصول : « عودى على » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٣) فى الكشكول : « خيالكم فى بالى » .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٠ ، ٤٥١ ، والكشكول ١/١٢٩ ، ١٣٠ ، وسلافة العصر ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وذكر المحبى والعاملى ، وابن معصوم أنه طلب من بهاء الدين أن يعارض قصيدة رثى بها والده ، مطلعها :

جارتى كيف تُحسنين مَلامِى ... أيُداوَى كَلْمُ الحشا بكلامِ

فقال هذه القصيدة .

(٥) فى ب : « ولوعتى وهيامى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

(٦) فى ب : « ولا تطيل ملامى » ، والصواب فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر ، وفيها : « قد دعانى الهوى » .

إن مَن ذاقَ نَشْوَةَ الحبِّ يوماً   لا يُبــالى بــكثْرةِ اللُّوّامِ
خامَرتْ خمرةُ المحبَّـــةِ قلبى   وجرَت فى مفاصِلى وعظامِى (١)
فعلى العلمِ والوقارِ صــلاةٌ   وعلى العقلِ ألفُ ألفِ سلامِ (٢)
هل سبيلٌ إلى وقوفٍ بوادى الـ   ـجزْعِ ياصاحبىَّ أو إلمامِ (٣)
أيها السائرُ المُلِحُّ إذا ما   جئتَ نجْداً فعُجْ بوادى الخزامِ (٤)
وتجاوزْ عن ذِى المَجازِ وعرِّجْ   عادِلاً عن يمين ذاكَ المَقامِ (٥)
وإذا مابلغتَ حُــزْوَى فبلِّغْ   جِيرةَ الحىِّ يا أخىَّ سلامِى (٦)
وانْشُدَنْ قلبىَ المُعنَّى لديهمْ   فلقد ضاع بين تلك الخيــامِ
وإذا ما رَثَوْا لحالِى فسَلْهمْ   أن يمُنُّوا ولو بطيفِ مَنامِ (٧)
يانُزولاً بذِى الأراكِ إلى كمْ   تنْقضى فى فِراقكمْ أعوامِى
ماسرَتْ نَسْمةٌ ولا ناح فى الدَّوْ   حِ حَمامٌ إلا وحان حِمامِى
أين أيّامُنا بشَرْقىِّ نَجْدٍ   يارعاها الإلهُ من أيامِ
حيثُ غُصْنُ الشبابِ غضٌّ ورَوضُ الْـ   ـعيْشِ قد طرَّزَتْه أيدِى الغَمامِ
وزَمانى مُساعدٌ وأيادِى الـ   لَّهْوِ نحو المُنى تجرُّ زِمامِى
أيهــا المُرتقِى ذُرَا المجد فرداً   والمُرجَّى للفــادحاتِ العِظامِ
ياحليفَ النَّدى الذى جُمِّعت فيـ   ـهِ مَزايا تفرَّقتْ فى الأنامِ (٨)

(١) فى سلافة العصر : « خامرت خمرة المحبة عقلى » . (٢) فى الكشكول : « فعلى الحلم والوقار » . وكذلك فى السلافة . (٣) فى ب ، ج : « هل سبيل إلى الوقوف » ، وفى الكشكول ، والسلافة : « إلى وقوف » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) فى الكشكول : « أيها السائل الملح » .

(٥) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة ، على ناحية كبكب . معجم البلدان ٤/٤١٦ .

(٦) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم ، وحزواء ، بالفتح والمد ، ويقصر : موضع ، قبل باليمن . معجم البلدان ٢/٢٩٢ .

وفى ا : « جيرة الجن » ، وفى ب : « جيرتى الحى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، والسلافة . (٧) فى ا : « وإذا مارسوا » ، وفى ب ، والسلافة : « وإذا مارقوا » . والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول . (٨) فى الكشكول : « يا حليف العلى » .

نِلْتَ فى ذِرْوةِ الفَخارِ مَحَلاًّ ... عَسِرَ المُرتقَى عزيزَ المَرامِ

نسَبٌ طاهر ومجدٌ أثيلٌ ... وفَخارٌ عالٍ وفضلٌ سامِى

قد قَرَنّا مَقالَكم بمَقالٍ ... وشَفَعْنا كلامَكم بكَلامِ [1]

ونظَمْنا لها مع الدُّرِّ فى سِمْطٍ ... وقُلنا العبيرُ مثلُ الرَّغامِ [2]

لم أكُنْ مُقْدِماً على ذا ولكنْ ... كان طَوْعاً لأمْرِكم إقْدامِى [3]

عَمْرَكَ اللهُ يانديمِىَ أنْشِدْ ... جارَتا كيف تُحسنين مَلامِى

* * *

وله [4] :

أسِحرُ بابِلَ فى جَفْنيكَ أم سَقَمِ ... أم السيوفُ لقتل العُرْب والعجمِ [5]

والخالُ مَركزُ دَوْرِ لِلعِذار بدا ... أم ذاك نَضْحُ عِثارِ الخطِّ بالقلمِ

أم حبّةٌ وُضِعَتْ كيما تصيدَ بها ... حَبَّ القلوبِ فصادتْ كلَّ مُلْتَثِمِ

أم الفَراشُ هوَى طيرُ الفؤادِ على ... نارٍ بخدِّكَ حتى صار كالفحمِ [6]

* * *

قوله : « والخال » ، البيت ، من قول الرّاميِنيّ الإسْتِراباذِيّ [7] :

---

(١) فى ب : « قد قرانا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والكشكول ، وسلافة العصر .

(٢) فى سلافة العصر : « ونظمنا الحصى مع الدر » ، وفى ا : « مع الدر سمطا » ، وفى ب : « مع الدر فى السمط » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول .

(٣) البيت فى الكشكول :

لم أكُن مقدِما على ذا ولكنّ ... امْتثالا لأمْرِكمْ إقدامِى

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٢ ، ٤٥٣ .   (٥) فى ب ، ج : « أم سقم » ، وفى خلاصة الأثر : « مع سقم » ، والمثبت فى : ا .   (٦) فى خلاصة الأثر : «أم كالفراش» ، وهى رواية حسنة .

(٧) هو الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين الإستراباذى .

فقيه شافعى ، متكلم أشعرى ، متصوف .

توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة .

تاريخ بغداد ٧/٣٠٠ طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٠٤ ، معجم البلدان ١/٢٤٢ .

والبيتان فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٢ .

هل نَضَحتْ أقلامُ خَطِّ العِـذارْ ... فى مَشْقِها فالخالُ نَضْحُ العِثارْ (١)

أم اسْتدارَ الخدُّ لمَّا غَدَتْ ... نُقطتُه مَرْكزَ ذاكَ المَدارْ (٢)

* * *

قوله : « أم حبَّة » ، هذا كثير ، وقد تقدَّم فى ترجمة السَّفَرْجلَانِيّ (٣) .

* * *

وقوله : « أم الفراش » ، هذا من قول عَوْن الدِّين العَجَمِيّ ، وفيه زيادة (٤) :

لَهيبُ الخدِّ حين بدا لعيْنِى ... هوَى قلبى عليـه كالفَراشِ

فأحْرقه فصار عليه خالاً ... وها أثرُ الدُّخان على الحَواشِى

* * *

وله يرثى والده ، وقد توفِّىَ بالمُصلَّى من قُرى البَحْرين ، لثمان خلَوْن من شهر ربيع الأول ، سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، عن ست وستين سنة وشهرين وسبعة أيام (٥) :

قِفْ بالطُّلولِ وسَلْها أين سَلْماهَا ... ورَوِّ مِن جُرَعِ الأجْفانِ جَرْعاهَا

وردِّد الطَّرْف فى أطرافِ ساحَتِها ... وأرِّجِ الوصلَ من أرْواحِ أرْجاهَا (٦)

فإن يَفُتْك من الأطْلالِ مُخبِرُها ... فلا يفوتَنْكَ مَرْآها ورَيَّاها (٧)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « هل عثرت أقلام خط المذار » ، وهى اللائقة بالمعنى .

(٢) فى ا : « أم استدار الخال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) تقدمت ترجمة إبراهيم بن محمد السفرجلانى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٧٩ ، برقم ٤٦ .
والمحبى يعنى قول السفرجلانى :

لا يخدعنَّك تحت عَطْفَةِ صُدغِهِ ... خالٌ فذاكَ الخالُ حَبَّةُ فَخِّهِ

انظر النفحة ١/٤٨٣ ، وخلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٤) خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥١ ، ٤٥٢ ، والكشكول ١/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وسلافة العصر ٢٩٥ .

(٦) سلافة العصر : « وأرج الروح » ، وفى الكشكول :

* وروِّحِ الرُّوحَ من أرواحِ أرْجاهَا *

(٧) فى ا ، ج : « مرآها ورآها » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

رُبوعُ فضلٍ يُضاهِي التِّبْرَ تُرْبتُها ودارُ أُنْسٍ يُحاكِي الدُّرَّ حَصْباهَا (١)

عدا على جِيرةٍ حَلُّوا بساحتِها صَرْفُ الزمانِ فأبلاهم وأبلاهَا

بدورُ تمٍّ غمامُ الموتِ جَلَّلها شموسُ فضلٍ سحابُ التُّرْبِ غَشَّاهَا (٢)

فالمجدُ يبكي عليها جازِعاً أسِفاً والدِّينُ يَنْدُبها والفضلُ ينعاهَا

ياحَبَّذا أزْمُنٌ في ظلِّهم سَلَفتْ ما كان أقصرَها عُمراً وأحلاهَا (٣)

أوقاتُ أُنْسٍ قضيْناها فما ذُكِرتْ إلا وقطَّع قلبَ الصَّبِّ ذِكْراهَا

ياجيرةً هجروا واستوطنوا هَجَراً واهاً لقلبِ المُعَنَّى بعدكم واهاَ (٤)

رَعْياً لِلَيالاتِ وَصْلٍ بالحِمَى سلفتْ سَقْياً لأيَّامنا بالخَيْفِ سُقياهَا

لفقْدكم شُقَّ جَيْبُ المجدِ وانْصدعتْ أركانُه وبكم ما كان أقواهَا

وخَرَّ من شامخاتِ العلمِ أرْفعُها وانْهَدَّ من باذِخاتِ الفضلِ أرْساهَا (٥)

ياثاوياً بالمُصَلَّى من قُرَى هَجَرٍ كُسِيتَ من حُلَلِ الرِّضوانِ أضْفاهَا (٦)

أقمتَ يابحرُ بالبحرينِ فاجتمعتْ ثلاثةٌ كُنَّ أمثالاً وأشباهَا

ثلاثةٌ أنت أنْداها وأغزرُها جوداً وأعذبُها طعماً وأصْفاهَا (٧)

---

(١) في ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر : «تباهى القمر» ، والمثبت في : ا ، والكشكول ، وفي السلافة : « تخال الدر حصباها » . (٢) في ب : «سحاب القرب غشاها» ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٣) في ب ، وخلاصة الأثر : « يا حبذا زمن » ، والمثبت في : ا ، ج ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٤) في الكشكول : « يا سادة هجروا » .

وهجر : قصبة البحرين . انظر معجم البلدان ٤/٩٥٣ .

(٥) الخيف : بطحاء مكة ، أو مبتدأ الأبطح . معجم البلدان ٢/٥٠٨ .

(٦) في خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « من باذخات العلم أرساها » ، وفي الكشكول : « من باذخات الحلم أرساها » . (٧) في ب ، خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « كسيت من حلل الرضوان أصفاها » ، وفي الكشكول : « أرضاها » .

(٨) رواية الكشكول :

ثلاثةٌ أنت أسْداها وأغزرُها جودًا وأعذبُها طعماً وأحْلاهَا

حَوَيْتَ من دُرَرِ العلياءِ ما حَوَيا ... لكنَّ دُرَّكَ أعلاها وأغلاها [1]

يا أعظماً وَطِئَتْ هامَ السُّها شرفاً ... سقاكِ من دِيَمِ الوَسْمِيِّ أسماها [2]

ويا ضريحاً علا فوقَ السِّماكِ عُلاً ... عليكَ من صلواتِ اللهِ أزكاها [3]

فيكَ انطوى من شموسِ الفضلِ أضوءُها ... ومن معالمِ دينِ اللهِ أسناها [4]

ومن شوامخِ أطوادِ الفتوَّةِ أرْ ... ساها وأرفعُها قدراً وأبهاها [5]

فاسْحَبْ على الفلكِ الأعلى ذيولَ عُلاً ... فقد حوَيْتَ من العلياءِ عَلْياها [6]

عليكَ منّا صلاةُ اللهِ ما صدحتْ ... على غصونِ أراكِ الدَّوحِ ورقاها [7]

* * *

ومن مقطَّعاته قوله [8] :

لعينيكَ فضلٌ كثيرٌ عليَّ ... وذاكَ لأنِّيَ ياقاتلي [9]

تعلَّمتُ من سحرِها فعقدتُ ... لسانَ الرَّقيبِ مع العاذلِ

* * *

وكتب من قزوين إلى والده ، وهو بالهراة [10] :

---

(١) في الكشكول : « من درر العلياء » ، وفي ب : « لكن ذكرك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

(٢) في الكشكول : « يا أعظما وطئت » ، وفي الأصول : «هام السرى» ، والصواب في : خلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

والوسمي : أول مطر الربيع .

(٣) السماكان : الأعزل والرامح : نجمان نيران .

(٤) رواية الكشكول لصدر البيت :

* بك انطوى من شموسِ الفضلِ آخِرُها *

(٥) في الكشكول : « وأرفعها قدرا وأبهاها » .

(٦) في الكشكول ، وسلافة العصر : « من العلياء أعلاها » . (٧) في ب ، والكشكول : « عليك مني صلاة الله » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٨) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ ، والكشكول ١/٥١ . (٩) في الكشكول : « فضل جزيل » ، وفي خلاصة الأثر : « وذاك لأنك يا قاتلي » . (١٠) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٤٥٠ ، الكشكول ١/٤٣ ، وذكر أنه كتب ذلك إليه ، سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، سلافة العصر ٣٠٠ .

بقَزْوِينَ جسمِي وروحي ثوَتْ   بأرضِ الهَرَاةِ وسُكانِها

فهــذا تغرَّب عن أهْــلِهِ   وتلكَ أقامتْ بأوْطــانِها[1]

* * *

وله[2] :

إن هــذا الموتَ يكرَهُه   كلُّ من يمشِي على الغَــبْرَا

وبِعيْنِ العقــلِ لو نظروا   لرأوْه الراحــةَ الكبْرَى

* * *

اقتفى في هذا أثرَ ابن الرُّومِيّ ، في مَدْح الموت ، حيث قال[3] :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياةَ وأسْرفوا   في الموت ألفُ فضيلةٍ لاتعرَفُ

منها أمانُ لِقــائِهِ بلقائه   وفِراقُ كلِّ مُعــاندٍ لا ينْصِفُ

* * *

ومن رُباعيَّاته ، ما كتبه لبعض أحبابه ، وهو في المشهد الأقدس الرَّضَوِيّ[4] :

يا رِيحُ إذا أتَيْتَ أرضَ الجمْعِ   أعنِي طوساً فقُل لأهلِ الرَّبْعِ[5]

ما حَلَّ برَوْضةٍ بهائِيُّكُمُ   إلَّا وسقَى رياضَها بالدَّمْعِ[6]

* * *

وكتب إلى بعض[7] أحبابه[8] بالنجَف الأشرف[9] :

---

(١) في الأصول : « فهذا تغرب عن أهلها » ، والمثبت في : خلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .   (٢) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، الكشكول ١/٢٤ ، سلافة العصر ٢٩٦ .

(٣) البيتان ليسا لابن الرومي ، وهما لمنصور الفقيه في : التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٧٨ ، ٤٨٣ .   (٤) البيتان في : خلاصة الأثر ٣ / ٤٥٤ ، الكشكول ١ / ٢٣ .

(٥) في الكشكول : « أعني طنبا » .   (٦) في ب : « ما حل بروضة بهاؤكم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول . وفي الكشكول : « إلا سقى » .   (٧) في ا : « لبعض » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٨) في ب : « إخوانه » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٩) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، والكشكول ١/٢٣ .

يا ريحُ إذا أتيتَ أرضَ النَّجَفِ ... فالْثِم عَنِّي تُرابَها ثم قِفِ [1]
واذْكُرْ خبَرِي لدى عُرَيب نزلوا ... وادِيَه وقُصَّ قِصَّتِي وانْصرِفِ

* * *

وله [2] :

يا عاذِلُ كم تطيـــلُ فى إتْعابى ... دَعْ لَوْمَكَ وانصرِفْ كفانِي ما بِي [3]
لا لَوْمَ إذا هِمْتُ من الشوقِ على ... قلبٍ ماذاقَ فُرْقةَ الأحْبابِ [4]

* * *

وله [5] :

يا بدرَ دُجًى بوَصْلِه أحْيانِي ... إذْ زار وكمْ بهجْرِه أفْنانِي
باللهِ عليكَ مجِّلَنْ سفْكَ دمي ... لا طـــاقةَ لي بلَيْلةِ الهِجرانِ

---

(١) فى الكشكول : « إذا أتيت أهل النجف » . وفى ا : « فالثم عن ترابها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ ، الكشكول ١/٤٣ ، سلافة العصر ٣٠٠ .

(٣) فى ا : «يا عاذلا كم » ، وفى ب : « يا عاذل لا » ، والمثبت فى: ج ، وخلاصة الأثر، والكشكول، وسلافة العصر .

وفى خلاصة الأثر : « كم تطيل فى إعتابى » ، وفى سلافة العصر : « كم تطيل فى عتابى » .

(٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والمصادر السابقة .

وفى خلاصة الأثر : « من الشوق فلى » ، والبيت فى الكشكول جاء هكذا :

لا لومَ إذا أهيمُ بالشوق فلى ... قلبٌ ما ذاق فرقةَ الأحبابِ

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والبيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، الكشكول ١/١٤٥ ، سلافة العصر ٣٠١ .

٩٥

حسن بن زين الدين الشّهِيد*

رُكْنُ مجدٍ رَكِين ، مكانه فى ذِرْوة الرياسة مَكِين .

رَسَا فى بُحْبُوحة البسالة ورسَخ ، ونَسَخ خطَّة الجهل بما خطَّ ونَسَخ .

وهو من قوم تنُوس ذوائبهم على هام الجبال ، وتستمِدُّ الشموس من سَناهم فلذا تُرخِى عند المغيب الحبال .

تُقطَع إليهم الوُعور فنَلْقَى بشوقهم صعيدا ، وتُستبعد لغيرهم السَّماوة[1] ولا يُرى السماء بقصْدهم بعيدا .

وأبوه زَيْن الدين ممن كان له صِيتٌ يفلق الصَّخر ، وتقدُّم فيما بينهم ينْفلق عنه فجرُ الفخْر .

إلا أن الأيام غالته بطوارِقها ، ونازلته برواعدِها وبوارِقها .

على جَهْد فى قتالٍ جَهِيد ، حتى ألْقَى السمع وهو شَهِيد .

(*) فى الأصول : « حسين » ، والمثبت فى المصادر التالية .

وهو :

حسن بن زين الدين الشهيد ، العاملى ، الشهير بالشامى .

نزيل مصر .

ولد سنة أربع وخمسين وتسعمائة تقريبا .

كان أديبا ، عالما بقواعد الشرع ، قام مقام والده فى التدريس والتصنيف .

ومن مصنفاته : «منتقى الجمان فى الأحاديث الصحاح والحسان» ، و «المعالم» ، و «الاثناعشرية» ، و « مناسك الحج » .

توفى سنة إحدى عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٣٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢١ ـ ٢٣ ، ريحانة الألبا ٢/١٥١ ، سلافة العصر ٣٠٤ ـ ٣٠٨ .

(١) السماوة : الأرض المستوية لا حجر بها ، والسماوة ماء بالبادية . انظر معجم البلدان ٣/١٣١ .

تخلفه ابنُه حسن ، ومن حديثُ فضلِه صحيحٌ حسَن .

فقام مَقام الوَبْل فى البلد المَحْل ، وكان أنْدَى من الصَّبا وأشهى من جَنَى النحل .

يَبتدِر ويروِى[١] ، وينْقَع بزُلال أدبِه ويَرْوِى[٢] .

ويُمتِّع[٣] بأحاسن الأخبار ، ويقطع منها جانبَ الاعتبار .

مع فكرٍ ماؤه يسِيح، وطبعٍ بُستانه فسِيح .

وله مؤلفات أحسَن فيها كلَّ الإحسان ، أجلُّها « منتقى الجمان فى الأحاديث الصحاح والحسان » .

***

وأما شعره فلبنان مَنْبت زهرِه الفوَّاح ، ونسيمه الطَّلَّاق راوِى حديث نفْحتِه للأرْواح .

وقد أثبتُّ منها مايردِّد محاسنَه الدهرُ ويرْويها ، وينشر فضائله على كواهل الأدب ويطْويها .

فمنه قوله[٤] :

فؤادِى ظاعنٌ إثْرَ النَّيـــاقِ ... وجسمِى قاطنٌ أرضَ العراقِ[٥]

ومن عجَبِ الزمانِ حياةُ شخصٍ ... ترحَّـــل بعضُه والبعض باقِ

وحلَّ السُّقْمُ فى بدنى وأمسَى ... له ليلُ النَّوَى ليلَ المَحاقِ[٦]

وصَبْرِى راحـــلٌ عنَّا قليلٍ ... لشـــدة لَوْعتى ولَظَى اشْتياقِ

وفَرْطُ الوَجْدِ أصبح بى خليقًا ... ولمَّا ينْوِ فى الدنيا فِراقِى[٧]

وتعبثُ نارُه فى الرُّوح حينًا ... فيوشك أن تُبلِّغَها التراقِى[٨]

---

(١) من الرواية . (٢) من الرى . (٣) فى ب : « ويتمتع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/٢٣ ، الكشكول ١/١١٥ ، سلافة العصر ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٥) فى ب : « أسر النياق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمراجع السابقة . (٦) فى سلافة العصر : « فى بدنى فأمسى » . (٧) فى ا : « أصبح بى خليقا » ، وفى الكشكول : « أصبح لى حليفا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٨) فى ا ، ج : « وتبعث ناره » ، والمثبت فى : ب ، والمراجع السابقة .

وأظمأنى النوى وأراق دمعى ... ولا أروى ولا دمعى براق[1]

وقيّدنى على حالٍ شديدٍ ... فما حرزُ الرُّقى منه بواقِ

أبى اللهُ المهيمنُ أن ترانى ... عيونُ الخلق محلولَ الوَثاقِ

أبيتُ مدى الزمانِ لنارِ وَجْدِى ... على جمرٍ يزيد به احْتراقِى[2]

وما عيشُ امْرِئٍ فى بحرِ غَمٍّ ... يُضاهِى كربُه كَرْبَ السِّياقِ

يودُّ من الزمان صفاء يومٍ ... يلوذُ بظلِّه ممّا يُلاقِى[3]

سقتْنِى نائباتُ الدهرِ كأساً ... مَرِيراً من أباريقِ الفِراقِ

ولم يخطُرْ ببالِى قبلَ هذا ... لفَرْطِ الجهل أن الدهرَ ساقِ

وفاض الكأسُ بعد البَيْنِ حتى ... لَعَمْرِى قد جرتْ منه سَواقِ

فليس لِداءِ ما أَلْقَى دواءٌ ... يُؤمِّل نفعُه إلّا التّلاقِى

***

وقوله، وهو[4] من أبدع ما هزَّ به الشوق، بعصا السَّوْق.

يتشوّق إلى محلّه، ويندب بعد ترحُّله[5] عنه ومُرتحله[6]:

طولُ اغترابِى بفَرْطِ الشوقِ أضْنانِى ... والبَيْنُ فى غمراتِ الوَجْدِ ألقانِى[7]

يابارقاً من نواحِى الحىّ عارَضَنِى ... إليك عنّى فقد هيّجتَ أشجانِى[8]

فما رأيتُك فى الآفاقِ مُعترِضاً ... إلا وذكّرتنى أهلى وأوْطانِى

ولا سمعتُ شَجا الوَرْقاءِ نائحةً ... فى الأيكِ إلا وشبّتْ منه نيرانِى

كم ليلةٍ من ليالِ البَيْنِ بِتُّ بها ... أرْعَى النجومَ بطَرْفِى وهْى ترْعانِى

كأن أيْدِى خُطوبِ الدهر مُنذ نأوْا ... عن ناظرِى كحّلتْ بالسُّهْدِ أجْفانِى

---

(١) فى خلاصة الأثر، والكشكول، وسلافة العصر: «فلا أروى». وفى السلافة: «ولا دمعى براق».   (٢) فى خلاصة الأثر: «بنار وجدى»، وفى الكشكول: «ونار وجدى».

(٣) فى ا: «مما يلاقى»، والمثبت فى: ب، ج، والمراجع السابقة.

(٤) فى ا: «وهى»، والمثبت فى: ب، ج.   (٥) فى ب، ج: «تحوله»، والمثبت فى: ا.

(٦) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٢/٢٢، سلافة العصر ٣٠٥، ٣٠٦.   (٧) فى ب: «طول اشتياق بفرط الحب أضنانى»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر، وسلافة العصر.

(٨) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى: ا، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

ويا نسيماً سرى من حيّهم سحراً … في طيّه نَشْرُ ذاك الرَّنْدِ والبانِ

أحييتَ ميْتاً بأرضِ الشام مُهجتُه … وفي العــراق له تخييلُ جُثمانِ (١)

وكم حييتُ وكم قد مِتُّ من شجنٍ … ماذاك أوّلُ إحياء ولا الثــاني (٢)

يالائمي كم بهــذا اللّوْمِ تزعجني … دَعْني فلَوْمُك قد واللهِ أغْــراني (٣)

لايسكُن الوجــدُ مادام الشَّبابُ ولا … تصفُــو المشــاربُ لي إلاّ بلُبْنانِ (٤)

في رَبْعِ أُنْسي الذي حــلَّ الشبابُ به … تمائمي وبه صَحْبي وخِلاّني

كم قد عهدتُ بهــاتيك المعاهدِ من … إخْوانِ صِــدْقٍ لعَمْري أيُّ إخوانِ

وكم تقضَّتْ لنــا بالحيِّ آونةٌ … على المسرّة في كَرْمٍ وبُستانِ

لم أدْرِ حالَ النّوَى حتى علِقْتُ به … فمَرّتي من وقوعي قبل عِرْفانِ

حتّى مَ دهري على ذا الهَوْنِ يُمسكني … هلا جنحتَ لتسريحٍ بإحْســانِ (٥)

أقسمتُ لولا رجاءُ القرْبِ يُسعفني … فــكلّما مُتُّ بالأشواق أحْيــاني

لكدتُ أقضي بها نحْبي ولا عجبٌ … كم أهلَكَ الوجدُ من شِيبٍ وشُبّانِ

ياجيرةَ الحيِّ قلبي بعد بُعدِكمُ … في حَيْرةٍ بين أوْصابٍ وأحْزانِ (٦)

يَمضي الزمانُ عليه وهو ملتزمٌ … بحبّكــمْ لم يُدنِّسْه بسُلوانِ

باقٍ على العهدِ راعٍ للذّمامِ فما … يَسُوم عهدَكمُ يوماً بنِسيانِ (٧)

فإن برانِي سَقامي أو نأى رَشَدي … فلاعِجُ الشوقِ أوْهاني وألْهاني

وإن بكتْ مقلتي بعد الفراقِ دماً … فمن تذكّركم ياخيرَ جيرانِ (٨)

---

(١) في خلاصة الأثر : « تخييل جثمان » . (٢) في ا : « أول إحيائي ولا الثاني » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر . (٣) في سلافة العصر : « يا لائمي وبهذا اللوم تزعجني » .

(٤) في ا : « ما دام الثبات » ، وفي سلافة العصر : « ما دام الشتات » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) في ب : « على ذي الهون » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٦) في ا : « بين أوصاب وأشجاني » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٧) في خلاصة الأثر : « يشوب عهدكم » . (٨) في سلافة العصر : « يا خير جيراني » .

٩٦

سِبْطه زَيْن الدين بن محمد *

هو السِّبْط ، ذو البَنان السَّبْط ، حازم(١) الرأى فى الحلّ والربْط .

مجده نسَقَ الحديثَ مع القديم ، وحُلاه تسوغ بها المُدامة إذا تكرّرها النديم .

إلى ذاتٍ كاملة مكمّلة ، ونفسٍ بفعْل الجميل مُجمّلة .

ملازِم كِنٍّ وعُزلة ، مُتعاطٍ سهْلَ العيش وجزْلَه .

ثم سمتْ همّتُه إلى أن طار عن أهلِه ، وخرج يتتبّع عجائب الأقطار على مَهْلِه .

يرْتاد غير أرضِه أرضا ، ليقضىَ من أمر الرحلة سُنّة وفرضا .

حتى كان البيتُ الحرام آخرَ مَطافه ، انتقل إلى عفو الله وخفِىِّ ألطافِه .

* * *

وقد رأيتُ له شعراً يتجــلّى فى أبْراد الإجــادة ، ويتحلّى من الـكلمات بالصّقيلة المُستجادَة .

فأثبتُ منها ما ترقُص بسماعه معاطفُ وذوائب ، وتُمسى قلوب العشاق من نار غرامه وهى ذوائب .

(*) فى ب ، وسلافة العصر ٣٠٨ : « سبط زين الدين » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ٢/١٩١ .

وهو :

زين الدين بن محمد بن حسن بن زين الدين الشهيد ، العاملى .

شاعر حسن السبك ، عالم تقى .

ذهب إلى مكة مجاورا ، والتقى بها ابن معصوم ، صاحب السلافة .

توفى بمكة ، سنة اثنتين وستين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٩١ ، ١٩٢ ، سلافة العصر ٣٠٨ ــ ٣١٠ .

(١) فى ب : « عازم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمن ذلك قوله ، يشكو طول نَواه ، ويندُب أوقاته بمحلّ ثُواه[1] :

سئمتْ لفَرْط تنقُّلِي البَيْداء ... وشكتْ لعِظْم ترحُّلى الأنْضاء

ما إن أُرى فى الدهرِ غير مُودِّعٍ ... خِلاًّ وتوديعُ الخليل عَناء[2]

أبْلَى النَّوى جلَدِى وأوْقد فى الحشَا ... نِيرانَ وجدٍ مالها إطفاء

فقدتْ لطُول البَيْن عينى ماءها ... فبكاؤُها بدل الدموع دماء

فارقتُ أوطانى وأهلَ مودَّتى ... وحبائباً غِيداً لهنَّ وفاء

من كلِّ مائسةِ القَوامِ إذا بدتْ ... لجمالِ بهْجتها تغارُ ذُكاء[3]

ما أسْفرتْ والليلُ مُرْخٍ سِتْره ... إلا تَهتّكتْ دونها الظلماء

ترْمِي القلوبَ بأسهُمٍ تُصْمِي وما ... لجراحهنَّ سوى الوِصالِ دواء

شمسٌ تَغارُ لها الشموسُ مُضيئةً ... ولها قلوبُ العاشقين سَماء

هيفاء تختلس العقولَ إذا رنَتْ ... فكأنما لَحَظاتُها الصَّهْباء

ومَعاشرٍ ما شَانَ صدقَ وفائِهِمْ ... نقضُ العهودِ ولا الودادَ مِراء

ما كنتُ أحسَبُ قبل يوم فِراقِهِمْ ... أن سوف يَقْضَى بعد ذاك بقاء

فسقَى رُبَى وادى دمشقَ وجادَها ... من هاطِلِ المزْنِ المُلِثِّ حَياء[4]

فيها أُهَيلُ مودَّتى وبتُرْبِها ... لجَليلِ وجدى والسَّقامِ شِفاء

ورعى لياليِنا التى فى ظِلِّها ... سلَفتْ ومُقْلةُ دهْرِنا عَمْياء

أترى الزمان يعود لى بِإيابها ... ويباح لى بعد البعاد لقاء

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٩٢ ، سلافة العصر ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) فى الأصول : « ما إن رأى » ، والمثبت فى الخلاصة ، والسلافة .

(٣) ذكاء : هى الشمس .

(٤) فى سلافة العصر : « فسقى ثرى وادى دمشق » .
والملث : الذى يدوم أياما .

فإلى متى يا دهر تصدعُ بالنَّوى ... أعْشارَ قلبٍ ما لهُنَّ قواءُ [(١)]

وتسُومني فيك المُقامَ بذلَّةٍ ... ولِهمَّتى عمَّا تسُوم إباءُ

فأجابنى لولا التَّغرب ما ارتقى ... رتبَ العـلا من قبلك الآباءُ

فاصبرْ على مُرِّ الخطوب فإنما ... مِن دون كلِّ مسرَّةٍ ضرَّاءُ

وأراكَ تذكُرك الشآمَ فإنما ... دون الشآمِ وأهلِها بيْداءُ

***

وقوله من قصيدة فى المدح ، مستهلها [(٢)] :

شامَ برْقًا لاح بالأبْرقِ وَهْنا ... فصبَا شوقا إلى الجزْعِ وحنَّا

وجرى ذكْرُ أثَيْلاتِ النَّقا ... فشكا من لاعِجِ الشوقِ وأنَّا

دَنِفٌ قد عاقه صَرْفُ الرَّدَى ... وخُطوبُ الدهرِ عمَّا يتمنَّى

شفَّه الشوقُ إلى بانِ اللِّوَى ... فغدا مُنْهمِلَ الدمع مُعنَّى [(٣)]

أسلمتْهُ للرَّدَى أيْدى الأسَى ... عندما أحْسنَ بالأيام ظَنَّا [(٤)]

طالما أمَّلَ إلمامَ الكرَى ... طَمَعا فى زَوْرةِ الطَّيْفِ وأنَّى

كلَّما جَنَّ الدجى حَنَّ إلى ... زمنِ الوصلِ فأبْدَى ما أجَنَّا

وإذا هبَّ نسيمٌ من رُبَى ... حاجِرٍ أهْدَى له سُقْما وحُزْنا

يا عريبًا بالحِمَى لولا كُمُ ... ما صَبا قلبى إلى رَبْعٍ ومَغْنَى

كان لى صَبْرٌ فأوْهاه النَّوى ... بعدَكم يا جِيرةَ الحىِّ وأفْنَى [(٥)]

---

(١) مد « قوى » المقصور للقافية .   (٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٩١ ، ١٩٢ ، وسلافة العصر ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والقصيدة فى مدح والد صاحب السلافة .

(٣) فى الأصول : « منهمل الدهر معنى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٤) فى ب : « أيدى النوى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى ب ، ج : « فأوهاه الأسى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

قَاتَلَ اللهُ النَّوى كَم قَرَّحتْ ... كَبِداً من أَلَمِ الشوق وجَفْنَا

كَدَّرتْ مَورِدَ لَذَّاتي وما ... تَرَكَتْ لي من جميلِ الصبرِ رُكْنَا

قطعت أفلاذ قلبي والحشا ... وكستني من جليل السقم وَهْنَا

فإلى كم أشتكي جَوْرَ الهوى ... وأُقاسي من هوى ليلى ولُبْنَى (١)

قد صَحَا قلبيَ من سُكْرِ الهوى ... بعد ما أزعجه السكرُ وعَنَّى

ونَهانِي عن هوى الغِيدِ النُّهى ... وحَبانِي الشَّيبُ إحساناً وحُسْنَا

وتفرَّغْتُ إلى مَدْحِ فتًى ... سُنَّةَ المعروفِ والأفضالِ سَنَّا (٢)



(١) في سلافة العصر : «جور النوى» ، وفي ب : « من هوى قيس ولبنى» ، والمثبت في : ا،ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) في ب ، ج : « سنة المعروف والإحسان سنا » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة والسلافة ، وقد ذكر ابن معصوم بعد هذا تمام القصيدة ، وهو تسعة عشر بيتا .

٩٧

السيد نور الدين [بن] أبي الحسن الحُسَيْنِيّ *

هو نورٌ للمُجتلِي القابِس ، وابتسامٌ في فم الزمان العابِس .

سما قدرُه بين فضلاء الأنام ، وحلَّ من الأدب بين الذِّرْوة والسَّنام .

وصِيتُه في الحجاز أشهر من يوم بدر ، وأنْور من ليلة القدر .

مع نزاهة عن الدنيا ، ورفعة نِيطتْ بالثُّريّا ، ولهجةٍ ترقْرق فيها ماء الحيا ، فأحْيِي وحيِّي .

وكرمُ طبعه مع حسن صمته ، دليلٌ للرواة على حسن [١] سَمْته .

فإذا حَبا أنَّى توازَن به الغيوثُ السَّواكب ، وإذا احْتَبي هيهات أن تُشبِهه الجبالُ الرواسب .

* * *

وله فوائد تأنَّق فيها ، وأشعارٌ أصبح جوهرُه [٢] سلكُ مُقتنيها .

وقد أثبتُّ له ما يعجِب إحسانُه ، ولا يُجحَد حسنه أو يُنكَر استحسانُه .

فمنه قوله ، من قصيدة طويلة في المدح ، مطلعها [٣] :

(*) نور الدين على بن أبي الحسن الحسيني ، العاملي ، الشامي .
إمام همام ، عالم ، منطيق .
اشتهر أمره بالشام ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، وجاور بها .
لقيه ابن معصوم فيها ، وقد أناف على التسعين .
وتوفي بها ، سنة ثمان وستين وألف .
خلاصة الأثر ٣/١٣٢ ــ ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(١) في ب : « طهارة » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ب : «جوهرة» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣/١٣٣ ، ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، وفيه أنه مدح بها بعض الأمراء .

لكَ الفخرُ بالعَلْيا لكَ السَّعدُ راتبُ ... لكَ العزُّ والإقبالُ والنصرُ غالبُ
سَمَوْتَ على قُبِّ السَّراحِينِ صائلا ... فكانَتْ بكَفَّيْكَ القَنا والقواضبُ (١)
وحُزْتَ رِهانَ السَّبْقِ فى حَلْبةِ العلى ... فأنت لهـا دون البريّةِ صاحبُ (٢)
وجُلْتَ بِحَوْماتِ الوغى جَوْلَ باسلٍ ... فرُدَّت على أعقابِهن الكتائبُ (٣)
فلا الدّارِعاتُ المُقمّاتِ تكنُّها ... ملابِسها لمّا تحِقُّ المضاربُ (٤)
ولا كثرةُ الأعداء تغنى جموعُها ... إذا لمعتْ منكَ النجومُ الثواقبُ
خُضِ الحَتْفَ لا تخشَ الورى واقْهرِ العدى ... فليس سوى الإقدام فى الرأىِ صائبُ
وشمِّر ذيولَ الحزْمِ عن ساقِ عزْمِها ... فما ازدحمتْ إلا عليكَ المراتبُ
إذا صدَقت للناظرين دلائلٌ ... فدَعْ عنكَ ما تُبدِى الظنونُ الكواذبُ
ببِيضِ المَواضى يُدرِكُ المرءُ شأوَهُ ... وبالسُّمْر إن ضاقتْ تهون المصاعبُ
لِأسْلافِكَ الغُرِّ الكرامِ قواعدٌ ... على مثلِها تُبْنَى العلى والمناصبُ
زكَوْتَ وحُزْتَ الفضلَ مجداً ومحتِداً ... فآباؤُكَ الصِّيدُ الكرامُ الأطايبُ
ومن يَزْكُ أصلاً فى المعالى سمتْ به ... ذُرَا المجدِ وانقادتْ إليه الرَّغائبُ (٥)
بَنُو عمِّكم لمّا أضاءتْ مشارقٌ ... بكم أشرقتْ منهم علينا مغاربُ
وفيكم لنا بدرٌ من الغربِ طالعٌ ... فلا غَرْوَ أن كانت لديه العجائبُ
هو الفخرُ مدَّ اللهُ فى الأرضِ ظلّه ... ولا زال تُجْلَى من سَناه الغياهبُ (٦)

---

(١) القب : الفحل ، والرئيس . والسراحين : جمع السرحان ، وهو الذئب أو الأسد ، وقبل هذا البيت فى خلاصة الأثر : « منها » ، وبين هذا البيت والذى قبله زيادة أربعة أبيات فى السلافة .

(٢) فى ب : « دون السرية » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى الأصول : « بحومات الهوى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى السلافة : « فلا الدارعات المعتمات . . . لما تحن المضارب » .

(٥) فى ا : « فانقادت إليه الرغائب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى الأصول : « ولا زال تجلى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

إلى حلبَ الشَّهباء منِّى بِشارةٌ ... تعطِّرها حتى تفوحَ الجوانبُ(١)

إذا مامضى من بعد عشرٍ ثلاثةٌ ... من الدَّوْر فيها تُستتَمُّ المآربُ

لقد حدَّثتْ عنها أولو العلم مثلَما ... جَرى وانقضت تلك السِّنونَ الجوادِبُ(٢)

بدا سعدُها لمَّا عليٌّ بدا بها ... وياطالما قد أنحستْ وهْو غاربُ

وفَوْزُ عليٍّ بالعلى فوزُها به ... فكلٌّ إلى كلٍّ مضافٌ مُناسبُ

كأنِّى بسيفِ الدولة الآن واردًا ... إليها يُلاقى ماجنتْه الثَّعالبُ(٣)

لقد جادَها صَوْبُ الحيا بعد مَحْلِها ... وشرَّفها مَن أحكمتْه التَّجارِبُ

كريمٌ إذا ماأمحلَ الغيْثُ أمطرتْ ... أيَادِيه جُودًا منه تصفُو المشاربُ

أديبٌ أرِيبٌ لوتجسَّم لفظُه ... أصابتْه عِقْدًا للنُّحور الكواعبُ(٤)

فيا أيها المنصورُ بُشْراك رتبة ... بها السعدُ حقا والسرورُ مُواظبُ

مدحْتكُمُ والمدحُ فيه تجارةٌ ... بها تثمِر النُّعمَى وتغْلو المكاسبُ(٥)

إلى بابِ عَلْيا كم شدَدْتُ رواحِلى ... وياطالما شُدَّت إليه الركائبُ

بها الفضلُ منشورٌ بها الجودُ وافرٌ ... بها فتحُ من سُدَّتْ عليه المَذاهبُ

وماذا عسى أن يبلُغ الوصفُ فيكمُ ... إلى غايةٍ هل ينْقص البحرَ شاربُ

فلا زلتمُ فى أكْملِ السعدِ والهنا ... مدَى الدهر مامالتْ وماسَتْ ذوائبُ

* * *

(١) عجز هذا البيت فى خلاصة الأثر :

* تعطَّر حتى تَستطِيبَ الجوانبُ *

(٢) فى الأصول : « أولى العلم » ، والتصويب عن : الخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى ا : « ما جنته الثعالب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) عجز هذا البيت فى السلافة :

* أصابتْه عقدا محور للكواعب *

وهو خطأ .

(٥) فى ا : « بها تغمر النعما وتعلو المكاسب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

وله يتغزل[1]:

يامَن مَضَوْا بفؤادي عندما رحلُوا ... من بعد ما في سُوَيْدا القلبِ قد نزلوا[2]

جارُوا على مُهْجتي ظلما بلا سببٍ ... فليت شعرِي إلى مَن في الهوى عَدَلوا[3]

وأطلقوا عَبْرتي من بعد بُعدهمُ ... والعينُ أجفانها بالسُّهد قد كحَلُوا

يامن تعذّب من تسويفهم كبدي ... ما آنَ يوما لقطْع الحبل أن تصِلوا[4]

جادُوا على غــيْرِنا بالوَصْل مُتّصِلًا ... وفي الزمانِ علينا مرّةً بَخِلُوا

كيف السبيلُ إلى من في هواه مضَى ... عُمْري وما صدّني عن ذكرِه شُغُلُ

وَاحَيْرتي ضاع ماأوليْتُ من زمنٍ ... إذْ خاب في وَصْل مَن أهواهُ الأملُ[5]

في أيّ شَرْعٍ دماء العاشقين غدَتْ ... هَــدْرًا وليس لهاثارٌ إذا قُتِلُوا[6]

يالَلرّجال من البيض الرّشاق أما ... كفاهمُ ما الذي بالناس قد فعلُوا[7]

مَن مُنصِفي من غزالٍ ماله شُغُلٌ ... عنّي ولا عاقني عن حبّه عملُ[8]

نصبتُ أشراكَ صَيْدي في مَراتعِه ... والصّيد فنّي ولي في طُرْقه حِيَلُ[9]

فصاح بي صائحٌ خفِّضْ عليكَ فقد ... صِيدَ الغزالُ الذي تبْغيه يارجلُ[10]

فصِرتُ كالوالِهِ السّاهي وفارقني ... عقلي وضاق عليّ الأرضُ والسُّبُلُ

وقلْت بالله قل لي أين ساربُه ... مَن صادَه علّهم في السَّيْرِ ماعجِلُوا[11]

فقال لي كيف تلْقاهم وقد رحلوا ... مِن وقتهم واستجدّتْ سيْرَها الإبلُ

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣/١٣٣ ، ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) في ا ، وسلافة العصر : « سويد القلب » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة .

(٣) في سلافة العصر : « إلى من في الهوى عذلوا » . (٤) في ا : « يا من تعذبه » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٥) في ب : « ما أوليت من نعم » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٦) في ج : « هدرا وليس » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) في ب : « في الناس قد فعلوا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٨) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٩) في السلافة : « الصيد فني » . (١٠) في السلافه : « صادوا الغزال » .

(١١) في ب : « علهم بالسير » ،والمثبت في : ا ، ج ،والخلاصة ، والسلافة .

٩٨

ولده السيد جمال الدين

هذا السيد كنت أسمع خبَرَه مُجمَلا ، ولا أرى لوصفه على غير الـكمال مَحْمَلا .

حتى عاشرت أخاه السيد عليًا بمكة ففصَّل ذلك الإجمال، (١وعرّفنى أنه أُوتى[٢] الغايةَ

من[٣] وصْف الـكمال والجمال١) .

وأوقفنى على ماله من النظم[٤] الرّصين فى اللفظ الرّصيف ، (٥فتناولت منه ماهو

أشهى من كأس الحُميّا طاف بها الساقى الوَصِيف٥) .

وذكر لى أنه بعـد ما أقام بالحرم المـكّىّ مدة ، وأعـدّ للتفرُّد فى طريق المُنادمة

أحسنَ عُدّة .

دخل حَيْدَر اباد بقصْد ملـكها أبى الحسن ، فنشِط لمُلاقاته نشاطَ الجَفْن للوَسَن .

وأحلّه كنَفا وسهلا ، وأراه جيرة للمدح أهلا[٦] .

فبقىَ فى سَرابيل إنْعامه رافِلا ، وبثّ مدائحه على رؤوس الأشْهاد حافِلا .

(*) السيد جمال الدين بن نور الدين على بن أبى الحسن الحسينى ، الدمشقى .

قرأ بدمشق ، وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف .

ثم هاجر إلى مكة، فجاور بها ، ودخل اليمن أيام الإمام أحمد بن الحسن، وعلت منزلته عنده ، وفارق اليمن ودخل الهنـد ، ووصل إلى حيدر آباد ، وأصبح نديم صاحبها الملك أبى الحسن ، فأقام عنده مكرما ممتعا ، وحين نـكب سلطان الهند الأعظم محيى الدين محمـد ، الشهير بأورنك زيب الملك أبا الحسن ، انقلب الدهر على السيد جمال الدين ، فذهب أنسه ، وتبدلت حاله .

وبقى فى حيدر آباد حتى توفى بها سنه ثمان وتسعين وألف .

خلاصه الأثر ١/٤٩٤ ، ٤٩٥ .

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٢) فى ب : « أرق » ، والمثبت فى : ا
(٣) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا .
(٤) فى ا : « الوصف » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٦) فى ا : « وأهلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ثم طرأتْ على أبى الحسن طارئة دَهْياء دَهْما ، وفجأتْه من تقلُّب أورنك زيب عليه فاجئة عَمْياء صَمّا .

فتقلّب(1) فى العجائب(2) العُقْم ، وتخامر(3) فى النوائب الدُّهْم .

واقتطفت السيّد جمال الدين فى أثر ذلك المَنيَّـــة ، دون أن ينال من مواهبه كلّ الأمنيَّة .

فما وصل إلى قبضة المُلمّات ، حتى حصل فى غُصَّة(4) المَمات .

***

وقد ذكرتُ له ماتعجبك طرائقُه ، ويبعث طَرَبك شائقُه ورائقُه .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة يمدح بها الإمام أحمد بن الحسن ، أحد أئمة اليمن(5) :

خليليَّ عُودا لى فيـــا حبّذا المَطْـــلُ ... إذا كان يُرجَى فى عواقبـــه الوصلُ

خليـــــــلىَّ عودا واسْعِدانى فأنتما ... أحقُّ من الأهْلِين بل أنتما الأهلُ(6)

فقد طال سَيْرى واضْمحلّت جوارحى ... وقد سئمتْ فَرْطَ السُّرَى العِيسُ والإبلُ

فعادا وقالا صحّ مابك من جَـــوًى ... وفى بعض مالاقيْتَه شاهدٌ عَـــدْلُ

ولــكنَّ طولَ السير ليس بضائر ... وغايتُه كنزُ النَّدَى أحمدُ الشّبْلُ(7)

منها(8) :

أبانتْ به الأيامُ كلَّ عجيبـــــــةٍ ... يسير بهـــا الركبُ اليمانىُّ والقَفْلُ(9)

فنيرانُ بأسٍ فى بحارِ مكارمٍ ... ومِن فِعْله وصلٌ وفى قوله فَصلُ(10)

أرانا عيانًا ضِعف أضْعاف سمعنـــا ... وعن جـــوده قد صحّ بالنظر النقلُ

---

(1) فى ب : « فتغلب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (2) فى ب : «عجائب» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(3) فى ا : « وتخامس » ، والمثبت فى : ب ، ج . (4) فى ب : « عضد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(5) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/ ١٩٥ . (6) فى ب ، ج : « بل أنتم الأهل » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (7) فى ا : « ليس بضائرى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(8) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (9) القفل ، بالتحريك : القافلة ، والقفل : الرجوع . (10) فى ب : « ومن قوله فصل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

منها [1] :

أقولُ وقد طفتُ البـــلاد وأهلها ... بلَوْتُهمُ قولاً يصدِّقه الفِعْـــلُ

إذا ماجرى ذكرُ البـــلاد وحسنِها ... فتلك فروعٌ والعِراسُ هي الأصلُ [2]

وإن عُدَّ ذو فضل ومجـــد مُؤثَّلٍ ... فأحمـدُ من دون الأنام له الفضلُ [3]

فلا غَرْوَ أن قصّرتُ طـولَ مدائحي ... ففي البعد قَصْرُ الفرضِ جاء به النَّقْلُ

إليـــك صَفِيَّ الدين مني خَريدةً ... فريدةَ حسنٍ لايُصابُ لهـا مِثْـلُ [4]

وأعظمُ ماترجو القبولَ فإنمـــا ... قبولُ الثَّنا بابٌ يَتِمُّ به السُّؤْلُ

فحقِّقْ رجاها واحْلِ عاطلَ جيـــدها ... بما أنت يانَجْلَ الكرام له أهـــلُ

***

ومن مقطَّعاته قوله معمِّيا باسم رجب :

قلتُ مذ حـــــلَّ منزلى وصفا لِي ... كأسُ وقتي من شَوْبِ واشٍ مُريبِ [5]

حبَّذا منزلٌ به منتهى السُّؤْ ... لِ غدا نازِلاً بغيرِ رقيبِ

***

وقوله باسم هشام :

سَقْيًا لأيامٍ لنا مع جيرةٍ ... كانت إذا عزَّ النَّصيرُ مَلاذَا

مرَّت على عجَلٍ فلا واللهِ ما ... نظَرَ المتيَّمُ بعـــدها استلذاذَا

***

وقوله فى اسم سِنان :

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « ذكر البلاد وأهلها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « من بين الأنام » . (٤) فى ا : « إلى صفى الدين . . . فريدة حسن لا يصار لها مثل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصه الأثر . (٥) سقطت « من » من : ا ، وهى فى : ب ، ج .

لله مجلسُ أُنْسٍ قد قضيتُ به يوماً يعادل عندى مدة العمرِ (١)
تضاعف الحسنُ فيه حين لاح لنا بدرُ الدجى من زوايا روضِهِ النَّضِرِ

***

وقوله فى اسم إبراهيم :

ظبىٌ من التُّرْك قاسٍ رُحْتُ أسأله وصلاً فقال مُجيباً مُذْ بهِ بَخِلا (٢)
صُنْ ماءَ وجهك عن ذلِّ السؤال تجدْ طريقَ عزٍّ ببحرِ المجد متَّصلا



(١) فى ب : « لذة العمر » ، والمثبت فى : أ ، ج .

(٢) فى ج : « ظبى من الفرس » ، والمثبت فى : أ ، ب .

٩٩

أخوه السيد على

قيمته وقدرُه كاسمه علىّ ، وفضله من الأُفق الحجازىّ واضح جَلِىّ .

وهو أديبٌ مَجاله فسيح ، وشاعر بديع الشعر فصيح .

يسحر ببَيانه العقول ، ويبهر الألباب بما يقول .

توخَّى سَمْتَ [1] أخيه ، فشُدَّت به أواخيه .

فلَكم تقلَّد منه دُرَّة فكر ، فصيَّرها زينةَ إطْراء وذِكْر .

حتى حَكاه طبعا ووصْفا ، وجاراه إتْقانا ورَصْفا .

فلئن كان الأول اختار لأشْعاره الشِّعْرَى مِرْطا ، فقد صيَّر الثانى الثُّرَيَّا لآثاره قُرْطا .

***

وقد أثبتُّ له ما [2] يرُوق ويشُوق [2] ، ويُغنِى العاشقَ عن النظر فى وجه المعشوق .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة ، مستهلها :

ماستْ كخُوط الْبان قدًّا [3] وزهَتْ بجِيد زان عِقْدا

حسرتْ عن البدر التَّما مِ دُجى الظَّلام فهِمتُ وَجْدا

---

(١) فى ا : « سمه » ، وفى ج : «صمت» ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « يشوق ويروق » ، تقديم وتأخير ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « كغصن البان » ، والمثبت فى : ب ، ج . والخوط الغصن الناعم .

وجلتْ لنا من ثغْرِها دُرًّا ... وياقوتًا وشُهْدَا (1)

ونضَتْ عن البِلَّوْرِ بُرْ ... دًا أكْسب الأحشاء بَرْدَا

هيفاء كم من مغرمٍ ... في عشقِها قد مات صَدَّا

مشغوفةٌ بالخُلْف لم ... تحفظ لذِي الميثاقِ عهدَا (2)

مَلَّكتها رِقِّي على ... حُكْمِ الغرامِ وصرتُ عبدَا

عَذُبَ العذابُ بحبِّها ... والغيُّ فيه أراه رُشْدَا

كم قد خصَمْتُ مُعنِّفًا ... في حبها وقهرتُ ضِدَّا (3)

وجعلتُ بين مَسامعي ... ومقالةِ العُذَّالِ سَدَّا

حتى غدتْ عينُ الرَّقِيـ ... ـبِ ليأسِه ياصاحِ رَمْدَا

ما الوردُ يُعجبني وقد ... قبَّلْتُ من أسماء خدَّا

كلَّا ولا الرُّمان يُشْـ ... ـجيني وقد ضمَّيْت نَهْدَا

واهًا لزَنْدٍ منه أوْ ... رَتْ في الحشا والقلبِ زَنْدَا

ولِمِعْصَمٍ بَرَد السِّوا ... رُ عليه لما ازْدَدْتُ وَقْدَا

سَلْ لَحْظَها الوَسْنانَ كم ... قد أورثَ الأجفان سُهدَا

أوَ ما كفاه فلِمْ ترى ... بالسُّقْم جسمَ الصَّبِّ أعْدَى

وجبينُها الفتَّان كيْـ ... ـف لمُهجتي الأشجانَ أهْدَى (4)

يانظرةً قادتْ لقلْـ ... ـبِي الوَجدَ ليس لها مَرَدَّا (5)

---

(1) في ا : « عن ثغرها » ، والمثبت في : ب ، ج .

(2) في ا : « لذي المشتاق » ، والمثبت في : ب ، ج .

(3) خصمه : غلبه في الخصومة .

(4) في ا :

وجبينها الفتاكُ كيْـ ... ـف لمهجةِ الأشجان أهْدَى

(5) الصواب : « ليس لها مرد » ، ولكنه نصب للقافية .

أيحلُّ فى شرعِ الهـــوى ... أن تهجُرِين الصبَّ عَمْــدَا

ياغادةً تُستلُّ من ... ألحاظِهــا عَضْبا فِرِنْدَا

عجبا لطرْفك وهْو سكـْ ... رانٌ يقيمُ علىَّ حَدَّا

***

وقوله :

أياقلبُ بُحْ مُستَشْهِراً بهوى دَعْــدِ ... وخُضْ جاسِراً لُجَّ الصبابةِ والوجدِ [1]

ولا تَعْدِلَنْ عن حبهـــا ولوَانَّها ... صَلَتْك بنيرانِ الصــدودِ أو البُعْدِ

عليك بهـــا عذْراءَ مَعْسولةَ اللَّمَى ... مُعقربَةَ الصُّدْغَين ممْشوقةَ القَدّ

مُدَمْلجةَ الساقيْن مهْضومةَ الحَشا ... مُوَرَّدةَ الخدَّيْن فاحمـــــــةَ الجَعْدِ

إذا ماغدتْ تختال فى حُلَلِ البَهــا ... فياخَجْلَةَ السُّمْرِ المُثقَّفـــــــةِ المُلْدِ

عجبتُ لجِسمٍ كالحرير منَعَّمٍ ... يضمُّ فؤاداً قُدَّ من حجَرٍ صَلْدِ [2]

لهـــا اللهُ من رُعْبوبةٍ سفكتْ دمى ... بمُرْهَفِ ماضى اللحْظِ قتلا على عَمْدِ [3]

تعشَّقتُها أختَ المهـــاةِ خريدةً ... ثوَى حبُّها فى القلب مُذ كنتُ فى المهدِ

فَعنِّى إليك اليومَ ياعاذِلى اتَّئِدْ ... أتحسَبُ أن النصحَ فى حبهـــا يُجْدِى

أتعــذلنى فى حبِّ دَعْدٍ جهالةً ... وتزعُم يامغرورُ أنك فى رُشْدِ [4]

أيقبَل فيهـــا اللومَ سمعِى وقد سرتْ ... محبَّتُهـــا فى الجسم بالعكْسِ والطَّرْدِ

وأُقسِم بالمُسْوَدِّ من مِسْك خالِهـــا ... وبالشَّفَقِ المُحمرِّ من صفحةِ الخدِّ [5]

وبالمُقْلة النجْـــلاءِ والمَبْسِم الذى ... تستَّرَ بالياقوت والرَّشَفِ الشُّهْدِ

---

(١) فى ا : « أيا قلب بح مستهترا » ، والمثبت فى ب ، ج . (٢) فى ب : « من حجر الصلد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) الرعبوبة : الناعمة . (٤) فى ا : « فى حب دعد ضلالة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « من شفق الخد » ، والمثبت فى ب ، ج .

لو أنّكَ تشكو ما بقلبي عذرتَني   وما لُمتَ لكن ليس عندك ما عندي

***

وله من قصيدة، أولها:

صبٌّ لأجلِ ظِباءِ حاجرْ   صَبَّ الدموعَ من المحاجرْ

وغـدا أسيراً عندما   ملكتْ جوارحَه الجآذرْ

حكمتْ عليه الغانيا   تُ وأمرُهنَّ على النّواظرْ

أنْ لا يزالَ معذَّباً   وَلْهانَ طولَ الليلِ ساهرْ

من كلِّ هيفاء القَوا   مِ تَميسُ في حُلَلٍ نواضرْ

دقّتْ حشًا فتمنطقتْ   فوق الغلائلِ بالأساورْ

خَوْدٌ بعاملِ قدِّها الـ   ـعسّالِ كم كسرتْ أكاسرْ

عجبًا لمرهَفِ لحظِها الـ   ـوسنانِ يفتك وهْو فاترْ (١)

عَـذْراءُ تعتذرُ البدو   رُ لها إذا رامتْ تُناظرْ

ما دَعْـدُ ما ذاتُ الوشا   حِ وما سعادُ وما تُماضرْ

إنْ أسفرتْ عن منظرٍ   زاهٍ يفوق الشمسَ زاهرْ

ياحبّذا ذاك المحيّـ   ـيا والمكحّلةِ السّواحرْ

والمَبسمِ العذبِ الشّهيِّ   وما حَواه من الجواهرْ

وَاطُولَ شوقي لِلَّتي   قد أرسلتْ تلك الضّفائرْ

ملّكتُها رِقّي وسلـ   ـطانُ الغرامِ عليَّ جائرْ (٢)

وطفقتُ بالنفسِ النّفيـ   ـسةِ في محبّتِها أُتاجرْ

ومنحتُها رُوحي على   أنّي أكون لها مُسامرْ

---

(١) في ب: «لمرهف طرفها»، والمثبت في: ا، ج.

(٢) في ب: «وسلطان الغرام على جر»، والمثبت في: ا، ج.

فأبت وسوّفت اللقا ء وأعرضت كالظبي نافر
واستعجبت مني وقا لت مَهْ بروحك لا تخاطر
هيهات لا تطمع فؤا دك بالوصال فلست قادر
فرجعت أعثر في ذيو لِ مدامعي والقلب حائر
ويئست من قرب الحبيـ ـبِ وصرت فيه كقيس عامر

❊ ❊ ❊

وله مُشجّرا :

الحسنُ لفظٌ وأنت معناه ومنتهى لطفٍ منك مبتداه
بفاترِ اللحظِ منك رِقّ وصِلْ صبًّا تصبّ الدموعَ عيناه(١)
رِفقًا فكثرُ الصدودِ أنحلَ جسمي وفرطُ البعادِ أضناه
أنت الذي حزتَ كلَّ منقبة في الحسنِ أهلُ الهوى به تاهوا
هذا محيّاك لاح بدرَ دجى والحقُّ ما الشمسُ غيرَ مرآه
يحقُّ للقلبِ أن يهيم به وجداً والمستهامِ يهواه
مَن ذا يلومُ المحبَّ في رشأ تفترّ عن لؤلؤ ثناياه
خِشفٌ بلينِ الكلامِ يسحرني كأنّ هاروتَ ساكنٌ فاه
أفديه ظبياً أغنَّ قد جمعتْ كلُّ المسرّات في محيّاه
نواه والهجرُ أوهنا جلَدي إي والذي لا إله إلا هو

(١) سقطت : « رق » من : ب ، وهو في : ا ، ج .

١٠٠

نجيب الدين بن محمد بن مَكّى *

نجيب دعا الأمانى فكان الكمالُ له أولَ مجيب ، وتفرّد على كثرة النُّظَراء وليس ذلك بعجيب من نجيب .

فإن[١] الليالى مع أمها وَلُود بمثله لم تُنجب ، والدهر على أنه أبو العَجَب إلا أنه بأعْجب منه لم يُعجِب .

كان مقيما بقرية[٢] جُبَع[٣] من جبل عامِلة ، يركُض جواد طبعه فى ميدان الفضل ويهزُّ عامِلَه[٤] .

حتى طوى على طَىّ شُقّة الأرض ، واستأذن من طرْف[٥] الخضر فى ذَرْع مساحتها من الطول والعرض[٦] .

فخرج يركض النّجائب ، ويتبع فى سيره العجائب .

ويحِنّ ويئِنّ ، وما له قلبٌ مطمئنّ .

وهو سالم المُهجة مع مَسّ الضُّر ، معاقَى الحشاشة مع الفقر المُرّ .

فلم يُفِدْه البعد عن أحبابه ، إلا تبييض مُسوّدَ شبابه .

فاعْتاض عن السواد بالبياض ، وبئس والله هذا الاعْتياض .

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى السلافة ٣١٠ ـ ٣١٥ ، وذكر أن اسمه على ، وأنه دخل الحجاز واليمن والهند والعجم والعراق ، ونظم ذلك فى « رحلة » ، حذا فيها حذو « الصادح والباغم » .

(١) فى الأصول : « قام » ولعل الصواب ما أثبته . (٢) فى ا : « بقريته » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم . (٤) عامل الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « إلى العرض » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ثم رجع إلى وطنه شاكيا وَعْثاء السفر ، ومنشداً عند خيْبة المسعَى وتخلُّف الظفَر :

عجيبٌ أبنـــاء الزمان مَن به نَضارةُ الدهر وريْعانُ المُنَى

طوَّف آفاقَ البــــلاد ليرى له نظيراً فى الذّكا فما رأى[1]

فعاد بعــد طول عمر نَأْيه بصفْقة المغْبون يُبدى المشتكى

وأصبحتْ عينُ البلاد بعده لبُعده مملوءةً من القَذَى[2]

ونظم رحلة تتلاشَى عندها الرِّحَل ، وأودعها من أبـكار أشعاره ما ليس بالدّخيل ولا المُنتحَل .

***

وهو فى النظم مُقدَّم غير مؤخَّر ، وكأنما القلمُ لإطاعته مُسخَّر .

وقد أوردت له ما تبتهج به الأزمان ، وتتنادم عليه فى مجالس أنسها الندمان .

فمنه قوله[3] :

عِزَّة النفس وانقطاع النصيب أوجبا ذِلَّتى وهجر الحبيبِ

فتعوَّضت عن مَرامى وقَصْدى بِبِعادى عنه وقربِ الرَّقيبِ

وانقضى العمر فى الأمانى وما كنْـ ـتُ إلى الله راجعاً من قريبِ[4]

هو دائى إذا يشاَ ودوائى فهْو ما زال عِلّتى وطبيبى

***

وقوله يمدح السيد مُبارك بن مُطَّلب حاكم الْحُوَيْزة[5] :

يا سائلى عن أرَبى فى سفرى ومَطْلبى

---

(١) فى ب : « له نظير » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : «مملوءة بالقذى» ، والمثبت فى : ب، ج .

(٣) الأبيات فى سلافة العصر ٣١٢ . (٤) فى ب : «وانقضى العمر بالأمانى» ، والمثبت فى : ا، ج، والسلافة . (٥) الحويزة : موضع بين واسط والبصرة وخوزستان ، فى وسط البطائح ، حازه دبيس ابن عفيف الأسدى، فى أيام الطائع لله ، ونزل فيه بحلته ، وبنى فيه أبنية . معجم البلدان ٢/ ٣٧١، ٣٧٢ . والقصيدة فى سلافة العصر ٣١٢ .

لى مطابٌ مبارِكٌ　　مُبارَكُ بنُ مطلبِ

نجلُ علىٍّ المرتضَى　　سِبْطُ النبىِّ العربى

الطَّيِّب بن الطيبِ بْـ　　ـنِ الطيبِ بن الطيبِ

أمانُ كلِّ خائفٍ　　غِياثُ كلِّ مُجدِبِ

مُنيلُ كلِّ نعمـــةٍ　　من فضـــةٍ وذهبِ

فى فضلِهِ وجودِهِ　　تسمعُ كلَّ العجَبِ[1]

الأسدُ الكاسر لا　　يَخْشاه فَرْخُ الثعلبِ

كما السِّخالُ جملةً　　تَرعى وجُرْدُ الأذْؤُبِ[2]

والفُرْسُ والتُّرْكُ له　　دانتْ وكلُّ العربِ

إذا حللْتُ أرضَـــه　　نسِيتُ أمى وأبى

وأسرتى وولدى　　بنتًا يكون أو صبى

ومن يكن حَيْدرةٌ　　أباه والجدُّ النبى[3]

فكلَّمـــا تصِفُه　　مِن دون أدنى الرُّتَبِ

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها :

ألا هل لمُضْنَى هجرِكم من يعودُه　　فيخضرَّ بعد الهجر بالعَوْد عُودُه

وهلاَّ وعدتُم إذ بَخِلتم بوصْلِه　　فقد تجبُر القلبَ الكسيرَ وعُودُه

وتُحْيِي نفوسٌ صَوَّح الدهرُ نَبْتَها　　وتُجنَى رياحينُ اللِّقا ووُرُودُه[4]

---

(١) فى سلافة العصر :

فى عدله وجودِهِ　　تسمعُ كلَّ عجبِ

(٢) السخلة : ولد الشاة . والبيت مضطرب فى السلافة .　(٣) يعنى بحيدرة عليا كرم الله وجهه .

(٤) فى ب : « وتحيي نفوس » وفى ج : « وتحى نفوس » ، والمثبت فى : أ .

فقد هجرتْه لذَّةُ النوم بعـــدكم ... ومَشْرَب صافِى الودّ عزّ وُرودُه

دنَوْتم فأحيَيْتم قلوباً بوصلكم ... وقلبى بحرّ النأْي مات وجودُه

بَخِلتم على مُضناكمُ وهْو عبدكم ... وما حاتمٌ إن عُدّ يوماً وجُودُه

* * *

وكتب إلى الحريرىّ الحَرْفُوشىّ (١) :

سعدتَ بلَثْم كفّ يا كتابى ... لمولًى عالم عَــــلَمٍ مُمجَّدْ

فتًى فى الفضل ليس له نظيرٌ ... عويصُ المشكلات له تمهّدْ

بنى رَبْعَ العلى بعد انْهدام ... وجــدّد ما وَهَى منه وشيّدْ

له قــلمٌ إذا ما جال يوماً ... فما الخطّىُّ والعضْب المهنّدْ

فخُصّ من السلام مدَى الليالى ... بتسْليم جزيل ليس ينْفَدْ

اغْتناما للفرصة ، وحذَرًا من فَوْت مالَيس فى تركه مَنْدوحة ولا رُخْصة .

وجّهت هذه العجالة ، معتمداً على الاختصار مضربا عن الإطالة .

إلى من أشرقتْ شموسُ فضائله فأزاحت من الجهل ظُلَمَ الغياهِب ، وأنارت بدورُ فواضله فأخجلت نَيِّرات الكواكب .

واستولَى على مدائن الفضل وحصونه،فظفر من ذخائره وكنوزه بمَصُونه ومخزونه.

بوسيلة إرْسال تسليمات يُحيِى ذِكرُها ميّتَ النفوس ، وتتزيّن بتسْطيرها (٢) متلحّظات (٣) الطُّروس .

* * *

---

(١) محمد بن على الحريرى الحرفوشى ، سبقت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ .

(٢) فى ب : « بتسطيره » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « ملحظات » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن بدائعه قوله [1] :

ألا هل يُرى من علّة الصدّ نافعُ ... سوى الوصلِ أو من غُلّة الوجد ناقعُ
وهل بعد شتّ الشّمل للجمع أوبةٌ ... فتجمعنا من بعــــدُ تلك المجامعُ
سقى الله أياما مضتْ فى غصونهــــا ... هصرْنا غصونا ما أقلّتـــه يانعُ
ولى طمعٌ فى القربِ والله قادرٌ ... وماذا عسى تُدْنى البعيدَ المطامعُ
وفى كل حينٍ شرقُ الجِــدِّ هابطٌ ... وغاربُ سوء الحظِّ فى الناس طالعُ [2]
ولى من أذى من أرتجيه عظائمٌ ... مدى الدهر عمّا أصْطفيـــه قواطعُ
مضى العمرُ لا الدنيا حَظيتُ بخيرها ... ولا أنا عمّا يُسخِط الله راجعُ [3]
ولله لا للناسِ شكْواىَ كلّهـــا ... من الدهرِ والأمرِ الذى هو واقعُ
تولّى خصام الحسنِ قهْراً بنفسه ... فليس له منــــه حُماةٌ تُدافعُ [4]
ولا سيّما من ظنّـه عن تخيّبٍ نجيبًا ... فبالبلوى إليــــه يُسارعُ
فغايةُ من يرجوه أوْحَــــد دهره ... به تركُه فى حالهِ وهــــو تابعُ
إذا كان ريحُ المسكِ يُنكر ضائعًا ... بأرضٍ فذاك المسكُ لا شك ضائعُ [5]
وقد يُترك المجروحُ فى تركِ شمّه ... ففى البيْن داءٌ ذلك الداء مانعُ [6]
ولله صَبٌّ فى الزمانِ تقــدّمتْ ... مقالتُـــه فى مثـــل ما أنا واقعُ
ألا فاخْشَ مايُرجَى وجَــدُّك هابطٌ ... ولا تخْشَ مايُخشَى وجــدُّك رافعُ [7]

---

(١) البيتان الثانى عشر والثالث عشر ، فى سلافة العصر ٣١٥ ، قال ابن معصوم : « وهو مما ليس فى رحلته » . (٢) سقطت « سوء » من ا ، ومن فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « عما صطنى الله راجع » ، والتصويب من : ب ، ج .

(٤) فى ج : « فليس لى منه حماة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) رواية السلافة لعجز البيت :

* لدى بلدٍ فالمسكُ لا شكَّ ضائعُ *

(٦) فى السلافة : « وقد يعذر المجروح » ، وفى ا : « فى ترك شمه » ، وفى ب : « فى ترك شمة » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة . (٧) فى ب ، ج : « ولا تخش ما يخشى وجدك واقع » ، والمثبت فى : ا .

فلا نفعٌ إلّا مع النّحْسِ ضائرٌ ... ولا ضائرٌ إلّا مع السعدِ نافعُ

* * *

وقوله (1) :

يا من يُحاول ما أمّلتَ بالحِيَلِ ... دَعْ ما تُحاولُ فهذا أوّلُ الخَلَلِ

واركبْ متونَ خيولِ السّبْقِ واسْرِ بها ... في جُنحِ ليلِ الهُدى من غيرِ ما كَسَلِ (2)

وجانبِ الجانبَ الأدْنَى فما ظفِرتْ ... بالقُربِ منه ذوو الآمالِ بالأمَلِ (3)

واقطعْ رجاءكَ من الدنيا فما صدَقَتْ ... في وعدِها أحداً من سالفِ الأزَلِ

وصِلْ حِبالَكَ بالحبلِ المَتينِ فما ... يُعطي ويمنعُ إلّا علّةُ العِلَلِ

واسلكْ سبيلَ رِضاهُ غيرَ مُتّئدٍ ... فإنّه لَعَمري أوضحُ السُّبُلِ (4)

وازْدَدْ على الهجرِ حُبًّا لا تَمَلُّ فما ... في مِلّةِ الحبِّ أذى من أذى المَلَلِ

* * *

وقوله على طريقة المِهيار (5) :

يميناً بهم صادقاً لن يَمينا ... لقد خانوا وصاروا يَمينا (6)

مقيماً على عهدِهم لا أحولُ ... ولو أنهم أصبحوا ظاعِنينا

مَشُوقاً إلى سَمعِ أوصافِهم ... فوصفُهم يُطرِبُ السامعينا

---

(1) القصيدة في سلافة العصر ٣١٢ .   (2) في ا : «خيول العزم» ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة.

(3) في ب ، ج : «بالضرب منه» ، والمثبت في : ا ، والسلافة.

(4) في ب : «واسأل سبيل رضاه» ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة.

(5) وذلك قوله في ديوانه ٤/٧٧ :

ترفّع من وَجْرَةَ الظاعنونا ... فكان لدى سعدَى أن يكونا

يَمينًا لَعَزَّ مَرامُ السُّلوِّ ... أن تتركوا حبَّ خِلتُ يمينا

(6) في ا : «وصاروا يمينا» ، والمثبت في ب ، ج .

و «يمينا» الأولى، من القسم ، والثانية من المَين ، وهو الكذب ، والثالثة من اليمين ضد الشمال.

عيـــونٌ تفيض لتذْكارهم ... فتحْـكِي إذا ماذكرتِ العيونَا[1]

وقلبي يحِنُّ لأخبارهمْ ... فتلْقَى له حين يُتْلَى حنينَا

وعيشِيَ من بعــدِهم لا يطيبُ ... على أيِّ حالٍ عسى أن يكونَا

ونَوْحِي ولو عِشْتُ ماعاش نُوحٌ ... يزيد على جمــلةِ النّائحينَا

وأعظمُ من بُعْدِهم حسرةً ... شَماتةُ من أصبحوا شامتينَا

***

وقوله[2] :

عزيزٌ علينا أن تهُون نفوسُنا ... لذلك بالصبرِ الجميل أهَنّاهَا[3]

وكنّا نرى أنْ لو أتانا مُفاجِياً ... مُعَزٍّ لها فيها بذلك هنّاهَا[4]

لنَرْعى نفوساً من نفوسٍ زكيّةٍ ... بأرْواحنا لو تُفْتـدَى لفديْناهَا

***

وقوله[5] :

لى نفسٌ أشكو إلى الله منهـا ... هي أصلٌ لـكلِّ ما أنا فيهِ[6]

لجميلُ الخِلالِ لا ترْتضيني ... وقبيحُ الخلالِ لا أرْتضيهِ[7]

فالبَرايا لذاك أو ذا جميعــا ... لى خُصوم من عاقلٍ أو سفيهِ[8]

***

---

(١) في ا : « إذا ما ذكرت العيونا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) البيت الأول والثاني في سلافة العصر ٣١٢ . (٣) في السلافة : « يعز علينا . . بالصبر الجميل أهنانا » .

(٤) في ب : « لو أتانا مناجيا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وفيها : « بذلك هنانا » .

(٥) الأبيات في سلافة العصر ٣١٣ . (٦) في ا : «من الله منها» ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة.

(٧) في ب : « لجميل الخيال » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) في ب : « فالبرايا من ذاك . . . من عاقل وسفيه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي السلافة : « فالبرايا لذا وذاك جميعا . . . من عاقل وسفيه » .

ومن مقطّعاته قوله [١] :

عِـلّةُ شَيْبي قبــل إبّانِه ... هجرُ حبيبي في المقال الفَصيح [٢]

ويجعل العـــلّةَ في هجْرِه ... شَيْبي وفي ذلك دَوْرٌ صحيح

* * *

هذا الدّوْر دار على الألسنة قديما وحديثا ، ومن مشهوره [٣] قول بعضهم [٤] :

مسألةُ الدّوْرِ جَـــرَتْ ... بيني وبين من أُحِبّ

لولا مَشِيبي ماجفـــا ... لولا جَفــــاه لم أشِبْ

ومثله لأبي العباس خطيب جامع دمشق :

مسائلُ دَوْرٍ شيبُ رأسي وهجرُها ... وكلٌّ على كلٍّ له سبَب يُذْرِي

فأُقسِم لولا الهجر ماشاب مَفْرِقي ... وتُقسِم لولا الشّيبُ ما كرِهتْ قُرْبِي

* * *

وله [٥] :

واعجبًا منّا ومن حُبّنا ... المالَ ماذلك إلا بَوَارْ [٦]

فآخِر الدرهمِ همٌّ يُرَى ... وآخرُ الدينــا ولا شكّ نارْ

* * *

البيت الثاني من الأول [٧] :

النارُ آخرُ دينارٍ نطقْتَ به ... والهمُّ آخر هذا الدرهم الجارِي

والمرء مادام مشغوفا بحبِّهما ... معذَّبُ القلب بين الهمّ والنارِ

* * *

(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٠ . (٢) في السلافة : « في المقال الصحيح » .

(٣) في ب : « مشهور » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) البيتان في سلافة العصر ٣١١ .

(٥) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٦) في ب ، ج : « ما ذاك إلا بوار » ، والمثبت في : ا ، والسلافة . (٧) في ا : « الآخر » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة ، والبيتان فيها ٣١٤ .

وله [1] :

المرءُ لا يسلَمُ من حاسدٍ … أو شامتٍ في العسر واليُسرِ [2]
فهو على الحالين لابدَّ أن … يَلحقَه نوعٌ من الشرِّ

* * *

وله :

وإذا كانت الحياةُ إلى المو … تِ فقَصْرُ الآمالِ أولى وأحْرَى
فالخطايا تزْداد والعيشُ ضَنْكٌ … فهو أولَى لا شكَّ أولى وأحْرَى

* * *

وله [3] :

كلُّ امرئٍ دون أمرَيْـ … ـنِ من الأنامِ مُقصِّرْ [4]
إمّا امـــرؤٌ متوكِّلٌ … أو آخرٌ متهوِّرْ [5]

* * *

وله :

ماصفا الدهـرُ لامرئٍ … قَطُّ يومًا من البشرْ
فإذا مَشْربٌ صفَا … عاثَه الدهرُ في أثَـرْ [6]

* * *

وله [7] :

مالي على هَجْرِكَ من طاقةٍ … ولا إلى وَصْلِكَ من مَقْدِرَهْ [8]

---

(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٢) في السلافة : « أو شامت في اليسر والعسر » .
(٣) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٤) في ج : « كل امرء دون أمرين مقصر » ، والمثبت في ا ، ب ، وسلافة العصر . (٥) في ب : « أو آخر متقهر » ، وفي ج : « أو آخر مقهور » . والمثبت في : ا ، والسلافة . (٦) في ب : « فإذا شربه صفا » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٧) البيتان في سلافة العصر ٣١٥ . (٨) في سلافة العصر : « ولا إلى وصلك لي مقدرة » .

لكنني ما بين هــذا وذا   فرحتُ في دُنياي والآخرهْ[1]

* * *

وله في السيد خلف بن مُطَّلب ، وأجاد في التورية[2] :

إذا جرى ذِكْرُ ذي فضلٍ ومَكرُمةٍ   ممّن مضى قالتْ خَلُّوا ذِكْرَ من سلفَا

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ إنّ لنا   عن كلِّ ذي كَرَمٍ ممــن مضَى خلفَــا

* * *

وله في مِداد أحمر على ورق أصفر[3] :

فمدمعي مثلُ مِدادي والورقْ   لونُه لوني ولـكنّي أرقّ[4]

ضاقَ النومُ جفوني فإذا   عُوِّضتُ عنه بتزويجِ الأرقْ[5]

* * *

ولبعضهم ، وقد أعطى بعضَ الشعراء جائزةً في كاغدٍ أحمر :

جائزتي في كاغدٍ أحمرَ   واردٍ عليكْ

أشربَ بعضَ حيائي من   قبلِ أن يُهدَى إليكْ

ويستظرف قول الحسن البوريني[6] ، وقد كتب يستدعي بعض خِلّانه

---

(١) في ا : « فرحت في الدنيا وفي الآخرة » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) البيتان في سلافة العصر : ٣١ .

(٣) البيتان في سلافة العصر ٣١٥ ، في أبيات . (٤) في سلافة العصر : « فمدمعي ... لونه لوني » ، وفي ا : « ولكني أرق » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٥) في السلافة : « عوضت عنه بتزويج الأرق » . (٦) بدر الدين حسن بن محمد بن محمد البوريني ، الشافعي .

ولد في قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .

واشتغل بالتدريس والوعظ ، بمدارس الشام ومساجدها .

كان ضخم الخلقة ، ذكي الطبع ، فصيح العبارة ، طلق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب المذاكرة ، وقد جمع لنفسه من شعره « ديوانا » .

توفي بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ٤١ ا ، خلاصة الأثر ٢/٥١ ، ديوان الإسلام ، لوحة ٢١ ب ، ريحانة الألبا ١/٢٠٤ .

بفرصاد [١] لكونه لم يجد حبراً [٢] :

يا طائرَ البــان خُــذ منّي مكاتبةً ضَعْها لدى منزِلِ الظَّبيِ الذى سَنَحَ [٣]

هى الشكايةُ من داءِ الغـــرامِ وقد كتبتُها بدمِ القلبِ الذى جرحَ [٤]

* * *

وللمجيب الدين [٥] :

جُبْتُ البلاد فما وجدْ تُ بهــا صديقاً صادقا

ياقلبُ فاحــذَرْ لا تكن منها بخِلٍّ واثقا [٦]

* * *

وله [٧] :

هو الدهرُ ربُّ الجاهِ فيه أخو الفضلِ ولو أنه عارٍ من الدينِ والعقلِ

وربُّ الحِجى والفضلِ والعلمِ والتقى إذا ما خَلا منه فذاكَ أبو جهــلِ

* * *

وقال [٨] فى رحلته ، عند ذكر أمير المؤمنين ، كرّم الله وجهه [٩] :

وقلتُ فيه بيت شعرٍ وَصْفــا يحصُل منــه أربعون ألفَ [١٠]

تلْحقها ثلاثةٌ مِئِينا كاملةً مضافةً عشرينا

أبيــاتُ شِعْــرٍ عدُّها كما ذُكِرْ والبيتُ هــذا فتــأمَّل واختبِرْ

---

(١) الفرصاد : التوت ، وصبغ أحمر .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٥٩ ، وذكر المحبى أنه كان سار إلى بعض بساتين دمشق ، وأراد استدعاء بعض أحبابه ، فلم يجد قلما ولا دواة ، وكان أيام التوت الأسود ، فكتب بمائه بديهـا ، هذين البيتين . (٣) فى ب : « يا طائر الباز » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من داء الفراق » . (٥) البيتان فى سلافة العصر ٣١٥ .

(٦) فى ب : « منها بجد واثقا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلافة العصر .

(٧) البيتان فى سلافة العصر ٣١٢ .

(٨) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٩) ذكر ابن معصوم أيضا فى السلافة ٣١٢ ، ٣١٣ ، هذه الأبيات ، والشرح بعدها نقلا عن رحلته . (١٠) فى السلافة : « بيت شعر ماصفا » .

عليٌّ رضيٌّ بهيٌّ وفيٌّ صفيٌّ وفيٌّ سخيٌّ عليٌّ [1]

يشتمل هذا البيت على أربعين ألفاً [2] وثلاثمائة وعشرين بيتاً .

وبيان ذلك أن البيت ثمانية أجزاء يمكن أن ينطبق [3] كلُّ جزء من أجزائه مع لآخر ، فتنتقل كل كلمة ثمانية انتقالات .

[4] فالجزآن الأولان « على رضى » يتصوَّر فيهما صورتان : التقديم ، والتأخير .

ثم خذ الجزء الثالث ، فتحدث منه مع الأول ستُّ صُوَر : لأنه ثلاثة أحوال : تقدُّمه ، وتوسُّطه ، وتأخُّره ، وهما حالان ، فاضرب أحواله في الحالين تكن ستة .

ثم خُذ الجزء الرابع ، وله أربعة أحوال ، فاضربها في الستة التي لما قبله ، تكنْ أربعة وعشرين .

ثم خُذ الخامسَ ، تجدْ له خمسةَ أحوال ، فاضربها في الصُّوَر المتقدمة ، وهي أربعة وعشرون ، تكن مائة وعشرين .

ثم خذ السادسَ تجدْ له ستة أحوال ، فاضربها في مائة وعشرين تكن سبعمائة وعشرين .

ثم خذ السابعَ ، تجد له سبعةَ أحوال ، فاضربْها في سبعمائة وعشرين ، تكنْ خمسة آلاف وأربعين .

ثم خذ الثامن ، تجدْ له ثمانيـة أحوال ، فاضربْها في خمسة آلاف وأربعين ، تكنْ أربعين ألفاً وثلاثمائة وعشرين بيتاً .

* * *

---

(١) في أ : « رضى بهى وفى ... سخى تقى » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٢) في السلافة بعد هذا زيادة : « بيت » . (٣) في أ بعد هذا زيادة : « على » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة (٤) في السلافة : « فجزءه الأول » .

ومن فوائده فيها ، عند ذكر الغِيبة ، قوله [١] :

وجوَّزُوا الغِيبةَ فى مواضعِ ... لكنها قليلةُ المواقعِ

كردْعِ شخصٍ يفعلُ القبائحَا ... أو كان للشَّاهدِ أيضًا جارحا

أو وصْفِه بما به يمتازُ ... بفعلِه كى يحصُلَ احْترازُ

ففى الحديث الفاسقَ اذْكروهُ ... يعرفُه الناسُ فيحذروهُ [٢]

وكلُّ ذا مع عدمِ التقيَّةِ ... والخوفِ من ذى الشِّيَمِ الرَّدِيَّةِ

* * *

ومما يُستحسَن له قوله [٣] :

مدَّت حبائلَها عيونُ العِينِ ... فاحفظْ فؤادَك يانجيبَ الدينِ

فى هجْرِها الدنيا تضيعُ ووصْلُها ... فيه إذا وصَلتْ ضَياعُ الدينِ

* * *

وهو من قول الآخر [٤] :

يقَلبُ دَعْ عنكَ الهوى واسترحْ ... فلستَ فيه حامداً أمْرَا [٥]

أضعتَ دنياكَ بهجرٍ وإن ... نلتَ وِصالاً ضاعتِ الأخرى

ومثله للبابِى [٦] :

طريقَ القضا لا بل طريقَ جهنَّمٍ ... ركبتُ فأضحى حلوُ عيشى به مُرَّا

أمانٍ بها دنيايَ ضاعتْ فلم أنَلْ ... على أننى إن نلتُها ضاعتِ الأخرى [٧]

* * *

(١) الأبيات فى سلافة العصر ٣١٣ . (٢) فى السلافة : « الفاجر اذكروه » . (٣) البيتان فى سلافة العصر ٣١٤ . (٤) البيتان أيضا فى السلافة ٣١٤ . (٥) سقطت : « ياقلب » من : ب ، ومن فى : ا ، ج ، والسلافة ، وفى ا : « دع عنك الهوى قسرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٦) مصطفى بن عثمان البابى ، تأتى ترجمته فى الباب الثانى ، برقم ١١٠ .

(٧) فى ب : « أمانا بها دنياى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله[١] :

لكَ اللهُ من دهرٍ توالتْ صروفُهُ   علينا فأوْلى ضدَّ ما نتمنّاهُ

فقرَّبنا ممّن نودُّ بِعادَه   وأبْعدنا عمّن نُحبُّ ونَهْواهُ[٢]

* * *

وهو من قوْل المتنبِّي[٣] :

أما تغلَطُ الأيامُ فيَّ بأن أرى   بغيضاً تُنائِي أو حبيباً تُقرِّبُ[٤]



(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٣ ، ٣١٤ . (٢) في ا : « وأبعدنا ممن » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٣) ديوان أبي الطيب ٤٦٤ . (٤) في الأصول : « أوحبيبا يقرب » .

١٠١

محمد بن حسن بن على بن محمد ، المعروف بالحُرّ (*)

أغرّ ، له الكَلِم الغُرّ ، حُرّ ، له النظم الحُرّ .

إنّي أرى ألفاظَه الغُرّا ... عطّلتِ الياقوتَ والدُّرّا

له الكلامُ الحُرُّ وهْو الذى ... ألفاظه تستعبدُ الحُرّا

وهو أحد هداة الجبال ، وأجلّ من انعجن بالأدب وانجبل .

***

وله الشعر الذى جمّل به الأدبَ وزانه ، وزيّن مقاطيع (1) الشعر وأوزانه .

أطلعه أرقّ من خَصر أهيف يتلفت ، وأشهى من مُقبّل شادنٍ (2) عليه القلوب تتفتّت .

وقد أثبتُّ له منه مايُطرب بنَشيده المطربة المُطربة ، ويُرقص الأعطاف بأغاريده المُعربة المُغربة .

فمن ذلك قوله (3) :

لاح وجهٌ من ربْع ليلى جميلٌ ... ورقابُ الرِّكاب والرَّكْبُ مِيلُ

(*) محمد بن حسن بن على بن محمد ، المعروف بالحر ، العاملى ، الشامى .

أديب مشهور ، وشاعر له شعر مستعذب .

قدم مكة فى سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف ، وفى السنة التالية لها اتهم جماعة من العجم ، أو الرافضة بتلويث البيت الشريف ، فقتلهم الأتراك ، وخاف على نفسه ، فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان ، أحد أشراف مكة الحسنيين ، وسأله أن يخرجه من مكة إلى نواحى اليمن ، فأخرجه مع أحد رجاله إليها ، وقيل إنه رجع بعد ذلك إلى العجم .

توفى الحر سنة تسع وسبعين وألف ، باليمن أو العجم .

خلاصه الأثر ٣ / ٤٣٢ – ٤٣٥ ، سلافة العصر ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر مقدمة كتابه الفصول المهمة .

(1) فى ا : « مقاتله » ، والمثبت فى : ب ، ج . (2) فى ب : « شاد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(3) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣ / ٤٣٤ ، وذكر المحبى أن فيها لزوم مالا يلزم .

بعد ما كاد أن يُلِمَّ بنا اليأْ ... سُ فقدِ الرجاءِ والتأميلِ(1)

فظننّا الحبيبَ لاح وقلنـــا ... ذلك ما تشتهي القلوبُ فميلوا(2)

ذلك السُّؤلُ والهوى والأماني ... والبرءُ والقصـــدُ والمأمولُ

حدّثونا فذا حديثٌ صحيحٌ ... حسَنٌ مُجمَلٌ روَوه جميلُ(3)

كلّ دَمعٍ فرضٌ على كلّ عينٍ ... وعلى العيسِ وخْدُها والذَّميلُ(4)

ثم مِلْنا إلى ربيعٍ رَبُوعٍ ... نحوه أنفسُ الجِدِّ تميـلُ(5)

وكأنّ السُّهادَ للقوم كُحلٌ ... وكأنّ الطريقَ نحوه ميلُ(6)

بيَ نقصٌ من الكمال ومنهم ... للمحبّ التتميمُ والتكميلُ

كلّ حيٍّ في ذلك الحيِّ نَشْوا ... نُ هوًى وهو عاملٌ معمولُ

عمّهم يا ابنَ عمّ مِن ألَمِ الحبّ ... همومٌ من هوى ونُحولُ(7)

كلّ شخصٍ منهم بدا قلتُ هذا ... مُستهامٌ في حبٍّ بل يستميلُ(8)

كلّ مَن مات في الهوى أكسبوه ... شهرةً ليس يعتريها خمولُ

مَن رآهم في النوم أو يقظةٍ ها ... مَ وأضحى ودمعُـــه مَهمولُ

جنّةٌ قد تجمّعت في هَواها ... شهواتُ النفوس والمأمولُ(9)

كم بتلك المَحامِلِ استأسروا قلـْ ... ـبًا غدا وهو في حِبالٍ كَبيلُ(10)

حمّـــلوه وحمّـــلوه البلايا ... في الهوى فهو حاملٌ محمولُ(11)

---

(1) في الأصول: «بعد ما كان»، والمثبت في خلاصة الأثر. (2) في خلاصة الأثر: «وظننا الحبيب».
(3) في الخلاصة: «فذا حديث عجيب». (4) الوخد: الإسراع، والذميل: السير اللين.
(5) في ب: «ثم مات»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، وفي ب، ج: «أنفس الخـل»، والمثبت في: ا، والخلاصة. وربع الربيع ربوعا: دخل. (6) في خلاصة الأثر: «وكأن الطريق للقوم ميل». (7) في خلاصة الأثر: «يا ابن عمي». (8) في خلاصة الأثر: «بل مستميل». (9) في خلاصة الأثر: «قد تجمعت في جنحها». (10) في ا: «استأسروا قلبا»، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة، وفي ب: «وهو في الحبال حبيل»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة.
(11) في ب: «وهو حامل محمول»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة.

بَعُدوا بالحُمُولِ عنّا فلم تبـْ ـقَ احتمالاً للقُربِ تلكَ الحُمولُ

* * *

وقوله ، وهو من أجود شعره :

رأيتُ غريبَ الحسن قد حُفَّ بالقَنا فلاحتْ أماراتُ السعادةِ والشُّومِ

وكلَّمني غِيدُ الحِمى وحُماتُه بقِسمين مظنونٍ لدينا ومعلومِ [1]

فيا قومِ رِفْقاً بالفتى وهو ضيفكُم وما ضيفُ أمثالِ الكرامِ بمحرومِ [2]

ويا ابنةَ عمِّ الحورِ وابنةَ عمّةِ الْـ ـبدورِ أختَ النورِ بنتَ أخي الرِّيمِ [3]

كلامُك كَلْمٌ للفؤادِ ولذّةٌ فرفقاً بصبٍّ من كلامِكِ مكْلومِ

* * *

هذه أبيات تستحق أن تكتب بالنُّور ، على صحائف وَجَنات الحور .

لولا لفظة الشُّوم في ضربها ، فكان الأحرى أن تُعزل من دَرْبها .

* * *

وله [4] :

وغانيةٍ شكلِ العروسِ بوجهها يقيم عليه لحظُها كلَّ برهانِ

يبيِّن خدَّاها لنا بإشارةٍ إلى رابعِ الأشكالِ أوضحَ تبيانِ

بسالفِها مع حاجِبَيها بدتْ لنا براهينُ أشكالٍ تُشير إلى الثاني

وحاجبُها للحسنِ شكلٌ مُتمِّمٌ فيالَيتَه مقرونُ حُسْنٍ بإحسانِ

* * *

---

(١) في ا : « عند الحمى » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « غيد الحمى وحامه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ج : « فهو ضيفكم » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في ا : « وابنة عم البدر » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٢٣٥ .

وأنشدني لنفسه ، السيد محمد بن حَيْدر المكّيّ [1] ، في مثل هذا التوجيه :

تبـدّى نقيُّ الخــــدّ يزهو بحُمرةٍ   مُقارِنةٍ فيه البياضَ بإتْقانِ [2]
فقلتُ انْبساطًا إذ غدا القبضُ خارجًا   فذلك من أشْـكالنا كلُّ لِحْيانِ [3]

* * *

وأكثر مايتداولون فيه هذه الأبيات :

تعلَّمتُ خطَّ الرملِ لمـــــا هجرتمُ   لعلِّي أرى فيـه دليلًا على الوصـلِ
فأعجبني فيـه بياضٌ وحمرةٌ   رأيتُهمـا في وَجْنةٍ سلبتْ عقلي
وقالوا طريقٌ قلت يربٌ لمَتـا   وقالوا اجتماعٌ قلت يارب للشَّمْلِ
وقد صرتُ فيـكم مثـلَ مجنون عامرٍ   فلا تعجبوا أنِّي أخطُّ على الرملِ

* * *

ومن جيِّد شعره قوله [4] :

فضـلُ الفتى بالبـذْلِ والإحسانِ   والجود خيرُ الوصفِ للإنسانِ
أوليس إبراهيمُ لمـــــا أصبحتْ   أمواله وَقْفـاً على الضِّيفــــــانِ
حتى إذا أفنَى المُهيَ أخَذ ابنَه   فسخـا به للذَّبْحِ والقُـربانِ [5]
ثم ابْتغى النُّمْرود إحْراقـاً له   فسخـا بمُهْجته على النِّيرانِ [6]
بالمـالِ جاد وبابْنِه وبنفسِـه   وبقلبه للواحـد الدَّيَّانِ [7]
أضْحى خليلَ الله جلَّ جلالُه   ناهيك فضلاً خُـلّةُ الرحمنِ

---

(١) تأتي ترجمته ، في الباب السادس ، برقم ٣٠٣ .

(٢) في ا : «مقارنة فيها البياض» ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : «من أشكال لنا كل لحياني» ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣/٣٣٤ ، وسلافة العصر ٣٦٨ .

(٥) في ب : «فسخا به للذبح» ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) في السلافة : «فبوى بمهجته» . (٧) في ب : «بالمال جاد وابنه» ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

صحَّ الحديثُ به فيالكِ رُتبةً تعلو بأخمصِها على التِّيجانِ [1]

* * *

أصلُ هذا حديث قُدْسِيّ ، رواه أبو الحسن المسعوديّ [2] في « أخبار الزمان » .

قال : إن الله أوْحَى إلى إبراهيم عليه السلام : « إنك لما سلَّمت مالَكَ للضِّيفان ، وولدَكَ للقُرْبان ، ونفسَكَ للنِّيران ، وقلبَكَ للرَّحمن اتَّخذناك خليلا » .

* * *

وقوله [3] :

قد كنتُ أستنشِقُ من مَطْلِكم عَرْفَ شَذا خيبةِ آمالِي
فالآن قد بانَ بتصريحِكمْ أنّي لِنيرانِ الجَفا صالِي
إنّي رأيتُ اليأسَ عِزًّا وفي كلِّ رجاءٍ نوعُ إذلالِ [4]
رجاؤكمْ غُلٌّ وهل أنتمُ أطلقتمُ عنّيَ أغلالِي
ولِمالِ خِلٍّ هزَّني زُلالُهُ لا دَرَّ دَرُّ الجامعِ المالِ
في مذهبِ المجدِ ودِينِ العُلى سِيّانِ إكثارِي وإقلالِي

* * *

وقوله :

حجبوا عليَّ الحبيبَ وحالُوا دونه واستمرَّ ذاك الحجابُ
ضربُوا بيننا بسُورٍ منيعٍ محكمٍ ما لذلك السورِ بابُ

---

(١) في الأصول : « صح الحبيب » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة .

(٢) ذكر المحبي ذلك أيضا في الخلاصة ٣/٤٣٣ ، وابن معصوم في السلافة ٣٦٨ .

وأبو الحسن المسعودي ، هو علي بن الحسين ، صاحب مروج الذهب ، المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

طبقات الشافعية الكبرى ٣/٤٥٦ ، ٤٥٧ ، فوات الوفيات ٢/٩٤ .

(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٤٣٥ . (٤) في ا ، ب : « عزا وفي » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة .

باطنٌ فيه رحمةٌ لـكِن الظَّا هرُ لى منه نِقْمةٌ وعذابُ

***

ومن مقطَّعاته قوله:

قد ظننتُ النجاةَ والفوزَ فى الحبِّ بأن ألْثِم الثَّنايا العِـــذابا [1]

فبِتَرْكى والاحْتِيـــاطِ وتَعْوي لِى على الظنِّ ذقتُ هــذا العذابا [2]

***

وقوله مورِّيا بلقبه [3]:

قلتُ لـــا لجأْتُ فى هَجْوِ دهرٍ بذَل الجهدَ فى احتفاظِ الجَهُولِ [4]

كيف لا أشتكِى صُروفَ زمانٍ ترك الحرَّ فى زَوايا الخمولِ

***

قلت: للشعراء المتقدِّمين أشعارٌ كثيرة، تتعلَّق بأسمائهم وألقابهم، من ذلك قول السِّراج الورَّاق [5]:

بُنَيَّ اقْتــــدَى بالـكتاب العزيزِ فزاد سروراً وزدتُ ابتْهاجاَ [6]

فمـــا قال لى أفٍّ فى عمره لـكونى أباً ولـكونى سِراجاَ

***

---

(١) فى ب: «والفوز بالحب»، والمثبت فى: ا، ج. (٢) سقطت «هذا» من: ا، وهى فى: ب، ج.

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٤٣٣. (٤) فى ب: «قلت لما جئت»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة، ورسم «لجأت» فيهم: «لجئت»، ولعلها بالبناء المجهول. (٥) البيتان فى: خلاصة الأثر ٣/٤٣٤، ريحانة الألبا ١/٤٢٩، ٤٣٠، فوات الوفيات ٢/٢١٤.

(٦) عجز هذا البيت فى فوات الوفيات:

* وراح لِبِرِّىَ سَعْيا وراحَا *

والذى أكثر من هذا حدَّ الإكثار الشهابُ الخفاجيّ ، فمن ذلك قوله (١) :

قالوا تراكَ سقطْتَ من رُتَبٍ　　أترى الزمانَ بمثلِ ذا غلِطا

قلتُ الشياطينُ اللئامُ علَوْا　　ولذا الشهابُ من العُلَى سقطا (٢)

* * *

وله (٣) :

يراكُمْ بعيْنِ الشوقِ قلبي على النَّوَى　　فيحسدُه طَرْفي فتنهلُّ أدمعِي (٤)

ويحسد قلبي مسْمَعِي عند ذكرِكُمْ　　فتذكُو حراراتُ الجوى بين أضْلُعِي (٥)

* * *

ومن معمَّياته قوله ، في اسم عليّ :

أفْدِيه وافِيَ المحاسنِ بارِعاً　　يعْلو عن الإنْشادِ والإنْشاءِ (٦)

بِمُحَيًّى فقد تعرَّض خَطُّه　　وعِذارُه من قبلِها لشقاءِ (٧)

* * *

وقوله فيه أيضاً :

بفؤادي أفْدِي حبيبي وإن عَنَّى　　فؤادي بالوجْدِ والتعذيبِ

مِن مُحَيَّاه دمع النورُ يمَّن　　لام هلاّ شاهدتَ نورَ الحبيبِ (٨)

* * *

(١) البيتان في : خلاصة الأثر ١ / ٣٣٥ ، وريحانة الألبا ١ / ٤٣٠ .　(٢) في ب : « الشياطين اللئام علوا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والريحانة .　(٣) البيتان في خلاصة الأثر ١ / ٣٣٤ .

(٤) في الخلاصة : « فيحسده طرفي » .　(٥) في ج : « فتركوا » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، وفي ا : « في أضلعي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة .

(٦) في الأصول : « وفي المحاسن بارع » ، بالرفع .

(٧) في ا : « من قبلها الشقاء » ، وفي ب : « من قبلها الشفاء » ، والمثبت في : ج .

(٨) في ا : « هلا شهدت » ، والمثبت في : ب ، ج .

وقوله في اسم خالد:

أَضْحَكَنى يومَ اللقـا في أُذُنى　　ثمّ انْثنى بالصـدِّ والاجْتنابْ

ولاحَ في وجْنتِـه حمرةٌ　　حسِبْتُها ماءً فبانتْ سَرابْ

❊ ❊ ❊

وقوله في اسم عثمان:

وظَبْيٍ صالَ في العشاقِ يسْطُو　　بألْحاظٍ أثارتْ نارَ حربِي

أصابَ بعيْنِـه قلبِي بسهمٍ　　هنالكَ بعدَها ودَّعتُ قلبِي

❊ ❊ ❊

وقوله في اسم أحمد:

أُفْدِيه فرداً مالَه من مُشْبِه　　يسْطُو علىَّ بحُسْنِه وبعُجْبِه

داءُ السُّقْمِ أضَرَّ بي في حُبِّـه　　فهل من مُجرَّدِ رأفةٍ من قلبِه (١)

❊ ❊ ❊

وقوله في اسم عمر:

زارَ حبيبٌ وكانَ شَحْطاً م على النوَى　　منه المَزارْ

حرْبُ محبّتـه يدُ اللقا　　كالليـل أعْقبَه النهارْ

❊ ❊ ❊

وقوله في اسم علىّ:

لا تَلُمْنِي إن هِمْتُ وَجْداً بِمَن　　فاقَ الوَرَى في جمالِه والكمالِ

جاء فَرْداً في كلِّ وَصْفٍ بديعٍ　　وترقَّى ففاقَ أَوْجَ المعالِي (٢)

❊ ❊ ❊

---

(١) في ا: «لمجرد رحمة»، والمثبت في: ب، ج.　(٢) سقط «كل» من: ا، وهو في: ب، ج.

وقوله فى اسم حسن :

طَالَ اشْتِيَاقِى إِلَى ظَبْيٍ فُتِنْتُ بِهِ وزاد فى حبّه وَجْدِى وَبَلْبَالِى

حبٌّ بِلا آخرٍ ضِمْنَ الفؤادِ رَقَى ورَاحَ ينْهَى عن الإِفْرَاطِ عُذّالِى

* * *

وله أُحْجِيَة فى شَرَارِيف[1] :

يا واحداً فى فضْلِهِ يا من يُلا ذُ بِظِلِّهِ عند اشْتِبَاه الأَجْوِبَهْ[2]

بَيِّنْ لنا أُحجيةً قد أشكلَتْ ما مثل قولى ابْتَاعِ أرْضاً مُخْصِبَهْ

* * *

وله فى بانياس[3] :

يا مَن عُلُوُّ الورى لديهِ فى درجاتِ العلى هُبوطُ

أَبِنْ جوابى فَدَتْكَ نفسى ما مثلُ قولى بدَا قُنوطُ

* * *

وله فى برغال[4] :

أيا مَن عَلاَ فوق أَوْجِ العُلى وفاق الأنام بفضلٍ مُبِينْ

أَبِنْ لى جوابى فأنت الإما مُ ما مثلُ قولى طعامٌ ثمين

---

(١) شراريف : كلمتان : « شرى » بمعنى باع ، و « ريف » ضد الحضر . (٢) فى ب : « عند اشتكال الأجوبة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) بانياس : النهر المعروف ، وهو أيضا كلمتان : « بان » بمعنى ظهر ، و « ياس » أى يأس . (٤) برغال ، كلمتان : « بر » ، وهو القمح ، و « غال » أى مرتفع القيمة .

١٠٢

محمد بن على بن محمود الحشرىّ *

شاعر مِلْءُ فيه ، ومُبرِّز فى الفن لايُبارَى فيه .

فالأقلام قصَبات سَبْقٍ أخذَها يوم الفخر لدى الرِّهان ، فلم يُعاَق غُبارُه بعيون الرَّائين ولم تلحق به خطرات الأذهان .

تَشِيم بارِقة السحر من نَفثاته ، وتُشْتَم[1] عابِقة الشِّحْر[2] من تنفُّساته .

يملأ الآذان بجواهر كلامه اللوامع ، فلذلك تضيق عند استماع نقده المسامع .

بألفاظ أحسَن من فُتور ألْحاظ[3] الغوانى ، ومَعانٍ أوقَع من ترجيع أصوات الأغانى .

* * *

لا تَمَلُّ شعرَه الرقيق الخواطر ، حتى تَمَلَّ نسيم السَّحَر الرياضُ المواطر .

(*) فى ب : « أحمد بن على » ، والصواب فى : ا ، ج .

وهو :

محمد بن على بن محمود الشامى ، العاملى ، الشهير بالحشرى .

أديب ، شاعر ، بليغ .

انتقل من الشام إلى ديار العجم ، وهناك ذاع صيته ، فاستدعاه كبير وزراء سلطان الهند ، ونال هناك من بهجة العيش ونضرته ما أعز مكانه ، واتصل بابن معصوم أحمد نظام الدين ، والد صاحب السلافة ، وحج فأقام بمكة سنتين ، وفى عودته التقى بصاحب السلافة بمدينة تعز ، وأخذ عنه صاحب السلافة الفقه ، وعلوم اللسان ، وعليه تخرج فى النثر ، وفنون الأدب .

توفى سنة نيف وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٦٥ ـ ٧٣ ، سلافة العصر ٣٢٣ ـ ٣٥٥ .

(١) فى ا : « وتشم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) يعنى العنبر الشحرى ، وتقدم ذكره كثيرا . وانظر فهرس البلدان . (٣) فى ب : « لحاظ » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إلى أدب كزهر البستان، مُتَرقرِق(1) بالصَّبيب(2) الهَتّان.

وأنا بشعره مفتون فتنةَ مسحور، ولى منه كلَّ آنٍ ابتهاج وإدمان خمور.

وقد أثبتُّ له ما يُطيل خُطَى(3) الحظِّ ويبعث الانشراح، ويمحو الهمومَ عن القلوب ويُنْبِتُ(4) الأفراح.

فمن ذلك قوله(5):

مَدَدْتُ إلى الطبيب يدى فولّى ... يُرَوِّح راحتيه من الصَّـــــلاء

فقلتُ أصابنى عينٌ فَهُوِّى ... إلىَّ وقال لى أثرُ الهـــواء(6)

* * *

وقوله(7):

شرِّقْ على حكم النَّوى أو غرِّبِ ... ما أنت أوَّلُ ناشبٍ فى مِخْلَبِ(8)

فى كل يومٍ أنت نَهْبُ [illegible] ... أو ذاهبٌ فى إثْرِ برقٍ خُلَّبِ(9)

متألِّقٍ فى الجوِّ بين مُشرِّقٍ ... غَصَّ الفضاءُ به وبين مُغرِّبِ

يبكى ويضحك والرياضُ بواسمٌ ... ضَحِكَ المشيبِ على العِذارِ الأشيبِ(10)

أزعمتَ أن الدلَّ ضربةُ لازبٍ ... فنشبتَ فى مِخْلابِ بازٍ أشهبِ

لعبتْ بلُبِّك كيف شاء لها الهوى ... مُقَلٌ متى تجِدِ النواظرَ تلعبِ(11)

---

(1) فى ج: «مترقد»، والمثبت فى: ا، ب. (2) فى ا: «بالصبيب»، وفى ج: «بالصيب»، والمثبت فى: ب. (3) فى ا: «خط»، والمثبت فى: ب، ج. (4) فى ا: «ويبث»، والمثبت فى: ب، ج. (5) البيتان فى سلافة العصر ٣٥١. (6) فى ا: «أصابنى عينى»، والمثبت فى: ب، ج، والسلافة. (7) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٤/٦٧، سلافة العصر ٣٤٢، ٣٤٣. (8) فى ا: «على حكم الهوى»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

(9) فى خلاصة الأثر: «نهب مخالب». (10) فى الخلاصة: «ونرجس نواسم ... على عذارى الأشيب»، وفى السلافة: «على عذار الأشيب». (11) فى سلافة العصر: «متى جداء النواظر تلعب».

زعمتْ عُتَيْمةُ أنّ قلبكَ قد صَبا ... من لى بقلبٍ مثل قلبكَ قُلَّبِ (١)

قد كنت آمُل أن تموت صَبابتى ... حتى نظرتُ إليكِ يا ابْنةَ يَعْرُبِ

فطربتُ ما لم تطرَبِى ورغبتُ ما ... لم ترغبى ورهِبْتُ ما لم ترْهبى

ولقد دَلَفْتُ إليهم فى فِتْيةٍ ... ركبوا من الأخطار أصْعبَ مَرْكَبِ

جعلوا العيونَ على القلوب طليعةً ... ورَمُوا القِفارَ بكل حَرْفٍ ذِعْلِبِ (٢)

ترمى الفِجاجَ وقلبُها متصوِّبٌ ... فى البِيد إثْرَ البارقِ المُتصوِّبِ

هوجاءُ ما نفَضت يداً من سَبْسَبٍ ... إلا وقد غمَست يداً فى سَبْسبِ

تسْرى وقلبُ البرق يخفِق غيْرةً ... منها وعينُ الشمسِ لم تتنقَّبِ

تطفُو وترسُبُ فى السَّراب كأنها ... فُلْكٌ يشقُّ عُبابَ بحرٍ زَغْرَبِ (٣)

تفْلِى بنا فى البِيد ناصيةَ الفَلا ... حتى دُفِعتُ إلى عقيلة رَبْرَبِ

وافتْكَ تخالِط نفسَها بدلالها ... والحسنُ يُظهِرها ظهورَ الكوكبِ (٤)

كفريدةٍ فى غَيْهبٍ أو شادنٍ ... فى رَبْرَبٍ أو فارسٍ فى موكبِ (٥)

تمْشِى فتعثُر فى فضول ردائها ... بحياءِ بكرٍ لا بَشَطاةِ ثيِّبِ

* * *

وقوله (٦) :

أين من أودعُوا هواهم بقلبى ... وصلَوْا نارَهم على كلِّ هَضْبِ

كلما فَوَّقُوا إلى الرَّكْبِ سهماً ... طاش عن صاحبى وحلَّ بجنْبى (٧)

---

(١) فى الأصول : « زعمت عتيبة » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وسيأتى ذكر محبوبته هذه فى شعره . (٢) الحرف : الناقة الضامرة ، والذعلب: الناقة السريعة . (٣) فى ا ، ج ، والخلاصة : « بحر زعرب » ، وفى ب ، والسلافة : « بحر زعزب » ، والصواب ما أثبته .

والزغرب : الكثير الماء .

(٤) فى السلافة : « وأتتك تخالط نفسها » . (٥) فى ب : « كفريدة فى غيقة » ، وفى السلافة : « كفريدة فى غيهب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٦) الأبيات فى سلافة العصر ٣٤٥ .

(٧) قبل هذا البيت فى السلافة : « ومنها » .

يشتكي ما اشتكيتُ من لَوْعةِ الْبَيْـ ... ـنِ كلانا دامِي فؤادٍ وقلبِ[١]

***

وقوله[٢] :

للهِ ما فعــــلَ المشيـ ... ـبُ على فراقِك في شبابي[٣]

أقْذَى عيونَ الغانيـــا ... تِ وفَتَّ في عَضُدِ الصِّحابِ

ظَلَمَ كَسَفْنَ مطـــالبي ... وتَفَلْنَ في وجـــهِ التَّصابي

غَبَّرْنَ في وجـــهِ النَّديـ ... ـمِ ورنَّقتْ صَفْوَ الشرابِ

اللهُ لي من أبْقَعٍ ... صبغتْ حُلوكتُه ثيابي[٤]

أقْوَى وأبلغُ في القَطيـ ... ـعةِ من دعاءٍ مستجابِ

وافاكَ في بُرْدِ الغُرا ... بِ نَعَى الصِّبا نَعْيَ الغُرابِ[٥]

ألبستُهُ ثوبَ الشبا ... بِ فكان أكْذَبَ من سَرابِ

وإذا خضبْتُ بياضَــــه ... ضَحِكَ المشيبُ على خِضابي

***

وقوله[٦] :

كلُّ شَمْلٍ وإن تجمَّعَ يوماً ... سوف يُمْنَى بفُرقةٍ وشَتاتِ[٧]

لا ألومُ النَّوى فرُبَّ اجتماعٍ ... كان أدْنَى إلى نَوًى وثباتِ[٨]

مثلما زِيدتِ السهـــامُ عُلوًّا ... في صُدورِ العِدى بقُرْبِ الرُّماةِ[٩]

***

(١) في السلافة : « كلانا دامي الحشا والقلب » . (٢) القصيدة في سلافة العصر ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٣) في ب : « من شبابي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٤) الأبقع : الذي اختلف لونه .

(٥) في السلافة : « ينعى الصبا نعي الغراب » . (٦) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٩ .

(٧) في ب : «سوف يبلى» ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) في ا : «إلى النوى وثبات» ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٩) في السلافة : «مثلما زيدت السهام علوا» ، وهي رواية حسنة.

وقوله [١] :

بجلاءِ المُدامِ في الأقداحِ وبمرآك وجهكَ الوضّاحِ
لا تذرني على مرارةِ عيشي أشتكي واشٍ ولا فريةَ لاحِ [٢]
صاحِ كأسي من المدامِ ودعني والليالي تجولُ جَوْلَ القداحِ [٣]
لا تخفْ جَوْرَ حادثاتِ الليالي نحن في ذمّةِ الظُّبا والرماحِ
نتّقي أيدي الخطوبِ رهنَ مُدامٍ تتخطّى بنا إلى صِفاحِ [٤]
قد أتتني من المشيبِ جنودٌ كيف رأيي شكيمةٌ عن جِماحي [٥]
صاحِ إن الزمانَ قصّرَ عمري من بكاءٍ بدمعةٍ ونواحِ [٦]
رقّ عنه ملاحفُ الجوِّ فاصبحْ برقيقٍ من طيّباتِ الراحِ [٧]
يصطفيك الملاحُ إنّ زماناً أنت فيه زمانُ رَوْحٍ وراحِ
طابَ وقتُ الزمانِ فاشربْ عشيّاً واصطبحْ بالطيبِ وقتَ الصباحِ
وسقّنيها مُنْيتي في فمِ الأزها رِ على نغمةِ الطيورِ الفصاحِ

وقوله [٨] :

خجلتْ وردُها على التفّاحِ وترامتْ على خدودِ الملاحِ
كلُّ ريحانةٍ أرقُّ من الرا حِ جلالي شقيقةَ الأرواحِ
وردةٌ فوقَ خدّهِ وفروحٌ بين جنبيَّ داميات الجراحِ [٩]

---

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ٢ / ٦٧ ، ٦٨ ، سلافة العصر ٣٣٢ .
(٢) في أ : « على مرارة عيش » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٣) في الأصول : « حول القداح » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة . (٤) في الأصول : « إلى صفاح » ، وفي السلافة : « بي صفاح » ، والمثبت في الخلاصة . (٥) في الأصول ، والخلاصة : « كيف رأيي شكيمة » ، والمثبت في السلافة . (٦) في أ : « من بكاء ودمعة ونواح » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٧) في ج : « برقيق من طيبات » ، والمثبت في : أ ، ب ، والخلاصة ، والسلافة . (٨) هكذا في الأصول ، على أنها قصيدة أخرى ، وفي السلافة ٣٤١ أورد الأبيات على أنها من القصيدة السابقة ، ولم يذكر المحبي هذه الأبيات في الخلاصة . (٩) في ب : « وردة فوق خدها » ، والمثبت في : أ ، ج ، والسلافة .

حبّذا ميعةُ الشبابِ وعيشٌ … قد قطعناه في ظلالِ الرِّماحِ (1)

زارني زَوْرةَ الخيالِ وولَّى … في كَرَى النومِ مُزعجاً بالصَّباحِ (2)

لستُ أقوى على الجفونِ المواضي … وَيْحَ نفسي من المِراضِ الصِّحاحِ (3)

سامَحَ اللهُ من دمي وَجنتيهِ … وعفا عن بنانِه الوَضّاحِ

لا تؤاخِذْ جفونَه بفؤادي … يا إلهي كلاهما غيرُ صاحِ

***

وقوله (4) :

قُمْ هاتِها وضميرُ الليلِ منشرحٌ … والبدرُ في لُجّةِ الظلماءِ مستَبِحُ

عجِّلْ بها وحجابُ الليلِ مُنسدِلٌ … من قبلِ يبدو لنا في ذِكْرِه الصُّبُحُ (5)

واستضحِكِ الدهرَ قد طال العُبوسُ به … لا يضحكُ الدهرُ حتى يضحكَ القَدَحُ

فقام والسكرُ يعطو في مفاصلِه … يكاد يقطُرُ في أعطافِه المَرَحُ (6)

يطوف والليلُ بالجوزاءِ مُنتطِقٌ … بها علينا رشأً بالحسنِ مُتّشِحُ

في أُسرةٍ كنجومِ الليلِ زاهرةٍ … لا يستخفُّهمُ في محفلٍ فرحُ (7)

ورِقْبةٍ من عَذُولٍ طار طائرُه … لا الجِدُّ يَثْنيه عن لومي ولا المَزَحُ (8)

قسمتُه قِسمةً ضِيزَى مواهبُها … لِيَ الهَنا وله من دُونِيَ التَّرَحُ (9)

---

(١) في ا : « في خلال الرماح » ، والمثبت في : ب ا ، ج ، والسلافة .

(٢) في ب ، ج : « مزعجا بالصياح » ، والمثبت في : ا ، والسلافة .

(٣) في السلافة : « على الجفون المراضي » ، وفي ا : « من المواضي الصحاح » ، وفي ج : « من المواض الصحاح » ، والمثبت في : ب ، والسلافة . (٤) القصيدة في سلافة العصر ٣٤٧، ٣٤٨ .

(٥) في ب ، ج : « وظلام الليل » ، والمثبت في : ا ، والسلافة ، وفي ا : « في ذكره الصبح » ، وفي ج : « من ذكره الصبح » ، والمثبت في : ب ، والسلافة ، وفيها : « من قبل يدري بنا في وكره الصبح » . (٦) في ب : « يعطو في معاطفه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

(٧) مكان : « في محفل » بياض في : ا . (٨) في ا : « ورقبه من عذول » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . وفي ب : « يثنيه عن ميلي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وفي ب ، ج : « ولا المرح » ، والمثبت في : ا ، والسلافة . (٩) قسمة ضيزى : ناقصة جائرة .

وذى دَلالٍ كأنّ اللهَ صوّره من جوهرِ الحسنِ إلّا أنه شَبَحُ

أسُوسُه وهو غضبانٌ وأبْسُطه والسكرُ يخفِضُ من صوتى فينشرحُ[1]

بِتْنا على غِرّةِ الواشى وغُرّتِهِ أغتاظُ منه بلا غيظٍ ونصطلحُ

جعلتُ عَتْبى إلى تقبيلِه سبباً والسكرُ يفتح باباً ليس ينفتحُ

حتى إذا صيّرتْه الراحُ طوْعَ يدى صدفتُ عن بعض ما يأتى به النَّشَحُ[2]

فما تبسّم فى وجه الصِّبا قدَحٌ حتى تنفّس من جيبِ الدجى وَضَحُ[3]

ودَّعْتُه وجَبِينُ الصبحِ مُنْزلِقٌ وللظلام لسانٌ ليس يَجْترحُ[4]

ولا يطيبُ الهوى يوماً لمُغتبقٍ حتى يكون له فى اليوم مُصْطبَحُ

* * *

وقوله[5] :

غادرتمونى للخُطوب دريئة تغدو على صروفها وتروحُ[6]

ما حركتْ قلبى لنوحٍ إليكُم إلا كما يتحرّك المذبوحُ

* * *

وقوله[7] :

وكنتُ إذا نزعْتُ إلى هَناتٍ جريْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الرياحِ

---

(١) فى ا : « أسوسه وهو نشوان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) فى ب : « ما يأتى به النشح » ، وفى السلافة : « عن بعض ما يأتى به النسح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والنشح : الشرب حتى الامتلاء ، والشرب دون الامتلاء .

(٣) فى ا : « من وجه الصبا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

والوضح : بياض الصبح .

(٤) فى السلافة : « وجبين الصبح منفلق » . (٥) البيتان فى سلافة العصر ٣٥٤ .

(٦) فى ا ، ج : « للخطوب درية » ، وفى السلافة : « للخطوب رذيئة » ، والمثبت فى : ب .

والدريئة : ما يستتر به الصائد ليخدع الصيد .

(٧) الأبيات فى سلافة العصر ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

فقادني الشيبُ على عِذاري … لِجاماً كفَّ رأسي عن جِماحي (1)

وقلتُ لعاذلي إيهٍ فإنّي … وهبتُ اليومَ سمعي للّواحي

هو القدرُ المُتاحُ على الفَوْدَيْنِ … فقلْ ما شئتَ في القدرِ المُتاحِ

وما حُسْنُ العيونِ بلا بياضٍ … وما ليلُ التّمامِ بلا صباحِ

وما ضيفٌ أتاكَ بلا احتشامٍ … وأنتَ من الرحيلِ على جَناحِ

❊ ❊ ❊

وقوله (2) :

أيا ريحَ الصَّبا إن جئتِ نَجْداً … فجدِّدْ بالظِّباءِ العِينِ عهدا

فقد أرضعتِني ثَدْيَ الأماني … وشِبْتُ وما بلغتُ به أشُدّا (3)

وكم رَفَّتْ على طُولِ الليالي … ذوائبُ ذلك الرَّشَأ المُفدَّى (4)

وما نَجْدٌ وأين ظباءُ نَجْدٍ … سقى الرحمنُ ماءَ الحسنِ نَجْدا

❊ ❊ ❊

وقوله من قصيدة ، يمدح بها النظام ابنَ مَعصوم (5) ، يقول فيها (6) :

وإنّ في الشَّعَراتِ البِيضِ لو عَلِموا … نُوراً لعيني ونُوّاراً على عُودِي (7)

بِيضٌ وسُودٌ إذا ما استجمَعا حَسُنا … حُسْنَ البياضِ على أحداقِها السُّودِ

كم للزمانِ ولا أخشَى بَوائقَه … من ضِنّةٍ ولِعينِ المُلْكِ من جُودِ

عَفُّ الشَّبيبةِ مَيمونُ النَّقيبةِ مُذْ … صورُ الكتيبةِ مأمونُ المواعيدِ

---

(1) في الأصول: «على عذاري» ، والمثبت في السلافة .

(2) الأبيات في : خلاصة الأثر ١ : ٢٦٨ ، سلافة العصر ٣٥٤ . (3) في السلافة : «فقد أرضعتني ثدي الأماني» ، وفي ا : «وما بلغت به رشدا» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(4) في ا : «وكم زفت على» ، وفي خلاصة الأثر : «وكم زفت إلى» ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .

(5) نظام الدين أحمد بن محمد ، ابن معصوم ، والد صاحب السلافة ، تأتي ترجمته في الباب السادس ، برقم ٢٨٨ . (6) الأبيات في سلافة العصر ٣٥٤ . (7) في ا ، والسلافة : «ونورا على عودي» ، والمثبت في : ب ، ج .

أخلاقُ أحمدَ في تقوى أبي حسنٍ   وحسنُ يوسفَ في مُلكِ ابنِ داودِ
لا يَحسُنُ الشعرُ إلا في مدائحِهِ   كالدُّرِّ أحسنُ ما يبدو على الجِيدِ

* * *

وقوله (١) :

أنتَ يا شُغلَ المحبِّ الواجدِ   قِبلةُ الداعي ووجهُ القاصدِ
فُتَّ آرامَ الفلا حسنًا فما   قابلتْ إلا بطرفٍ جامدِ
شأنُ قلبينا إذا صحَّ الهوى   يَحكي شأنَ قلبٍ واحدِ
كثَّرَ الواشون فينا قولَهم   معنِّفينا من مقالِ الحاسدِ
لستُ أُصغي لأراجيفِ العِدى   مَن يُغالي في متاعِ الكاسدِ

* * *

وقوله (٢) :

زارني والبرقُ يرمي بالشَّرَرْ   وعيوني شاخصاتٌ في القمرْ (٣)
ذو دلالٍ كلَّمـــا مرَّ حلا   آهِ ما أحلـــى هواه وأمَرّْ
بينما نحن على وَفْقِ الهوى   نتشكّى شانَ قلبي ونفرّْ
وثنّى يعدو وأعدو خلفَه   وهو يرميني بأطرافِ النظرْ
وَيْكَ يا شاميُّ لا تطمعْ على   ضعفِ عينيه بأحداقِ الخزرْ (٤)

* * *

(١) الأبيات في سلافة العصر ٣٢٥ .   (٢) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ .
(٣) في الأصول : « وعيون شاخصات » ، والمثبت في السلافة .
(٤) الخزر : اسم جيل خزر العيون ، والخزر في العين : كسر بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها .
القاموس (خ ز ر) .

وقوله من قصيدة [١] :

وقـــد جعلتْ نفسي تحنُّ إلى الهوى ... خلاً فيـــه عيشي من بثينة أو مَرّا
وأرسلتُ قلبي نحو تيماء رائداً ... إلى الخفرات البيض والشُّدن العَفْرا [٢]
تعرَّف منها كلَّ لمياء خاذلٍ ... هي الرِّيمُ لولا أن في طرْفها فترا [٣]
من الظَّبيات الرُّود لو أنَّ حسنهـــا ... يكلمها أبدتْ على حسنها كبرا [٤]
وآخر إن عرَّفْته الشوقَ راعني ... بصدٍّ كأنِّي قد أبدْتُ له وترا [٥]
أُناشدُ فيـــه البدرَ والبدرُ غائرٌ ... وأسأل عنه الرِّيمَ وهْو به مُغْرى [٦]
فمـــا ركب البيداء لو لم يكن رشاً ... ولا صدع الدَّيجورَ لو لم يكن بدرا
لِحاظٌ كأن السحرَ فيهـــا علامةٌ ... تُعيرُ هروتَ الكهانةَ والسحرا
وقدٌّ هو الغصنُ الرَّطيب كأنمـــا ... كسته تلابيبُ الصبا ورقاً خضرا [٧]
رتقتُ على الواشين فيها مسامعاً ... طريقُ الرَّدى منها إلى كبدي وَعْرا [٨]
أعاذلتي واللومُ لؤمٌ أما ترى ... كأنّي ـــا من كل لائمةٍ وَقْرا [٩]
بفيك الثَّرى ما أنت والنُّصحُ إنمـــا ... رأيتُ بعينيك الخيانةَ والغدرا [١٠]
وما للصَّبا يا وَيْحَ نفسي من الصَّبا ... تبيتُ تناجي طولَ ليلتهـــا البدرا

---

(١) القصيدة في: خلاصة الأثر ٤/٦٨ ، ٦٩ ، سلافة العصر ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢) في ب : «وأرسلت طرفي . . . والشدن العفرا» ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة.

(٣) الخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد عن القطيع . (٤) في السلافة : « من الظبيات الرود » .

(٥) في ا : «وآخر لو عرفته» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي ا ، والخلاصة : «قد أبيت له وترا» ، وفي ب : «قد أبيت له وترا» ، والمثبت في : ج ، والسلافة .

(٦) في ب : « والبدر غائب » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) في ب : « « تلابيب الهوى » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة والسلافة . وفي الخلاصة ، والسلافة : « ورقا نضرا » . (٨) بعد هذا البيت في ب زيادة : «منها» ، والشعر متصل في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٩) في الخلاصة ، والسلافة : « ألم ترى . . . عن كل لائمة » .

(١٠) في ا : « رأيت بعينيك الجناية والعذرا » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

تطارِحُــــه والقولُ حقٌ وباطلٌ ... أحاديثَ لا تُبقِي لمستودَعٍ سِرّا

وتُلقِي على النَّمّامِ فَضْلَ ردائهـــا ... فيعرفُ للأشواقِ فى طيِّهـــا نَشْرا

يعانقها خوفَ النَّوَى ثم تنثنِى ... تمزِّق من غيظٍ على قدِّك الأُزْرا [1]

ألمَا ترَى بانَ النَّقا كيف هـــذه ... تميلُ بعِطفَيْها حُنُوًّا على الأخرَى [2]

وكيف وَشَى غُصنٌ إلى غصنٍ هوًى ... ومن رَشأ يُوحِى إلى رَشأ ذِكْرا [3]

هما عذَلانى فى الهوى غــــيرَ أننى ... عذَرْتُ الصَّبا لو تقبلينَ لها عُذْرا [4]

هبيهـــا فدتْكِ النفسُ راحت تُسِرُّه ... إليه فقد أبدَتْه وهْى به سَكْرَى [5]

على أنهـــا لو شايَعتْ كُثُبَ النَّقا ... وشِيحَ الخُزامَى إنما حملتْ عِطْرا

❊ ❊ ❊

وقوله من قصيدة [6] :

أعْفِيانى من وَقْفَــةٍ فى الديارِ ... تمتَرِى دِرَّةَ الجفونِ الغِزارِ

ما انتفاعِى بنظْرةٍ بطرفِ العَيْـ ... ـنَ بتلك الطُّلولِ والآثارِ

ماترى البارِقَ الذى صدَّع الجوَّ ... سَنـــــاه على رسومِ الديارِ

خَطِفاتٌ كأنهن خيولٌ ... تجرحُ العينَ بالسيوفِ الهَوارِى

أذْكرتْنى مَباسِمًا وثغوراً ... حالياتٍ تغصُّ بالأنوارِ [7]

وكؤوساً كأنمـــا حنَّكوها ... فى صَبـــاها بريقةِ الخمّارِ

خلَعتْ بيننا العِذارَ ووافتْ ... فى قميصٍ مفكَّكِ الأزرارِ

(١) فى ب : « على قتباله الأزرا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى الخلاصة ، والسلافة : « حنوا إلى الأخرى » . (٣) فى ا : « وكيف رضى غصن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الأصول : « ومن رشأ يوى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة . (٤) فى الأصول : « لو تقبلين له عذرا » ، وسياق الأبيات يعضد رواية الخلاصة والسلافة . (٥) فى ا : « راحت بشره » ، وفى ج : « راحت بسره » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٦) القصيدة فى سلافة العصر ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٧) فى ا : « ذكرنى مباسما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

لو رآها العَذُول صُمَّ صَداهُ ... قال مالى وللعَجوزِ النَّوارِ[1]

لاترُوعا بِـكْرَ الزمان بقَتْلٍ ... إن ذَوْبَ اللُّجَيْنِ غِشُّ النُّضارِ

فى سَنا الشمسِ ماعلمتَ غَناء ... عن ضياء النجوم والأقمارِ

طال عمرُ الدجى علىَّ وعهدِى ... بالليـــالى قصيرةَ الأعمارِ

مااحْتَسيْتُ المُدامَ إلا وغَصَّتْ ... لَهَواتُ الدجى بضوء النهارِ

حبَّذا طَلْعةُ الربيع وأهْلًا ... بتَجالِى عرائسِ الأزهـــارِ

وزمانُ البَهــــارِ لوعاد فيه ... غَشَيانُ الشبابِ عَوْدَ البَهارِ[2]

ومَبِيتى إذا نَبَا بى مَبيتى ... فى ظلالِ العريشِ والنُّوَّارِ[3]

كم تفيَّأْتُها فحنَتْ علينـــا ... حَنَّةَ الأُمَّهاتِ والأطْيارِ[4]

مرحبًا بالمَشيبِ لولا زمانٌ ... غَضَّ منى وحطَّ من مقدارى

لو وفَى لى الصِّبا ولو عُمْرَ حينٍ ... بزمانى أخـــذتُ منك بثارى

* * *

وقوله[5] :

حيَّيْتُ فأحْيَيْتُ بالمُـــدام معاشرًا ... حَضَرُوا وما أَلبـــابُهم بحُضورِ

فى حَيِّهم صَرْعَى وما شهدوا الوغَى ... نَشْوَى وما مزَجُوا الهوى بخُمورِ[6]

* * *

---

(١) صم صداه : هلك . والنوار : المرأة النفور من الريبة . (٢) فى ا : « وزمان الربيع » . والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، وفى ب : « غشيان الشبابه » ، وفى السلافة : « غيسان الشباب » . والمثبت فى : ا ، ج .

والبهار : نبت طيب الرائحة .

(٣) صدر هذا البيت مضطرب فى السلافة . (٤) فى ب : « وحنت حينا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٥) البيتان فى سلافة العصر : ٣٥٥ .

(٦) فى السلافة : « فى حيهم صرعى وما استهدوا وغم » .

وقوله[1] :

إيهٍ بذكرِ معاهدٍ وأناسِ   طابتْ بذكرِ حديثِهم أنفاسي

أذكرتني حيثُ الأحبةُ جيرةٌ   حالي بهم حالٍ وكأسي كاسِ[2]

هلّا وقفتَ على منازِلِهم معي   وبكيتَ ناساً بالهم من ناسِ

قالت عُتَيْمةُ والخطوبُ تنوشُني   والشَّيبُ يضحكُ من بكاءِ الآسي[3]

شابتْ شَواتُكَ والزمانُ مُراهِقٌ   والشيبُ يا شامي تاجُ الراسِ[4]

* * *

وقوله[5] :

أما الطلولُ فإنها خُرُسُ   تبدو لعينيك ثم تنطمسُ[6]

يا مَربعاً عبثَ البلاءُ به   عهدي بربعِك وهو مُكتَنَسُ

رقمتْ عليه يدُ الصَّبا صحفاً   تبدو لقارئها وتنطمسُ

وقفَ الهوى والدمعُ منطلقٌ   في جَوِّه والقلبُ منحبسُ[7]

للطيرِ جرسٌ في معالمِها   فكأنما بحلوقها جرسُ

والورقُ تخطُبُ في منابرِها   فوق الغصونِ كأنها خُنُسُ

فارشِفْ حصاهُ فإنه شَنَبٌ   والثمْ ثَراه فإنه لَعَسُ[8]

كم ليلةٍ قضَّيتُها خَلَساً   خوفَ العواذلِ والهوى خَلَسُ

---

(١) الأبيات في سلافة العصر ٣٣١ . (٢) في ا : « حالي بهم حالي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة ، وفي ب : « وكأسي كاسي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٣) في ب : « قالت عتيبة » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وتقدم ذكر عتيمة . (٤) في ب : « شابت شؤونك » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

والشواة : خلف الرأس وجبهته .

(٥) القصيدة في سلافة العصر ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) في السلافة : « ثم تبتئس » .

(٧) وفي ب : « في جوفه والقلب منحبس » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) الشنب : الريق البارد . وفي السلافة : « فرشف حصاه » .

قَصُرت عن الشكوى غياهبُنا … فكأنَّما من قصرها نَفَسُ [1]

بِتْنا وشَمْلُ الليل مجتمِعٌ … وبدُ النوى فى شملنا تَطِسُ [2]

فى فتيةٍ رقَّت شمائلهم … فكأنها فى أفْقِه شمسُ [3]

بِيضُ الوجوه وجوهُهم سُرُجٌ … تحت الدجى ومُدامُهم قَبَسُ

مالوا إلى اللذَّات من أمَمٍ … حتى إذا ضحك الطِّلا عَبَسوا [4]

والبدرُ يرفُل فى غلائله … بين النجوم وللدُّجى عُرُسُ

والماء بين مُصفَّقٍ طرباً … فيه وآخر مُنْقَشٍ بَجِسُ [5]

حتى إذا نطقتْ مزاهرُنا … خرِس العذولُ ومابه خَرَسُ

غاب الرقيبُ ونام حاسدُنا … فوشَى علينا الطِّيبُ والنَّفَسُ

***

وقوله [6] :

أما ترى جَلْوَةَ الصَّهباء فى الكاسِ … ماقى التَّصابى على مَن شابَ مِن باسِ

فى دُرَّةٍ تُعطف الساقِ على الحاسى … الناسُ بالناس والدنيا بجمعها

جَلَوْتُ منِّى صدى الأطماعِ باليأسِ … يئستُ واليأسُ إحدى الراحتَيْن وكمْ

منها :

إن لم تكن بنتَ رأسٍ فابنة الراسِ … فى كل غانيةٍ من أختها بدَلٌ [7]

---

(١) فى ا : «من الشكوى» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٢) وطسه : كسره ودقه .

(٣) فى ب : «مع فتية» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . وفى السلافة : «فكأنهم فى أفقه شمس» .

(٤) فى ب : «إذا ضحك الهوى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٥) فى ا : «وآخر منقش نجس» ، وكلمة «نجس» فى ج بدون نقط ، وفى السلافة : «وآخر منقش يجس» ، والمثبت فى : ب .

والبجس : المنبجس المتفجر .

(٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤ / ٦٩ ، ٧٠ ، سلافة العصر ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٧) فى ب : «إن لم يكن ابنت رس» ، وفى السلافة : «فابنة الكرباس» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

أودعتُ عقلي إلى الساقي فبدَّدَه ... في كسرِ جفنيه أو في ثِنيةِ الكاسِ

لا أوحشَ اللهُ من غضبانَ أوحشَني ... ما كان أبعدَهُ عن بِرِّي وإيناسي

سئمتُ يومَ النوى منـه وأسلمني ... إلى عذولين [illegible] ووسواسِ (1)

ذكرتُه وهو لاهٍ في محـاسنه ... عهودَ لا ذاكرٍ عهـدي ولا ناسِ

وددتُ أن بعتُـه روحي بلا ثمنٍ ... لو كنتُ أضربُ أخماسًا لأسداسِ (2)

ويحَ من أنتِ بالمَيْساءِ بُغْيتـه ... ما كان أغناه عن فكرٍ ووسواسِ

قامتْ تغنِّي بشعرٍ وهي حاليـةٌ ... به ألا حبذا السكرُ والكاسِ (3)

تقولُ والسُّكرُ يطويهـا وينشرُها ... أيُّ الشرابين أحلى في فم الكاسِ (4)

يا حبَّـذا أنت بالمَيْساء من سكنٍ ... وحبذا ساكنُ البطحاء من ناسِ

ما إن ذكرتُك إلا زاد بي طربي ... وطاب ريحُ الصَّبا من طيبِ أنفاسي (5)

ولا ذكرتُ الصِّبا إلا وذكَّرني ... [illegible] أرجعتني دِرَّةَ الكاسِ (6)

وجـيرةٍ لعبتْ أيدي الزمان بهم ... أنكرتُ من بعدهم نفسي وجُلّاسي

أيامَ أختالُ في ثوبَي بلهنيةٍ ... وغيسةٍ من شبابٍ ناعمٍ غاسِ (7)

ودرعي من العار حالٍ بالصِّبا كاسٍ ... [illegible] والعتب في بُرْدِ أخماسِ (8)

أنضيتُ فيه مطايا الجهـل والباسِ ... عُرِّيتُ منـه وقد عُرِّيتُ أفراسي

في صِبْيَةٍ كنجوم الليلِ أكياسٍ ... كأنَّ أوجهَهم [illegible] أقباسِ (9)

---

(1) في ب: «فسلمني»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، والسلافة.

(2) في السلافة: «وددت إذ بعته». (3) في السلافة: «قامت تغني بشعري».

(4) في ب: «في فمي الكاس»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، والسلافة. وفي هامش ج: «لعله الحاسي»، وهو احتمال طيب. (5) في السلافة: «إلا طار بي طربي ... من طيب أنفاس».

(6) في الخلاصة، والسلافة: «إلا وأذكرني». (7) هكذا [illegible] «غاس» و[illegible]: [illegible]. ولعلها: «غاس» من الغيسان، وهو حدة الشباب. انظر القاموس (غ ي س، غ ي س).

(8) ثوب خموس وخميس: طوله خمس أذرع. القاموس (خ م س). (9) في ا: «كأن أوجههم»، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

أسمُو إليهم سمُوَّ النـــوم للرَّاسِ   أدِبُّ فيهم دبيبَ السكرِ في الحاسِي (١)

يأتوا بميثاء صرْعَى لاحراك بهم   وإنَّما صرعتهم صَدمةُ الكاسِ (٢)

ياعاذلى أنت أوْلَى بى فخُذ بيدى   فأنت أوقعتنى فيهم على راسِي

وياحمامَ اللِّوَى هلا بــــكيْتَ معِي   على زمانٍ تقضَّى أو على ناسِ

* * *

وقوله (٣) :

يانسيمَ الصَّبـــا وياعذبَ الرَّيْـ   ـحانِ هُبِّي على وانتفِضِي (٤)

خبِّريني عن اللِّوَى خَـــبراً   إنَّ ذِكرَ الرياضِ من غَرضِي (٥)

لأقضِّي من اللوى وَطَراً   ليس يدرى الوُشاة كيف قُضِي

مالبرقٍ تجـــاه كاظمةٍ   لم تُضِي في العَقيقِ أين تُضِي (٦)

لست أرْضَى بصاحبٍ بدلاً   فاسْألا من صحبتُ كيف رضِي

صدَقُوا ليس عنهم عوضٌ   وجميعُ الورى لهم عِوَضِي

وقوله من قصيدة (٧) :

---

(١) في ا : « سمو النوم في الراس » ، وفي الخلاصة : « سمو النوم للراسى » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي السلافة : « يأتوا بميثاء » ، وفي ج : « وإنما صدمتهم » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة.

وأرض ميثاء : لينة سهلة من غير رمل .

(٣) الأبيات في سلافة العصر ٣٤١ . (٤) في ج : « ويا عذبات الريحان » ، والمثبت في : ا ، ب ، والسلافة ، وفي ب : «هبي على وانتفضي» ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٥) في السلافة : « إن ذكر الديار » .

(٦) هذا البيت ملفق من بيتين ، وردا في السلافة هكذا :

ما لبرقٍ تجاه كاظمةٍ   هبَّ من نحوهم ولم يَمْضِ

وبدورٍ طلَعْنَ من إضَمٍ   لم تُضِى في العقيق أين تُضِى

(٧) الأبيات في : خلاصة الأثر ٤/ ٧٠ ، سلافة العصر ٣٣٠ .

أتراكَ تهفو للبروقِ اللُّمَّعِ ... وتَظُنَّ رامَةَ كلَّ دارٍ بلقعِ

لولا تذكُّرُ من ذكرْتَ برامةٍ ... ما حَنَّ قلبي لِلِّوى والأجرعِ

رِيمٌ بأجْوِبةِ العراقِ تركْتَه ... قَلِقَ الوسادِ قريرَ عينِ المَضْجَعِ (١)

في السِّرِّ من سعدٍ وسعدٌ هامةٌ ... رَعْناه لم تُصدَعْ ولم تتضعضعِ (٢)

منها (٣) :

قالت وقد طار المَشيبُ بلُبِّها ... أنشبْتَ في حَلَقِ الغرابِ الأبقعِ (٤)

وتلفّتتْ والسحرُ رائدُ طَرْفِها ... نحوَ الديارِ بمقلةٍ لم تخشعِ

ولكم بعثْتُ إلى الديارِ بمقلةٍ ... رجعتْ تَعَثَّرُ في ذيولِ الأدمُعِ

عرفتْ رسومَ الدارِ بالمتربَّعِ ... فبكتْ ولولا الدارُ لم تتقشَّعِ (٥)

أمَّلتُ لو يتلوَّمُ الحادي وما ... أمَّلتُ إلا أنْ أقولَ وتسمعي (٦)

وقوله (٧) :

لم أنسَ لا أنسى خيالاً سرى ... يسترشدُ الشوقَ إلى مضجعي

حسبتُ بدرَ التمِّ قد زارني ... فبتُّ لا أقفو سوى المطلعِ

أسألُ عنه الشوقَ لا يرعوي ... وأنشُدُ البَيْنَ به لو يَعي (٨)

آليتُ والدارُ لها حرمةٌ ... لا أسألُ الدارَ وصبري معي

كان دمي حَجْراً على حاجرٍ ... فلِمْ أباحتْه منها الأجرعِ

(١) في الخلاصة : « بأجوبة العراق » ، وفي السلافة : « بأجربت العراق » . (٢) في ا : « في سر من سعده » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٣) ساقط من : ب ، وفي ج : « قال منها » ، وفي السلافة : « وقال منها » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة . (٤) في السلافة : « في خلق الغراب » .

(٥) في السلافة : « ولولا الدار لم تشعشع » . (٦) في ب ، ج : « إلا أن تقول » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي ب ، والسلافة : « وتسمع » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة .

(٧) الأبيات في سلافة العصر ١ : ٣ . (٨) في السلافة : « لو يرعوي » .

عُلالَةً كانَ وُقوفي بِها ... أَبْغي شِفا القَلْبِ مِنْ أَوْجَعِ (١)

* * *

وقوله (٢) :

يالَهْفَ نفسي على شبابٍ ... أفنيتُ في عصرِه جَميعي (٣)

كان شَفيعي إلى الغواني ... فمَنْ شفيعي إلى شَفيعي

إنَّ الدَّراري على نَواها ... أدْنَى من الغادة الشَّموعِ (٤)

* * *

وقوله (٥) :

لاتجزعي يابانَةَ الأجْرَعِ ... حُوشيتِ من همٍّ ومن ضَيْنَعِي (٦)

كأن قلبي بين شِقَّيْ عَصَا ... في حبِّ من شَقُّوا عصا المَجْمَعِ

حلُّوا من القلب بوادي الغضا ... ونارُهم في مُنحنَى الأضلُعِ

* * *

وقوله (٧) :

ياعَذُولي وما أظن عَذُولي ... يطمعُ اليومَ في مَلامي وقَذْعِي

هَبْكَ ثَقَّلتَ بالمَلامَةِ سَمْعي ... أَتُخَشِّي اليومَ أن تُثَقِّلَ طَبْعي

* * *

(١) في ب : « غلالة كان وقوفي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٢) سلافة العصر ٣٥٤ .

(٣) في ب : « على شبابي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٤) في ا ، ج : « من الغادة السموع » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

والشموع : الضحاكة اللعوب .

(٥) الأبيات في سلافة العصر ٣٥٢ ، ٣٥٣ . (٦) في ا : « حوبت من غمي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . و « ضيامي » كذا ، ولم أعرفه .

(٧) البيتان في سلافة العصر ٣٥٣ .

وقوله (١) :

أَجِـدَّكَ شَيَّعْتَ الحَنِينَ المُرَجَّعَـا ... وغَازَلْتَ غِزْلانًا على الخَيْفِ رُتَّعَا (٢)

وطَالَعْتَ أقمارًا على وَجْرَةِ النَّقَـا ... وقد كنتُ أَنْهَى العينَ أن تتطلَّعـا

ولم أرَ مثلَ الغِيدِ أعصى على الهوى ... ولا مثـلَ قلبي للصبـابةِ أطْوَعَا

ومن شِيَمِي والصبرُ مِنِّيَ شِيمةٌ ... متى رُمْتُ أطلالًا بعينٍ تدمَّعا (٣)

وقوفٌ على رَسْمِ الهـوى ورجائه ... فمـا أتحسَّى الهمَّ إلا تجرُّعَا (٤)

خليليَّ حتّى كم هبَّ برقٌ ... تـكاد حَصاةُ القلب أن تتصدَّعَا

طوى الهجرُ أسبابَ المودّة بيننـا ... فلم يَبْقَ في قوسِ التصبُّرِ مِنْزَعَا (٥)

بلى للهِ كم أُغْضِي الجفونَ على القَذَى ... وأَطْوِي على القلب الضلوعَ توجُّعا (٦)

ألا حبّـذا الطيفُ الذي قصر الدجى ... وإن كان لا يأتيـك إلا مُوَدِّعَا (٧)

أَلَمَّ كحَسْوِ الطيرِ حِذارَ مُبادِرٍ ... فأزعجـه داعي الصَّبـاحِ فأسرعَا

وأمسكتُـه باللحظ حتى وددتُ لو ... بسطتُ له حبالَ الهوى فتورَّعَا

قسمتُ صفايا الودِّ بيني وبينه ... سواءً ولـكنّي حفظتُ وضيَّعا (٨)

وحزَّتْ نياطَ القلبِ أسبابُ بينِه ... فيـه قلبي ما أرقَّ وأجْزَعَا

* * *

وقوله (٩) :

سرى والليـلُ ممـدودُ الرِّواقِ ... وساقي الفجرِ يحجل في وَثاقِ (١٠)

---

(١) القصيدة في سلافة العصر ٣٣١ ، عدا البيتين الأولين .

(٢) في ب : « شيعت الحـ ... على الخيف رتعا » ، والمثبت في : أ ، ج . (٣) في السلافة : « من أرم أطلالا » . (٤) في ب : « على رأس الهوى » ، والمثبت في : أ ، ج ، والسلافة .

(٥) في أ : « أسباب المودة » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٦) في ب : « عن القذى » ، والمثبت في : أ ، ج ، والسلافة . (٧) في الأصول : « إلا توجعا » ، والمثبت في السلافة .

(٨) الصفايا : جمع الصفي ، وهو الخالص من كل شيء ، والصفي أيضا : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة . القاموس (ص ف ا) . (٩) القصيدة في سلافة العصر ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(١٠) في الأصول : « يحجى في وثاق » ، والمثبت في السلافة .

خيالٌ من عُتَيْمة أو لُبَيْنَى   أو الشَّمِّ أخْتِ بني البَراقِ [١]

يُطَوِّفُ في الشَّآمِ وفي عراقٍ   ويُبْعَدُ الشآمِ من العراقِ [٢]

أقولُ لها وقد خطَرتْ رِياحٌ   من الزَّوْراء في حالِ رِقاقِ [٣]

وقد بَرَدَ السِّوارُ على يديها   فَحَيَّتْ القلائدَ بالعِناقِ

* * *

بَرْدُ السِّوارِ ، وبَرْدُ الحَلْيِ ، يكني به الشاعر عن الصَّباح .

في البديع :

قامت وقد بَرَدَ الحَـــــلْيُ   تميسُ في ثِنْيِ الوشاح

ابن الزَّقَّاق [٤] :

بَرْدُ الحَلْيِ تنافرت عَضُدِي وقد   هبَّ الصباحُ ونامَتِ الجوزاءُ

ابن حَمْدِيس [٥] :

وبِتُّ أحمِي بأنفاسي حصا دُرَرٍ   يُبَرِّدُها في التَّلاقي تعرفُ القلقْ

وللشريف الرَّضِيّ ، رضي الله عنه ، وهو مأخذ المترجم [٦] :

حـــــتى إذا هبَّتْ ريا   حُ الفجرِ تُؤْذِنُ بالفِراقِ [٧]

---

(١) في ب : « خيال من عتيبة » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٢) في ا : « وفي العرق » ، وفي السلافة خطأً : « وهي عراق » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « في حال الرقاق » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .

والزوراء : بغداد .

(٤) علي بن عطية بن مطرف البلنسي اللخمي الأندلسي ، ابن الزقاق .

شاعر غزل ، توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

مقدمة ديوانه ، والبيت في ديوانه ٦٣ ، وفيه : « تنافرت عضدي » .

(٥) تقدم التعريف بابن حمديس ، في الجزء الأول ، صفحة ٣٦ .

والبيت في ديوانه ٣٣٧ وفيه في التلاقي

(٦) ديوان الشريف الرضي ٢/٥٧٣ .

(٧) رواية الديوان :

حتى إذا نَسَمتْ ريا   حُ الصبحِ تُؤْذِنُ بالفراقِ

بَرْدَ السِّوارِ لها فأَضْحَتْ مَيْتَ القلائدِ بالمُعانَقِ

(١) وأحسن أبو الجوائز الواسطِيّ (٢) في قوله (٣) :

كمَا نَمَّ للفُصُولِ سِوارٌ كَذَّبَتْهُ قلائدٌ وعقودُ (٤)

وبَرْدُ المَضْجع ، وبَرْدُ الفراش ، كناية عن الراحة والترفُّه ، وعن زيادة القدرة ، بحيث لا يقدر أحدٌ على إزْعاجه ، ويلزمه الشجاعة وعُلُوُّ المقام .

قال :

* أبيض بسَّام بَرُودٌ مَضْجَعُهْ *

* * *

وأَعْجَلَنا النَّوَى حتى لكِدْنا نُوَدِّعُ بعضَنا قبلَ التلاقِي

ولم يكُ غيرَ موقفِنا ونادَى مُنادِي الحيِّ حَيَّ على الفِراقِ (٥)

أُتِيحَ في نَظْرةٍ لا ضَنِينٌ بنائِلِه ولا تَرِفِ الخِناقِ (٦)

يَرى شبحًا بلا ظِلٍّ ونفْسًا يُرَدِّدُها التنفُّسُ في التَّراقِي

بعثتُ الشوقَ تفحَصُ في فؤادي وطِفْلُ الدمعِ يَعبثُ بالمَآقِي (٧)

وأنت جعلتَني جَزْرَ الأعادِي ولو أحبَبْتَ ما أكلُوا عُراقِي (٨)

---

(١) من هنا إلى نهاية قوله : « كأن واش دب فيهم وسلك » ، من القصيدة الكافية الواردة فيما بعد ، ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

(٢) أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي .

من شعراء دمية القصر ، سكن بغداد دهرا طويلا .

وكان أديبا شاعرا ، حسن الشعر في المديح والأوصاف والغزل .

توفي بعد الستين وأربعمائة .

تاريخ بغداد ٧/٣٩٣ ، دمية القصر (الطباخ) ٨١ ، فوات الوفيات ١/٢٥٣ .

(٣) البيت في دمية القصر ٨٢ .

(٤) في الدمية : « وكما نم بالصباح سوار » .

(٥) في السلافة : « ولم يك غير موقفنا » .

(٦) في ب : « ولا ترق الخناق » ، ولعلها : « ترق الخناق » ، والمثبت في : ا ، وفي السلافة : « أبي في نظرة . . . ولا ترف الخناق » .

(٧) في ب : « يعبث بالأماق » ، والمثبت في : ا ، والسلافة .

(٨) في ب ، والسلافة : « حرز الأعادي » ، والمثبت في : ا .

والعراق : العظم أكل لحمه .

تُوَكِّنِيَ الخطوبُ على هُزالِي ... ويَحْلُو لي لها طعمُ الزُّعاقِ

ولو عقَل الزمانُ دَرَى بأنِّي ... على مَن رامَنِي مُرُّ المَذاقِ

ولم تَتْرُكْ صُروفُ الدهرِ مِنِّي ... ومِن عَضْبِ الجُرازِ سوى رَماقِ (١)

أمَا والرَّاقِصاتِ على لآلٍ ... ومَن حَمَلُوا على الكُومِ العِتاقِ (٢)

لقد أضْلَلْتُ في ليلِ التَّصابِي ... فؤاداً غيرَ مشْدودِ الوَثاقِ

ألا ياصاحِبَيْ نَجْواي سِيرا ... فقد قعد الهوى بي عن رِفاقِي (٣)

قِفا عنِّي بأقْرِيَةِ الفِتاقِ ... فَواقاً أو أقلَّ من الفَواقِ (٤)

سقَى اللهُ العراقَ وساكنِيهِ ... وجادَ مَراتِعَ الشُّدْنِ الطِّلاقِ (٥)

إلى أهلِ العراقِ يَحِنُّ قلبي ... فواشَوْقِي إلى أهلِ العراقِ

وقوله (٦) :

أرأيتَ ماصنعتْ يدُ التَّفْرِيقِ ... أعلمتَ مَن قتلتْ بسَعْيِ النُّوقِ

رحَل الخَلِيطُ وما قضيْتُ حقوقَهم ... بمُنَى النفوسِ وما قضَيْنَ حقوقِي

علِقُوا بأذْيالِ الرياحِ ووكَّلُوا ... لِلْبَيْنِ كلَّ مُعَرِّجٍ بفَرِيقِ

---

(١) في ب : « ومن غضبِ الجراز » ، وفي السلافة : « ومن عضبِ الخراز » ، والمثبت في : ا .
والجراز : السيف القطاع . والرمق : القليل .

(٢) في ا ، والسلافة : « على الآل » ، والمثبت في : ب .
والكوم : جمع الأكوم ، وهو البعير الضخم السنام .

(٣) في ا : « فقد شغل الهوى » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

(٤) الأقرية : جمع القرى ، بالياء المشددة ، وهو مسيل الماء من الربوة إلى الروضة ، أو المجرى الصغير من الماء ، والفتاق: جمع الفتق، وهو الموضع الذي لم يمطر ، وقد مطر ماحوله . انظر معجم البلدان ٣ / ٨٥٠ .
والفواق : وقت ما بين الحلبتين .

(٥) في ا : « مواطن الشدن » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

(٦) القصيدة في : خلاصة الأثر ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، سلافة العصر ٣٢٨ .

وغدوْتُ أصرِفُ ناجذَىَّ على النَّوَى   وأغَصُّ من غَيْظِ الوُشاةِ بريقِي

هجروا وما صبَغَ الشبــابُ عوارِضِي   عَجْلانَ ماعلِقَ المَشِيبِ بزِيقِي (١)

فكأنني والشيبُ أقربُ غايةٍ   يومَ الفِراقِ شربْتُ من رَاوُوقِ (٢)

لا راقَ بعــدهمِ الخيالُ لناظِرِى   إن حَنَّ قلبى بعدهم لرَحِيقِ (٣)

لعب الفِراقُ بنا فشرَّدَ من يدى   رَيْحانتىَّ صــــديقتِي وصديقِي

لله ليلتُنـــا وقد علِقتْ يدى   منه بِعِطْفٍ كالقنــاةِ رشيقِ

عاطَيْتُه حلَبَ العصيرِ وصــدَّنا   عن وجهِ حاجتِنا يدُ التَّعويقِ (٤)

ما كان أسْرَعَ ماوحَتْه وإنمــا   دَهِش السقاةُ به عن التَّرْوِيقِ (٥)

أيقظْتُه والليــلُ ينفُض صِبْغَه   والسكرُ يخلِط شائقًا بمَشُوقِ

والنومُ يعبثُ بالجفونِ وكلمــا   رقَّ النسيمُ قسَتْ قلوبُ النُّوقِ (٦)

والبرق يعثُر بالرِّحالِ والصبــا   وقَفاتُ مُصْغٍ للحديثِ رَفيقِ

باتتْ تحرِّش والقنــا تلتفُّ بين   الغصونِ وقدُّه المَمْشُوقِ

فأجابنى والسكرُ يُعجِمُ صَوْتَه   والكأسُ تضحك المثَنايا الرُّوقِ

---

(١) فى الخلاصة : « وما صنع الشباب » ، والزيق من الثوب : ما أحاط منه بالعنق أو [illegible] كف من ماذب الجيب . (٢) فى الخلاصة ، والسلافة : « كرعت من راووق » . (٣) فى ا ، ب : « بعدهم الفراق لناظرى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وفى ا ، والسلافة : « لا رق » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

(٤) فى ب : « يد التفريق » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، ورواية السلافة :

* عن وجهِ حاجتِنا يدُ التفريقِ *

وهى أقرب إلى الصواب .

(٥) فى ب : « عن الترويق » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الخلاصة : « ما كان أسرع ما وحته وإنما » . (٦) فى السلافة : « رقت النسيم » .

لولا الرقيبُ هَرَقْتُ مَضْمَضةَ الكرى ... وغَصَصْتُ صافيةَ الدِّنانِ بريقِي (1)

ثم انثنيتُ وزِلْتُه بيد الصَّبا ... وشَمِيمُه في جَيْبِيَ المَفْتوقِ

※ ※ ※

وقوله (2) :

أَرِقْتُ لبرقٍ في جوِّ رأسي ... جَرَضْتُ لصَوْبِ عارِضِه بريقِي (3)

هـدَتْه الثنيّاتُ وأيُّ خيفٍ ... هـدَتْ يومَ الفِراقِ إلى فروقِ (4)

رفعْتُ له بجُنْحٍ ليس تسري ... نخاضُ الليلَ يعسِفُ في الطريقِ

وددْتُ ولو بضربِ الهِندِ أنّي ... رَعَيْتُ له ولو بعضَ الحقوقِ (5)

※ ※ ※

وقوله :

رُبَّ ساقٍ خَمَّرْتُه فتغنّى ... ثُمَّ أَوْمَى بناظرٍ لا يُطاقُ

قال لي والخُمارُ يُرْعِشُ كفَّيْـ ... ـهِ ورُوحي على يديه تُراقُ

أنتَ لا شكَّ هالكٌ بجفوني ... قُلْتُ زِدْني فإنها دِرْياقُ

فانتضى الكأسَ من يديَّ وأهوى ... نحوَ فِيهِ بالكأسِ وهْي دِهاقُ (6)

قال لي هاكَها شراباً طهوراً ... خلّصتْها من جِنْسِها الأرياقُ

※ ※ ※

---

(1) في ا : « صافية الدمن » ، والمثبت في : ب ، والخلاصة ، والسلافة . (2) الأبيات في سلافة العصر ٥٤٣ . (3) في ا : « جرت لصوبه عارضه » ، وفي ب : « جرت لوصوب عارضه » ، والمثبت في السلافة .

وجرض بريقه : ابتلعه بمشقة على هم وحزن .

(4) في ب : « إلى فروق » ، والمثبت في : ا ، والسلافة ، ولعلها من الفرق ، وهو الخوف .

(5) في السلافة : « وددت ولو بضرب الهام » ، وفي ا : « رعيت له » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

(6) في ب : « وهو دهاق » ، والمثبت في : ا . ودهاق : ممتلئة .

وقوله [١] :

آهِ يا غُصْنَ النَّقَا ما أَمْيَلَكْ ... حَسَدٌ يا غُصْنَ النَّقَا مَن عَذَلَكْ

قَد قَضَى لي بتَبَارِيحِ الجَوَى ... مَن قَضَى بالحُبِّ لي والحُسْنِ لَكْ

أكَلَ الحُبُّ فُؤادي بعدَما ... لاكَ مِنِّي مُهْجَتِي وعَلَكْ

هالكٌ الشامِيُّ وَجْداً وأَسًى ... ما يُبالي بحياتي لو هلَكْ

قالَ لي فِيكَ غَرامًا وجَوًى ... قاتَلَ اللهُ عَذُولاً قَتَلَكْ [٢]

حكَمَ اللهُ لِفَوْدَيَّ على ... نُسْخَةِ الشَّيْبِ وتَسْوِيدِ حَلَكْ

أتُراهم قد رأَوا أيَّ دَمٍ ... هرَقَ الواشِي على تلك الفَلَكْ [٣]

يا غُرابَ البَيْنِ لا كُنْتَ ولا ... كانَ واشٍ دَبَّ فيهم وسَلَكْ [٤]

أخَذُوا منّا وأعْطَوْا ما اشْتَهَوْا ... ما كذا يَحْكُمُ فينا مَن ملَكْ

جُرْتَ في الحُكْمِ على أهلِ الهوى ... لا تَخَفْ فالأمرُ بِيَدٍ ولَكْ

ليتَ شِعْرِي أمَلِيكٌ في الورى ... أنتَ يا إنسانَ عَيْنِي أم مَلَكْ [٥]

حكَمَ الدهرُ علينا بالنَّوَى ... هكذا تفعلُ أدوارُ الفَلَكْ

* * *

وقوله :

سيدي لا مِثْلَ مِثْلِكْ ... صُوَرُ البدرِ بشكلِكْ

ما حَكاكَ البدرُ لكن ... رامَ يَحْكِي شِسْعَ نَعْلِكْ

إنّما الحُسْنُ قَمِيصٌ ... هو قد خِيطَ لأجْلِكْ

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٧١، سلافة العصر ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) في هامش ب عن نسخة : « قال لي فيك » ، وهي رواية السلافة. (٣) هذا البيت جاء في السلافة في آخر القصيدة. (٤) هذا آخر السقط في ج، الذي سبقت الإشارة إليه.

(٥) ب : « أملوك في الورى » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة.

خُلِق العشقُ لمُثْــــلى وحــــلا الحُسْنُ لمثِلكْ

* * *

وقوله(١) :

آهِ من داءيْن بادٍ ودخيلِ وخَصِيمَيْن مَشِيبٍ وعَــذُولِ
ما على مَن طال ليلي بعدَهم لو أعانونى على ليلِي الطويلِ (٢)
عاجلَ القلبُ إليهم ناظِرِى ما أضرَّ الحسنَ بالقلبِ العَجُولِ
نادمَتْ منهم بنَانِى ناجِذِى واستْشاط الوجــدُ فى إثْرِ الحُمولِ
وبأكْنافِ المُصَــلَّى غادةٌ سنَحتْ لى مَسْنَحَ الظبي الخَذُولِ (٣)
عرضتْ شرطَ المُفَدَّى فى مِنًى يتعثَّرْنَ بأطْرافِ الذيولِ
قد عرَفْنا وَقْفةَ الرَّكْبِ دُجًى فى سنَا الجوِّ وأنفاسِ القَبولِ (٤)
إذْ شفيعِى عند لَمْياءِ الصِّبا ورسولِى خُلْسةُ اللَّحْظِ الكليلِ
نظرتْ نحْوِى ورقْراقُ السَّنا يخطَف الأبصارَ عن طَرْفٍ كحيلِ (٥)
حــكم اللهُ لقلبَيْنــا على قلَقِ القُرْطِ ووَسْواسِ الحجولِ
زاد شوقِى ياحَماماتِ اللِّوَى عاْتِيِنــا ببــكاءٍ وعويلِ
أنا أوْلَى بنُواحٍ وبُــكا لا بُلِيتُنَّ بوجْــدِى وغلِيلِى (٦)
ليت شِعْرِى والأمانِي ضَلّةٌ هل صَبا نجْدٍ إلى الغِيد رسولِى

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/ ٧١، ٧٢ ، سلافة العصر ٣٥٣، ٣٥٤ . (٢) مكانه : « بعدهم لو أعانونى على ليلى » بياض فى السلافة . (٣) فى الخلاصة : « الظبى الجذول » .
وخذلت الظبية : نفرت وتخلفت عن صواحبها .
(٤) فى ب : « فى سنا الجود » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٥) فى السلافة : « عن طرف عليل » . (٦) فى ب : « لأبليتن بوجدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة ، وفى الخلاصة :

* لا يزالانِ كوجدى وغليلِ *

يا صَبا نجدٍ ومن لى لو وعَتْ　　رَجْعَ قوْلى أو أصاخت لِسُؤلِي

أنْتِ أدْرَى ياهَناتِي بالجَوَى　　خبِّريهم بالكِ الخيرُ وقولِي

لو رأى وجهَ سُلَيْمَى عاذِلى　　لتفارقْنا على وجهٍ جميــلِ

بشَّرتْ سلمى عَذُولى بالنَّوَى　　آهِ مِمَّا أوْدعتْ سَمْعَ العَذُولِ

＊＊＊

وقوله[1] :

يا أخا البــدرِ رَوْنقاً وسناءً　　وشقيقَ المَها وتِرْبَ الغزالَهْ

ساعَدَ الخيرُ يومَ يمتُلكُ رُوحى　　لا وعينَيْك لستُ أبغِى إقالَهْ

يا عليلَ الجفونِ عَلَّلْتَ قلبى　　زاد عيْنيك عِلَّةً وذَبالَهْ[2]

ما لِمَيْنَيَّ كلَّمــا عنّ ذِكرا　　كَ تداعتْ جفونُها الهطّالَهْ

جَنَّ طَرْفى مذ غاب عنه محيَّا　　كَ جُنونِي فلا تَسَلْ ما جرَى لَهْ[3]

كنتُ قبلَ الهوى ضَنِيناً بقلبى　　خدعتْنى لِحاظُك الختّالَهْ[4]

لك قَدُّ القَنا وثغرُ الأقاحِي　　وجفونُ المَها وجِيدُ الغزالَهْ

مَن تنامَى بالرَّقْمتيْن وِدادِي　　فبعيْـــــنى غصونُه الميّالَهْ

رُبَّ ليــلٍ قصَرْتُه بغَرِيرٍ　　حلَّ من عقدِ زُلْفِه فأطالَهْ

مَن عَذِيرِى فى حبِّ طفلٍ لَعُوبٍ　　عوّدُوه سفْكَ الدِّما فحلالَهْ[5]

كلَّما صدَّ عن سوايَ دلالاً　　صَــدَّ عنّى تبرُّماً ومَلالَهْ

لستُ أنْسَى يومَ الفِراقِ وقد أذْ　　رَكَ من شَمْلنا النوَى آمالَهْ

---

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٣٢٨ ، ٣٢٩ .　(٢) فى ا : « رقة وذباله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، وفى ج ، والسلافة : « زاد جفنيك » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٣) فى الأصول : « جفونى فلا تسل » ، والمثبت فى : السلافة .　(٤) فى ا : « خدعتنى جفونك الختالة » ، وفى ب : « لحاظك المختالة » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة .　(٥) الطفل : الناعم .

غَصَبَ البَيْنُ من يدِى كُلَّ غُصْنٍ ... سَرَقَ الغصنُ لِينَه واعْتدالَهْ

فَرَّ نَشْوانَ من يدِى يتكَفَّى ... ثَقُلَ الوردُ غُصْنَه فأمالَهْ

لم تدعْ لَوْعةُ الجوى من حَشاهُ ... من حَصاةِ الفُؤادِ غيرَ ذُبالَهْ

يا لُواةَ الدُّيُونِ نفثةُ مَصْدو ... رٍ أذابتْ أنفاسُه أوْصالَهْ (١)

إن ذَوْبَ الجفونِ فى أثرِ الغا ... دِينَ أَوْلَى لناظرِى أَوْلَى لَهْ (٢)

فَلْيَلُمْنِى العذولُ ما شاء إنِّى ... لستُ لى فى هوى الحِسانِ وَلَا لَهْ (٣)

* * *

وقوله (٤) :

كِلِينِى لهمٍّ لا ينامُ ونامى ... فما الشامُ إن ضاقتْ علىَّ بشامِ

وما بى سوى أمِّ رءومٍ وجيرةٍ ... عِزازٍ علينا يا عُثَيْمُ كِرامِ

وقد كنتُ قبل البَيْنِ جَلْداً على النَّوَى ... تُطالبنى نفسى بكلِّ مَرامِ (٥)

لَصُوقاً بأكبادِ الحِسانِ مُحبَّباً ... إلى الغِيدِ يَحْلُو لى لَهُنَّ كَلامى

يقودُوننى قَوْدَ الجَنيبِ إلى الهوى ... فمالى مَنْبوذٌ إلىَّ زِمامى

وفى الرَّكْبِ مَدْلولُ اللَّحاظِ على الحشا ... يُدافِعُ عن أترابِه ويُحامى (٦)

لقد كمنتْ أمُّ المنايا بلحظِه ... كُمُونَ المنايا فى شِفارِ حُسامِ (٧)

يُشايعُه من آلِ كِسرى ضَراغِمٌ ... براثنُهم عند اللقاءِ دَوامى

يرُوحون والتِّيجانُ فوق رءوسهم ... ألا رُبَّ تِيجانٍ زَهَيْنَ بِهامِ

---

(١) اللاوى بالدين : الماطل به . وفى ب : «يالدات الديون» ، وفى ج : « يا لواذ الديون » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة . (٢) فى السلافة : « فى أثر القادين » . (٣) سقطت « لى » من : ج ، وهى فى : ا ، ب ، والسلافة . (٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/٧٢ ، سلافة العصر ٣٤٧ .

(٥) فى الخلاصة ، والسلافة : « جلدا على الأسى » . (٦) فى الخلاصة : « إلى الحشا » .

(٧) فى الخلاصة : « فى شفير حسام » ، وفى السلافة : « لقد كمنت أم المنايا . . . يكون المنايا » .

برزتُ لهم والحتفُ منّى على شفا   أرى الموتَ خلفى تارةً وأمامى[1]

أواربُ عن صحبى وأعلمُ أننى   لأوّلُ مقتولٍ بأوّلِ رامِ[2]

فناضلتُه والركبُ بين مفوّقٍ   وآخرَ مقروحِ الجوانحِ دامى[3]

أصابتْ وكانت لا تصيبُ سهامُه   وطاشتْ وكانت لا تطيشُ سهامى

كذا العيدُ يا عثمانُ إمّا مهاجرٌ   وإما خئونٌ لا يفى بذمامِ

* * *

وقوله[4] :

لمن العيسُ جُفَّلا كالنعـــامِ   يترجّحن خلفـــةَ الآرامِ

يرتقصنَ الخطى ارتقاصَ بناتِ الشّـ   ـوقِ تحت الحشى على الآكامِ

ووراءَ الشجوفِ كلُّ أناةِ الـ   ـخطوِ حىِّ الحياءِ ميتِ الكلامِ

كدُمى العاجِ فى المحاريبِ أو كالزّ   هرِ غبَّ القطـــارِ فى الأكمامِ

قد تقنّعنَ فى الشفوفِ كما قنّـ   ـعَ بدرُ الدجى بذيلِ الغمامِ[5]

ما عهدنا الظباءَ ترفلُ فى الوشـ   ـىِ ولا الوحشَ فى البرى والخزامِ[6]

قُسِّمَ الحسنُ بين قاصرةِ الطّـ   ـرفِ وأخرى مقصورةٍ فى الخيامِ[7]

منها :

كلُّ هيفاءَ حيث يعتقدُ الحبُّ   سريعِ الخطى بطىءِ القيامِ[8]

كلّما أقصـــدتْ فؤادَ كمىٍّ   بسمتْ لى عن مثلِ حبِّ الغمامِ[9]

---

(١) فى الخلاصة : « أرى الحتف خلفى » .   (٢) فى الخلاصة ، والسلافة : « لأول رام » .

(٣) فى السلافة : « وآخر مجروح الجوانح دامى » .

(٤) القصيدة فى سلافة العصر ٣٣١ ، ٣٣٢ .   (٥) فى السلافة : « قد تقنعن بالشفوف » .

(٦) فى ب ، والسلافة : « فى البرى والخدام » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٧) فى ا : « بين قاصرات الطرف » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة .   (٨) فى السلافة : « تعتقد الحب » .

(٩) فى الأصول : « بسمت له » ، والمثبت فى السلافة .

رفعتْ طَرْفَهــــا إلىَّ وقالتْ　　بأبي ما أرقَّ قلبَ الشــامى

طامعتْ صاحبي ومالتْ إلى السِّرْ　　بِ بطَرْفٍ ولا كطرفٍ دَامِى (١)

وسَبَتْني وما أبَحْتُ حِماهــــا　　بقَوامٍ آهاً له من قَوامِ

وعيونٍ أعاذَها اللهُ منهــــا　　لعبتْ بالعقول لعبَ المُدامِ

ورَسيلٍ يُطيِّبُــــلُ نشوةَ اللّيْـ　　ـلِ وناهيكُما بليلِ التّمامِ (٢)

ورمتْني والمنيَّــــةُ أسبا　　بٌ فلله ما أخفَّ الرامى

حدَّثيني وفي الحديث شفاءٌ　　ما لعينيْكِ مُحملاتٌ سَقامى (٣)

فلْتطُلْ لَوْعتي عليكِ ووَجْدي　　إنَّ قلبي يصحُّ بالأسقامِ

يانَديمَيَّ بالجِــــواءِ كِلانا　　لِهَناتٍ حَسرتُ عنها لِثامى (٤)

أعْفِياني من هَجْعةٍ تملأُ العَيْـ　　ـنَ غُروراً بطارقٍ في المَنامِ

زارني والهـــوى يُخيِّلُ لى نعـ　　ـمَ سعادا والليلُ مُرْخَى الزِّمامِ

فوقَى لى بكلِّ ما تشتهى النفـ　　ـسُ وولَّى والرَّكْبُ صَرْعَى غَرامِ (٥)

زارنى فى ذُرَا الشَّامِ ودارى　　بالمُنقّى ودارُهــا بالرِّجامِ (٦)

طافَ والهولُ مطبِقٌ بعُراهُ　　يستقيلُ الكَرَى من الإلمامِ

---

(١) فى ا : « ولا كطرف دمى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) فى ب : « وناهيك ما بليل التمام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .　(٣) فى السلافة : « وفى الحديث شفائى . . . بمحملان سقامى » .　(٤) فى السلافة : « يا نديمى بالجواى كلانى » .

والجواء : من قرقرى ، من نواحى اليمامة ، أو هو واد فى ديار عبس أو أسد فى أسافل عدنة . معجم البلدان ٢ / ١٣٥ .

(٥) فى ب : « صرعى غرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .　(٦) فى ا : « فى ذرى الشام » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

والمنقى : طريق العرب إلى الشام ، كان فى الجاهلية يسكنه أهل تهامة ، وهو أيضا بين أحد والمدينة . معجم البلدان ٤ / ٦٦٩ .

والرجام : جبل طويل أحمر ، نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنه ، يريدون عمان ، أيام الردة . معجم البلدان ٢ / ٧٥٤ .

قلتُ للطارقِ الذي طرَقَ الجوَّ وشدَّتْ له فروعُ الظلامِ (1)

كَبُرَتْ يا ظَلُومُ همةُ عينٍ طمعتْ أن تراكَ في الأحلامِ

* * *

وقوله (2) :

رقَّتْ شمائـــلُه فقلتُ نسيمُ وزكَتْ خلائقُه فقلتُ شميمُ (3)

قصَرَ الكلامَ على الملامِ وإنما لِلَحْظِهِ في وجَناتِه تكَلُّمُ (4)

شَرِقَتْ معاطفُه بأمواهِ الصِّبا وجرى عليه بَضاضةٌ ونعيمُ (5)

قد كاد تشربُه العيونُ لطافةً لكنَّ سيفَ لحاظِه مسمومُ (6)

* * *

وقوله (7) :

رشَقَتْ صُروفُ الدهرِ ماءَ نضارتي عجلانَ ما أدمى الفؤادَ وما رمى

إنَّ الذي صبغَ العـــذارَ بياضُه لم يدرِ كيف شرقتَ من خجلٍ دمَا (8)

إنَّ الذي فارقتموه ولم يمتْ [illegible] كان أحقَّ منكِ [illegible] (9)

* * *

وقوله (10) :

يا خليليَّ دعاني والهـــوى إنني عبدُ هوىً لا تعذُلانِ

عرِّجا نقضي لُباناتِ الهوى في ربوعٍ أقفرتْ منذُ زمانِ

---

(1) في سلافة العصر : « الذي صدع الجو » . (2) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ .

(3) في أ : « رقت شمائله فقلت شمول » ، وفي السلافة : « وزكت خلائقه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(4) في السلافة : « للخط في وجناته تكليم » . (5) في السلافة : « شرقت معاطفه » .

(6) في السلافة : « تشربه العيون بضاضة » .

(7) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ . (8) في السلافة : « من خجل دم » .

(9) في أ : « كان أحق منك » ، وفي السلافة : « كان أعز منك » . والمثبت في : ب ، ج .

(10) الأبيات في سلافة العصر ٣٣٠ .

مَرْبَعٌ أولع عيني بالبكا   أَمَرَ العينَ به ثم نهاني[1]

وقُصارَى الخِلِّ وجدٌ وبكا   فابْكياني قبل أن لا تبكياني[2]

يا عُرَيبًا مَنَحناهم أضلُعى   وغَضاهم نارُ شوق فى جَناني

سَوَّدُوا ما بين عيني والفَضا   ومَحَوْا عنها سوادَ الدَّيْدبانِ[3]

إن قلبًا أنتمُ سُكّانُه   ضاع منى بين شِعْب والقَنانِ[4]

***

وقوله من خمرية [5] :

هاتِها هاتِها سَبِيَّةَ حَوْلٍ   قد توانتْ ولات حين توانِ

كَنقيط الندى على وجَنات الـ   وردِ أو كالدموع فى الأجفانِ[6]

فى يدَىْ شادنٍ رقيقِ الحواشى   فوق خدَّيْه وردةٌ كالدِّهانِ[7]

هى فى خَدِّه سَبِيكُ نُضارٍ   وبِفيه عصارةُ العِقْيانِ[8]

***

منها [9] :

نسختْ سحرَ بابلٍ مُقْلتاه   فتنتي فى فَتْرة الأجفانِ

***

---

(١) فى السلافة : « مربع أولع عيني بالبكا » ، وفى ا : « أمر العين به » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٢) فى ب ، ج : « وجدا وبكا » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة ، وفى ا : « قبل أن لا تبكيان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) الديدبان : الرقيب والطليعة . القاموس (د ى د ب) .

(٤) شعب : ماء بين العقبة والقاع ، فى طريق مكة . معجم البلدان ٣/٢٩٦ .

والقنان : جبل ، فيه ماء يدعى العسيلة ، وهو لبنى أسد . معجم البلدان ٤/١٨١ .

(٥) القصيدة فى سلافة العصر ٣٤٣ ، ٣٤٤ . (٦) فى ا : « وجنات الورود » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٧) فى الأصول : « رقيق الحواشى » ، والمثبت فى السلافة .

(٨) فى ا : « عصارة العصيان » والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٩) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والسلافة .

أحسن منه قول التَّنْيِسِيّ (١) الأندلسيّ :

لولا تحدِّيه بآيةِ سحرِهِ ... ما كنتُ ممتثِلاً شريعةَ أمرِهِ
رشأٌ أصدِّقه وكاذبُ وعدِهِ ... يُبدى لعاشقه أدلَّةَ غدرِهِ
ظهرتْ نُبُوَّةُ حسنِه في فَتْرةٍ ... من جَفْنِه وضلالةٍ من شَعرِهِ

***

في رُبوعٍ كأنَّهنَّ جِنانٌ ... عطفتْ حُورَها على الوِلْدانِ
ورياضٍ كأنَّهنَّ سماءٌ ... أطلعتْ أنجُماً من الأُقْحُوانِ
بين وُرْقٍ كأنَّهن قِيانٌ ... رُكِّبَتْ في حُلوقهنَّ مَثاني
وغصونٍ كأنَّهنَّ نشاوَى ... يترقَّصْنَ عن قُدودِ الغواني
وأقاحٍ كأنَّهنَّ ثُغورٌ ... يتبسَّمْنَ في وجوهِ الحِسانِ
ونسيمُ الصَّبا يصِحُّ ويعتلُّ ... على بَرْدِه وحَرِّ جَنانِ (٢)
كلما غنَّتِ البلابلُ فيها ... رقَّصَ الدمعُ بالبكا أجفاني
عطَّفتني على الرياضِ قُدودٌ ... خلعتْ لِينَها على الأغصانِ
يتلقَّاني الأقاحُ بِبِشْرٍ ... وغصونُ النَّقا علىَّ حَوانِ (٣)

***

منها (٤) :

أين قلبي لا أين إلَّا طَلولا ... أذهبتْها الرياحُ منذ زمانِ

---

(١) مكان هذه الكلمة بياض في : ا ، وهي ساقطة من : ب ، ومثبتة في : ج .

(٢) في ا : « وحرجنان » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .   (٣) في السلافة : « ببشر ... على حران » .   (٤) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وقد ترك المحبي من القصيدة بيتا واحدا ، أورده ابن معصوم ، وهو :

قالْ لعَتْبٍ وما أظن نَوالا ... عند عَتْبٍ لواجدٍ سيانِ

أذْكرتني معاهداً وربوعاً كاد يَدْمى لذكرهنّ بَنانى
حيث غُصْنِى من الشباب رَطيبٌ وعيونُ المَها إلىّ رَوانى (١)
أطْرُد النومَ عن جفونٍ نشاوَى بحديثٍ أرَقَّ من جُثْمانى (٢)
وقوافٍ لو ساعد الجـدُّ نِيطتْ موضعَ الدُّرّ من رقاب الغوانى
سائراتٌ بيوتُهنَّ على الأل‍ـسُنِ سَيْرَ الأمثالِ فى البلدانِ
قُصُدٌ كالفرنْدِ فى صفحات المه‍ـرِ أو كالشُّنوفِ فى الآذانِ
عاصياتٌ على الطباعِ ذَلولٌ يتغنَّى بهنَّ فى الرُّكْبانِ
ساقطتْ والندَى يَطُلُّ علينا من عيونِ المَها حصَى المَرجانِ

✻ ✻ ✻

وقوله (٣) :

لا يَتَّهِمْني العاذلون على البكـ ـاء لعَبْرةٍ مَوَّهْتُهـــــا ببَنانى
يامَن يفنّـــدنى على ابنةِ و[illegible] عى إليك فغيرُ شأنِك شانى (٤)
آليتُ لا فَتَق العَذول مسامعى يوماً ولا خاط الـكرَى أجفانى
قالت عُثَيْمة قد كبِرتَ عن الصِّبـا ما لِلْكبير وصَبْوةِ الشُّبّانِ
ما الشَّيْبُ إلا كالقَـــذاةِ لناظرى فقليـــلُه وكثيرُه سِيّانِ
سَلَبتْ أساليبُ الصَّبابة من يدِى صَبْرِى وأغرَتْ ناجــذِى ببَنانى (٥)

✻ ✻ ✻

وقوله (٦) :

إذا أبْصرتُ شخصَك قلتُ بدرٌ يلوحُ وأنت إنسانُ العيونِ

---

(١) فى ا ، ب : « حين غصنى » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة . (٢) فى ا : « عن جفونى نشاوى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤ / ٧٢ ، ٧٣ ، سلافة العصر ٣٢٥ ، ٣٢٦ . (٤) فى الأصول : « منى إليك » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .
(٥) فى ا ، ج والخلاصة : « ببنانى » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة . (٦) البيتان فى سلافة العصر ٣٤٨ .

جرى ماءُ الحياةِ بِفِيكَ حتى أَمِنْتُ عليكَ من رَيْبِ المَنونِ

* * *

وقولُه (١) :

هل في القضيَّةِ أن يُشيِّعك العِدَى في ليلةٍ ناجيتُ فيكَ سُهاها (٢)

هَبْ أَنْ تُشَمِّيَ فيها بالشُّهُبِ نُجُبٌ فأَيْنَ هُمُ وبدرُ دُجاها

ليتَ التي بعثَتْ إليَّ خيالَها أَذِنَتْ لعيني أن تذوقَ كَراها

* * *

وقولُه (٣) :

طرقَتْ تخطَّى رِقْبةً تُوشين بي وعيونُهم مَطْروقةٌ بكَراها

وأنا ومَوّارِ اليَدَين نُوثَّقُ في سُجُفِ الخيامِ كأنَّنا أَطْنابُها (٤)

* * *

قلتُ: هذا مأخوذ من [illegible] متحنٍّ به عليّ.

وقد قيل: من أحيى قلبَ صديق، بكلامٍ رقيق، أَمِنَ من كلِّ حريق، وسلم في (٥) كلِّ مَضِيق.

ولو استزدتُ لزدتُ، وما قلتُ عسيتُ (٦) أو كِدتُ.

---

(١) الأبيات في: خلاصة الأثر ٤ / ٧٣، سلافة العصر ٤٥٣. (٢) في السلافة: «ناجيت فيك سهاها».

(٣) البيتان في: خلاصة الأثر ٤ / ٧٣، سلافة العصر ٤٥٣. (٤) في ب: «وأوتاد موار اليدين»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، والسلافة. وفي السلافة: «سجف الخيام». والطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت. (٥) في ا: «من»، والمثبت في: ب، ج.

(٦) في ب: «عييت»، والمثبت في: ا، ج.

١٠٣

حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن يحيى
ابن جانْدار البِقاعِيّ الكَرَكِيّ (*)

باقِعةُ البِقاع ، المُخجِل بغُرَرِه وجوهَ الرِّقاع .

طلعت محاسنُه طلوعَ النجوم الزواهِر ، وسعِدتْ تلك البقاعُ بآدابه المعجِبة البواهر .

وإذا تأمَّلتَ البقاعَ وجدتَها ... تشقَى كما تشقَى الرجالُ وتَسعَدُ

وهو وحيدٌ في كرم ضرائبه ، منفردٌ بكثرة عجائبه وغرائبه .

تستوعب محفوظاته المقروءَ والمسموعَ ، وتجمع معلوماته ماهو في الحقيقة منتهى الجموع .

وله أدب جَزْل ، وجِدٌّ مقرونٌ إلى هزل .

* * *

وأما نظمه فبابِلُ منشأ كلامه ، وما أنزل على المَلَكَيْن في ضِمْن أقلامه .

* * *

(*) حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جاندار البقاعي ، الكركي ، العاملي .

أديب ، شاعر مطبوع ، حسن الإبداع لمعاني .

وكان له اشتغال بالطب .

رحل ابن جاندار ، وتنقل في البلاد حتى حل على النظام ابن معصوم ، والد صاحب السلافة ، سنة أربع وسبعين وألف ، وطابت له الحياة في كنفه .

وله مصنفات ؛ منها : شرح نهج البلاغة ، ومختصر الأغاني .

توفي سنة ست وسبعين وألف ، عن أربع وستين سنة .

خلاصة الأثر ٢ / ٩٠ ـ ٩٤ ، سلافة العصر ٣٥٥ ـ ٣٦٧ .

وكان في أُخريات أمره، حين لم يبقَ إلا قذًى في كأس عمره.

اشتغل بالطب فأتقن [1] قواعده وأحكم، ولعب بالأرواح والأجسام كما شاء وتحكّم.

ولكنه طاشتْ سهامُ رأيه عن أغراضه، وأصابت في أُخطات النفوسَ في تخليصها من آلامِ [2] أمراضها.

فكم عليلٍ دبَّ فيه علاجه ثم درج. فأنشد:

أنا القتيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ

وتلاعبت به الظنون في مَهاوِي الغربة، إلى أن دخل الهند وهو سفيرُ الفقرِ والكربة.

فاستقبله النِّظام ابن مَعْصوم بمزيد [3] كرمه، وأنزله حيث استردَّ شبابه بعد هَرَمه إلا أنه لم تطُل مدته، حتى أخلقتْ حوادثُ الموت جِدَّتَه.

* * *

وقد أوردت من محاسنِه التي يبهر انتقادها، ويبعد عن مَظانِّ أُولي النباهة انتقادها.

ما تتهادَى منه شَمال الرُّبَى آذنت [4] بصحة الأجسام بالتكفُّل، ونسيم الصَّبا جاءت بعَرْف (٥ الصَّنْدَل وريَّا ٥) القَرَنْفُل.

فمنه قوله، من قصيدة، مستهلُّها:

هو الحب لا يُبقي على الشَّجِيِّ بارِحَا ... فصبرًا وأنَّى يردعُ الصبرُ جامِحَا

حليفَ غرامٍ مُدْنَفٍ فتكتْ به ... جوارحُ ألحاظٍ تُذيب الجوارحَا

وهل يُرْتجَى بُرْءُ السليمِ الذي غدتْ ... عليه أماراتُ الهلاكِ روائحَا

---

(١) في ا: «فأتقن»، والمثبت في: ب، ج. (٢) في ا: «الآلام»، والمثبت في: ب، ج.
(٣) في ا: «بمزيد»، والمثبت في: ب، ج. (٤) في ا: «أذنت»، وفي ج: «أذنت»، والمثبت في: ا.
(٥) ساقط من: ا، وهو في: ب، ج.

أَرَقْتُ دمى بالسَّفْحِ غَرَّاءُ نَاهِدٌ ... على مثلِهـا أمستْ دموعى سوافِحَا

مضتْ غيرَ ما أبقتْ من الوجدِ والأسَى ... ليـالٍ بنا نِلْنَـا المُنَى والمنائحَـا

برَغْمِى حلَلْتُ الدمـعَ بين طلولِهم ... فلم أرَ مُرًّا يُرْجِعُ القلبَ فارِحَا

خَـلاً مَلْعبٍ أَوْدَى بأرجائِهِ البِـلَى ... تلاعبُه هُوجُ الرياضِ روائحَا [1]

وعهـدِى به بالأمسِ للعينِ مألفٌ ... فعُوِّضَ عنهنَّ ابنُ دَايَةَ نائحَـا

* * *

ابن داية : الغراب ، وهو علم جنس ممنوع من الصرف ، سُمِّيَ به لأن أنثاه إذا طارت (من بيضها) [2] حضنها الذكرُ ، فيكون كالداية للأنثى .

* * *

وكان جَلاءَ الناظرَيْن من القَـذَى ... فأضحى يردُّ الطَّرْفَ بالدمعِ سافحًا [3]

فيا مُمْتَطِى كَوْماءَ كالهِقْلِ جَسْرَةٍ ... عَرَنْدِيَةٍ تطـوِى الرُّبَى والأباطِحَا

* * *

الكوماء : الناقة الطويلة السنام .

والهقل : الفتيّ من النعام .

والجسرة : الناقة القوية ، ويقال هى : الجرية .

والعرندية : الناقة القوية .

* * *

إذا عايَنَتْ عيناكَ كُثْبانَ رَامَةٍ ... وجازَتْ بكَ الوَجْناءُ تلكَ الصَّحاصِحَا [4]

أَنِخْها بِرَبْعٍ يَنْفَحُ الرِّيحُ رائحًـا ... تجاهَكَ من رَيَّا شَذاه الرَّوائِحَا

وبلِّغْ رعاكَ اللهُ منى أُهَيْـلَه ... سلامًا كنَشْرِ المَنْدَلِ الرَّطْبِ نافحًـا

---

(١) فى ا : « خلى ملعب » ، وفى ج : « خلا مربع » ، والمثبت فى : ب .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « يرد الطرد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ناقة وجناء : شديدة . والصحصح : ما استوى من الأرض وكان أجرد .

وقل لهمُ خلّفتُ بالشامِ مُدْنَفـــا   صريعَ اشْتياقٍ نائِيَ الدارِ نازِحا

يئِنُّ ويشكُو بانْتحابٍ ولوعةٍ   نَوَاكُم إذا أرْخَى الظلامُ لَسائحا

عسى أوْبةٌ تطفِي لهيب جوانحِي   إذا كنتَ لى فيما تحمّلتَ ناصِحا

فبِي ظمأٌ لو كان بالتُّرْبِ ماعدَتْ   على صفحةِ الأرضِ المِياهُ سوائحا (١)

ولو أن أنْفاسِي أصـاب سعيرُها   رياحَ الفَضا ما كُنّ يوماً لواقِحا

فيا قلبُ صـبراً إن يكُ الصبرُ نافعـا   فمن حارب الأيامَ لم يُلْفَ رابِحـا (٢)

رُوَيْداً هى الأيامُ لاتَرِجُ سُقْمَها   فما كان منهـا غادياً كان رائحـا (٣)

وما كان منها دانِياً كان نائياً   وما كان منهـا سانحاً كان بارِحاً (٤)

* * *

وقوله من أخرى ، أولها (٥) :

هو الحبُّ لاقُرْب يدوم ولا بُعْدُ   وقد دقّ معنى أن يُحيط به حَـــدُّ

يحارُ أولو الألبـــابِ فى كُنْهِ ذاتِه   فمن جِدّه هزلٌ ومن هزلِه جِـــدُّ

لك اللهُ قلبى كم تُجِنُّ لواعِجـاً   يذوب لأدْنَى حَرِّها الحجر الصَّلْدُ

نصَحْتُك جُهْدِى لاقبلتَ نصيحتى   فعدْلُ الهوى جوْرٌ وحُرُّ الهوى عبدُ (٦)

لقد عالج الحبَّ المُحِبُّون قبلَنا   فما نالهم إلا القطيعـةُ والصدُّ

فإن قال قومٌ إن فى العشقِ لَذّةً   فما أنصفوا هذا خلافُ الذى يبدو (٧)

نعيمٌ هو البَلْوَى ورِىٌّ هو الظَّما   وذاك فَناء الجسم يُحْسِبه الوَجْدُ

---

(١) فى ب : « على صفحة المياه سوائحا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « لم يلف رائحا » ، وفى ج : « لم يكن رائحا » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ا : « لا برح سقمها » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ج : « فهو رائحا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ج : « فهو بارحا » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٩٠ ، ٩١ .

(٦) فى ب ، وخلاصة الأثر : « لو قبلت نصيحتى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٧) فى خلاصة الأثر : « إن فى الحب لذة » .

على أننى جرَّبْتُهُ وبلَوْتُه إذا أنه كالصَّابِ ذِيفَ به الشُّهْدُ [١]
وما قلتُ جهلاً بالغرام وإنما يُصدِّق قولى من له بالهوى عهدُ [٢]

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[٣] :

مالاح بَرْقٌ بِرُبَى حاجِرِ إلَّا استهلَّ الدمعُ من ناظِرِى [٤]
ولا تذكَّرتُ عهودَ الحِمى إلا وسار القلبُ عن سائرى [٥]
أوَّاهُ كم أحمل جَوْرَ الهوى ماأشْبَهَ الأولَ بالآخِرِ
ياهل ترى يدرِى نَؤُومُ الضحى بحالِ ساهٍ فى الدجى ساهرِ
تَهُبُّ إن هبَّتْ يمانِيَّةٌ أشواقُه للرَّشَأ النافرِ
يضربُ فى الآفاقِ لايأتلِى فى جَوْبِها كالمثلِ السائرِ [٦]
طورًا تِهاميًّا وطورًا له شوقٌ إلى من حلَّ فى الحائرِ [٧]
كأنَّ ممَّا رابَه قلبَه عُلِّق فى قادِمَتَىْ طائرِ

* * *

أصل[٨] هذا المعنى لعُروة بن حِزام[٩] ، قال[١٠] :

كأنَّ قَطاةً عُلِّقتْ بجناحِها على كبِدِى من شِدَّةِ الخفَقانِ

* * *

---

(١) الذيفان : السم القاتل . وفى خلاصة الأثر : « ديف به الشهد » ، والدوف : الخلط والبل بماء ونحوه .

(٢) بعد هذا فى الخلاصة تمام القصيدة ، وهو أربعة أبيات . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩٢ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من ربا حاجر » . (٥) فى ا : « من سائرى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٦) فى ب ، ج : « فى جوها » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة . (٧) الحائر : قبر الحسين بن على رضى الله عنهما . معجم البلدان ٢/١٨٨ ، ١٨٩ . (٨) هذه المقدمة ، وبيت عروة بن حزام بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٩) عروة بن حزام بن مهاجر .

شاعر عذرى ، عرف بصاحبته عفراء ، التى حرم الزواج منها ، فضنى عشقا ، وتوفى نحو سنة ثلاثين للهجرة .

تزيين الأسواق ٧٠ ، فوات الوفيات ١/٧٠ .

(١٠) البيت فى : تزيين الأسواق ٧٤ ، فوات الوفيات ١/٧٤ .

وقوله ، من أخرى[1] :

لكَ الخيرُ لا زيدٌ يدوم ولا عمرُو ... ولا ماء يبْقَى فى الدِّنانِ ولا خمرُ

فبادِرْ إلى اللَّذَّاتِ غيرَ مُراقبٍ ... فمالكَ إن قصَّرتَ فى نَيْلها عذرُ

فإن قيل فى الشَّيْبِ الوَقارُ لأهلِه ... فذاك كلامٌ منه فى مَسْمعِى وَقْرُ[2]

وقالوا نَذيرُ الشيبِ جاء كما ترى ... فقلتُ لهم هيهات أن تُغْنِىَ النُّذْرُ

لئِنْ كان رأسِى غيَّرَ الشيبُ لونَه ... فرِقَّة طبعِى لا يغــيِّرُها الدهرُ

يقولون دَعْ عنك الغوانى فإنما ... قِصارُكَ لحْظُ العين والنَّظر الشَّزْرُ

وهل فيكَ للْغِيد الحسان بقيَّةٌ ... وقد ظهر المكنونُ وارتفع السِّتْرُ[3]

وما للغوانى وابنِ سبعين حِجَّةً ... وحِلْمُ الهوى جهلٌ ومعروفُه نُكْرُ

فقلتُ دعونى والهوى ذلك الهوى ... وما العمرُ إلا العامُ واليومُ والشهرُ

نشأتُ أحِبُّ الغِيدَ طفلاً ويافعاً ... وكهلاً ولو أوفى على المائة العمرُ

وهُنَّ وإن أعرضْنَ عنى حبائبى ... لهُنَّ علىَّ الحكمُ والنَّهْىُ والأمرُ[4]

أحاشيكَ بى منهنَّ مَن لو تعرَّضت ... لنوءِ الثريَّا لاستهلَّ لها القَطْرُ

ترقْرَق ماء الحسن فى نارِ خدِّها ... فماء ولا ماء وجمرٌ ولا جمرُ

فيا بُعْدَ ما بين الحِسانِ وبينها ... لهُنَّ جميعا شَطْرُه ولها الشطرُ[5]

برَهْرَهَةٌ صِفْرُ الوِشاحِ إذا مشَتْ ... تجاذَبَ منها الرِّدْفُ والعِطفُ والخَصْرُ[6]

من البِيض لم تغْمِس يدًا فى لَطِيمةٍ ... وقد ملأ الآفاقَ من طِيبِها نَشْرُ[7]

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩٣ ، ٩٤، سلافة العصر ٣٥٩، ٣٦٠ . (٢) فى الخلاصة ، والسلافة : « عنه فى مسمعى وقر » . (٣) فى ب ، ج : « وارتفع السر » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة . (٤) فى ب ، والخلاصة : « وإن أعرضن عنى حبائبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .
(٥) فى ج : « ما بين الحسان وبعدها » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة . وفى ب : « ولها شطر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٦) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة ، أو التى ترعد رطوبة ونعومة . القاموس (ب ر ه) . (٧) فى السلافة : « من طيها نشر » .
واللطيمة : المسك ، أو نافجته .

تَخِرُّ لها زُهْرُ الكواكبِ سُجَّدًا ... وتَعْنو لها الشمسُ المنيرةُ والبدرُ

تَخَالُ بجَفْنيها من النومِ لَوْثَةً ... وتحسَبُها سكرَى وليس بها سُكْرُ[1]

وقالوا إلى هاروتَ يُنْسَبُ سِحرُها ... أبى اللهُ بل من لَحْظِها يُؤخَذ السحرُ

تَخَالَفَ حالى فى الغرامِ وحالُها ... لها مَحْضُ وُدِّى فى الهوى ولىَ الهجرُ[2]

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[3] :

أَرَبْعَ الندى لازال نجمُك مشرِقَا ... وسَحَّ سحابُ العزِّ فيك وأغْدقَا

ولا برِحتْ فيك السُّعودُ سوانحًا ... لتجمعَ من مكنونِها ماتفرَّقَا

سقاكَ رُضابُ الغانياتِ إذا أبَتْ ... عيونُ الغوادِى فيك أن تترقرقَا

تغدُو رُباكَ السامياتُ كأنما ... كستْها يدُ الأنواءِ وَشْيًا منمَّقَا

إذا ما ذَوَى نبْتُ الرِّياضِ فنَوْرُه ... نضارتُه تبقَى إذا الدهرُ أخْلَقَا

فكم قد نَهَبْنا فيك أوقاتَ لذَّةٍ ... رَقَمْنا بها فى الدهرِ رَسْمًا مُحقَّقَا

يدير علينا اللهوُ فى طَىِّ نَشْرِها ... كُؤوسَ الصِّبا لاالبابلِىَّ المُعتَّقَا

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[4] :

أشمسُ الضحى لابل مُحَيَّاكَ أجملُ ... وخُوط النَّقا لابل قَوامُكَ أعْدلُ[5]

---

(١) فى ا : « من اللوم لوثة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى السلافة : « وهى بها سكر » . (٢) فى ب : « لها المحض ودى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة والسلافة . وتمام القصيدة ، وهو تسعة عشر بيتا ، فى السلافة .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ج ، وهذه المقدمة ، والأبيات بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والقصيدة فى سلافة العصر ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، وصدرها ، بقوله : « وقال يمدح بعض أكابر عصره » .

(٥) فى سلافة العصر : « وغصن النقا » . والخوط : الغصن الناعم .

سَفَرْتِ لنا حيثُ النجومُ كأنها ... كواعبُ في سُودِ المطارفِ تَرفُلُ

وحيث الهزيعُ الآبنُوسِيُّ حالكٌ ... كأن الدجى سِتْرٌ على الأرضِ مُسبَلُ

كأن غرابَ البَيْنِ قُصَّ جناحُه ... فليس له مَنْــأًى ولا مُتحوَّلُ[1]

كأن رياضًا من أقاحٍ ونَرْجِسٍ ... سقاهُنَّ من نهرِ المَجرّةِ جدولُ[2]

كأن الثريّا إذ تَراءتْ لنــاظري ... وِشاحٌ على زَنْدِ الزّمانِ مُفصَّــلُ[3]

كأن سُهَيْلًا والنجـــومُ توءمُه ... نوافِرُ وُرْقٍ خِلْنَ قد لاحَ أجدَلُ

كأن السُّها ذو صَبْوةٍ غالَه النوى ... فأنحـــلَه والبَيْنُ للصبِّ يُنحِلُ

كأنّا رأينــــا بالنَّعائمِ إذ بدَتْ ... نعائمَ تجتابُ الفَلا وهْيَ هُمَّلُ[4]

كأن السِّماكَيْن اسْتطارا لغارةٍ ... فهذا له رُمْحٌ وذاك أعزَلُ[5]

فلما بدا مَرْآك شابتْ فروعُــه ... وقد كان مُسوَدَّ الغدائرِ أليَلُ[6]

نزحْتَ فلا غصنُ المَسرّةِ يانعٌ ... ولا الماءُ سَلْسالٌ ولا الروضُ مُخضَلُ[7]

كأني غَداةَ البَيْنِ حاسي سُلافةٍ ... إذا شُدَّ منـــه مَفْصِلٌ هاضَ مَفصِلُ

تناولهـــا صِرْفًا ليحيي فقربتْ ... إليه الرَّدَى ممـــا يُعَلُّ ويُنْهَلُ

إذا رفعوه خرَّ مُلْقًى كأنه ... نقًا وكِلا أرجائه يتهيَّـــلُ[8]

يعـــاوده طورًا جنونٌ وتارةً ... لِما شربتْ من عقله الراحُ أخبَـــلُ

---

(١) هذا البيت والذى بعده لم يردا فى السلاقة . (٢) فى ا : « من زهر المجرة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « إذ تناءت لناظرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . وفى ب ، والسلافة : « على جيد الزمان » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) هذا البيت والذى بعده لم يردا أيضا فى السلافة .

والنعائم من منازل القمر .

(٥) السماكان : نجمان نيران ، وهما الأعزل ، والرامح .

(٦) كذا فى الأصول : « أليل » بإقواء ، والقياس نصبها ، وفى السلافة : « وكان مسود الغدائر أليل » . (٧) من أول هذا البيت إلى ما قبل قوله : « لما انثنى » لم يرد فى السلافة .

(٨) فى ا : « يتهلل » ، وفى ج : « يتميل » ، والمثبت فى : ب .

وأشكى جوًى يعتادنى لومُ لائمٍ ... وهل يرعوى ذو جِنّة ليس يعقلُ

أأسلو وبى مالو يُلِمّ بيذبلٍ ... لَدكّ لِما لاقى من الوجد يذبلُ[1]

يرومون قتلى بالملام تعمُّداً ... وما أكثروا التأنيب إلّا ليفعلوا

لك الحكمُ يادهرى بما شئتَ فارْمنِى ... أيجزعُ من حرّ الضِّرامِ السَّمَنْدَلُ[2]

* * *

السمندل : طائر هندىّ .

قال بعضهم : هو نارىٌّ يعيش فى النار كما يعيش طائر[3] الماء فى الماء .

وقال آخرون : هو طائر إذا هرم دخل نار الأتون أو نارا جاحمة[4] غيرها ، فيمكث فيها ساعات فيعود شابا .

وإياه عنى البهرانىّ[5] بقوله[6] :

وطائرٍ يسبح فى جاحمٍ ... كماهرٍ يسبحُ فى غَمْرِ

قال الجاحظ[7] : [و][8] فى السمندل آية غريبة ، وصنعة[9] عجيبة ، وداعية للتفكر[10] ، وسبب للتعجب[11] ، وذلك أنه يدخل [فى][8] أتون النار فلا تحترق[12] له ريشة .

* * *

---

(١) فى ا : « ما لم يلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
ويذبل : جبل مشهور الذكر بنجد . معجم البلدان ٤/١٠١٤ .

(٢) فى ا : «من حر الدرام» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : «طير» ، والمثبت فى : ا، ج.

(٤) فى ب : « متأججة » ، وفى ج : « أحاجه » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : «البحرانى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) البيت فى الحيوان ٦/٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٧) الحيوان ٢/١١١ ، ٦/٤٣٤ . (٨) من الحيوان . (٩) فى الحيوان : « وصفة » .

(١٠) فى ب : « التفكير » ، وفى الحيوان : « إلى التفكر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(١١) فى الحيوان : « إلى التعجب » . (١٢) فى الحيوان : « ويخرج ولا تحترق . . . » .

لَعًا لِعِثارِى كيف لا أبلغ المُنى ... وأُدرِكُ شأْواً نَيْلُه لا يُؤمَّلُ [١]

وقد شمِلَتْنى من أبى الجود نظرةٌ ... فأشرق نجمى بعدما كاد يأفُلُ [٢]

* * *

لَعًا : كلمة يُدعَى بها للعاثر ، معناها الارتفاع .

قال ابن السِّيد : هى اسم فعل مبنىّ على السكون ، والتنوين فيه علامة التنكير ، كهو فى صَهٍ ومَهٍ .

وقد بين القزّاز [٣] الفعلَ الذى لعًا اسمُه ، فقال : يقال لَعاكَ [٤] اللهُ أى نعشك الله ورفعك ، فلعا اسم النَّعْش ، وتُكتب بالألف ؛ لأن لامَها منقلبة عن واو .

* * *

وله من أخرى ، أولها :

هل طالبٌ بدم القتيـــــل ... بين المعاهـــد والطلولِ

سلَب الجمـــال فؤادَه ... ونأى عن الصبر الجميلِ

عبثتْ به أيدى الهوَى ... فهوَى بواديه المَهولِ [٥]

قسَماً بأجيـــــاد الظِّبا ... وتحيّةِ الظبْىِ الكحيلِ

ماملتُ عن نَهْج الغرا ... مِ إلى مُلاحاةِ العَــذُولِ

وَيلاه كم أطْوِى الضلو ... عَ أسًى على الداء الدَّخيلِ

ما آن أن تُقضَى لُبا ... نَاتِى وأن يُشفَى غليلِى

(١) فى ا : « وأدرك شأو ليله لا يؤمل » ، وفى السلافة : « وأدرك شأو نيله ليس يؤمل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى السلافة : « وقد أدركتنى من أبى الجود نظرة » .

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمى القزاز .
لغوى ، أديب ، توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة .
معجم الأدباء ١٨/١٠٥ ، وفيات الأعيان ٤/٩ .

(٤) فى ا ، ج : « لعالك » ، والمثبت فى : ب .

(٥) فى ب : « أيدى النوى * فهوى بواديه . . . » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبمُهجتي ظَبْيٌ شما ئِلُه أرقُّ من الشَّمولِ
فَعَمُ المُخَلْخَلِ ساحرُ الـ لحظاتِ كالرشأ الخَدُولِ (١)

* * *

الفَعَم : الملآن .

والمُخَلْخَل : موضع الخَلْخال من الساق ، ومثله المسوَّر موضع السِّوار من الذراع ، والمقلَّد : موضع القلادة من العنق ، والمقرَّط : موضع القُرط من الأذن .

والخَدُول : الممتلئ الأعضاء الدقيق العِظام .

* * *

يصْطاد أفئـدةَ الورى بحبائلِ الشَّعَر الرَّسِيلِ
قمرٌ يجلُّ عن المحا قِ ضياؤه وعن الأفولِ
أرتاعُ عنـد نهوضه جزَعًا على الخصْرِ النحيلِ

* * *

أحسن منه قول : ديك الجنّ (٢) :

وتمايلتْ فضحكتُ من أردافِها عجبًا ولكنّى بكيتُ لخصْرِها

* * *

ومما يُستجاد له قوله ، من أبيات :

لمن طَلَلٌ عافِي الرُّبوع بذى الضَّالِ ذكرتُ به ما مَرَّ من عيشىَ الخالِى
حبستُ به طَرْفى وأرسلتُ مُقلتِي وبُدِّلت إرشادى لديه بإضْلالِى
أُسائله والدمعُ ينهـلُّ وَدْقُه غرامًا فلم ينْجَع بكائى وتَسْآلِى

* * *

(١) فى الأصول هنا وفيما يأتى : « المذول » ، ولا يتفق هذا مع الشرح الآتى .

(٢) أبو محمد عبد السلام بن رغبان ، الشاعر المشهور ؛ سمى بديك الجن لخضرة كانت فى عينيه . توفى سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين .
وفيات الأعيان ٢/٣٥٦ .

وله من قصيدة ، مطلعها :

تلكَ الديارُ وهـذه أعْلامُها ... فسَلِ المَدامعَ أن يجود سِجامُها
واُطلُب لها من طَرْفك السُّقيا إذا ... أبَتِ الثُّريَّا أن يَصُوب غَمامُها
واحْبِسْ بعَقْوتِها المَطِيَّ مُسائلا ... فى مَ اسْتِباح دماءَنا آرامُها[1]
فلعل سُعْدَى أن تُساعد باللقا ... وعسى سُلَيمى أن يزورَ سلامُها
لله مسرحُ لهوِها ومَراحُـه ... ومحلُّها حيث الهوى ومُقامُها
إذ كان بالبِيض الأوانِس جِيدُها ... حالٍ وظَلَّكَ أثْلُها وثُمامُها[2]
ومُرادُ طَرْفك كلٌّ من فضَحَ القَنا ... وجَلا الظلامَ جَبينُها وقَوامُها
لو أنها عرَضتْ لِذمِّ كنيسةٍ ... سجدُوا وهانتْ عندهم أصنامُها[3]
أو خاطبَتْ مَيْتا تقادَم عهدُه ... لأذاقَه طعمَ الحياة كلامُها
لَفَّاء هيفاء القَوام سِبَحْلَةٌ ... يُصْبِي الحليمَ جلوسُها وقيامُها[4]
أثْرَتْ رَوادِفُها وأمْلَق خَصْرُها ... فتكاملتْ قَصْدًا وتمَّ تمامُها
كيف التخلُّصُ من هوى فتَّاكةٍ ... يقتادُ آسادَ العرينِ غرامُها
رفع الجمالُ حِجابَها لكنَّها ... كالشمسِ أعْيَى الطالبين مَرامُها
ياقلبُ دَعْ ذكرَ الصبابةِ للذى ... يحلُو بفيه زُعافُها وسِمامُها

***

وله من أخرى ، مستهلها[5] :

ماصاح صاحِى الوُرْق فى ألحانهِ ... إلا وأذْكره بديعُ بيـانهِ[6]
وإذا تنازَعه اللوائمُ فى الهوى ... ذكر العَقيقَ فسحَّ من أجْفـانهِ

---

(١) فى ا : « فيها استباح » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والعقوة : ما حول الدار ، والساحة .
(٢) ظلك ، يعنى أظلك . (٣) الذم ، بالكسر : القوم المعاهدون . القاموس (ذ م م) .
(٤) اللفاء : الملتفة القوام ، والسبحلة الضخمة . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩١ ، ٩٢ .
(٦) فى الخلاصة : « إلا وأسكره » .

كَلِفٌ إذا هبّت به نجديةٌ ... يذكو بها ماسحّ من أجفانِهِ [1]

مُغرًى بذكرِ العامريةِ مغرمٌ ... ظامٍ إلى عذبِ العُذَيبِ وبانِهِ

يُخفي جوًى لو حلّ يذبلَ بعضُه ... دُكّت هِضابُ الشمِّ من أركانِهِ [2]

ويرومُ إغضاءَ الجفونِ على القذَى ... فرَقًا فيُعرِبُ شأنُه عن شانِهِ [3]

يالأْمِي في حبِّ أهيفَ لو بدا ... للبدرِ لم يَعْدُده من أقرانِهِ [4]

متمنّعٍ يرنو بناظرِ جؤذرٍ ... ويلاى من وَسْنانِهِ وسِنانِهِ

أأُذادُ عن مضمارِ حَلْبةِ حبِّه ... وأنا المجلّي ويكَ خيلَ رِهانِهِ

أتلومُ من أردَى بمُهجتِه الهوى ... لا كان إن يكُ همّ في سلوانِهِ [5]

حسبي بما ألقاه من ألمِ الجوى ... ماقد ترى والعمرُ في ريعانِهِ

لو أنّ بالفلكِ المحيطِ ذُبالةً ... من حُرقتي ألهتْه عن دورانِهِ

أو حاجَ وجدي بالكواكبِ لانبرى ... بَهرامُها يشكو إلى كيوانِهِ

أو نال رضوى بعضُ ماقد نالني ... لرأيتَه كالعِهنِ قبلَ أوانِهِ [6]

أو كان يُسعِدني على قدرِ الهوى ... دمعي لَعَمّ الأرضَ من طوفانِهِ [7]

ولقد سلكتُ الحبَّ لا غِرًّا به ... وعرفتُ كُنْهَ خفيّه وعيانِهِ [8]

وعلمتُ إذ ذقتُ الغرامَ بأنني ... حاسٍ بكأسِ جميلِهِ وأبانِهِ [9]

---

(١) في ا ، ج : «يذكو بها ماباح من أشجانه» ، وفي الخلاصة : «... باح من أجفانه» ، والمثبت في : ب .

(٢) تقدم ذكر يذبل ، في صفحة ٣٨٩ .

وفي الخلاصة : «لو مس يذبل بعضه» .

(٣) في ب ، ج : «على قذى» ، والمثبت في : ا ، والخلاصة .

(٤) في ج : «لم تقدره من أقرانه» ، وفي ب ، والخلاصة : «لم تعدده» ، والمثبت في : ا .

(٥) رواية الخلاصة للبيت :

أيلومُ مَن أودَى بمهجته الهوى ... من لم يذقْ في الدهر طعمَ طعانِهِ

(٦) يشير إلى قوله تعالى في وصف يوم القيامة : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ، سورة القارعة ٤ .

(٧) في ا : «لظام الأرض» ، وفي ب ، ج : «لهم الأرض» ، والمثبت في الخلاصة .

(٨) في ا : «لا أغرابه» ، وفي ب : «لا أغرى به» ، والمثبت في : ج ، والخلاصة .

(٩) في الخلاصة : «جماله وحسانه» .

١٠٤

عبد اللطيف البَهائيّ البَعْليّ *

فاضلٌ مِلْءُ أبْرادِه ، جَمُّ الفوائد في تحْريره وإيراده .

أدبه غَضّ ، ومذهبه مُبْيَضّ .

ولُطف طبعه معتدل بين الإفراط والتفريط ، وله نثر ونظم حَلّيا الأجْياد والآذان بالتنْظيم والتقْريط .

هو وإن كان بَعْليَّ الطِّينة ، فهو دمشقيُّ المدينة .

ورَدَها وعُنْفوانه زَاه وشَرْخُه ، وفارقها وقد استمجد في البراعة عَفـارُه ومَرْخُه [(١)] .

وبها كان تلْيين خُشونته وتسهيل صعوبته وحُزونته .

إلا أنه نازَل همًّا ممِضًّا ، وسامَر أسفًا للمَضاجع مُقِضًّا .

وكان مُشارا إليه بالنباهة ، مرموقًا أن يقنِّبه حظُّه بعضَ انتباهة .

(*) عبد اللطيف بن بهاء الدين بن عبد الباقي البعلي ، الحنفي ، البهائي .

قرأ ببعلبك على جده لأمه محمد البهائي ، ثم قدم دمشق ، وعمره ست وعشرون سنة ، ولزم بها الشرف الدمشقي ، ويوسف الفتحي ، ثم سافر إلى الروم ، وهناك انحاز إلى المفتي يحيى بن عمر المنقاري .

اشتغل بالقضاء في طرابلس الشام ، ثم بغراد ، ثم حلب .

وله مصنفات ؛ منها : شرحه على فصوص ابن عربي ، وشرحه لديوان أبي فراس الحمداني .

توفي بحلب ، وهو قاض بها ، سنة اثنتين وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٤ ـ ١٦ .

(١) العفار : شجر يتخذ منه الزناد . والمرخ : شجر سريع الورى . والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي ، فتقول : في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار . أي كثرت فيهما على ما في سائر الشجر ، واستمجد : استكثر ، وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا ، وزنادها أسرع الزناد وريا . اللسان (ع ف ر) ٤ /٥٨٩ .

ثم دخل الرُّوم فأسرع البَخْت إلى إمْداده [١] ، وتمنَّتْ سُود الحَدَق لو كانت عِوَض مِدادِه .

فبقِيَ فى ذلك الأُفق وهو مُنْتاح ، وكل قلب إلى تودُّده مُرتاح .

ثم ترامَى فى وُسْع الفضا ، فأصبح فيه كُرةً لصَوْلجَان [٢] القضا .

وما زال حتى نال من حظِّه أتمَّه ، واستوفَى أجلَه المحتومَ ثَمَّه .

فطواه الدهر طَيَّ السِّجِلّ ، ومحا آثارَه التى تسمُو وتجِلّ .

* * *

ولقد أوردتُ له من شعره مايقْضِى بجَودته المُتخيِّر ، ويبْهر حسنُه الفكرَ فيغدو عليه كالواقف المتحيِّر .

فمن ذلك قوله من فَتْحيّة للسلطان محمد [٣] ، لما أرسل وزيره الفاضل [٤] ففتح إيوار [٥] ، وزَند الدولة إذ ذاك وَارٍ ، وشخصُ تلاشيها مُتوار . ونافذُ أمرِها لمِعْصَم الامْتثال سِوار .

لحلّ فى ناحيتها بجيشٍ ضاق بهم فضاؤها ، وتضعْضعت من رَحْبتهم أعضاؤها .

ودارت بينه وبين الكفّار للحرب كؤوس ، ترامتْ منهم بسببها نحو الهُلْك أنفسٌ ورءوس .

فحامت المَنايا عليهم ، وغدت ألسنةُ البِيض تتلمَّظ عليهم .

---

(١) فى ب : « مداده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « صولجان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان . انظر مقدمة التحقيق ، صفحة ٤ .

(٤) أحمد باشا بن محمد باشا ، الوزير الأعظم ، المعروف بالفاضل أحمد باشا الكوبرى الأصل ، القسطنطينى المولد ، المتوفى سنة سبع وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ـ ٣٥٦ .

(٥) كان فتح قلعة إيوار سنة أربع وسبعين وألف ، انظر فى هذه الواقعة : حقائق الأخبار ١/٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، خلاصة الأثر ١/٣٥٤ .

فكأنهم هشيمٌ حصدته ظُبا السيوف ، وقضت دُيونَ أنفسهم غرماءُ الحتوف .

ثم افتتح القلعة ، وسهّل تلك الصعوبة والمَنعة .

وتواردت البشائر بأن الله وهب الظفرَ ، وأحاق سُوء العذاب بمن كَفَر .

فعمل البهائى قصيدتَه هذه وسَيّرها ، وهى قصيدة معمورة ومطلعها :

بالفتح زاد الدينُ عــزًّا واعتلا　　والله أعظَمَ منّـــةً وتفضّلا (١)

بالنصر أنجز وعـــــدَه سبحانه　　وأعزّ جنـدَ المسلمين أولى الولا

هبّوا كما هبّ النسيمُ إذا سرى　　يقتصّ عُرضَ الأرض منهم والفلا

فى جحفلٍ ستروا البسيطةَ كثرةً　　لم تُلفِ مثلَهم النواظرُ جحفلا

أرْبَوْا على التَعداد حصراً واعتلَوْا　　من حيث لا أدرِى أواخرَهم ولا (٢)

فكأنّ وجهَ الأرض حلْقةُ خاتمٍ [illegible] ـهمُ وماء البحر قطْرٌ أسبلا (٣)

ثبتوا ثبــاتَ الراسياتِ تصبّراً [illegible] من يلتقيهمْ يَلْقَ منهم أجبُلا

شاكى السلاحِ بكلّ أبيضَ مِخْذَمٍ ما شِيمَ إلا قد أصاب المقتــلا (٤)

حتى إذا حَمِيَ الوَطيس لدى الوغى　　لم تَلْقَ إلا باســـلاً مستبسلا

أنفتْ سيوفُهمُ الغُمودَ فلا ترى　　إلا صقيلاً فى نجيـعٍ أُنهِــلا

سالتْ به البطْحــاء حتى لا ترى　　طِرْفاً بغيرِ دمِ الرقاب محجّلا

من كلّ عِلْجٍ ذاهلٍ عن نفسه　　إذ لا يرى منأى ولا متحوّلا

مَلِيءَ اللعينُ مخافةً لمّا رأى　　فى الحربِ شدّتَهم وزاد تزلزلا

فغدا يُنادِى حسرةً وتأسّفـــاً　　ياويْلتاه العمرُ ضاع سَبَهْلَلا (٥)

---

(١) فى ب ، ج : « عزا واعتلى » ، والمثبت فى : ا .　(٢) فى ب : « من حيث لا يدرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٣) فى ا : « وماء البحر قطرا أسبلا » ، وفى ب ، ج : « قطر سبلا » ، ولعل الصواب ما أثبته .　(٤) المخذم : القاطع .

(٥) ضاع سبهللا : أى فى غير شىء . القاموس (س ب هـ ل) .

مِن بعد ماقد شبَّ نيرانَ الوغَى بغُروره تعَسًا له ماأشْعلا

عَدَّ الهزيمةَ والفِرارَ غنيمةً أنِفَ الإقامة خوف أن يُستأصلا (١)

أوَ مايحقُّ له الفرارُ وقد رأى مالا يُطيقِ من الغُزاةِ تحمُّلا

جلَبَ الغُزاةُ بخيلهم وبرَجْلهم جَلَبًا عليهم ما أشدَّ وأقتلا

فنفوسُهم جزَرُ الظُّبا ونساؤهم أسْرى تئنُّ تذلُّلا وتهوُّلا

تبكى عليهنَّ البَطارِقُ حسرةً كالوُرْقِ فى جُنْحِ الدجى وتَملْمُلا

وبقيَّةُ الأسياف منهم شذَّبوا أيْدى سَبا تخذُوا الهزيمة مَعقِلا

ماضرَّهم لو سالمُوا من قبلُ أو أدَّوْا كما شُرِعَ الخراجُ تبذُّلا

ما كانَ قيصرُ أو هِرَقْلُ وتُبَّعٌ أو سيفُ ذِى يزَنٍ وكسرى أوّلا

وهلُمَّ جرًّا مثلَ أدْنَى خادمٍ لخليفةِ الله المعظَّمِ ذى العُلَى

ملكُ الورى أسَدُ الشَّرَى سامى الذُّرى حامِى حِمَى الدينِ القويمِ المُوئلا (٢)

شمسُ المعالى ابن نجدتها الذى قد حلَّ فى أوْج السعادة واعتلَى

ملكٌ علا فى المجد أعلى رتبةٍ أنِفتْ تكون له الثريَّا منزِلا (٣)

تعنُوا ملوكُ الأرضِ قاطبةً له أبدًا وتسعَى خيفةً وتذلُّلا

تخشَى سطاهُ الأُسْدُ فى آجامِها فتذوبُ منه تضاؤلا وتقلقُلا (٤)

قسمًا بطلْعته أليَّةَ صادقٍ فى حَلْفِه برِّ اليمينِ إذا ائتلَى

لم تسمحِ الأيامُ قطُّ بمثلِه ملِكٌ تعمَّمَ بالتقى وتسَرْبلا

لم يُحْصِ مادحُه جميلَ صفاتِه كلَّا ولو أفْنَى القريضَ تسلسُلا (٥)

---

(١) فى ب : « أنف النامة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « أسد الشرى حامى الذرى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « أنفت تكون لها الثريا منزلا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « فتذوب منى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « ولا أفنى القريض تسلسلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لم يألُ جهدًا فى الجهاد ولم يزلْ ... يسعى بإرسالِ الجيوش مُكمَّلا
فى نُصْرة الدين المُبين مجاهدًا ... برًّا وبحرًا للعساكر مُرسِلا
عن حَوْمة الإسلام ذَبَّ عِداتِه ... وأباد عُبَّادَ الصليبِ وزيَّلا(١)
مازال يضْرَع فى الدعاء لربِّه ... سِرًّا وجَهْرًا مُجْمِلًا ومفصِّلا
مُتوجِّها بخُلوص قلبٍ صادقٍ ... فيما انتحاه تضرُّعًا وتبتُّلا
فأتته بُشْرى الفتح وهو مُلفَّعٌ ... ثوبَ السعادة بالجلال مُسَرْبَلا
مُستيقِنًا بحُصوله ومؤمِّلا ... من ربِّه إتمامَه متوكِّلا(٢)
لازال تأتيه البشائرُ دائما ... أبدًا وتخدمه المفاخرُ والعُلَى
وأدامه عَوْنًا وغَوْثًا للورى ... وحَباه ربُّ العرشِ عمرًا أطْولا
بسَمِيِّه خيرِ الأنام محمدٍ ... والآلِ والصحبِ الكرام ذوِى الوِلا
مالاح نجمٌ فى السماء لناظرٍ ... وأضاء بدرٌ فى الدجى وتهلَّلا

* * *

وله فى المدح(٣) :

إليك دون الورَى انْتهى الكرمُ ... ومن أيادِيك تهْطِل النِّعَمُ(٤)
لن يبلُغ المدحُ فيك غايتَه ... بل دون مَعْناك تنفدُ الكلِمُ
أنت الذى تُرْتجَى مكارِمُه ... وكم أناسٍ وجودُهم عَدَمُ
أنت الذى الدهرُ دون هِمَّتِه ... وفوق هامِ السَّما له قدَمُ(٥)
مَن ذا يُضاهِيك هِمَّةً وعُلا ... وهل تَساوَى الأنوارُ والظُّلَمُ(٦)
طَوْدُ وَقارٍ بالحِلْم مُشتمِلٌ ... بحرُ نَوالٍ بالجود مُلتطِمُ

---

(١) زيله : فرقه . (٢) فى ا : «متيقنا بحصوله» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/ ١٤، ١٥ . (٤) فى الخلاصة : « تكسب النعم » . (٥) فى الخلاصة : « وفوق هام السما له قدم » . (٦) لم يرد هذا البيت فى السلافة .

يُخجِـــــل صَوْبَ الغمام نائلُه   بل دون هتّان كفِّه الدِّيَمُ
أعتــابُه مَأمَنٌ لداخلهـــا   من كلّ هَوْلٍ كأنهـــا حَرَمُ

***

وله أيضا (١) :

بأىِّ لسانٍ يحصُر العبدُ شكرَ من   دَمِى من أياديه ولحمِى وأعظُمِى (٢)
ومَن عشتُ دهراً تحت أكنافِ ظلِّه   أروح بأفضالٍ وأغدُو بأنعُمِ
وفُزْت بعلمٍ منـــه عزَّ اكتسابُه   وذاك لعَمْرِى حسرةُ المتعـــلِّمِ
ينزِّهني فى ظاهرى وسرائرى   بإرشادِه عن كل ريْبٍ ومأثَمِ
ويَمنحنى محْضَ النصيحةِ جاهداً   يُعلِّمنى طُرْقَ العُلى والتَّكرُّمِ
ولولاه مَن عبدُ اللطيف ومَن له   ومن يخدِم الأمجادَ يشرُفْ ويكرُمِ
وحسبِيَ من شكرِى اعترافى بفضله   وتصديقُ قلبى والجوارحِ والفمِ

***

وله أيضا (٣) :

مَعـاذَ الوَفا أن يُصبح العبـدُ خاليا   عن الشكرِ للمولى الذى قد وفَا ليا
وأنعمَ حـــتّى لم يدعْ لىَ مَطلباً   وأنْــكَى بما أسْدَى إلىَّ الأعاديا (٤)
وكلُّ الذى أمَّلتـــه من نَوالِهِ   حَظِيتُ به بل فوق ما كنتُ راجيا
وفرَّغ عن قلبى سوى حُبِّـــه الذى   تمكّن فى قلبى وأنعَم باليا
فغايةُ سُؤْلِى فى الزمان رِضاؤه   فأقصى المُنى أن كان عنّى راضيا (٥)

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٥، ١٦، يمدح بها المفتى يحيى بن عمر المنقارى. (٢) فى ا: «يحصر القلب شكر من»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة. (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٥، فى مدح المفتى السابق ذكره. (٤) فى ب: «وأنعم حق»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة.
(٥) فى الخلاصة: «وأقصى المنى».

ولى نفسُ حُرٍّ قد أبتْ غيرَ حبِّه ... وحاشا لمثلى أن يُرَى عنه ساليا

وقلبٌ إذا ما البرقُ أوْمَض مَوْهِناً ... قدحتُ به زَنداً من الشوق واريا [1]

تحكَّم فيه حبُّه واشتياقُهُ ... له الحكمُ فليَقْضِ الذى كان قاضيا

فلله عيشٌ مرّ لى بظلاله ... أجُرُّ به ذيلَ المآرب ضافيا [2]

أرُوح بأفضالٍ وأغدُو بأنْعُمٍ ... وأجْنى ورْدَ المحبَّة صافيا

وفُزْتُ بعلمٍ منه عزَّ اكتسابُه ... وأصبحتُ من حَلْيِ الفضائل حاليا [3]

إذا ما دجَى بحثٌ وأظلم مُشكلٌ ... أضاء بنور الفكر منه الدياجيا

يجول على نُجْبِ الذَّكاء بفكرةٍ ... أبَتْ فى الذى تُبديه إلاَّ التَّناهيا

يُغادر قدماً ذا الذكاء دقيقها ... ولا عجبٌ فالشمسُ تخفِى الدَّراريا [4]

يفوق على البحر الخِضَمِّ بعلمه ... ويرْجَح فى الحِلْم الجبالَ الرَّواسيا [5]

يُسابق أجْنادَ الرياح إلى الندى ... ويفضحُ جدْوَى راحتيْه الغواديا

نظمتُ له عِقْدَ المديح منضَّداً ... جعلتُ مكانَ الدُّرِّ فيه القوافيا

فلا زال ملحوظاً بعين عناية ... من الله فى أوْج المفاخر راقيا [6]

مدى الدهر ما لاحت بُروق لناظرٍ ... ودام على كرِّ الجديدين باقيا

---

(١) الوهن من الليل : نحو منتصفه . (٢) فى ب : «فى ظلاله» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) كرر المترجم هنا فى صدر البيت صدر البيت الثالث فى القصيدة السابقة . (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، ولم يرد فى الخلاصة ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « ويرجح فى العلم » ، وفى ج : « ويرجح فى الحكم » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة .

(٦) هذا البيت والذى يليه لم يردا فى الخلاصة .

١٠٥

حسن بن درويش الكاتب الطَّرابُلُسِيّ

شاعر مادح ، طيرُ فصاحته صادِح ، وزَنْد براعته قادح .

ومُنْشٍ كاتب يجْلُو دُمًى كواعِب ، بألْباب الرجال لَواعِب .

خطُّه حسَن كاسْمِه ، وله القيام على رَسْم الأدب ووَسْمِه .

فكأن مِدادَه مركَّب من أجزاء القلوب ، ففي كل قلبٍ من خطِّه شَهوة تدعُو إلى المطلوب .

وكان خرَج من [١] بلده حَماة [١] وهو كَهل ، ورحل بطَرابُلُس بين كنَف رَحْب . ومسرحٍ سَهْل .

فاسترجع بها شبابَه ، واستمْطر وَبْلَه ورَبابَه .

فزهَتْ به أرجاؤُها وباهتْ ، وفخَرتْ به سكَّانُها وتاهتْ [٢] .

فعكَف في نَدِيِّها الخَضْر ، يتقلَّب في العيش النَّضْر .

ويأتي من النظم بما هو أعطرُ من السَّحِيق ، ومن النثر بما هو أبْهر من دَرِّ الحَباب على خدِّ الرحِيق .

* * *

وقد أثبتُّ له [٣] من شعره قصيدتَيْن لكل منهما من الحسن علامة ، فإحداهما كافيَّة كافيَة والأخرى لاميَّة عليها من النُّضار لامَة .

---

(١) في ا : « بلده » فقط ، وفي ب : « بلاد حماة » ، والمثبت في : ج . (٢) في ا ، ج : « وباهت » ، والمثبت في : ب . (٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

فالأولى قوله ، وقد مدح بها الأمير مَنْجَكَ [١]

مالِكتى تملَّكِى ... النفسُ لن تَمَلَّكِ [٢]

وهْىَ لكَ أطوعُ من ... رَعيَّةِ المَلِكِ

إن تأمرِى تُطِعْ وإن ... تدْعِى بها تُلَبِّكِ

لِم تستَرين طَلْعةً ... فيها حَلاَ تهتُّكِى [٣]

مَهْلَكِ بى يا مَطْلَبِى ... دونكِ ألفُ مَهْلَكِ

فإن بعدْتِ تحرِقِى ... وإن دنَوْتِ تفتكِى

وإن صبرتُ لم أُطِقْ ... وإن خضعتُ تزْمُكِى [٤]

وإن طرقتُ خِفْيةً ... أهلكُ بين أهلكِ

أين لِطيْرِ مهجتِى الْـ ... ـخلاصُ من ذا الشَّرَكِ [٥]

عيشُ الخلِىِّ قد صَفَا ... ياقلبُ فاسْلُ واتْرُكِ [٦]

واُقصِد بنا سبيلَ من ... راح خليًا واسْلُكِ

ما مَن يبيتُ شاكراً ... كمن يبيتُ يشتكِى

فاخْلَعْ على العشاقِ ثوْ ... بَ جسمِكَ المُنْهَتِكِ

وانْتَهِزِ الفرصةَ قبـ ... ـلَ فوْتِها واستدْرِكِ

هذا الربيعُ مقبلٌ ... يصحبُ آلَ برْمَكِ

يكسُو لأعطافِ الرُّبَى ... غلائلاً لم تُحْكِ [٧]

---

(١) فى ا : « المنجكى » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وتقدمت ترجمة الأمير منجك ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

(٢) تملكى ، الأولى : من التملك ، والثانية : من الملل .

(٣) فى ا : « لن تسترين . . . فلا حلا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الزمك : السكوت ، أو الغضب الشديد . (٥) فى ا : « يعير مهجتى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ج : « فاسأل واترك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ا : « غلائلا لم تحسك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وحَـلَّ فى نُحورِها عقـودَ دُرِّ الحُبُكِ [1]
حتى كأنما بِهـا مجالسُنا فى الفَلَكِ
والنَّرْجِسِ اصطَفَّ وما أحسنَ صَفَّ المَلِكِ [2]
زَبَرْجَدٌ فى فضـةٍ فى ذهبٍ لم يُسبَكِ
يرنو بلَحْظِ عاشـقٍ بمَدْمعِ الطَّلِّ بُكِى
والوردُ من سَكْرتِهِ على الغصونِ مُتَّكى
تُمسك أذيالُ الصَّبا بـكفِّهِ المُمَسَّكِ
كوَجْنةِ العَذْراءِ إنْ قلت لهـا هَيْتُ لَكِ
والنَّهرِ فى يدِ النَّسيـم كالقبـا المُفرَّكِ [3]

* * *

من قول القَيْسَرانِىّ فى وصف غدير [4] :

وإذا الصَّبا هبّتْ عليْـه أتاكَ فى ثوْبٍ مُفَرَّكْ

* * *

وللغصُون حـولَه دلائـلُ المُنْهمِكِ
ألقتْ شِبـاكَ الطَّلِّ فاصْطادتْ خيـالَ السَّمكِ
والاقحُوان ضـاحِكٌ بمَبْسِمٍ لم يضحكِ
والياسَمِينُ عَرْفه الأغَضُّ له عَرْفٌ زَكى

---

(١) فى ب : « عقود ذات الحبك » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « وصف الملك » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) يعنى تكسير صفحة مائه .
(٤) أبو عبد الله محمد بن نصر ابن القيسرانى .
من شعراء الخريدة ، شاعر مجيد ، أصله من حلب ، ومنسوب إلى قيسارية بسوريا .
توفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .
خريدة القصر ، قسم الشام ٩٦/١ ، معجم الأدباء ٦٤/١٩ ، وفيات الأعيان ٨٢/٤ .
والبيت فى الخريدة ١٣٧/١ .

والطـــيرُ فى مُغرِّدٍ ووَالهٍ مُرتبِـــكِ

فى روضةٍ كأنهـــا وصفُ الأمـــيرِ مَنْجَكِ

مَن حار فى أوصافهِ كلُّ لبيبٍ وذكى

بحرٌ وفيـــه بالثّنـا ألسُنُنـــا كالفُلُكِ

ترى العيـــونُ عنـــده ال بحارَ مثـــلَ البِرَكِ

له أكفٌّ مُمْسِكتْ سُنَّة غـــيرِ مُمْسِكِ[1]

تفتكُ فى أموالهِ فَتْكَ المَهَا فى نُسُكِ[2]

وفكرُه أهْدَى لنا وَشْىَ بلادِ التُرْبُكِ

من كلِّ بيت يحتوى ابْنَةَ كسرى الملِكِ

مَشَتْ به لاهيـــةً عن عِقْدِها المُفــكَّكِ

فالدُّرُّ مِلْءُ مِسمعِى منـــه ومِلْءُ الحَنَكِ

ملكتَ رِقِّى سيـدى أفديك من مُمَلَّكِ

أدركتَ كلَّ فائتٍ وفتَّ كلَّ مُدْرِكِ

لك المعالِى وعلى الْ فضلِ ضمانُ الدَّرَكِ[3]

***

هذا من قول ابن النَّبيه[4] :

واللهِ لازلتُمْ مـــلوكَ الورى شرقاً وغرباً وعلىَّ الضمانْ

وللهرمُزِى[5] :

بِنحسِ أعادِيك دار الفلَكْ وما دار يوماً بسعْدِ فلَكْ[6]

---

(١) فى ا : « له أكف أمسكت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فتك النهى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « لك المعالى وعلا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البيت فى ديوانه ٢٣ .

(٥) ساقط من : ا ، وفى ج : « والهرمذى » ، والمثبت فى : ب . (٦) فى ب : « بنحس أعدائك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وإن همّ دهرٌ بمالا أقول ... فنفسي الفِدا وعليّ الدَّرَكْ

***

وهذه القصيدة الثانية ، وهي في مدح الأمير أيضا :

غُصنٌ أينعتْ قطوفُ دَلالِهْ ... يجتنى الحبُّ من رياض جمالِهْ

ورَشًا في مَرابضِ الأُسْد تحميهِ ... وتُدْعى بعمِّه وبخالِهْ

فاتِكٌ يحْذَر الفؤادُ تمنّيهِ ... ويخْشى الضميرُ فكرَ وِصالِهْ

أوْقفَ السُّهدَ في طريق رقادِي ... غَيْرةً أن يزورني بخيالِهْ[1]

وترُدُّ العيونَ عنه عيونٌ ... قتلتْ مَن رآه قبل قتالِهْ[2]

أعجزَ الشمسَ وهْي تنصُبُ في الأرْ ... ضِ حبالًا وقوعُ صَيْدِ ظِلالِهْ[3]

بل على وَصْلِهِ يُحيل بوعْدٍ ... وأراه مُخادِعًا بمِحالِهْ[4]

كم كَسانِي بالوعدِ ثوبَ حياةٍ ... وغدا بالِيًا بطُول مِطالِهْ

واحدُ الحسنِ كان من قبلُ لكنْ ... قد ترقّى مُذ شمّتْ نقطةَ خالِهْ

***

يريد أنه[5] بالترقّي صار عشرة جَرْيًا على أن الحسَنة بعشر أمثالها .

وأفصح السيد محمد العُرْضِي[6] عنها ، في قوله[7] :

ألِفُ القَدِّ زانَهـا نُقطةُ الخا ... لِ فصارتْ وواحدُ الحسنِ عَشْرَهْ

---

(١) في ا : « في طريق فؤادي » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ا : « عنه عيونا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « خيالا وقوع » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) المحال : الكيد وروم الأمر بالحيل . (٥) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٦) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي .

فاضل ، أديب ، ولي القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، وولي إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم ، وحين مات أخوه أبو الوفاء ، أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .

توفي سنة إحدى وسبعين وألف ، عن نحو ستين سنة .

إعلام النبلاء ٦/٣١٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤/٨٩ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٤ .

(٧) البيت في : خلاصة الأثر ٤/٩٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٨ .

وفى « شفاء الغليل »[1] للشهاب : حسَنة بمعنى الشامة والخال ، مولدة مشهورة .

قال :

بِخَدِّه شِمْتُ شامةً حُرِقتْ ... فقلتُ للقلبِ إذْ شكا شجَنَه[2]

لاتشْتَكِي مِن نارِ مُهجتِي حُرَقًا ... فإنَّ فى الخالِ أُسْوةً حسنَه[3]

***

لِيَ هُزْءٌ إذا تنفّس بالمِسْـ ... ـكِ وهُزْءٌ إذا رنا بغزالِهْ

وأرى البدرَ عنده لايُساوِى ... دِرهمًا والهلالَ إحدَى نِعالِهْ

هاكَ من ظُفْرِه هلالًا وإن شِئْـ ... ـتَ نجومًا هاكَ من خَلْخالِهْ

واستلِمْ من يمينِه الكأسَ شمسًا ... مثلَها من إنائِها فى شِمالِهْ

وتأمّــــلْ إذا تبسّم دُرًّا ... وحَبابًا طفَى على جِرْيالِه[4]

ملَكَ كلَّ مُهجة من رَعايا ... هُ وكلَّ الغرامِ من عمّالِهْ

أنا والناسُ من هواه ومن صُدْ ... غَيْه فى سِجْنِه وفى أغْلالِهْ

يسترِقُّ القلوبَ بالحسنِ لكنْ ... مَنْحِلكْ يستـــرِقُّها بكمالِهْ

هو بحرٌ تموّج الفضــــلُ فيه ... وبدا الدُّرُّ من فصيحِ مقـــالِهْ

وهو غَيْثٌ مَن استغاث يديْهِ ... أمْطرتْ بالغِنَى رُبا آمالِه[5]

وهْو للمجدِ دَوْحــةٌ حيث أغْنا ... قُ رَجانا مُطوّقاتُ نوالِهْ

كلُّ أيامنا ربيعٌ بلُقْيـــــــا ... هُ ومن لُطفِه نسيمُ اعتدالِهْ

كلُّ روضٍ فمُخصِبٌ بسجايا ... هُ وغصنٍ فمُثمِرٌ بخصـــالِهْ

لبِس الفخرَ فالمكارمُ فى أطْ ... واقِه والعَفـــافُ فى أذْيالِهْ

كلَّ وقتٍ بجُوده فى يديه ... غارةٌ شنَّهـــــا على أمْوالِهْ

لم يدعْ درهمًا ولا دينــــارًا ... غيرَ شاكٍ نقُوشُه عرضَ حالِهْ

(١) شفاء الغليل ٨٤ ، ٨٥ . (٢) فى الأصول : « إذا شكا » ، والمثبت فى شفاء الغليل .

(٣) فى الأصول : « لا تشك » ، والمثبت فى شفاء الغليل . (٤) الجريال : الخمر . (٥) فى ا : « وهو غوث » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « من استغاثه لديه » ، والمثبت فى : ا ، م .

فترى الدهرَ مُستجيشاً عليه ... وترى الدهرَ لا يمرُّ ببالِهْ

شغلته هِباتُه والمعالى ... ما رضاه الزمان من أشغالِهْ

شِيَمٌ لم تكنْ لغيرِ أبيهِ ... وأخيه وأقرباهُ وآلِهْ

أشرقتْ شمسُه وغابُوا نجوماً ... ونجومُ الباقين حول هلالِهْ

منه أبْقَى الزمان واسطَةَ العِقْـ ... ـدِ الذى بَدَّدتْه أيدى اغتيالِهْ

هو درٌّ فمن رآه يتيماً ... عرف الدهرَ ما جنَى بفعالِهْ

يا سعيداً زمانُ آبائه الما ... ضِى بإقبالِه إلى استقبالِهْ

أنت للجودِ والفضائلِ ظلٌّ ... لا أرانا الإلهُ وقتَ زوالِهْ

* * *

وله فى التضمين :

قالت أنا قهوةُ العنقودِ حين رأتْ ... لقهوة البُنِّ قدراً فى الأنام علِى

لئن علانىَ مَن دونى فلا عجبٌ ... لى أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

* * *

وقد سبقه ماماى الرُّومِىّ[1] ، إلى هذا التضمين فى قوله[2] :

قد قالت القهوةُ الحمراء وافتخرتْ ... كم قد ملكتُ ملوكَ الأعصُرِ الأُوَلِ

وقهوة القِدْرِ إن قَدْرًا علىَّ علَتْ ... لى أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ[3]

---

(١) فى ب ، ج : « مامية الرومى » ، والمثبت فى : ا ، ويقال له : ماماى ، ومامية .

وهو :

محمد بن أحمد بن عبدالله ، المعروف بمامية (ماماى) الشاعر المشهور .

أصله من الروم ، وقدم إلى دمشق فى حال صغره ، وكان فى أول أمره ينكرجيا ، ثم عزل ، فاهتم بالأدب وقول الشعر .

ثم تولى الترجمة بمحكمة الصالحية ، ثم بالكبرى وعزل منها ، ثم تولى القسمة فأثرى .

كان إليه المنتهى فى الزجل والموال والموشحات .

توفى سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

خبايا الزوايا ، لوحة ٤٦ ب ، ديوان الإسلام ، لوحة ١٧٥ ا ، ريحانة الألبا ١/٥٨ ، شذرات الذهب ٨/٤١٣ ، الكواكب السائرة ٣/٥٠ .

(٢) البيتان فى ريحانة الألبا ١/١٥٩ . (٣) فى ا : « وقهوة البن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والريحانة .

١٠٦

عبد الجليل بن محمد الطَّرَابُلُسِيّ

لقيتُه بمكة مُجاورَ عزلةٍ وسكون ، ومُعاهِد تبتُّلٍ إلى الله ورُكون .
وفيه سَجايا لِطاف ، وانْجِذاب نحو القلوب وانْعطاف .
وبيني وبينه مُصافاة ، أكَّدتْها بالقاهرة مُراعاة ومُوافاة .

* * *

وقد أنشدني أبياتا من نتائج فكره ، لم أرَ لاستحساني لها بُدًّا من ذِكْرِه .
وهي :

متى خَفَقانُ قلبٍ يَسْتكِنُّ ... وقلبُ حبيبيَ القاسِي يَحِنُّ (١)
ويُنعِم باللِّقَا كالبدرِ لَيْلاً ... ويَبْسِم عن رِضاً لي منه سِنُّ (٢)
أقول له ألا يا أيُّهَا الْـ ... ـغَزالُ الأغْيَدُ الرَّشَأُ الأغَنُّ (٣)
لقد أبلَيْتَ بالإعراضِ صَبًّا ... إذا لم تُولِهِ وُدًّا يُجَنُّ
إذا عرف الحبيبُ له وِدادِي ... فذلك منه إحْسانٌ ومَنُّ (٤)

* * *

---

(١) سقطت « متى » من : ج ، وهو في : ا ، ب ، وفي ا : « خفقات قلب » ، والمثبت في : ب ، ج.
(٢) سقط صدر هذا البيت من : ب ، وهو في : ا ، ج .
وفي ج : « ويبسم بالرضا » ، والمثبت في : ا ، ب .
(٣) في ا ، ب : « أقول لها » ، والمثبت في : ج .
(٤) في ا : « إذا عرض الحبيب » ، والمثبت في : ب ، ج .

١٠٧

رجبِ بن حجازى المعروف بالحرِيرىّ الحِمْصِىّ*

هذا رجب ، الذى فيه العجب ، شاعر ذَيِّق ، إلَّا أن خُلقه ضَيِّق .

وعلى قدرِ ماتوسَّع سَعْيا ، حُرِم مَبَرَّةً ورَعْيا .

لبَذاءة فى لسانه ، ووَحْشة ذهبتْ برَوْنق إنسانه .

يتلذَّذ بالعيْش الضَّنْك ، تلذُّذ الأجرب بالْحَكِّ .

ولا يُرى إلا على جناح طائر ، فليس يقَرُّ له قرار إلا وله عزيمة سائر .

كأنه الخبر الشَّرُود ، أو الوحش المطْرود .

وهو باقِعة مُحاجاة ، وبائقة [(١)] مُهاجاة .

يتلفَّت إلى الهجا ، تلفُّت القلوب إلى الرَّجا .

وله فى المُجون فنون ، عُدَّ فيها من أهل الأهواء والفتون .

(*) رجب بن حجازى الحمصى الأصل ، الدمشق المولد ، المعروف بالحريرى .
كان جيد النقد فى الشعر ، مع أنه لا يعرف العربية ، وزانا بالطبع وإن عرف شيئا من العروض .
وكان صحيح التخيل ، يغلب على شعره الهجاء ، والإزراء حتى بنفسه .
وله كثير من الأزجال ، والرباعيات ، والمواليا ، والموشحات ، والتواريخ ، والأحاجى ، ينظم ذلك كله فى سرعة مواتية ، من غير تكلف .
وكان قليل الحظ ، كثير السياحة ، لم يسعه مكان ، ولم يقر له قرار .
وكان يجول بين حلب ومصر ، ودائرة الشام .
وحج وجاور بالحرمين سنتين .
وكان كثير الشكوى من دهره ، لما لاقى من عنت وسوء جد .
توفى بحلب ، سنة إحدى وتسعين وألف .
خلاصة الأثر ٢ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(١) فى ا : « وباقية » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وأما غيرُها من الأشعار والأزْجال ، فهو فيها كثير التردِّى قليلُ المَجال .

* * *

وقد أثبتُّ له مالا أراه مُخِلاّ ، بل تبوَّأ للإحسان منزلا ومحِلاّ .

فمنه قوله ، من قصيدة طويلة [1] مستهلها [2] :

أبَى القلبُ إلا غراما ووجـــدَا   وطَرْفِى إلا بُكاءً وسُهْدَا

فلم يبرحِ الصبَّ تبْرِيحُـه   ولا الدمعُ راق ولم يُطْفِ وَقْدَا

فلولا النَّوَى ما ألِفْتُ البكا   ولا كان بالسُّقم جسمى تردَّى

ولا أبْتُ أرعَى نجومَ الدجى   ولا كان عنى مَنامِى تَمــدَّى

فأوَّاه صبرى مضَى لم يعـــدْ   وأما اشْتياقى فلم يُحْصَ عَدَّا

ومالى مُعِين سوى أدمعى   وقلبٍ لصَدِّ الهوى ماتصــدَّى

فلو بالكواكب مابى هوَتْ   وإلا على يَذْبُلٍ كان هَدَّا [3]

تُذكِّرُنى ساجعاتُ الرياضِ   حبيباً ورَبْعـــا رَبِيعا ووُدَّا

وما كنتُ أنسى ولكن تزيد   ولوعِى قُرْبا وصــبرىَ بُعْدَا

رعى اللهُ رَبْعـــا نعِمْنـا به   وعهداً ألِفْنـاه حيَّاه عهـدَا [4]

فما راقنى غـــيرُه منزِلا   ولاطاب عيشا ولاراق وِرْدَا [5]

فلله أيامُ ظَـــبْيِ اللِّوَى   فما كان أحْلَى جناها وأجْدَى [6]

فيامُنشِدِى دِرْ مُدامَ الهـــوى   ودَعْ ذِكْرَهندٍودعْ ذِكْرسُعْدَى [7]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ١٦١ .

(٣) تقدم ذكر يذبل ، فى صفحة ٣٨٩ .   (٤) فى ب : « رعى الله صبرا » والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٥) فى الخلاصة : « فما راقنى بعده منزل » .

وهذا آخر بيت أورده المحبى فى الخلاصة ، من هذه القصيدة .

(٦) فى ب : « أحلى جناه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٧) فى ج : « فيا منجدى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ومالى وما لِلْغَـــوانى فـكم　　تناسيتُ منهنّ صَدْراً ونَهْداً [١]

وكرِّر حديثَك عن أغْيَدٍ　　هو الظبيُ والغصنُ لَحْظاً وقَدّا

وكالبدر فى سِنّه والسَّنـــا　　له ناظرٌ مُرهَف جاز حَــــدّا

فما رقّ لى كالصَّفا قلبُـــه　　وقد لان عِطْفا رقيقاً وخَدّا [٢]

إذا قام يُقعِـــده رِدْفُه　　فلولاه ماقلتُ حُيِّيتَ نَجْدا

غزالٌ رَبِى فى رُبَا جِلّقٍ　　إذا ما رنَا لَحْظُه صاد أُسْدَا

سقى اللهُ وادى دمشق الحَيَا　　ولا زال دَهْـــراً أقاحاً ووَرْدَا

ترى نَهَراً ساكنا صارماً　　وإن هبَّ ريحٌ فقد هبَّ سردَا

فلله مُزْجِى المطـــايا إذا　　قطعتَ الفيافى وَجِيفاً ووَخْدَا [٣]

إذا جئت جِلّقَ وادى المُنى　　بها فاز من حَــلَّ ضيْفا ووَفْدَا

فسلِّمْ بُعَيْـــد استلام اليمين　　على من تسامَى مَقاما ووجْدَا [٤]

***

وقوله من أخرى ، أولها :

هل عند ذاك الحبيبِ ما عندى　　من الهوى والحنين والوُدِّ

وهل على العهدِ من وثِقتُ به　　كما عهِدْنا بذلك العهـــــدِ

وهل درَى ما أصاب مُغرَمَه　　وما لقِى من وقائـعِ البُعْدِ

عدِمتُ صبْرى والشوقُ لازمنى　　لزومَ خالِ المليحِ فى الخدِّ

وروضــةٍ قد حرستُها زمناً　　يا هل ترى كيف غصنُها بعدِى

ونَضْرةُ الورد بعـدنا بقيتْ　　أم لا بقـــاءَ لدولةِ الوردِ

---

(١) فى ب : « تناسيت منهن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « فما راق لى » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٣) الوجيف : السير السريع ، ووخد البعير: أسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام .　(٤) فى ا : « على من تسامى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

بِدْنَا ولا ثالثٌ يراقبنـــا غيرَ ابنـةِ الشُّهْدِ وابنةَ الزَّنْدِ
كصَعْدَةٍ للظـــلام طاعنةٍ سِنانُها كوكبٌ لنا يَهْدِى[1]
ومِن نعيمى بحُسن طلعتهِ ظننتُ أنِّى بجنَّةِ الخُـــلْدِ
ثملتُ من دُرِّ لفظِه وحَلَا لسمعى كالسُّلاف والشُّهْدِ[2]
إن قلتُ مولاىَ قال مبتسماً لَبَّيك ماذا تُريد يا عَبْدِى
أشكو سهامَ الجفونِ لى قصَدتْ وكدتُ أقضى بقولِ ذا قَصْدِى
كأن بالسحرِ خمرةً مُزِجتْ سُقِيتُ منها فغبتُ عن رُشْدِى
ما كان إلا كبارقٍ ومضى صَفْوِى وجاء النهارُ بالضِّدِّ[3]
فراع قلبى الصباحُ صـارمُه ياليته كان دام فى الغِمْدِ
والدهرُ إن راق للأديب فعن سَهْوٍ وجاْبُ الهموم عن عَمْدِ

* * *

وقوله من أخرى ، مطلعها :

لَعمرُك شرحُ أشواقٍ يطولُ وأشجانى وأفكارى تجولُ
وعن صبرى الجميلِ سألتُ قلبى فقال وأين يا هـذا الجميلُ
وها أنا بعــده مالى مُقامٌ وليس إلى تلاقينـــا سبيلُ
وبى ظمأٌ إلى وِرْدِ التَّلاقى ومن جَفْنِى دماً دَمْعى يسيلُ
سُـــقِى زمنُ التَّدانى حيث كُنَّا ولا كان الرَّقيبُ ولا العَذُولُ
وغصنُ البـــان أجْنِى منه ورداً بأحْداقى وفى عقــلى يميلُ
ويُسكرنى بدُرٍّ من عقِيقٍ فتخجل من شمائـــله الشَّمُولُ

---

(١) فى ب : « كصعدة للظلوم » ، وفى ج : « كصعدة الظلام » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ا : « من در لحظه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « كبارق ومضا » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ج .

رقيقٌ لان عِطْفًا رَقَّ خَصْراً ... وجار علىَّ ناظرهُ الكحيلُ

يذكّرنى البروق له ابتسامٌ ... ويُشْجِينى من الوُرْقِ الهديلُ

وشِمْت البرقَ فى الظلماء سيفاً ... على ضعف الكرى ماضٍ يصولُ

تُرى الأيام تنظمنا بمصرٍ ... ويَحْظَى فى بُثَينته جميلُ

تُرَى ما حالُ ذاك البدر بعدى ... أزاهٍ أم كما عنه يقولوا[1]

وليلٍ زارنى منه خيالٌ ... سُرِرت به وقد رَقَّ الملولُ

فأرشفنى مُداما من أقاحٍ ... وجاد بوردِهِ الخدُّ الأسيلُ

وقد أنكرتُ فيه نبتَ آسٍ ... فقلتُ الآسُ يَهْواه العليلُ

وعهدى فيه كالمرآة صافٍ ... صَقيلٍ كم به فُتِنتْ عقولُ

وكالروضِ النَّضير فقال هذا ... سِياجٌ قلتُ كيف لنا دخولُ

فقال الوردُ ليس له بقاءٌ ... وعهد الآسِ باقٍ لا يحولُ[2]

فقلتُ الآسُ بغيةُ أهل مصرٍ ... وراعِبهُ بجِلّقنا قليلُ[3]

رفَقتُ فلم أجدْ للوصلِ أصلاً ... وبان الروضُ والظلُّ الظليلُ[4]

* * *

وكان له بمصر رفيق خليع ، خطف لِصٌّ عمامتَه وشجَّ رأسه ، فكتب إليه يُسلّيه :

إمامَ الفضل مَن حاز الكرامَهْ ... لرُزْئك قال طَرْفى للكرَى مَهْ

أقام وقوعُك الأحزانَ عندى ... وقد شاهدتُ أهوالَ القيامَهْ

فكيف وأنت لى خِلٌّ أنيسٌ ... ومِن دون الورى أهوَى كلامَهْ

(١) فى ا : « كما عنه يقول » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « وعهدى الآس » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « وراعبه بجلقنا » ، وفى ب : « وراقبه بجلقنا » ، والمثبت فى : ج .
(٤) فى ب : « وفقت فلم أجد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لياليَنا بسُكُم سبقتْ تُحاكي   ليالٍ قد تقضَّت في تِهامَهْ (١)

تُدير النظمَ ممزوجاً بنــثْرٍ   فَتُسكرُنا ولا صِرْفُ المُدامَهْ

يمينُ اللصِّ لا كانتْ وشَلَّتْ   وعن قُرْبٍ يُرَى من غير هامَهْ

على خطْف العمامة قد تعــدَّى   ولـكن سوف تُدركه النَّدامَهْ

ويأكل لحمَه عَضًّا ويبْكي   إذا ما الصبحُ قد أبدى ابْتسامَهْ

على شيء إذا ما رام بَيْعًا   فأعْلَى قيمــةً منه القُلامَهْ

ويقـــرَعُ سِنَّهُ أسَفًا وغَبْنًا   وليس يُفيده قطعُ السَّلامَهْ (٢)

ويُدْمِي رأسَه قهراً قِصاصاً   كما أدْماك لَطْماً في الدِّعامَهْ

كرامٍ رامَ أن يَرْبِي ظَليماً   فطاش السهمُ لم يبلُغْ مَرامَهْ (٣)

وكان غلامُـــه بالقُرْب منه   فأرْماه ولم يُصِب النَّعـامَهْ

فلا تأسفْ على نسجٍ ضعيفٍ   كبيْت العنكبوت بلا إقامَهْ (٤)

وحقِّـــك ليس تنفعه بشيء   كما في الصيفِ لم تُجْدِ الغَمامَهْ

لقـد طالت بحال الدَّثْرِ عُمراً   وقد شهدتْ هَوازنَ واليمامَهْ

مُخَضْرَمةٌ فلو نطقتْ لقالتْ   شهدتُ مُهَلْهِلاً وأبا قُدامَهْ (٥)

كذا الرَّقَّا السَّرِيُّ صحبتُ دهراً   قدمتُ عليه بعد أبي دُلامَهْ (٦)

وكان مع الحريريِّ الحادي   ولولم يَقْضِ ألَّفَ بي مَقامَهْ

❊ ❊ ❊

(١) كذا في الأصول : « ليال قد تقضت » ، والقياس : « ليالى قد تقضت » .

(٢) فى ا : « أسفا وخوفا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « وليس يطيره قطع السلامة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) الظليم : ذكر النعام . (٤) فى ا : « على شيخ ضعيف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) لعله يعنى أبا قدامة الأنصارى . انظر أسد الغابة ٥/٢٧٥ .

(٦) أبو دلامة زند بن الجون الأسدى ، شاعر يعرف بظرفه ودعابته ، توفى سنة إحدى وستين ومائة . الأغانى ١٠/٢٣٥ ، وفيات الأعيان ٢/٧١ .

(فصل فى وصف عمامة)

عمامة ولعتْ[1] بها أيدى الزمان ، ورفعت عنها من التمزيق الأمان .
كفؤاد عُرْوة فى الرِّقَّة ، لو أحْصيْت نفقة رَفْوِها زادت على مال الرَّقَّة .
ولِطُول تَرْدادها إلى الرَّفَّا لو أفلتتْ لعرفت مكانَه ، وماجهلت دُكَّانَه ، ولأمْكنتْ من قَطْع المسافة إمْكانَه .

فكأنّ الأيّامَ إذْ أَلْبستْها نُسِجتْ فوق شَخْصِها العنكبوتُ

* * *

وللحريرىِّ مُعمّىً[2] فى اسم أحمد :

أفْدِى المليحَ الذى أوصافُه كَمُلتْ كالظّبْيِ لمَّا رنا والبدرِ حين بدَا
فى القلب أنزلْتُه لى راقَ مَبْسِمُه والغُصن لما تَثنَّى قدُّه سجَدَا

* * *

وله فى اسم يوسف :

ومَليحٍ عزيزٍ حُسْنٍ بمصرٍ قَدَّ قلبى وزاد حزنى وأكْمَدْ
خَدُّه الشمسُ لاح والصدغُ بالخا لِ حَماهُ حُسامُ جَفْنٍ مُجرَّدْ

* * *

وله فى اسم رمضان :

وبدرِ كمالٍ لاح فى حُلَلِ البَهَا تبسَّم عن دُرٍّ نَظِيمٍ وعن شُهْدِ

---

(١) فى ا : « لعبت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

كخاتم دُرٍّ ثغرُه وبلحظِه ... حمى حُسنَه والخالُ في صفحة الخدّْ

* * *

وله في اسم عثمان :

قد قلتُ يوماً للرَّشا ... سِرْ بي إلى روضِ الأزاهِرْ

فأجاب إن كان الرقيـ ... ـبُ هناك طِيبُ العيش نادِرْ

* * *

وله في اسم مصطفى :

يا عاذِلي في أغرِّ الوجه دعْ عَذَلِي ... لأجْلِهِ قد ألفتُ الوَجْدَ والحُرَقا

كم دُرتُ مِحْرابَه ظامي الفؤادِ كذا ... دُرْ أنتَ يا عاذِلي واعْذُرْ فتًى عشِقا(١)

* * *

وله في حيدر :

سقَى ليلةً زار الحبيبُ وعندما ... أقام وعن قلبي المَشُوقِ نَفَى هَمَّهْ

لثمتُ مكانَ العِقْدِ من غير حاجبٍ ... وقلتُ لقلبي قد كفاكَ بها نِعْمَهْ

* * *

---

(١) في ا : « كم درت بحرابه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ب : « وأنت يا عاذلي » ، وفي ج : « أدر أنت يا عاذلي » ، والمثبت في : ا .

١٠٨

عبد النافع بن عمر الحَمَوِىّ*

أَلْمَعِىٌّ مشهود له بقوّة إدراكِه ، وفيه قابليَّة لاخْتصاصِه ببعض العلوم واشتراكِه.
بلسان أحدَّ من السيف إذا تجرّد من القِراب ، وفكرٍ إذا أراد البحر أن يحكيَه
فى غَوْره وقع فى الاضْطِراب .

* * *

وله أدب كالروض تفتّقتْ نَسماتُه ، وشعرٍ كالصبح تألَّقت[1] قَسماتُه .
لكنه نكَّب عن المَطْبَع[2] الجزْل ، وذهب مذهبَ الهجْو والهزْل .
إلا فى النادر فربما جَدّ ، ثم أَخْلَق منه ما اسْتجدّ .

* * *

وكان دخل طرابُلُس ، وبنو سيفا[3] فى الوجود ، والأمير محمد بينهم كالفضل[4]
بين البرامكة فى الفضل والجود .

(*) عبد النافع بن عمر الحموى ، الحنفى ، الأديب .
نزيل طرابلس .
كان فى غاية الذكاء ، والفطنة والتضلع من أنواع الفنون .
اتصل بالقاضى محمد بن الأعوج ، وأقرأ أولاده القرآن ، فجعله كاتبا بمحكمة حماة ، ثم إنه ترقى إلى أن أفتى ، وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان .
كان مولعا بالهجاء ، حتى إنه هجا بنى الأعوج أصحاب نعمته .
ومن مؤلفاته : منظومة فى العقائد اسمها « الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية » ، و « تفسير سورة الإخلاص » .
توفى سنة عشرة وألف ، بأدلب الصغرى .
خلاصة الأثر ٣ / ٩٠ ــ ٩٣ ، ريحانة الألبا ٢ / ١٤٥ .

(١) فى ب : « تألفت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « المطبع » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) تقدم ذكر بنى سيفا ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦ . (٤) يعنى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ، وزير هارون الرشيد ، المنكوب ، المتوفى سنه ثلاث وتسعين ومائة .

مُنِيل الأمانى بلا مِنَّة الحَقَب[1]، مُتَهلِّل يضَع الهِناء موضع النُّقَب .

وهو مَقصِد يتزوَّد ذِكرَه المسافر ، ويعمل إلى لقائه الخُفّ والحافر .

فحل عنده حاول النوم من[2] الأحْداق والمُدام من الأقْداح ، وبقِىَ عنده يتْحفه بدرّ الأثْنية ويجلب إليه غُرَر الأمْداح .

حتى دهمتهم داهمة ابن جانْبُولاذ[3] ، وتضعْضع منهم ركنٌ يُحتمَى به فى الدهر ويُلاذ .

عندها أقْلع إلى أدلب فكأنما دعاه إليه الأجَل ، ومضى إلى الله تعالى على وجه السرعة والعجَل .

***

وقد جئتُ من شعره بما هو أحلى [4]فى الأفواه[4] من الشُّهْد ، وأشهى إلى العيون من النوم بعد السُّهْد .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة :

أمُعذِّبى رِفْقاً بصبٍّ مُغرَمِ ... أضحى كمثل ابن السبيلِ الغارمِ

فلقد جعلت الدمعَ وَقْفاً جارياً ... يختار منه ذو البكاء الدائمِ

فاعجَبْ لدمعى سائلاً متصدِّقا ... واعجَبْ لواقفة المُقيمِ الهائمِ[5]

هل أنت راحمُ ما ترى يامُتلِفِى ... من حالتى أم أنت لستَ براحمِ

فلقد جرى ماقد كفى ولقد كفى ... ماقد جرى من مَدْمعى المتلاطمِ

يارُبَّ ليلٍ طائلٍ ماتحته ... من طائلٍ غير العَناء اللازمِ

مَدَّتْ به طُنُبُ الظلامِ فلا ترى ... إلّا نجوماً فى سوادٍ فاحمِ

---

(١) الحقب : الحبس ، والمنع . (٢) فى ا : «فى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) تقدم ذكر هذا الأمر فى الجزء الأول، صفحة ٥٦ . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ا : «فاعجب لدمع» ، والمثبت فى : ب ، ج .

فكأنها عطشى فتشرب ما بدَا ... من فجره شُرْبَ النَّزِيفِ الحائمِ[1]

لو لم يكنْ فَرْعُ الحبيب مُشبِّها ... بسَوادِه لغدَوْتُ أبلَغ شاتمِ

قاسيتُ فيه كلَّ هَوْلٍ هائلٍ ... وركبتُ منه كل مَتْنٍ قاتمِ

حتى بدَا ضوءُ الصباح كأنه ... إشراقُ وجهِ محمّدِ بن القاسمِ

***

وقوله، وهو من بدائعه[2]:

كأنَّ الدجَى طَرْفٌ على الصبح مُوكَأٌ[3] ... ولكن لطُول الامْتلا والبِلَى انفَلَقْ

فسال فغطّى أنجُمًا ماتعلّقتْ ... لقصْر المدى سَبْحًا فأدركها الغَرَقْ[4]

***

قلت: لقد أجاد، وإن كان تناوله من قول ابن تَمِيم[5]:

انظُر إلى الصبح البديع وقد بدَا ... يَغْشَى الظلامَ بمائِه المتدفّقِ

غرقت به زُهْرُ النجوم وإنما ... سلِم الهلالُ لأنه كالزورقِ

والضِّدُّ أقرب خُطورًا[6] بالبال[7] عند ذكر ضِدِّه.

---

(١) فى ا: «وكأنها»، والمثبت فى: ب، ج.
والنزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه.

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٩٢/٣.   (٣) فى ب: «وكأن الدجى»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة، وفى ج: «على الصبح موكلا»، والمثبت فى: ا، ب، والخلاصة.

(٤) فى ب: «أنجما ما تعلقت»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة، وفى ا: «لقصر الدجى»، والمثبت فى ب، ج.

(٥) محمد بن يعقوب بن على الإسعردى، مجير الدين بن تميم.
سكن حماة، وخدم الملك المنصور، وكان جنديا محتشما، شجاعا، مطبوعا، كريم الأخلاق، بديع النظم، رقيقه، لطيف التخيل.
توفى بحماة، سنة أربع وثمانين وستمائة.
فوات الوفيات ٥٣٨/٢ – ٥٤٦.

(٦) فى ب: «حضورا»، والمثبت فى: ا، ج.   (٧) فى ب: «بالجمال»، والمثبت فى: ا، ج.

تذكرت هنا قول أبى على البَصِير ، وفى الثانى نظَر :

وجُفونُ عينِك قد نَثَرْنَ من البكا فوق المَدامعِ لُؤلُؤًا وعَقِيقَا
لو لم يكُنْ إنسانُ عينِك سابِحاً فى بحرِ مُقْلتِه لَمات غرِيقَا

ولابن العطار[1] فى غرق الليل :

صبحٌ يلُوح وشخصُ الليل مُنْغمِسٌ فيه كما غَرِق الزَّنْجِيُّ فى نَهرِ

* * *

ومن أهاجى المترجم قوله فى قاض بحَماة[2] :

من شَرِّ بيتٍ شرُّ قاضٍ أتى حماته يا قُبحَ ما استحسنَتْ[3]
أبُوه مُحْتالٌ دَنِيٌّ وكم فى رأسِه من دَوْحةٍ أغْصَنَتْ
وأُمُّه مريم لكنها وعيشِكم ليس التى أحْصَنَتْ

(٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على الدنيسرى ، المعروف بابن العطار .
اشتغل بالفقه قليلا ، ثم توالم بالأدب ونظم الشعر ، فأكثر وأجاد .
توفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ١/٣٠٦ ـ ٣٠٨ ، النجوم الزاهرة ١٢/١٢٨ .
(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٩٢ . (٣) فى ا : « حماة يا قبح » ، وفى ج : « حمامة يا قبح » ، والمثبت فى ب ، والخلاصة .

١٠٩

الأمير حسن بن محمد ، المعروف بابن الأعوَج *

حاكم حَماة صانها الله وحَماها ، ولا زالت حَوامِل المُزْن تحُطُّ أثقالها بحِماها .

أميرٌ وابن أمير ، وروض نضير ، أنشأه[1] ماءٌ نمير .

تلقَّى رايةَ المجد بيمين عَرابَة[2] ، وما أتى أمراً قطُّ وفيه غَرابة .

وجلَا الإمارةَ فى رَفيفِ نضارةٍ جلْتِ الدجى فى حُلَّةِ الأنْوارِ[3]

فى حيثُ وَشَّح لَبَّه بقِلادةٍ منها وحلَّى معْصَمًا بسِوارِ

فهو فارس مَيْدان اليَراع والصِّفاح ، وصاحب الرماح الخَطِّيَّة والأقلام الفِصاح .

فالسيفُ من جملة خَدَمِه ، والقلم يقوم فى خدْمته على رأسه عِوَض قدمِه .

(*) الأمير أبو الفوارس حسن بن محمد ، المعروف بابن الأعوج .

ولد بحماة ، ونشأ بها ، وقرأ على علماء بلده علوم العربية ، والفنون الأدبية .

وسافر إلى الروم فى أيام السلطان مراد بن سليم شاه ، واجتمع بمعلمه المولى سعد الدين بن حسن جان ، فجمعه بالسلطان ، ومدحهما بعدة قصائد ، فولاه ولاية حماة ، ثم عزل ، ثم ولى إمارة معرة النعمان ، ثم عزل ، وتكرر توليته وعزله لحماة ومعرة النعمان .

وقد كان مجلسه منتدى للأدباء والشعراء من الأقطار ، واجتمع عنده منهم ما لم يجتمع عند أحد من أمراء عصره .

توفى الأمير حسن ، سنة تسع عشرة وألف ، ودفن أمام داره بجامع المرابد .

خلاصة الأثر ٢/٤٥ ـ ٥١ .

(١) فى ب : « إنشاؤه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) هو عرابة بن أوس الأوسى الأنصارى ، الصحابى الجليل ، المتوفى نحو سنة ستين للهجرة .

وهو يشير إلى قول الشماخ بن ضرار فيه :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

أسد الغابة ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ديوان الشماخ ٩٧ .

(٣) فى ب : « فى رفيق نضارة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يكتب فيجعل للأقلام حُجَّةً قاطعةً على السيوف ، ويَنْتَضى سيفَه فيقول القلمُ مالى بارقةٌ فى مَيْدان هذا الحُتوف .

وإن جرى[(١)] أدْهمُ قلمه فى حَوْمة البراعة فهو سبَّاقُ الغايات ، وإن غرَّدت حمائمُ نفثاته على غصون أقْلامه قيل جاء من الزَّمْر ما غطَّى على النَّايات .

وهو جَواد مبسوط الكفّ ، ما أعرض يوماً عن مَكرُمة ولا كَفّ .

فجُوده يُغنِى عن القَطْر إذا شمّ الغَمام ، ونِعَمُه هى الأطواق والناس الحَمام .

وكان عصرُه كابْتسام البرق إذا خفَق ، والصبحِ إذا تكشَّف عن الشَّفَق .

لم يتعلَّق أرَجُ الكرم بغير أثوابِه ، ولم يتعشَّق صَبُّ الثناء إلا تراب أبوابِه .

وأهل الأدب يروحون إليه على وَجْد ويغْدون على وُجْد ، ويتنافسون على[(٢)] مدائح[(٣)] أخلاق خُلِقنَ من مَحْض المجد .

وهو مع شُغْله بالمَنْصب ، وتشتُّت فكره بغرض[(٤)] المتعصِّب .

لا يخلو من مُطارحات تدلُّ على نُدَماء مجلسه بإيرادها ، ومناظيمَ يَجْلو بها عليهم الحُورَ العِينَ فى أبْرادها .

* * *

وشعرُه مثقف المَبانى ، له اتِّحاد بالمَثالث والمَثانى .

أبْرَزْت منه إلى العيان ، ما هو ألذُّ من[(٥)] عَزْف القِيان[(٥)] .

فمنه قوله من قصيدة يشتكى فيها من الزمان[(٦)] :

حادىَ العِيسِ سِرْ بغير ارْتيابِ ... ففؤادى قد حَنّ للاغْتراب

لا أُرِيد الأوطـانَ والذلّ فيها ... واضِعاً طوقَه بأعلى الرِّقاب[(٧)]

(١) فى ب ، ج : « أجرى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ب : « مدح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : «يعرض» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : «عرق القنان» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٦ ، ٤٧ . (٧) فى خلاصة الأثر : « والذل فيها * واضع ... » .

ولو أنّى قضّيتُ فيهـا سروراً · فى شبابى لم أكتئبْ لمُصابى[1]

بل تولّتْ نضـارةُ العمرِ منّى · بين عَيْشٍ ضَنْكٍ وفَرْطِ اكْتئابِ[2]

فالفرارَ الفرارَ من دار هُونٍ · تركَتْنى أشكو زمانَ الشبابِ

وإذا الضَّـيْمُ ما أقام فأخْبِبْ · بجيـادٍ تمرُّ مرَّ السحابِ

لم يكن فى مُقامِ ذَا اللُّبِّ فضلٌ · قطَعَ السيفُ وهْو ضِمْنُ القِرابِ[3]

أدركَ المسـكُ بالتنقّل شأواً · وهْو فى أرضِـه دُوَينُ الترابِ

فالفتى الشهمُ من إذا شام ضَيْماً · لا يُبـالِى بفُرْقَة الأحبابِ

منها[4] :

كيف مُكْثى مابين أظْهُرِ قومٍ · عهـدُهم فى ثَباتِه كسرابِ[5]

جارُهم إن غـدا عزيزاً عليهمْ · كان كالشّاةِ فى مَقِيلِ الذئابِ[6]

هم إذا صادَرُوا أسودَ شَرَاءٍ · وإذا حارَبوا فدون الـكلابِ

كم أناسٍ من دارِهم أخرجوهمْ · ليَسُومُوهم بسوءِ العـذابِ

إن فِرْعَوْن ثم نَمْرودَ كانا · دونَهم فى اخْتراع سوءِ العذابِ[7]

ومَساوِيهمُ التى مِثْلُ هـذا · عَدَدُ الرملِ والحصا والترابِ

ربِّ يامن أباد عاداً وأوْدَى · بثَمُودٍ ذوِى النفوسِ الصِّعابِ

لا تذَرْ منهمُ على الأرضِ شخصاً · إنهم جاحـدون نَصَّ الـكتابِ

---

(١) فى ب : « لمصاب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) فى خلاصة الأثر : « نضارة العزمى » . (٣) فى الخلاصة : « لو يكن فى مقام ذى اللب فضل » . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والأبيات متصلة فى خلاصة الأثر . (٥) بعد هذا البيت فى ب زيادة « منها » على ما فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى ب ، ج : « فى مقيل الذباب » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة . (٧) رواية الخلاصة :

* دونَهمْ فى اخْتراعِ شُؤْمِ العقابِ *

وانتقِمْ مُسرِعاً وعجِّلْ عليهمْ ليس فينا صبرٌ ليوم الحسابِ

* * *

قوله : « قطع السيف » إلخ . من قول بعضهم :

السيفُ لايقطَع فى قِرابه ، والليثُ لا[1] يفترس فى غابه .

وقوله : « أدرك المسك » ، من قولهم :

المَنْدَل الرَّطْب حطَب فى أوطانه ، والمِسك دمٌ فى سُرَر غِزْلانه .

* * *

وله من قصيدة أخرى ، أولها :

تبدَّتْ فأضْحى البدرُ فى الأُفْق غائباَ وشامَتْ فوَلَّى الظَّبْىُ فى البِيدِ هارباَ

رَبِيبةُ خِدْرٍ يحرس الحسنُ وجهَها بسهم لِحاظٍ يجعل القوسَ حاجِباَ

إذا ابْتسمتْ عن صُبْحِ ثَغْرٍ مُنوَّرٍ تُشاهد منها فى النهار كوا كِباَ

وإن برزَتْ فى أسْود الشَّعْر ضَحْوةً رأيتَ الدجى للصبح أضحى مُصاحباَ[2]

فما دَوْحةٌ سَقى النَّدَى نَسْجَ بُرْدِها وحا كَتْ حِبالُ الشمس منه جَلائباَ[3]

مُلوَّنةٌ من خَيْط ليلٍ وفجرِه مُنوَّعةَ الألْوانِ تُبْدِى العجائباَ

إذا سائلُ الغُدرانِ حَنَّ صَداؤه وطائرُها المَيْمونُ غَنَّى مُجاوِباَ

بأبْهجَ منها حُلَّةً وطَراوةً وأخْصبَ مَرْعًى من حِماها وجانِباَ

لها لاَلِعزَّ حُقَّ وَصْفُ كُثَيِّرٍ وتَوْبة فى لَيْلَى أعادتْه كاذِباَ

* * *

صِدْقُ[4] تَوْبةَ ليلى[5] مشهورٌ ، وأصله ماروِىَ[6] أنه لمَّا شُغِف بها ، وأشتهر أمره وأمرها به ، قال :

---

(١) فى ا : « لم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «فى أسود الثغر» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ج : « فما دوحة يبدى الندى نسج بردها » ، وفى ا : « سقى الندمان تسبح بردها » ، والمثبت فى : ب . (٤) فى ب بعد هذا زيادة : « فى » على ما فى : ا ، ج . (٥) يعنى توبة بن الحمير العامرى ، وليلى الأخيلية ، على ما يأتى . (٦) الخبر فى الأغانى ١١/ ٢٤٤ ،وقد تصرف فيه المحبى .

ولو أنَّ ليلى الأخْيَلِيَّةَ سلَّمتْ   عليَّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ

لسلَّمْتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا   إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ[1]

فيُقال : إنها مرَّت على قبره ، وهى راكبة على جمل ، ومعها زوجُها ، فقال لها زوجها : هذا قبر الكذَّاب ، سلِّمِى عليه ، حتى ننظُر وعدَه .

فقالت له : خَلِّه ، فقد مات إلى رحمة الله تعالى .

فقال لها : لابُدَّ من ذلك .

فسلَّمت عليه ، فطار من جانب قبره[2] طائرٌ ، فهاج جملُها ، فوقعتْ اندقَّت عنقُها ، فدفنوها إلى جانبه .

أخرجه صاحب « الأغانى » عن المَدائنىّ .

***

وله فى النَّسِيب[3] :

آهِ مَن لى بظَبْيةٍ فتَّانَهْ   وهْىَ تلهو ومُهجتِى وَلْهانَهْ

ذاتُ ثَغرٍ كأنه اللؤلؤ الرَّ   طْبُ حكى كفُّها وحاكى بنانَهْ[4]

***

قولهم[5] : « فى اللؤلؤ الرطب » كناية عما فيه من ماء الرَّوْنَق والبَها ، ونَعْمة البَشْرة وتمام النقا ؛ لأن الرطوبة[6] فصل مقدَّم[6] لذات الماء ، فهى[7] تنُوب عنه فى الذكر ، وليس يعنى بالرطوبة[8] فيه المعنى[8] الذى هو نقيضُ اليُبوسة .

---

(١) فى ا : « أورقا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والأغانى .
(٢) فى ا : « القبر » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٦ ٤ .
(٤) فى الخلاصة : « وحاكت بنانه » .
(٥) هذا فصل منقول عن كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ١٢٠ ، كما سيشير المؤلف فيما بعد .
(٦) فى الجماهر : « فضل يقوم » .
(٧) فى الأصول : « وهو » ، والمثبت فى الجماهر .
(٨) ساقط من : ا ، والمثبت فى : ب ، ج ، وقد تصرف المحبى فى عبارة أبى الريحان .

قاله أبو الرَّيْحان فى كتابه « الجماهر » .

وقوله : « حكى كفها وحاكى بنانه » .

المراد بمُحاكاة كفِّها فى تناسُب أصابعه واستوائها ، وبمحاكاته[1] لبنانه فى حُمْرتها؛ فيكون قصَد تشْبيهين : تشبيه أسنانها ، وتشبيه شفتيْها .

هذا مايظهر من البيت .

＊＊＊

هى فى القَدِّ غصنُ بَانٍ ولكن   مَن رأى النَّهْد قال ذى رُمَّانَهْ[2]

ياعجيبًا منهـــا تظُن سُلُوًّا   من فؤادى وتشْتكى سُلْوانَهْ

ياعجيبًا أنى أُريد رِضاها   وهْىَ فى حالةِ الرضا غَضْبانَهْ

لستُ أخْشَى بحبِّها من عَذُولٍ   فدَعُوه فينا يُطِيـــل لسانَهْ

حاصـــلُ الأمْرِ أن يقول فلان   طار صِيتًا بحبِّه لفُلانَهْ[3]

أنا صَبٌّ بحبهـــا مُستَهامٌ   مَلَكَ الحبُّ سِرَّه وعَيانَهْ

لستُ أنْسَى لمَّا أتتْ ورَقِيبى   عينُه من يد الكرَى مَلآنَهْ[4]

تتخطَّى العيونَ شرقًا وغربًا   ضمنَ عينٍ بشَرْقها غربانَهْ[5]

ضِمْنَ ثوبٍ من التقى مُستعارٍ   بعفافٍ قد طَيَّبتْ أرْدانَهْ

وقضيْنا الوِصَال رَشْفا وضَمًّا   بقلوبٍ هَيْمانةٍ حَــرَّانَهْ

وأراد الجمُوحَ طِرْفُ التَّصابِى   فلوَيْنـــا عما أراد عِنانَهْ

وملَكْنا نفوسَنـــا برِضاها   وزجَرْنا بعِفَّـــةٍ شيطانَهْ

---

(١) فى ب : « ومحاكاته » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى الخلاصة : « من رأى القد » .

(٣) فى الخلاصة : « أن يقال فلان » ، وفى ب : « طار ميتا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٤) فى الخلاصة : « لما مضى ورقيبى » .   (٥) لم يرد هذا البيت والذى بابه فى الخلاصة .

فدعِ العاذلين ينقُلْنَ عـــــنى آه مَن لى بظَبْيةٍ فتّانَهْ

***

وكان ليلة ألّف مجلسَ راح ، فى موسم أفراح .
يحسد اتّساقَه الدُّرّ ، وتتمنّى إشراقَهُ الزُّهْر .
فلما محى عَنْبرَ الظلام كافورُ الصباح ، نادى مؤذن القَصْف : حَيَّ على الاصْطِباح .
وردتْ عليه رُقعةٌ من أحد أحبّائه ، الواقفين على سر حقيقة أنْبائه .
ومكتوب فيها[1] :

على الباب المُعظَّم عَبْدُ رِقٍّ بأنواعِ الحبا منكم يفُوزُ
يجُوز البابَ عن إذنٍ كريمٍ وإلّا فهو شيء لا يجوزُ

فلما قرأها تهلّل كأنما مُنِح بعُمر مُعاد ، أو حصل من حبيب مُماطِل على ميعاد .
ثم كتب إليه :

يحيط بعلمكم أنّا نَشاوَى وقد جُلِيتْ لنـــا بِكْرٌ عجوز
فإن جوّزتمُ مانحن فيـــه وإلّا فهـــو شيء لا يجوزُ

***

وحكى بعض ندمائه ، قال[2] : دخلتُ عليه فى مرض[3] موته ، فصادفتُ بريداً جاء بتقليد حَماة ، بعد عَزْل وقع له ، فالتفَت ، وقال بصوت ضعيف : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[4] ، وحان من الحَيْن المُكتتَب ماحان .

فدعوتُ له بامتداد الأجل ، وسلّيْتُه عن[5] ذلك الاضطراب والوَجَل .

---

(١) فى ب ، ج : « وفيها مكتوب » تقديم وتأخير ، والمثبت فى : ا .
والبيتان ، وجوابهما فى خلاصة الأثر ٢/٤٨ .
(٢) هذه الحكاية فى خلاصة الأثر ٢/٥٠ ، ٥١ عن إبراهيم رامى . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) سورة يوسف ٤١ . (٥) تكملة يقتضيها السياق، توافق ما ورد فى الخلاصة.

فرأيته قد تجمّع ، وبكى ملْءَ جفونه وتوجّع .

وقال : والله ما أبكى إلّا من يَسوءه الآن بُعْدِى ، وهو يتمنّى الأودّاء بَعْدِى .

ثم أنشد :

لا يحسَب الإنسانُ بعـــد ذَهابِه مُـكْثَ الأسَى فى عِشْرةٍ وقَرِينِ

فى الحالِ يتناضُون عنــه بغيرِه ويعود ربُّ الحزنِ غــيرَ حزينِ

العَنْدليبُ الوردُ كانَ أمامَه لمّــا مضى غنّى على النّسْرِينِ

ثم فارقتُه ، فى تلك الليلة تولّاه مولاه ، وفارق دنياه .

فبكى عليه السيفُ والقلم ، وانفجع فيه العِلْمُ والعَلَم .



الباب الثاني

في نوادر أدباء حلب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثانى

فى نوادر الأباده ، بحلب الشهباء

وهى البلدة الطيِّبة الماء والهوا ، التى توافقتْ على حُسن بنائها [1] و [2] لُطْف أبنائها [2] الأهْوا .

أحْياها اللهُ تحية تنحطُّ بالخِصْب سُيولها ،وتُجَرُّ باللطف على سَرْحة الرياض ذيُولها .

فيها التَّرحيب مذْخور [3] المقيم والظَّاعن ، ولا محلَّ فيها يُلْفَى للقادِح والطاعِن

ولها المَرْأى الذى يسافر فيه الطَّرْف فيأخذ بحَظِّه ، ويستولى عليه الفرحُ حتى يخاف على قلبه ولَحَظِه .

فبيْنا تحسَب الأرض نُضاراً تكتسِى بُرُدَ الضُّحى فتحسبها عَسْجَدَا ، وبينا ترى جنَّاتِها أنبتتْ دُرًّا إذا هى أطلعت [4] زبرجدًا .

وهناك الحصن الذى عانق السِّماك [5] ، يكاد أهله يقتطفون نَرْجِسَ الكواكب من فَلَك [6] الأفلاك .

يزُرُّ عليه الجوُّ جَيْبَ غمامِــه ويُلْبِسها من حَلْيِهِ الأنْجُمَ الزُّهْرَا

وقد أحاط به الخندق إحاطة الهالَة بالقمر ، والسِّوار بالمِعْصَم ، وحوله الأبْنية الشامخه تستنزِل بحُسن رَوْنقِها النَّسْر المحلِّق والغرابَ الأعْصَم .

ولأهلِها من عهد بنى حَمْدان أمراءِ الكلام،وأجلِّ من استُعملت فى مدائحهم الدُّوِىّ واستُخدمت الأقلام .

---

(١) فى ا : « بنيانها » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « موفور » ، وفى ب : « مدخور » ، والمثبت فى : ج . (٤) فى ب : « طلعت » ،
(٥) هما سماكان ، أعزل ورامح ، نجمان نيران . (٦) فى ا : « ذلك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

اعْتلاق بالأدب وارْتباط ، وتفوُّق فيه يدعو إلى حسَد واغْتباط .

ولشعرهم فى القلوب مكانة ، كأنما شَيَّدوا بأهواء القلوب أركانَه .

فصبُّوا على قوالب النجوم ، وغرائب المنثور المنظوم .

وباهوا غُرَرَ الضحى والأصائِل ، بعجائب الأشعار والرسائل .

وقد ظهر منهم قريبا جماعةٌ تنازعوا الفضل فى غاياتِ مُستبِق ، وكلٌّ منهم وإن اختلفت حالُه فالقولُ فى فضله متَّفِق .

إذا عَنَّ ذِكْراهم فتَمْزيق مَلْبَسي	يُريح بَناء الفكر من حَلَّة العرى
بمِحْراب صدر القلب مُعتكِف به	هواهُم تلا من ذِكْرهم ما تيسَّرا



فمنهم :

١١٠

مصطفى بن عثمان البابي*

اصطفيتُه مفتاحَ الباب ؛ لكونه منسوبا إليه ، وجعلت معرفة القشر من الالباب ، متميزًا به ومُحالا عليه .

وأحسَبُ أني أتَيتُ بأمرٍ معقول ، وإذا أرسلت نفسي في وصفِه ووصف بلدِه فأجدها تقول :

البلدةُ الشهباء مشحونةٌ بلُطْف أشعارٍ وآدابِ
ممنوعةٌ بالسُّور لا يُبْتَغَى دخولُها إلا من البابِ[1]

وهو شرفٌ لعصره ومَفْخَر ، وبحرٌ يمتاج عُبابه ويزْخَر .

(*) مصطفى بن عبد الملك ، وقيل عثمان ، البابي ، الحلبي .

نشأ بحلب ، وأخذ بها عن أبي الجود البيروني ، والنجم الحلفاوي ، وأبي الوفا العرضي ، والملا إبراهيم الكردي ، وجمال الدين البابولي .

ودخل دمشق سنة إحدى وخمسين وألف ، صحبة بن الحسام قاضي القضاة ، فأخذ بها عن عبد الرحمن العمادي والنجم الغزي ، كما رحل إلى الروم وانتفع بعلمائها .

تولى قضاء طرابلس الشام ، ثم مغنيسا ، ثم بغداد ، ثم المدينة المنورة سنة إحدى وتسعين ، وحج في هذه السنة فتوفي بمكة ، ودفن بالمعلاة .

والبابي : نسبة إلى الباب ، قرية من قرى حلب ، لها واد مشهور بطيب الهواء ، وكثرة الرياض .

إعلام النبلاء ٦/٣٦٢ – ٣٧٣ ، خلاصة الأثر ٤/٣٧٧ – ٣٨٥ ، مقدمة العقود الدرية في الدواوين الحلبية ٢٣ ، ٢٤ .

وذكر الطباخ أن ديوانه طبع في بيروت سنة ١٨٧٢ ، وقال : « وهو الآن نادر » ، وقد ضم الطباخ ديوان البابي إلى ديوان ابن الجزري والفتح بن النحاس في العقود الدرية ، واعتمدت عمل الطباخ ، فلم أرجع إلى طبعة بيروت من الديوان ؛ لأنه راجع الديوان على نسخ خطية .

(١) في ب : « لا ينبغي » ، والمثبت في : ا ، ج .

تمادَى فى مَيْدان الشهباء طَلَقُه ، واستوفَى الخصْلة التى ناسب فيها خُلُقَه خَلْقُه .

وأصبح فى الفضل وَحِيدا ، ولم تجد عنه النَّباهة مَحِيدا .

وناهِيك بمحاسن قلَّدها ، ومناقب أنبْتها وخلَّدها .

إذا تُليتْ فى المَجامع ، اهتزَّت الأعطافُ وتشنَّفت المَسامع .

وهكذا النَّسمات إذا هبت فى الأسْحار ، رفَّتْ لها أهدابُ النبات وطنَّت آذانُ الأشْجار .

تُروِّق بها الخمْرةُ فى الكاس ، وتجْلُو رُوَيْحات السَّحَر إذا صدَّتها البِشْرَ بالأنْفاس .

إذا وُصِفتْ عُلاه عكفتْ طيور المعانى على أوكار الفِكر ، وإذا تُلِيتْ حُلاه تنبَّهت عيونُ الرياض من نسمات الآصال والبُكَر .

***

وشعره ملَكه[1] الحسن رِقَّه ، فتكاد تشربُه الأسماع لُطفًا ورِقة .

كلامٌ بل مُدامٌ بل نِظامٌ من المَرْجانِ أو حَبِّ الغَمامِ

يروح كأنه رَوْحٌ ورَاحٌ ويجْرِى فى العُروق وفى العظامِ[2]

وقد وافيتُك منه بما يُغالَى فى مَدْحِه ، ويُعلَم منه وُفورُ قِسْمه من الأدب وفَوْزُ قِدْحِه .

فمنه قوله يتوسَّل[3] :

هوتِ المشاعرُ والمـدا رِكُ عن معـارِجِ كبريائِكْ

ياحيُّ ياقيُّوم قد بهر العقولَ سَنا بَهائكْ

(١) فى ا : « ملكة » ، وفى ج : « ملك » ، والمثبت فى : ب. (٢) فى ا : « فى العروق أو العظام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ٥ ، ٦ ، إعلام النبلاء ٣٧١/٦ ، ٣٧٢ ، خلاصة الأثر ٣٨٤/٤ ، ٣٨٥ .

أثني عليك بما علمْ ... تُ وأين عِلْمى من ثنائِكْ (١)

مُتحجِّب في غَيْبك الْ ... أَحْمَى منيعٌ في عَلائِكْ

فظهرْتَ بالآثار والْ ... أفعالِ بادٍ في جَلائِكْ

عجباً خَفاؤك من ظهو ... رِكَ أم ظهورُك من خفائِكْ

ما الكون إلا ظلمةٌ ... قَبَسَ الأشعَّة من ضيائِكْ (٢)

وجميعُ مافي الكون فا ... نٍ مُستمِدٌّ من بقائِكْ (٣)

بل كلُّ مافيه فقيـ ... رٌ مُستميحٌ من عطائِكْ

مافي العوالِمِ ذَرَّةٌ ... في جَنْبِ أرضِك أو سمائِكْ

إلاَّ ووِجْهَتُها إليـ ... ـكَ بالافتقارِ إلى غِنائِكْ

إنى سألتُك بالذى ... جَمَعَ القلوبَ على وَلائِكْ

نورِ الوجود خُلاصة الْ ... كَوْنَيْن صفوةِ أوليائِكْ (٤)

إلاَّ نظرتَ لمستغيـ ... ـثٍ عائذٍ بك من بَلائِكْ

قذفتْ به من شاهقٍ ... أيدى امْتحانِك وابْتلائِكْ

ورمتْه من ظُلَمِ العنا ... صرِ والطبائعِ في شَبَائِكْ (٥)

وسطَتْ عليه لوازمُ الْ ... إمكانِ صَدًّا عن سنائِكْ (٦)

فإذا ارْعوَى أو كاد نا ... دتْهُ القيودُ إلى ورائِكْ

---

(١) في خلاصة الأثر : «فأين علمى» .
(٢) في ب : « من سنائك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) ساقط من الديوان . (٤) في إعلام النبلاء : « صفوة أنبيائك » . (٥) في ب : « ورمته في ظلم العناصر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٦) في إعلام النبلاء ، والديوان : « صدا عن فنائك » ، وفي خلاصة الأثر : « صدا عن ثنائك » .

فالْطُفْ به فيما جــــرى   فى طَىِّ عِلْمِك من قضائِكْ[1]

***

وقوله من نبويّة ، مستهلها[2] :

قَضَى عجَبا من دهرِه المتعجِّبُ   يَجِدُّ اشتعالا رأسُه وهْو يلعبُ

ألم يأْنِ أن يقْنِى الحياء مُؤنَّبُ   بلى آن أن يقْنِى الحيـاءَ المؤنَّبُ

ومَن لم يدعْ شيْبُ المَفارِق غَيَّـه   فلائمُه باللوم أحْرَى وأنْسَبُ[3]

أبِنْ لى على ماذا حصُلتَ من الدُّنَا   فقد ذُقْتَ منها ما يمُرُّ ويعذُبُ[4]

أكان سِوى طَيْفِ ألَمّ وعارِضٍ   جَهامٍ وبَرْقٍ مخلِفِ النَّوْء خُلَّبُ

متَى أنت فى العَمْياء غادٍ فرائحٌ   تُصعِّدُ فى بَهْمائِهـا وتُصوِّبُ

تُبـارِىُّ بالعِصْيان من هو قادِرٌ   عليك وفى آلائه تتقلَّبُ[5]

أحُدِّثتَ أن المرءَ فى الأرض مُعجِزٌ   لقد كذَبَتْك النفسُ والنفسُ تكذِبُ

لقـد لزَّك التَّسْويفُ فى مارِقٍ على   شَفـا حُفْرةٍ سرعانَ ماتتصوَّبُ[6]

لعمرُ المَنايا إنهـا لقريبـةٌ   على أنها من ساحةِ الشيبِ أقْربُ

وإنَّ مِراسَ الموت لادَرَّ دَرُّه   وإن كان صَعْبا فالذى بعدُ أصْعَبُ

تقلَّص ظِـلُّ العمر إلا صُبابةٌ   ألا فانْتَبِها قبل ماأنت تُنهَبُ

وبادِرْ فإن الوقتَ ضاق عن الوَنَى   وصَمِّمْ فسُكَّيتُ الرِّهانِ المُذبْذَبُ[7]

---

(١) فى ب : « فى قضائك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
وبعد هذا البيت فى الديوان ، وإعلام النبلاء قوله :

واسلُكْ به سُنَنَ الهِدا   يَةِ فى مَعارجِ أصْفيائِكْ

(٢) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢ — ٥ .   (٣) فى الديوان : « ومن لم يزع » .

(٤) فى ب : « ما يمر ويصعب » ، والمثبت فى فى : ا ، ج ، والديوان .

(٥) فى ا : « من هو قاهر » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى الديوان : « تبارز بالعصيان » .

(٦) لزه فى مارق : اضطره إليه ، وفى الديوان : « لقد لزك التسويف فى مازق على » .

(٧) فى ا : « عن الدنا » ، وفى ج : « عن الوفا » ، والمثبت فى : ب ، والديوان .
والونى : الفتور والضعف . والسكيت : آخر خيل الحلبة .

وخذ للقاء الله ما اسطعتَ أُهْبةً ... فإن لقاءَ الله ماعنه مَهْرَبُ (١)

وإن ضِقْتَ ذَرْعاً من تعاظُم مامضى ... فلا تنسَ عفوَ الله فالعفو أرْحَبُ (٢)

ولُذْ بجَناب الفاتحِ الخاتمِ الذى ... به يطمئنُّ الخائفُ المترقِّبُ

هو العاقِبُ الماحى الذى بزَغتْ به ... على الكون شمسٌ نورُها ليس يغرُبُ

تحُلُّ له الرُّسْل الكرامُ حِباهُمُ ... وإن ذُكِروا فهو العُذَيْقُ المُرَجَّبُ (٣)

إذا الخَطْب أبْدَى ناجِذَيْه فنادِهِ ... تجِدْ خيرَ جارٍ فى المُلِمَّاتِ يُنْدَبُ

وإن لَذَعتْك المُوبقاتُ فداوِها ... به فهْو ترْياق السموم المُجَرَّبُ

إليكَ رسولَ الله قد جاء ضارعاً ... أخو عَثْرةٍ يرجو الإقالةَ مُذنِبُ

فبابُك بابُ اللهِ ماعنه مهرَبٌ ... وطالبُه من غيرِ بابِك يُحجَبُ

فليس لنا من منحةٍ بتفضُّلٍ ... من الله إلا عن مَساعيك تُجلَبُ (٤)

ولا مَسَّنا من محنةٍ أو تَمَسُّنا ... بكسبِ يَدٍ إلا بيُمْنك تذهبُ

منها :

إذا قمتَ فى وَعْد المَقام فإننا ... على ثقةٍ أن ليس فينا مُخيَّبُ (٥)

ألم يُرْضِك الرحمنُ فى سورة الضحى ... وحاشاك أن ترضَى وفينا معذَّبُ

أترضَى مع الجاهِ الوجيهِ ضياعَنا ... ونحن إلى أعتاب بابك نُنْسَبُ

أترضَى مع العِرْضِ العريض بأن يُرى ... مَقامُك محموداً ونحن نُعذَّبُ (٦)

أتخذُل ياحامِى الذِّمار عصابةً ... بِهَدْيك دانتْ مالها عنك مَذهبُ (٧)

---

(١) فى ا : « وخذ للقا ما اسطعت من أهبة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، وفيه : « ماعنه مذهب » . (٢) فى ا : « من تعاطى ما مضى » ، والمثبت فى : ب ، ج والديوان . (٣) ترجيب النخلة : ضم أعذاقها إلى سعفاتها ، وشدها بالخوص ؛ لئلا تنفضها الريح ، أو وضع الشوك حولها لئلا يصل إليها آكل . انظر القاموس (ر ج ب) . (٤) فى ب ، ج : « فليس بنا من منحة » ، والمثبت فى : ا والديوان . (٥) فى الديوان « إذا قمت موعود المقام » . (٦) فى ا ، والديوان : « بأن ترى » ، وفى ج : « بأن ترى » ، والمثبت فى : ب . (٧) فى الديوان : « مالها عنه مذهب » .

دعوْتَ فلبيْناكَ سمعاً وطاعةً ... وحاشاكَ أن ندعوكَ ثم تُخيِّبُ

منها :

عليكَ صلاةُ اللهِ تترَى مُسلِّماً ... معَ الآلِ والأصحابِ ما انْهلَّ صيِّبُ

صلاةٌ تُوازِى قدرَ ذاتِك رفعةً ... بتَبْليغِها عنِّى إلى اللهِ أرْغَبُ

* * *

وقوله من قصيدة فى المدح ، أولها [1] :

هو الفضلُ حتى لا تُعَدَّ المناقبُ ... بل العزمُ حتى تطلُبَنْكَ المَطالبُ

وما قدرُ الإنسانِ إلّا اقتدارُه ... أجلْ وعلى قدرِ الرجالِ المراتبُ

منها :

وللمجدِ مثلُ الناس سُقْمٌ وصحةٌ ... وفيه كما فيهم صَدُوقٌ وكاذبُ

منها [2] :

ومن خسرِ الرّاحاتِ يكتسِبُ العُلَى ... وبعضُ خَساراتِ الرجالِ مكاسبُ [3]

فآبَ بما يُشجِى العِدى ويسرُّه ... فوائدُ قومٍ عند قومٍ مصائبُ [4]

إليك إمامَ الفضلِ منّا توجَّهتْ ... كتائبُ إلّا أنّهُنَّ مواكبُ

مَعانٍ تُعيرُ العِينَ سحرَ عيونِها ... وتسخرُ منها بالعقودِ التّرائبُ

قد انْسدلتْ فوقَ الطُّروسِ سطورُها ... كما انسدلتْ فوقَ الصدورِ الذّوائبُ [5]

لها من بَراحِ الشوقِ حادٍ وقائدٌ ... إليكَ ومن أشْواقِكَ داعٍ وخاطبُ

* * *

---

(١) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ١٦ ، ١٧ ، إعلام النبلاء ٦ / ٣٧٠ ، ٣٧١ ، خلاصة الأثر ٤ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) فى الديوان ، وإعلام النبلاء : « ومن يخسر الراحات » . (٤) قلب معنى أبى الطيب ، حيث يقول :

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلِها ... مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

ديوانه ٣١٣ .

(٥) فى الديوان ، و إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بين الطروس » .

ومن بدائعه قوله[1] :

ليت شعرى ماالذى سخَّر السَّمْـ ... ـع لصوت السنطير حتى أصَاخَا[2]

ثم ماذا أشـار به النَّا ... ىُ لِرَكْب الأرْواح حتى أناخَا

ثم ماذا الذى به اسْتشعر الحِسُّ ... بِجَسِّ الأوْتارِ حتى تراخَى[3]

ذاك سِرٌّ يذوقه من ترقَّى ... عن ذُرَا عالم الهيولى انسلاخَا[4]

وترقَّى به إلى قاب قَوْ ... سَيْن فألْقَى العصا ورام المُناخَا[5]

***

وقوله من قصيدة ، أولها[6] :

أشارِدٌ ياغزال أم واجِـدْ ... وعابثٌ فى النفوس أم عائِدْ[7]

أعنـد عينيْك أنَّ أنفسَنا ... حَبْسٌ على سَيْل نَبْلِها الصارِدْ[8]

بل كثرةُ العاشقين تُوهِمه ... بأنَّ ماضى نفوسِهم عائِدْ

مهلا أبا الحسْن قد فُجعت به ... واستبْق منَّا دايِع له حامِدْ[9]

نحن بنو نَجْدة الهوى ولنا ... فيه فَخارُ الطَّرِيف والتَّالِدْ[10]

وكم لنـا غارةٌ على ثغرٍ ... يصدُر عنها المُفتِّر البارِدْ[11]

(١) الأبيات فى ديوانه (العقود الدرية) ٥٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٣. (٢) فى إعلام النبلاء، والديوان : « لصوت المسطير » . (٣) فى ا : « بجس الأوتار» ، وفى إعلام النبلاء ، والديوان : « نشد الأرواح حتى تراخى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى الديوان ، و إعلام النبلاء :

ذاك معنًى يذوقه من ترقَّى ... عن ذرا عالم القيودِ انْسلاخَا

والهيولى : جوهر بسيط لا يتم وجود بالفعل دون وجود ما حل فيه . كليات أبى البقاء ٩٦٠ .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الديوان ، وإعلام النبلاء . (٦) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢٦ ، ٢٧ ، قالها يمدح شيخ الإسلام يحيى . (٧) فى ا ، والديوان : « وعابس فى النفوس » ، وفى ب : « وعاتب فى النفوس » ، والمثبت فى : ج . (٨) الصادر : النافذ . (٩) فى الديوان : « لا فجعت به » ، وهى أولى من رواية النفحة . (١٠) فى الديوان : « نحن بنى نجدة » .

(١١) فى الديوان :

وكم لنـا غارة على ثغرٍ ... نصدُر عنها بالمَغْنَمِ البارِدْ

تلك عهودٌ قد كان لابَعُدَ ... تْ طَرْفُ الليالى عنّا بها راقدْ
ومامَسها الدهرُ عن تفرُّقنـا ... بل ظَنّنا لالْتئامِنا واحـدْ

***

على هذا الالتئام والإتقان ، تأمَّل قولى فى الاتحادعند العناق :

ياطِيبَ ليلٍ حيٍّ وقد غفَلتْ ... عنا عيونٌ تظَـلُّ ترمُقنا
بِتْنا كزَوجيْنِ فى حشَا جسَدٍ ... تحـيَّر النوم كيف يطرُقنا

ولعزّ الدين الضرير ماهو منه :

توهَّم واشينا بليـلٍ مَزارِه ... فهمَّ ليسْعى بيننا بالتبـاعُدِ
فعانقْتُه حتى اتحـدنا تعانُقاً ... فلما أتانا مارأى غيرَ واحدِ

ولخالد الكاتب[1] :

كأننى عانقتُ رَيْحـانةً ... تنفستْ فى ليلِها البـارِدِ
فلو ترانا فى قميصِ الدُّجى ... حسِبْتَنا فى جسدٍ واحـدِ

ولأحمد بن أبى العِصام :

ضمَمْتُه ضَمَّ مُفْرِط الضمِّ ... لا كأبٍ مُشفِق ولا أمِّ
ولم نزَلْ والظلامُ حارسُنا ... جسمينِ مُستودَعينِ فى جسمِ

ولابن سَناء الملك[2] :

وليلةَ بِتْنا بعد سُكْرِى وسُكرِهِ ... نَبذْتُ وِسادِى ثم وسَّدتُه يدِى
وبِتْنا كجسمٍ واحد من عناقنا ... وكالحرْفِ فى لفظِ الكلامِ المُشدَّدِ[3]

---

(١) تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٣٦٣ .

(٢) ديوانه ١٨١ ، ١٨٢ . (٣) فى ب ، ج : « فى عناقنا » ، والمثبت فى : ا ، والديوان .
ورواية الديوان لعجز البيت :

* وإلّا كحرفٍ فى الكلامِ مُشدّدِ *

وأعترض عليه بأن العرُوضيّين يعدّون المشدد بحرفين ، فلو قال : فى الخطّ . لحصل مطلوبه .

* * *

ليت درَى القاطنون فى حلبٍ   حالى وما حالُ من لهم فاقِدْ
يرقُب وفد الشّـآمِ ذا قلَقٍ   عسى يراهُم بناظرِ الوافِدْ[1]
فارقتُ مَثْوايَ فى رِضا زمنٍ   على ذوى الفضل لم يَزلْ واجِدْ
خرجتُ منه مع البُزاةِ عسى   تصفُو الليالى ويصلُح الفاسدْ

* * *

يشير إلى قوله :

إذا أنْكرتْنى بلدةٌ أو نكِرْتُها   خرجتُ مع البازى علىّ سوادُ

* * *

ومن مديحها :

الحكَم العَدْلُ من عزائمه   قامتْ على الدهر فاكْتفى القاعدْ
وأصبحتْ حَيْرةً حواسدُه   كأنهـــــا العُمْىُ ماها قائدْ

* * *

هذا أحسن من قول المتنبّى[2] :

مابالُ هـــذى النجوم حائرةً   كأنها العُمْىُ مالهـــا قائدْ

وهو[3] أخذه من قول العباس بن الأحنَف[4] :

والنجمُ فى كبِد السماء كأنه   أعْمَى تحـــيّرَ ماله من قائدِ[5]

* * *

(١) فى الديوان : « بناظر الراقد » .

(٢) ديوان أبى الطيب ٥٦٨ .

(٣) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) ديوانه ٨٢ .

(٥) فى الديوان :

والنجمُ فى أُفُقِ السماء كأنه   أعمى تحيّر ما لديْه قائدُ

رَبُّ القوافى التى لآلئُها تَوَدُّ لو قُلِّدت بها الناهِدْ
إذا تأمّلتها وجدتَ فتًى شُهْبَ الدياجى بفكرِه صائِدْ

***

وقوله من أخرى ، أولها [١] :

هو الشوقُ حتى يستوى القربُ والبعدُ وصدقُ الوفا حتى كأن القِلَى وُدُّ
فلا رقدتْ عينٌ يُؤرِّقها هوًى ولا خمدت نارٌ يسعّرها خَدُّ
ألا فى سبيل الأعْيُنِ النُّجْل ما جرى بمُنْعرَج الجَرْعاء حيث انطوى العهدُ
عشيّةَ أدْنانى وأقصاهمُ الهوى برَغْمِى وأرضاهُم وأسْخطنِى البعدُ
تذكّر عيشاً قد طوى نَشْرَه النوى وعُفْراً عفَى من سِرْبِها الأجْرَعُ الفَرْدُ [٢]
خليلَىَّ نَجْدٌ تلك أم أنا حالمٌ لقد كذَبتْنى العينُ ما هذه نجدُ
بلى هذه نجدٌ فأين ظِباؤُها أأحجبها عِزٌّ أم اغتالها فقْدُ
وما صنعتْ من بعدنا تلكمُ الدُّمَى وكيف دَوَتْ هاتيكمُ القضُبُ المُلْدُ [٣]
كأنْ قد أضلّ البَيْنُ فى عَرَصاتِها مُنًى أو عليها فى فؤاد النوى حِقْدُ
لقد خلَدتْ مما دَهاك جَهَنّمٌ بأحْشائنا ياجنّةً خانها الخُلْدُ [٤]
خليلَىَّ ماوُدّاً كُما وُدَّ مخلصٍ أما فيكما هَزْلٌ إذا لم يكن جِدٌّ [٥]
أفوق سوادِ الليل تبغى نجومُه غشاء فلم لم تصْحُ أعيُنها الرُّمْدُ [٦]
كأن تعالى اللهُ ذا البدرِ فى السما مَليك مُطاعٌ والنجومُ له جُنْدُ

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢٨ ـ ٣١ ، قالها يمدح عبد الرحمن بن الحسام ، حين قدم من الشام . (٢) فى الأصول : « وعصر عفى » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى ب : « وما فعلت من بعدنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « فاتها الخلد » .
(٥) فى الديوان :

* خليلَىَّ ما أبديتُما وُدَّ مخلصٍ *

(٦) فى ا : « غشات فلم لم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

كأن سماء الليـــلِ روضٌ مُنَمَّقٌ ... خمائلُه مِسْكٌ أزاهِـــرُه نَدُّ (١)
كأن الدجى والبرقَ والزُّهْرَ ناهدٌ ... من الزَّنْج يَزْهيهـا فيُضحكها العِقْدُ
كأن الثُريَّا كفُّ نَقَّادٍ استوى ... على نَطْع سَبَجٍ فوقه نُثِرَ العقدُ (٢)
كأن نجومَ الليـــلِ من حَيْرةٍ بهـا ... ركائبُ تسْرِى مالها فى السُّرَى قَصْدُ
كأن وَميضَ البرقِ فى حالكِ الدجى ... صفاءُ بقلبٍ قد توطَّنــــه الحِقْدُ
كأن الـكرى سِرٌّ كأن الدجى حَشًا ... كأن المُنى طِفْلٌ كأن الرَّجا مَهْدُ (٣)
كأن السُّهَا معنًى دقيقٌ بفِـكْرةٍ ... فآونةً يخْفى وآونة يبْدُو (٤)
كأن الدجى والفجرُ يفتِق زِيقَـــه ... مواطنُ غَىٍّ قد أناخ بها الرُّشْدُ (٥)
كأن الصَّبا رُسْلُ الصباح إلى الرُّبَى ... بسِرٍّ أذاع الشِّيحُ خافِيــه والرَّنْدُ
كأن طِلابِى المجدَ والدهرُ دونه ... ترقُّبُ طَيْفٍ حال من دونه السُّهْدُ
كأن يَراعى غائصٌ بحرَ ظُلْمـــةٍ ... فيُلفَظ لى من فِيه جوهرُه الفَرْدُ (٦)
كأن المعانى السانحاتِ لخاطرِى ... كواعبُ زارتْ مالزَوْرتهــــا وَعْدُ

***

منها فى المديح :

حديقةُ فضـــلٍ لا يُصَوِّح نَبْتُها ... ونهرُ عطاءٍ ما لسائلِه رَدُّ (٧)

---

(١) فى ا : « أزهاره ند » ، وفى ج : « إذا هزه ند » ، والمثبت فى : ب ، والديوان . (٢) يعنى بالسبج اللون الأسود ، وفى الديوان : « فوقه نثر النقد » . (٣) فى الأصول : « كأن الدجى مهد » ، والمثبت فى الديوان . (٤) تقدمت رواية الحجى لهذا البيت ، فى هذا الجزء ، صفحة ٦٢ ، وصدره هناك :

* كأن السُّها معنًى يجُول بفِـكْرةٍ *

(٥) فى الديوان : « يفتق رتقه » . والزيق من الثوب : ما أحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب .
(٦) فى ا : « غائص بحر ظلمة » ، وفى الديوان : « خائض بطن ظلمة » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٧) فى الديوان :

* وبحرُ عطاءٍ ما لساحلِه رَدُّ *

وَرِقَّةُ أخلاقٍ يَسِيرُ بِهَا الصَّبا   وبأسٌ له ترْمِي فرائصَها الأُسْدُ

***

وقوله من أخرى ، أولها (١) :

سرى عائدا حيثُ الضَّنى راع عُوَّدِي   سُرَى البَدْرِ طَيْفٌ بالدُّجُنَّةِ مُرتَدِ (٢)

وما رَقَّ لو لم يَرْعَ حَيْني ولا سرَى   على البعد فى ثوب الحِدادِ لمَرقدِى (٣)

فأعجبَه شوقى إليه على النَّوى   كذا كان حيث الشملُ لم يتبدَّدِ

وعاتَبْتُه والظنُّ أيْأس طامعٍ   فجاوبَنى والقلبُ أطمعُ مجتدِ (٤)

ولاطفْتُه حتى استملتُ فؤادَه   فيالك سَعْداً بعضُه لِينُ جَلْمَدِ

وبِتُّ كأن الدهرَ ألقى زِمامَه   إلىَّ وصافانى فأحرزْتُ مَقْصِدِى (٥)

وحَكَّمنى مِن جِيده وهْو عاطلٌ   فحَلَّاه دَمعى بالجُمان المُنضَّدِ

إلى أن نَعى بالبَيْن صُبْحٌ كأنه   غرابُ النوى لكنه غيرُ أسودِ

***

من مديحها (٦) :

به دَرَّ ضَرْعُ المَكرُماتِ وثُقِّفتْ   قَنا الفضلِ وانهلَّتْ غواربُ للصَّدِى

يُساقِط من فِيه المعانى كأنها   فرائدُ دُرٍّ فى ترائبِ خُرَّدِ

---

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ١٢ ، ١٣ ، إعلام النبلاء ٦/٣٦٢ – ٣٦٤ ، خلاصة الأثر ٤/٣٧٧ ، ٣٧٨ . (٢) فى الديوان : « بالدجنة مهتدى » . (٣) فى الأصول : « وما رق لو لم يرأ حينى » ، وفى الديوان : « لو لم يدر حينى » ، وفى إعلام النبلاء : « لو لم يدر وجدى » ، وفى خلاصة الأثر : « لو لم يرع وجدى » ، ولعل الأولى ما أثبته .

وفى ا ، والديوان : « فى ثوب الحداد المرقدى » ، وفى ب ، والخلاصة : « فى ثوب الحداد لمرقد » ، وفى إعلام النبلاء : « فى ثواب الحداد المرقدى » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب ، ج : « والظن أيأس مضمم » ، والمثبت فى : ا ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب : « إلى فصافانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والإعلام ، والخلاصة .

(٦) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه ، كما لم ترد فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

وَمن كلِّ سطرٍ فوق طِرْسٍ كأنه   عِذارٌ تدلَّى فى عوارِض أمْرَدِ

* * *

ومن مُقطَّعاته قوله مضمِّنا[١] :

قلتُ لما أن بدا فى خـــدِّه   زَرَدُ العارِض نَبْتًا وانتضَدْ

أنَباتٌ لاح فى خدَّيك أم   نسجَ الرِّيحُ على الماء زَرَدْ

* * *

قلتُ : أجاد فى هذا التضمين ، ولطُف فى نقله .

وأصلُه ما قال صاحب بدائع البدائه[٢] : رُوى عن عبد الجبار بن حَمْديس الصِّقِلِّىّ ، قال : صنع عبد الجليل بن وَهْبون المرْسِىّ الشاعر لنا نُزهة بوادى إشْبِيلِيَة ، فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمسُ للغروب هبَّ نسيمٌ ضعيف غضّن وجه الماء ، فقلت للجماعة : أجيزوا

* حاكتِ الرِّيحُ من الماءِ زَرَدْ *

فأجازه كلٌّ منهم بما تيسَّر له[٣] .

فقال لى أبو تمّام غالب بن رَباح الحجَّام[٤] : كيف قلتَ يا أبا محمد ؟

فأعدت القَسِيم له .

فقال :

* أىُّ دِرْعٍ لقتـــالٍ لو جَمَدْ[٥] *

ثم قال صاحب البدائع ، بعد ما سبَق : وقد نقله ابن حَمْديس إلى غير هذا الوصف ، فقال[٦] :

---

(١) البيتان فى ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٢) بدائع البدائه ١/٦٣ ــ ٦٥ بتصرف المحبى فى النقل . (٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا ، والبدائع . (٤) فى الأصول : « الحجاج » ، والمثبت فى البدائع . (٥) فى ب : « أى در » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبدائع . (٦) ديوان ابن حديس ١١٧ .

نثرَ الجوُّ على التُّرْبِ بَرَدْ ‌ ‌ ‌ ‌ أيُّ دُرٍّ لنُحُــورٍ لو جمَدْ

فتناقض المعنى بذكر البَرْد لو جمَد ، إذ ليس البَرد إلا ما جمَّده البرد ، اللهم إلا أن يُريد بقوله : « لو جمد » لو دام جمودُه ؛ فيصح .

ومثل هذا قول المعتمدِ بن عبَّاد ، يصف فوّارة[1] :

ولرُبما سلّت لنا من مائهـــا ‌ ‌ ‌ ‌ سيفا وكان عن النواظر مُغْمَدَا
طبعتْ لُجَيْنًا ثم زانت صَفْحَةً ‌ ‌ ‌ ‌ منه ولو جمَدتْ لكان مُهنَّدَا[2]

وقد أخذ المَقَّرِيّ[3] هذا المعنى ، فقال يصف روضا :

لو دام هذا النَّبْتُ كان زَبَرْجَداً ‌ ‌ ‌ ‌ ولو جمَدتْ أنهـارُه كُنَّ بَلُورَا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التُّونُسِيّ الإيادىّ ، من قصيدته الطائية المشهورة :

ألُؤْلُؤٌ قَطْرُ هـــذا الجوِّ أم نُقَطُ ‌ ‌ ‌ ‌ ما كان أحسنَه لو كان يُلْتقَطُ

والمعنى كثير للقدماء ، قال ابن الرُّومِىّ ، من قطعة فى العنب الرّازِقِىّ[4] :

لو أنه يبْقَى على الدهورِ ‌ ‌ ‌ ‌ قرَّط آذانَ الحسان الحُورِ

* * *

عوداً على بدء .

ومما يشبه ما حاوله فى التَّضمين قولُ عزِّ الدين المَوْصِلِىّ[5] :

كالزَّردِ المنظـــومِ أصْداغُه ‌ ‌ ‌ ‌ وخـــدُّه كالوردِ لمَّا وردْ

---

(١) البيتان فى ديوان المعتمد بن عباد ٢٩ . ‌ ‌ (٢) فى الديوان :

* طبعتْه لُجَيًا فذابتْ صفحةٌ *

وفى البدائع : « طبعته لجيا فزانت صفحة » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى البدائع : « وقد أخذت أنا هذا المعنى ، فقلت أصف روضا : » .

(٤) العنب الرازق : هو الملاحى . القاموس (رزق) .

والبيت فى ديوان ابن الرومى ١٩٥

(٥) عز الدين على بن الحسين بن على الموصلى ، الشاعر المشهور .

نزيل دمشق ، وصاحب البديعية التى عارض بها بديعية الصفى الحلى .

توفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/١١٢ ، ١١٣ .

بالعَتْ فى اللَّثْمِ وقبّلتُه ... فى الخدّ تقبيلاً يفكّ الزَّرَدْ

* * *

وللباني فى ذم من تعذّر[1] :

قد كسا اللهُ صُبحَ خدّيْه ليلاً ... وطَلى ذلك البياضَ سَوادَا[2]

أصبحتْ ماءُ وَجْنتَيْه سَراباً ... وغدَت جمرةُ الجمالِ رَمادَا[3]

* * *

وله أيضا[4] :

نادى لوَ اَن النّدا يُجْدِى ... قِفوا انْظروا ما أصاب خَدّى

قد كان ورداً بغير شوكٍ ... فصار شوكاً بغير وردِ[5]

* * *

مثله لذى الوزارتين أبى الحسن بن الحاجّ :

أبا جعفرٍ مات فيك الكمالُ ... فأظهر خدّك لبسَ الحدادِ[6]

وقد كان يُنبِت وردَ الرياضِ ... فأصبح ينبتُ شوْكَ القَتادِ

ولعرْقلَة الكَلْبِى[7] :

إذا ما الأمْرَدُ المصقول جاءتْ ... عوارضُه فنقْصٌ فى ازْديادِ

---

(١) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٢) رواية صدر البيت فى الديوان :

* قلبَ اللهُ صبحَ خدّيْه ليلاً *

(٣) فى الديوان : «فغدا ماء وجنتيه . . . جمرة الجمال جمادا» . (٤) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٥) » ب : « قد كان وردا من غير شوك » ، والمثبت فى : أ ، ج ، والديوان .

(٦) فى ب : « أبى جعفر » ، والمثبت فى : أ ، ج .

(٧) عرقلة ، هو : حسان بن نمير الكلبى ، النديم ، أبو الندى ، الأعور .

شاعر ، من سكان دمشق ، وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أمراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما سير إليه الأموال بعد ملك مصر فجأه الموت ، فلم ينتفع بفجأة الغنى .

وكانت وفاته سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين .

شذرات الذهب ٤/٢٢٠ ، فوات الوفيات ١/٢٢٢ ــ ٢٢٧ .

وهل يستحسنُ الإنسانُ روضاً إذا ماحــــلّه شوكُ القتادِ

* * *

ومن بدائعه قوله من قصيدة ، قالها وهو بالرُّوم يتشوّق إلى ألْباب (١) :

تذكّر بالْباب ظبياً غريرًا وعيشــاً رقيقَ الحواشي نضيرًا

وعهــــداً ترِفُّ أساريرُه قطفْنا به العيشَ غضًّا نضيرًا

مَساحِبُ أذيالِ لهوٍ بهــــا لبِسْنا الشبابَ طريًّا طريرًا

وفى سَفْح تيْماء وادٍ أغنُّ ثَراه تراه يفُتُّ العبيرًا (٢)

نسيماً عليلاً وظلاًّ ظليــــلا وماء نميرا وروضا مَطِيرًا

تُعانِق فيه الغصونُ الغصونَ ويلطِم فيه الغديرُ الغديرًا (٣)

وللوُرْقِ صَدْحٌ بأفنانهــــا كألْحانِ داود يتلو الزَّبورًا

وأثَّر فَرْطُ اعتلال النسيـم في حركات الغصون فتورًا (٤)

وللرِّيح بالطـــيرِ فوق الغصو نِ عبثٌ به يستخِفُّ الوقورًا (٥)

فبيْنا يـــكاد يمسُّ الثرى بها إذْ يـكاد يمسُّ الأثيرًا (٦)

وماء يسِحُّ على وجهـــه ويسرَح فى كل وادٍ مُغيرًا (٧)

فــلولا تشبُّثُ حَصْبائه به كاد من خِفَّة أن يطيرًا (٨)

---

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٣٥ ـ ٣٧ .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين ، جاءا فى الديوان هكذا :

وفى سَفْح تيْماء وادٍ أغنُّ يُنبتُ نَوْرًا ويُثمرُ حُورًا

إذا مَسَّ فاضلُ ذيلِ الصَّبا ثَراه تراه يفُتُّ العبيرًا

(٣) فى ب : « تعانق فيه غصون الغصون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(٤) فى ب ، ج : « فى حركات غصون فتورا » . والمثبت فى : ا ، والديوان . (٥) فى الديوان : « فوق الغصو * ن بها عبث يستخف الوقورا » .

(٦) فى الديوان : « بها أو يكاد » . (٧) فى الديوان : « وماء يسح » .

(٨) فى ب : « كاد من خفقه» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

إذا ما استدار خلال الرياضِ   تخالُ مَعاصِمَ ضمّت خُصورَا[1]

* * *

وقوله في الغزل[2] :

كأنّما أوقفَ اللهُ العيونَ على   رُؤيا محاسنِه لاصابَها ضَرَرُ[3]

فلو بدا من وَرا المرآةِ لانحرفتْ   عن أهلِها حيثُ دارتْ نحوهُ الصُّوَرُ[4]

* * *

وكثيرا مايُسأل عن معنى البيت الثاني ، وأحسن مايُوجَّه به ، أن قوله « من ورا » ، أي من خلف المرآة ، « لانحرفت » الصور حيث سارت محاسنه ؛ لأن الأبصار وَقْفٌ[5] على محاسنِه ، والمراد من الصور المنحرفة الداخلة المرآة .

وإنما أفردَ المرآة وجمعَ الصُّوَر ، مع أن في المرآة صُورة واحدة ؛ لأن المرآة الواحدة يمكن أن يُرسم فيها صورٌ كثيرة ، على طريقة البَدليَّة ، ولا تتعدد المرآة .

والصُّوَر فاعل انحرفت ، وفاعل سارت ضميرٌ راجع إلى محاسنه .

* * *

وله[6] :

ولي نفسُ حُرٍّ لا مُنَى تسترقُّها   ولا مَطمعٌ نحو الهَوانِ يُديرُها

متى استكبرتْ تصغُرْ وإن هي صُغِّرتْ   تساوَى لديها عبدُها وأميرُها

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، والديوان .   (٢) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٣) عجز البيت في الديوان :

* مرْأى محاسنِه لا شانَها نَظَرُ *

(٤) البيت في الديوان :

فلو تجلّى وَرَا المرآةِ لا نْحرفَتْ   إلى مُحيّاهُ عن أرْبابِها الصُّوَرْ

(٥) في ب : « وقفت » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٦) الأبيات في ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(نفحة الريحانة ٢/٣٩)

إذا لمستها كفُّ عِزٍّ تطامنتْ   وإن خفقتها عينُ هُونٍ تُطيرُها

* * *

وله ، وهي من غُرَرِه [١] :

كاد يَعْصِي للتصابي أو عصى   ونهاه ما عفَّ حتى نَزَعَا

الشيبُ لاسامحَ اللهُ الصِّبا   نبّهتْ من غَيِّه ماهجعا

واستثارتْ من أقاحي لُبِّه   صَبْوةً كان رآها ونَعَى [٢]

قد صبا ضَوْءَ هواه ما صبا   ورعى شُهْبَ الدياجي ما رعى

هجرتْ سِتْرَها ليلُ الصِّبا   غَضَّ عنها صُبحَ فَوْدٍ طلعا [٣]

وعِذارٍ قد أقلته النُّهى   فإنِ استؤنفت فيه لالعا [٤]

زعموا إن أسكتتْني ضَنّةٌ   بالقوافي أن طبعي رجعا [٥]

وتناسَوْا ذلك الفضلَ الذي   زاد في الرِّقّة حتى انقطعا

والمعاني اللائي أنّى أُنشِدتْ   تُلبِس العقدَ الغواني جزعا [٦]

غيرهم مني سكوتٌ كلُّه   كلماتٌ تُسمِع الصُّمَّ الدُّعا

وخمودٌ تحته جَزْلُ الغضا   وسكونٌ تحته الرأيُ سعى

في حريمِ الشعر مالي وله   خَلّةٌ سُدّتْ وغَيٌّ أقلعا

* * *

---

(١) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) هذا البيت والبيتان التاليان له مما سقط من : ج ، وهو في : ا ، ب ، والديوان .

(٣) في الديوان : « غض عنها صبح فود » .   (٤) في الديوان : « وعذار قد أقاله النهى » .

(٥) في الأصول : « إن أسكتني ظنه » ، والمثبت في الديوان .   (٦) في ا ، والديوان : « والمعاني اللائي » ، والمثبت في : ب ، ج .

قوله: «زاد في رقة» نقله من قول ابن مليك[1]، في الغزل[2]:

لَيِّنُ الأعطافِ من خَصْرِه ... رَقَّ حتى كاد أن ينقطعا

※ ※ ※

وقوله: «تمس العقد الغواني»، من قول المنازي[3]:

تَرُوعُ حَصاه حاليةَ العذارى ... فتَلْمِسُ جانبَ العِقْدِ النَّظيمِ

※ ※ ※

وله من قصيدة طويلة، مستهلها[4]:

حوَّلتْ عهدَ عيشِه الأهوالُ ... واستحالتْ من وُدِّها الأحوالُ[5]

سَلْ رسومَ الربوعِ عنها وما يُجْـ ... ـدِي سؤالٌ عنه الجوابُ السؤالُ

قد وقفنا نبكي الطلولَ بها حتّـ ... ـى بكتْ بدمعها الأطلالُ[6]

---

(١) علاء الدين بن مليك هو: علي بن محمد [illegible] الحموي، الدمشقي، الفقاعي، الحنفي.

ولد بحماة، سنة أربعين وثمانمائة، ودرس الأدب والنحو والعروض، ثم قدم دمشق فتكسب ببيع الفقاع، وهو شراب يتخذ من الشعير، ثم تركه واشتغل بالعلم والأدب. وبرع في الشعر، وجمع لنفسه ديوانا.

توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة.

خبايا الزوايا، لوحة ٥٣ ب، ديوان الإسلام، لوحة ٨١ أ، ريحانة الألبا ١/١٨٨، الكواكب السائرة ١/٢٦١.

(٢) ديوانه (النفحات الأدبية من الرياض الحموية) ٤٠.

(٣) أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي.

من أعيان الفضلاء، وأماثل الشعراء.

وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر.

وتوفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

وفيات الأعيان ١/١٣٨ – ١٤٠، ترجمة رقم ٥٨.

والبيت في: معجم البلدان، ووفيات الأعيان ١/١٣٩. ونقل ريحانة الألبا ١/٢٦٨، ٢/٥١، ٩٧، ٤.

(٤) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ١٧ – ٢٠، وفيها يمدح عبد الرحمن بن الحسام، لما ولي قضاء الشام.

(٥) في ب: «واستحالت من دونها». والمثبت في: ا، ج.

ورواية الديوان للبيت:

حوَّلتْ عهدَ ميَّةَ الأهوالُ ... واستحالتْ من بعدها الأحوالُ

(٦) في ا: «بكينا بدمعها»، والمثبت في: ب، ج، والديوان.

وعجبنـــا لِرَبْعِها كيف أقْوَى ... مُطرِقاً واسْتحال ذاك الجمالُ[1]

ساكِنٌ فى السكون منه اضْطرابٌ ... ساكتٌ فى السكوت منه مَقالُ

صرَفَتْ نَقْدَه صُروفُ الليـــالى ... واستخفّتْ به الخطوبُ الثّقالُ

عَهِدْنا فى ذُراه يُستأنَسُ الأنْـ ... ـسُ وتُستَرْوَح الصَّبا والشَّمالُ[2]

غادرَتْه الأغْيـــارُ تَستوحِش الـ ... ـوَحْشَةُ فيه وتُوجَل الأوْجالُ[3]

ياأثيلاتِ مَسْرحٍ أقبـــل الإدْ ... بارُ فيه وأدبرَ الإقبـــالُ

باكَرتْكُنّ عن عيون الغوادِى ... إن عَراكُنّ من دموعى المَلالُ[4]

طالمــا بات للجمال مَقِيـــلٌ ... فى ذُراكُنّ والعِشارِ مقـــالُ

وزمانٍ ماطال بالوصـــلِ حتى ... قصّرتْه أيامُ هَجْرٍ طِوالُ[5]

أخلقتْ جِـدَّةُ النّوى ذلك العهْـ ... ـدَ ولبّى داعى النعيم الخيالُ[6]

أى ذنبٍ نُعاتب الدهرَ فيــه ... وعتـــابُ الأيام داءٌ عُضالُ[7]

أنا مابين فُرقةٍ تجمع الشّـ ... ـمَ وبُعْـــدٍ تدنو به الآجالُ

وخُطوبٍ أَلِفْتُهـــا يستعيذُ الْـ ... ـخوفُ منهـــا وتذعَر الأهوالُ

وأمانٍ تُجـــاذِب الدهرَ ذيلَ الْـ ... ـحظِّ والدهرُ جاذبٌ جَـــدّالُ

هِمّـــةٌ أرّقتْ جفونَ الأمانى ... بوُعودٍ للدهر فيهـــا مِطالُ

واشْتغالٍ فرَغتُ فيه عن اللهْـ ... ـوِ بأمرٍ للحظّ عنـــه اشْتغالُ

أتمنـــى من الزمانِ وفاءً ... ووفاءُ الزمان أمرٌ مُحـــالُ

* * *

---

(١) فى الديوان : « واستحال ذاك الجمال » . (٢) فى ب : « يستأنس الأسد » ، وفى الديوان : « نستأنس الأنـ * س ونستروح الصبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « غادرته الأغدار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « باكرتكن من عيونى الغوادى » ، وفى ج : « إن غراكن » ، وفى الديوان : « من عيونى الملال » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى الديوان : « وزمان ما طاب » . (٦) فى ا ، ب : « ولبى داعى النعيم الخبال » ، والمثبت فى : ج ، والديوان . (٧) فى الديوان : « تعاتب الدهر فيه » .

وله من أخرى ، أولها[1] :

أَقَبُول تنفَّستْ أم قَبولُ ... أم شَمالٌ دارتْ بنا أم شَمُولُ

نشرتْ نَشْرَها النَّدِيّ كأنَّ الـ ... أُفْق بُرْدٌ من الكِبَا مَبْلولُ[2]

مَهْلاً يسْترِحْ سَنامُك من وَقْـ ... ـرِ الشَّدِّ فالأَناةُ أمرٌ جميلُ[3]

واسْعِدِينا بوَقْفةٍ نَسْمَةِ الشَّـ ... ـأمِ فقد يرحمُ العليلَ العليلُ

كيف خَلَّفْت دارَ أُنسٍ وما الأُنْـ ... ـسُ فعَهْدِى بالأُنس عهدٌ طويلُ

أيّ عصرٍ قطعتُ فيها وليلي ... سَحَرٌ كلُّه ويومى أصِيلُ[4]

بوُجوهٍ متى تبدَّتْ تبدَّى التَّـ ... ـكبيرُ من حولِهِنّ والتَّهْليلُ

***

التـكبير والتَّهليل للتعجُّب ، مما استعمله المُولَّدون .

قال المتنبي[5] :

كَبَّرتُ حول ديارهمْ لمَّا بدتْ ... منها الشموسُ وليس فيها المشرِقُ[6]

ووقع[7] فى مجلس أبى بكر بن زُهْر[8] ، أن بعض أدباء الأندلس كان عنده ، فدخل فاضل من أهل خُراسان عليهم ، فأكرمه ابنُ زُهْر ، وأجلَّه .

فقال الأندلسيّ : ماتقول فى علماء الأنْدلس وأدبائهم وشعرائهم ؟

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى ديوانه . (٢) الكباء : عود البخور ، أو ضرب منه . القاموس (ك ب و).

(٣) فى ا : « يسترح سنامك من قر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب ، ج : « الشذا فالأناة » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ا : « وليلى أصيل » ، وفى ب : « ونوى أصيل » ، والمثبت فى : ج .

(٥) ديوان أبى الطيب ٢١ . (٦) فى الديوان : « منها الشموس » . (٧) نقل المحبى هذا الفصل عن الريحانة ١/٤٥٥ ، ٤٥٦ . (٨) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادى ، الأندلسى الإشبيلى .

لم يكن فى زمانه أحذق منه بصناعة الطب ، أخذها عن أبيه ، وله شعر رقيق ، وموشحات انفرد فى عصره بإجادة نظمها .

توفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

معجم الأدباء ١٨/٢١٦ .

فقال : كَبُرَتْ .

فلم يفهم جوابَه ، واستبرده .

فلما فهم ابنُ زُهْر إنكارَه ، قال : قرأتَ شعر المتنبي ؟

قال : نعم ، وحفظتُه .

قال : أما سمعتَ قوله : . . . . وأنشـد البيت ، فعلى نفسك فتكبّر ، ونفسك اتّهِمْ وأنكر .

فخجل ، واعتذر .

* * *

ومثله[1] استعملوا « الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم » .

قال شيخُ الشيوخ بحَماة :

فَمَن رأى ذلك الوشـ … ـحَ الصَّائمَ صلّى على محمّدْ

ولبعضهم في وصف خط[2] :

خطٌّ كما انفتحتْ أزاهيرُ الرُّبَى ... مُتنزَّه الألبابِ قيْدُ الأعيُنِ

وبلاغةٌ مِلْءُ العيونِ مَلاحةً ... نال النبيُّ بها صلاةَ الألسُنِ

وقد منعها النَّوَوِيُّ[3] في مثل هذا شرعاً .

قال : والوارد في مثله « سبحان الله » ، كذا ذكره في أذكاره .

---

(١) نقل المحبي هذا الفصل أيضاً عن ريحانة ١/٤٥٣، ٤٥٤ . (٢) لم يرد هذا في [illegible] ريحانة .

(٣) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي .
من كبار الشافعية ، ومن أعظم مصنفي الفقه .
توفي سنة ست وسبعين وستمائة .
طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/١٦٥ .
وقد صرح النووي بالمنع ، في الأذكار ٥٠ ، كما سيأتي ، وانظر الأذكار ٦٨ ، ٦٩ .

وقال الحَلِيمِىُّ[1] : إنه جائز بلا كراهة .

وبيَّنوا[2] وجهه فى فقههم .

***

وله من قصيدة ، أولها[3] :

عُوجا على رَسْمِ ذلكَ الطَّلَلِ ... نَقْضِى حقوقَ الليالِى الأُوَلِ

لعــلَّ نَثْنِى أعطافَه ثانيـةً ... وقد ترجَّيْتُ غـيرَ مُحتَمَلِ[4]

فالدهرُ يأبَى إبقـاءَ مُغتنَمٍ ... فـكيفَ يُرْجَى لِرَدِّ مُرتَحِلِ

لـكلِّ ماضٍ من شِبْهِهِ بدَلٌ ... وما لعَهْدِ الشبابِ من بدَلِ

سقَى لُوَيْلاتِنا بذِى سَلَمٍ ... كلُّ مُلِثِّ الرَّبابِ مُنْهمِلِ[5]

معاهدٌ طالَ ما اقتطفْتُ بهـا ... زَهْرَ الهنا من حـدائقِ الجذَلِ

وأطْلَعَ السعدُ فى مَعالمِهـا ... بَدْرَ المُنى فى غياهِبِ الأمَلِ

حيثُ قُطوفُ اللَّذَّاتِ دانيـةٌ ... ومَورِدُ اللهوِ مُغْدِقُ النَّهَلِ[6]

نعْثُرُ فيهـا بذَيْلِ لَذَّتِنا ... فى هِضاب العِناقِ والقُبَلِ[7]

---

(١) أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى .
أحد أئمة الدهر ، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر ، كما يقول تاج الدين السبكى .
توفى سنة ثلاث وأربعمائة .
طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٣٣ .

(٢) أى الشافعية ، كما جاء فى الريحانة . (٣) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ١٣ – ١٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٦٤ – ٣٦٦ ، وخلاصة الأثر ٤/٣٧٨–٣٨٠ ، قالها يمدح عبد الرحمن البتروني .

(٤) فى الديوان : « لعل نثنى أعطافه » ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أعطاف ثانية » .

(٥) الملث : الدائم المتتابع . (٦) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ومورد الأنس » .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

نعثر تيهاً فى ذيل لذتنا ... فى هضبات العناق والقبل

بكلِّ مُستوقِفِ العيون سَنًا يدعو فراغَ القلوبِ لشُغُلِ [(١)]

* * *

الشغل فيه أربع لغات : شُغْل ، وشُغُل ، وشَغْل ، وشَغَل .

* * *

أثقالُ أعطافِه مخفّفةٌ   لُطْفُ التّصابي يخفّ بالثِّقالِ
وعُطِّلتْ من حُلِي النَّبات عِذَا   راهُ فحلّاه الحسنُ بالعَطَلِ [(٢)]
إذا رمتْنا من قوسِ حاجبِه   سهامُ جفنَيْه ما بنو ثُعَلِ [(٣)]
وارْحمتا العاشقين قد دهمتْ   بهمُ المنايا في صورةِ المُقَلِ [(٤)]
وقد تفاءلْتُ من مصارعِهم   أنْ تلاقي بالأعينِ النُّجُلِ
أما لقد جرّع الأسَى وهوَى   أهْويتُ من أجلِه على أجَلِي [(٥)]
فذا الذي حجبتْ محاسنُه   عنّا مساوِي الصدودِ والمَلَلِ
من كان عنّي قبلَ النّوَى صلِفًا   أبْعدُ من مسمعي عن العَذَلِ [(٦)]
ما زِدتُ عنه بُعداً بفُرقتِه   لا وأخذ اللهُ البَيْنَ من قِبَلي

* * *

(١) في ا ، والديوان : « فراغ القلب للشغل » . (٢) في ا : « عذاره خلاه » ، وفي ج : « عذراه خلاه » ، والمثبت في : ب ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفي الديوان : « فحلاه الجمال بالعطل » .

وبعد هذا البيت في الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، زيادة :

أَلْقَى عليه الجمالُ حُلّتَه   وحلّةُ الحسن أحسنُ الحُلَلِ

(٣) بنو ثعل بن عمرو : قبيلة من طيء ، عرفوا بجودة الرمي ، ولا مرية ، التي فيهم مدائح امرئ القيس في ديوانه . (٤) في الديوان : « وارحمة العاشقين » .

(٥) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أمي لقد أزعج الأسى وهوى » .

(٦) في الديوان : « قبل الهوى صلفا » .

ومنه في المدح :

أقام للفضـــل دولةً حسُنتْ   والوصفُ بالفضل أفضلُ الدُّوَلِ (١)

واستتر الظلمُ من عدالتِـــه   بين حُصون الظِّباء بالكَحَلِ (٢)

يا أبيضَ العدلِ ما تركتَ بهـــا   سوادَ ظُلْمٍ إلا من المُقَلِ (٣)

واعتدلتْ حيث ما استمرّ بها   لولا قدودُ الحسانِ ذُو مَيَلِ (٤)

ما كنتُ أدرى من قبل رُؤْيتِه   كيف انْحصار الأنامِ في رجلِ

حتى رأيتُ امْرَأً يقوم له الدَّ   هْرُ على ساقِه من الوَجَلِ

إن ادَّعى مبصرٌ له شبَهـــا   فاحكُم على ناظرِه بالحَوَلِ

* * *

وهذا في استعمالهم كثير ، ومن أبلغه قولي (٥) في غلام أحْول:

بنفسيَ من أخْلصتُ قلبي لأجْلِه   فما اخترتُ عنه قطُّ أنْ أتحوّلا (٦)

بديعُ جمالٍ لا يرى طرفُ ناظرٍ   نظيراً له حُسْنًا ولو كان أحْوَلَا

* * *

ومن قصائده ، ميميّته التي أهداها شنَبا لثغر الأدب الباسم ، وبعثها رُوحا في مجرى القبول النّاسم (٧) :

تلك الطُّلولُ طلولُ سَلْمَى   فَفُضَّ بها للدمعِ خَتْمَا

دِمَنٌ غرستُ بهـــا الهوى   فجنيتُـــه كَمَدًا وسُقْمَا

---

(١) عجز البيت في الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

* ودولةُ الفضلِ أفضلُ الدُّوَلِ *

(٢) في الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بين جفون الظباء » . (٣) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وأبيض العدل » . (٤) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « واعتدلت حتى ما استمر بها » . (٥) في ا : « قولهم » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في ا : « فاخترت عن حبيبه أن أحولا » . (٧) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ٢٠ــ٢٢ ، يمدح نجم الدين الحلفاوي.

وانشُد هنالك مُهجةً ... بصريعة الأحداق تُسْمَى

خلّفتُها يوم النوى ... لسهامها غرَضاً ومَرْمَى

وأظنها لم يُبقِ منـ ... ـها حبُّ ذاك الظبي رَسْما (1)

صنمٌ كأنّ الله صوّ ... رَهُ من الأرواح جِسْما

وكأنما مُزِجَ الصَّبا ... حتى تكوّن منه بألما

وجَنَاتُه رقّتْ فكا ... دتْ من خيالِ الوهمِ تَدْمَى

وصفتْ معاطفُه فكا ... دتْ بها الغلائلُ أن تَنَمَّى

نفسٌ عليه يا نطا ... قُ فقد كدَدْتَ الخصرَ ضَمّا

واخففْ مُرورك يا نسيـ ... ـمُ فقد خدشتَ الخدَّ لَثْما

إنّي غضضتُ الطرفَ خو ... فاً أن يُؤثّر فيه حتما (2)

نشوانُ من خمرِ الدلا ... لِ مُعشَّقُ الحركاتِ ألْمَى

عوّضتُ فيه عن هدا ... يَ وصحّتي غيّاً وسُقْما

إن الذي قسم الهوى ... جعل القنا لي منه قِسْما

لا واخذ الله الدُّمى ... بدمي فقد هدرته ظُلْما (3)

فإلامَ يكحل الجفو ... نَ وفيمَ تجفوني ومِمّ

قد تاه سلطانُ العيو ... نِ على القلوب وجار حُكْما

تلك الصفاحُ البيضُ لـ ... ـكنّ المنايا السودَ تُنْمَى

فكأنما راشتْ لها ... عزماتُ نجمِ الدين سَهْما

نجمٌ غدا للحائريـ ... ـن هُدًى وللأعداء رَجْما

---

(1) في ا : «حب ذلك الظبي وسمه» . والمثبت في : ب ، ج ، والديوان . (2) في الديوان : «أن يؤثر فيه وهما» .

(3) في الديوان : «لا سامح الله الظبا» .

وله الأيادِي الغُرُّ تُزْ جِعِ أَوْجُهَ الحسَّادِ دُهْمَا
لو حاربَتْه الشُّهْبُ لانْـ قَضَّتْ لديْه تَرُوم سِلْمَا

* * *

منها[1] :

خُذْها إليك أبا القوا فِى لا أراها اللّهُ يُتْمَا
قد أطْلعتْ من كلِّ مَعْـ نًى فى سما عَلْياك نَجْمَا[2]
أوْهمْتُهـا مدحَ السِّوَى فتميَّزتْ بالغيظِ وَهْمَا

* * *

ومن مَصُوناته التى إذا[3] اشتهرت اشتغل الناسُ بها عن كل منظوم ، واحتفلوا بها احتفال بنى تَغْلِب بقصيدة عمرو بن كُلْثوم ، هذه الميميَّة[4] :

عاد فانْقاد للهـوى بزِمامِ بعد ماودَّع الصِّبا بسلامِ
نسْمةٌ من رُبا الغدير استفزَّتْ من أقاصى الحشَى دَواعى الغرامِ[5]
نشأتْ من منابِتِ الشِّيحِ والقَيْـ صومِ تروِى عن رَنْدِه والخُزامِ
ذكَّرتْه عهداً قديماً وكم نَبَّـ ـهَ ذِكرُ العهودِ جَفْنَ الهُيامِ[6]
بوجوهٍ تجلَّتْ صُوَرَ الأقما رِ ترْنُو عن أعْيُنِ الآرامِ[7]
كل قَدٍّ يـكاد يعقِده اللِّيـ نُ وتَثْنيه خَطْرَةُ الأوهامِ

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « فى كل معنى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٣) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب . (٤) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ٠ : ٢ ـ ٤ ، قالها يشتكى الزمان . (٥) فى الديوان : « من ربا الغوير » .

(٦) فى الديوان :

ذكَّرتْه عهداً قديماً وكم نبَّـ ـهَ غَيًّا ذكرُ العهودِ القدامِ

(٧) فى ب : « بوجوه تجليت » ، وفى الديوان : « بوجوه جلت لنـا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى الديوان : « ترنو بأعين الآرام » .

وفمٍ طيِّبِ المُقبَّـــــلِ والنَّكْـ ـهةِ يُبْدى عن مثلِ حَبِّ الغَمامِ

أبْلَجٌ واضحُ الدليلِ بأنْ أَ جوهرَ الفردَ قابلُ الانْقسامِ[1]

ولذيذُ الحديثِ يقطرُ ظَرْفاً يَنْثَنى جيـــــدٍ وهزِّ قَوامِ

لـكلا العاشقَيْنِ ينفُثُ سِحراً شكلُ رُعْبوبةٍ وزِيُّ غلامِ[2]

* * *

هذا البيت آخذٌ بطرَفَى الحسن ، تتقسَّمه[3] من غَيْرتها الجفون الوَسْنى .

وقد ذكر الباخَرْزِيُّ في مثله بيتاً ، وهو[4] :

لمذكَّرِ الخطواتِ غيرِ مؤنَّثٍ ومؤنَّثِ الخطواتِ غيرِ مذكَّرِ

ثم قال ، في وصفه : « هذا بيتُ شعر ، يُساوى بيتَ تِبْر ، ففيه[5] قلبٌ يقبله كلُّ قلب » .

ومما يُقارب هذا قولُ بعضهم :

هو تحت العَجاجِ ليثُ عرينٍ وهْو فوق الفراشِ ظَبْيُ كِناسِ

* * *

زمنٌ مَرَّ كلُّ عامٍ كيومٍ قِصَراً جَرَّ كلُّ يومٍ كعامِ

هـــكذا كلُّ مُغْرَمٍ فهو عينُ الْـ ـغُرمِ والوجدُ رائدُ الإعدامِ

ستَرى إن أعارك الدهرُ عيشاً أنَّ ذمَّ الأيامِ للأيامِ

جلَّ بارِى الأمورِ في صُوَرِ الأضْـ ـدادِ أبْدَى لذَّاتِ بالآلامِ

---

(١) في ب : « أبلج أوضح الدليل » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

(٢) رعبوبة : بيضاء حسنة رطبة حلوة . القاموس (ر ع ب) .

(٣) في ا : « لها » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) دمية القصر (تحقيق) ١ / ٤٢ ، ٤٣ ، من قصيدة لأبي كامل تميم بن الفرج الغالي . (٥) في الدمية : « وفيه » .

وجلا العزَّ فى ملابسِ ذُلٍّ   وكسا الذلَّ صورةَ الإعْظامِ[1]

وأراكَ المخدومَ ناعمَ بالٍ   وهْو أشقى الخدام بالخدّامِ[2]

حسْبُك القَمْع منصباً وكفى المرْ   ءَ نعيماً مُطارَحات الكرامِ[3]

هى أهْنَى مواردِ العيش لكنْ   كدَّرَتْها مَؤونة الاحْتشامِ[4]

من خشوعٍ ولات حين صَلاةٍ   واحْتراسٍ ولات حين صِدامِ

حركاتٍ تجرى على غير طبعٍ   وقعودٍ مُعيَّنٍ وقيـــامِ

وأشدُّ البلا على الرأسِ تُبْقَى   عِمَّةٌ مثل ذِرْوةِ الأهرامِ[5]

ولباسٌ يُعرى النوائبَ بالأكْ   تافِ ضاقى الأذيال والأكْمامِ[6]

صاحِبَىَّ ابْغِيا لنا خرجَ الهمِّ   داراً فبئْس دارُ الزِّحامِ

وأصْدُقانى ألسْتُما بين ليـــلٍ   ونهارٍ ، مالى حليفُ ظلامِ

واسْتعيرا لمقلتى هجْعةً عن   مثلِ ما يعودُ لو فى منامِ[7]

من أمورٍ تَقْذِى العيونَ وأخرى   تصْدَع السمعَ مثل وخْزِ السهامِ

مَشْرَبٌ كلُّه قَذًى شوبته   إلف هذا النفوسِ بالأجسامِ

ما أرى موتَ مَن فقدْنا من الإخْ   وانِ إلا لفَرْط شوقِ الحِمامِ

هلكوا هِمَّةً وأدركنا اللّـ   ـهُ بحُمْقٍ عِشْنا به فى جَمامِ[8]

مَن أراد العيشَ الهَنِىَّ فلا يُعْ   مِلْ فكراً فالعيشُ عيشُ السَّوامِ

---

(١) فى الديوان : « صورة الاحترام » .   (٢) يعنى بالخدام الأولى المخدومين . ولم أر هذا الجمع .

(٣) فى الديوان : « محاضرات الكرام » .   (٤) فى الديوان : « فهو أهنى . . . نغصتها مؤونة الاحتشام » .   (٥) فى الديوان : « على الرأس تحت * عمة . . » .

(٦) فى الديوان :

ولباسٌ يُعرى النوائبَ بالأكْ   تافِ ضاقى الأذيالِ فى الأكْمامِ

(٧) فى الديوان : « مناى يعود لو فى المنام » ، وفى ب ، ج : « لو فى مناى » ، والمثبت فى : ا .

(٨) فى الديوان : « وداركنا الله » .

وَيْكَ حتى م نحن غَرْقَى بحور الشّـ / ـعرِ أَسْرَى سلاسلِ الأَرْقامِ [1]

قد عكَفْنا على غَوايتِها نَضْـ / ـربُ منها في غاربٍ وسَنامِ

قد غَنَيْنا عن الدُّروس بما تُمْـ / ـلِي علينـــا صحائفُ الأيامِ

من عِظاتٍ تُتْلى بغير لسانٍ / وسطورٍ خُطَّت بلا أقـلامِ

أَرْمُسٍ دارِساتِ عهدٍ وأخرى / طامِساتِ الصُّوَى وأخرى قِدامِ [2]

ولوَ أنَّ العيونَ زال غَشاها / لرأتْ كلَّ أخمصٍ فوق هامِ

بل وفي كل وردةٍ ألف خَدٍّ / وقضيبٍ يميسُ ألفَ قَوامِ

فلَكٌ دائرٌ وما هو إلَّا / أجَـــلٌ ساهرٌ لقومٍ نيامِ

كم قرون طَحَنَّ أيضا وكم تطْـ / ـحنُ أرحاؤهنّ بالإِرْدامِ [3]

***

وقوله : « ولو أن العيون » ، إلى آخر البيتين ، معنى دقيق ، وفي رُباعيّات عمر الخيّام بالفارسيّ من نوعه أشياء كثيرة .

ولي في ترجمة رباعية من رباعياته :

في الاعْتبار بمَن مضى من قبلنا / عِــبَرٌ وتلك هدايةُ المسترشدِ

فلـكم طوتْ تُرْبانُنا أُمَمًا وهل / مَيْتٌ بغير تُرابِها لم يُلْحَدِ [4]

حتى كأن شَقيقَها دمُ أسرةٍ / سفَـكتْ دماءهمُ عيونُ الخُرَّدِ

وبنَفْسَجُ الروضِ النَّدِيّ كأنه / خِيلانُ وَجناتِ الخدودِ الوُرَّدِ [5]

---

(١) في الديوان : « غرق في بحور الشعر » . (٢) في ا : « أرمس دائرات عهدى » ، وفي الديوان « أرمس حادثات عهد » ، والمثبت في : ب ، ج .

ويعني بالصوى : العلامات .

(٣) في ا : « وكم تطحن أرحامهن بالإعدام » ، وفي الديوان : « وكم تطحن أرحاء هذه الأجرام » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « بغير ثراها » ، وفي ج : « بغير ترابها » ، والمثبت في : ب .

(٥) في ا : « غيلان وجنات » ، والمثبت في : ب ، ج .

ومن هذا قول المَنْجَكِيّ [1] :

وإذا تأمّلتَ الثَّرى ألفيتَه ... غُرَرَ الملوكِ تُداسُ تحت الأرجُلِ

وقول السيد عبد الرحمن بن النقيب [2] :

كم ضمّت التُّرباءُ خَلْقاً قبلَنا ... من آخِرٍ يقفو سبيلَ الأوّلِ [3]

حتى كأنّ أديمَها ممّا حوتْ ... حبّاتُ أفئدةِ الملوكِ العُدَّلِ

والمشهور فيه قولُ أبي العلاء المَعَرّيّ ، من مرثيّته الشائعة [4] :

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لَحْداً مِراراً ... ضاحكٍ من تَزاحُمِ الأضدادِ [5]

صاحِ هذي قبورُنا تملأ الرُّحْـ ... ـبَ فأين القبورُ من عهد عادِ

خَفِّفِ الوَطْءَ ماأظنُّ أديمَ الـ ... أرضِ إلّا من هذه الأجسادِ

وقد شاركه فيه مِهْيار ، في قوله [6] :

رُوَيداً بأخْفافِ المَطِيِّ فإنّما ... تُداسُ جِباهٌ في الثَّرى وخُدودُ [7]

ومنزَع هذا كلّه قولُ أبي الطَّيِّب [8] :

ويدفنُ بعضُنا بعضاً وتَمْشي ... أواخرُنا على هامِ الأوالي [9]

يريد بالأوالي الأوائل ، وهو كثير في كلامهم ، قال امرؤ القيس [10] :

---

(١) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

ولم أجد هذا البيت في ديوانه ، ولعل الخطأ وقع في خلاصة ، فنسب هذا البيت إلى المنجكي وهو لابن النقيب الآتي ذكره ، فإني وجدت البيتين المنسوبين فيما بعد لابن النقيب في ديوان المنجكي ١١٨ .

(٢) تقدمت ترجمته في هذا الجزء ، صفحة ٣٤ ، برقم ٦٤ . (٣) في ا : « كم ضمت الترب » ، والمثبت في : ب ، ج ، وديوان منجك . (٤) شروح سقط الزند ٣/ ٩٧٤ ، ٩٧٦ .

(٥) في الأصول : «ضاحكا» ، والمثبت في شروح سقط الزند . وترتيب هذا البيت في القصيدة الثامن ، واللذين بعده الرابع والخامس . (٦) ديوان مهيار ١/ ٣١٠ . (٧) في الديوان : « جباه تحتها وخدود » . (٨) ديوان أبي الطيب ٢٥٧ . (٩) في الديوان : « يدفن » بتشديد الفاء المكسورة .

(١٠) ديوانه ٢٨ ، وصدر البيت :

* كذبتِ لقد أُصْبِي على المرء عِرْسَهُ *

وتزن بها : أي تتهم بها . وانظر شرح « الخالي » في الديوان .

* وأمنع عِرْسِي أن يُزَنَّ بها الخالِي *

أي الخائل .

* * *

عَودا إلى ما نحن فيه .

وما أحسن ظنّه بربه ، حيث قال [١] :

لا أبالي إنْ قبضتُ على … سُنَنِ الإسلامِ قَطُّ عَنَـــــه

رحمـــــةُ الله التي وسِعتْ … كلَّ شيء لا تضيق بنـــــه

* * *

وهنا أنهي ترجمته بموشّح له يذكر فيه عين الذهب [٢] ، ويندب عيشاً فيها ذهب [٣] :

بأبي وا بأبي وا بأبي … جَـرْعةً من ماء عينِ الذهبِ

* * *

يارعاهُ اللهُ من وادٍ وسيمْ … رقَّ فيه المـــاء واعتلّ النسيمْ

تُعرف النَّضرةُ فيـــه والنعيمْ … عيشُنا فيـــه رخِيُّ اللَّبَبِ

غفلتْ عنه عيونُ النُّوَبِ

* * *

حيث ما يَمَّمْتَ روضٌ وغديرْ … وإلى جانبـــه ظَبْيٌ غَـريرْ

وفِراشٌ مُتْقَنُ الوَشْيِ وَثِـيرْ … كمُلَتْ فيـــه دواعِي الطَّرَبِ

يؤخذ الصيدُ به عن كَثَبِ [٤]

* * *

(١) ديوانه (العقود الدرية) ٥٦ .

(٢) في إعلام النبلاء ٦/٣٧٣ : « في بلدة الباب نهر يدعى نهر الذهب ، ماؤه كالفضة [illegible] » . وفي معجم البلدان ٤/٨٣٩ : « نهر الذهب : يزعم أهل حلب أنه نهر وادي بطنان ، الذي في بزاعة » .

(٣) الموشح في ديوانه (العقود الدرية) ٥٢ ، ٥٣ . (٤) في الديوان : « يؤخذ [illegible] به عن كثب » .

وندِيمٍ شَبَّ في حِجـرِ الدلالْ　　لو عصرْتَ الظَّرْفَ من عِطْفَيْه سالْ

قمـرٌ ينظر عن عَيْنَيْ غزالْ　　وإذا ساجلْتَـه بالأدبِ

يملأُ الدلوَ لعقْدِ الـكَرَبِ

* * *

هذا من قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب [1] ، حيث يقول [2] :

مَن يُساجِلْني يساجِلْ ماجداً　　يملأُ الدلوَ إلى عَقْدِ الـكَرَبْ

والـكرب : الحبل الذى يُشدُّ فى وسط العَراقِي ثم يثلَّث ، ليـكون هو الذى يملأ الماء فلا يَعفَن الحبل الـكبير ، وهو مثل يضرب لمن يُبالغ فيما يلى من الأمر .

* * *

قم بنا نَنشَقْ رُوَيحاتِ السَّحَرْ　　قبل أن تَصْـدا بأنفاس البشَرْ

هـذه الوُرْق تغنَّت فى الشَّجَرْ　　وتنـاجَتْ فى رءوسِ القُضُبِ

أن مَن ضَيَّع ذا الوقتَ غَبِي [3]

* * *

قوله : « قبل أن تصدا » ، إلخ . من قول ابن الرُّومِيّ :

وغيرُ عجيبٍ طِيبُ أنفاسِ روضةٍ　　مُنوَّرَةٍ باتتْ تُراحُ وتُمْطَـرُ

كذلك أنفاسُ الرياضِ بسُحْرةٍ　　تطِيبُ وأنفـاسُ الأنامِ تغيَّرُ

* * *

دَأْبُنا شَمُّ ورودٍ وخـدودْ　　وعناقٌ من غصونٍ أو قُدودْ [4]

---

(١) شاعرها شمى ، معاصر للفرزدق ، توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك .
سرح العيون ٣٤٣ ــ ٣٤٦ ، سمط اللآلى ٧٠١ ، نسب قريش ٩٠ .

(٢) البيت فى : التمثيل والمحاضرة ٢٩٩ ، سمط اللآلى ٧٠٠ ، وتخريجه فيه .

(٣) فى الديوان : « كل من ضيع » .

(٤) فى الديوان : « من غصون وقدود » .

والهوى لَفَّ خصورٍ بزنودْ لذةً مشتبهٌ من أشَبِ (١)

خلُصتْ من موبِقات الرِّيَب

❊ ❊ ❊

نفخ روحَ الرَّاح في جسم الزُّجاجْ إنها تثمرُ عن فيض مزاجْ (٢)

أيهـــا السَّاقي فبادرْ بالعِلاجْ رصِّعِ الشمسَ لنا بالشُّهُبِ

واسكُبِ الفضَّةَ فوقَ الذهَبِ





(١) الأشب : عدم خلوص الشئ .

(٢) في الديوان : « نفخ روح الراح . . . إنما تثمر . . . » .

١١١

السيد موسى الرَّامَحْمَدانى*

من صفوة آل أبي طالب ، وسَراة لُؤَيّ بن غالب .

تُقتبسُ من مشْكاته أنوارُ الصلاح ، وتُطلبُ من جانب طُورِه أطوارُ الفلاح .

طلع من قريته قبل أن يبلغ أشُدَّه ، وقد ربط نِطاق عَزْمِه وشَدَّه .

ثم ورد حِمَى الشَّهْباء الأزْيَن ، كما ورد مُوسى ماء مَدْيَن .

فوجد أمَّةً من الناس على مائها يُسيغون[1] ، كما وجد موسى على ماء مَدْيَن أمَّةً من الناس يسْقون .

فشرب من زُلالهم حتى ارْتوى ، وحدَّث عنهم بما سمِع وروَى .

ومن خَوارِقِه أنه خرق بحرَ القَرِيض في تراجُع أمرِه ، وذلك بعد ماتجاوز عددَ المِيقات[2] من سِنِي عُمْرِه .

والشاعر يقول[3] :

وماذا يبتغي الشعراءُ مِنِّي وقد جاوزْتُ حدَّ الأربعينِ

(*) السيد موسى الرام حمدانى ، الحلبي ، البصير ، الشافعي .

ولد برام حمدان ، من قرى حلب ، ثم توطن حلب ، واشتغل بتحصيل الفنون .

وكان بارعا في الرياضيات ، والعلوم الحكمية ، له معرفة بأخبار العرب ووقائعها .

وقد أبدع في الشعر والأدب ، وكان متعصرا لأبي العلاء المعري ، متاخا عنه .

وله مؤلفات ؛ منها : « نظم الأسماء الحسنى » .

توفي بحلب ، سنة تسع وثمانين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٥٣ ـ ٣٥٩ ، خلاصة الأثر ٤/٤٣٥ ـ ٤٤٢ .

(١) في ا : « يسقون » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) يعني ميقات موسى عليه السلام ، وكان أربعين ليلة ، وهو يعني هنا تجاوز المترجم أربعين سنة .

(٣) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، الأصمعيات ١٩ ، وروايته هناك :

وماذا يدَّري الشعراءُ مني وقد جاوزْتُ رأسَ الأربعينِ

فأظهر تلك البيضا[1] فى صنعة الشعر ، وسحر بالبَداهة والمعهود أنه يُبطل السحر .
فـكان قلمُه كعصا سميِّه ثعبانَ البيان ، يتلقف ماتلقيه سحرةُ البلاغة بين اللسان والبَنان .

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطَل السحرُ والساحرُ[2]

ثم خُجب بصره وكُفَّ ، فأصبح لشرفه محمولا على الأكُفّ .

* * *

وهو فى الشعر يوازن شاعر مَعَرَّة النُّعمان ، لـكنه مُنَزَّه الفطْرة عن مَعَرَّة العُميان .
فمن غرائبه قصيدةٌ ، أرسلها إلى دمشق ، لأحمد شاهين[3] ، ضمَّن كتاب ولم يذكر اسمه ، وأرسله مع من يجهل حَدَّه ورَسْمه .

والقصيدة مطلعها قوله :

* بانُوا فحدِّثْ عن الأحبابِ بِاطَّلَلِ *

ومن جملتها :

أنَّى توجَّهَتِ الأظعانُ أيْنَ سَرَوْا مَن فى الهوادج ماذا وارَتِ الـكِلَلُ[4]
عن يَمْنة الحىِّ أم عن يَسْرِه ظَعَنوا أم شَمْألًا أم جَنُوبا سارت الإبِلُ
بانُوا وفى العيْن منهم منْظرٌ حسَنٌ وفى الفؤاد كلُومٌ ليس تندمِلُ

* * *

فلما وصل الـكتاب إلى الشَّاهِينىّ ، سأل ناقلَه عن مُرسله ، فلم يزده على أنه رجل من أشراف حلب .

فأجابه الشاهينىّ بهذه الأبيات ، وأرسلها مع ناقل الـكتاب :

---

(١) فى ا : « البياض » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣١ .
(٣) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .
(٤) فى ج : « من ذا وارت الـكلل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ومن عجبٍ دون العجائب عاجبِ   كتابٌ أتانا ليس يُعْزَى لكاتبِ
كتابٌ كريمٌ حيث أُلْقِيَ بيننا   طربْنا وقلنا من أجلِّ مُكاتِبِ
وأذْكرَنا لما أتانا مُنكَّرًا   سليمانَ إذ لم تحظ منه بصاحبِ
وقلنا كريمٌ من كريمٍ وإننى   لعِرفانِ مُنْشيه لأطْلَبُ طالبِ
على أنه قبلًا سليمانُ لم يكنْ   ليكتُب إلا واسْمُه غيرُ غائبِ[1]

***

فراجعه بقصيدة طويلة، قال فى آخرها :

إن ابن شاهينَ لا تُنْسى صَنِيعتُه   لو أنها نصفُ بيتٍ خُطَّ بالشعرِ
أنا الكليمُ عصاىَ غيرُ خافيةٍ   إن شِمْتَها انبجستْ عينٌ من الحجرِ
عينٌ من المجد ترْمى من جوانبها   نَبْلَ القصيد فترمى الأُسْدَ بالذّعرِ
ونِسْبتى فى قُصَىٍّ نِسْبةٌ وسَطٌ   أعنى بها نِسْبةَ المبعوثِ من مُضَرِ
ولستُ ذاكراً اسماً فى مُراسلةٍ   يُهدَى بها النَّزْرُ من تمْرٍ إلى هَجَرِ[2]
هَضْماً لنفسىَ عن قول الفقير كذا   وهكذا فى فُصول الآىِ والسُّوَرِ

وصل كتابُك فملأ العيون ضياء ونوراً، والقلب فرحة وسروراً.

لكن شَمَمْتُ من اخْتصار نظمه إشارةً خفيّة، وتوسَّمْتُ فى أفانين نَثْره عبارةً جليّة، وتأولتُ الإشارة : الحرُّ بالقليل يقنع، وتأملت العبارة بما فيه كِفاية ومَقْنَع.

---

(١) فى ا : « على أنه قبل »، والمثبت فى : ب، ج.

(٢) فى ا : « يهدى بها النذر »، وفى ج : « يهدى بها المرء »، والمثبت فى : ب.

وهجر : معدن التمر، والمستبضع إليها مخطىء، ومنه قولهم فى المثل : كمستبضع التمر إلى هجر. مجمع الأمثال ٢/ ٦٦.

مترجياً [١] وَصْلَ حِبال الوُدّ ، متمنِّياً قطعَ أمْراسِ الصَّدّ .

على أنا أهلُ بيت لا نُؤْثِر على الحب مَذْهبا،ولا نَرغب عن قِنْطار منه بقنطار ذهبا .

وإن تواضع لنا الرفيعُ فبفضله ، أو ترفَّع علينا الوضيعُ فعلى مَهله .

وإن رأى المولى إتحاف العبد بما يملأ الفمَ عُذْرا ، ويُحدِث لعَلِيِّ مجده ثناء وذِكْرا .

ويقطع لسانَ الملام ، فذلك إليه والسلام .

* * *

فراجعه بقصيدة أولها .

ما روضةٌ دبَّجتْها السُّحْبُ فى السَّحَرِ   فدبَّجتْها يدُ الأنْواء بالزَّهَرِ

ويُستجاد منها قوله :

وقد عرفتُ اليدَ البيضا له كرماً   أما العصى فهْى للعاصِى بلا نكُرِ
أفْدِي الكليمَ الذى قد قال منبسطا   هذه عصاىَ ولم يضرِب سوى الحجَرِ
إنّ الكليمَ حديدٌ فى جَلالته   لا سيَّما نَبْلُ رامِى الأسْد بالذُّعرِ [٢]
والمُنْتَمِي المعتَلِي فى أوجِ نِسْبته   لمُودِع الحِلْم حدَّ الصارم الذَّكَرِ
يسمُو بجَدَّيْن جَدٌّ قد أناف به   على الحظوظ وجَدٌّ سيدُ البشرِ
وُجوهُنا ونَواصِينا وأعيُننا   مبذولةٌ لِتراب المصطفَى العطِرِ
ثم الوَصِيِّ ونجْليْه معاً وهما   رَيْحانتاه ومن يُنْمَى لذاك حَرِى

منها :

مِن واصلٍ جاءنا حَرُّ القَرِيض وما   من هاجرٍ جاءنا تمرٌ إلى هجَرِ [٣]

---

(١) فى ا : « مرتجيا » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ا : « رامى الأسد بالزهر » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) فى ا : « من واصل جاءنا حى القريض » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وجاءنا الدُّرُّ محمولا على صَدَفٍ ... وجاءنا العطرُ يُذْكِى نفْحةَ الزَّهَرِ[1]

وزارنا الغيثُ وَكّافا على جَدَدٍ ... وجاءنا البحرُ فيّاضا على النَّهَرِ[2]

من كل قافيـــةٍ غنّاء مُطرِبةٍ ... والشُّهدُ فيما أتانى شِيبَ بالصَّبِرِ

فرُحْتُ من راحِها المختوم مُنتشِياً ... لـكن سكِرتُ بها فى وَصْمةِ السَّكَرِ

وشعرُك الـكأسُ قد سَرّتْ أوائلُه ... لـكن أواخرُه لم تخلُ من كَدَرِ

لا بل هو الشُّهدُ لا يصفُو لعاسِله ... وليس يخلُو مُجاجُ النحلِ من إبَرِ

لا بل هو الجيشُ سرّتْنى طلائعُـهُ ... وساءنى بطشُه بالبيضِ والسُّمُرِ[3]

غادَرْنَ فى منزلى أشياءَ من جَدَلٍ ... مُوسَّدٍ بين خَدْشِ النّابِ والظُّفُرِ

هذا وهذا وما فى القلب غيرُ هوًى ... قد حلَّ منى محلَّ النُّورِ من نَظَرِى[4]

لـكنَّ للشِّعر أطواراً يمرح بهـــا ... وللحديث شُجونٌ ليس كالغِـــيَرِ

مالى وللشِّعر والشُّئون قد أخذتْ ... منى مآخذَها من سَطْوةِ الـكِبَرِ

* * *

ولما وردتْ هذه القصيدة ، خاطبه السيد أحمد بن النَّقيب[5] ، بقوله :

سَقيْتَ زُلالَ الشِّعرِ هِيماً من الظَّما ... يحلِّق حتى عن موارِدِه كلُّوا[6]

فجازُوك أن زَفُّوا إليك عقيلـــةً ... كذلك قد جُوزِى سَمِيُّك من قبلُ

وكتب إليه السيد المذكور أيضا جواب أبيات :

لموسى يدٌ بيضاء فى الشِّعر مالَها ... إذا ذُكِرتْ فى محفِلِ القومِ منكِرُ

---

(١) فى ب ، ج : « محمولا فى صدف » ، والمثبت فى : ا .

(٢) الوكاف : المتتابع . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٣) فى ا : « سرتنى مطالعه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « من بصرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١١٥ .

(٦) فى ب : « عن موارده كلوا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وكنتُ أراه يُبْطِل السحرَ ماله   بأشعاره يَسْبِى العقولَ ويسحَرُ
تشوّقْتُه إذْ غاب عـنّىَ بُرْهةً   وأوْحشنى بالهجرِ والهجرُ يعسُرُ
فآنسَنِى منه بعـذراءَ طَفْلةٍ   شبيهةِ بدرِ التّمّ بل هى أنْوَرُ (١)
فكنتُ كأنى حين زارتْ سَمِيُّهُ   وبنتُ شعيبٍ إذ أتتْ تتبختَرُ (٢)
ولو أننى أمْهَرْتُها العمرَ كلَّه   فما أنا فى التّحقيق إلا مُقصِّرُ

* * *

وكتب إليه أيضا ، يطلب مراجعته ، بقوله (٣) :

قسماً بمن جعـل الفضا   ئلَ والمعالى حَشْوَ بُرْدِكْ
وحَباكَ منه قريحةً   كعصا سَمِيِّك فى أشُدِّكْ
أبطلْتَ سحرَ بنى القَرِيـ   ـضِ بها فكنتَ نسيجَ وَحْدِكْ
وتلقَّفتْ مايصنعو   نَ فآمنوا رَغْماً بمجدِكْ (٤)
إنّ القوافى قد ملكـ   ـت زمامَها بعُلُوِّ جَدِّكْ
واختَرْتَ كلَّ فريدةٍ   منها تضىء بسِمْطِ عِقْدِكْ (٥)
وبلغْتَ منه ماترو   مُ فلم يصِلْ أحدٌ لِحَدِّكْ (٦)
فلأنتَ فى شَهْبائنا   مَلِكُ القريضِ برَغْم ضِدِّكْ (٧)
فاسلمْ ولا رُمِيتْ بنو الـ   آدابِ فى حلَبٍ بفَقْدِكْ

* * *

---

(١) الطفلة : الناعمة . (٢) يشير إلى قصة موسى عليه السلام وبنت شعيب التى ذكرها الله عز وجل فى سورة القصص . (٣) قصيدة السيد أحمد بن النقيب ، فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٤ ، خلاصة الأثر ٤/٤٣٦ . (٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فتلقفت » . (٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وأخذت كل فريدة » ، وفى ب : « بسعد عقدك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٦) فى إعلام النبلاء : « فلم يصل أحد لحدك » .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فى شهبائها » .

فراجعه بقصيدة طويلة ، منها قوله[1] :

فوق الشِّـــدادِ تشرَّعتْ ‏ ‏ يا ابنَ النَّقيبِ قِبابُ مَجدِكْ[2]
وأطاعك الشرفُ الرَّفيـ ‏ ‏ ـعُ فأنت فيــه نسيجُ وَحْدِكْ
أتعبتَ جَـــدَّ بنى القَريـ ‏ ‏ ـضِ فقصَّرُوا عن نَيْلِ جَدِّكْ[3]
وغَــدوْتَ تَرْفُل فى العلى ‏ ‏ تِيهاً وتُرغِم أنفَ ضِدِّكْ[4]

***

وحكى السيد يحيى الصَّادِق[5] ، أن السيد موسى انْتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه يداعبه[6] :

أقسمتُ بالسحرِ الحلا ‏ ‏ لِ وحُرمةِ الأدبِ الخطيرِ
ومصارعِ العشَّاقِ فى ‏ ‏ لَحَظاتِ ذا الظَّبْيِ الغَريرِ[7]
ومجالسِ الأُنْسِ التى ‏ ‏ عُقِدتْ على عَقْدِ السرورِ
إن كان موسى ذُو الأيا ‏ ‏ دِى البِيضِ والأدبِ الغزيرِ
لم يُرجِعِ المَغْصوبَ مِن ‏ ‏ شِعرِى وما أبْدَى ضَميرِى
لأُذيقَـــــه مُرَّ العتا ‏ ‏ بِ لدى الكبيرِ مع الصغيرِ
بل والخِصامَ لدى الإما ‏ ‏ مِ رئيسِنا صدرِ الصُّدورِ
وأصُوغ من دُرِّ القوا ‏ ‏ فى عِقْدَ لَوْمٍ مستنيرِ[8]

---

(١) أبيات السيد موسى الرام حمدانى ، فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٥٤ ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٣٦ .
(٢) فى ا : « فوق الشديد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى ب ، ج : « ترفل بالعلى » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٥) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١٢٠ .
(٦) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٣٧ .
(٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٨) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « من درر القوافى » .

يُنْسِي أُولى الألبابِ ما فعل الفَرَزْدق مَعْ جريرِ

* * *

فأجابه بقصيدة طويلة ، منها[1] :

مالى وللقَنْصِ الصَّرِ يحِ وهِمَّتى صقرُ الصُّقورِ
وعصاىَ طوعُ يدى تلقَّ فُ كلَّ سحرٍ مُستطِيرِ
إن أُلقِهـا انبجستْ عيو نُ المجدِ من صُمِّ الصخورِ
وبهـا على الدُّرِّ الثمِيـ نِ أغوصُ فى لُجَجِ البحورِ[2]
ولىَ اليدُ البيضاء بيْـ نَ الجمْعِ والجمِّ الغفيرِ
أستغفرُ الرحمن من دَعْوَى تُدنِّس بالفُجورِ[3]
هذى قوافِي الشِّعرِ حا ضرةٌ لدَى المولى الكبيرِ
نَجْلِ الحسامِ المستبدِّ برأيه الليثِ الهَصُورِ
مَن شُرِّفتْ حلبٌ به وعلَتْ على هامِ الثُّغورِ
إن كان مازعَموه حقًّا م فهْو أدْرَى بالأمورِ

* * *

وله من قصيدة :

وفوقنـا الأغصانُ مَعْكوفةً تحنو علينا من جفاءِ الهَجِيرْ
كأنهـا الغِيدُ تعطَّفْنَ من بعـد زمانٍ هجرُه كالسعيرْ
أو خَيْمةٌ خضراء من سُنْدُسٍ محْبوكةَ الأطرافِ حَبْكَ الحريرْ
والروضُ قد هتَّك من حُسْنِه سَرائراً أخفيْتُهـا فى الضميرْ

---

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٥ ، خلاصة الأثر ٤/٣٧ .
(٢) فى ب : « أخوض فى لجج البحور » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) اتفق الطابع من صدر هذا البيت وعجز الذى يليه بيتا واحدا فى إعلام النبلاء .

مذ غَنَّتِ الوُرْقُ على مُنْبِرِه … أغنتْ عن الذّي الرَّخِيمِ أمْثِيرْ [1]

ياعَنْدَلِيبَ الروضِ مهلاً فقد … هيَّجْتَ أشجـانَ المُعَنَّى الأسِيرْ

تشْدُو وصوتُ النَّجْمِ يستوقف الأ … أملاكَ والأفلاكُ فيهـا المُدِيرْ

والشمسُ من غُرَّتِهِ أشرقتْ … والبدرُ من ذاكَ المُحَيَّا المُنِيرْ

* * *

ومن مقاطيعه قوله [2] :

أشدُّ من الموت الزُّؤامِ مَرارةً … وأصعبُ من قَيْد الهوانِ وحَبْسِهِ [3]

مُعاشرةُ الإنسانِ مَن لا يُطيقه … وحَشْرُ الفتى مَعْ غيرِ أبناء جنسِهِ [4]

* * *

ومن لطائفه :

أنه ذكر بحضرته فتى إذا جرى في وصف الحسان تصريح ، فإنما هو حسنه البديع تلميح .

تُعيذه من خجلات الغرام ، وتلحظه مقلة عيون الملام .

فشُغف به على السَّماع ، وأوقف على حبِّه الأطماع .

وما زال به هائما ، وفي بحار عشقه عائما .

تأخذه حَيْرة التذكُّر ، وتمسكه لَهْفة التفكُّر .

فأنشده يوماً بعضُ الأدباء أبيات أبي العزّ الضرير [5] ، وقصد لَوْمَه في حب ذاك الظَّبي الغَرير .

---

(١) في ا : « الرخيم المنير » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) البيتان في : إعلام النبلاء ٦/ ٩٥ ، خلاصة الأثر ٤/ ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) في ا ، وإعلام النبلاء : « من قيد الهوان وحبه » ، وهو خطأ .

(٤) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « من لا يطيقه » وهي رواية أصدق بالمعنى .

(٥) أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة ، موفق الدين ، العيلاني ، الحنبلي ، الضرير .

شاعر مصري ، صنف في العروض مختصرا جيدا ، دل على حذقه .

ولد بمصر ، سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي بها ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

نكت الهميان ٢٩٠ – ٢٩٣ .

وهي [١] :

قالوا عشِقتَ وأنت أعْمَى ظَبْيــاً كحيلَ الطَّرْفِ ألْمَى

وحُـــــلاهُ ماعايَنْتَهَــا فتقول قد شغَلَتْكَ وَهْمــــاَ

من أين أرْسَـــــل للفؤا دِ وأنت لم تنظُرْه سَهْماَ [٢]

وخيــالُه بك في المنـــا مِ فما أطافَ وما ألَمّاَ

فأتم جوابها من حفظه [٣] :

فأجبتُ إنّي موسَوِيُّ العِشقِ إنْصاتاً وفهمــــاَ

أهْـــوَى بجـــارحةِ السَّما عِ ولا أرى ذاتَ المُسَمَّى

---

(١) الأبيات في نكت الهميان ٧٣ .

(٢) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في نكت الهميان .

(٣) هذان البيتان أيضا لأبي العز الضرير ، تمام قوله الأول، وليسا من إنشاء السيد موسى الرام حمداني، ومع هذا فإن معناهما يتوافق مع حاله .

١١٢

أبو مفلح محمد بن فتح الله البَيْلُونِيّ *

ماجد أفلح رائدُه، وجلَّت فوائده وفرائدُه.

صفحتُه البدر إلا أنه مُشرِق، وحديثه الروضُ إلا أنه مُورِق.

وهو بمكان من النَّباهة مَـكِين، يطلع له من كل ناحيـة على جيش البلاغة كَمِين.

ومع وَقاره الذى به يُعرَف، يبدو له من النُّكات مايُستملَح ويُستظرف.

وبلغتْ به السنُّ وهو جوَّاب بلاد، ومُنفِقٌ من رياشه كل طريف وتِلاد.

فجاءت أيامُه فى تقلُّبات تقتضيه، لـكنها لم تخلُ فى الحظ من فلَتات تسترضيه [1].

تصقُل الأصائلُ ديباجتَها [2]، وتُشعشِـع البُـكر زُجاجتَها [3].

فـكم شُغِف به المدحُ المُحبَّر، وتشوَّق إليه الثناء المعطَّر.

حتى إذا قرُبت به النوى، وأذَّنت به على إلمام من فضل الثَّوا [4].

(*) أبو مفلح محمد بن فتح الله بن محمود البيلونى، الحلبى، القاضى.

ولد بحلب، وبها نشأ، وتأدب بوالده فتح الله البيلونى.

ورحل إلى الروم، وسلك طريق القضاء، فولى المناصب السنية فى إقليم مصر.

كان البيلونى غرة فى جبهة الفضل، كثير الأدب، راوية للشعر والوقائع، خبيرا بصنعة النقد، غواصا على دقائق الأدب.

توفى سنة خمس وثمانين وألف.

إعلام النبلاء ١ / ٣٥٠ ـ ٣٥٣، خلاصة الأثر ٤ / ١٠٥ ـ ١٠٨.

والبيلونى: لقب جده، وهو نسبة للبيلون، وهو طين أصفر، تسميه أهل مصر طفلا.

ريحانة الألبا ١ / ٢٠٤، وانظر إعلام النبلاء ٦ / ٢٤٣، خلاصة الأثر ٣ / ٢٥٧، سلافة العصر ٣٩٩.

وفى ا، ب: « محمد بن مفلح بن فتح الله »، وفى ج: « محمد أبو مفلح بن فتح الله ».

(١) فى ب: « ترتضيه »، والمثبت فى: ا، ج. (٢) فى ب: « ديباجها »، والمثبت فى: ا، ج.

(٣) فى ب: « زجاجها »، والمثبت فى: ا، ج. (٤) فى ب: « القوى »، والمثبت فى: ا، ج.

طلع طلوعَ النجم في الآفاق ، وهبَّ هبوبَ النسيم على أخلاق الرِّفاق .

وحلَّ من الجفون محلَّ الوسَن ، ونزل من القلوب نزولَ الفأْل الحسَن .

وقد رأيتُه بدمشق ووالدى يُوسِعه رَعْيه، وَمَبَرَّة ويترنَّح باغتنام محاضرته جذَلا ومسَرَّة .

وصُبْح وجهِه يومئذ لم يَبْقَ فيه أثرُ غَيْهب ، وكُمَيت صِباه جرى فساد[1] وهْو أشْهب .

* * *

وتداولتُ بعدُ من أشعره المبدَّلة الأغصان ، أشياء تقرَّطت بزهَرات الحسن والإحسان .

فمنها قوله ، من قصيدة مستهلها[2] :

دُمْتَ يامَرْبَعَ الأحبَّةِ تَنْدَى ... كاسياً بالزهور بُرْداً فبُرْدَا

يَله مربَعٌ إذا جَادَه النَّوْ ... ءُ فساقِى الصَّبوحِ يقطِف وردَا[3]

وإذا انْساب في جداوله الما ... ءُ حساما جَلَى النسيمُ الفِرِنْدَا[4]

جَنَّةٌ والغصونُ في حُلَل الأزْ ... هارِ حُورٌ بها ترنَّح قَدَّا[5]

وتهادَى مَعاطِفُ البانِ سُكْراً ... كتهادِى العناق أخْذاً وردَّا[6]

وتُدِيرُ الصَّبا كؤوسَ شذَا النَّوْ ... رِ على نَغْمة البلابلِ سَرْدَا

كيف جُزْتِ الطريقَ يوماً ومن خَو ... فِك دمعى بالسيلِ يسلُك سَدَّا[7]

---

(١) في ا : « وعاد » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/٣٥١ ، ٣٥٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) في ا : « يله من مربع » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ب ، ج : « على النسيم الفرندا » ، والمثبت في : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفي ا : « في حلل الأز * هار حوائها ترنح قدا » ، والمثبت في : ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٦) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بتهادى العناق » . (٧) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كيف جزت الطريق جوزا » .

لو رعيتِ العهودَ أحسنتِ لكن ... قلّما تحفظُ المليحةُ عهدَا

***

وقوله من أخرى، مستهلها [1]:

وجهٌ يقابلني لكنه قمرُ ... في الليلِ يطلُع لكن ليلُه شعَرُ

نظرتُه فسطا في القلب ناظرُه ... ورُبّ حَتْفٍ به قد أوقع النظرُ

لله ماصنعتْ بي وَجْنتاه ومَن ... للنّار يقرُب لاينفكُّ يستعِرُ [2]

ظَبْيٌ سبَى اللبَّ إلا أنه ملَكٌ ... من الملائك لكن طبعُه بشَرُ

غنَّمتُه بدويًّا راق منظرُه ... ورقّ حتى استعارتْ دَلَّه أُخَرُ

للسحرِ من لفظِه معنًى بقوّتِه ... عن العقول صوابُ الرأيِ مستتِرُ [3]

ماشاقني قبلَ رُؤْيا وجهِه قمرٌ ... ولم يُشِم بعدَ ريّا نعلِه عطِرُ

جمُّ المحاسن معسولُ الدّلال له الـ ... ـقدُّ الذي خَصْرُه لايُدرِكُ البصرُ

لاعيبَ فيه سوى أن المحاسنَ من ... دون الأنام جميعاً فيه تنحصرُ

عن كأسِه خدُّه حَلّ ياندِيمُ لكي ... يُنْبيكَ أن الحُميّا منه تُعتصَرُ [4]

وانظرْ محاسنَهُ دُرًّا كمبسَمِه ... منه كدمعِك دُرُّ اللفظِ ينتثرُ [5]

منها [6]:

عيناه في القلب أغصانُ الهوى غرَسا ... ورُبّ غَرْسٍ جَناه الصّابُ والصّبِرُ [7]

أوْلَيْتُ للشوقِ قلباً ليس يرجع من ... هجرٍ أيرجعُ ماءٌ حيث ينحدرُ

---

(١) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/٣٥٠، ٣٥١، خلاصة الأثر ٤/١٠٥، ١٠٦.

(٢) في ب : « لله ما فعلت بي وجنتاه »، والمثبت في : ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

(٣) في إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر : « للسحر من لحظه »، وفي ب : « صواب الرأي يستتر »، والمثبت في : ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

(٤) في ب : « فيه تعتصر »، والمثبت في : ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

(٥) في إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر : « وانظر محاسنه ».

(٦) لم يرد هذان البيتان في : إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

(٧) في ج : «عيناي في القلب»، والمثبت في : ا، ب.

ومن مديحها قوله[1] :

يكاد بدرُ الدُّجى يَنْمَى لطلْعتِهِ   لو كان يمشى على وجهِ الثرى القمرُ

قضى الإلهُ بأنْ يَفْدى بحاسدِهِ   فمـــــا له حسَدٌ باقٍ له عُمُرُ[2]

والدهرُ لو أنه نَدْواه لاقتلعتْ   ظلالُه ورأينا الناسَ قد حُشِرُوا

له عزائمُ زانَ الحِلْمُ سَطْوتَها   يَنْقَدُّ إن شامَها الصَّمْصامةُ الذَّكَرُ[3]

منها[4] :

وافَيتُ باكِرَ لاأرجو سواهُ ومَا   سواه ليس به نفعٌ ولا ضَرَرُ

وجئتُ سَبْسَبَ خَطْبٍ من مَناسِمِهِ   بسيْلِ ذَوْب اصْطبارى تملأُ الخُفَرُ[5]

وأينُقٍ حين أحْدُوها بمدْحك لا   يكاد يلْحقُها من سُرعةٍ النَّظَرُ

كأنها ابتلعتْ بِيدَ الفَلا وسرتْ   فى السُّحْبِ تقصِد حيث الغيثُ ينهمرُ

فظهورهُنَّ حرامٌ إذْ بلغْنَ بنا   بلدٍ يحِـــلُّ بمن قد حلَّه الوطَرُ

منها :

وهـــذه مِدَحى فى طَىِّ أسطُرِها   عبيرُ ذكرِك فى الأقطار ينتشرُ

عذراءُ ترفُل فى ثوبِ البلاغةِ   من القوافى حُجولٌ صاغَها الخَفَرُ

ألفاظُهـــا كصخورٍ فى متانتِها   وكلُّ لفظٍ به معنـــاه مُفتقِرُ

※ ※ ※

وله من قصيدة ، أولها[6] :

صَبابةٌ لااصْطبارَ يضمِرهـا   ومهجةٌ لاخليلَ يعــذُرُها

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٢) فى ا : « بأن يفدى بحاسده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الإعلام ، والخلاصة : «فماله حاسد» . (٣) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، كما لم ترد الأبيات التالية فيهما . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٥) فى ب : « تملأ الخضر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٢ ، ٣٥٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٧ .

ودمعةٌ لاالزّفيرُ يُنضِبها ... وزفرةٌ لاالدموع تُضمرُها

وعَشْقةٌ قد أبان أولُها ... أن هلاكَ المحبِّ آخرُها

فكل نارٍ وإن علَتْ خمدتْ ... سوى التى وَجْنةٌ تُسعِّرُها[1]

وَيْحَ جريحِ اللِّحاظ عِلّتُه ... فى الطبِّ حيث الطبيبُ خنجرُها

ثباتُ عينُ الحبيبِ ليلَته ... كالنجمِ لكن أبيتُ أسهرُها

لولا الكرى قامت مُرنَّحةٌ ... لم تكُ أيدى الجفونِ تهصُرُها

لى زَفْرةٌ لم أزلْ أُصعِّدُها ... ودمعةٌ لم أزلْ أُقطِّرُها

ماالعشقُ إلا كالكيمياءِ أنا ... دون جميعَ الأنام جابرُها[2]

تبسَّم إن كُلِّمتْ مَشاكِلُها ... ودُرُّ دمعى غدا يُناظِرُها

هيفاءُ ماالغصنُ مثلَ قامتِها ... لكنَّ أعطافَه أشايِرُها[3]

أعشق من أجْلِها الكثيبَ إذا ... يضمُّ أمثالَه مآزِرُها

وأحسِدِ البدرَ فى محبّتِها ... فغيرُه لايكاد ينْظُرها

وألثَمُ المسكَ والعبيدَ عسى ... يكون مما فتّتْ ظفائرُها

لله مافى الهوى أُعالجُ من ... لواعِجٍ فى الهوى أُصابِرُها

ياحبَّذا خُلْسةٌ ظفرتُ بها ... فى غفلةٍ للزمان أشكرُها

حيث لعهْدٍ غدتْ تمدُّ يدًا ... لم تدْرِ أسرارَها أساورُها[4]

يسألها خاطرِى الوصالَ ولا ... يُجيب عنه إلّا خواطرُها

---

(١) فى إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر: «إذا علت خمدت .. التى جمره». (٢) فى ب: «دون الأنام جائرها»، والمثبت فى: ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

وهو يعنى جابر بن حيان بن عبدالله الكوفى، عالم الكيمياء، المتوفى سنة مائتين للهجرة. إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١١١.

(٣) أشايرها: كذا، ولم يتضح لى معناه. (٤) فى ا، ج: «لم تدر أسرارها أساورها»، والمثبت فى: ب، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

ليت ليالى الوِصالِ لو رجعتْ أوْليت قلبي معى فيذكرُها[1]

* * *

ومن مقاطيعه قوله[2] :

لا تلُمْ من شكا الزمانَ وإن لم تَشْفِ شكْواه عـــلَّةَ المَجْهودِ
إنما يُحوِج الكرامَ لشكْوَى شوقُ مافى طباعِهم من جُودِ[3]

---

(١) فى ا : « أوليت قلبى معى فأذكرها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٨ . (٣) فى إعلام النبلاء : « إنما يحوج الكرام بشكوى » .

وهنا أذكر ثلاثة من بلغاء[1] النثر والنظم ، نسَقهم الشِّهاب فى مطالع خبايا‌ه نَسْق النظم .

فمنهم :

١١٣

السيد محمد بن عمر العُرْضِيّ*

هو من أُلقيتْ إليه فى كرم الطبع أعِنَّـةُ السَّلَم ، فلولا توقُّد ذهنِه لاخضرَّ فى يده القلم .

مكانته من الشهرة حيث يستبين للمُبصر النهار ، وطبعه يتنفَّس عن المعانى تنفُّس الروض عن الأزهار .

* * *

وله عذبُ لفظٍ يلفِظ الدُّرر الزَّواهر ، وفى غير هذا العذْب لاتتكوّن الجواهر .

ينظِم فيوزِّع على العقول سحرًا ، وينثر فيفرِّق على الأفواه دُرًّا .

فهو يُذيب الشعر والشعرُ يُذيبه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبه .

---

(١) فى ا : « البلغاء فى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(*) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضى ، الحلبى .

يقول فيه المحبى : كان من الفضل فى مرتبة الآحاد ، ومن الأدب فى مرتبة لا تنال بالاجتهاد .

ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، ثم ولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم .

وحين مات أخوه أبو الوفاء أخذ مكانه فى إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .

توفى سنة إحدى وسبعين وألف ، وبلغ من العمر نحو ستين سنة .

إعلام النبلاء ٦/٣١٨ ـ ٣٣٤ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤/٨٩ ـ ١٠٣ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٤ ـ ٢٧٨ .

وعرض ، التى ينسب إليها المترجم، بضم أوله وسكون ثانيه : بليد فى برية الشام ، بين تدمر والرصافة الهشامية . يقول ياقوت : يدخل فى أعمال حلب الآن .

معجم البلدان ٣/٦٤٤ ، وانظر استدراك ابن الأثير على ابن السمعانى . اللباب ٢/١٣٢ .

إذا خطَّ فى الطِّرس نمَّ ببدائع الآثار ، وأطْرب حتى كأن قلمَه مِضرابٌ وسطوره أوتار .

فيجيء من أبكار أفكاره ، بما يستعير الرَّحيقُ السَّلْسَل من فضلِ إسْكاره .

وكان دخل الرومَ مقدِّرًا أن المَتاع بأرضِه يُسترخَص ، وأن المرء يبلغ مُناه فى أىِّ وَجهٍ يشخَص .

فلم يحصُل على مايستحقه وُفور كمالِه ، فقال يذكر مالقيَه من تخلُّف آماله[1] :

لما ضاقتْ رقاعُ بلادى ، ونفِدَت حقيبةُ زادى .

فوَّقتُ[2] سهامَ الاحْتيال ، وأجلْتُ قِداح الفال .

فكان مُعلّاها السَّفر ، سفينةُ النجاة والظَّفَر .

طفِقْت أتوكّأُ على عَصا التَّسْيار ، وأقتحم موارد القِفار .

أفْرِى فَلاةً يبعُد دونها مَسْرَى النَّعِىّ ، وألطِم خدودَ الأرض بأيدى المَطِىّ .

فكنت فتى قذفتْه رقّة الحال على بَرِيد النَّوى ، واعتنقتْه الهمةُ العاقِر[3] وألقحتْ بعزمه لواقح المنى .

أسايرُ عساكرَ النجوم والأفلاك ، وقد ركَز[4] الليلُ رُمح السِّماك[5] .

فأنخْت راحلتى بمُخيَّم المجد ، وقَرارة ماء السَّعد .

كعبةِ الأفاضل إلا أنهم يحجُّون إليها كلَّ آن ، وسوق عُكاظِهم إلا أنها تُنصَب فيها مَصاقِع الروم لامصاقع عَدْنان .

فلما ألقتْنى فيها[6] أرْجوحة المقادير ، فإذا هى فلَك العِزّ ومطلع التّدبير .

---

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٤/٩٠ ، ٩١ هذه القطعة أيضا ، ونقلها عنه الطباخ ، فى إعلام النبلاء ٦/٣١٩ . (٢) فى الأصول : « قوضت » ، والمثبت فى الخلاصة. (٣) فى خلاصة الأثر : « العاقرة » . (٤) فى ا ، ج : « ركن » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) يعنى السماك الرامح ، أحد نجمين نيرين .

(٦) فى ب ، ج : « بها » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

إلا أن حالى تقسَّمتْ فيها بين الاغْتراب والاضطراب والاكتساب أثلاثا ، فما نزلت منها منازلَ إلا حسِبتُها علىَّ أجْداثا .

وسقَتْنى الدُّرْدِىَّ من أول دَنِّها ، وسوءَ العِشْرة باكورةُ فنِّها .

كل هذا وأنا أسْتلين مَسَّ[(١)] خُشونتِها ، وأُسِيغها على كُدْرتِها .

وأقول : إذا لم تتمَّ الصدورُ فستتمُّ العواقب .

وإن لم تُرَش[(٢)] القوادِم فسَتُرَيَّشُ الخوافى والجوانب .

* * *

وكتب إلى حلب لبعض أوِدَّائه :

وأيْمُ الله لقدطال حديثُ الفِراق واسْتطال علىَّ سُلطانه ، وقدقرأت كتابَه فما سرَّنى خاتمتُه ، بقدرْ ماساءنى عُنْوانه .

وكلما محَت أناملُ وَشْكِ الملتقَى من أسطُره سطرًا ، خطَّتْ أقلامُ مُمْليه عِوَضَه عشْرًا .

وكلما استنهضتُ عزيمتى أقعدتْها كلاكِلُ التَّوانى ، وحالت بينها وبين مُخدَّرات الأمانى .

فإلى الله عز وجل أرفعُ يدَ التضرُّع ، وأُذْرِى فى ساحة الدعاء دموعَ التفجُّع والتوجُّع .

أن ينظِم ذاتَ البَيْن ، ويجْدَع بحدِّ الاجْتماع مَارِنَ البَيْن .

* * *

وكتب من تعزية بنقيب أشراف حلب :

ما أيقنتُ أن قُسْطنطِينيَّة هى الجزيرة السودا[(٣)] حتى وقع لدىَّ طيرُ هذا النَّعِىّ ، الذى ما زال حامله يلطِم خدودَ الأرض بأيْدى المَطِىّ .

(١) فى ، ا ج : « من » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .　(٢) فى الخلاصة : « تريش » .

(٣) فى ا : « السواد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فياله من خبرٍ حَيْنٍ زاد فى مرض القلوب ، وشقَّ الأكباد قبل الجيوب .

وقرأتُ ما كتبته أقلامُ التفجُّع بأفواه الجفون ، ونثرتُ عندها عِقْدَ شملِيَ المَصُون .

حيث لم أدّخِر لسفرِ هذه الفُرقة من زاد ، ولا بَلَّيْتُ غليلَها ببَراد .

وأيْمُ الله ماذكرتُ لطائمَ أخلاقِه الغُرّ ، وحلاوةَ مَنْطِقِه الحُرّ .

وقَطْفَه نَوْرَ الفضائل ، وإهداءه باكورةَ المسائل .

وإحْرازَه قصَبَ السَّبْق ، وثبوتَ قدمه على جادّة الصدق .

وإيواءه لى فى حَواشِي وُدّه الخصيب ، وإلباسِي كلَّ يوم رداء [1] لفَقْده القَشِيب.

إلّا اتّقدتُ عليه حرًّا ، وتأبّطتُ على الحِمام شرًّا .

وأسأل الله تعالى أن يجعل وفاته خاتمةَ كتابِ الرّزايا ، وقافيةَ بيتِ البَلايا .

وأن يُقلِّمَ ظُفْرَ مُصابه بأنامل الصبر ، ويُذيقَكم عن مَرارةِ صابِه حلاوةَ الأجْر .

* * *

ومن شعره فى أيام اغترابه ، يشتكى من كثرة اضطرابه :

أما لأسيرِ الروم فَكٌّ من الأسْرِ فقد ملكتْ آرامُها القلبَ بالأسْرِ

بها نثرُ شَمْلِي من ثغورٍ تنظَّمتْ فيالكَ من نَظْمٍ غدا داعيَ النَّثْرِ

ولا بِدْعَ فى أرضِ الثغورِ شتاتُنا ومَن لى بأنْ سَدَّ ذُبَّالك الثَّغرِ

يُذكِّرنا رَوْعَ العذارَى بمَنْزِلٍ أجادَ المَنازِى وَصْفَه غابرَ الدَّهرِ [2]

---

(١) فى ب : « ردات » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) يعنى قول المنازى :

تَرُوع حَصاه حاليةَ العذارَى فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيمِ

وقد تقدم فى صفحة ٤٥٢ .

إذا همستْ فى شُكْرِ غيرِكَ ألسُنٌ ... فأنت لك الأسفارُ تُعلِن بالشُّكْرِ [1]

بقيتَ لك العلياء تُعْطِى قِيادَها ... بتلك اليدِ البيضاء والبِيضِ والسُّمْرِ

* * *

وله يتشوّق إلى أحبابه ، ويحِنّ إلى معاهد صَبْوته وشبابه :

يابريدَ الأشواق أوْجِفْ لدارٍ ... هى مُصْطاف لَوْعتى وشبابِى

واختبرْ أُسرةً أراهم بكاسِى ... ماتذكَّرتُهم بطافى الحَبابِ [2]

هل هواهم بنا كما قد عهِدْنا ... أم قضى شخصُه بحُبِّ اغْترابى

فمِن اللهِ أستعيدُ لِقاهُم ... وبه إن جفا الحميمُ احْتسابى

فهو عونُ النّائِى الغريبِ إذا ما ... عَضَّه حادثُ الزمان بنابِ

* * *

وقال :

أحِنُّ إلى شَهْبائنا وقُوَيْقِها ... إذا انساب منه بالمَيارِب سَلْسالُ

وأظمأُ حتى أرْتوِى منه باللّمَى ... وألْثَم أرضاً دونها خَفَقَ الآلُ

ولم تستمِلْنى الرومُ شمسُ مُدامِها ... تُدار بكَفِّ البدرِ والمرءُ مَيّالُ

فماء بلادى كان أنجعَ مشرباً ... ولو أن ماء الرومِ صَهْباء جِرْيالُ

* * *

قُوَيْق نهر حلب [3] ؛ أكثر الشعراء من وصفه، فمن وصفه الخطيب أبو عبدالله [4]

محمد بن حرب ، فى قوله:

---

(١) فى الأصل : « ثات الافسار » ، ولعله جمع الفسر ، وهو الإبانة وكشف المغطى .

(٢) فى ا : « بطاف الحبابه » ، والمثبت فى: ب ، ج . (٣) يقول ياقوت ، فى معجم البلدان ٤/٢٠٦ : « هو نهر مدينة حلب، مخرجه من قرية تدعى سبتات ، وسألت عنها بحلب ، فقالوا : لا نعرف هذا الاسم، إنما مخرجه من شناذر ، قرية على ستة أميال من دابق ... » . (٤) هكذا جاءت كنيته «أبو عبدالله» ، =

لقـــد طُفتُ فى الآفاقِ شرقًا ومغربا   وقلّبتُ طَرْفى بينهـــــا مُتقلّبا
فلم أرَ كالشّهباءِ فى الأرض منزلاً   ولا كقُوَيقٍ فى المَشارب مَشْربا

* * *

وللصَّنَوْبَرِىّ فيه [1] :

قُوَيقٌ إذا شمَّ ريحَ الشّتـــــا   ءِ أظهرَ تيهاً وكِبْراً عجيبا [2]
وناسَبَ دجْلةَ والنّيـــلَ والـ   ـفُراتَ بهـــاءً وحسنًا وطيبا
وإن أقبَـــلَ الصيفُ أبصرْتَه   ذليلاً حقــــيراً حزينا كئيبا
إذا ما الضفـــادعُ ناديْنَه   قُوَيْقُ قُوَيْقُ أبَى أن يُجيبا
وتَمْشِي الجرادةُ فيه فلا   تــكادُ قوائمهـــا أن تغيبا [3]

* * *

وله فيه :

قُوَيقٌ على الصفراء رُكّب طبعُه   رَباه بهـــــذا شُهدُه وحدائقُه
فإن جَــدَّ جِدُّ الصيفِ غادر جسمَه   ضئيلاً ولــكنّ الشتــــاء يوافقُه

* * *

= والمكنى بأبى عبدالله هو محمد بن حرب الخولانى ، الذى ولى قضاء دمشق ، وهو من رجال الحديث ، حافظ ، ولم يعرف له شعر ، توفى سنة أربع وتسعين ومائة .
انظر تهذيب التهذيب ٩/١٠٩ .
أما الذى عرف بالشعر فهو أبو المرجا محمد بن حرب بن عبد الله الحلبى ، النحوى ، المتوفى سنة ثمانين وخمسمائة .
انظر معجم الأدباء ١٨/١١٧ .

(١) البيتان الأخيران من شعر الصنوبرى ، فى معجم البلدان ٤/٢٠٦ ، بدون نسبة .
(٢) فى ب : « وكبرا وعجبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) رواية معجم البلدان :

تغوصُ البعوضةُ فى قعرِه   وتأبى قوائمها أن تغيبا

ولهُ فيه ، من قصيدة :

هو الماءُ إن يوصَفْ بكُنْهِ صفاتِه ... فللماء إغضاءٌ لديه وإطْراقُ

ففي اللون بَلُّورٌ وفي اللَّمْعِ لُؤْلُؤٌ ... وفي الطِّيبِ قَنْديدٌ وفي النَّفع دِرْياقُ (1)

إذا عبثتْ أيْدي النسيمِ بوجْهه ... وقد لاح وجهٌ منه أبيضُ بَرّاقُ

فطوراً عليه منه دَرَقٌ خفيفةٌ ... وطوراً عليه جَوْشَنٌ منه رَقْراقُ (2)

وقد عابه قومٌ وكلهمُ له ... على ماتعاطَوْه من العيْب عُشّاقُ

وقالوا أليس الصيفُ يُبْلى لِباسَه ... فقلتُ الفتى فى الصيفِ يُقنعه طَاقُ

وما الصبْح إلّا آيبٌ ثم غائبٌ ... تُواريه آفاقٌ وتُبديه آفاقُ

ولا البدرُ إلا زائدٌ ثم ناقِصٌ ... له فى تَمام الشهرِ حَبْسٌ وإطلاقُ

ولو لم تَطاولْ غَيْبةُ الوردِ لم تَتُقْ ... إليه قلوبٌ تائقاتٌ وأحداقُ

ولو دام فى الحبِّ الوصالُ ولم يكنْ ... فِراقٌ ولا هجرٌ لما اشْتاق مشتاقُ

وفضْل الغنى لا يستبينُ لدى الغنى ... إذا لم يكنْ فى ذلك الفضلِ إمْلاقُ

فُوَيْقُ رَسِيلُ الغيثِ يأتى وينقضى ... ويأبى انْسياقا تارةً ثم ينْساقُ

* * *

وللعَرُوضِىّ من مكاتبة:

هل من خليلٍ بشَهْبانا نُخالِلُهُ ... وهل غزالٌ إذا عُدْنا نُغازِلُهُ

عهدْتُها وشموسُ الرّاحِ جاء بها ... بدرُ التَّمام وغصنُ الْبان حامِلُهُ

إن ماسَ من وَلَهٍ وَاذَلَّ عاشقِه ... حتى م يفْنَى إذا ما اهْتزّ عامِلُهُ

تُرَى إذا ماقرعْنا باب ساحتِه ... يُولِى الجميلَ وإلّا خاب آمِلُهُ

---

(1) القنديد : عسل قصب السكر إذا جمد .

(2) الدرق : التروس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب . والجوشن : الدرع .

وهل نَوَدُّ فتى شطَّتْ منازِلُه ... ورَبْعُه قد خلا والبَيْن نازِلُهُ

ماحِيلتى وطُروق البَيْن أقلقنى ... كأنَّ عيْشا مضى مازال زائِلُهُ

طال الفِراقُ فلا وافٍ يُراسِلنا ... على البِعاد ولا آتٍ نُسائِلُهُ

* * *

وله :

هم القومُ إن بانُوا عن العينِ أو بانُوا ... بِهِم رَبْعُ قلبى آهِلٌ حيث ما كانُوا

أُنقِّلهُم من منزلٍ بعد منزلٍ ... ولولا انتضاء السيفِ أصْداه أجْفانُ

فطوْراً جعلتُ العينَ وادِى عقيقِهِم ... إذا سال منها بالمَدامع طُوفانُ

وطوراً لهم قلبى الغَضا ماتضرَّمتْ ... بتذْكارِ عيشٍ لم يدُم لىَ نِيرانُ

لئن فات عينى منهمُ اليوم بَهْجةٌ ... فقد ملأتْ دارَ الأحاديث آذانُ

وكم من مُحِبٍّ لم يشاهِدْ حبيبه ... كما تُعْشَق الجنَّاتُ روضٌ وأفنانُ

أُؤَجِّج فى الأحْشاء نارَ القِرَى عسى ... على ضوئها تَعْشو من الطَّيْفِ ضِيفانُ

فرشْتُ له جَفْناً بطانَفَة الكَرَى ... وأين الكَرَى هيهات قولىَ بُهتانُ[(١)]

فما الطيفُ إلا البدر والنومُ فكرتى ... فها أنا يقظانٌ وها أنا وسْنانُ

أمولاىَ ياهذا الصَّلاحى الذى به ... صَلاحُ وِدادٍ قد وهَى عنه ثهلانُ[(٢)]

لئن ظَمِئتْ عينى إلى مَنْهَلِ اللِّقا ... فقلبى برَيَّا ذِكرِك اليومَ رَيَّانُ

* * *

ومن غُرَر قصائده فى إبْداء التشوّق ، قوله[(٣)] :

على أثَلاتِ الوادِيَيْن سلامُ ... وبعضُ تحايا الزائرين غَرامُ

تذكَّرتُ أيامى بها وأحبَّتى ... إذ العيشُ غَضٌّ والزمان غلامُ

---

(١) فى ب : « بطائفه الكرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/٩٤١ .   (٣) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٦ ، خلاصة الأثر ٤/٩٦ ، ٩٧ .

وإلْمامتى بالحىِّ حيثُ تواجهتْ ... قصورٌ وأكنافُ الحِمَى وخيامُ [١]

ألامُ على هِجْرانِهم وهمُ المُنَى ... وكيف يُقيمُ الحرُّ وهْو يُضامُ

همُ شرَعوا أنَّ الجفاءَ مُحلَّلٌ ... وهم حكموا أن الوفاءَ حرامُ

بقلبىَ رَوْحٌ منهمُ وضَمانةٌ ... وعندىَ بُرْءٌ منهم وسَقامُ [٢]

وأبْلجَ أمَّا وجهُه حين يُجْتَلَى ... فشمسٌ وأما كفُّه فغَمامُ

جرى طائرى منه سَنيحاً فمَّانى ... بدرِّ أيادٍ مالهنَّ فِطامُ

شَرَدْتُ عليه غيرَ جاحدِ نعمةٍ ... أُكلَّفُ خَسْفاً بعده وأُسامُ

وقد يُسلَب الرأىَ الفتى وهْو حازمٌ ... ويَنْبو غِرارُ السيفِ وهْو حسامُ

فقد وجد الواشون سُوقاً ونفَّقوا ... بضائعَ زودى مالهنَّ دَوامُ [٣]

وبعضُ كلامِ القائلين تزيُّدٌ ... وبعضُ قبولِ السامعين أثامُ

فأصبح شَمْلُ الأُنْسِ وهْو مُبدَّدٌ ... لديه وحبلُ القُرْبِ وهْو زِمامُ [٤]

يُقرَّبُ دونى من شَهِدتُ وغيَّبوا ... ويُوصَل قبلى من سهِرتُ وناموا

تزاوَرَ حتى ما يُرجَّى التفاتُه ... وأعْرض حتى ما يُرَدُّ سلامُ

فلا عَطْفَ إلاّ لَحْظةٌ وتنكُّرٌ ... ولا رَدَّ إلا ضَجرةٌ وسآمُ [٥]

فإن يكُ رأىٌ زلَّ أو قدَرٌ جرى ... بنازلةٍ فيها علىَّ مَلامُ

فواللهِ مافرّقتُ فيك جنايةً ... أُعابُ بها فى جَحْفلٍ وأُذامُ

ولا قرَّ لى بعد التفرّقِ مَضْجَعٌ ... ولا طابَ لى بعد الرَّحيلِ مُقامُ

---

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قصور بأكناف الحمى » . (٢) ضمن الرجل ضمانة : أصابه مرض يلازمه ويشتد عليه وقتا بعد وقت .

ولم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ب ، ح : « بضائع ذودى » ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بضائع زور » ، والمثبت فى : ا ، ولعله أراد زائفة . (٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وهو ذمام » ، ولعل الصواب : « وهو رمام » . (٥) هذا آخر ماجاء من هذه القصيدة فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

ولا لىَ إلّا فى ولائك مَسْرَحٌ ... ولا لىَ إلّا فى هواك مَسَامُ
وإن أكُ قد فارقتُ دارَكَ طائعاً ... فللدهرِ فى شَتّ الجميع غَرامُ
فقبّلىَ ماخلّى عليًا شقيقُه ... وقرّ به بعد العراق شآمُ (١)
حياءً فإن الصفحَ فيه مَغبَّةٌ ... ومَعْذرةً إن الكرامَ كرامُ
ألِمْنا وأعذرتم فإن تبلغِ المَدى ... من العَتْب نُعْذَر دونكم ونُلامُ
وأحسنتمُ بَدْءًا فهلاّ أعدتمُ ... ففى العَوْد للفضلِ الجميلِ تَمامُ
أجِلُّك أن ألقاك بالعُذْر صادقًا ... وبعض اعتذار المُذنبين خِصامُ
أتبْعُد حتى ليس فى البُعد مَطْمَعٌ ... وتُعْرِض حتى ما تكاد تُرامُ
وتنسى حقوق عند أوّل زلّةٍ ... وأنت لأهل المكرُمات إمامُ
أنا ألقَ فيك الأسْرَ وهو مُبرِّحٌ ... وألتذُّ طعمَ الموت وهو زُؤامُ
وأخطو سوادَ الليل وهو جحافلٌ ... وأرْعَى نجومَ الأفق وهىَ سِهامُ (٢)
هو الذنبُ بين العفو والسيف فاحتكمْ ... بما شئتَ لايعلو بفضلك ذامُ
ولا تبلُنى بالبُعد عنك فإنما ... حياتىَ إلاّ فى ذَراك حِمامُ
إذا ماجزيتَ السُّوء بالسُّوء لم يكنْ ... لفضلك بين الأكرمين مَقامُ
أعِدْ نظراً فى حالتىِ تلقَ باطنا ... سليماً وسِرّى ماعليه قَتامُ
فمثلُك لم تَغلِب عوائدُ سُخطِه ... رِضاه ولم يَبْعُد عليه مَرامُ
فلا تُنكِرَنْ فيما تسخّطتَ ساعةً ... فقد مرّ عامٌ فى رِضاك وعامُ
وإن عزّ ما أرجوه منك فإننى ... لينفعنى تسليمةٌ وتمامُ
فلا تُشعرنّى غِرّة اليأسِ إنما ... أمامى وراءٌ والوراءُ أمامُ

(١) يشير إلى قصة مفارقة عقيل بن أبى طالب لأخيه على كرم الله وجهه ، ووفوده على معاوية فى دين عليه .
انظر أسد الغابة ٣/٤٢٣ .

(٢) فى ا : « وهو سهام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أترضى لفضْلِي أن يضيعَ ذِمامُه　　ومثلُكَ لم يُحْقَرْ لديه ذِمامُ

* * *

ومن بدائعه قوله فى قُسْطنطِينيَّة :

تأوَّب مُخْتبِطاً للكَرَمْ　　خيالُ ألَمَّ شكا من ألَمْ

ديارٌ يُجِرُّ لديها الخليجُ　　وتنْسَى المحاسنَ فيها إرَمْ

تعدَّى العواصمَ ثم الدُّروبَ　　وكم ضَال فى ضَالِها والعلَمْ (١)

يؤُمُّ الجزيرةَ دارَ العلوم　　ودَسْتَ المُلوكِ ومَرْعَى الهِمَمْ

أُسائِله لِمْ قرعْتَ الثغورَ　　وقَرْعُ الثغورِ دليلُ النَّدَمْ

وأُنْموذَجٍ من جِنانِ النعيمِ　　لقد عجَّل اللهُ فيها النِّعَمْ

* * *

وعاقِ بها فتى من بنى زَرْقا العامة (٢) ، بصير بأسباب التبريح بَصَر زَرْقاء اليمامة .
عقَد على أدَقّ من الوهم الزُّنَّار ، وألْقى قلبَ هذا المُوحِّد من شغَفه بالنار .
فملأ من خمرةِ وَجْده كئوساً لم يَدُرْ منها عكَرَ اللَّوم ، ولم يَبْقَ قدحٌ فى عهده إلَّا تطفَّح سوى هلالِ شهر الصوم .

واستمرّ يُعانى وُلوعَه ، ويطوِى على يد الصَّبابة ضُلوعَه .

إلى أن هلك الغلام ، فقرأ بعده على العشق السلام .

فمما قاله فيه ، من قصيدة (٣) :

وعصرٍ بقُسطَنْطينيَّةٍ قد قطعتُه　　على وَفْقِ ما قد كان فى النفس والصدرِ

يُثَنِّى بها كَراسةٌ أجْتَلى بها　　علوماً لقد زاوَلْتُها غابرَ الدهرِ

---

(١) الضال ، من السدر : ما كان عذبا ، أو السدر البرى . و « وكم ضال » كذا فى الأصول ، ولعلها : « وكم ضل » أو « وكم جال » .　　(٢) ذكر المحبى فى الخلاصة ٤/٩٨ أنه كان خمارا .

(٣) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٩ ، ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩٨ ، ٩٩ .

أحرِّرُ منهـا فى الطُّروسِ بدائعاً ... فأملأ صدورَ القوم فى الورْدِ والصَّدْرِ (١)

وطَوْراً أُحَلِّى من زمانىَ عاطلاً ... بِعِقْدِ نِظامٍ صاغَه صائغُ الفِكْرِ

مَعانٍ إذا ما صُرَّ دُرٌّ وَعَى لهـا ... تراه بِصُرَّ راحٍ وهْو بلا دُرِّ (٢)

أضمِّنها سَلْوى الحزين ورُقْيةَ الـ ... ـسَّليمِ ومأخوذٌ من اللَّحظ بالسِّحْرِ

وكفُّ شِمـالى للشَّمُول يَنابِعٌ ... إذا أحْتَشَّها الساقى أذاعتْ له سِرِّى (٣)

من العَبْقرِيِّين الذين تحمَّـلوا ... نَقًا كَلْكَلِ الزُّنَّارِ فوق وَهَى الخَصْرِ

إذا اعْتَمَّ زرقاءَ اليمامـةِ خِلْتَها ... سماءً بها قد لاح نُورُسَنا البدرِ

وإن قام بين الشَّرْب خلْتَ قَوامَه ... قَنَا ألفٍ قامت على وسَط السَّطْرِ

وإن أتْرَع الكاساتِ خلْتَ يمينَه ... لُجَيْنًا تُحَلِّيها مَقامعُ من تِبْرِ

وإن نظرتْه العينُ نظرةَ ذى الهوى ... سقانى بكأسِ العين خمراً على خمرِ (٤)

وأدْجو بليلٍ من ذوائبِ شعرِه ... فيارَبِّ هل فى لَثْمتى الثَّغرَ من فَجْرِ

أفكِّرُ فى يوم النوى ليـلةَ اللِّقا ... فأذْرى دماءَ العين من حيث لا أدرى

فأمْسَحُ فى كافورةِ الجيد مُقلتى ... عسى أنَّ بالكافور دمعِىَ لا يجرى

فما زال فى ثوبِ الخلاعةِ ظاهرى ... وقلبى بذكرِ الله يفترُّ عن دُرِّ

---

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فأملأ صدر القوم » .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « دعى لها » .

وصردر : هو أبو منصور على بن الحسن بن على البغدادى .

شاعر من الكتاب ، رقيق الطبع .

توفى سنة خمس وستين وأربعمائة .

وفيات الأعيان ٣/ ٦٥ .

(٣) رواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر للبيت :

وخمرُ شِمالى للشَّمول متابعٌ ... إذا حثَّها الساقى أذاعتْ له سِرِّى

واحتشها : سعى فى طلبها .

(٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « نظرة ذى هوى » .

إلى أن قذفتُ الشِّرْكَ عن صَفْوِ خاطرِى ... كما تَقْذِفُ الأدْناسُ عن لُجَّةِ البحرِ[1]

***

وقال فيه ، بعد ما هلك[2] :

ألا قُل لقُسْطَنْطِينِيَّةَ الرُّومِ إننى ... أعادِى لقُسْطنطين اسْمَك والرَّسْمَا

لقد غيَّبْتِه فى الثرى غيرَ واجدٍ ... مُحِبًّا يُفاديه الحُشاشةَ والجِسْما

وقد تركتْنى ساهرَ الطَّرْفِ بعده ... مُشتَّتَ شَمْلِ البالِ أرْتَقِبُ النَّجْمَا

سأهجُرُ فيه خُلَّةَ الكأْسِ والهوى ... وأجْتنبُ اللذّاتِ أن عُدْنَ لى خَصْما

***

ولما خلُص من هواه ، وقفَل من الروم إلى أرض مَثواه .

محَّض أشعارَه إلى التوسُّل والتشفُّع ، وسمَتْ همَّتُه إلى التنصُّل عن المدح والترفُّع .

فمما قاله فى غضون ذلك ، من نبويَّة[3] :

ما زلتُ حَسَّانًا له ولبيتِه ... ولِصَخْرِ ذاك البيتِ كالخنساءِ

أبْكى العقيقَ وساكنيه وليتنى ... كنتُ المُخضَّبَ دونهم بدماءِ[4]

***

وله ، من مقصورة[5] :

ومُذ نشرتْ صفحةُ البيد سُرَى ... رسمَتْ بالمَنْسِمِ واواً للنَّوَى[6]

***

وله[7] :

قد أَلِفتُ الهمومَ لمَّا تجافتْ ... عن وِصالى الأفراحُ وازدَدْتُ كُرْبَه

---

(١) فى ا : « كما تقذف الأجناس » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩١ . (٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أبكى البقيع » . (٥) البيت فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩١ .

(٦) فى الأصول : « رسمت بالنسيم » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٧) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ .

فديارُ الهمومِ أوطانِيَ الغُرْ ودارُ الأفراحِ لى دارُ غُرْبَهْ (١)

* * *

وله :

لئن سلَبونى لؤلؤاً كنتُ صُنْتُه بأصْدافِ فكرى لم يثقّبْه ثاقبُهْ

وإن غلبتْنى الأغنياء وطيّشَتْ سِهامى وعيشى كان صَفْواً مشارِبُهْ

فللهِ قوسٌ لا يَطيشُ سِهامُها ولله سيفٌ ليس تنبُو مَضارِبُهْ

* * *

وله :

وجَنَّةٍ كالشقيق مِرآتُها اليوْ مَ صفَتْ من قَذاةِ عين الرَّقيبِ

خُضِّبتْ من دَمِ القلوب فما تُبْ صَرُ إلَّا تعلَّقتْ بالقــلوبِ

* * *

وله (٢) :

الصخرُ رقَّ لحالتى ياذا الفتى مذ صرتُ خنساء وقلبى قد عتَا

يا أيهــا الرِّيمُ الذى ألحاظُه سلَّتْ على العُشّاقِ سيفا مُصْلَتَا

كم ذا أُعانِى فيك أهْواءً وكمْ أَصْلَى بنيرانِ الهوى وإلى متَى

اللهُ أعــلمُ لم أَبُحْ بهواكمُ لـكنما العينانِ فيهــا نَمَّتَا

أتُرَى زماناً مرّ حُــلْواً بالحِمى هو عائدٌ والعيشُ غضٌّ نَمّتَا

ما كان فى ظَنِّى الفِراقُ وإنمـا قاضى الغرام علىَّ ذلك أثبتَا (٣)

كم ليلةٍ للوصلِ قرَّبتِ الـكرَى عطَسَ الصَّباحُ ولم أجبْه مُشمِّتَا

---

(١) فى ا : « من ديار الهموم » ، والمثبت فى : د ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٤ / ٩٩ . (٣) فى الأصول : « ما كان فى ظن الفراق » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

وعلى الذى نطقَ الكتابُ بمدْحِهِ وأتى الخطابُ له بسُورةِ هل أتَى
منِّى صـلاةٌ أجْتنى نوَّارَها من جَنَّةٍ عيناىَ فيها عَنَّتَا

* * *

وله :

إنِ يغِبْ كلُّ صاحبٍ وصديقٍ والرَّزايا بساحتيـك أنابَتْ
فاسْتمِدَّنَّ رَوْحَ رُوحِ نَبِيٍّ إنَّ رُوح النبيِّ ما قطُّ غابَتْ

* * *

وله ، فى مُوشَّم (1) :

أفْدِى غزالًا تعرَّى من ملابسِه والجسمُ من ترَفٍ أضْحى كفا لُوذَجْ
كأنَّه وطِرازُ الوشمِ دارَ به جسمٌ من الدُّرِّ فيه نَقْشُ فَيْرُوزَجْ

* * *

وله ، فى صائغ :

وشادِنٍ صـائغٍ هام الفؤادُ به وحبُّه فى سُوَيْدا القلب قد رسَخَا
ياليْتنى كنتُ مِنْفـاخًا على فَمِهِ حتى أُقبِّـل فاهُ كلَّما نفخَا

* * *

وله (2) :

رَيْحانُ خــدِّك ناسخٌ ما خَطَّ ياقوتُ الخــدُودْ
وقْعَ الغبــارُ بها كما وقَعَ الغبــارُ على الورُودْ

* * *

(1) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .
(2) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

وله فى الدُّخان :

كأن قُضْبانَهـا وأرْؤُسَها ... تُشَبُّ نيرانُهـا من الوَقْدِ
سُمْرُ القَنـا بالدِّما مُعَمَّمةٌ ... أو أنَّها مثلُ أغْصُنِ الوَرْدِ

* * *

وله فى حامل قِنْديل(١) :

وشادنٍ جاء والقِنْديلُ فى يدِه ... مابيْننا وظَلامُ الليلِ مُعتكِرُ
كأنه فَلَكٌ والماءُ فيـه سَمَا ... والنارُ شمسٌ به والحاملُ القمرُ

* * *

وله :

وقالوا تركْتَ الشعرَ فيمن تُحِبُّه ... ولم تخْترِعْ معنًى قديمًا ولا بِكْرَا
فقلت تجلَّى بعضُ أنْوارِ حسْنِه ... على طُورِ أحْشائى فأحْرقتِ الفِكْرَا

* * *

وله :

طويتُ رُقْعةَ حالى عن شِكايتِها ... وقد سكنتُ زوايا الفقْرِ والباسِ
وقد قطعتُ حِبالى عن رجَا بَشرٍ ... مُعوَّضًا بسهام الموتِ واليـاسِ
حِينًا يجود وأحْيانا تُبخِّلُه ... خلائقٌ أوْحشَتْه غِبَّ إيناسِ
وقد لجأْتُ إلى مَوْلًى أرَى ثقتى ... بفضْله نسخَتْ أحكامَ وَسْواسِى
هو النَّصِيرُ لعبدٍ لانَصِيرَ له ... ترْميه بالهُون ظُلْما أعيُنُ الناسِ

* * *

وله :

أسْتوْدعُ اللهَ بدرًا لاأُودِّعُه ... كيْلا يَنِمَّ إلى واشِيه أدْمُعُه

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

ولو بكى لم يكنْ ذاك البُكا أسَفاً   إذ لم تدعْ بيَد التَّفريق أضلُعُه
وإنّما هو يسقِي سيفَ ناظِره   كيما يُعجِّل للمشتاقِ مَصرعُه
أفْديه من راحلٍ أتبعْتُه نفسا   ومُقْلةً لم تزلْ دونى تُشيّعُه

***

وامتدح بعضَ الأدباء بقوله :

أبدًا أناضِلُ فيك أفْراسَ المُنى   وأصونُ أوقاتى عن التَّفْريقِ
وأظنُّ أن الدهرَ ليس بمُوحِشِى   وبأنه ببنيه خـــيرُ رَفُوقِ
لـكنَّ للأيام حــكماً جائرًا   أمْضَى شَباً من صارمٍ مطروقِ
ياصَيْقَلَ الفكرِ الـكليلِ ورَوْنَقَ الـ   عمرِ القصيرِ وزَوْرَةَ المعشوقِ
أنْدَشْتنى من بعدعَوْمِى فى الرَّدَى (١)   وتقلُّبِى والنارُ دون حريقِى
أمْسِى كما يُمسِى السليمُ مُسهَّدًا (٢)   لا بالطَّليقِ أُرَى ولا المْوثُوقِ
شَوقى إليك وإن تقارب عهدُنا   شَوقى إلى عهدِ الشَّبابِ الرُّوقِ

***

وله أيضا :

روضةٌ كالشباب شوقٌ ورُوقٌ   كم بها للنسيمِ ذيلٌ رقيقُ
ماسقاها السحابُ إلّا وبثَّ الشُّـ   كرَ عنها بنَفْسَجٌ وشَقِيقُ
كلّما انْحَلَّ للسحائب خَيْطٌ   عاد للروض منه نسجٌ أنيقُ
نثرتْ عَسْجَدَ الأصيلِ عليها   راحةُ الشمسِ يعْتريها خفُوقُ
كم ركَضْنا فيها بخَيْلِ الملاهى   يوم ماشَتْ للفريقِ فريقُ

---

(١) فى ا : « أنسيتنى من بعد عومى » ، وفى ب : « أنشتنى من بعد عومى » ، والمثبت فى : ج .
(٢) فى ب : « أمسى كما أمسى السليم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وخطيبُ الأطْيار قام بسُوق الأُ ... أُنْسِ يشْدو وعيشُنا مَرموقُ[1]

ورياضُ الحِياضِ طاب وقد دَبَّ ... مَ عِذارٌ من الظِّلال يرُوقُ

* * *

ومن رباعيّاته :

يابدرَ مَلامةٍ له البدرُ شقيقْ ... القلبُ وحرمةِ الهوى منك شقِيقْ

عهدى بجَنى خَدِّك وردًا فلما ... قد عاد بلحْظِى ذاك الوردُ شقِيقْ

* * *

ومن بدائعه قوله[2] :

تلك الثَّنايا وَاشتقائى بهـــا ... باتتْ تُربِنى عند لَثْمِى الطَّرِيقْ

تبدَّدتْ من غَـــيْرةٍ عندها ... سُبْحةُ دُرٍّ نُظِمتْ من عَقِيقْ

* * *

من هذا قول العِزّ البغدادىّ :

أشْبَــــه الثغرَ على حالِه ... تشْبيه من لا عنـده شَكُّ

بسُبْحةٍ من جوهر أُودعتْ ... حُقَّ عقيقٍ خَتْمُه المِسْكُ

* * *

وله :

للهِ ياعصرَ الهوى والصِّبا ... ما كان أهْناكَ وأحْـلاكَا

إذ فيك ليلَ الخَيْف رَيْحانةٌ ... أشْتَمُّها فى ظـــلٍّ تمْساكَا

تمسِّك الليــــلُ بأذْيالنا ... حتى حسِبتُ الليلَ ليْلاكَا

* * *

(١) فى ب ، ج : « وعيشنا المرموق » ، والمثبت فى : ا .

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

وله فى السيد أحمد بن النقيب [1] :

من مبلغٍ عنى الشهابِى أحمدًا ... نجلَ النقيب الشامخ المتعالِى
لا تفخرنَّ عليك بعدُ بقيةٌ ... مالم تنلها لستَ بالمِفْضالِ
المرء يكرَع من مَناهلِ خالهِ ... وشرابُ آلا كالسَّرابِ الآلِ
للهِ قاضى عصرِك العَدْلِ الذى ... أعطاك خالًا ثم صاحبَ خالِ [2]
فبقدْر ماتهْواه من ذِى الخال قد ... أعْطيت عكسَ هَواكَ عند الخالِ [3]

* * *

وله :

وحقِّك لولا أن جُودَك ماطرٌ ... لما أخْصبتْ بالبِشْرِ روضةُ آمالِى
وإنِّى عبدٌ وابنُ عبدٍ لديك فى ... عُبوديَّتى قد فُزْت بالنَّسب العالِى
وقد أقبلَتْ نحوِى الصروفُ بجيشها ... فقابلَها شُجعانُ صبرى وإقلالِى
صروفٌ أمانيها المَنايا فلم ترُعْ ... بصبرِى ولم ترجعْ بعجْزى وإذْلالِى
فأدْرِكْ بألطافٍ بقيَّةَ مُهجةٍ ... أليفةِ بَلْبالٍ حليفةِ أهوالِ
فلى فيك مايُحْيى ظُنونَ خُطورُها ... على البالِ يُحْيِى مَيْتَ عِزِّى وإقْبالِى
عسى عَطْفةٌ أنِّى أفوزُ بسَعْدِها ... ومِن فوق هام الفخرِ أسحبُ أذْيالِى

* * *

---

(١) تأتى ترجمته فى هذا الباب، برقم ١١٥.

والأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٨، خلاصة الأثر ٤/٩٨، وفيهما : « وله فى والد السيد بكر المذكور – كذا وهو باكير، التى ستأتى ترجمتهفى هذا الباب برقم١١٦ – وهو السيد أحمد المار ذكره، يشير إلى خال له كان يلقب بآلا، وإلى غلام كان يهواه، يعرف بصاحب الخال : ».

(٢) فى إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر : « لله قاضى دهرك العدل ». (٣) فى إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر : « عند الخالى ».

وله [1] :

إنْ خالَ الحبيب ممَّا شَجاني ... وعَنانِي به الأسَى والمَلالُ [2]

قلتُ إذْ طاب نَكْهةً وسَواداً ... قُمْ أرِحْنـــا بقُبلةٍ يابِلالُ [3]

* * *

وله :

خُلِقتُ مَلُولا لو يطول بِيَ الصِّبا ... تلَقَّيتُ شَيْبي ضاحكَ السِّنِّ باسِماَ [4]

ولو لم أرَجِّ الموتَ في كل ساعةٍ ... لقضَّيتُ هــذا العمرَ ثَـكْلانَ واجِماَ

ولولا انْحطاطِي تارةً وترفُّعِي ... لمــا طلبتْ نفْسِي العلى والمَكارماَ

فمالى صـــديقٌ ترْتَضيه صداقتِي ... ولا لي عدوٌّ أتقِّيـــه المَظالماَ

فطوْراً جعلتُ الأصدقاء أعادِياً ... وطوراً عــدوِّي أرْتضِيه مُسالماَ

ولا لي على حالٍ قَرارٌ ولا بَقاَ ... وكيف وبِي التَّبْديلُ أصبح قائماَ

* * *

منها [5] :

أُشاهد هذا الخلقَ مثلَ سفينةٍ ... وسَفانُها المولى تبارَك دائماَ

فمن شاء يُنْجيه إلى ساحلِ البَقاَ ... ومن شاء يُلْقيـــه فيصبحُ عائماَ

كذا قُرْعةُ الأقدار قد حكَمتْ به ... فلا تقترحْ شيئاً فما أنتَ قاسِمَ

---

(١) البيتان في : إعلام النبلاء ٣٣٢/٦ ، خلاصة الأثر ١٠١/٤ .

(٢) رواية الإعلام ، والخلاصة :

إن خَالَ الحَبيب لمَّا دهانِي ... وشَجانِي منه الجَفَا والمِطالُ

(٣) في ج : « نكهة وسواما » ، ورواية الإعلام ، والخلاصة لصدر البيت :

* قلتُ إذ زاد نكهةً وصفاء *

(٤) في ا : «لو يطيل بي الصبا» ، والمثبت في: ب ، ج .   (٥) زيادة من : ب ، على ما في : ا ، ج .

فمُتْ مَوْتةً بالإخْتيار وَجرِّدَنْ ثيابَ السِّوى إن كنت بالله عالماَ
وكُن للقَضا كالمَيّتِ فى يدِ غاسلٍ عساكَ من الأدْناسِ تظهر سالماَ
ولا تَقِفْ قُطّاع الطريق إلى الهدى فتصبحَ فى تيهِ الضلالةِ هائماَ

* * *

وله فى أرمد [١] :

ذاكَ الذى طَلّتْ دمى عينُه وراح يُسَمَّى أرمدَ الإسْمِ [٢]
لمَّـــا رآنى لدمِى ثائراً عَصَّبها بالطرَفِ المُعْلَمِ [٣]
قولُوا له يكشفُ عن عيْنه فإنَّ فيهـــا نُقَطاً من دمِى

* * *

وله [٤] :

وجهُه كعبةُ حُسْنٍ ولَمَـــاه ماءُ زمزمْ
خِلْتُ ذاكَ الخالَ منـــه حجرَ الأسْـــودِ يُلْثَمْ

* * *

ورأيتُ [٥] بخطه : ومما نسجْتُه فى حِلْية مَن نَسَج عليه العنكبوت ، من حليته الشريفة وهو [٦] مثبوت :

اسمعْ حِلْيةَ النبيّ المُكنَّى من لآلٍ فرائدٍ ذاتِ معنَى
أبيضُ اللونِ أنفُه كان أقْنَى ذو جبينٍ طَلْقٍ وأفْرَقُ سِنَّا
خافضُ الطَّرْفِ هيبةً وحياءً وله حاجبٌ أزَجُّ مُثنَّى

---

(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤ / ١٠٠ .
(٢) سقطت « الذى » من : ج ، وهى فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : «بالطرف المعلم» . (٤) البيتان فى: إعلام النبلاء ٦ / ٣٢١ ، خلاصة الأثر ٤ / ٩٢ . (٥) هذا النقل والشعر أيضا فى: إعلام النبلاء ٦ / ٣٢٧ ، خلاصة الأثر ٤ / ٩٧ .
(٦) ساقط من: ا ، وهو فى: ب ، ج ، والإعلام ، والخلاصة .

وكثيفُ اللِّحَى مُجَمَّع شَعْرٍ … أسودُ العين كاسِرٌ لك جَفْنَا (١)

هُدْبُ عينَيْه مثلُ أقدام نَسْرٍ … وله راحةٌ غدتْ وهْى تُثْنَى

مثل مارَقَّ أَنْمُلا رَقَّ قلباً … مثل ماطال أيدِياً طال مَنَّا (٢)

بالَسطرٍ من فوق مُهرَقِ صَدْرٍ … من شُعورٍ كالخزِّ لِيناً وحُسْناَ

إن يسرْ سار جملةً كانْحطاطٍ … من عُلوٍّ بجوز رُكْنا فرُكْنا

كاملُ القَدِّ لم يُسايره قِرْنٌ … فى مَقامٍ إلَّا وقد طال قِرْنَا (٣)

وإذا رام منطقَ القوْ … لِ بشَعْرٍ فيُوزن اللفظَ وَزْنَا (٤)

دائمُ الفِكرِ مظهرٌ لسرورٍ … فى مُحيَّاه وهْو يكتمُ حُزْنَا

فعليه الصلاةُ كلَّ مساءٍ … وصباحٍ ماصِيغَ فى القول مَعْنَى

* * *

وله فى شريف ، يُدعى بالحسن :

فى دَعَةِ الله إن ظَعنْتَ وخلَّفْ … تَ شريفاً ياليتَه ظَعنَا

فرَّق بينى وبينه زمنٌ … لا يَنْتُه وهْو لم يزل خشِنَا

لا أبصرتْ مُقلتِى محاسنُه … إن كنتُ أبصرتُ بعده حَسَنَا

* * *

---

(١) فى الأصول : «مجمع شعره» ، وفى : الإعلام ، والخلاصة : « مجمع شعرا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى ا : «طال حنا» ، وفى ب ، ج : « طال حسنا » ، والمثبت فى الإعلام ، والخلاصة .

(٣) مكان عجز هذا البيت بياض فى : ا ، ج ، وهو فى : ب ، ورواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر له :

* فى مَداه إلَّا تراه ارجَحَنَّا *

(٤) رواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر للبيت :

وإذا رام فى مجالسِه القوْ … لَ بنُصْحٍ فيُوزن اللفظَ وزْنَا

وله مضمّنًا بيت الفرزْدق ، وقد نسخه عن معناه الأول ، وجعله فى الدُّخان :

وظبي غريرٍ بات عصْراً مؤانسِي ... وليس سِواه من جليسٍ ونُدْمانِ
فقد أصبح الغَلْيونُ قائد جوهرٍ ... بِثغرٍ له يحكى عقودَ جُمانِ
يقودُ لىَ الرِّيقَ البُرادَ الذى به ... غدتْ تنْطفِى لَوْعاتُ قلبى ونِيرانِى
وأُضْرِمه حيناً بنارِ حُشاشتى ... فللهِ من ضِدَّيْن يعتلجانِ
وبتُّ أفدِّى الزّادَ بينى وبينه ... على ضوء نارٍ بيْننا ودُخانِ[1]

* * *

ومن بدائعه قوله[2] :

وَيْلاه من جيدٍ كماء الحياهْ ... حَفَّ به زِيقٌ كشطِّ الفُراهْ[3]
كأنما أطْواقُه حولَه ... فَوَّارةٌ تُمطِرُ ماء الحياهْ

* * *

وقوله فى القهوة ، مضمّنًا بيت المتنبّى فى مدح كافور :

برُوحِي غزالٌ راح يُترِعُ قهوةً ... براحتِه البيْضاء تحكى الغواليَا
فقرَّتْ به عينٌ تُطالع وجْهَه ... وثَغْرٌ ثنَاياه نُظِمْنَ لآلِيَا
فأحْبِبْ بها سوداء مِسْكيَّةَ الشَّذَا ... ولولا سوادُ المِسْك ما كان غاليَا
لقد نظَمَتْ شَمْلَ المُحبِّ بحِبِّه ... وأنْسَتْ بياضَ الماء مَن كان صادِيَا
فجاءتْ بنا إنْسانَ عين زمانِه ... وخلَّتْ بياضاً خلفها ومآقِيا[4]

* * *

(١) بيت الفرزدق فى ديوانه ٨٧٠ :

فبتُّ أُسوِّى الزادَ بينى وبينه ... على ضوءِ نارٍ مرةً ودُخانِ

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

(٣) يعنى الفرات ، النهر المعروف . وفى الأصول : « حف به ريق » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) ديوان أبى الطيب ٤٤١ .

وقوله[١] :

قيل لى كم ولِمْ ترُى تَتَمادَى	فى الهوى والطريقُ وَعرٌ قَصِىٌّ [٢]
قلتُ ظَنِّى بالله ظَنٌّ جميـــــلٌ	وبخيرِ الأنام جَدِّى علىٌّ
إن لله رحمـــــــةً تسَعُ الخَلْـ	ـقَ جميعا فمَن هو العُرْضِىُّ



(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٤ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قيل لى كم وكم » .

١١٤

فتح الله بن النحّاس *

أنا لا أجد عبارة تفى [(١)] فى حقه بالمدح [(١)] ، فأرسلت اليَرَاع وما يأتى به على الفتح .

وناهيك بشاعر لم يطِنّ مثل شعره فى أذن الزمان ، وساحرٍ إذا أشربت كلماته العقول استغنتْ عن الكؤوس والنُّدْمان .

سهام أفكاره تفك الزَّرَد ، وكِنانة آرائه تجمع ما شتّ وشرَد .

فهو للمعانى الباهرة مخترِع ، وآتٍ منها بأشياء لم يكن بابُها قُرِع .

وباب الفتح لم يُغلَق ، وكم فى خزائن الغيب من أشياء لم تُخلَق .

فسارت بأشعاره الصَّبا والقَبول ، وصادفت من الناس مواقع القبول .

كأنها نفَسُ الرَّيحان [(٢)] المُبتَلّ ، يمزجه بأنفاس النَّور نسيم الروض [(٣)] المعتلّ .

(*) فتح الله بن النحاس الحلبى .

شاعر مشهور ، لم يكن أحد يوازيه فى أسلوبه ، أو يوازنه فى مقاصده فى عصره ، وقد شغل النقاد بالمفاضلة بينه وبين الأمير منجك .

وكان الفتح فى حداثته من أحسن الناس منظرا ، ثم تبدلت محاسنه ، وانفض عنه أهل الغرام به ، واندرج فى مقولة الكيف ، وتزيا بزى الزهاد ، حدادا على ذهاب حسنه .

خرج من حلب ، وطاف البلاد ، وأكثر من التنقل ، ودخل دمشق مرات ، وفى شعره ما يدل على أنه أقام بمصر مدة .

توفى بالمدينة المنورة ، سنة اثنتين وخمسين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .

إعلام النبلاء ٦/٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٧ـ٢٦٦ ، سلافة العصر ٢٧٦ـ٢٨٦ .

(١) فى ا : « بحقه فى المدح » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « الريحانة » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

أسْرَى وأسْيَرُ في الآفاق من قمرٍ ومن نسيمٍ ومن طيفٍ ومن مَثَلِ

***

وقد أثبتُّ من منتخبات قصائده ، وأدبه الذى علِقت القلوبُ فى مصائده .

ما لم يتغَنَّ بمثل خبره الحادِى والمَلّاح ، ولم تزْهُ بأحسن من وصفِه قدودُ الحسان وخدود المِلاح .

قال البَديعِىّ فى وصفه ، وذكْر ابتداء أمره وإيراد لمع من نثره وشعره :

نشأ فى الشهباء ، ووجهه نسخة البدر فى إشراقه ، يناجى العاذل عن عذر عشّاقه .

وهناك ما شئتَ من منظر عجيب ، ومنطق أريب .

كأن الجمال ملّكه رِقَّه ، ولم يرَ غيره من استحقّه .

وهو مع تفرّده بالحسن ، ولوع بالتجنّى وسوء الظّن .

بصير بأسباب العَتب ، يبيت على سِلْم ويغدو على حرب .

كم متيَّمٍ فى حبه رعَى النجم فَرَقاً من الهجر ، لو رعاه زهادةً لأدرك ليلة القدر .

بخيل بنَزْر الكلام ، يضِنُّ حتى بردِّ السلام ، لا يُطمِع الدَّنِفَ برِضْوانه ولو فى المنام .

وأبناء الغرام يومئذ يفْدونه ، ويرَون كلَّ حسن دونه .

ومُذ بدا العارضُ فى خـــدِّه بُدِّلت الحمـــرةُ بالاصْفرارْ

كأنمـــا العارضُ لمَّا بدا قد صار للحسن جناحاً فطارْ[1]

ونُسِخت آيةُ جماله ، وكُسِفت آية هلاله ، وحال ذلك البَها عن حاله .

---

(١) سقطت « قد » من : ا ، وهى فى : ب ، ج .

وصار ضياء محاسنه ظلاما ، وعِقْيانُ مَلاحته رَغاما .

لو فكّر العاشقُ فى مُنتهى　　حسنِ الذى يسْبيه لم يسْبِهِ

ولما بطَل سحرُ هاروتِ أحْداقه ، وفُكّت الأفئدة من وَثاقه .

عطف على مُحبّيه يستمدُّ ودادَهم ، ويستقى عِهادَهم .

وكان شأنه مع الجميع ، شأنَ الفضل بن الربيع[1] .

فانْدرج فى مَقولة الكيْف ، وعلم أن المحاسن سحابةُ الصيف .

وأصبح عبير[2] وحدِه ، وصدَّه مَن ريع بصدّه .

وجعل زِيَّ الزُّهاد شِعاره ، واتّخذ من الشَّعر صِداره .

حداداً على وفاة حسنه البهيج ، وفَوات جماله الأريج .

وما زال يرثى[3] أيام أنسِه ، وينعى مايتعاطاه من الكيف على نفسِه .

حتى ضاق نِطاقُ حضيرته ، ومَلَّ الإقامة بين عشيرته .

فأعطى عِنانَه ليد البِعاد ، وامْتطى غاربَ الإتْهام والإنجاد .

كأنّ به ضِغْنا على كلّ جانبٍ　　من الأرض أو شوقاً إلى كلّ جانبِ

إلى أن بلّغه الله غايةَ المأمول ، ووفّقه بأن استوْطن مدينةَ الرسول .

وأقام بجوار الشَّفيع ، إلى أن غيّبه بِقاع البَقيع .

---

(١) أبوالعباس الفضل بن الربيع بن يونس .
خصم البرامكة ، وصاحب وزارة الرشيد والأمين بعدهم ، ولما ظفر المأمون استتر الفضل ، ثم عفا عنه المأمون ، وأهمله بقية عمره .
توفى سنة ثمان ومائتين .
تاريخ بغداد ١٢/٣٤٣ ، وفيات الأعيان ٣/٢٠٥ .
والإشارة هنا إلى عزه أيام الرشيد والأمين ، وتبدل حاله أيام المأمون .

(٢) فى ج : « عسير » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٣) فى ا : « ينسى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى كثرة أسفاره يقول (١) :

أنا التاركُ الأوطانَ والنازحُ الذى ... تتبّع ركبَ العشقِ فى زِىّ قائفِ
وما زلتُ أطوِى نَفْنَفاً بعد نَفْنَفٍ ... كأنّى مخلوقٌ لِطَىّ النَّفانفِ (٢)
فلا تعذِلونى إن رأيتم كتابتى ... بكلّ مكانٍ حلَّه كلُّ طائفِ
لعلّ الذى بايَنْتُ عيشى لَبِينِه ... وأفْنيْتُ فيه تالِدى ثم طارِفى (٣)
تكلّفه الأيامُ أرضاً حلَلْتُها ... ألا إنّما الأيامُ طَوقُ التكالُفِ (٤)
فيُملِى عليه الدهرُ ماقد كتبتُه ... فيعطِف نحوى غصن تلك المعاطِفِ (٥)

* * *

ومن بدائعه قصيدة ينعى بها نفسه على أكل الأفيون ، ويتأسف على ماضى حسنه (٦) :

مَن يُدخِلِ الأفيونَ بيت لَهاتِه ... فلْيُلْقِ بين يديْه نقْدَ حياتِه
وإذا سمعتم بامرئٍ شرِب الرَّدَى ... عَزُّوه بعد حياته بمماتِه (٧)
لو يا بُثَيْنُ رأيتِ صَبَّك قبل ما الـ ... أفيونُ أنحلَه وحلَّ بذاتِه (٨)
فى مثل عمرِ البدر يرْتَع فى ريا ... ضِ الزَّهْوِ مثل الظَّبْيِ فى لَفَتاتِه (٩)
من فوق خدّ الدهر يسحب ذيلَ ثو ... بِ مُناه أنَّى شاء وهْو مُواتِه (١٠)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٧١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧١ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٩ .

(٢) النفنف : المفازة .

(٣) فى الديوان : « قبل طارف » . (٤) فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « طرق التكالف » .

(٥) فى الأصول : « غصن ذلك المعاطف » ، والمثبت فى ديوانه ، إعلام النبلاء ، خلاصة الأثر .

(٦) القصيدة فى : ديوانه ٦٨ ـ ٧٠ ، وفيه أنه يمدح بها نجم الدين ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٠ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٨ . (٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٨) فى الديوان : « رأيت حبك » . (٩) فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فى رياض الزهر » . (١٠) فى الديوان : « مناه بين الناس وهو مواته » ، ورواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

من فوق خدِّ الدهرِ يسحب ذيلَهُ ... مَنَاه أنَّى شاء وهْو مُواتِه

وتراه إن عبث النسيم بقدِّه ... ينقدُّ شَرْوَى الغُصْنِ فى حركاتِهِ [١]

وإذا مشى تِيهاً على عُشَّاقه ... تتقطَّر الآجالُ من خَطَراتِهِ [٢]

يرنُو فيفعلُ مايشاء كأنما ... ملَكُ المنيَّة صال مِن لَحَظاتِهِ [٣]

لرأيتِ شخصَ الحسنِ فى مِرآتِهِ ... ودفعْتِ بدرَ التِّمِّ عن عَتَباتِهِ [٤]

* * *

وقوله ، من أخرى [٥] :

ياهذه إن أنتِ لم تدرِ الهوى ... لا تجحديه ففى الهوى اسْتِحْكامُ [٦]

وأبيكِ كنتُ أحدَّ منك نواظراً ... وبكل قلبٍ من جَفاىَ كِلامُ [٧]

والسحرُ إلَّا فى لسانى منطقٌ ... والحسنُ إلا فى يدَىَّ ختامُ

لَدْنَ القوامِ مَصُونةً أعطافُه ... عن أن تَمُدَّ يداً له الأوْهامُ [٨]

مُتمنِّعا لا الوعد يُدْنِى وَصْلَه ... يوماً ولا لخيالِه إلْمامُ

حتى خلقْتِ السقمَ فيه بنظرةٍ ... ولقد يُلاقِى ظُلْمَه الظَّلَّامُ

وتنوَّعتْ أدْواؤه فبطرْفِه ... شكلُ الرقيبِ وفى الصِّماخِ مَلامُ

* * *

(١) فى ب ، ج : « وتريه إن عبث » ، والمثبت فى : ا ، والديوان وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ينقد سرو الغصن » .
وشروى الغصن : أى مثله .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر « تتقطر الآجال » .

(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « صار من لحظاته » .

(٤) فى الديوان :

* ورفعتِ بدرَ التِّمِّ من عَتَباتِهِ *

(٥) الأبيات فى ديوانه ٨٠ ، ٨١ ، من قصيدة يمدح بها عثمان بك ، سنجق منفلوط ، وفى خلاصة الأثر ٣/٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٦) فى الديوان : « فللهوى استحكام » .

(٧) فى الديوان : « أحد منك لواحظا » .
والكلام : جمع الكلم ، وهو الجرح .

(٨) فى الديوان : « لها الأوهام » .

ودخل دمشق فاتّخذه الأمير مَنْجَكُ نَدِيمَ مجلسه ، ومطمح أماني ترنّحِهِ وتأنّسِهِ .

فتوافق الليل والسَّمَر ، واجتمع الشمس والقمر .

على السعد في هذا القِران ، والتّنافس من أماجِدِ الأقْران .

فجالس الفتحُ به القَعْقَاع [1] ، ولم يقل : الفضل المتقدم . كما قال ابنُ [2] الرِّقاع [3] .

وله فيه قصائد منها داليته التي أولها [4] :

نشر الربيعُ ذخائرَ النُّوَّارِ من جَيْبِ الغـوادِي

وكسا الرُّبى حلـلا فَوَاضلُها تُجرّ على الوِهادِ

وكأنّ أنفاسَ الجنـانِ تنفّستْ عنهـا البوادِي

والزَّيْزَفُون يفُتُّ غَالِيَةً مُضمّخة بجَادِي [5]

يُلقِي بهـا للروض في وَرَق كأجنحة الجرادِ [6]

هاجَ النفوسَ ولم يَفُهْ غيرَ تهْييجِ الجمـادِ

والورد مخضوبُ البنـانِ مُضرّجُ الوجنات نادِي [7]

---

(١) هو القعقاع بن شور الذهلي ، الذي يقول فيه الشاعر :

وكنتُ جليس قعقاع بن شَوْرٍ ولا يشقَى بقعقاعٍ جليسُ

انظر ثمار القلوب ١٢٨ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) عدي بن زيد بن الرقاع العاملي ، وهو القائل :

وعلمتُ حتى ما أسائل واحدًا عن عِلمِ واحدةٍ لكي أزْدادَهَا

انظر الموشح ٣٠٠ .

(٤) القصيدة في : ديوانه ٢٣–٢٥ ، ومن البيت الحادي عشر إلى البيت العشرين في سلافة العصر ٢٨٤ .

(٥) الزيزفون : شجر ينقع زهره بالماء ويتداوى به . المنجد ٣٢١ .

والجادي : الزعفران .

(٦) هذا البيت والذي يليه ساقطان من : ج ، وهما في : ا ، ب ، والديوان .

(٧) في الديوان : « مضرج الوجنات زادي » .

نُصِبتْ له سُرُرُ الزَّبَرْ ... جَـدِ والخيامُ بكل وادِى

حرسَتْـه شوكَةُ حسنِه ... من أن تُمَدَّ له الأيادِى

والعَنْدليبُ أمامــــــه ... بفصيح نَغْمته يُنــادِى

مَن رام يعبَث بالخدو ... د فدونَها خَرْطُ القتادِ

وحَذارِ مخضوبَ البَنا ... ن إذا تمكَّن من فؤادِ [(١)]

فامْسَحْ بأذْيال الصَّبا ... عن مُقْلتيْك صدَى الرقادِ

هل هذه بُـكَر الرُّبَى ... أم هــذه غُرَر الرشـادِ

وانهضْ لـكسْب جديد عُمْـ ... ـرٍ من بُـكورٍ مُستفادِ [(٢)]

واقنَعْ بظلِّك أو بظـلِّ ... الدَّوْحِ عن ظل العبادِ [(٣)]

ماراج من طاب المعيـ ... ـشةَ بين إخوان الـكسادِ

لا يُعجبنَّك لِينُ من ... أبصرْتَه سهلَ القيـادِ

وأبيك مالانتْ لغيـ ... ـرِ الطعنِ ألْسنةُ الصِّعادِ

لاتشتهى وجَــعَ الفؤ ... ادِ مضى زمان الاتِّحادِ

نفسِى الفِداء لمَنْجَك الْ ... مُسْتعزِّ بالانفــرادِ

لايُجْتنَى إلا بمجْـ ... ـلس فضلِه ثمَرُ الودادِ [(٤)]

مُتكبِّرٌ بغِنَى الشَّما ... ئل لا بعاجِلةِ النَّفـادِ

شِيَمُ الجواد هى الغِنَى ... لاماحَوتْه يدُ الجـوادِ [(٥)]

الدهر مغلولُ اليديْـ ... ـن وذاك مبْسوط الأيادِى [(٦)]

***

(١) فى الأصول ، والديوان : « من فؤادى » ، والمثبت فى سلافة العصر . (٢) فى سلافة العصر : « من بكورك مستفاد » . (٣) فى سلافة العصر : « أو بظل الروض » . (٤) فى ب : « إلا بمجلس فضله نشر الوداد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٥) فى الديوان : « شيم الجواد » . (٦) فى الديوان : « الدهر مقبوض اليدين » .

وله فى أحمد بن شاهين[1]، البائية التى أخذت من البلاغة أوفر الأنصباء والقِسَم، وأقسمت البراعــة بقوافيها على أن مُبدعهـا مِحَكّ الأدب ولا غَرْوَ فالبـاء من حروف القسم .

ومستهلها[2] :

أَلَذُّ الهوى ماطال فيه التجنُّبُ وأحْلاه مافيه الأحِبَّاء تَعتَبُ

يقول فى مديحها :

يُمزِّق شَمْلَ المشكلاتِ لوقْتها إذاشِيمَ مِن فِيه الحسامُ المُذَرَّبُ[3]
توقَّد حتى ليس يَخبو ذكاؤه وكاد وحاشَا فـكرُه يتلهَّبُ

وبيت ختامها :

ولا برِح الحسَّادُ صَرْعَى وكلُّهم على مثل مافى قلبه يتقلَّبُ

* * *

واتفق له مع الأدباء مجالس تُؤثَر، وعليها الأرواحُ تُلقى وتُنثَر .

فمن ذلك مجلس فى روضٍ أورقتْ أشجارُه، وتنفَّست عن المِسْك أسحارُه .

غِبَّ سحاب أقلع بعد هُتونِه، ودار دُولابه يسقيه بجفونه .

تُوسِّدهم أنهارُه مَعاصِمَ فِضِّيَّة، وتنيمهم أفياؤه تحت ذوائبَ مُرْخِيَّة .

فقال[4] :

وروضٍ أنيقٍ ضمَّنا منـــه مجلسٌ على نَوْره حَفَّ الدَّواليبِ ساكبُ
خَلا حسنه عن كل وَغْدٍ يَشينه وما صدَّنا لمـا أتيناه حاجبُ
طَلَعنا بدوراً فى سَماه وبيننا جُمانُ حديثٍ هُنَّ فيه كواكبُ
وبِتْنا وأوراقُ الغصون غطاؤنا على فُرُشِ الأنهار والطيرُ نادِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته، فى الجزء الأول، صفحة ٩٦، برقم ٦ . (٢) ديوانه ٢٩ ـ ٣٤ .
(٣) المذرب : المسموم . (٤) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه

فنعم مكاناً مابه قطُّ قاطنٌ وبيْتاً ولكن ماله الدهرَ صاحبُ

***

وهنا أذكر منتخبات من شعره ، مرتَّبة على حروف المعجم .

فمنها قوله يخاطب العِمادِىّ [1] ، مفتى الشام ، وقد رمِدتْ عيناه [2] :

فِدًى لعينِك دون الناس عينانى وكلُّ عضو فِداه كلُّ أعْضائى

نوَدُّ لو كان مَوْدُوعا بأنفسِنا ما تشْتكيه بعيْنٍ منك رَمْداء [3]

نَظَّارةٌ لكتابِ الله قد مُلئتْ خوفَ الوشاةِ بإشْفاق وإغْضاء [4]

وأنتَ لا عن حجابٍ كنت ناظرَنا فارْفَع حجابَك وانظُر للأحبَّاء

***

وقوله من قصيدة ، مستهلها [5] :

عطَف الغصنُ الرطيبُ وتَلافانا الحبيبُ

أىُّ عضوٍ تسرح الأ صارُ منه وتؤوبُ [6]

فاتَّقِ اللهَ وغُضِّ الطَّرفَ عنه لايذوبُ

***

أبو تمام [7] :

قد غَضَضْنا دونك الأبْ صارَ خوفاً أن تذُوبَا [8]

***

---

(١) يعنى عبد الرحمن ، كما فى الخلاصة .

(٢) ديوانه ٩٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ . (٣) فى ب ، والديوان : « نود لو كان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر : « خوف المعاد » ، وهى أولى .

(٥) ديوانه ١٣ – ١٧ ، من قصيدة يمدح بها السيد أحمد البكرى .

(٦) فى الديوان :

أى عضوٍ تسرحُ الأَلْ حاظُ فيه وتؤوبُ

(٧) ديوان أبى تمام ٤٣٣. (٨) فى الديوان : « قد قصرنا » .

وله (١) :

مالمشتـــــاه ولـكن … كاد من لحْظٍ يذوبُ (٢)

أيهـــا العشّاقُ محْ … زونُ الهوى منّى طَرُوبُ (٣)

كلَّ وقتٍ ليس تَنْ … شَقُّ قلوبٌ وجُيوبُ (٤)

إنمـــا يمْرَح بى فى … لُجَّة العشق لَعوبُ (٥)

وإذا بدَّ سُرورٌ … وإذا نَدَّ نحيبُ (٦)

والذى يهجر فى الحبِّ … للاحيـــــــه نسيبُ

ما على مَن سَرَّه الْ … وصلُ إذا غيظ الرَّقيبُ

رَنَّةُ القوسِ لِرا … مِيها وللغـــير النُّدوبُ

* * *

منها :

وإذا أمكنتِ الفرْ … صةُ أجْـــنى وأتوبُ

فى الهوى صَحَّ اجْتهادِى … فأنا المُخطِى المُصيبُ

* * *

من مديحها :

ضاحكُ الوجه وهـــل فى … طلعةِ القُطْب قُطوبُ

---

(١) هذا تمام القصيدة ، كما جاء فى ديوانه ، وليس قصيدة أخرى .
(٢) لم يرد هذا البيت فى الديوان .
(٣) فى ا : « أيهـا العاشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .
(٤) فى الديوان : « أى وقت » .
(٥) فى الديوان : « إنما يمرح . . . حنبة المشق » .
(٦) فى ا : « وإذا بدر سرور » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، وفيه : « لى إذا بد » .
وفى حاشية الديوان : « بد : أعيا ، أو نعس ، وهو قاعد لايرقد » ، والذى فى اللسان (ب د د) ٣/٨٢ : « بدد فلان تبديدا : إذا نعس وهو قاعد لا يرقد » .

جنّةُ الشمس لهـــا فيـ ـهِ شروقٌ وغروبُ [١]
أىُّ قلبٍ حـــلَّ منى كلُّ أعضاىَ قلوبُ [٢]

***

ومن مختاره [٣] :

وجهُك صبح المُنى ولى زمنٌ آمُـــل إقبالَه وأرتقبُ [٤]
تُلقِى المعانى إلىَّ زَهْرتَهـــا فأجتنيهـــا والغيرُ يحتطبُ
وكم بيوتٍ ملأتُها حِكَماً وهُنَّ إن شئتَ خُرَّدٌ عُرُبُ
أسْوغ من جَرْعة الزُّلال على الـ قلبِ وفى قلبِ حاسدى لَهَبُ

***

منها :

دارُ اغترابى التى عنيت بهـــا مصرُ ودارِى وحبّذا حلَبُ [٥]
دارٌ تُميتُ الهمومَ نفحتُها وتغتذى من عبيرها الكُتُبُ
لا قُرْبُها للكرام مَضيعةٌ ولا حِماها للضَّيم مُنقلَبُ
علىَّ أن لا تنامَ لَوْعتُهـــا بين ضلوعِى همومُها شُعَبُ

***

منها :

لا أقْبلُ الضَّيْم كيف أقبلُه والمجدُ يأباه فىَّ والحسَبُ

---

(١) فى الديوان :

حسْبه الشمس لها فىَّ شروقٌ وغروبُ

(٢) فى ب ، والديوان : « كل أعضائى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ديوانه ٣٥ — ٣٧ .
(٤) فى ب : «ولى أمل» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والديوان . (٥) فى الديوان : «أنت ودارى» .

والشمسُ صَوْنا لضوء طَلْعتها خوفَ لَحاقِ الظلام تحتجبُ [1]
يُظَن صَدْعى لقَرْع نائبةٍ وإنَّما من أحبَّه النُّوَبُ [2]
كأنني من زُجاجةٍ جسَدٌ أحِبَّتى فى انْكسارِه السببُ [3]

* * *

وله هذه القصيدة ، وهى من بدائعه [4] :

طَمَنْ فؤادَكَ أىُّ حُرٍّ لم يُرَع بالخَطْب قلبُـــهْ
ودعِ المَـــلام فداه مَن عالَجتَ بالنَّطسين طِبُّهْ [5]
لا تُـكثِرَنْ هـلَّا فعلْـتَ عليـه فالفعَّالُ ربُّهْ
المرء يصعُب جَهـدُه ويلين بالمقْـدور صَعْبُهْ
لا تنهْنى فالمُـــؤا خَذُ فى الزمان النَّذْلِ نَدْبُهْ [6]
وأبيكَ من زمنِ التَّرعُّرُع لم يزلْ دأْبى ودأْبُهْ
ومن العجيبِ لدَى الأنا مِ عَطاؤه ولدىَّ سَلْبُـهْ
يادهرُ مثـلى لا يُقَدُّ قَلُ عن سَنام المجـدِ جَنْبُهْ
أنا لا أُبالى إنْ رميـ ـتَ وسبَّ عرضى من أسبُّهْ [7]
السيفُ يُرمَى بالفُـلو لِ إذا فشَا فى الصَّلْد ضَرْبُهْ [8]
والعينُ يُدميهـا الذُّبا بُ ويُعجِزُ الآسادَ ذَبُّهْ [9]

---

(١) فى ب : « والشمس ضوء لضوء طلعتها » ، وفى الديوان : « والشمس صونا بالضوء طلعتها » .
(٢) فى الأصول : « يظن صدغى » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى الديوان : « أصابه فى انكساره السبب » . (٤) القصيدة فى ديوانه ٦٤ — ٦٧ . (٥) فى الديوان : « عالجت فى التسليم طبه » . (٦) فى الأصول : « فى الزمان النذل » ، والمثبت فى الديوان . والندب : السريع الخفيف فى الحوائج .
(٧) فى ا : « وسب عرض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان . (٨) فى ا : « إذا نشى فى الصلد » ، وفى الديوان : « إذا قسا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٩) فى الديوان : « ويعجز الآساد دبه » .

والتِّبرُ يعلوه التُّرا بُ ولا يضرُّ التِّبرَ تُرْبُهْ

وأبيك مانُكِب اللبيـ بُ وفضلُه باقٍ ولُبُّهْ

هم يعرفون بأن نجْـ مِى تحرِق الطاغين شُهْبُهْ

والصبرَ يُرْقِينى إذا وثَب الزمان وعضَّ كَلْبُهْ

إن تَجْـنِى قومٌ فإن م الموتَ ليس يسُوغ شُرْبُهْ

أو قيـل قد مَلُّوه فالـ ـلُّؤْمُ الزُّعافُ يُعَلّ قَوْبُهْ

أما المَلال فإننى عُوِّدتُه ممن أُحِبُّهْ

وإذا تكلَّف فى الودا دِ أخو الودادِ فكيف غربُهْ

فاطْوِ البساط فالانبسا طُ قد انْطوى فى الناس سِرْبُهْ

والشِّعر أخْلَف نَوْؤُه وتقشَّعتْ فى الجوِّ سُحْبُهْ

مازال تلفحُه سُمو مُ البُخْل حتى جفَّ عُشْبُهْ (١)

كم ترتجِى صَنَماً سوا ءٌ فيه مِدْحَتُه وثَلْبُهْ (٢)

مُسْتنكَر الأكْتاف جَعْـ دُ الكفِّ جَعْدُ الوجهِ صُلْبُهْ (٣)

أأخَىَّ من يَكُ شاعراً فالخالقُ الرزاقُ حَسْبُهْ

والراسُ راسُ المالِ إن يسلَمْ فليس يقِلُّ كَسْبُهْ

وكفى فتَى العِرفانِ خِلاَّ م نَّاً فضائلُه وكُتْبُهْ (٤)

فعلى مَ ترغبُ فى سَرا بٍ من شُخوص الآلِ سِرْبُهْ

يتقلَّبون مع الزما نِ كأن حِزْبَ هواك حِزْبُهْ (٥)

---

(١) فى ا ، ب : « ما زال تلمحه » ، والمثبت فى : ج ، والديوان . (٢) فى الأصول : « مدحته وسلبه » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى الديوان : « مستنكر الأنساب » . (٤) فى ا : « فضائله وكسبه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٥) فى الديوان : « كأن حرب هواك حزبه » .

يشْقَى النجيبُ بهم ويُنْـ　لهُ إلى الأعــداء صَحْبُهْ

وإذا جــنَى فكأن سُـ　طانَ الذنوبِ الدُّهْمِ ذَنْبُهْ

فوجوههم طَلَـلٌ به　يومَ اللَّحَى قد طال نَدْبُهْ

وأكفُّهم قَفْــرٌ أميـ　تَ الخِصْبُ فيه وعاش جَدْبُهْ(١)

ذهب الذين يعيش مِثْـ　لى بينهم ويموتُ كَرْبُهْ

وبقى الذى تُضْنِي العيُــو　نَ حُلاه والأسماعَ كَذْبُهْ

من كلِّ مَحْلولِ الوِكا　ءِ مُثقَّفِ البِيضان ثُقْبُهْ(٢)

من كلِّ مَفْرِيِّ الأدِ　مِ بِصَعْدَةِ السِّرْوالِ عَقْبُهْ

يمشى ويمسح من معـا　طِفِه وكعبُ الشُّوم كَعْبُهْ

طُــول بلا طَوْلٍ وأبْـ　هَى مايُرَى للعين صَلْبُهْ

أأخَىَّ مثلى ليس يُهْـ　دَى عن مَثار النَّقع شُهْبُهْ

لابُدَّ من شَمَرِيةٍ يَعْشُو　م الجوّ والأعدا مَصَبُّهْ

فارقُبْ خُفوقى إن سكنْـ　تُ فعاصِفِى يُرْجَى مَهَبُّهْ

لاتنظرُ الحُسّادُ حا　لى إنما المَنظورُ غِبُّهْ(٣)

أوَ مادَرَوا أن الحسا　مَ يُفَلُّ ثم يُحَدُّ غَرْبُهْ

والبــدرُ يُشرِق فى المَطا　لعِ بعدما أخفــاه غَرْبُهْ

والروضُ يذبُل ثم يُكْـ　سَى النَّوْرَ والأوراقَ قُضْبُــهْ

والداءُ إن يوماً يُشفَ　مِ فبالتَّـــداوِى يُشْفِ رَبُّهْ

---

(١) فى ب ، ج : « وعاش جذبه » ، والمثبت فى : ا ، والديوان .　(٢) فى الديوان : « مثقف القضبان » .　(٣) لا تنظر : لا تنتظر .

وَالدهرُ إِنْ يُؤْمَنْ بَغَـ ـلٍ لَذَّةٍ يَفْجأْهُ خَطْبُـه (١)
لا يَخْـدَعَنَّك سِلْمُـه فوراءَ سِلْمِ الدهرِ حَرْبُهْ

***

قلت : لله دَرُّه على ما أبدع من المعانى الغرائب ، والألفاظِ المُزرية بدُرَر النحور والترائب .

ويُعرف قدر الشاعر الفائق ، بتنوُّع جَوَلانه فى المَيْدان المُتضايق .

***

وله يصف بركة ماء (٢) :

انظُر البركةَ التى تتراءى لِمُحيَّا الرياضِ كالمرآةِ
تَرَ خدّاً مثلَ اللُّجَيْن تحلَّى بعذارٍ من انعكاسِ النَّباتِ (٣)

***

وهـذه قطعة من حائيته التى سارت بها الرُّكبان ، وطارت شهرتُها بخَوافِى النُّسُور وقوادِمِ العِقْبان (٤) :

باتَ ساجِى الطَّرْفِ والشوقُ يُلِحّْ والدجى إن يمضِ جُنْحٌ يأتِ جُنْحْ
وكأنَّ الشرقَ بابٌ للدُّجى ماله خوفَ هجُومِ الصبحِ فَتْحْ (٥)
يَقْـدَحُ النجمُ بعينى شرراً ولِزَنْد الشوقِ فى الأحشاءِ قَدْحْ (٦)

---

(١) فى الديوان :

وَالدهرُ إِن تأمن نوا ئبَه يَفجأْكَ خَطْبُهْ

(٢) ديوانه ٧٣ . (٣) فى الديوان : «مثل اللجين تجلى» . (٤) القصيدة فى ديوانه ٢٥ــ٢٨ ، سلافة العصر ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، قالها يمدح الأمير محمد بن فروخ ، أمير حاج الشام . (٥) فى ا : « وكأن الشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، والسلافة ، وفى السلافة : « فكأن » .

(٦) فى الديوان والسلافة : « لعيني شررا » .

لاتَسَلْ عن حال جَفْنى والكَرى ... لم يكنْ بينى وبين الدَّمْعِ صُلْحْ [1]

منها :

كلُّ عَيْشٍ ينقضى مالم يكنْ ... مَعْ مليحٍ ماللذاك العيشِ مِلْحْ

من مديحها فى خصماه :

وإذا قيل ابنُ فَرُّوخٍ أتى ... سقطُوا لو أنَّ ذاك القولَ مَزْحْ [2]

بطَلٌ لو شاء تمزيقَ الدجى ... لأتاه من عمودِ الصبح رُمْحْ

كم سطورٍ بالقَنا يكتبها ... وسطورٍ بلسانِ السيف يَمْحُو [3]

كلُّ ماقد قيل فى ترجيحِه ... فى النَّدَى أو فى الوغَى فهْوَ الأصحّ

منها :

آهِ من جَوْرِ النَّوى لاسُقِيَتْ ... تُعْطِب الحرَّ وما للحرّ جُنْحْ [4]

غُرْبةُ الأوطان أوْدتْ كبدى ... واعترانى ألَمٌ منها وبَرْحْ [5]

حسَّنوا القولَ وقالوا غربةٌ ... إنما الغُربةُ للأحرار ذَبْحْ

فانتقِذْنى واتخِذْنى بُلبلا ... صَدْحُه بين يدىْ عَلْياك مَدْحْ [6]

بقوافٍ كسَقيط الطَّلّ أو ... أنها من وَجَنات الغيد رَشْحْ

* * *

ومما علق من مترنماته ، وأغلق عليه باب مُسلِّماته .

قوله [7] :

---

(١) فى الديوان : والسلافة :

* لا تسَلْ عن حالِ أرْباب الهوى *

وفى السلافة : « إن يكن . . . النوم صلح » .

(٢) فى الديوان ، والسلافة : « فإذا قيل » . (٣) فى السلافة : « كم طروس » ، وبين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى السلافة. (٤) فى الديوان : « وما للحر نجح » ، وهذا البيت والبيتان التاليان له لم يردوا فى السلافة . (٥) لم يرد هذا البيت فى الديوان . (٦) فى الديوان : « فانتقذنى » . وفى السلافة : « وانتقذنى » . (٧) القصيدة فى : ديوانه ١٨ـ٢١ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦١ـ٢٦٣ ، سلافة العصر ٢٧٩ ـ ٢٨١ ، يمدح أبا الإسعاد بن وفا .

قد نفِدَتْ ذخائرُ الفؤادِ   فكم أُرَبِّى الدمعَ للسُّهادِ (١)

فُؤادُ من يُحِبُّ مثلُ دمعِهِ   ودمعُه مَظِنَّةُ النَّفادِ

إذا هَدَى الليلُ فطفلُ مُقلتى   يبيتُ بالنَّزيفِ غيرَ هادِ (٢)

ومن بكى من النوى فقد رأى   بعينِه تقطُّعَ الأكبادِ (٣)

تمايلوا على الجمالِ مَيْلةً   فعلَّمُوها مِشْيةَ التَّهادِى

وما سمعتُ بالغصونِ قبلَهم   مشتْ بها أكْثِبةُ البوادِى

فإن تجدْ يَدِى على ترائبى   فلا تقُلْ لغَيْبةِ الفؤادِ

وإنَّما رفعتُها لأنها   كانت لهم حمائلَ الأجيادِ

حُمْرُ الخدودِ إن تغِبْ فشكلُها   بناظرىَّ داخلَ السوادِ (٤)

لأجلِ ذا الدمعُ جرى بِشوقِها   فنظَّمَ الياقوتَ فى نِجادِ (٥)

لا وأبى ومَن يقل وأبى   فقد تلَا أليَّةَ الأمجادِ (٦)

ما عثَّرَ الغَمْضُ بذيلِ ناظرى   ولا انثنتْ لطَيْفِهم وِسادِى

وهَبْ رَشاشَ مقلتى حبائلاً   فأين منها زَلَقُ الرُّقادِ

آهٍ وآهَ إن تكنْ مِلْءَ فمى   فإنها مَضْمضةُ الصَّوادى

قد نقَضَ السمعُ كلامَ غيرِهم   كما نقضْتُ الصبرَ من مَزادِى (٧)

---

(١) فى الأصول ، والسلافة : « قد نفذت » ، والمثبت فى الديوان ، والخلاصة .

ويربى الدمع : يجمعه ويزيده .

(٢) فى سلافة العصر : « فطيف مقلتى * يظل » . (٣) فى الأصول : « ومن بكى عن النوى » ، والمثبت فى : الديوان ، والخلاصة والسلافة . (٤) فى الأصول : «خمر الخدود» ، والمثبت فى : الديوان ، والخلاصة ، والسلافة . (٥) فى السلافة : « جرى بسوقها ونظم » ، وفى ب : « فى نجادى » ، وفى الديوان : «فى نجادى» ، وفى حاشيته : «النجاد : كساء» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة.

(٦) فى السلافة : « فإنها ألية الأمجاد » . (٧) فى ج : « قد نقض السمع » ، وفى ب : « نقضت الصبر من مرادى » ، وفى الديوان « حديث غيرهم » ، وفى السلافة :

قد نقض السمعُ حديثَ غيرِهم   كما نقضتُ الصبرَ من فؤادِى

والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

أعاذِلى والهوى غَوايةٌ بِعْتُ بها كما ترى رَشادِى [1]
ولِعتْ بى وشَمْلتى كَمِيَةٌ بقادحٍ يعبثُ فى زِنادِى [2]
دعِ الهوى يعبَثْ بى وإن تَشَا فعُدَّنى من عذَباتِ وادِ [3]
مالحَق اللَّومُ غبارَ عاشقٍ حَدا به من المَشيب حادِى [4]
أما ترى الأقاحَ حول لِمَّتِى حكى ابْتسامَ البرقِ فى البوادى [5]
بشَّرنى طلُوعه بأنّ لى صبحَ وِصالٍ للدُجى بِعادِى
ولم أقلْ مَناصِلٌ تجرّدتْ وأُرْكِزت بجانبِ الأغمادِ [6]
كأن شيبَ الشعَرات ألسُنٌ على ضَياع رَوْنقى تُنادِى [7]
لبِسْتُ ما أضاعنى فأسْوتى كأسْوةِ الجمرةِ فى الرَّمادِ [8]

***

ومن رباعياته قوله [9] :

لا تُبْدِ لمن تحبُّه ما أُبْدِى واصبرْ فعلُ الصبرِ يوماً يُجْدِى [10]
إظْهار محبَّتى لمن أعشقُه صيَّرتْه سبباً لطُول عُمرِ الصَّدّ [11]

***

ومن بدائعه قوله [12] :

تذكّرتُ إذ مرّتْ بنا الغِيدُ بُكْرةً تلهُّبَ خالٍ فى لَظَى خدّ أغْيَدِ [13]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فالهوى غواية » . (٢) فى ا ، ج : « وشمائى كمية » ، والمثبت فى : ب ، والديوان ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الديوان، والسلافة : « كقادح يعبث » ، وفى ا ، والديوان ، والسلافة : « فى زناد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .
(٣) فى ا ، ج ، والديوان : « من عذبات وادى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .
(٤) فى الخلاصة : «من النسيب حادى» . (٥) فى سلافة العصر : «حكى ابتسام البرق فى الدآدى» .
(٦) فى الأصول : « ولم أقل مناصلا » ، والمثبت فى : الديوان ، والخلاصة ، والسلافة .
(٧) فى الديوان، والسلافة: « كأن بيض الشعرات » . (٨) فى السلافة : « كأسوة ما الجمر فى الرماد » .
(٩) البيتان فى: ديوانه ٩٣ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ . (١٠) فى الديوان، والخلاصة: «فاعل الصبر» .
(١١) فى الديوان : « كانت سببا » . (١٢) البيتان فى : ديوانه ٩٥ ، سلافة العصر ٢٨٥ .
(١٣) فى الديوان ، والسلافة: «توهمت إذ مرت» .

ورَدَدْتُ طَرْفى ســاعةً فرأيتُه فؤادى الذى قد ضاع فى الحبِّ من يَدِى (١)

***

وقوله ، مضمِّنًا فى الدخان (٢) :

عكفتُ على شُرْبِ الدُّخان وفى الحشَا لهيبُ الجوَى فازْداد جَمْراً على جمرِ (٣)

فقالتُ أُداوِى نار قلْبِى بمثلِهــا كما يتداوى شــاربُ الخمرِ بالخمرِ

***

وقوله (٤) :

زُرْ واُجْلِ لمَسْمعِى كؤوسَ اللَّفْظِ واجعلْ كبدِى غِمْداً لسيفِ اللَّحْظِ

بل جُرْ واهجُرْ ولا تخَفْ مَظْلمتِى ما أورَدنى البلاءَ إلا حَظِّى (٥)



***

وقوله مضمِّنًا (٦) :

لا يدَّعِى قمرٌ لوجهِك نِسبــةً فتخاف أن يسْودَّ وجهُ المُدَّعِى (٧)

فالشمسُ لو علمتْ بأنك دونهــا هبَطتْ إليك من المَحلِّ الأرْفعِ (٨)

***

---

(١) فى الديوان ، والسلافة : « ورددت طرق ثانيا » . (٢) البيتان فى ديوانه ٩٥ .

(٣) فى الديوان : « لهيب جوى » . (٤) البيتان فى : ديوانه ٩٤ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « بل زر واهجر » ، وفى الديوان : « ما أورثنى البلاء » .

(٦) البيتان فى : ديوانه ٧١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٦ ، سلافة العصر ٢٧٩ .

(٧) فى السلافة : « لا يدعى بدر » . (٨) فى السلافة : « والشمس لو علمت » .

وقد ضمن قول الرئيس ابن سينا فى النفس :

هبطتْ إليك من المحلِّ الأرفعِ هيْفاء ذاتُ تدلُّلٍ وتمنُّعِ

قلت : هذا تضمين يليق أن يُكتب بالتِّبْر ، فضلا عن الحبر .

* * *

ومن رباعيّاته قوله[١] :

مولاىَ بقِيتَ قد بَرانى الأسفُ　　من يُنصِفنى منك وهل أنتصِفُ

مَن أسْعده الحظُّ فإنى دَنِفٌ　　أشْقاه ولا شقِيتَ حَظٌّ دَنِفُ[٢]

* * *

وقوله[٣] :

مَن أرّقنى قد اسْتلذَّ الأرَقا　　ويْلاى ومَن أعشقُه قد عشِقا[٤]

من يُنقذنى منه ومَن يُنقذُه　　أفْنى حُرَقًا فيه ويفْنى حُرَقا



* * *

وقوله[٥] :

يا ربِّ لا أقصِد بالشعْر سواكْ　　والقصدُ يَرُدُّنى إلى باب غِناكْ[٦]

يا مَن جعلتُ تُرابَه ناصِيتى　　قد صَوّح نَبْتُها أغِثْنى بنَداكْ

* * *

وقوله[٧] :

القلبُ لديْك وهْو عندى الغالِى　　لا تترُكْه مَطِيَّة الإذلالِ

---

(١) ديوانه ٩٤ .　　(٢) فى الديوان : « حظ وقف » .　　(٣) البيتان فى : ديوانه ٩٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ .　　(٤) فى ا : « ويلاى من أعشقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ويلاه ومن أعشقه » ، وفى ب : « أعشقه من عشقا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٥) ديوانه ٧٣ .　　(٦) فى الديوان : « يا رب لم أقصد » ، وهى أقرب إلى المعنى .

(٧) ديوانه ٩٤ .

تَاللهِ لقد عجِبتُ من أحْـــوالى يفنَى زمنِى بِضَيْعة الآمـــالِ

***

وقوله[1] :

أصبحتُ ولَثْمُ أَخْمَصيْهِ أمـــلِى مع أنَّ له فمًا شفاء العِـــلَلِ
لكنْ قدمٌ سعتْ به فى تَأَنِّى أعددْتُ لها جَوائزًا من قُبَلِى

***

وقوله[2] :

أحسنُ ما يُهْدِيه أمْثالُنــــا من طَيْبةٍ من عند خـــيرِ الأنامْ
بعضُ تُمَيْراتٍ إذا أمْكنتْ إهداؤُها ثم الدُّعا والســـلامْ

***

ومن محاسنه قوله ، من قصيدة أولها[3] :

طرقَتْ طروق الطيفِ وَهْنَا مَيَّالَةُ الأعْطاف حَسْنَا[4]
مصْقولةُ الخدَّين مثـــــلَ السيْــف ألْحـــاظًا ومَتْنَا
أرْختْ وشاحًا فوق دِعْــصٍ دوق غصنٍ قد تَثَنَّى[5]
ومشتْ فشيَّعهـــا عَبِيــرُ الروضِ منْ هَنَّا وهَنَّا
فى حُـــلَّةٍ من جِنْس ما يكسُو الربيعُ الغصنَ دَكْنَا[6]

---

(١) ديوانه ٩٤ . (٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ يخاطب بعض الصدور ، وكان الفتح قدم من الحج ، فأهداه تمرا . وقد نقلهما الطباخ فى نشرته لديوان الفتح ابن النحاس (العقود الدرية) ٩١ ، عن المحبى ، وقال : ليسا فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط .

(٣) القصيدة فى ديوانه ٢٨ ، ٢٩ ، يمدح عبدالعظيم . (٤) فى الديوان : « مياسة الأعطاف » .

(٥) فى ا : « أرخت وشاحها . . . » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .
والدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٦) فى ب : « يكسو الربيع الغصن وكنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

الدَّلُّ يَنْبُتُ مِن مَسَا حِبِ ذَيْلِهَا والحسنُ يُجْنَى[1]

تَمْشِى فُرَادَى ثم تَمْـ ـشِى خَلْفَهَا الأَرْدَافُ مَثْنَى

حَوْراء إن سَمَحَتْ بكَشْـ ـفِ قِناعِها مَلأَتْكَ حُسْنَا

وإذا اشْتَهتْ رجعت علَيْـ ـكَ فعاد ذاكَ الحسنُ حُزْنَا[2]

لو خاطبَتْ وَثَنَاً لَحَنَّ مع الجودِ لهَا وأَنَّ

طارحْتُها شكوى النَّوى ولَثَمْتُها أعْلى وأدْنَى

وعجِبْت من وَلَهِى بها ولِهْتُ بها وَلَهَ المُثَنَّى[3]

تَركَتْ يداً وفَماً وجِيـ ـداً وابْتَدتْ ذيلاً ورُدْنَا

وأقَمْت أنْصِب نحوها طَرْفَاً ونحوَ البابِ أُذْنَا

أخْشَى يُحِسّ بنا النَّسيـ ـمُ فيُخبرِ الروضَ الأَغَنَّا[4]

ويُوَلِّد الوَسْواس لِى جَرْسُ الحُلِيِّ إذا أَرَنَّا

فتقول مسكينٌ المتيـ ـمُ بالنسيمِ يسِئُ ظَنَّا

طِبْ يا فتى نفساً فقد نامتْ عيونُ الحيِّ عنَّا

***

جَرْس الحُلْى : صوته ، ويقال فيه وَسْواس .

قال الشاعر :

كم بين وَسْواسِ الحُلِيّ م وبين وَسْواس الهموم

والوَسْوسة : مالا يُفْهَم من الأصوات .

---

(١) فى الأصول : « من مساحب ذيلها » ، والمثبت فى الديوان . وفى ا : « والحسن لحظا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٢) فى ب : « رجعت إليك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٣) فى الديوان : « وعجبت من قلبى بها » . (٤) فى الأصول : « فيخبر الحى الأغنا » ، والمثبت فى الديوان .

وهذا أسلوب مُتداوَل ، ومَنْزَعه خَفْق الحلى ورهَجه ؛ وذلك يخرج على قوالب من جُنّة الحلْى ونمّها وغير ذلك .

وقد يُغيِّرق الأطراف الفَعْمة[١] ، فيقال : إنها تَغِصُ الحلْىَ ، وتُخرِس وَساوسها ، وتُحيِّر الحلْىَ .

وأحسن ماسُمِع فيه قولُ أبى كامل تميم بن المُفرِّج[٢] :

وأطْرافًا يَحارُ الحلْىُ فيهـــا فليس يكاد يضطرِبُ اضْطرابَا

قال صاحب الدُّمية[٣] : قوله « يحار الحلى فيها » لم أسمع به إلا فى شعره ، وقد أتى ببِدْع المُستعار وبِكْره .

***

وقد أنهيتُ الكلام على شعره ، وهنا أذكر جانبا من نثره .

فمنه قوله يعاتب[٤] :

غرستُ لكم فى المدح ماأخْضرَّ عودُه وألقتْ إليه الزُّهْرُ عِقْدًا من الزَّهْرِ
وصارتْ عيون المشْفقين قلائدًا عليه وعينُ الحِقْد تنظُر عن شَذْرِ[٥]
وقلتُ ستنْدَى بالثِّمار أنامِــــلى فما كان إلَّا أن قبضْتُ على جَمْرِ
وعدتُ كما عاد المُسىء مُذمَّمًا أغصُّ بشكْرى وهْو يُحسَب من وِزْرى
وما ساء حظًّا كالذى اجْتاب الهوى وأسْلَمه مَحْضُ الوِدادِ إلى الهجْرِ

---

(١) فى ا : « النعمة » ، وفى ج : « النغمة » ، والمثبت فى : ب .
والفعمة : الممتلئة .

(٢) هو الطائى ، كما جاء فى دمية القصر (تحقيق) ١ / ٤٠ .
والبيت فيها ١ / ٤٦ .

(٣) دمية القصر (تحقيق) ١ / ٤٧ . (٤) ساق المحبى أيضا هذه الأبيات فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، وساق معها بعض هذا الفصل ، من أول قوله : « وعهدى بالشيخ » الآتى ، إلى آخره .

(٥) فى خلاصة الأثر : « وصارت عيون المنصفين » .

إنّى لأعجب منى ومن تواضُعِ الشيخ فى مناجاته إيّاى وهو الطَّود الأشمّ ، واتخاذِه أُذنى صَدَفا للدُّرَر عباراته وهو البحر الخِضَمّ .

واقتراحِه علىّ أن أُبرِزَ من خِباء أبكارِ الشعر ، رَبيبةَ خِدْر ، ونتيجةَ فِكر .

تكون مُعْجِزةَ[1] ابن الحُسَيْن ، ومُفْحِمةَ الخالديَّيْن .

تنْطوى على مدْح ماانتشر عن ألوية فضائل ذاته لُمعجِزِ ألسُنَ الواصفين وصفُها ،

وتتضمّن نَشْر مانَسم من طِيب أذْيال فواضل صفاتِه لُمعطِّرِ مَشامَّ الناشِقين عَرْفُها .

وقيامى له على قدَم الحدّ[2] ، أفْرى فَلَوات السّعى[3] وأمْتطى صَهَوات الجِدّ .

أقْتنص الشوارِد ، وأتناول الفَراقد .

وأغُوص على الغُرَر ، من بَنات الفِكر .

إلى أن تكامَل عِقدُها ، وجاءت نسيجَ وَحْدِها .

من مستفزّات القلوب ، تهادَى أناةَ الخطو[4] بكرَ عرُوب .

تجرُّ على مِهْيار الدَّيْلمىّ ذيلَ دَلالها ، وتَسكر الشريفَ الموسَوىّ بجِرْيالها .

لو رآها المُخضرَمون ، لجاءوا إليها من كل حدَب ينْسِلون .

وامتثتُ بها مع لطم الشكر ، إلى جناب إمام العصر .

كيف حالَ الجريضُ[5] دُون القريض[6] ، وغاض زُلال راحتِه وهو الغَضِيض .

ولم سَدّ عنى بابَ اعْتنائه ، ومَحا ما كُتِبَ من إملائه .

حتى استَهْدفتْنى ألسنةُ الشامتين وأحْدقتْ إلىّ أعينُ العِدَى ، وليس عنــدى منه مايُغضُّ أجفانَهم ولا قَذى .

---

(١) فى ج : « معجزة لابن الحسين » ، والمثبت فى : ا ، ب . وهو يعنى المتنبى . (٢) فى ا : « الجد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « السعد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) الجريض : الغصة ، من الجرض ، وهو الريق يغص به .

(٦) هذا مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . مجمع الأمثال ١/١٢٩ .

فياليت شعرى ماالذى أوجب هذا الصدّ ، وإن لم يُحْسن القبولَ فليحسن الرّدّ .

ولْيكن بدون قوله ماأصنع بالقصائد دونه وشعره ، حتى اسْودّ وجهُ آمالى ولم يبْيضّ حَجره .

بعدما خطفتْنى منه مخالبُ الظُّنون ، ورجعتُ أقلّب أكُفّى بصفْقة المغبون .

أحاسَب عن أوْزار العباد ، وأعاقَبُ بجناية قوم عاد .

وعهدى بالشيخ جبلًا آوِى إليه ، وحمًى أحوم حوله ، وعماداً أعتمد بعد الله عليه .

فما بال الجبل لم يَأْوِ[1] ، والحمى لم يَحْم والعمادِ لم يَحْو .

وما باله فى مسرّاته وأنا فى ليل الهموم ، أتوقَّع تنفّس صُبْحِها ، وأبْتهل إلى الله تعالى فى طلوع شمسها .

فعندما حلّت أكفّ الابْتهال عُرى الدجى ، ولاح من تنفُّس صبح الوِصال أشعّةُ شمس المُنى .

حال بين طرْفى وسناه[2] قذاةُ البَيْن ، وأصبحتُ مُصابا بعين .

أعوذ بالله من أن يُلْهِىَ الشيخ[3] عنى زخْرُفُ[3] المُتَشدِق[4] ، وتستميله[5] أقاويل[6] الدخيل وجنّة[6] المتملّق .

والزُّخْرف عتبة التّلاشى ، والتّشدْق باب الهوْل .

فالأقاويل مطيّة الكذب ، والدَّخيل قذال يدِ الردّ ، والتملُّق مِزْراب النفاق .

ولى فى محبته الجنانُ الثابت ، والقلبُ الصابر ، واللسان الرّطْب ، والفمُ الشاكر .

---

(١) فى الخلاصة : « يؤو » .

(٢) فى ا : « وثناؤه » ، وفى الخلاصة : « وسناها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٤) فى ب : « المتشدق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٥) فى ب : « أو تستميله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) ليس فى خلاصة الأثر .

وله منى الوِداد المحْض ، والقصائد الغُرُّ .

ولى منه أنَّة المتوجِّع ، ولوعةُ المصاب ، وحُرقة المهجور ، وخشْيَةُ المُرتاب .

وما أراه من اقتفائه [١] أثَرَ المُلتبِس عليهم الأمر ، فى كَسْر زجاجةِ ودادى من زيد وعمرو .

ولا غَرْو قد يُدْمِى الجبين إكْليلُه ، وتهجُر الحسامَ قُيونُه .

وكثيراً ما يُضلُّ المُدْلِج [٢] دليلُه ، وتخطئ المؤمِّل ظنونُه .





(١) فى ب : « اقتضائه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٢) المدلج : من سار الليل كله أو من سار من آخره .

١١٥

السيد أحمد بن محمد المعروف بابن النَّقيب*

السيد المولى ، من هو بكل ثناء أحقُّ وأوْلى .

حل من الشرف فى ذِرْوته ، وتحكم من الأدب فى بَحْبوحتِه وعَقْوته[1] .

وقد تمتعتِ الرياسةُ دهرا بعده[2] النَّضْر ، وشرُفت النِّقابةُ له عَبْقريُّها الحسان ورَفْرفُها الخضْر .

فألقتْ إليه السيادةُ أفلاذَها ، واتَّخذت السعادة طاعتَه عِصْمتَها ومَلاذَها .

فرفع لأهل الأدب هِضابا ، وأرْشفَهم على ظمإٍ من ماء مكارمه رُضابا .

فالفضائل مِلْءُ[3] حقيبته ، والآمال تستفتح بيمن نقيبته .

ومآثرهُ باديةُ الأوْضاح ، ونِعمهُ سائلةُ الغرَرِ والأوْضاح .

ومجالسه بأصْناف المعارف حافِل ، وفهمُه[4] بحَلِّ ما يُعْيِى[4] الأفهام كافل .

(*) السيد أحمد بن محمد الحسني ، الحلبي ، المعروف بابن النقيب .

ولد بحلب وبها نشأ ، وأخذ عن عمر العرضي ، وغيره ، وتأدب بإبراهيم بن الملا .

وبرع ورحل إلى القسطنطينية .

ولى القضاء ، ونيابة القضاء ، بالقدس وحلب .

وله منزلة عظيمة فى النظم والنثر .

وله « حاشية » على « الدرر والغرر » فى الفقه .

توفى سنة ست وخمسين وألف ، وعمره ثلاث وخمسون سنة .

إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ـ ٢٩٥ ، خبايا الزوايا ، لوحة ١٧٠ ا ، خلاصة الأثر ١/٣١٧ ـ ٣٢٤ ، ريحانة الألبا ١/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، هدية العارفين ١/١٦٠ .

(١) العقوة : الساحة ، وما حول الدار .

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) فى ا ، ج : « إملاء » ، والمثبت فى : ب .

(٤) فى ا : « بحلى ما يعى » ، وفى ج : « بحلى ما يعى » ، والمثبت فى : ب .

وله القلمُ الذى يكاد من نَداوة بَنانِه ، يبيِّض[١] وجْهَ الطِّرس بتَسْويد النُّقوش من بدائع بيانِه .

فهناك جِنان البلاغة لم يطْمِث أبكارَها إنْسٌ قبلَه ولا جَانّ ، وأشجارُ البراعة لم يقطِف ثمارَها عينُ ناظر ولا يدُ جَانٍ .

من كل لفظٍ مع معناه رُوح وجسد ، إذا سمع الناس تركيبَه خلَقن له فى القلوب الحسد .

* * *

وقد ذكرت من كلامه الشريف ، ولفظه العالى المُنيف .

ما تجعله سيِّدَ الكلام ، وتقطع عن المُغالى[٢] فى مدحه مادة[٣] المَلام .

كقوله[٤] :

حضرةٌ تقلّدت أعناقُ الرجال بقلائد نِعَمِها ، وتدبَّجتْ رياضُ الآمال بهواطِل سُحبِ كرمِها ، وطافت أفهامُ الطُّلاب بكعبة حقائقها وعومِها ، وسعتْ أفكارُ بنى الآداب مابين صَفا منثورها ، ومَرْوة منظومِها .

لا برحت الأيامُ باسمةَ الثغرِ بمعاليها ، والأنام حاليةَ النَّحْر بأياديها .

* * *

وكقوله[٥] :

هو صدرُ الدنيا ، وركن العَلْيا ، وواسطة عقدِ ورثةِ الأنبيا ، وواحدُ هذا النوع الإنسانىّ من الأحيا .

---

(١) فى ا : « يبيض » ، وفى ج : « ويبيض » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « المعالى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) فى ا : « عادة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) هذا الفصل فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٤ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٣ .   (٥) هذا الفصل أيضا فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٤ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٣ .

دعوَى لا يُداخل[1] بنيتها[2] وهم ، ونتيجةٌ لا يشين مُقدّماتها عُقم .

فإن مَن كان صدر بنى هاشم ، وشنَب ثغرِ مجدهم الباسم ؛ وهم هم[3] فى الرفعة والمَنعة ، كان أجلَّ موجود ، وأعظم مَن فى الوجود .

* * *

وكقوله[4] :

قسماً بمَن جعل محاسن الدنيا فى تلك الذّات محصورة ، وأسبابَ العَلْيا على مُلازمة عتباتها مقْصورة .

إن عَقْد عبوديّتى لا تطاول إليه الأيام بفَسْخ ، وعهد مودّتى عهد لا تتوصّل إليه الحوادث بنَسْخ .

وكيف يُنسخ وصورته فى الجَنان مجلُوّة ، أم كيف يُنسخ وسُورته على كلّ حين باللسان متْلوّة .

ولعَمْرى مهما نسيت فإنى لا أنْسى أيامى فى خدْمتها ، والتقاطى الدُّرّ من مُذاكرتها[5] .

وما كان بيْننا من المُصافاة التى أين منها مُصافاة الماء مع الرّاح ، وما يجرى بيننا من المُفاوضة التى هى فى الحقيقة مفاوضَة[6] الورد والتفاح[7] .

---

(١) فى ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « يدخل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى إعلام النبلاء : « بيتها » ، وفى الخلاصة : « بينها » .

(٣) ساقط من : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) هذا الفصل فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٤ ، ٢٩٥ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٥) فى ب : « أكرتها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى ب ، ج : « مفاوحة » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « مع التفاح » .

وعلى كل حال فلا عِوَض لنا عنها إلا ما تنقله الرُّكبان من أخبار سلامتها ، وما تُودعه فى صَدَفة آذاننا من جواهر آثار عَدالتها .

لا جَرَم أنه كلما تعطّرت مجالسنا بشىء من ذلك ، دعَوْنا الله عز وجل هنالك .

بأن يَزيد باعَ عدلها امتدادا ، وشُعاعَ فضلها سُطوعا واشتدادا .

وأن يبلغها أقْصى ما تطمحُ إليه عينٌ طامحة ، أو تجنح نحوه نفسٌ جانحة .

هذا والمتوقَّع من كرمها ، كما هو المألوف من شيَمها ، ألا تخرجنا من ضميرها المُنير ، وأن تعُدّنا فى جريدة [(١)] مَن يلوذ بمَقامها الخطِير .

والله تعالى يُبْقى لنا تلك الحضرة ، سامية الركاب ، عالية القِباب ، فى رفعة دونها قابُ العُقاب .

* * *

ومن شعره قوله ، يخاطب بعض أحبابه [(٢)] :

رُوَيْدَكَ شأنُ الدهرِ أن يتغيَّرا ... وشيمتُه إمَّا صفَا أن يُكدَّرَا

وعادتُه الشَّنْعاء فى الناسِ أنه ... إذا جاء بالبُشْرى تحوّل مُنذِرَا

فلا بُؤْسُه يبقَى وأمَّا نعيمُه ... فكالطَّيْف إذْ تلقاه فى سِنَة الكَرَى

فلا تكُ مسروراً إذا كان مقبِلا ... ولا تكُ محزوناً إذا هو أدْبَرَا

فأىُّ دُجَى هَمٍّ دَهاكَ ولم تجدْ ... صَباحاً له بالبِشْرِ وافاكَ مُسْفِرَا

وقد هُزِلتْ أيامُنـــا فلَوَ انَّها ... أتَتْنا بجِدٍّ كان للهزلِ مَعْذِرَا [(٣)]

* * *

(١) فى ب : « جريرة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٢٨٩ ، خلاصة الأثر ١ / ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كان للهزل مظهرا » .

منها :

وليس يعيبُ البدرَ فُقْدانُ نُورِه ... إذا كان بعد الفَقْد يظهر مُقْمِرَا

وماجُعَلٌ إن جفَا الوردَ إذْ به ... أضَرَّ بداعٍ أن يُذَمَّ ويُهْجرَا [1]

الْجُعَل يتأذَّى برائحة الورد ، وكذا المزكوم ؛ والحسناء إذا ابْتُليت بذَامٍّ ، فهى كالورد مع الْجُعَل ، وصاحبِ الزكام .

ومما يلحق بهذا أن الوَزَغَة [2] تكره رائحةَ الزَّعْفران ، وتهرب منه .

وعليه بنى البتّار [3] قوله فى هجاء الغُنْدَلِىّ [4] ، وقد وصل إلى بابه ، فتحجَّب عنه :

تحجَّب الغُنْـدَلِىُّ عنِّى ... فساء مِن فعلِه ضميرى

يَنْفِر من رُؤْيتى كأنى ... مُضمَّخُ الجَيْب بالعبيرِ

***

وله من قصيدة ، يخاطب بها أيضا (ه صديقا له ه) :

تزُول الرَّواسِى عن مقَرِّ رسُومِها ... ووُدِّى على الأيام ليس يزولُ

ولستُ بمَن يُرضيه من أهلِ وُدِّه ... خَفِىُّ ودادٍ فى الفؤادِ دخيلُ

إذا لم يكن فى ظاهرِ المرءِ شاهدٌ ... على وُدِّه فالودُّ منـــه عليلُ

أأرْضَى بوُدٍّ فى الفؤاد مُغيَّبٍ ... وليس إلى عــلم الغُيوبِ سبيلُ

وأَقْبلُ عن هجرى اعتذاراً مُزيفاً ... تمحَّلْتَه إنِّى إذاً لجَهُولُ [6]

---

(١) هذا البيت لم يرد فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٢) الوزغة : هى سام أبرص ؛ سميت بها لخفتها . القاموس (و ز غ) . (٣) لم أعرفه .

(٤) فى ا ، ب هنا وفيما يأتى : « الفندلى » ، والمثبت فى : ج .

وفى اللباب ٢/ ١٨٠ : « هذه النسبة لأبى الحسن محمد بن سليمان بن منصور بن عبد الله الغندلى الأزرق » .

(ه) تكملة من : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

والأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/ ٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/ ٣١٩ .

(٦) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « اعتذارا مزينا » .

لَعمرُكَ قد حرَّكتَ مَنْ كان ساكناً وعلَّمتني بالعَتْبِ كيف أصُونُ

* * *

وله من قصيدة :

فياليتَ شِعْرى هل لعمرٍو مَزِيَّةٌ إذا ازْداد واواً وهْو فى رُتبةِ الذُّلِّ

وهــــل شَانَ بسمِ الله وهْى عزيزةٌ تَمَنُّعها فى الخطِّ عن ألفِ الوصلِ

ورُبَّ ازْديادٍ كان للهُلْك داعياً كما كان فى نبْت الجناح رَدَى النَّمْلِ

وما هــــذه الأيام إلا عجائبٌ تَشابَهَ ماتُبْدِى من الجِدِّ والهَزْلِ

وقد طَمَستْ أفكارَنا بصُروفِها وأشْغَلت الخالَ الألُوفَ عن الخِلِّ

* * *

قوله : « وهو فى رُتبة الذل » ، يريد تمحُّضَه للمَضْروبية فى أمثلة النحاة ؛ ومن هنا تعلم سرَّ قولهم فيه : الاسم المظلوم ، كما لا يخفى .

وكان الجاحظُ يعنى بذلك إلزاقهم به الواو ، التى ليست من جنسه ، ولا فيه دليل عليها ، ولا إشارة إليها .

ويشهد له قول الشاعر :

إنما البَهْنَسِىّ خطبٌ جليلٌ لا خطيبٌ ولا جليلٌ بقَدْرِ [١]

زِيدت الياء فيـه ظُلْما وعُـدْوا نًا كواوٍ غـدَتْ بآخرِ عَمْرِو

* * *

وقوله : « ورب ازدياد » ، من قوله [٢] :

(١) لعله يعنى مجد الدين الحارث بن مهاب البهنسى الكاتب ، الشاعر ، الوزير .
استوزره الملك الأشرف موسى بن أبى بكر بن أيوب .
وتوفى سنة ثمان وعشرين وستمائة .
البداية والنهاية ١٣/١٣٠ .

(٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٧٦ ، بدون نسبة .

وإذا استوتْ للنَّملِ أجنحـةٌ ... حتى يطـيرَ فقـد دَنا عَطَبُهْ

***

ومن غُرَرِه ، قوله من قصيدة يرثى بها أخًا له مات ، وأرسلها إلى أبى الوَفا العُرْضِىّ [1] ، يعزِّيه فى آخرها عن ولدين له ماتا ، ومطلعها [2] :

رُزْءٌ أَلَمَّ وحسرةٌ تتوالَى ... ومُصيبةٌ قد جَـذَّتِ الآمالَا [3]

وجليلُ خَطْبٍ لو تـكلَّف حملَه ... ثَهْلانُ ذو الهَضَباتِ هُدَّ وزَالَا [4]

وفِراقُ إلْفٍ إن أردتُ تصبُّراً ... عنه أردتُ من الزمان مُحالَا

وعيونُ عَيْنٍ ليس تفتُر دائمًا ... عن سَكْبِ رَقْراقِ الدموعِ سِجالَا

بُعداً لدهرٍ شأنُه أن لا يُرَى ... إلا خَئُوناً غادراً مُغْتالَا [5]

نَفترُّ فيـــــه بالسلامة بُرْهةً ... ونرى المآلَ تمحُّقاً وزوالَا

ويُعيرنا ثوبَ الشَّبيبــــةِ ثم لم ... يَبْرَح به حتى يُرى أسمالَا

قُبِّحتَ يا وجهَ الزمانِ فلا أرى ... لك بعد أن فُقِد الجمالُ جَمالَا

ذاك الذى قد كان قُرَّةَ ناظرِى ... وقَرارَ قلبى بل وأعظمَ حالَا

قد كنتُ أرجو أن يُؤخِّر يومُه ... عنى ويَحْمِلَ بعدِىَ الأثقالَا

---

(١) أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب الشافعى ، الحلبى ، العرضى .
ولد سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة .
واشتغل بالتدريس ، والتصنيف ، والإفتاء .
وهو مفتى الشافعية بحلب ، وأحد أعيان العلماء فى المعرفة والإتقان والحفظ والضبط .
توفى سنة إحدى وسبعين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٣٠٨ ، تراجم الأعيان، ترجمة رقم ٢٠٧ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٦ ب ، خلاصة الأثر ١/٨٤ ، ريحانة الألبا ١/٢٦٩ .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩١ ، ٢٩٢ ، خلاصة الأثر ١/٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٣) فى ا ، ج : « وقد جزت الأمالا » ، والمثبت فى : ب ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قد جرت الأذيالا » .

(٤) فى ا : « ودليل خطب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الإعلام والخلاصة : « ثهلان ذو الهضبات دك ومالا » .

(٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « غادرا محتالا » .

وَيذوقَ ماقد ذُقْتُــه لِفراقِهِ ... ويُمارسَ الأهوالَ والأوْجالَا

فتطاولتْ أيدى المنيَّةِ نحوه ... وبقيتُ فرداً أندُب الأطْلالَا

كنَّا كغُصْنَىْ دَوْحةٍ قطَع الرَّدى ... منها الأغضَّ الأرْطبَ أميَالَا[1]

أو كاليديْن لِذاتِ شخصٍ واحدٍ ... كان اليمينَ لها وكنتُ شِمالَا

أسَفِى عليه شمسُ فضلٍ عُوجِلتْ ... بكُسوفِها وعمادُ مجدٍ مالَا

لا كان يومٌ حُمَّ فيه فِراقُنا ... فلقد أطال الحزنَ والبَلْبالَا

فسقَى ضريحاً حَلَّه صَوْبُ الحيَا ... فى كل وقتٍ لا يغيبُ وِصالَا

❊ ❊ ❊

منها :

هيهاتَ مَن لى بالرِّثاء وفَقْدُهُ ... لم يُبْقِ فىَّ بقيَّـــةً ومَجالَا

أفْحمتَنِى يارُزْءَه من بعدما ... كنتُ الفصيحَ المِصْقَعَ القوّالَا

مَن لى بطبعِ اللَّوذعىِّ أبى الوفا ... ذاك الذى بالسحرِ جاء حلالَا

مولًى إذا وعظ الأنامَ رأيتَه ... يلقِى على كل امرئٍ زِلْزالَا[2]

بزواجرٍ لو أنه استقصَى بها ... أهلَ الضــلالِ لما رأيتَ ضلالَا

مولاىَ ياصدرَ الزمانِ ومَن غدا ... لِبَنِيه غَوْثاً يُرْتجَى وثِمالَا[3]

ذِى نَفْثةُ المصدورِ قد سرَّحْتُها ... لِحِماك تشْكو بَثَّها إدْلالَا

إنَّ المُصيبةَ ناسبَتْ مابيننـــا ... إذْ حوّلت بحُلولِها الأحْوالَا

فشكَلْتَ مخدومَيْن كلٌّ منهمـــا ... قد كان فى أُفُقِ السُّعود هلالَا[4]

---

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كغصنى بانة » .

(٢) فى ا : « مولاى إذا وعظ » ، والمثبت فى : ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) ثمال القوم : غياثهم .

(٤) فى ا : « تشكلت مخدومين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

لو أُمْهِلا مَلَآ العيونَ محاسِناً ... وكذا القلوبَ مهابةً وكمالَا

ولَكان هذا للمعالى ناظراً ... ولَكان هذا فى طُلاها خالَا

خطفتْهما أيْدى المَنونِ وغادرتْ ... ماءَ العيونِ عليهما هَطَّالَا

* * *

فأجابه بقصيدة ، منها [1] :

لهفى على بدرٍ تكامَل حسنُه ... قد سار فى فلَكِ الكمالِ هِلالَا [2]

أعْظِم به رُزْءاً أناخ مصائباً ... فَتَّ القلوبَ ومزَّق الأوْصالَا

ما كنتُ أعلم قبل حَمْلِ سريرِه ... أن الرِّجالَ تُسيِّر الأجْبالَا

وعجبتُ للبحرِ المحيطِ بحُفْرةٍ ... هل غاب حقّاً أو أراكَ خيالَا [3]

يادافِنِيه مِن الحياءِ تقنَّعوا ... غيَّبْتُم شمسَ الغداةِ ضلالَا

عهدِى الغمامُ حِجابُها مالى أرى ... أضْحى الحجابُ جنادلاً ورمالَا

* * *

وكتب إليه فى هذا الشأن [4] :

خَطْبٌ يقرِّب دونه الآجالَا ... ويمزِّق الأحشاءَ والأوْصالَا

فدعِ الجفونَ تجودُ إن نضَبتْ سَحا ... ئبُ دمعِها الصافى دماً هَطَّالَا [5]

أفلَتْ ذُكاءُ الفضلِ من فلَكِ العلى ... وهى نَيِّرُ المكرُماتِ ومالَا [6]

وذَوَتْ غصونُ رياضِها وتصدَّعتْ ... أجْبالُها حتى بقِينَ رمالَا [7]

---

(١) قصيدة أبى الوفاء العرضى ، فى إعلام النبلاء ٦/٢٩٢ ، ٢٩٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٢ .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « تكامل بعدما ... فى ذلك الكمال » .

(٣) فى ب ، ج : « للبحر المحيط بحضرة » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الأخيرين : « أو أراه خيالا » . (٤) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٢ ، ٣٢٣ . (٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « دمعها فيه دما هطالا » .

(٦) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أفلت نجوم الفضل » . (٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

فقدت أولى الألباب ذو المجد الذى ... عدموا بفقد حياته الإقبالا

فقدُوا حليفَ الفضل مَن بكماله ... وحِجاه كنّا نضرب الأمثالاَ

مَن شاء للعَلْياء يَسْعَ فإن من ... كانتْ له بالأمْسِ مِلْكاً زالاَ

منها :

أعْزِزْ علىّ بأن أرى ربَّ الفَصا ... حةِ والبلاغةِ لايجيب سُؤالاَ

ما كنتُ أعلمُ قبل يومِ وفاتِهِ ... أن الكواكبَ تسكُن الأرْمالاَ

ما كنتُ أحسَبُ أن أرى من قَبْلِه ... للشمسِ من بعدِ الزَّوالِ زوالاَ (١)

منها :

صَبْراً على مانالَنِي فى يومِه ... كالصبرِ منه به على مانالاَ

ملأَ القلوبَ من الأسى ولطالَمَا ... ملأَ العيون مَهابةً وجلالاَ

لولا أخوه أبو الفضائل أحمدٌ ... لرأيتَ أنْديةَ العُلَى أطْلالاَ

الكاملُ الفَطِنُ الذى عَزَماتُه ... إن صال تلقاها ظُبىً ونِصالاَ

منها :

مارام بدرُ التّمِّ مثلَ كماله ... إلاّ وصيَّره المحاقُ هِلالاَ

مولاىَ يابنَ الرّاشدِين ومَن لهم ... شرفٌ على هام السِّماكِ تَعالَى (٢)

صبراً فإن الدهرَ مِن عاداتِهِ ... يُدْنِى النوى ويُحوِّل الأحْوالاَ

* * *

وقد اقْتفى أثرَ الشريف الرّضِىّ الموسَوِىّ فى قصيدته التى رثى بها الصاحب ابنَ عبّاد ، وأولها (٣) :

أكذا المَنون تقنْطرُ الأبْطالاَ ... أكذا الزمانُ يُضعْضِع الأجْبالاَ (٤)

* * *

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « من قبل الزوال زوالا » .

(٢) هنا تجاء كانت : أعزل ورامح ، نجهان نيران . (٣) ديوان الشريف الرضى ٢/ ٦٧٠ .

(٤) فى الأصول ، وخلاصة الأثر ١/ ٣٢٣ : « تقطر الأبطالا » ، والمثبت فى الديوان ، وإعلام النبلاء ٦/ ٢٩٣ .

قال وكان بالقرب من ضريحه عـدةُ أشجار من العُنّاب ، فشاهدت يوماً أغصانها المُخضرّة ، تزهو بثمارها المُحمرّة .

فأتبعتُ الحسرةَ بالحسرة ، ولم أملِك سوابِقَ العَبْرة .

وجادت الطبيعة ، بأبيات على البَديهة .

وهي هذه [1] :

وقائلةٍ والدمعُ في صَحْنِ خـدّها	يَفيضُ كَهطَّالٍ من السُّحْبِ قد هَمَى
أرى شجرَ العُنّابِ في البقْعة التي	بها جَـدَثٌ ضمَّ الشريفَ المُعظَّمَا
لها خُضْرةُ المُرتاحِ حتى كأنه	على فقْـده ما إن أحسَّ تألُّمَا
وأغصانُه فيهـا ثمارٌ كأنها	بحُمْرتهـا تُبْدِى السرورَ تألُّمَا
ولو أنصفتْ كانت لعظْمِ مُصـابه	ذَوَتْ وا كْفهرّتْ حَسْرةً وتندُّمَا [2]
فقلتُ لهـا ما كانَ ذاكَ تهاوُناً	بمـا نالَنا من رُزْئِه وتهضُّمَا
ولكنها لمـا وضعْنا بأصـلِه	خَديناً بأنْواعِ الفضائل مُفْعَمَا [3]
بدَتْ خضرةٌ منه تروقُ وحزنُه	كمِينٌ فلا تستفْظِعيه توهُّمَا
وما احمرّتِ الأثمـارُ إلا لأنّنا	سقَيْناه دمْعاً كان أكثرُهُ دمَا [4]

* * *

ولما وقف عليها صلاح الدين الكُورَانيّ [5] ، قال أبياتا منها [6] :

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) في ا : « لعظم مصائب » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، وفيها : « حيرة وتندما » .

(٣) في ا ، ب : « ولكنها لما وصفنا » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، وفي الأصول : « بأنواع الفضائل منها » ، والمثبت في الخلاصة .

(٤) في ا : « ولكنها حمرت الأثمار » ، وفي ب : « وما احمرت الأشجار » ، والمثبت في ج ، والخلاصة .

(٥) صلاح الدين الكوراني ، الحلبي ، القاضي .

من مشاهير الأدباء ، وله شعر مطبوع ، مع مشاركة في فنون عديدة .

كان رئيس الكتاب ، بمحكمة قاضي قضاة حلب .

توفي بحلب ، سنة تسع وأربعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢٥١ ، تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ١٢٧ ، خبايا الزوايا ، لوحة ١٦٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢٥٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٨١ .

وكوران ، التي ينسب إليها ، من قرى أسفرائن . معجم البلدان ٤/٣١٩ .

(٦) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٢٥٥ .

فيا شجرَ العُنّاب مالكَ مُثمِرٌ ... سُروراً ولم تجزَعْ على سيّدِ الحِمَى [1]

على رَمْسِه أورَقتَ تهتزُّ فَرْحةً ... وتُدلِي إليه كلَّ غصنٍ تنعُّما [2]

أهٰذي أماراتُ المسرّة قد بدَتْ ... أم الحزنُ قد أبكاكَ من دونه دَما

ومنها على لسان العُنّاب :

نعم فَرْحتي أنّي مجاورُ سيّدٍ ... نمَى حسبًا في عصره وتكرُّما

وحضرتُه روضٌ من الجنّة التي ... زَهَتْ بضجيعٍ كان بالعلم مُغرَما [3]

أتعجَبُ بي إذ كنتُ في جنبِ روضةٍ ... وحقَّ فيها أن أقيم وألزَما

كعادةِ أشجارِ الرياض فإنّها ... تمكَّن فيها الأصلُ والفرْعُ قد نمَا

وقد قيل في الأمثال إذ كنتَ سامعاً ... خذِ الجارَ قبل الدارِ إن كنتَ مُسلِما [4]

أمَا سار من دار الفَناء إلى البَقا ... وأبقَى ثَناءً بالجميل مُعظَّما

ومَن كان بعد الموت يُذكَر بالعُلَى ... فبالذِّكر يحيَى ثانياً حيث يمَّما

فقلتُ له يُهنِيك طيبُ جِوارِه ... وحيّاك وَسْمِيُّ الغَمام إذا همَى [5]

لتُسقِط أثماراً على جنبِ قبرِه ... ليلقطها مَن زاره وترحَّما

فواعجبًا حتى النَّبات زهَتْ به ... فحُقَّ لنا عن فضلِه أن نُترجِما

* * *

وله ، يمدح المولى البهائي [6] :

كشفَ الدهرُ عن وُجوه الأماني ... ومحَا السيِّئاتِ بالإحسانِ

وأرانا شمسَ العدالةِ تبدو ... في بُروجِ الجمال والعِرْفانِ

(١) في الأصول : «مالك مثمرا» ، والمثبت في الخلاصة .

(٢) في ا : «تهزز فرحة» ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة . (٣) في الأصول : « زهت بضجيج » .

(٤) في خلاصة الأثر :

* وقد قيل في الأسماع إذ كنتَ سامعاً *

(٥) الوسمي : مطر الربيع الأول . (٦) تقدمت ترجمته في هذا الجزء ، صفحة ٢٩١ ، برقم ٩٤ .

وحَبانا من آل سعدٍ بمولًى لا يُدانيه سعدُ تفتازانِي[1]

دُرَّةٌ رُكِّبت بتاجِ المعالِي غُرَّةٌ أشرقتْ بوجهِ الزمانِ

عالمٌ وهو عالَم يتراءى للبَرايا فى صُورةِ الإنسانِ

وهُمام مُهذَّبٌ قد تحلَّى بعقُولِ الكهولِ فى العُنْفُوانِ

أَحْمَدَ الظلمَ منه عدلٌ منيرٌ وكذا النورُ مُخْمِد النِّيرانِ

خُذ يمِينى إنَّ البراعَة منه فعلتْ مايكِلُّ عنه اليمانِى

إن شَهْباءَنا به قد أنارتْ وعلَتْ رُتْبةً على كِيوانِ[2]

وتوالَتْ على بَنِيها المَسرَّا تُ فهم يسْحَبون ذيلَ التَّهانِى

منها :

أنت معنًى لك الفضائلُ كالَّلفْـ ظِ وروحٌ والمجدُ كالجُثمانِ

أنت فى المَكْرُماتِ فَضْلٌ ولكنْ لابن عبد العزيز فى العدل ثانِى

※※※

ومنها ، يعتذر عن هدية أهداها[3] :

وهُديتَ اليسيرَ فانْمَ وقابِلْ نَزْرَه بالقَبولِ والامْتنانِ

فلوَ انَّ العَيُّوقَ والشمسَ والبدْ رَ مع الفَرْقَديْن فى إمْكانِى[4]

كنتُ أهديْتها وقدَّمْتُ عُذْرًا ورأيتُ القُصور معْ ذاكَ شانِى

※※※

---

(١) سعد تفتازان ، هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى .
إمام من أئمة العربية والبيان .
توفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .
البدر الطالع ٢/٣٠٣ ، بغية الوعاة ٢/٢٨٥ ، الدرر الكامنة ٥/١١٩ .

(٢) كيوان : زحل . القاموس (ك و ن) .

(٣) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/٣١٩ .

(٤) العيوق : نجم أحمر مضىء ، فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا ، لايتقدمها . القاموس (ع و ق) .

(نفحة الريحانة ٢/٣٥)

ومما يُسكر العقول فى الاعتذار عن الهدية ، قول الشَّاهِينِى[1] ، من قصيدة كتبها إلى أبى العباس المَقَّرِىّ[2] ، وأرسل له معها خمسين قرشا :

لو كان لى أمرُ الشباب خلعتُه ... بُرْدًا على عِطْفَيْك ذا أرْدانِ[3]

لكنْ تعذَّر بَعْثُ أوّل غايتى ... فبعثتُ نحوك غايةَ الإمْكانِ

* * *

وللسيد أحمد من اعْتذارية عن هدية أيضا[4] :

إن قصَّر الداعى وأهْدى بلا ... رَوِيَّةٍ مُحتقَرًا نَزْرَا

من عَمَل الصِّين قطاعا أتتْ ... لاتستحقُّ الوصْفَ والذِّكْرَا[5]

فاعْذُر فقد أهدَى إليك الثَّنَا ... عِقْدًا نظيماً يُخجِل البدْرَا

* * *

ومن بدائعه قوله ، (6 وهو فى غاية الجودة 6) :

لِدَواةِ داعِيكم مِدادٌ شابَ من ... جَوْرِ اليَراعِ وقد رثَتْ لمُصابِهِ

فأتتْ تؤمّل جُودَكم وترومُ من ... إحْسانكم تجْديدَ شَرْخ شبابِهِ

* * *

وقوله ، فى صدر رسالة[7] :

أيها الفاضلُ الذى خصَّه الله ... هُ من الفضلِ والحِجَى بلُبابِهْ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ . (٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ١١٣ . (٣) فى ب : « لو كان لى برد الشباب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/٣١٨ ، وأرسل بها لبعض الكبراء مع قطاع من الصينى أهداها له . (٥) فى ا : « قطاعات أتت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

والبيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٠ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٠ .

(٧) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٠ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٠ .

إن شوقى إليكَ ليس بِشَوْقٍ ... يُمْكِن المرء شرحُه فى كتابِهْ

***

وكتب إلى السيد محمد العُرْضِيّ[١]، قبل توجُّهه إلى الروم[٢]:

مازلتُ محسودًا على أيّامكمْ ... حتى غدوْتُ ببُعْدكم مَرْحوما[٣]

ومن البليّةِ قبلَ توْدِيعى لكم ... أصبحتُ رِزْقًا للنَّوى مقْسوما

***

فأجابه، وكان محموما[٤]:

وافَى الكتابُ وكنتُ قبلَ وُرودِه ... مِن خَوْف ذِكْرِ فِراقكم محْمُوما

هذا ولِى أمرٌ بصَرْفةِ عَزْمِكم ... عنه فكيف إذا غدا مَحْتوما[٥]

***

وله[٦]:

إنَّ شَوْقى يجِلُّ عن أن يُؤدِّى ... بعضَ أوْصافِهِ لسانُ اليَراعِ

***

وكان بحلب مُفْت صدَّره الدهر بجاه ومال، وعطف إليه الأفئدة وآمال.

بعد انْقراض بنى البَتْرُونىّ الذين أبكى الدهرَ نَعِيُّهم، وذهب برَوْنق الرياسة أحْوَذِيُّهم وألْمَعِيُّهم.

وقد طلعوا فى سماء الغُفران شهبا، وأمست أطلالُهم بيد النوى نَهْبا.

وهكذا الدنيا لها لتصْدير أبنائها جنُوح، وموتُ بعض الناسِ على بعض فُتوح.

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء، برقم ١١٣.
(٢) البيتان فى: إعلام النبلاء ٦/ ٢٩٠، خلاصة الأثر ١/ ٣٢٠.
(٣) فى ب: «ببعدكم مهجوما»، والمثبت فى: ا، ج، والإعلام، والخلاصة.
(٤) الجواب فى: إعلام النبلاء ٦/ ٢٩٠، خلاصة الأثر ١/ ٣٢٠، ٣٢١.
(٥) فى ا، ج: «إذا غدا مختوما»، والمثبت فى: ب، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر، وفى إعلام النبلاء: «ولى أمل».
(٦) إعلام النبلاء ٦/ ٢٩٠، خلاصة الأثر ١/ ٣٢١.

فأصبح مكان الدُّرّ صَدَفًا ، وصيّر نفسه لِسهام الاعْتراض هدَفا .

وكان له كاتب يُعرَف بابن نَدى هو يدُه ولسانُه ، وعليه تدور إساءته وإحْسانه .

فقدَّم المفتى يوما للصلاة على جنازة ، فكبَّر عليها خمساً ظانًّا جوازَه .

وكان ذلك فى جَمْع حافل ، جمع بين عالٍ وسافل .

فقال فيه السيد أحمد :

ومُذْ مصطفى صلَّى صلاةَ جنازةٍ ... وكبَّر خمسا سدَّس الناس لَعْنَهْ

فقلتُ اعْذرُوه إنَّه قلد النَّدَى ... ومن قبلُ فى الفُتيا لقد قلَّد ابْنَهْ

* * *

يشير بقوله « قلّد الندى » إلى قول أبى تمام ، فى قصيدته التى رَثَى بها إدْريس ابن بدر[1] :

ولم أنْس سَعْىَ الجودِ خلفَ سَريرِه ... بأكْسفِ بالٍ يستقِيمُ ويظْلَعُ

وتكبيرَه خَمْساً عليه مُعالنًا ... وإن كان تكبيرُ المصلِّين أرْبَعُ

وما كنتُ أدرِى يعلمُ اللهُ قبلها ... بأنّ النَّدَى فى أهلِه يتشيَّعُ

* * *

ومما يُناسب مع هذا ، قول بعضهم فى مُوَسْوس :

وباردِ النِّيَّـــةِ مَغْموسِها ... يُكرِّر الرَّعْـــدةَ والهِزَّهْ[2]

مُكبِّرًا سبعين فى مَرَّةٍ ... كأنَّمـــا صلَّى على حَمْزَهْ

يشير إلى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، صلَّى على عمّه حمزةَ سبعين مرة ، فكلَّما قدِم عليه ميِّت صلَّى عليه ، وبه استدلَّ على الصلاة على شهيد المعركة .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٧٣ ، والمرثى إدريس بن بدر السامى ، من ولد سامة بن لؤى .

(٢) فى ا : « الرعدة والهمزة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١١٦

ولده السيد با كير *

فرع من تلك الدَّوحة الباسقة ، وغَصْنٌ من عِقـد مَحْتِدها الذى تنظَّمت فرائدُه المتناسقة .

أنبت به ندى بيته الثناء فى حدائق الأذهان ، وأملت معاليه المعانىَ بأفصح لسان على الآذان .

رضع من دَرِّ العلوم كهلا ووليدا ، وحوَى من أنواع المفاخر طارفًا وتليدا .

يجْلى ناظرُه روضَ الخطِّ ناضرًا ، ويجتلب رأيُه المغْربات فيجعل غائبَها حاضرًا .

وله منطق يعلِّم الأبْكم براعةَ التلفظ ، وحديث كقِطَع الروض قد سقطتْ فيـه مَؤُونَة التحفُّظ .

فهو فى كلامه النفيس العالى ، كأنما عَناه بقوله الميكالى (١) :

إن كَلامَ ابنِ أحمد الحسنِيِ ... آسَى كِلامَ الهمومِ والحزَنِ (٢)

سحرٌ ولكن حكى الصَّبا سَحَرًا ... فى لُطْفِه غِبَّ عارِض هَتِنِ

(*) السيد باكير بن أحمد بن محمد الخانى ، المعروف بابن النقيب .

ولد سنة ثلاث وثلاثين وألف .

وقرأ على والده ، وعلى غيره .

وتعاطى صناعة النظم ، وشعره حسن الرونق ، بديع الأسلوب .

توفى سنة أربع وتسعين وألف ، بحلب .

إعلام النبلاء ٦/٣٧٦ – ٣٨٠ ، خلاصة الأثر ١/٤٣٣ – ٤٣٦ .

(١) يعنى الأمير أبا الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى ، المتوفى سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

والبيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٣٣ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ ، نقلا عن الخلاصة .

(٢) كلام الثانية : جمع الكلم ، بفتح الكاف ، وهو الجرح .

وقد جرى فى مجلس النجم الحَلْفاوِىّ [1] ذكرُ نجابته التى دلت عليه ، دلالة النسيم على الحبيب إذا هبّ بعَرْف صُدْغَيْه .

فأثنى عليه ثناء الزهر ، على جدول النهر .

ووصف محتِده وصفَ حسّان ، لآل غسّان .

فرأى ليلةً فى منامه أنه نظم بيتين فى نعته ، ثم انتبه من نومه فكتبهما من وقته .

وهما :

باكيرُ فاق على الأقران مرتقِياً ... أَوْجَ المعالى فلا خِـدْنٌ يدانيهِ [2]

والفرعُ إن أثمرتْ أيدى الكرامِ به ... فالأصلُ من كوثرِ الأفضال يَسْقِيهِ

* * *

وقد أثبتُّ له ماهو أصفى من ماء المفاصِل ، وألطفُ موقعاً [3] من ضمّة الحبيب المُواصل .

فمنه قوله [4] :

بك صَرحُ العَلاء سامٍ عِمادُهْ ... وكذاك الكمالُ وارٍ زنادُهْ

---

(١) نجم الدين محمد بن محمد الحلفاوى ، الأنصارى ، الحلبى الحنفى .

خطيب جامع حلب ، وصدرها .

أخذ عن عمر العرضى ، وغيره .

وتصدر للإقراء ، فانتفع به خلق كثير؛ منهم: محمد بن حسن الكواكبى ، وأحمد بن محمد المهمندارى.

توفى سنة أربع وخمسين وألف .

والحلفاوى : نسبة إلى النبات المعروف ، وقد ذكر المحبى سبب هذه النسبة فى الخلاصة .

خلاصة الأثر ٤/١٨١ ــ ١٨٤ .

والقصة ، والبيتان بعدها ، فى خلاصة الأثر ١/٤٣٣ ، ٤٣٢ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ نقلا عنه .

(٢) فى خلاصة الأثر : « فلا قرن يدانيه » .

(٣) فى ب : « مواقعا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٣٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه .

إن كلَّ الأنامِ من ناظرِ الد ... هرِ بياضٌ وأنت منـــه سوادُهْ

قد غرقنا من فيْض فضلك فى أمْ ... واج بحرٍ تتابعتْ أزبادُهْ (١)

وإذا الفكرُ لم يُحِطْ تمعا ... ليكَ جميعا وخاب فيك اجْتهادُهْ

فاعْتـــذارى ببيْت نَدْبٍ هُمامٍ ... ما كبَا فى مَيْدان فضلٍ جوادُهْ

إنّ فى الموجِ للغريق لعُذراً ... واضحاً أن يفوتَه تعْـــدادُهْ

* * *

وقوله ، من قصيدة أولها (٢) :

تهلّل وجه الفَضـــل والعدلِ بالبِشْرِ ... وأصبح شخصُ المجد مبتسمَ الثغرِ (٣)

فيالَكَ من مولًى به الشعرُ يزْدهِى ... إذا ما ازْدهتْ أهلُ المدائح بالشعرِ

فريدُ المعالى لا يرى لك ثانياً ... من الناس إلا من غدا أحْولَ الفكرِ (٤)

* * *

معنى الأول مطْروق ، وأصله قول أبى تمام (٥) :

ولم أمـــدحْك تفْخيما بِشعرِى ... ولـكنى مدحتُ بك المديحا (٦)

وأبو تمام أخذه من قول حسان ، فى مدح النبىّ صلّى الله عليه وسلم (٧) :

ما إن مدحتُ محمداً بمقالتى ... لـكن مدحتُ مقالتى بمحمدِ

* * *

---

(١) فى ا : « قد عرقنا من فضـــل فضلك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصـــة الأثر ، وفى ج : « أمواج أبحر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه .

(٣) بعد هذا البيت فى خلاصة الأثر زيادة : « منها » . (٤) فى ب : « لا يرى لك شانيا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) ديوانه ٧١ ، وخلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه . (٦) فى ديوان أبى تمام : « فلم أمدحك تفخيما لشعرى » .

(٧) ليس فى ديوانه ، ولا فى سيرة ابن هشام ، وهو فى خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٩ نقلا عنه .

والبيت الثانى من قول بعضهم (١) :

إنَّ من يُشرِكُ باللّـ ـهِ جهولٌ بالمعـــــانى
أحْوَلُ الفكرِ لهــذا ظنَّ للواحـــد ثانى (٢)

***

وله من قصيدة (٣) :

لاح الصَّبـــا كزُرقة الألماسِ فاصْطبِحْ ياقوتَ دُرِّ الكاسِ (٤)
من كفِّ أهيفَ صانَ وردَ خدودِهِ بسياج خطٍّ قـــد بدا كالآسِ
فكأنّ مرآهُ البـــديعَ صحيفةٌ للحُسن جَدْولُهـــا من الأنفاسِ
فى روضةٍ قد صاح فيهـا الديكُ إذْ عطَس الصباحُ مُشمِّتا لعُطاسِ (٥)
ضحكتْ بهـا الأنوارُ لمـا أن بكى جَفنُ الغمام الناتمِ العبّاسِ (٦)
ورقَى بهـا الشُّحْرورُ أغصانًا غدتْ بتموُّج الأرياح فى وسْواسِ
والوردُ تحمدُه البلابلُ هتَّفـــا من فوق غصنٍ قَوامِه الميّاسِ (٧)
ويرى البنفسجُ عُجْبَه فيعود من حسَدٍ لسطْوته ذليلَ الرّاسِ (٨)
والطَّلُّ حـــلَّ بها كدمعِ مُتيَّمٍ لمعاهدِ الأحبــابِ ليس بناسِ
فتظنُّ ذا ثغراً وذا عيناً وذا خـــدّا لغانيةٍ كظَبْيِ كِناسِ
وأحمرَّ خـــــدُّ شقائقٍ مُخضلّةٍ حُميتْ بطَرف النرجسِ النعّاسِ

---

(١) خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٩ نقلا عنه . (٢) فى ا : « ظن لله ثانى » ، وقد اضطر الشاعر لترك النصب فى « ثانيا » للقافية . (٣) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٤٣٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ ، ٣٧٨ نقلا عنه . (٤) فى ب : « فاصطبح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ا ، ج : « مشمتا العطاس » ، وفى خلاصة الأثر : « مشمت العطاس » ، والمثبت فى : ب . (٦) فى خلاصة الأثر : «ضحكت بها الأزهار لما أن بكت» ، وفى ب : « لما أن بدا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى خلاصة الأثر : « عين الغمام » ، وفى ب : « العباسى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) فى ب : « والورد تحمله البلابل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) فى ا : « ويرى البنفسج عوده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

حسداً لخدّ الطّرس حين غــــدا له   خَطُّ القريض بمدْح فضلك كاس[1]

* * *

وله من أخرى فى المدح :

مولاى قُم نلتقطْ من لُؤلُؤِ الحِكَمِ   دقائقاً حُجِبت عن فِطْنة الفَهِمِ

فى وصف روضٍ أنيقٍ راق منظرُه   من الزَّبَرْجَد والياقوت مُنتظِمِ

أما ترى نفحــةَ النِّسْرين عابقةً   والزَّعْفرانَ سقته السحبُ بالدِّيَمِ

والمِهْرجانَ أتى فى جَحْفلٍ لَجِبٍ   من الرياض فأهــدى طيِّبَ النَّسَمِ

تقابلتْ فيــه أحْــــداقُ لنَرْجِسه   تحكى فماً مال للتقبيل نحو فَمِ

والنبرَ عاوَد بعد الصدِّ مُنعطفاً   يَبُلُّ شوقَ نباتِ الغَوْرِ والأَكَمِ[2]

والوُرْقَ غنّتْ على الأشجار من طربٍ   مجيبةً عَنْدَليبَ الدَّوْح فى الظُّلَمِ

فألْهِجْ بتَذْكار غِزْلانٍ لواحظُهم   تركْنَ أهلَ الهوى فى قبضة السَّقَمِ

وأهْيفٍ من ظِباء الحُور مُقلتُــــه   من قوْس حاجبه أوْدَتْ بكلِّ كَمِى

إن يهجُر الشاربُ الريّانُ مَبْسَمَه   فالعذبُ يُهجَر للإفْراط فى الشَّبَمِ[3]

فى صُدْغِــه طبعتْ أهْدابُ ناظرِنا   فظنّه الصبُّ خطّاً غــــيرَ ملتئمِ

أدار شمسَ المُحيّا بدرُ راحتِه   ممزوجةً برُضاب المَبْسَمِ الشَّبِمِ

من خمرةٍ عُصِرتْ بالبِشْر من قِدَمٍ   جاءتْ تخبِّرنا عن سالِف الأُمَمِ

---

(١) فى ا : « حين بداله » ، وفى الخلاصة : « لما أن غدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
و « كاس » كذا للقافية .

(٢) فى ب : « بعد الصد منقطعا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « للافراط فى السّأم » ،
والمثبت فى : ا ، ج ، وشبم الماء شبما : برد .
وهو هنا ينظر إلى قول أبى العلاء المعرى :

* والعذبُ يُهجَر للإفراطِ فى الخَصَرِ *

شروح سقط الزند ١/١٢٠ .

فى روضـــةٍ ضحكتْ فيها أزاهرُها مُذْ جادَها وابلٌ يهمِى بمُنْسجمِ[1]

وقام بلْبلُهـــــا يتلو محاسنَ مَن شهباؤُنا منه فى أَمْنٍ من النقَمِ

صــدرُ الموالى فريدُ العصرِ جِهْبذُه ومَن به الناسُ مغمورون بالنِّعَمِ

كهفُ الأنام مَلاذُ الخلقِ أحمدُ مَن فاق الفحولَ بفضلٍ غيرِ منكتِمِ

مَن شرَّف البـــلدةَ الشهباءَ مَقْدَمُه ففاخرتْ جُلَّ مُدْنِ العُرْبِ والعجمِ

أقام فيها عمــــادَ الشرعِ مجتهداً حتى روَتْ حسنَها الناسُ عن إرَمِ

* * *

وله من أخرى :

هو فى الفؤاد وشخصُه نادٍ عن الْـ ألحاظِ فهْو مسافرٌ ومُقـــيمُ

سحَرَ العقولَ بلَحْظِه فـــكأنما فى الجفْنِ دُرُّ كلامِك المنظومُ

يا أيها المولى الذى أحْيَى ربو عَ الفضلِ والأفْضالِ وهْى رَميمُ

أعطيتَ دهرَك من خِلالِك خلَّةً فغدا كريمَ الفعلِ وهْو لئـــيمُ

* * *

وله ، وتعزّى لوالده[2] :

صدرَ الوجودِ وعينَ هـــذا العالَمِ ومَـــلاذَ كلِّ أخِى كمالٍ عالِمِ[3]

إن لم تـكن لذَوِى الفضائل منقِذاً من جَوْرِ دهرٍ فى التحكُّمِ حاكِمِ[4]

فبمن نلوذُ من الزمانِ ونابَ من تنْتابُ غيرَك فى المُهِمِّ اللازمِ[5]

فبِحقِّ مَن أعطاك أرفَـــعَ رتبةٍ أضحى لهـــا هذا الزمانُ كخادمِ

---

(١) فى ب خطأ : « ضحكت أزهارها طربا » ، وفى ا : « ضحكت فيها أزاهره » ، والمثبت فى : ج .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١ /٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦ /٣٧٩ نقلا عنه .

(٣) بعد هذا البيت فى إعلام النبلاء زيادة : « أيضا » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « فى التحكم ظالم » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « تنتاب فى الأمر المهم اللازم » .

١١٩

السيد عبد الله بن محمد حجازى*

السيد الصِّنْديد ، الفقيد الشَّبيه والنَّديد .

الشريف في نفسه فضلا عن أرومتِه ، الحسيب فى ذاته عِلاوة على جرثومته .

شرفٌ ليس بمدَّعى ولا منتحَل ، وحسَب له رونق المشترِى ومرتقَى زُحَل .

إذا انتسب باهتْ به الأنساب ، وإذا كتب أرى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب .

إلى مكرُمات يدرِك أقاصيها ، ومعلوات يعقِد بالفلك نواصيها .

ألبس من الفضل أحسنَ لباس ، وخلِق من طينةٍ غيرِ طينة الناس .

وهو محاسنُ وفنون ، تتغاير عليها آذان وعيون .

بحر إذا نطَق وطَود إذا سكت ، وكلِمه[(١)] من فرقِه إلى قدمه تُحَف ونُكت .

(*) السيد عبدالله بن محمد حجازى بن عبد القادر بن محمد الحلبى ، الحنفى ، المعروف بابن قضيب البان .
وذكر نسبه فى ترجمة جده المتقدمة .
دأب فى طليعة عمره وحصل على جماعة من العلماء ؛ منهم : محمد بن حسن الكواكبى ، والسيد محمد النقوى ، ومصطفى الزيبارى .
وتفوق ، وتصدر للتدريس فى المدرسة الحلاوية ، وولى نقابة الأشراف ، وأعطى رتبة قضاء ديار بكر ، وعظمت صلته بالوزير الفاضل، ثم تقلبت به الأحوال ، وتنقل بين أدرنة واستانبول والقاهرة ومكة للحج .
وكان أديبا بليغا ، وله تآليف ، منها « نظمه للأشباه الفقهية » وكتاب « حل العقال » ، وله « ذيل على الريحانة » لم يكمله .
توفى سنة ست وتسعين وألف ، اجتمع عليه أهل بلده وقتلوه ، فى قصة طويلة ذكرها المحبى فى الخلاصة والنفحة .
إعلام النبلاء ٦/ ٣٨٧ ـ ٤٠٢ ، خلاصة الأثر ٣/ ٧٠ ـ ٨٠ .

(١) فى ا : « وكلامه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

بفكر يفتح المُقفَل ، وذهن يستدرك المُغفَل .

وآداب رَطْبة لدى الهَصر [1] ، ومعارف تأبى على العَدّ و الحصر .

ولقد لقيتُه بالروم سنة سبع وثمانين ، وأنا فى أيام تلك الغربة راعى سنين .

ولى فؤاد إلى المخالطة شَيِّق ، وصدر يسَع همَّ الدنيا وهو ضيِّق .

فنزلت منه بحيث مُلتقى الصدر الرَّحْب والمُحيَّا الوسيم ، وحلَّيت بقلبه حلول المسرة

وهبَبْت فى روض أخلاقه هبوب النسيم .

وكان لى من مجلسه نَضرة الرَّيْحان ، ونفحة الروض وطربُ الألحان .

أشيم خُضرة ترِفُّ فى زهرة حسن ، وأجتلى روضة فى ناظر ونجوى فى أذن .

وهو أناله الله من كرمه أفضلَ إنالة ، لا يقترح على الأيام مطلبْ إلا قال : أنا له .

إلا أن له حبائلَ تَعتلقه ، ومطامع لم تزل تمتلقه .

فعوادى الأيام عليه مُلحّة مُسكِبة ، وبواعث صفوها مُريحة [2] مُغبَّة .

وهو من بُعد الهمة ، ووساوس الشدة المُدلهمَّة .

فى قسوة سَدَّت عليه طريقا ومنهجا ، وآيسته من [3] أن يأتى مفرَجا ومخرَجا .

فأبى له التخيُّل ، إلا التصنُّع والتحيُّل .

فدبَّر أمراً تحرّاه ، ونُسِب فيه إلى أنه افتراه .

وكان سهوُه فيه أكثرَ من تيقُّظه ، ووقْفه أقربَ إليه من تحفُّظه .

فخرج متحسِّبا إلى مصر ، وهو زميل همٍّ مبرِّح وإصر .

---

(١) فى ا : «العصر» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : «صريحة» ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

١١٧

السيد عبد القادر بن قضيب البان *

بحر معارف خِضَمّ ، وطَود فضائل أشَمّ .

تأزَّر بالإحسان وارْتدى ، وراح فى تكْميل النفس واغْتدى .

هذا وعهده بالشباب قريب ، وحديثه ليس بمُنكَر ولا غريب .

ثم أطال التجوُّل ، وأكثر فى البلاد التحوُّل .

فدخل الحجاز واليمن ، وأقام بها مدة بمنزلة فصل الربيع من الزمن .

ثم رجع إلى دياره ، وألقى بها عصا تَسْياره .

فقعد مقعَد السُّها ، وعقَل لديه النُّهَى .

وتماسَك عن الدنيا عَفافا ، والتفَّ بالمعارف الإلٰهيَّة التفافا .

مع شهرة كشهرة ضوء الصَّباح والمِصْباح ، وطلعة يُستفاد من لألائها نورُ الفلاح والرَّباح .

(*) السيد أبو محمد عبد القادر بن محمد ، المعروف بابن قضيب البان .
يتصل نسبه من جهة أبيه بالحسن بن على رضى الله عنهما ، ومن جهة أمه بالشيخ عبدالقادر الكيلانى .
ولد بحماة ، سنة إحدى وسبعين وتسعمائة .
وهاجر به أبوه إلى حلب ، وتوطن بها إلى سنة ألف ، وفى هذه السنة حج إلى بيت الله الحرام ، وجاور بمكة إلى حدود سنة اثنتى عشرة وألف ، ثم توجه إلى القاهرة ، فلقى شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وتلقى هناك الطرق الصوفية ، وأقر على طريقة النقشبندية .
وعرض عليه القضاء ، والنقابة ، فرفض القضاء ، وقبل النقابة .
وكانت له كرامات شهيرة وأحوال باهرة .
وله مؤلفات فى التصوف ، منها : « الفتوحات المدنية » ، و « نهج السعادة » ، و « ديوان شعر » كله على لسان القوم .
توفى بحلب ، فى حدود سنة أربعين وألف .
إعلام النبلاء ٦ / ٢٣٠ — ٢٣٤ ، خلاصة الأثر ٢ / ٤٦٤ — ٤٦٧ .

وهناكَ ما شئت من وَقارٍ يطِيش له ثَبِير ، ومقدارٍ يصغُر لديْه كلُّ كبير .
إلى يدٍ تُفرِّج إذا ضاق الإعْدام ، وقَدمٍ تثبُت إذا زلَّت الأقْدام .

***

وله أشعار فى الحقيقة تحرِّكُ السَّواكن[1] ، وتبعث الأشواقَ الكوامِن .
أوردتُ منهـا ما إذا وُصِف رأيتَ الحسنَ مجتمعا ، وإذا تُلِيَ أبصرتَ كلَّ شىء مستمِعا .

فمنها قوله[2] :

أرى للقلب نحوكُمُ انْجذابَا ... لأسمعَ من خطابكُمُ خطابَا[3]
فكم ليلٍ بقُرْبكُمُ تقضَّى ... إلى سَحَرٍ سجوداً واقْترابَا
وكم من نشوةٍ وردتْ نهاراً ... فلا خطأً وَعيْتُ ولا صوابَا
وكم سحَّتْ علينا من نَداكُمْ ... غيوثٌ لا تفارقُنا انْسكابَا[4]
وكم نفَحاتِ أُنْسٍ أسكرتْنا ... بها حضر الصَّفا والقبضُ غابَا
توافقتِ القلوبُ على التَّداني ... فلم نشهدْ به منكم حجابَا[5]
لقد حاز الولىُّ بكل حالٍ ... من الرحمن فيضاً مُستطابَا
تراه بين أهل الأرضِ أضحى ... لِداعى الحبِّ أسرعَهم جوابَا
وغيرَ الله ليس له مُرادٌ ... وغيرَ حِماه لا يرجُو انْتسابَا

***

---

(١) فى ب : « الساكن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٢ نقلا عن الخلاصة . (٣) فى خلاصة الأثر : « من جنابكم » .
(٤) فى ا : « عيون لا تفارقنا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب : « فكم نشهد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقوله [١] :

سقانى الحبُّ من خمر العَيـانِ   فتُهت بسَكْرتى بين الدَّنانِ
وقلتُ ارْفقى رِفقاً بقلبى   وخاطبتُ الحبيبَ بلا لسانِ
شربتُ لحُبِّه خمراً سقاها   اصَحْبى فانْتشى منها جَنانى [٢]
شطَحْتُ بشُرْبِها بين النَّدامىَ   ورُشْدى ضاع مما قد دَهانى
فأكْرَمَنى وتوَّجنى بتاجٍ   يقوم بسِرِّه قطبُ الزمانِ
وأمَّرنى على الأقْطاب حتى   سرَى أمرى بهم فى كلِّ شانِ
وأطْلعَنى على سِرٍّ خَفِىٍّ   وقال السِّترُ من سرِّ المعانِى [٣]
فهام أولو النُّهى من بعض سُكْرى   وغابُوا فى الشُّهود عن المكانِ [٤]
مُريدى لا تخَفْ واشطَحْ بسِرِّى   فقد أذِن الحبيبُ بما حَبانِى

* * *

وقوله [٥] :

نظـرتُ إليك بعينِ الطلبْ   ومنكَ إذاً طلبى والسببْ
رأيتُـك فى كل شىء بدا   وليس سِواكَ لعينى حَجَبْ
فأنت هو الظاهـرُ المُرتجَى   وأنت هو الباطنُ المُرتقَبْ
وأنت الوجـودُ لأهل الشهودِ   وأنت الذى كلَّ شىء وَهَبْ
وعينى بعيْنَيْك قد أبصرتْ   بعيْنك فى كل تلك النِّسَبْ

* * *

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .
(٢) فى ب : «فانثنى منها جنانى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٣) فى ب : « وقال السر من سر المعانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى ب : « من المكان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .
(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .

ومن مقاطيعه قوله [١] :

وَلَقد شَكوتُكَ في الضمير إلى الهوى ... وعَتَبْتُ من حَنَقٍ عليك تَحَنُّفا [٢]

مَنَّيْتُ نفسي في هواكَ فلم أجِـدْ ... إلا المنيَّةَ عنـدما هجَم المُنَى

* * *

وقوله [٣] :

إذا امتدَّ كفٌّ للزمانِ بحاجةٍ ... فقوَّتُها من عادةِ الهِمَّةِ السُّفْلَى [٤]

ومن يَكُ يستغْنِي عن الخلقِ جُملةً ... فيُغْنِيهِ ربُّ الخلقِ من فضلِهِ الأعْلَى [٥]

* * *

وقوله [٦] :

إذا أسـأتَ فأحسِنْ ... واستغفِرِ اللهَ تنجُو

وتُبْ على الفَوْرِ وارجِعْ ... ورحمـةَ اللهِ فارجُو

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه (٢) في خلاصة الأثر : « عليك تجنبا » ، وفي إعلام النبلاء خطأ « عليك تجنيا » . (٣) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٤٦٧ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه . (٤) في خلاصة الأثر : «للأنام بحاجة» . (٥) في ب خطأ : «ومن يك مستغن» ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) البيتان في خلاصة الأثر ٢/٤٦٧ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .

١١٨

ولده السيد محمد حجازى *

هو فى قلادة نسبهم واسطة ، وصاحب أيادٍ بجميل النِّعَم باسطة .

شهرته النَّزْعة الحجازيَّة ، ولبس من حسن الحِجَى زِيَّه .

وله أملٌ يقوم به [١] مع الأيام ويقعُد ، ويدنُو به طوراً وآونةً يبعُد .

حتى رسخ رسوخ ثَهْلان ، وكلِف بالمعالى كما كلف بِمَيَّة غَيْلان [٢] .

فجمع الله به شَمْل المكارم فى قُطْره ، وأحْيَى به الأرض الموات إذا ضَنَّ سحابُها بقَطْره .

إلا أن فيه عجلَةً تلزمه الحُجَّة ، وشَراسةً تُضيِّقُ عليه المَحجَّة .

فإذا تكدَّر لا يُرجَى له صَفْو ، وإن سخِط لا يُنتظَر [٣] له عفو .

* * *

وأما القراءة فله منها ما تحصَّل ، ولكن له شعر تدرَّج به إلى الوصف بالأدب وتوصَّل .

وقد أثبتُّ له ما يَرُوقك رُواؤه ، ويُغنيك عن ماء الغُدران إرْواؤه .

(*) السيد محمد حجازى بن عبد القادر بن محمد الحلبي ، الحنفى ، المعروف بابن قضيب البان .

وذكر بقية نسبه فى ترجمة والده السابقة .

ولد بمكة ، سنة إحدى بعد الألف .

وكان عالما ، فاضلا ، جسورا ، فصيح اللسان فى اللغات العربية والفارسية والتركية .

ولى بعد أبيه نقابة الأشراف بحلب ، ووجه إليه قضاء أريحا ، وأعطى رتبة القدس .

توفى بحلب ، سنة تسع وستين وألف .

إعلام النبلاء ٦ / ٣٠٥ ـ ٣٠٧ ، خلاصة الأثر ٤ / ١٤ ، ١٥ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) يعنى ذا الرمة ، وقد تقدم ذكر قصته مع مية .

(٣) فى ب : « ينظر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها البهاء [1] ، لما كان قاضيا بحلب ، أولها [2] :

ألا مُنجِدٌ فى أرض نجْد من الوجدِ ... فمـا عند أهليها سوى لوعة تُجْدِى

وقفتُ بها مستأنساً بظبائها ... كما يأنَسُ الصبُّ المتيَّمُ بالوجدِ [3]

أسائلُ عمَّن حلَّ بالجزْع والحمى ... وأنشُد عمَّن جاز بالأجْرَعِ الفَرْدِ

خليليَّ إن الصدرَ ضاق عن الجوَى ... فلا تعجَبا من طَفْرة النارِ بالزَّنْدِ [4]

ففى الجسم من سُعْدَى جروحٌ من الأسَى ... وفى القلبِ من أجْفانها كلُّ مايُعْدِى

بثغرٍ يزيدُ الوَقْدَ من خمرةِ اللَّمَى ... وصُدْغٍ يثير الوجدَ من جَمْرة الخدِّ

تقرِّب لى باللَّحْظ ماعزَّ دَرْكه ... وتَنْفِر عمداً كى تُصاد على عَمْـدِ

تلاعَبَ فى عقل الفُحول بطَرْفِهـا ... مُلاعبـةَ الأطْفالِ من غِرَّة المَهْدِ

رمتْ مهجتى أهـدابُها عن تعمُّدٍ ... نِبالاً فزادتْ من توقُّدِها وَقْدِى [5]

دنوْتُ إليها وهْى لم تدرِ ما الهوى ... وما علمتْ ما حـلَّ بى من هوى نجْدِ

فقلتُ أما لى من رُضابك رشفةٌ ... مُعلِّلةٌ أرْوِى بها غُلّةَ الوجدِ

وهل لِلتَّـدانى عِـلّة أستمدُّها ... وأبذل فى إنجاز وَعْدِها جُهْدِى [6]

فقالتْ أما يكْفيك وعدى تعِلَّةً ... لقَدْرِك فاقْنَعْ ياأخا الوُدِّ بالوعدِ

ولا ترْجُ مهما تقصد النفسُ نَيْلَه ... فإن الرَّزايا فى مُتابعةِ القصْدِ

ولا تستمِـحْ من كلِّ خِدْنٍ وصاحبٍ ... إخاءً فقـد يُفضى الإخاءُ إلى الزهـدِ

فما كلُّ إنسانٍ تَراه مُهـذَّبا ... ولا كلُّ خِلٍّ صادق الوعد والعهدِ

---

(١) فى ب ، ج : « البهائى » ، والمثبت فى : ا ، وهو يعنى بهاء الدين العاملى ، الذى تقدمت ترجمته برقم ٩٤ ، فى صفحة ٢٩١ ، من هذا الجزء . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٤ ، ١٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٠٦ ، ٣٠٧ نقلا عن الخلاصة .

(٣) فى ا : « وقفت بها مستنجدا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من طفرة النار فى الزند » .

(٥) فى ب : « رمت مهجتى أجفانها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٦) فى خلاصة الأثر : « ساعة أستمدها » .

ولا كلُّ نجمٍ يُهتدَى بضيائِهِ ولا كلُّ ماءٍ طيِّبِ الطعمِ والوِرْدِ

ولا المسكُ فى كل المَهاةِ محلُّه ولا ريحُ ماءِ الوردِ من عاصرِ الوردِ

ولا فضلُ مولانا البهاءِ محمدٍ كفضلِ المَوالى السابقين على حَدِّ [١]

* * *

قلت : هذه العَلاقة النجدِيّة ، اقتضت أن تُسمَّى القصيدة بالوَجْدية [٢] .

* * *

وله ، من قصيدة أخرى ، فى مدح البهاء [٣] أيضا ، مطلعها [٤] :

قطبُ السماء هو الطريقُ الأقْصدُ دارتْ عليه نجومُه والفَرْقَدُ [٥]

والمُشْتَرِى والزُّهَرَةُ الزهراء فى أَوْجِ السُّعودِ هبوطُها والمَصعَدُ

والشمسُ ماشرُفتْ على أقرانها إلا بِنِسْبَته إليهـا العَسْجَدُ

والله لاتحصَى شئونُ كمالِه فالوَيْلُ ثُمَّ على الذى لايشهدُ [٦]

ولقد أتيتُ الدهرَ غيرَ مُغادِرٍ فى حالة منها أقومُ وأقعدُ [٧]

فسألته مَن فى الحِمَى فأجابنى مُفتِى الأنام أبو البهاءِ محمدِ

* * *

قلت : هاهنا فائدة من المستخرَجات بالإلهام ، وهى أن كثيرًا من الشعراء مَن يبنى رَوِيَّ قصيدته على اسم ممدوحه ، ولم يذكروا هـذا فى البديع ، فينبغى أن يسمى بـ « التمهيد » ، ويُذكَر .

* * *

---

(١) فى ب ، وخلاصة الأثر : « البهائى محمد » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « بالنجدية » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ب ، وخلاصة الأثر : « البهائى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٠٧ نقلا عنه .

(٥) فى ب : « قطب السما وهو » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى الأصول : « عن الذى لا يشهد » ، والمثبت فى الخلاصة .   (٧) فى ا : « ولقد علمت » ، وفى خلاصة الأثر : « ولقد أبيت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن مستحسناته ، قوله في الخمرة ونشأتها[1] :

لاترْضَ بالإضرارِ للنـــاسِ ... إن رُمْتَ أن تنجو من الباسِ

وانظر إلى الخمرِ وما أوقعتْ ... في شاربيها بعـــد إيناسِ

لما رضَوا في دَوْسِها عُوقبوا ... بضَرْبةٍ منهـــا على الرّاسِ

* * *

هـــذا معنى تصرّف فيه وبناه على العِقاب ، وقد استعمله القدماء وأحالوه على جَوْر الشراب .

ولكل مَشرَب ، إما عَذب أو مُستعذَب .

ومن الثاني قول ابن الأثير[2] من فصل في وصف الخمر : « وقد عُرِف منها سُنّة الجوْر في أحكامها ، ولولا ذلك لما استثأرتْ من الرُّءوس بجناية أقدامها » .

وهو أخذه من قول القائل :

ذكرتْ حقائدَها الكريمةُ إذ غدتْ ... وهْنـــا تُداسُ بأرجلِ العصّارِ

لانتْ لهم حتى انتشَوْا فتحكّمتْ ... فيهمْ فنـــادتْ فيهمُ بالثّارِ[3]

وعلى ذكر الثّار فاعجب لثار الإشبيليّ الذي يُنطق الأوتار ، وهو قوله :

والخمر تعلمُ كيف تأخذُ ثأرَها ... إني أماتُ إناءهـــا فأماتني

ويعجبني في هذا السياق ، قول بعض الأندلسيين الحُذّاق :

لاتعجبَنّ لطالبٍ نال العُـــلَى ... كهـــلا وأخفَق في الزمانِ الأوّلِ

كالخمرِ تحكُم في العقول مُسِنّةً ... وتداس أوّلَ عَصْرِها بالأرجُـلِ

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/١٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٠٧ نقلا عن الخلاصة . (٢) أبو الفتح نصرالله بن محمد بن محمد الجزرى ، الوزير الكاتب ، صاحب المثل السائر ، المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة . شذرات الذهب ٥/١٨٧ ، ووفيات الأعيان ٥/٢٥ .

(٣) في ب هنا وفيما يأتي : « بالنار » ، والمثبت في ب ، ج .

وفي القاموس (ث ور) : « ويالثارات فلان : مقلوب من الوتر للدم » .

وحَباكَ من سُلطانِنا بمواهبٍ   تركتْ حسودَك فى الحضيضِ القائمِ

فإذا تتوّج كنت دُرَّةَ تاجِــه   وإذا تختَّم كنت فصَّ الخـاتمِ

إلّا نظرتَ بعين عطفِك نحوهم   وتركتَ فيهم كلَّ لَوْمةِ لائمِ [1]

ورَعيْتَ فى داعِيــك نِسْبته إلى   خيرِ البريّةِ من سُلالةِ هاشمِ

فالوقتُ عبدُك طَوْعُ أمرك فاحْتكِمْ   فيما تشاء فأنت أعــدلُ حاكمِ

***

« فإذا تتوج [2] » ، هـذا تضمين ، فإن البيت للمتنبى ، من قصيدته التى أولها [3] :

* أنا منك بين فضائلٍ ومكارمِ *

***

ومما يحسن له [4] قوله فى التشبيه :

ثلاثُ شـاماتِه على نمطٍ   فى جانب الخدِّ وهْى مصفوفَهْ

كأنهـا أنجُم الذِّراع بدَتْ   فى جانب الشمسِ وهْى مكسوفَهْ [5]

***

وقد تناول هذا المعنى صاحبنا عبد الباقى بن السّمان [6] ، فى قوله :

وكأن خالَيْه اللّذَيْن بخـدِّه   والشمسُ فى وجَناتِه لم تغرُبِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بعين عطفك نحونا » .   (٢) يعنى بقوله هذا البيت كله .

(٣) ديوان أبى الطيب ٢٧٨ ، وخلاصة الأثر ١/٤٣٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٩ نقلا عنـه ، وعجز البيت :

* ومن ارْتياحَك فى غمامٍ دائمِ *

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٥) الذراع : منزل للقمر ، وهو ذراع الأسد المبسوطة . القاموس (ذ ر ع) .   (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٢٣٥ ، برقم ١٤ .

نَجْمانِ قد كسَفَتهما شمسُ الضحى أو نُقطتا حِبْرٍ بطِرْسٍ مُذْهَبِ

* * *

وأصل هذا المعنى لابن خَفاجة الأندلسىّ ، فى قوله[1]

غازلتُه من حبيبٍ وجهُه فلَقٌ فما عدا أن بدا فى وجهِه شَفَقٌ[2]

فارْتجَّ يعــثُر فى أذيالِ خَجْلتِه غصنٌ بعِطْفيه من إستبرقٍ ورقُ

تخــالُ خِيلانَه فى نُورِ وَجْنتهِ كواكبًا فى شُعاعِ الشمس تحترقُ



---

(١) ديوانه ٨٨ .

(٢) فى الديوان : « فى خده شفق » .

ثم عدل الحقيقة عن المجاز ، وتوجّه إلى مَثابة الحجاز .

فحجّ البيت الحرام وعاد ، ودخل بلدَه وهو من توفُّر الحظّ على ميعاد .

فلم يلبثْ حتى مدّ عِنان النظر ، وتدرّج إلى حالٍ أفضتْ به للأمر المنتظَر .

وسبب ذلك أنه وقع بحلَب غلا ، نهض به سعرُ الأشياء وعلا .

وكان حاكمهم المُرْفِقَ سارع إليهم مددُه ، وتوفّرت لعنايتهم أنصارُه وعددُه .

فانجذبت إليه قلوب الخاصة والعامة ، وصاروا يحوطونه [1] من سِمة النقص بالكلمات التامة .

واتّفق أن الحجازىّ دعاه ليلة إليه ، فلما مضى عنده لم يستقر حتى خُفِقت المنيّة عليه .

فنسَبوه إلى أنه اقتدح فى هُلْكه زَنْدا وَرِيّة ، وسقاه الحِمام كاسًا رَوِيّة .

ولما خرجوا بجنازته ليودِعوه القبر ، رأوا الحجازىّ أمامهم فلم يملكهم عن فَنَد الصبر .

وشُغِلوا عن الرِّثاء بطلب الثأر ، ولم يجدوا مثلها فرصة تُخمِد [2] هذا العيب المُثار .

فرمَتْه عن قوسها سهامُ القضاء الصوائب ، وعضّت منه إبهام الإبْهام بنابها النوائب .

فبقِىَ جسدُه على الأرض مطروحا ، كأن لم يكن فى روض المعارف غصنا مَرُوحا [3] .

وبلغت أمانيها من ذهابه الأغْراض ، ولله تعالى المشيئةُ فليس لنا اعتراض .

---

(١) فى ا : « يحيطونه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا بعد هذا زيادة : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) غصن مروح : أصابته الريح .

فأنا إذا أفكرت في صرْعته ، وأخذتْني لوعةُ محنته وروْعته .

ملكتْني عَبْرة تترقرق ، أكاد بمائها أشْرق .

وأرغب إلى الباعث بعد الحِمام ، مادثر من هوامد الرِّمام (١) .

أن يهبَه رحمتَه وعفوه ، ويعوضه عن كدر دنياه النعيمَ وصَفْوه .

* * *

وقد أثبتُّ من أشعاره التي طلعتْ محاسنها سافرةَ المُحيّا ، وسرتْ سرور الحبيب أحْيَى وحَيّى .

ماحشَوتُ حينا من دُرِّه الثمين مَسْمَعى ، فإذا تلوتُه بكيت فضائلَه فيبكى السامعُ معى .

فمنه قوله ، من نبويَّة مستهلها :

أهلا بنَشْر من مَهبِّ زَرُودِ	أحْيَى فؤادَ العاشق المَنجودِ (٢)
وروى شذَى خبرِ العقيق ففجرتْ	منه عيونَ الدمع فوق خدودِ
ونمَى فنمَّ لنـــا بأسرار الهوى	من حيث منزلة الظِّباء الغِيـدِ
تلك المعاهدُ جاءها صَوْبُ الحيا	وسرى النسيمُ بظلها الممدودِ
فيهـــا بواعثُ مُنْيتى ومنيَّتى	وبوِرْدها ظمأى وطِيبُ وُرودِى
إن تنأَ عن عيني بدورُ سمائها	فأنا المُقيم على رَسِيس عهودِى (٣)
كيف الخلاصُ ولى فؤادٌ مُوثَقٌ	بالحب لا يُصغِى إلى التفنيدِ
وتأوُّه لولا دموعى لم يكدْ	ينجو الورى من جمْرها الموقُودِ

* * *

---

(١) فى ا : « الدمام » ، وفى ج : « الزمام » ، والمثبت فى : ب .

(٢) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢ / ٩٢٨ .

(٣) فى ا : « إن تناءت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

هذا من قول الآخر :

لولا دموعىَ لم يكدْ ينْجو الورى من نار قلبِى

وقول الآخر :

لولا الدموعُ وفيْضهنّ لأحرقتْ أرضَ الوداع حرارةُ الأكبادِ

وأشبه به قول رَباح :

نار يُغذّيهـا السحابُ بمائِه فلذاك لم تكُ ترتمِى بشَرارِ

ولابن عبد ربه، من أبيات ربيعية :

والأرضُ فى حُلَلٍ قد كاد يحرقُها توقُّد النَّوْر لولا ماؤها الجارِى

وقد قلبه الخُرْفُوشىّ (١) كما تقدم فى قوله (٢) :

ومدامعى لولا زفيرى لم يكدْ ينْجُو الورى من سَحّها المتوالِى

* * *

داء تعوّده فؤاد متيّم لم يلتحفْ غيرَ الأسى ببُرودِ

كلا ولا كحَلَ الرُّقاد جفونَه أبداً من ألِفَ الهوى بهُجودِ

ما أعذب التعذيبَ فى طُرُق الهوى إن لم تُشَب أسقامُه بصدودِ

نفسِى الفداء لذى قَوامٍ ناضرٍ جعل الحِدادَ وسيلةَ التهديدِ

رَخْص كجسمِ النُّور مهْضوم الحشا لَدْن كخُوطِ البانةِ الأُمْلودِ (٣)

لبستْ غدائرُه الدجى وتقلّدتْ لَبّاتُها من زُهْرها بعقودِ

عهدِى به والليلُ منْفصِم العُرَى متوسِّد وَفْقَ المُنى بزُنودِ

والقلبُ يَظْمأ من مَراشِف ثغره ظمأ السكارى بابْنة العنقودِ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ٦١ .

(٢) الجزء الأول ، صفحة ١٩٨ . (٣) الخوط : الغصن الناعم ، والأملود : الناعم أيضا .

بعثَ الشبابُ على ورودِ رُضابِهِ ... فأتى الفراقُ وحالَ دونَ وُرودِ [١]

فجعلتُ زادِي بعدَه جَرْعَ الأسَى ... وأطلتُ فيه تهائمي ونُجودِي [٢]

وغدوْتُ في شجَنٍ يُقلْقِلُ أضلُعي ... إنَّ الشجونَ علامةُ المَعْمودِ

ليتَ الذي منعَ التّداني بيننا ... وقضَى علىَّ بوَحْشةِ التبعيدِ

يلْوِي فيُسعفني بتقريبِ الخُطا ... ويفُكُّ من أسْرِ الفِراقِ قيودِي

فأشيمُ برقَ الوصلِ من قِبَلِ الحمَى ... وأشمُّ رَوْحَ الأُنْسِ غيرَ بعيدِ

وأرى خيامَ أحبَّتي وقبابَها ... كالخُودِ تُجْلَى في عِراصِ البِيدِ

أرضٌ يفُوحُ بتُرْبِها أرَجُ النّدى ... والجِدُّ في نُوّارِها المَخْضودِ

هي مهبِطُ الوحيِ القديمِ ومَعقِلُ الدّ ... ينِ القويمِ وموطنُ التوحيـدِ

* * *

وكتب إلى الأمير مَنْجَك [٣] قصيدةً طويلة ، اكتفيت منها بالمقدار الذى كتبتُه ، ومطلعها قوله [٤] :

سقَى جِلَّقًا صَوْبُ السحائبِ المُرْعِدِ ... وباكَرَ من أفيائها كلَّ معهدِ [٥]

وقلَّدَ أجيادَ الرُّبَى في عِراصِها ... يدُ الغيثِ عِقْدَيْ لؤلؤٍ وزَبَرْجَدِ

ولا زالَ خفّاقُ النُّعامَى مُنبِّهًا ... عيونَ الخُزامَى الخفيفِ المجسَّدِ [٦]

وغنَّتْ بها الأطيارُ من كلِّ نَغْمةٍ ... تُهيِّجْنَ ألحانَ النديمِ ومَعْبَدِ [٧]

---

(١) فى ب : « على ورود رياضه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « تهائمى ونجودى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ . (٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣ / ٧٨ ، ٧٩ ، وإعلام النبلاء ٦ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ نقلا عنه . (٥) فى خلاصة الأثر : « وباكر من أفنائها » . (٦) النعامى : ريح الجنوب ، أو بينه وبين الصبا . القاموس (ن ع م) .

وفى خلاصة الأثر : « بالخفيف المجسد » .

(٧) يعنى بالنديم إسحاق بن إبراهيم الموصلى الذى تفرد بصناعة الغناء فى عصره ، والمتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ومعبد معبد ابن وهب المدنى نابغة الغناء فى العهد الأموى ، المتوفى سنة ست وعشرين ومائة .

لقد هتفتْ منها بوجدي سواجعٌ ... تَلَفَّعُ أظلالَ الغصونِ وترتدي

تنوح وتُشْجينا فنزداد عَيْمةً ... سنعلم إن متنا صدى أيّنا صَدِ (١)

أشيم بروقاً بالشآم مُثيرةً ... عقابيلَ شوقٍ بالفؤاد المشرَّدِ

وأستافُ نَشْراً كلما هبَّ ضائعاً ... تُحدِّث أنفاسَ الحبيب المُبعَّدِ (٢)

فيهتزُّ من ريّاه قلبي ويَنْثني ... ولولا اهتزاز الغصن لم يتأوّدِ

فوا حُرقتي إن لم أبلِّغْ نعيمها ... ووافُرقتي إن بتُّ والبَيْنُ مُقعدي

ويومٍ بلألاء الكؤوس مفضَّضٍ ... كسَتْه يدُ الصَّهباء حُلَّةَ عَسْجَدِ

قضيتُ به حقَّ الهوى غير أنني ... متى أدنُ منه اليوم ينأى ويبعُدِ

رعى اللهُ أيام الوصالِ فإنها ... ألذُّ من التهويم في جفن أرمدِ

تقضَّتْ وضَنَّ الدهرُ منها بنهلةٍ ... تَبُلُّ غليلَ الشائق المتزوِّدِ (٣)

منها :

عسى تقذف البيداء نِضوي برحلةٍ ... تنفِّسُ عن أسْرِ المَشُوق المقيَّدِ

إلى بقعة زِينتْ بباقعةِ الحجى ... مُنيلِ المعالي المنجكيِّ محمدِ (٤)

عريقٍ بلاد الشام دُرَّةِ تاجها ... غياثِ بني الآداب مأوى المطرَّدِ

منها :

أخا منجكٍ يا أكملَ الناس فِطنةً ... وأشرفَهم بيتاً بغير تردُّدِ

صبغتَ العُلى بالمكرماتِ فلم تحِلْ ... وينكر في الأعراض غيرُ التجدُّدِ

أمولايَ يا بدرَ المعالي وشمسَها ... ويا رحلةَ الآمالِ من غير موعدِ

---

(١) في ا ، ب : « فنزداد غيمة » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة ، والعيمة : شدة الشهوة إلى اللبن . وفي الخلاصة : « ستعلم إن متنا صدى أينا الصدى » ، وفي ج : « أينا الصد » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٢) في ا : « وأستأنف نشرا » ، وفي ب : « وأشتاق نشرا » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة . واستاف الشيء : اشتمه .

(٣) في الخلاصة : « غليل الشائق » .

(٤) في خلاصة الأثر : « سابل المعالي » .

لقد ذلقتْ في وصف مجدك ألسنٌ ... وعجّت به الرُّكبانُ في كل مشهدِ

وأهدتْ لنا من بحر طبعك لؤلؤاً ... على الطِّرسِ حتى كاد يُلقط باليدِ

منها :

فأسلفتُك الإعظامَ والودَّ مُوفياً ... حقوقَ معاليك التي لم تُعدَّدِ

وقدّمتُ من فكري إليك أُلوكةً ... حَبَتْك بمضبوطٍ من المدح سرمدِ

تخبّرُ عمَّا في القلوب من الجوَى ... ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ [1]

فأوجِبْ لها حقاً وأنعِمْ بمثلها ... وعِضْنى بنظمٍ من عقودك يُحمدِ

يُرَوِّى بها من لاعجِ الشوق والنوى ... غليلَ فؤادٍ بالصَّبابة مُكمَدِ

منها [2] :

فأنت لجفْن الدهر سيفٌ وناظرٌ ... ولولاك لم يُبصِرْ ولم يتقلّدِ

ثم أعقبها بقطعة من نثره ، وهى [3] :

حاملُ لواء النظم والنثر ، وحامى بيضته عن الصَّدْع والكسر .

محلُّ استواء شمس [4] الكرم ، العاصر بجده عنقود الثريَّا تحت القدَم .

واسطة قلادة الفضائل وعِقدَ نظامها ، وبيت قصيدة الآداب ورَوْنق كلامها .

جنابَ الأميرِ بن الأمير ، والعطر ابن العبير .

لا برحتْ ظلالُ معاليه ممتدّة على مفارق الأيام ، وظلَّ حُسّاده أقلصَ من جفون العاشق عن طِيب المنام .

---

(١) عجز هذا البيت عجز بيت لطرفة ، فى معلقته ، وصدره :

* ستُبدى لك الأيام ما كنتَ جاهلا *

انظر شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى ٢٣٠ .

(٢) فى الخلاصة : « وآخرها » . (٣) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٣/٧٩ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٩٨ نقلا عنه . (٤) فى الخلاصة : « شموس » .

هذا ولو أوتى الداعى زَكَن إياس ، واستقصاء من محاضرة أبى الفرج بنبْراس .

وملك براعة ابن العميد ، وأحرز خُطَب ابن نُباتة وبَداهة عبد الحميد .

وأُعطِيَ بلاغــة الصاحب ونوادر أبى القَنْدَيْن[1] ، ونال مقامات البديـع ومفاوضات الخالديَّين .

وحاز مُحاورات الأحنف وفصاحة سَحْبان ، وحوى مُنشَآت القاضى الفاضـل ومدائح حسّان .

ورام أن يُزخرف كلاما يناسب مقتضى المقام والحال ، لفُلَّ حَدُّ القلم وضاق ذَرْعُ المَجال .

وإن أحجم بقيتْ فى النفس حاجة ، وعصَف على القلب[2] ريحُ حسرة فهاجَه .

فلذلك أُقْدِم على الثانية سَجِيًّا ، وأبدى [3] لتلك الحضرة [3] هَدِيًّا .

فإن أكرمَ الأميرُ مَثْواها ، فنظم من فرائد عوائده حُلاها .

وأجاب بما يروِّى غليلَ الفؤاد ، ويخصب مراد المُراد .

فذلك من مَساعِى فطرته المنجكية ، ودواعى شِيمتِهِ البَرْمكية[4] .

* * *

فأجابه بهذه الأبيات[5] :

أمولاىَ من دون الأنام وسيِّدِى   بمدحِك قد بلَّغتَنى كلَّ سُؤْدَدِ

---

(١) فى ج : « أبى العينين » ، وهو خطأ ، صوابه فى : ا ، ب ، والخلاصة .
وأبو القندين : الأصمعى ؛ كنى به لعظم قنديه ، أى خصييه . القاموس (ق ن د) .
وأشار الشيخ نصر الهورينى إلى بعض هذا فى هامش الخلاصة ، حيث قال : « أبو القندين هو الأصمعى » .

(٢) فى ب : « القلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفيه بعد هذا زيادة : « العالية » .

(٤) بعد هذا فى خلاصة الأثر : « فوصلته القصيدة والرسالة وهو متوعك ، فراجعه بهذه الأبيات : » .

(٥) القصيدة فى ديوان منجك ٧٤، ٧٥ ، خلاصة الأثر ٣/ ٧٩، ٨٠ ، وإعلام النبلاء ٦/ ٣٩٨، ٣٩٩ ، نقلا عن الخلاصة .

بعثتَ بأبياتٍ كأنّ عقودَهـــا ... منضّدةٌ من لؤلؤٍ وزبرجدِ

أمتّع طرْفى فى طروسٍ كأنهـــا ... مبادِى عِذارٍ فوق خدٍّ مورّدِ

سطورٌ إذا مارمتُ قتلَ حواسدِى ... أجرّد منها كلَّ عضْبٍ مهنّدِ

تـكلّفنى ردَّ الجواد وإننى ... أبيتُ بفـكرٍ فى الزمان مشرّدِ

وليس يُجيد الشعرَ منطقُ عاجزٍ ... ضئيلٍ على فُرْشِ السُّهادِ موسّدِ[1]

يمرّ به العمرُ الطويل مُضيّعًا ... على الكُرْه منه بين واشٍ وحسّدِ

فمعذرةً أخا العلياء فُلّتْ عزائمى ... وقد كنتُ كالسيفِ الصّقيلِ المجرّدِ[2]

فإنك أهلُ الصفحِ والعفوِ والرّضا ... وإنك من نسْلِ النبيّ محمّدِ[3]

أعزّ بنى الدنيا وأشرفُ من سَمَا ... إلى الرتبةِ العَليا بغير تردّدِ

صغيرٌ إذا عُدّت سِنِيُّ زمانِه ... كبيرٌ به أشياخُنا الغرُّ تقتدِى

تملّكَ رقّ الحمدِ والشكرِ والثنا ... بكفٍّ على فعل الجميلِ معوّدِ

فلا زال عيناً للزمانِ وأهلِه ... يجرّر ذيلَ الفخرِ فى كلّ مشهدِ

* * *

ومما طارحنى به فى بعض مطارَحاته ، أنه لما مرّ بدمشق قاصدا الحج ، شُغِف بأحد أبناء سُراتها ، وكان من الأشراف ، قال : ثم فارقتُه وتباكينا يوم التوديع ، فكتبتُ إليه من الطريق مُضمّنا بيت البُحتُرِىّ[4] :

يا آلَ بيتِ المصطفَى هل رحمةٌ ... لفؤاد مشبوبِ الجوانح ثائرِ[5]

---

(١) فى الديوان : « وليس يجيد النظم » . (٢) فى الديوان ، وخلاصة الأثر : « فلت عزائمى » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « أهل العفو والصفح » .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٧٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٩١ ، ٣٩٢ نقلا عنه .

(٥) فى ا : « مبتوت الجوانح » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى الخلاصة : « مشبوب الجوانح نائر » .

والنائر : الهائج .

ضلَّتْ نواظرُه الرُّقادَ وما اهتدتْ ... ببَياضِ دمعٍ من سوادِ ضمائرِ [1]

دمعٌ تعلَّقَ بالشؤونِ فساقَه ... زفراتُ برْحٍ من جوًى مُتخامِرِ

لو تنظرون إلى الشَّتيتِ وسِربُه ... يقفو سُروبَ زواخرٍ وزوافرِ

لـعـذرتموه وماله من عاذلٍ ... وعذلتموه وماله من عاذرِ

واهاً لأيامٍ تقضَّتْ خُلسـةً ... فى ظلِّ دَوْحٍ بالسيادةِ ناضرِ

دوحٌ عليه من النبيِّ محمدٍ ... وَضَحُ الصباحِ ونفحُ روضٍ باكرِ

لم أنسَه يومَ الوَداعِ وطَرْفُه ... يرنو إلى شَعثِ النجيبِ الضَّامرِ

وفعالُه تُبدِى نفاسـةَ عِرْقِهِ ... فى فضلِ وجهٍ بالسماحةِ زاهرِ [2]

حتى إذا جدَّتْ بنا ذُلَلُ النوى ... والعينُ تسفحُ بالنَّجيعِ المائرِ

سِرْنا وعاوَد كالمقيمِ وربَّمـا ... كان المقيمُ عَـلاقةَ للسائرِ [3]

※ ※ ※

ومن بدائعه قوله :

ألا لا تسَلْ أىَّ شىءٍ جرَى ... ومن قَرْحِ جَفْنِىَ ماذا جرَى

تعلَّمتُ من حبِّه الكِيمِيَا ... وصرتُ حكيماً به أكْبرا [4]

سحقْتُ فؤادِى وأودعتُـه ... بنارِ غرامٍ به أسْعَرَا

وصـيَّرتُ عينى أنبيقةً ... وقطَّرْتُه ذهباً أحمرا

ألا هـكذا يا أُخَىَّ الهوى ... كما كلُّ صيدٍ بجوفِ الفرَا

※ ※ ※

---

(١) فى ا : « وما هدت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى خلاصة الأثر : « نفاسة عرفه » .

(٣) ديوان البحترى ٢/١٠١٧ ، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر . وفى الديوان : « سرنا وأنت مقيمة ولربما » .

(٤) فى ب : « تعلمت فى حبه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقوله :

لم يدْرِ من بالوصل ماذ جَفاكِ ... أن الرَّحيقَ العذبَ مازَجَ فاكِ[1]

قد كنتُ في دِين الغرام موحِّداً ... ومُوحِّداً من دون من يَهواكِ

حتى نصبْتِ الهُدْبَ منكِ حُبالة ... للعاشقين وعُقْـــلةَ النُّسّاكِ

وأريْتِني ناراً بخدِّك أُضرمتْ ... فوقعتُ في الأشراكِ والإشراكِ

* * *

وقوله :

رأسُ الشريف عليه سندسُ أخضرٍ ... عنوانُ ما في الخلدِ بعضُ حُلاهُ

سُقِيتْ بمـــاء مكارمٍ أعْراقُه ... فاخْضرَّ من أصـــلٍ زكا أعْلاهُ

* * *

من قول الشِّهاب الخفاجيّ :

يقول على رأس الشريف علامةٌ ... ونورُ نبيّ الله عن ذاك أغْناهُ

فقلتُ جرى ماء المـــكارمِ والندى ... وقد طاب مَجْراه لذا اخْضرَّ أعْلاهُ

* * *

وله في مُجدَّر :

يقولون من تهواه جُدِّر وجهُه ... فقلتُ لهم حاشاه من نَصَبٍ يُرْدِي

ولــكن أشارُوا بالبَنان لحسنِه ... فأثَّر أطرافُ الأناملِ في الخدِّ

* * *

قلتُ : لله دَرُّه على ما أبدع[2] .

---

(١) في ا : « من بالوصل ماذ جفاك » ، وفي ج : « ماذا جفاك » ، والمثبت في : ب .
(٢) في ا : « أودع » ، والمثبت في : ب ، ج .

وقوله : « جدر » بالبناء للمفعول ، تقول جُدِّر الرجل ، فهو مُجدَّر .

وفى الأساس[١] : مُجدَّر ومَجْدور .

وأنكر الحريرىّ فى الدُّرَّة[٢] مُجدَّرًا ، وعدَّه من الوهم .

قال : لأنه داء يصيب الإنسان مرة فى عمره ، من غير أن يتكرر عليه ؛ فلزم أن يُبْنى [٣]منه المثال[٣] على مَفْعُول ، ولا وجه لبنائه على مُفَعَّل الموضوع للتكثير .

ولا وجهَ لإنكاره[٤] ، إذ ليس كل فَعَّل للتكرير والتكثير ، فقد يجىء بمعنى فَعَل كثيراً ، مع أن التكثير والتكرير مُحقَّق هنا باعتبار أفراد حبَّاته[٥] ، وهو فى غاية الظهور[٦] .

والأفصح [٧]أن يقال جُدَرِىّ ، بضم الجيم ، واشتقاقه من الجَدَر وهو آثار [٨]الكَىِّ على عنق[٨] الحمار[٧] .

وقد أكثر الشعراء من وصف المُجدَّر ، ولم أرَ أحسن من قول [٩]أبى سعد[٩] الجُوَيْنِىّ :

بدتْ بثَراتُه فوق المُحيَّـا   كما نثرتْ على الشمس الثُّريَّا

كأن الخــدَّ والبثَرات فيه   حَبابٌ فوق كأسٍ من حُمَيَّا

* * *

وأنشدنى الحجازىّ ، قوله فى وصف مجلس لبعض أحبابه ، أطَلَّ على غدير فُرِشتْ أرضُه بحَصْبائه :

---

(١) الأساس ١١٠ . (٢) درة الغواص ٥٨ . (٣) فى الدرة : « المثال منه » .

(٤) هذه مقالة الشهاب الخفاجى، فى شرحه على الدرة ١٣٨ . (٥) فى شرح الدرة : «موصوفيه» .

(٦) انتهت مقالة الشهاب . (٧) هذا نقل عن الدرة ٥٨ أيضا . (٨) فى الدرة : « الكدم فى عنق » ، وكذلك فى الصحاح (ج د ر) ٢/٦٠٩ . (٩) فى ب : «ابن» ، والمثبت فى : ا، ج.

حسَدتْ جَمْعنا النجومُ فألْقتْ   نَفْسَها في مناقِع الغُــــدْرانِ

* * *

هذا بيتٌ ماله في الحسن مُوازِي ، يساوِي ألفَ بيت من جنس بيت المَنازِي[1] .

وما أظن أن أحداً سبقه إلى هذا المعنى ، ولا أن فكراً طرَق هذا المعْنى ، غير أن في قطعة لابن حَمْدِيس[2] بيتا يقاربه في المبنى ، وهو[3] :

كأن حُبابا رِيع تحت حَبابِه   فأقبل يلقى نفسَه في غَدِيرِهِ

* * *

وأنشدني من لفظه لنفسه ، قوله من قصيدة ، في مدح الوزير الفاضل[4] :

ولرُبَّ يومٍ قد تلفَّعتِ الضحَى   منــــه بثوبَيْ قَسْطَلٍ وغَمامِ

حسرتْ قِناعَ النَّقْع عنه عُصبةٌ   غُبْرُ الوجوه مُضيئةُ الأحْلامِ

مُتجرِّدين إلى النِّزالِ كأنمــــا   يتجرَّدون لواجبِ الإحرامِ

لا يأنَسُون بغير أطْرافِ القَنا   كالأُسْد تألَف مرْبِضَ الآجامِ

يسْرِى بهم نجْمان في ليل الوغَى   رأىُ الوزيرِ ورايةُ الإسلامِ

* * *

وكان أتحفني من أناشيده بطُرَف بدائع ، هي في عهدة الدهر من جمـلة مالى من ودائع[5] .

ووقع [6] في داره بالروم حريق [6] ، فتلِف بعضُ أسباب رِياشِه ، وذهب جُلُّ ما اتَّخذه من ذخائر معاشِه .

فقلت أخاطبه[7] :

---

(١) تقدم بيت المنازى ، في هذا الجزء ، صفحة ٤٥١ .

(٢) تقدم ذكره في صفحة ٣٦ ، من الجزء الأول .   (٣) ديوان ابن حمديس ١٨٦ .

(٤) الأبيات في : خلاصه الأثر ٣/٧١ ، وإعلام النبلاء نقلا عنه .   (٥) في ج : « الودائع » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٦) في ب ، ج : « حريق في داره بالروم » ، والمثبت في : ا .

(٧) القصيدة في : خلاصة الأثر ٢/٧٣ ، ٧٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٩١ نقلا عنه .

فِدًى لكَ ماعلى الدنيا جميعاً ... فعِش فى صِحَّةٍ وابْلِ الرُّبوعَا

لئن جزِع الأنامُ لفقْـــد شىءٍ ... فلستَ لفقْدك الدنيا جَزُوعَا

تعلَّمْنـــا الأناءةَ منك حتى ... توطَّنَّا بهـــا الشرفَ الرفيعَا

أفاض اللهُ جودَكَ فى البرايا ... وأنبتَ من أياديك الربيعــاَ

وصوَّرك المهيمنُ من كمالٍ ... لنَعْلم صنع خالقِك البديعاَ[1]

فمُر واحكُم بما تختارُ فينـــا ... تجِدْ كُلًّا بما تهوَى مطيعاً[2]

فلو كلَّفتَ يومَ الأمسِ عَوْدًا ... لخَاض الليلَ واخْتار الرجوعا

ولو ناديتَ سهماً فى هواءٍ ... لعـاد القهْقَرى وأتى سريعاَ

يضُمُّ البُرْدُ منك أخا فَخارٍ ... يبيتُ الليلَ لايدرى الهُجوعاَ

وإنِّى مَن بجُودك قد ترقَّى ... وحلَّ من العُلى حصناً مَنِيعاَ

خُلِقتُ على الوفاءِ لكم مقيماً ... وأوْفَى الناسِ من حِفظ الصنيعاَ

* * *

وكتبتُ إليه من دمشق ، بعد عَوْدِى من الرومِ إلى حلب ، هذه القصيدة[3] :

أرى النَّدْبَ مَن صافَى الزمانَ المحاربَا ... وأغْبَى الورى من بات للدهر عاتباَ

أتعتَبُ من لايعقل العَتْبَ والوفا ... ولا همَّـــه شىءٌ فيخشَى العواقباَ

وإن ضَنَّ لم يسمَح بمثْقال ذَرَّةٍ ... ولم يُبْقِ موهوبا ولم يُبق واهبـــاَ

ولا جُنَّةٌ تُغنيك إن كان مانعاً ... ولا منزلٌ يؤْويك إن كان طالباَ[4]

أُحاوِل شَكْواه فألْقَى نوائباً ... تُهوِّن عندى منه تلك النوائباَ

---

(١) فى ب : « لتعلم صنع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « كما تهوى » . (٣) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٧٥ ، ٧٦ ، إعلام النبلاء ٦/٩٢ ـ ٣٩٥ نقلا عنه ، وجاءت الرسالة بعد الشعر فى المرجعين أيضا . (٤) فى ب : « ولا منزل يأويك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

ولن يسبِق الأقدارَ من كان سابقًا ... ولن يغلبَ الأيامَ مَن كان غالبا [(١)]
ومَن صحِب الدنيا ولو عُمْرَ ساعةٍ ... رأى من صُروف الدهر فيها العجائبا
وقفرٍ كيوم الحشْر أو شُقَّة النوى ... يُضِلُّ القطا أعملت فيه الجائبا [(٢)]
وليلٍ كقلْب السامِرِيّ قطعتُه ... إلى أن حكى بالفجر أسود شائبا
وما كنتُ أرضَى بالنوى غير أنني ... جديرٌ بأن لا أرتضِى الذلَّ صاحبا
فنظَمتُ من دُرِّ المعانى قلائدًا ... جعلتُ قوافيها النجومَ الثواقبا
ويَمَّمتُ أقصَى الأرضِ فى طلبِ العلى ... ولم أصْطحبْ إلا القَنا والقواضِبا
فلاقيْتُ فى الأسفارِ كلَّ غريبةٍ ... ومن يغترِبْ يلْقَ الأمورَ الغرائبا
وخلَّفتُ مَن يرجُو من الأهلِ أوْبتِي ... كما انتظر القوم العطاشُ السحائبا
وكم قائلٍ لا قرَّب اللهُ داره ... ومن يتمنَّى لو بلغتُ المطالبا
فعُدْتُ على رغم الفريقيْن سالمًا ... ولم أقضِ من حقّ الفضائل واجبا
وحسْبِي وجودُ ابن الحجازىِّ نائلًا ... به لم أزلْ ألْقَى المُنَى والمآربا
فتًى قد جهلتُ العُسْرَ منذ عرفْتُه ... ولاحَتْ لىَ الأيامُ عطفًا وجانبا
وأصبحَ يلْقانى العدوُّ مُسالمًا ... وقد كاد يلْقانى الصديقُ مُحاربًا [(٣)]

منها :

فِراستُه تُغنيك عن ألفِ شاهدٍ ... تُريه من الأشياء ما كان غائبا
وَقُورٌ كأن الطيرَ فوق جليسِه ... ترى الدهرَ منه خائفَ الدهرِ راهبا [(٤)]

* * *

(١) فى خلاصة الأثر : « ولا يغلب الأيام » .

(٢) فى ج : « وقفر كيوم أوسفه النوى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
وفى الأصول : « يضل القطا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) فى ب ، ج ، وخلاصة الأثر : « وقد كان يلقانى الصديق محاربا » ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى الأصول : « ترى الدهر منه خائف راهبا » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

فى قولهم : « كأنما على رؤوسهم الطير » توجيهان :

أحدها : أنهم لا يتحركون فصفتهم صفة من على رؤوسهم طائر يريد أن يصيده ، فهو يخاف إن تحرك طيرانَ الطير وذهابَه .

والآخر ، هو أن نبىّ الله سليمان عليه السلام ، كان يجلس هو وأصحابه ، ويقول للريح : أقلينا . وللطير : أظلينا . ويستشعر أصحابه السكونَ والسكوت ؛ فشُبّهوا بجُلَساء سليمان الذين لا يتحركون ، والطير تظلّهم من فوق رؤوسهم .

ويقال للرجل الحليم إنه يساكن الطيرَ ، أى أن طائره لا ينفر من سكونه .

***

أخافَ سِباعَ الطير من سَوْطِ رأيه   فكادتْ لفَرْطِ الخوف تُلقى المخالبا

ولو أدركَ المجنونُ أيامَ حُكْمِه   لأعرَضَ عن ليلَى وأصبح تائبا

منها :

خبيرٌ بتحقيق العلوم مدقّقٌ   إذا جال فى بَحْثٍ أراكَ العجائبا

وإن نثرتْ يُمنـاه فى الطِّرْس لؤلؤا   كتبْنَا على تلك اللآلى مطالبا

***

وذيلتها برسالة وهى :

أُقسم بمن جلَّت عظمتُه ، وعلَت كلمتُه .

وسخَّر القلوب(١) للمودّة ، وصقَل بالمحبة الخواطر المستعدّة) .

إنى أشوَق إلى لثم يد مولاى من الروض إلى الغمام ، ومن السّارِى إلى تبلّج القمر فى الظلام .

وقد كانتْ حالتى هذه وأنا جارُه ، فكيف الآن وقد بعُدت عنّى دارُه .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « المودة المؤيدة ، وجعل الأرواح جنودا مجندة » .

وليست غيبتُه عنى إلا غيبة الروح ، عن الجسد البالى المطروح .

ولا العيشة[١] بعد فِراقه الجانى ، إلا كما قال البديع الهَمَذانى :

عيشةُ الحوتِ فى البرّ ، والثلجِ فى الحرّ .

وليس الشوق إليه بشَوْق ، وإنما العظم الكسير ، والنَّزْع العسير ، والسَّمُّ يسرى ويسير ، والنارُ تشْوِى وتطير .

ولا الصبر عنه بصبر ، وإنما هو الصَّاب والمصاب ، والكبد [٢] فى يدِ [٢] القصَّاب ، والنفسُ رهينةُ الأوصاب ، والحَيْن الحائن وأين يُصاب .

وقد كتبتُ إلى مولاى هذه القصيدة ، وأنا لا أحسَبها من الإحسان بعيدة .

[٣] وهذا الكتابَ ، وقد [٣] أنفقتُ عليهما [٤] مدةً من العمر ، وصرفتُ على تحريرها [٥] حيناً من الدهر .

وكتبتُهما [٦] وأنا [٧] مُستغرِق فى ذِكرك [٧] ، مشغولٌ بحَمْدك وشكرك .

ذاكرٌ [٨] عهدَك ، ومُقامى عندك

فى أوقاتٍ ألذّ من قُبَل [٩] الغِيد ، وأشهى من اجْتلاء [١٠] الخدود ذات التَّورِيد .

حيثما العيشُ أخذ طَلْقَه ، واستوْفَى من الأمانى حقَّه .

وأنت تُقرِّط سمعى بفوائدك [١١] ، وتملأ صَدَفَةَ أذنى بلآلى فرائدك [١٢] .

---

(١) فى ب : « العيش » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) فى ا : « فى أيدى » ، وفى ب : « بيد » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .
(٣) فى ب : « وهذه الكتابة قد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى خلاصة الأثر : « عليه » . (٥) فى خلاصة الأثر : « تحريره » .
(٦) فى خلاصة الأثر : « كتبته » . (٧) فى خلاصة الأثر : « مشغوف بذكرك » .
(٨) مكان هذه الكلمة فى خلاصة الأثر : « وعينى تود لو كانت مكانه ، وأمكنت من قطع المسافة إمكانه ؛ كل ذلك لتذكرى » . (٩) فى خلاصة الأثر : « شفاه » . (١٠) فى خلاصة الأثر : « قبل » .
(١١) فى خلاصة الأثر : « بفرائدك » . (١٢) فى خلاصة الأثر : « فوائدك » .

من أدبٍ أغزرَ مادَّةً من الدِّيَم ، وأنشطَ للقلب من بوادِر النِّعَم .

ولقد يعزُّ عليَّ أن أُلْفَى بعيداً عنك ، متروكَ الذِّكْر منك .

ولكن هو الدهر ، وعلاجه الصبر .

فصبراً على الأيامِ في كلِّ حالةٍ ... فكم في ضميرِ الغيبِ سِرٌّ مُحجَّبُ [١]

وربما تخالَجَ في صدري [٢] لداعيةٍ اقتضتْه ، ورُعونةٍ لأجلِ التَّنافُسِ تقاضتْه [٢] .

أن يُشرِّفني بمكاتبة ، ويؤهِّلني إلى مخاطبة .

جَرْياً على معروفِه المعروف ، وطمعاً في اغتنام كرمِه الموصوف .

حتى أُباهِي بكَلِمه الزمان ، وأجعلها حِرْزَ الأماني والأمان .

وأظنه يفعل ذلك متفضِّلا ، لا برح لكل إحسانٍ مُؤمَّلا .

***

فكتب إلى جوابا [٣] .

نحن عِفْنا الشهباءَ شوقاً إليكم ... هل لديكم بالشَّامِ شوقاً إلينا

قد عجزْتُم عن أن تَرَوْنا لديكم ... وعجزْنا عن أن نراكم لدينا

حفظ اللهُ عهدَ من حفِظ العهدَ ... ووفَّى به كما وَفَّيْنا

اللهم جامعَ المحبِّين ، ومعينَ القُوَى على ألم النوى وما جعل الله لرجلٍ من قلبين [٤] .

أسألك بما أودعتَه في سرائر المخلصين من أسرار المحبة ، وأنبتَّ في رياض صدورهم من المودَّة ، التي هي كحبَّة أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبلة مائةُ حبَّة [٥] .

---

(١) في ب ، ج : « فصبرا على الأزمان » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٢) مكان هذا في خلاصة الأثر : « لرعونة أوجبها طلب ازدياد قدرى » .

(٣) جواب الحجازى في : خلاصة الأثر ٣/٧٧ ، ٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٩٥ ، ٣٩٦ ، نقلا عنه .

(٤) اقتبس هذا من قوله تعالى في سورة الأحزاب ٤ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ .

(٥) اقتبس هذا أيضا من قوله تعالى في سورة البقرة ٢٦١ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ .

فارْعَ فَرْعَ الشجـــرةِ المحبّبة وأصلَها ، وأَفِضْ عليهـا فَواضِلَكَ التى كانوا أحقَّ بها وأهْلَها .

واحفظِ اللهمَّ هاتيك الذات الزكية التى رؤيتها أجلُّ الأمانى ، ونورْ تلك الصفات التى إذا تُليت تلقّتْها الأسماعُ كما تتلقّى آياتِ المَثانى .

هذا وما الصَّبُّ إلى الحبيب ، والمريض إلى الطبيب .

بأشوقَ منى إلى تلقّى خبرِه ، واستماع ما يفتخر به الرُّكْبان من حسْن أثرِه .

وما غرَضى من عَرْض الأشواق ، التى ضاقت عنها صدورُ الأوراق .

إلا تأكيدٌ لمـا يُحيط به علمُه المحترم ، وتشْنيفٌ لمسامـع اليَراع بذكْر صفاتِه التى تطرِب فيترنَّم بألطف نغَم .

ولقد كنت أتوقّع زيارتَه لمّا قدِم البلدةَ النَّجْرَا [١] ، فثَنى عِنان الإعْراض وأجرى جَوادَ الأنْيِرا .

وما هكذا كنَّا لقـد كان بيننا   معاملةٌ عن غير هذا الجفَا تُنْبِى [٢]

هذا وضميرُ الأخ أنْوَر من أن يستضىءَ بمصباح الاعْتذار ، وأعلمُ بصِدْق المحبـة فى حالتَىِ القُرْب والبعد والإعلان والإسْرار .

وليس يندمِل الجرح منا إلاّ بمرهم لقائِه ، ولا يُشْفَى غليلُه إلا بِرِىِّ رُوائِه .

فالرجاء أن يتلافَى مافرَط [٣] بل أفرط [٣] من [٤] الإعراض ، ويسمحَ بما نتوقّعه منه بلا إغماض .

هى الغايةُ القُصوى فإن فات نَيْلُها   فكُلٌّ من الدنيـا علىَّ حَرامُ

***

---

(١) كذا بالأصول والخلاصة . (٢) فى ا : «عن مثل هذا الجفاء» ، والصواب فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ا : «عن» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

١٢٠

السيد يحيى الصَّادِقِ *

غُرَّة فى جبهة الفخر ، ينفلق عنها لألاء الفجر .

أساريرُه على فَرْحة الحمد مُشْرِقة ، وصحيفتاه ما زالا يُطْلِعان وَرْدَ [1] المعرفة .

أحسن فى هذه الحَلْبة السِّباق ، وكان له فى رَوضة الأدب الاصْطباح والاغْتباق .

ولذاته المحاسن أجْمَع ، وبمثله لم يتمتّع منظر ومَسْمَع .

إلى ماحَواه من مُطارحةٍ معسولة ، ومُعاشرة من وسَخ الرياء مغْسولة .

مرآةُ طَبْعه عن أسْرار المعانى تشِفّ ، وورْدُ رَوِيّته عليه طيورُ القلوب ترِفّ .

* * *

وله أشعار أشوَق من السّالِف والطف ، وأدقُّ من السحر يجُول فى لَحْظ شادنٍ أوْطَف [2] .

تُعَدُّ كلاما وهى تُجتلَى بين النِدام ، فيتسلَّى بها فؤادٌ ماتُسلّيه المُدام [3] .

(*) السيد يحيى الصادق الحلبي .
أديب فاضل ، كريم الأخلاق .
كانت له منزلة كبيرة فى حلب .
ذكر الطباخ أن وفاته كانت بين سنتى خمسين وألف ، وستين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٢٩٥ ــ ٢٩٧ ، خلاصة الأثر ٤/٤٨٩ ــ ٤٩١ .

(١) فى ب : « درر » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) أوطف : كثير شعر الحاجبين والعينين .
(٣) أخذ هذا من قول أبى الطيب :

فؤادٌ ما تُسلّيه المُدامُ   وعمرٌ مثلُ ما يهَب اللئامُ

ديوانه ٩٢ .

وقد أوردتُ من نادِرها الغريب ، ما يتحيَّر فى كيفيَّة تخيُّله الفَطِن الأريب .

فمنه قوله :

ولم أشْربِ الخمرَ الحرامَ تعمُّداً ... ولكن دعتْنيهِ الضرورةُ فاعْلمِ

تخيَّل لى فى كأسِه عند مَزْجِه ... بكفِّ الذى أهْواه هيئةُ أرْقَمِ

فخِفْتُ عليه منه لَدْغة ضائرٍ ... فأوهمْتُه وَكْراً وأدخلتُه فمِى (١)

***

وقوله فى تشبيه النَّرْجِس :

انْظُر إلى النَّرْجِس لمَّا بدا ... معتدلَ القامةِ كالصَّوْلجانْ

كأنه كفُّ عُقابٍ هوَتْ ... فاختطفتْ تاجَ أنُوشِرَّوانْ

***

قلت هذا تشبيهٌ ، ماله شبيه ، غير أنه شدَّد فيه راء « شروان » ، وهو من غلط الخواص .

وهذا اللفظ فارسى معرَّب ، تكلمت به العرب ، وأصله نور شروان ، ومعناه الأسد الجديد (٢) ، وهو وصف لكسرى .

قال عَدِيُّ ابن زيد (٣) :

أين كسرى كسرى الملوك أنُوشِرْ ... وانَ أم أين قبلَه سابورُ (٤)

---

(١) فى ب : « لدغة ضائر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « الجديد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) عدى بن زيد العبادى .

شاعر جاهلى ، كان أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى .

قتله النعمان بن المنذر فى سجنه .

الأغانى ٢/٩٧ ــ ١٥٤ ، الشعر والشعراء ١/٢٢٥ ــ ٢٣٣ .

والبيت فى الأغانى ٢/١٣٩ ، الشعر والشعراء ١/٢٢٥ .

(٤) فى الشعر والشعراء : « كسرى الملوك أبو سا * سان . . » .

وقد يُعتذر عن[1] تشديده بما قاله [2] في مثله [2] العِصام [3] : « والمعرب التصرُّف في ألفاظ العجم ؛ ولهذا يُقال : هو أعجميٌّ فالْعَب به ماشئتَ » .

* * *

وولاه بعض القُضاة نيابة محكمة تعرف بالسيد خان ، فكتب إليه [4] :

أصبحتُ مع الشمسِ ببُرْجِ المِيزانْ ... إذ أنْزلني الهمامُ بالسَّيِّد خانْ

لكن وعُلاكَ كلُّ مَن نابَ يَخُنْ ... والعبد يخافُ كَلِمَةَ السَّيِّد خانْ

* * *

وحكى لى شيخنا المِهمندارىّ [5] ، مفتى الشام ، أن الصَّادِقىَّ حضر مع جماعة من الأدباء ، منهم البَدِيعىّ [6] ، وعبد القادر [7] الحَمَوِىّ ، فى مجلس السيد أحمد بن النقيب [8] ، فى ليلة شاتية تكاد نارُها تخمُد ، وأفكار القلوب فيها تجمُد .

والمجلس قد احْتبَك ، وأُرْمِيتْ لصائد الأفهام الشَّبَك .

وبينهم بدر ترمُقه المُقَل ، فتجرح منه مواضعَ القُبَل .

إذا تأجَّجتْ نيرانُ خدَّيْه تراءتْ بها جنَّاتُ النعيم ، يدور عليها عقربُ صُدغِه الملىّ فكم من سليمٍ منها فى ليلِ السقيم .

---

(1) فى ج : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(2) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(3) لعله يعنى عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرايني .
صاحب الأطول ، شرح التلخيص .
عالم من علماء البلاغة ، توفى فى حدود سنة إحدى وخمسين وتسعمائة .
شذرات الذهب ٨/٢٩١ .

(4) خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .

(5) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦٠ ، برقم ٥٥ .

(6) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٢٠٢ ، برقم ١٢ .

(7) هكذا فى الأصول : « عبد القادر » ، ولم يرد له ذكر فى الخلاصة أو النفحة ، ولعله أراد « عبد النافع » ، وقد تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٤١٧ ، برقم ١٠٨ .

(8) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، برقم ١١٥ .

فجيءَ بمِنْقَلٍ شُبَّ ضِرامُه ، كما شُبَّ في كل قلب منهم غرامُه .

فما حصَل حتى بَدَّدت نارُه عن عشْرة ، وأُصْلِيَ منها ذلك الحفلُ ألفَ جَمْرة .

فقال الصَّادِقيّ فيه [1] :

ضَمَّنا مجلسٌ لتاجِ الموالي عالمِ العصرِ بِكْرِ هذا الزمانِ
غُرّةُ الدهرِ أحمدٌ ذو الأيادِي وابنُ خيرِ الأنامِ من عَدْنانِ
بفريدِ الحِسانِ خَلْقاً وخُلْقاً عَنْدليبِ الإخوانِ نورِ المكانِ
فاشْتهى كأسُنا زَفافَ عروسِ الـ ـحُسنِ تُجْلَى في لونِها الأُرْجُوانِ [2]
فانْثَنَى كالقضيبِ تَفْديه نفْسِي عابثاً بالبِساطِ والفِنْجانِ [3]
فأصاب الكانُونَ سَوْطٌ فطار الـ ـجمرُ من وَقْعِه على الإخوانِ
فسألْنا ماذا فقال نِثارُ الـ ـحبِّ جمرٌ لا جمرةٌ من جُمانِ [4]
واعْتراهُ الحيا فأخْمدَها من غيرِ بُؤْسٍ بساعدٍ وبَنانِ
فعرَفْنا عليه منها فنادَى وكذا النورُ مُخْمِدُ النِّيرانِ

* * *

وقال أيضاً [5] :

لاموا الذي حاز لُطْفاً وبَهْجةً وجَلالَهْ
إذ بدَّد النارَ عمداً ليلاً وأبدَى انْجِلالَهْ
وصاغ في البُسْطِ شُهْباً إذْ كان بدراً بِهالَهْ

---

(١) ساقطة من : ب ، ج ، وهو في : ا .
والأبيات في : خلاصة الأثر ٤/٩٠ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٦ نقلا عنه .

(٢) لم يرد هذا البيت في الخلاصة ، وإعلام النبلاء . (٣) في ا : «تفديه نفس» ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ب : «عابثا بالبساط» ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

(٤) في خلاصة الأثر : «لا بدرة من جمان» .

(٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/٩٠ ، وفيه : «وقال فيه أيضا» ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٦ نقلا عنه .

وكفّل الطّوْقَ يُمْنـــاهُ تارةً وشِمـــالَهْ
كذلك الشمسُ تُدْنِي لكلِّ نجمٍ زَوالَهْ
فقلتُ لا تعــذِلوه دَعُــوه يُوضِحُ حالَهْ
بأنه بدرُ تمٍّ حِيناً وحِيناً غزالَهْ

* * *

وقال أيضا :

أفْدِي الذى أبدى سَما حُسْنِه لنــا شُموساً ثم أقْمارَا
فاسْترق القـومُ بأبْصارِهمْ سَمْعـا فعاد السمعُ إبْصارَا
فأرسل الشُّهْبَ عليهم من السكا نُونِ تَهْتِــاناً ومِدْرارَا
فظنَّه الجاهــلُ مِن جهلِه بأنه قـــد بدَّد النارَا

* * *

وقال أيضا(١) :

أنْشدتُ من أهوَى وقد أخذ الهوَى بمجامِعِى واسْتحْوذَ استحواذَا
كبدِى سلبْتَ صحيحةً فامْنُنْ على رمَقِى بهــا ممْنونةً أفلاذَا
فأشار للكانونِ فانْثالتْ على الـ جُلَّاسِ جمــراً وابِلاً ورَذاذَا
وبدا يُكَفْكِفُه حَيَاً ويقول لى مَن كان ذا لُبٍّ أيطابُ هذَا

* * *

وقال السيد أحمد بن النَّقِيب(٢) :

قد قلتُ إذ عثَر الذى أخْلاطُه فعلتْ بنا فِعْلَ الشَّمُولِ مُشَعْشَعَهْ

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤/٤٩٠ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٦ ، ٢٩٧ نقلا عنه .
(٢) أبيات ابن النقيب فى : خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .

فى مجلس بالنـــار فانتثرتْ على ... بُسْطى فجلَّله الحيـــاءُ وبَرْقَعَهْ
وأكبَّ يدفع عَبْثَهـــا بأكُمِّه ... مُستعظِماً ذاكَ الصَّنيعَ ومَوْقِعَهْ (1)
جمراتُ حُبِّك لو علمتَ بفعْلِهـــا ... فى القلبِ ما استعظمتَ حَرْقَ الأمتعهْ

***

وقال أيضا (2) :

لا تحسَبُوا النارَ التى مابيننا ... نُثِرت من الكانُونِ كان شَتاتُهَا
بل إنما ذاكَ الذى ألحاظه ... سلبتْ عقولَ أُولى النُّهَى فَترَاتُهَا
لمَّا رأى عُشَّاقه تُخْفِى الجوَى ... ولهيبَ نارٍ دَأْبُه زَفَراتُهَا (3)
وأراد يفْضحها أشار بكفِّه ... لقُلوبِهـــا فتناثرتْ جمراتُهَا

***

وقال البديعى :

فى الدُّجى زار مُنْعِماً مَن أرانا ... مَن رآه فى حبِّه مظلوما
عثَرتْ رِجلُه فبدَّدتِ النَّا ... رَ فخِيلتْ بلا سَماءٍ نُجُوماَ
واكْتستْ وَجْنتاهُ ثوبَ احْمِرارٍ ... فَرَقًا منه أن يكون مَلُوماَ (4)
قلتُ مولاىَ هـــذه بعضُ نارٍ ... أنتَ أضْرمْتَها بقلبِى قديماَ
ظهرتْ منه بعد ما قد أكنَّتْ ... هَا ضُلوعى إذا ما أراكَ رحيماَ
فانثنَى ضاحكاً وقال إذا كا ... نتْ لَظَى الشوقِ مالها لن تدُوماَ

***

---

(1) فى خلاصة الأثر : « وأكب يرفع غبها » . (2) خلاصة الأثر ٤ : ٩١ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٩٧ نقلا عنه . (3) فى خلاصة الأثر : « تخفى الهوى .. رابه زفراتها » . وهى رواية حسنة .
(4) فى ا : « واكتست وجنانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقال عبد القادر الحموى[1] :

إن الذى أخْجَل شمس الضحى	فى مجلسِ المولى الرفيع العماد
بدَّد ناراً كان للإصْطِلا	فانْبَثَّ كالياقوتِ بين الأياد
فانْصاع يَزْوِى الجمرَ فى أنْمُلٍ	كالخزِّ إن حاولتَ منها انعقاد
وقال إذ رامَتْ بتأجِيجها	تحكى سنا خدِّى ومنك الفؤاد[2]
نثرْتُها عمداً على بُسْطِ مَن	أرْوَى نداه كلَّ غادٍ وصاد



(١) خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .   (٢) فى ا ، ج : « وقال إذا » ، وفى ا ، ب : « رمت بتأجيجها » ، وفى ج : « رامت بتأجيجها » . والمثبت كله رواية خلاصة الأثر .

١٢١

السيد عطاء الله الصادق *

هو للذى قبله نَسِيب ، يتناسب فيه مَدْح ونَسِيب .

صحيفة مجده للخير قابلة ، ونسخةُ مَحْتِده صحيحةٌ مُقابَلة .

إذا قال صدَق ، وإذا استُمْطِر غدِق .

تعاطَى المَسَرّة صِرْفا ، واتّخذ المَجَرّة مَدًى والعَيُّوق[1] طِرْفا .

***

وله أدب مُشَعْشَع مُرَوّق[2] ، وشعرٌ به جِيدُ الدهر مُطوَّق .

أُثبتُ منه ما يَنْساغ انْسياغ الرَّحيق ، ويُزْرِى بدُرَر الثَّنايا فى اللُّمَان والبرِيق .

فمنه قوله :

أقسمتُ ما لاح بَرْقٌ من ثَنايِاكِ ... إلّا وسَحَّ سَحاباً طَرْفِىَ الباكِى[3]

وما تغنَّتْ حَماماتٌ على فَنَنٍ ... إلّا وجاوبَها بالنَّوْح مُضْناكِ

يا فتنةً قابلتْ بالصَّدِّ وُدَّ فتًى ... ما مال فى حبِّها يوماً لإشراكِ

(*) السيد عطاء الله بن محمود الصادق ، الحلبى ، القاضى .

أديب شاعر ، بديع الصنعة ، رقيق النادرة .

ولى القضاء فى عدة بلاد ، إلى أن وصل إلى قضاء الموصل .

توفى سنة إحدى وتسعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٦١ ، خلاصة الأثر ٣/١١٣ ، ١١٤ .

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها . القاموس (ع و ق) .

(٢) فى ا : « بروق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) سقطت الأبيات الثلاثة الأولى من هذه القصيدة من : ب ، وهى فى : ا ، ج .

إن غبْتِ عن ناظري ماغبتِ عن خَلَدِي ... وحيث كنتِ فإنَّ القلبَ مأواكِ

أبيتُ فيك أُراعِي النجمَ من قلَقٍ ... ما كنتُ أرْعَى نجومَ الأُفْقِ لَوْلاكِ

وفيك لي قد حلا خَلْعُ العِذارِ لما ... طربتُ عند سماعى وَصْفَ مَعْناكِ

يا شمسَ حُسْنٍ بليــلِ الشَّعرِ طالعةً ... لطَلْعةُ البدرِ جزءٌ من مُحيَّاكِ

كذاكَ للريمِ سهمٌ فيك من مُلَحٍ ... وللصَّباحِ نصيبٌ من ثَناياكِ

لم ألتفتْ لسواكِ غــيرَ مَن بهرتْ ... علومُه كلَّ ذِى فضلٍ وإدْراكِ

أخِى الفضائل مَنَّاحِ المسائلِ وهَّـ ... ـابِ الجزائلِ أمْنِ الخائفِ الشاكِى

مولًى بأعلَى أعالِى المجــد رُتْبتُه ... أضحتْ بأوْجِ المعــالى فوق أفلاكِ

به لقد نُسِختْ أخبارُ من درَجوا ... من الأكارمِ من عُرْبٍ وأتْراكِ

إن سادَ كلَّ الورى فضلا فلا عجَبٌ ... فإنه فَرْعُ أصــــلٍ طاهرٍ زاكِى

من قادةٍ ورِثوا العليــاء كلُّهمُ ... وأصبحوا للمعــالى أىَّ أمْلاكِ

ما منهمُ غيرُ نِحْريرٍ بمُصْطدَمِ الْـ ... أبحاثِ يلْقِى عليهــا أىَّ فتَّاكِ

فبدَّد المــالَ والأيامُ عابسةٌ ... روتْ أياديه عن بِشْرٍ وضَحَّاكِ[(١)]

بُعْداً لمَنْ رام يحْكيهمْ بفيْضِ نَدًى ... أيُشْبه الغيثُ إبراهــيمَ ذا الزَّاكِى

يا مُفْرَدَ العصرِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وألطفَ الناس فى فَهْمٍ وإدراكِ

حكاكَ فَيْضُ الحيا إذْ هلَّ منهملاً ... لدَى العطاء وليس الفضــلُ للحاكِى

بصَحْبِها سُفُنُ آمالٍ لديك سرَتْ ... فقــال جودُك بسمِ اللهِ مجْراكِ[(٢)]

لا زلْتَ ترْقَى المعالى دائمـــا أبداً ... على البريّةِ من إنْسٍ وأمْـــلاكِ

* * *

---

(١) فى ب : « فبذل المال » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب ، ج : « سفن آمالى » ، والمثبت فى : ا .

ومن بدائعه قوله ، وقد وَلِيَ قضاء الموصل[١] :

وَمُعَذَّرٍ حُلْوِ اللَّمَى قَبَّلْتُهُ ... نظرًا إلى ذاكَ الجمالِ الأوَّلِ

وطلبتُ منه وَصْلَهُ فأجابني ... ولَّى زمانُ تعطُّفِي وتدلُّلِي[٢]

نَضَبَتْ مِياهُ الحسنِ من خدِّي وقد ... ذهب الرُّوا من غصنِ قَدِّي الأعدلِ

قلتُ الحديقةُ ليس يكمل حسنُها ... إلَّا إذا حُفَّتْ بنبتٍ مُبْقِلِ[٣]

دَعْكَ اتَّبِعْ قولَ ابنَ مُنْقِذٍ طائعًا ... واعلمْ بأني صرتُ قاضِيَ الموصلِ

* * *

مراده بابن مُنْقِذ الأمير شرف الدولة أبو الفضل وقوله[٤] :

كتب العِذارُ على صحيفةِ خدِّه ... سطرًا يحيِّرُ ناظرَ المتأمِّلِ[٥]

بالغتُ في استخراجِه فوجدتُه ... لا رأيَ إلَّا رأيُ أهلِ الموصلِ

* * *

ورأيُ أهلِ الموصل[٦] هو الميل إلى ذوي اللِّحَى ، وتُنسب إليهم في هذا الباب مُبالغات .

وفيهم يقول أبو الوليد بن الجَنَّان الكِنانِيّ ، الشَّاطِبِيّ[٧] ، نزيل

---

(١) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣/ ١١٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٣٦١ نقلا عنه .

(٢) من أول هذا البيت إلى نهاية قوله : « جبلوا على حب الطراز الأول » الآتي ، ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

وفي ب : « تعلق وتدلل » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٣) في ا ، ب : « بنبت مقبل » ، والمثبت في خلاصة الأثر . (٤) لم أجد هذين البيتين لأسامة بن منقذ في ديوانه . وهما في : خلاصة الأثر ٣/ ١١٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٣٦١ نقلا عنه . والبيتان أيضا في معجم البلدان ٤/ ٦٨٤ دون نسبة إلى أسامة . (٥) في معجم البلدان : « سطرا يلوح لناظر المتأمل » .

(٦) انظر أيضا في رأي أهل الموصل ريحانة الألبا ١/ ١٠٠ ، ١٠١ .

(٧) فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد ، بن الجنان ، الكناني الشاطبي الحنفي .

ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة ، وانتقل إلى الشام ، فاتصل بالصاحب كمال الدين بن العديم ، وولده مجد الدين ، فاجتذباه ، ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة . =

دمشق[1] :

لله قوم يعشقون ذوى اللِّحَى ... لا يسألونَ عن السَّوادِ المُقبِلِ
وبمُهجتى قــومٌ وإنّى منهمُ ... جُبِلوا على حُبِّ الطِّرازِ الأوّلِ[2]

قوله : « الطراز الأول » ، يريد به العِذار أوّلَ ما يُبْقل ، وهو الذى يكنى عنه البلغاء بطراز الله[3] .

قال الصاحب بن عبّاد[4] :

رأيتُ عليّاً فى كمالِ جمــالِهِ ... فشاهدتُ منه الروضَ ثانِىَ مُزْنِهِ
ولما تبدَّى لى طِرازُ عِــذارِهِ ... رأيتُ طرازَ الله فى ثوبِ حُسنِهِ

* * *

وللسيد عطاء الله :

رأيتُ بخــدِّه الوَرْدىِّ خالاً ... فَمِتُّ المسك منه قد بدا لى
غزالُ الإنسِ ما فى ذاك بِدْعٌ ... فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ[5]

* * *

وكتب إلى السيد باكير بن النّقيب[6] ، ملغزاً فى اسم أحمد :

= وكان أديبا فاضلا وشاعرا محسنا .
توفى سنة خمس وسبعين وستمائة .
بغية الوعاة ١ / ١١٢ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٢١ ، المغرب فى حلى المغرب ٢ / ٣٨٣ ، نفح الطيب ٢ / ٣٢١ .
وانظر فى ضبط « الجنان » القاموس (ج ن ن) .

(١) البيتان فى نفح الطيب ٢ / ٣٢٣ . (٢) آخر الساقط من : ج ، والذى تقدمت الإشارة إليه فى صفحة ٥٩٤ .

(٣) انظر فى قولهم « طراز الله » ثمار القلوب ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) ديوان الصاحب ٢٩٨ .

(٥) من قول أبى الطيب :

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم ... فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

ديوانه ٢٥٨ .

(٦) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٥٤٩ ، برقم ١١٦ .

يا ابنَ مَن أكسبَ الفضائلَ فى شَهْـ ... ـبائنا والعُلَى سَنَاءً ومَجْدا

ما اسمُ شىءٍ حروفُه عددُ الأيا ... مِ إن رُمْتَه حساباً وعَدّا

وهو اسمٌ نَفَى المهيمنُ عنه ... فى الكتابِ العزيزِ أن يُفدَّى[1]

صدرُه حاجبٌ لمن كنتَ من خدْ ... ـيهِ قبلَ الصدودِ أقطفُ وَرْدا

وبِليه شمسٌ فميقاتُ مَن فى ... حالكاتِ الظلامِ آنَسَ رُشْدا

وله أولُ الهدى كلَّ وقتٍ ... آخِرٌ إن يكُنْ بلفظك فَرْدا

ومِن دُونه إذا صحَّفوه ... يستميلُ النفوسَ أنَّى تبدَّى

واقلِبِ النصفَ منه تنظُره عن ... كلِّ همامٍ يروِى علاءً ومجدا

فأجِبْ عنه وابقَ فى ظلِّ عيشٍ ... كلُّ مدحٍ إلى جنابك يُهْدَى



---

(١) كذا فى الأصول .

١٢٢

السيد محمد التقوى*

التقوىُّ نسبَه علوِىٌّ ، وهو طبيبٌ طبُّه نبوِىٌّ .

وله فكرة فى تدْبير الأشيا ، تكاد تردُّ ضوء الشمس للأفْيا .

فحِكمتُه إشراقيَّةٌ مُفيضة ، وبصيرتُه شفَّافة مُستريضَة .

فلو عالج البروقَ لأزال خفَقانَها ، أو الشمس[(١)] عند الغروب لأذْهب يَرقانَها .

أو البدرَ لما وجد المُحاقُ إليه سبيلا ، أو النهارَ لكان له على خلاصه من الليل قَبيلا .

فتفرُّسه أوضحُ من النجوم لبطليموس ، ورأيه إلى رأى جالينوس كالعاج عند الآبنُوس .

فما سرَى ذهنُه فى استدْفاع مرضٍ يقتضيه ، إلّا وكانت الصحةُ مُمتثِلةً مايأمرُ به وطَوْعَ مايرْتضيه .

فكأن فكرتَه تمازِج من العليل جسماً ورُوحا ، فيظن من توْفيقه الذى أُوتيَه أنه وحىٌ إليه يُوحَى .

* * *

(*) السيد محمد التقوى الحلبى .

فاضل أديب ، حكيم بارع .

أخذ عنه السيد عبدالله حجازى ، وذكر أن الناس تكلموا فى اعتقاده .

توفى سنة إحدى وستين وألف بإسحقلى ، قريب من قونيه ، وهو راجع من قسطنطينية .

إعلام النبلاء ٦/٣٠٠ — ٣٠٥ ، خلاصة الأثر ٤/٣٠٤ — ٣٠٦ .

(١) فى ا ، ج : « والشمس » ، والمثبت فى : ب .

وله من الكلام الذى تُخالط أجزاء القلوب رقّتُه ، وتغمُض عن أوهام الأفكار دِقّتُه .

مالو خُوطب به الأخرسُ تكلّمَ ، أو عُلِّم به الطيرُ فنونَ العبارات لتعلّمَ .

وقد أوردتُ له مايتخذه لمرضِ الدهر علاجا ، ويَسْتضىء به فجرُ المعارف تعرُّضا وانبلاجا .

فمنه قوله(١) :

سرتْ والليلُ محلولُ الوِشاحِ ... ونَسْرُ الجوِّ مبلولُ الجناحِ

وعِقْدُ الزهرِ منتظمُ الدَّرارِى ... كثغرِ البيض يبسِم عن أقاحِ (٢)

وزاهِى الروضِ أسْفَر عن زهورٍ ... بها ظمأٌ إلى ماء الصباحِ

كأن كواكبَ الظَّلْماء رُومٌ ... على دُهْمٍ تهُبُّ إلى الكفاحِ

إذا انْعكستْ أشِعتُها تردّتْ ... على صفحاتِ غُدرانِ البِطاحِ

تحاول سَتْرَ مَسْراها بوهْنٍ ... وقد أرِجتْ بريَّاها النَّواحِى

فواعجَبا أتخفَى وهو بدرٌ ... وشمسٌ فى الحظائرِ والضَّواحِى (٣)

أما علمتْ عبيرَ المسك منها ... ينِمُّ بها إلى واشٍ ولاحِ

مُهفْهفة يَغارُ البدرُ منها ... ويُخجِل قدُّها هِيفَ الرماحِ

تمازَج حبُّها بدمى وروحِى ... مِزاجَ الرَّاحِ بالماء القَراحِ

فأصبح فى المَلا طبْعى وخُلْقِى ... دَمًا فى الطبعِ عنه بلا بَراحِ (٤)

كأنَّ الله لم يخلُق فؤادى ... لغيرِ الوجدِ بالخودِ الرَّداحِ (٥)

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/٣٠٥ ، ٣٠٦ ، إعلام النبلاء ٦/٣٠١ ، ٣٠٢ نقلا عنه .

(٢) فى ب : « وعقد الدهر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فى الحظائر والضواحى » .

(٤) فى ب : « وما فى الطبع » ، وفى خلاصة الأثر : « وما فى الطبع عنه من براح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) الرداح : الثقيلة الأوراك .

أحِنُّ إلى هَواها وهْو حَتْفِي ... كما حَنَّ السقيمُ إلى الصلاحِ

وأصْبُو والصبابةُ برَّحتْنِي ... وأثْخلتِ الجوارحَ بالـبَراحِ

فلولا الطيرُ يمسك من خيالى ... لطار من النُّحول مع الرِّياحِ [1]

أبُثُّ لطَرْفِها شكْوَى غرامى ... وهل يشكو الجريحُ إلى السِّلاحِ

وأطمع أن يُزايلنى هَواها ... وهل حَذَرٌ من المقدورِ ماحِ

فلا تأوِ لكَسْرةِ ناظِريْهـا ... فكم أوْدَتْ بألْبابٍ صِحاحِ

أفِقْ ياقلبُ ليس الحبُّ سهلا ... فكم جِدٍّ تولّد من مِزاحِ [2]

رُوَيْدَك كم تبيتُ تئنُّ وَجدًا ... كما أنّ الطعينُ من الجراحِ

وقائلةٍ أرى نجْما تبـدَّى ... بليلٍ عوارضٍ كالصبحِ ضَاحِ

أبَعْدَ الشَّيْب تمرَح بالتَّصابى ... وتمْرحُ فى بُرودِ الإفتضاحِ

فمـا ماضِى الشَّبيبة مُسْتردٌّ ... ولا الخسرانُ يسمحُ بالرَّباحِ

فدَعْ حبَّ الغوانِى فهْو غَيٌّ ... وتفْنيدٌ يحِيـدُ عن الفلاحِ

* * *

وله من قصيدة يمتدح بها الوزير نصوح [3]، ومستهلها [4]:

حيَّاكِ سَرْحةَ دارةِ الآرامِ ... وحَباكِ ديمـةُ مُزْنةٍ وغَمامِ

إلى أن قال فيها:

ذاكَ النصوحُ أبو الوزارة مَن رَقَى ... فَلَكَ العُلى وعلا على بَهْرامِ

---

(١) فى خلاصة الأثر: « فلولا الطمر ».

(٢) فى خلاصة الأثر: « أفق يا حب ». (٣) تولى نصوح باشا كفالة حلب بعد سنة سبع بعد الألف، وكان متفذا فى حكمه، عسوفا، قوى النفس، شديد البأس.

وتولى الوزارة العظمى والسردارية، وجاءه الختم سنة عشرين وألف، وزوجه السلطان ابنته، ثم قتله سنة ثلاث وعشرين وألف.

خلاصة الأثر ٤/٤٤٨ ـ ٤٥١.

(٤) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٤/٣٠٤، ٣٠٥، إعلام النبلاء ٦/٣٠٠، ٣٠١، نقلا عنه.

ومنها :

تَجْرِى الأمورُ بوَفْق مايَخْتـارُه ... ويُطِيعه العاصِى بكلِّ مَرامِ

فكأنّما الأقدارُ طَوْعُ يمينـهِ ... بعد المُهيْمِن فى قضا الأحكامِ

قُطْبٌ تدور عليـه دولةُ أحمـدٍ ... مَلَكَ الدُّنَا بالحَلِّ والإبْرامِ [1]

هابَتْه أنفاسُ النفوسِ بأسْرِها ... فى الناس بعـد العالِم العَلّامِ

ولِبأسِ شِدّته الأسودُ تشرّدتْ ... ونستّرتْ فى الغابِ والآجامِ

منها :

يَلْقَـاكَ بالبِشْرِ الذى مِن نَشْرِه ... رِيحُ المُنَى يسْرِى بطِيب مَشامِ [2]

بخلائقٍ تـكْسو الرياضَ خلائقاً ... فتضِيـعُ ريّاً مَنْدَلٍ وخُزامِ

ويُرِيك من رِضْوان عَدْلٍ جَنّةً ... فيها لحَرْبِ البَغْىِ أىُّ ضِرامِ [3]

منها :

يأيها الطَّوْدُ العظيمُ وصاحبَ الطَّـ ... ـوْلِ الجسيمِ وجَوْشَنَ الإسلامِ

أَلْبِسْتَ من حُلَل الصَّدارة خِلْعةً ... قنِـع الأُلَى منها بطَيْفِ مَنامِ

مادار فى فَلَكِ المُــدِيرِ مَدارُه ... إلا لِحُبْلاكِ وَدَّ دَوْرَ حِزامِ [4]

ماأوْكبتْ زُهْرُ الدجى بكواكبٍ ... إلا لنصْرِكَ فى أَلَدِّ خصـامِ

إلى أن قال فى آخرها :

كتبتْ مدائحَكَ الليالِى أسطُراً ... تبْقَى بقِيتَ على مدى الأيّامِ

***

(١) فى الأصول : « بالحل والإبرام » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بطيب بشام » . (٣) فى خلاصة الأثر : « نار ضرام » .

(٤) لم يرد عجز هذا البيت وصدر التالى له فى خلاصة الأثر .

وله [1] :

قَد جدَّد الشوق الجديدَ خيالُكمْ بجوارِحى وضمائِرِى وسَرائِرِى [2]

فإذا نظرتُ إلى الوجودِ رأيتُكمْ فى كلّ موجودٍ عَيانَ الخاطرِ

* * *

وله [3] :

قد قسّم الحبُّ جسمى فى محبّتكمْ حتى تجزّى بحيث الجسمُ ينقسمُ

وما تصوّرتُ مَوْجوداً ومنعدِماً إلا خيالكمُ الموجودُ والعدمُ

ما إن نثرتُ دموعَ القطْرِ من حُرَقٍ إلا تحققتكم فى القَطْرِ مازعمُوا [4]

*

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/ ٣٠٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٣٠٠ ، نقلا عنه .

(٢) فى خلاصة الأثر : « الشوق الشديد » .

(٣) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤/ ٣٠٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٣٠٠ ، نقلا عنه .

(٤) فى ب : « بالقطر مازعموا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ولم يرد البيت فى : خلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء .

١٢٣

السيد أسْعد بن البَتْرُونى *

رَيْحانة جاذَبَتْها أيدى الصَّبا ، فلم تزل غضَّةَ المَهزّ من عهد الصِّبا .

وحضرة عليها للجِنان صُوَر ، تشِفُّ عن كُحل فى عيون الغِيد وحَوَر .

صافى الطبع كالزجاج فى نَقائه ، منتظِم العِشْرة كالسِّلك إذا اتَّسَق جوهرُه وجِيد فى انْتقائه .

وهو فى الأدب جامعُ نوادر وشوارِد ، يزِينها بجمال المُشترِى وظَرْف عُطارِد .

تعوَّدتْ غَصْبَ العقولِ نِكاتُه البديعة ، كأنَّ لها عند كل قلبٍ من قلوب الرجال وَدِيعَة .

وكنت وأنا بالروم نعِمتُ بدُنوّه ، واستنشقت علىَّ نسماتُ مَودَّته وحُنوّه .

فى عهد أشْهَى للجَفْن من لذة هُجُوعه ، وألذّ من بِشارةِ الشيخ بعَوْدِه صِباه ورجُوعه .

(*) السيد أسعد بن عبد الرحمن بن أبى الجود البترونى ، الحلبى .
قرأ وتأدب فى موطنه ، ثم خرج فى صباه إلى الروم فسلك طريق القضاء .
ودخل دمشق ، ومصر ، وحظى فى دنياه كثيرا .
وسمت همته حتى ولى إفتاء الحنفية بحلب ، عن مفتيها محمد بن حسن الكواكبى ، مدة يسيرة .
وترقى فى مناصب القضاء ، حتى ولى أرقاها .
وهو شاعر مطبوع ، إلا أن شعره قليل ، وأغلبه فى الهجاء .
وابتلى فى آخر أمره بمرض المرافيا ، ومهر فى الطب عن طريق مراجعته الأطباء ، وتوفى بقسطنطينية ، ودفن بها ، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٣٧٤ – ٣٧٦ ، خلاصة الأثر ١/٣٩٩ – ٤٠٢ .
والبترونى ، بفتح الباء الموحدة وسكون التاء المثناة ثم راء وواو ونون : نسبة إلى البترون ، بلدة بالقرب من طرابلس الشام .
خلاصة الأثر ١/١١ .

وهو مع أنه جاوز العشرةَ التي تسمِّيها العرب دَقَّاقةَ الرِّقاب ، كثيرُ التلفُّت لجمع شملِ اللهو والارْتقاب .

إلى أن اعْترضَه آخرَ أمره مرض ، دام إلى أن انْطوى عمرُه (١) وانقرض .

وأحسَب أنَّ الله أراد به تـكْفير سيِّئاته ، وتمْحيصَه من فَرَطاتٍ سلبتْ كثيراً من حسناتِه .

***

وقد أوردتُ من شعره ما أحْدقتْ به المحاسن إحْداقا ، ونبَّه لزَهَرات الروض أعيُنًا وأحْداقا .

فمنه قوله ، من قصيدة كتبها إلى السيد موسى الرَّامَحْمَدانيّ :

قد حلَّ أمرٌ عجبُ   شيْبٌ بفَوْدِي يلعبُ (٢)

نجومُـــه لا تغربُ   فأينَ أينَ المهــربُ

أرجـــو بقاءً معه   ما أنا إلَّا أشْعبُ

هذا الشبابُ قد مضى   وبان مـــنِّي الأطْيبُ

هل عيشةٌ تصْفو لمن   قد غاب عنه الطربُ (٣)

دهـــرٌ أرانا عجبًا   وكلُّ يومٍ رجبُ

أندُبُ أيامًا مضتْ   فيها صَفا لى المشربُ (٤)

فى حلَبٍ بســادةٍ   قد خـــدمتْهم رُتَبُ

من كلِّ سمحٍ ماجدٍ   تخجَل منـــه السُّحبُ

---

(١) فى ا ، ج : « وعمره » ، والمثبت فى : ب .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٤٦٧ ، برقم ١١١ .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٣٩٩ ، ٤٠٠ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٤ ، ٣٧٥ ، نقلا عنه .

(٣) فى خلاصة الأثر : « قد غاب عنه الطرب » .

(٤) فى ا : « أندبه أياما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

أفناهمُ الموتُ الذى	لـكلّ بِكْرٍ يخطبُ
وما بهـــا مِن بعدهمْ	مَنْ المعالى يُنسَبُ
سوى جَهولٍ سِفْلةٍ	عن كلّ فَضْلٍ يُحجبُ
وهْـــو إذا أمّلتَه	كلبٌ عَقُـــورٌ كَلِبُ
أستغفرُ اللهَ بهـــا	أستاذُنا المهـذَّبُ
مُوسى الذى لفضْـــلِه	مُـــدَّ رُواقٌ مُذْهَبُ
حَلّال كلّ مُشكِلٍ	وحاتمٌ إذ يَهَبُ
وإن جرى فى حكمٍ	تخالُ فينا يخطبُ (١)
وقد حَـــوى معاليًا	تنحـــطُّ عنها الشُّهبُ
مِن ســـادةٍ أحسابُهمْ	تنطِق عنها الـكتبُ
مولاىَ أشكُو غربةً	طالتْ وعزّ المطلبُ
وتحت أذيالِ الدجى	حامـــلةٌ لا تنْجبُ
إلّا بأولاد الزنى	هـــذا لعَمْرى المعجبُ
إليكها خَريـــدةٌ	مَنالُهـــا مُستصعَبُ
جآذرُ الرومِ لهـــا	تسجدُ أو تنتسِبُ (٢)
واسْـــلمْ ودُم فى رفعةٍ	للسّعد فيها كوكبُ (٣)
ما حرّكتْ مُتـــيَّمًا	وَرْقاءُ حين تندُبُ

* * *

(١) رواية خلاصة الأثر ، وهى أولى :

وإن جرى فى محكمٍ يُخال قسًّا يخطبُ

(٢) فى خلاصة الأثر : « تسجد أو تنتسب » . (٣) فى خلاصة الأثر : « فاسلم » .

فراجعه بقوله[1] :

ما الكونُ إلا عجبُ فمنه لا يُستعجَبُ[2]
أعمارُنا تُنتهَبُ يوماً فيوماً تذهبُ
ونحن نلهو أبداً في غفلةٍ ونلعبُ
أوّاهُ من يومٍ يجي ء شمسُه لا تغرُبُ[3]
صائلةٌ فيه المَنَى يا صولةً لا تغلَبُ[4]
تخطو على أرواحِنا فأين أين المهربُ[5]
تبّاً لدُنْيانا التي لم يصْفُ فيها المشربُ
كم سيّدٍ غرّتْ به وَاراه لحدٌ أحْدبُ
للدُّودِ فيه مرتَعٌ وللهَوامِّ ملعبُ
والويلُ يومَ العَرْضِ إنْ لم ينْجُ منه المُذنبُ[6]
ومن لظَى نارٍ بها أجسادُنا تلْتهبُ[7]
لا عملٌ يُرْجى ولا غوثٌ إليه ينسَبُ
إلا الكريمُ ربُّنا ومن به نحْتسبُ
ثم الشفيعُ مَن إلى جَنابِه ننتسبُ
محمدٌ خيرُ الورَى مقصِدُنا والمطلبُ

---

(١) قصيدة السيد موسى الرامحمداني في : خلاصة الأثر ١/٤٠٠ ، ٤٠١ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٥ ، ٣٧٦ ، نقلا عنه.

(٢) في خلاصة الأثر : « ما الدهر . . . لا تستعجب ».

(٣) في خلاصة الأثر : « يجي * وشمسه . . . ».

(٤) المَنى : الموت، ولعله أراد « المنى » بالضم جمع «منية». وفي ا : «صائلة فينا» ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر. وفي الخلاصة : «بصولة».

(٥) في خلاصة الأثر : « تسطو على أرواحنا ».

(٦) في خلاصة الأثر : « منا المذنب ».

(٧) في ا : « أجسادنا تلهب » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.

الحكمُ للهِ فلا يـكون ما لا يُكتَبُ

والخيرُ فيما اختارَه حتماً علينا يَجِبُ

نَسْأله يُبْقِى لنا سيِّدَنا المهذَّبُ

أسعدُ من ساد الورَى به وسادَ العربُ (١)

جوهرةُ العِقْد الذى جوهرُه المنتخَبُ

نجلُ الأُلَى تجمَّلتْ بهم قديماً حلَبُ

حِلْماً وعِلماً وتُقًى وحسبٌ ونسَبُ

يخجل من أخلاقِهِ زَهرٌ سقتْه السُّحُبُ

ومن جميلِ صُنْعِهِ له المعالى تخطُبُ (٢)

طَلْقُ المُحيَّا فكلُّه مُبجَّلٌ مُحبَّبُ (٣)

ولُطْفُ أنفاس الصَّبا إلى عُلاه يُنسَبُ

ومن إلى الجدِى [illegible] عاديه فلا يُصوَّبُ

زيد بَنانا كفّه إذ ضاق عمَّا يهَبُ (٤)

فسَيْبُ صوْبِ جُودِهِ يخجل منه الصَّيِّبُ

لم يحْلُ خِلٌّ غيرُه مُودَّدٌ مُحبَّبُ

❊ ❊ ❊

قلت : لم أرَ من وصف الإصبع الزائدة هذا الوصف البديع ، وبعضهم جعلها علامة الحرص ، حيث قال :

انظُر إليه لشدَّةِ الحرصِ زِيد بَنانًا فزاد فى النَّقْصِ

---

(١) فى ا : «يسود الورى» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.

(٢) فى ب : «له المعانى تخاطب» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر. (٣) فى خلاصة الأثر : «طلق المحيا بهيج».

(٤) فى خلاصة الأثر : «أن ضاق عما يهب».

ومن هنا تعلم سرَّ قولهم :

كم من زيادةٍ فيها نُقْصان فائدهْ كاليد تنقُصها الإصبعُ الزّائدهْ

وكان الأستاذ أبو بكر الطَّبَرِيّ ، يقول : الزيادةُ تُؤدِّى إلى النقصان ، والمثلُ فيها جارٍ على كل لسان .

ولذلك قيل : صَبْوة العفيف ، وسَطْوة الحليم ، وضربة الجبان ، وجواب السِّكِّيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخَصِيّ ، وظَرْف الأعرابيّ .

* * *

ومن شعر السيد أسعد ، قوله فى الشيب :

أبَعْدَ الأربعين خِضابُ شَيْبٍ أرُوم به مُواصـلةَ الغوانِى

وأرجو أن أكونَ به فَتِيًّا فهذا من أكاذيب الأمانِى

فَوا أسفِى على زمنٍ تقضَّى سَماعِى فيه قَهْقَهةُ القَنانِى

١٢٤

السيد حسين النّبهانيّ*

أديب بشَرْطِه ، الموجب لحموله وحطّه .

فما نقص من حظّه ، زِيد فى خطّه .

سَرُوجيّ[1] المَذْهَب ، ذاهبٌ فى التلوُّن كلَّ مَذْهَب .

لا يهبط بلدًا إلا أبدَى أعجوبَة محجوبة ، وبنى دَسْته على حيلةٍ منصوبة ، ⟨وحِدْأة مغصوبة⟩[2] .

ثم يفارقُه مُفارقةَ لَبَد[3] ، ويقول : ﴿لا أُقسِمُ بِهذَا البَلَدِ﴾[4] .

وقد رأيتُه بالرُّوم وجهُه[5] أغبَر ، وهمُّه من وعائه أكبر .

يظهر كلَّ يوم فى نَمَط ، وحيثما سقط لقط .

وعاشَر ممن أعرف فرقةً رُفْقة ، أدّاه خِلال حاله معهم إلى فُرْقة وحُرْقة .

وتلاعبتْ به الظُّنون فى ذلك الفريق ، تلاعبَ موْج البحر الْمُهتاج بالغريق .

وبقىَ أنْقَى من الرَّاحة ، شاكيا بلسان كَمَدِه مَغْداه ومَراحَه .

وفارقْتُه وهو مُنغمِر فى تلك الأوْحال ، وتبْرِيحُه مابرِح وحالُه ماحَال .

ثم بلغنى أنه انتعَش ، فكانت[6] نَعْشتَه[7] النعشةَ الأخيرة ، وأدركه أجلُه الذى نَفَى الحكيمُ تقديمَه وتأخيرَه .

(*) ترجمه الطباخ فى إعلام النبلاء ٦ /٤٠٨ ـــ ٤١٠ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه ممن توفى آخر القرن الحادى عشر .

(١) نسبة إلى أبى زيد السروجى ، المذكور فى المقامات .

(٢) زيادة من : ا ، على ما فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

(٣) لبد : آخر نسور لقمان . انظر خبره فى القاموس (ل ب د) .

(٤) أول سورة البلد .

(٥) فى ب : « وجوه » ، وفى ج : « ووجهه » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء .

(٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء .

(٧) فى ب : « نعشة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء .

وهو بارع فى النِّظام والنِّثار ، إلا أنه يُرْمَى فى شعرِه بالإكْثار .
ولكونِ (1) الكثير (2) مملولَ الطِّباع ، لم أذكُر منه إلاّ نَزْراً سهل الانطباع .
فمنه قوله ، من قصيدة فى المدح :

العلمُ والحلمُ والمعروفُ والجودُ ... وكلُّ وصفٍ حميدٍ فيك موجودُ
حويتَ ذلك إرْثاً عن أبٍ فأبٍ ... كأنكمْ فى رياض المجد عنقودُ (3)
يامَن بِسُؤْدده أعداؤه شهدتْ ... وكيف لا وهو مشهورٌ ومشهودُ
فى العَطا تُغرِق الدنيا بأجمعها ... وفى السَّطا تتوقّاك الصَّناديدُ
حاشاك تحرِم عبداً مات من ظَمأٍ ... ومَنْهلُ الجودِ من كفَّيْك مورودُ
لاسيّمَا أن لى حقَّ الجوارِ ولى ... فى كلِّ آنٍ بمَدْحى فيك تغريدُ
وما تقادَم عهدِى فى الدُّعا لكمُ ... إلاَّ ويعقبُه فى الحال تجديدُ
ولم يجاوِرْ كريماً قطُّ ذُو أملٍ ... إلَّا غدا وهْو من نعْماه محسودُ
لكنَّ حالِىَ لم يعلمْ بها أحدٌ ... إذْ لا يُحيط بها رَسْمٌ وتحديدُ

***

وأنشدنى نادرةُ الوقت المولى عارف (4) للنَّبْهانِىّ ، يمدحه :

أنا فى التَّباعُدِ والدُّنُوّ ... أرجو لمولانا العُلُوّ
أبدًا ترانى رافعاً ... كفِّى إلى ربٍّ عَفُوّ
أدْعوه فى سرٍّ وجَهْـ ... ـرٍ أن يُدِيمك فى السُّمُوّ
فيما يُسَرُّ به الصديـ ... ـقُ وما يُساء به العدُوّ
ياعارفاً هو المعا ... رفِ بالعشىِّ وبالغُدُوّ

(1) فى ا : « ولكن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء . (2) فى إعلام النبلاء : « التكثير » .
(3) فى ا : « فى رياض الجد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .
(4) تأتى ترجمته ، فى الباب الثالث ، برقم ١٤١ .

بل للفضائلِ والعَوا ... ضلِ والفُتوّة والمُرُوّ

مَن دأْبُه بَثُّ المَكا ... رمِ والحفيظةِ والحُنُوّ

مَن سيفُه ثُكْلُ العِدا ... ةِ وسَيْبُه حُورٌ وحُوّ[1]

وبذِكْرِه طاب المدِيـ ... ـحُ أما تراهُ فى زُهُوّ

مولاىَ يامَن فضلُه ... ما إن رأيتُ له كُفُوّ

هذِى العُجالة قد أتتْ ... ـكَ تعوذُ من طَرْف السُّلُوّ

وتَميسُ فى حُلَل الفصا ... حةِ بالملاحةِ والدُّنُوّ

نَطقتْ بما يَحْوى الحَشَا ... لا بالتّقوُّل والغُلُوّ[2]

وهىَ التى لو رامَها ... قُسٌّ رمَتْه بالنُّبُوّ

اسلَمْ ودُمْ تسمُو على ... شُمِّ الذُّرى أسْمَى السُّمُوّ

---

(١) حو : من قولهم شفة حواء ، أى حمراء إلى السواد . القاموس (ح و و) .

(٢) فى ا : « لا بالتقول » ، وفى ب : « لا بالتقول » ، والمثبت فى : ج ، وإعلام النبلاء .

١٢٥

القاضى ناصر الدين الحلفاوىّ

حليفُ أدب وأرَب ، وأليف جذَل وطرَب .

ورَوْنق روض ناضر ، وتُحفةُ جواب حاضر .

وقد طالت فى الفضل باعُه ، وأُشربتْ حُبَّ الأدب طباعُه .

فذهب فى مَجاله عَرْضا وطولا ، وأصبح فيه وهو صاحب يد طُولَى .

تَرِدُ أربابُه عليه ، ويرجعون فى دَعاويهم إليه .

فتُعرب براعتُه عن فصل خِطاب ، وتُسفر حُكومته عن ثناء مُستطاب .

وهو خالصٌ من الشَّوْب ، طاهرُ العِرض والثوب .

نقىُّ الشَّيْبة ، ممتزج المُباسطة بالهيْبة .

تُوُفِّىَ عن سنٍّ عالية ، وحالته بالرفاهية حالية .

***

وقد أثبتُّ من شعره ما سهل مَساقُه ، وأُحكِم فى الصنعة اتّساقُه .

فمنه قوله من سلسلة ، أولها :

يامعتدلَ القدِّ هل لوعْدك إنجازْ أو طيفُ خيال يُلِمُّ نحوىَ إنْ جازْ

ترنُو بلحاظٍ لهنَّ فعلُ مَواضٍ فى القلبِ وتسطُو من القَوام بهزّازْ

فالشوقُ غريمى والفكرُ فيه نديمى والدمعُ حميمى وفى اصْطبارىَ إعْوازْ

لم تحكِ مُحيّاه فاحتجبْ بغمامٍ يابدرُ فحبِّى مدى الملاحةِ قد حازْ

ياعاذلا هلّا تركْتنى وغرامى ما كنتُ لأُصغِى إلى نصيحةِ همّازْ

يامن ملكَ الحسنَ فى الأنامِ جميعاً ... مأسْعد صبًّا بطِيبِ وصلِك لو فازْ

قلبى بك لاهٍ وعقْد صَبْرِى وَاهٍ ... إذْ وجهك زاهٍ وطرفُ لحظِك غمّازْ

نظمتُ جُمَانَ البديع فيك عقودًا ... ياحُسْنَ نِظامٍ أتَى بأبْدع إبْرازْ

قسمتُ وجودِى لمَّا جمعتَ صدودًا ... والبَيْنَ فهل حلَّ ماصنعْتُ وجازْ(1)

* * *

وقوله مُحاجِيا :

يا كاملَ الفضْلِ فى المعـــانِى ... وللأحاجِى غــــدا يُعانِى

امْنُنْ بردِّ الجواب فضْـــلًا ... مامثلُ قولى ألمى جَفـــانِى



(1) فى ا : « لا جمعت صدودا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٢٦

محمد بن تاج الدين الكُورَانى*

أديب لبيب ، مليح التّشْبيه والتشْبِيب .

لحق من الأدب مالم يُلْحَق ، وانفرد بأشياء كأنها لم تُخلَق .

وله المجد الطامح ، إلى مافوق الأعْزل والرّامح[١] .

على انْتهاضٍ بين أكْفائه ، وشهرةٍ فى تنبُّهه وإغفائه .

إلا أن عمرَ سروره قصير ، والدهرُ بتفْريق المجتمِع بصير .

***

وقد أثبتُّ له مايقْطر من ماء الظّرْف ، وتتمتّع به الرّوح قبل الطّرف .

فمن ذلك قوله فى الغزل :

طرقْتُ ديارَ الحىِّ والليلُ حالكٌ ... طُروقَ فتًى لايخْتشِى الدهرَ من ضُرِّ

وخُضتُ بحارَ الموت والموتُ حائمٌ ... كحَوْمة نَسْرِ الأُفْق فيها على وَكْرِ

ودُستُ بِساطَ الأُجمِ عمدًا وأسْدُها ... توقّد منها الأعْيُن الحُمْر كالجمرِ

(*) محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي .

وفى إعلام النبلاء نقلا عن العرضى : محمد تاج الدين بن محيي الدين الكوراني .

كان أبوه وجده من زمرة العدول ، ولهما الدراية فى التوريق ، وكتابة الصكوك ، وقد أربى عليهما بصناعة الشعر .

سافر الكوراني إلى دار السلطنة مرات ، وانتظم فى سلك القضاة ، وفى سفرته الأخيرة تولى قضاء سرمين ، وباغته الأجل وهو عليها .

ولم يحدد العرضى ولا المحبي سنة وفاته .

إعلام النبلاء ٦/٣٨٥ ، ٣٨٦ ، خلاصة الأثر ١/١٢٤ .

وكوران التى ينسب إليها ، قرية من قرى أسفرايين . معجم البلدان ٤/٣١٩ .

(١) يعنى السماكين .

إلى أن أتيتُ الحىَّ نحو خِباءِ مَن ... أراشتْ فؤادِى من لواحظِها الفتْرِ

فلم ألقَ إلا صَعْـــدةً سَمْهرِيَّةً ... عليها مُحيًّا منه يبدو سَنا البدرِ (١)

عَرضتُ لها عُذْرِى وأظهرتُ ماحوَى ... جوَى مُهجتى من مُحكماتِ هوى العُذْرِى

فرقَّتْ وراقتْ وانثنَتْ وتعطَّفتْ ... وحيَّتْ فأحيتْ ميِّتَ الشوقِ والصبرِ

وجادتْ بجيدٍ للتَّدانى وأرْشفتْ ... رُضاباً رَحِيقياً ينُوب عن الخمْرِ (٢)

وبتْنا وقلبُ البرقِ يخفِق غَيْرةً ... علينا وعينُ النجمِ تنظُر عن شَذْرِ

***

البيت الأخير مضمَّن من رائيَّة ابن خَفاجة (٣) ، وقبله :

ودون طُروقِ الحىِّ خَوْضةُ فتكةٍ ... مُوَرَّسَةِ السِّرْبالِ داميـــةِ الظُّفْرِ

تطلَّع من فَرْعٍ من النَّقْعِ أسودٍ ... وتُسْفِر عن خدٍّ من السيفِ مُحْمَرِّ (٤)

فسِرْتُ وقلبُ البرقِ يخفِق غَيْرةً ... هناك وعينُ النجمِ تنْظُر عن شَذْرِ

***

وله فى مُعذَّرٍ اصْطَبح الوردَ واغتبق بوجنتيه ، وقلم (٥) الرَّيْحان مَشَق (٦) فوق عارِضَيْه :

بدَا بدْراً بآياتِ الـــكمالِ ... مليحٌ قد تفرَّد بالجمـــالِ

تخيَّـــل ناظرِى فى وجْنتيه ... مِثالاً كالعِذارِ بلا مِثـــالِ

فقلتُ له وعِقْدُ الصـــبرِ منِّى ... لدَهْشة ناظرِىَّ فى انْحـــلالِ

---

(١) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة ، والسمهرى : الرمح الصلب ، منسوب إلى سمهر ، زوج ردينة وكانا مثقفين للرماح ، أو إلى بلدة بالحبشة . القاموس (س م هـ ر) .

(٢) فى ا : « رضابا رحيقا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) رائية ابن خفاجة فى ديوانه ٤٩ ، ٥٠ ، وهى أيضا فى ريحانة الألبا ٢ / ٤٧٠ ــ ٤٧٢ .

(٤) فى الديوان : « تطلع فى فرع » . (٥) فى ا : « وقلب » ، والصواب فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « مشف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

عقيـــدةُ مطلبِي هل ذاك ثبتٌ   أبِنْ لى قال حاشيةُ الخيـــالِ

***

قلت : هذه الحاشية ، عليها[1] خيال الخيالِيّ[2] على « الحاشية » .

وأول من عبّر بهذه العبارة فيما أعلم ابن النَّبيهِ ، فى قوله[3] :

كأن ذاك العِذارَ حاشيةٌ   خرَّجها كاتبٌ لِنِسْيانِهْ[4]

ثم تصرفت[5] فيها الشعراء على حسب خيالاتهم ، حتى جاء العُسَيْلِيّ المصرىّ[6] ، فقال[7] :

صحيفةُ الخـــدِّ التى   للحُسْنِ فيهـــا صُوَرُ[8]

مُذ حُشِيتْ بعـــارضٍ   لم يَبْقَ فيهـــا نَظَـرُ

ومن هنا أنظر قولى ، مع قول الكُورَانِىّ ، والعُسَيْلِيّ :

فى حاشيةِ الكَمالِ من عارضِ   دَوْرٌ وتسَلْسُل ولى فيه نَظَرْ

وقول الشِّهاب الخفاجِىّ[9] :

أيا قمـراً زانتْ طوالِـعُ حُسْنِه   حواشِي عِذارٍ يبْهَر اللُّبَّ والفِـكَرْ

فمـــا شانَه دَوْرٌ به وتَسَلْسُلٌ   فكم فى حواشِيها لذِى فِكْرةٍ نَظَرْ

***

---

(١) فى ا ، ب : « عندها » ، والمثبت فى : ج .   (٢) فى ا : « الخيال » ، والصواب فى : ب ، ج .
وهو شمس الدين أحمد بن موسى الخيالى ، صاحب الحاشية على شرح السعد على العقائد النسفية ، المتوفى سنة اثنتين وستين وثمانمائة .
الشقائق النعمانية ١/١٥٢ ، الفوائد البهية ٤٣ .

(٣) ديوانه ١٤ ، وريحانة الألبا ٢/٢٠٠ .   (٤) فى الديوان : « خرجها ناسخ » .

(٥) فى ا : « تصرف » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٦) نور الدين على بن محمد العسيلى ، المصرى الشافعى .
أديب مؤلف ، من علماء الأزهر .
توفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة .
خبايا الزوايا ، لوحة ١١١ ا ، ريحانة الألبا ٢/١٩٧ ، شذرات الذهب ٨/٤٣٤ .

(٧) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/٢٠٠ .   (٨) فى الريحانة : « للحسن فيها سور » .

(٩) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

وقد دار الدَّوْر ، لقضيَّة التسلسُل والدَّوْر .

فاسمعْ فيه قول الظَّريف :

لحاظُك أسيافٌ ذكورٌ فما لَها ... كما زعمُوا مثلَ الأراملِ تغزِلُ

وما بالُ بُرهانِ العِذارِ مُسلَّما ... ويلْزمُه دوْرٌ وفيه تسلْسُلُ [1]

وأعْجَب منه قولى :

نظَرِى اصْدعَك بُغْيتِى ... فعلى مَ تمنعنِى النَّظَرْ

والمنعُ غيرُ مُوجَّهٍ ... فيه المَقالُ قد اشْتَهَرْ

والدَّوْرُ إنْ صحِب التَّسَلْـ ... ـسُلَ ليس يخْلُو من نَظَرْ

فكُن فى هذا ممّن لا يرضَى بالحواشى والأطْراف ، ويقنَع من اللآلئ بمعرفة مافى الأصْداف .

* * *

وللكورانى [2] :

بدرٌ أدار على النجوم براحةٍ ... شمساً فنارتْ فى كؤوسِ رحيقِهِ [3]

شمسٌ إذا طلَعتْ كأنْ وَمِيضَها ... برْقٌ تلالاً عند لَمْعِ بريقِهِ [4]

يسْقِى وإن عزّتْ عليه ورامَ أن ... يشْفِى لداء مُحبِّه وحريقِهِ

فيُديرُها من مُقلتيْه وتارةً ... من وَجْنتيْه وتارةً من رِيقِهِ

* * *

ومن مقطَّعاته قوله [5] :

---

(١) فى ا : « برهان الفرار » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤ ، نقلا عنه .

(٣) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى إعلام النبلاء .

(٤) فى ا : « عند برق بريقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، نقلا عنه .

مَلِيكُ جمالٍ أنْبت العزُّ خــدَّه نباتاً له كلُّ المحاسنِ تنْسَبُ
فـكرَّرتُ أمَّ الخدِّ منه لطِيبهِ وكل مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ (١)

* * *

وقوله ، مضمِّنا(٢) :

ومُعذَّرٍ لَدْنِ القَوامِ ووجهُهُ قمرٌ تقمَّصَ بالعِــذارِ الأخْضَرِ (٣)
فُتِق العِذارُ بخدِّه فـكأنَّما فُتِقتْ لـكم ريحُ الجِلادِ بعَنْبَرِ (٤)

* * *

وقوله (٥) :

عجِبتُ لِمَا أبْداه وجــهُ مُعذِّبي من الحسنِ كالسحرِ الحلال وأسْحَرُ
بوجْنتِــهِ ياقوتُ نارٍ توقَّدتْ عليها عِــذارٌ كالزُّمرُّدِ أخضرُ

* * *

وقوله :

ومُعــذَّر فَتَك الأنامَ بحُسْنِه وسطَا بمُرْهَفِ لَحْظِــه المُتنعسِ
جعل العِــذارَ لشامِهِ مُتنكِّراً كيْلا يُحــاط به لقتْلِ الأنفُسِ

* * *

---

(١) من قول أبي الطيب :

وكلُّ امرئٍ يُولِى الجميلَ مُحبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ

ديوانه ٤٦٦ .

(٢) البيتان في : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٥ ، نقلا عنه .

(٣) في خلاصة الأثر : « ومهفهف لدن القوام » .

(٤) من قول ابن هانئ :

فُتِقَتْ لـكم ريحُ الجِلادِ بعَنْبَرِ وأمدَّكم فَلَقُ الصباحِ المُسفِرِ

ديوانه ٧٤ .

(٥) البيتان في : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤ ، نقلا عنه .

وقوله(١) :

لمّا تأمّل بدرُ التمّ عارضَه وقد بدا في مُحيّا نورِه سطعا

بدا به غيرةً خسْفٌ وشبّهه كأنه في مُحيّاه قد انطبعا

***

وقوله(٢) :

ومُهَفْهَفٍ كمُلتْ محاسنُ وجهِه من فوق غصنٍ قوامِه المُتمايلِ

وبدا طِرازُ عِذارِه فكأنّه بَدْءُ الخسُوفِ ببَدْرِ تمٍّ كاملِ



---

(١) البيتان في إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ، نقلا عن العرضي .

(٢) البيتان في إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ، نقلا عن العرضي .

١٢٧

ولده أبو السعود *

هو في الميلاد سَلِيلُه ، وفي البراعة مُقدَّمه ودليلُه .

طلع طُلوعَ الزَّهرة من الكِمامة ، فتهادتْه أبناء عصرِه تهادِيَ الشُّمَّامة .

يُنشَد الأدب من خِصالِه ، كما يُنشَد الأُنس من وِصاله .

* * *

وله شعر أوْقعُ في النفسِ من رَجْعة الشباب ، وأسْوَغُ من سُلافةِ الكأس طفَى عليها الحَباب .

أثبتُّ منه مايقَع موقِعَ الماء من ذِي الغُلَّة ، ويُفرِح فرَح الشفاء لصاحب العِلَّة .

فمنه قوله ، من قصيدة [١] :

أجَلْ إنها الآرامُ شِيمتُها الغدْرُ ... فلا هجرُها ذَنْبٌ ولا وَصْلُها عُذْرُ

فقِرْ سالماً من فَرْطةِ الحبِّ واتَّعِظْ ... بحالِي فإن الحبَّ أيْسرُه عسرُ [٢]

وقد هاجَنِي في الأيْكِ صَدْحُ مُغرِّدٍ ... به حلَّتِ الأشجانُ وارْتحل الصبرُ

يُذكِّرني تلك الليالي التي مضتْ ... بلَذَّةِ عيْش لم يشُبْ حُلْوَهُ مُرُّ [٣]

سُقِيتِ لياليَ الوصلِ مُزْنَ غمامةٍ ... فقد كان عيشِي في ذَراكِ هو العمرُ

(*) أبو السعود بن محمد الكوراني ، الحلبي .

شاعر فائق ، لطيف الطبع ، وله محاضرة رائقة ، ومفاكهة فائقة ، مع حداثة سنه .

توفي بالطاعون ، سنة ست وخمسين وألف ، بحلب .

إعلام النبلاء ٦/٢٨٣ – ٢٨٥ ، خلاصة الأثر ١/١٢٣ ، ١٢٤ .

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ١/١٢٣ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٣ ، ٢٨٤ ، نقلا عنه .

(٢) في خلاصة الأثر : «من ورطة الحب واتعظ» . (٣) في خلاصة الأثر : «تلك الليالي التي انقضت» .

فكم قد نعِمْنا فيكِ مَعْ كلِّ أغْيَدٍ ... رقيقِ الحواشي دون مَبْسِمِه الزَّهْرُ
لقد خَطَّ ياقوتُ الجمالِ بخدِّه ... جداولَ من مِسْكٍ صحيفَتُها الدُّرُّ

* * *

منها[1] :

وروضٍ به جَرَّ الغَمامُ ذُيولَه ... نخرُّ له وَجْداً على رأسِه النهرُ
وقد أرْقَدَ الأغصانَ تغْريدُ وُرْقِهِ ... وأضْحكَ ثغرَ الزَّهرِ لمّا بكى القَطْرُ[2]
وضاع به نَشْرُ الخُزامَى فعطَّرتْ ... نسيمَ الصَّبا منه وياحبَّذا العِطْرُ
بدائعُ من حُسْنِ الربيعِ كأنّها ... إذا مابدتْ أوصافُ سيِّدِنا الغُرُّ[3]

* * *

ويُستحسَن له قوله[4] :

كأنّما الوجهُ والخالُ الكريمُ به ... مع العِذارِ الذى اسْوَدَّتْ غدائرُهُ[5]
بيتُ العتيقِ الذى فى رُكْنِه حجرٌ ... قد أسْبلتْ من أعاليه ستائرُهُ

* * *

أخذه[6] من قول سيف الدين المُشِدّ[7] :

---

(١) القصيدة متصلة فى خلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « وقد أرقص الأغصان » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « بدائع من حسن البديع » . (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/١٢٣، ١٢٤، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤، نقلا عنه . (٥) فى ج : « كأنما الخال والخال الكريم » ، والصواب فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٦) فى ا : « أخذها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) سيف الدين على بن عمر بن قزل التركمانى .

ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وقرأ الشعر الرائق ، وتولى مشد الدواوين بدمشق للناصر بن العزيز بدمشق مدة .

وكان ظريفا ، طيب العشرة ، تام المروءة .

توفى سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

البداية والنهاية ١٣/١٩٧ ، فوات الوفيات ٢/١٢٨ ، النجوم الزاهرة ٧/٦٤ .

ومشد الدواوين ، هو متوليها الذى يكون رفيقا للوزير ، متحدثا فى استخلاص الأموال ، وما فى معنى ذلك . صبح الأعشى ٤/٢٢ .

يامَن عِـــذارُه وأصْداغُه حـــدائقٌ هِمْتُ بأزْهارِهَا
لو لم يكنْ خَـــدُّك لى كعبةٌ لَمـــــا تعلَّقتُ بأسْتارِهَا

إلا أنه زاد فيه تشْبيه الخال بالحجَر .

ولقد أجاد يوسف بن عِمْران [١] ، فى قوله يصف أرمد [٢] :

حين خُبِّرتُ أن فى الطَّرْفِ منه رَمَـــداً زاد فى ذُبولِ المَحاجِرْ
جِئتُ كيْما أزورَ مِن وَجْهِ بَدْرِى كعبةَ الحسنِ تحت سُود السَّتائرْ

٭٭٭



---

(١) يوسف بن عمران الحلبى .

كان يعمل فى أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، يخالط الأدباء ، وينسج على منوالهم .

طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة دار الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .

وكان مغرما بابتكار المعانى ، ذا شعر جيد .

وقد جمع لنفسه « ديوانا » .

توفى سنة أربع وسبعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٣٨ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٣٤ ب ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٦ ، ريحانة الألبا ١/١٠٤ ــ ١٠٩ .

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٤١ ، ريحانة الألبا ١/١٠٧ .

١٢٨

محمد بن أحمد الشيبانى

ذو الرأى الأصيل ، وواحدُ النَّجابة والتَّحصيل .
مَساعيه مُنيفة شَريفة ، وخلائقه كأنها روضةٌ وَريفة .
تَرِفُ النَّضْرة فيه من كِمامه ، ويكْرَع الظَّمآن من آدابه فى غَمامه .

وأرَى رقيق المدح يخدم نَعْتَهُ ، فلذاك أضْحَى كلُّ نَعْتٍ تابِعَا

* * *

وقد أثبتُ له ما اتَّخـذ النجومَ الزُّهرَ من فَريقه ، وجاء مُمتزجا بمُدام الساقى وريقه .

فمنه قوله ، من قصيدة أولها :

حتى م لَيْلِى بالتجنِّى ألْيَلُ ، وإلى متى إدْبارُ صُبحى مُقبِلُ
مالى أرى هذِى النجومَ تحيَّرتْ ، أأضَلَّتِ التَّسْيـارَ أم لا تعقلُ
أم أسْكر الفلكُ الأصيلُ فأقعدتْ ، عن سيْرِها أم بالبُروق تَسلْسَلُ
يا قِبْلتى فى حاجبَيْك نواظِرى ، آياتُ نُورٍ للصـلاةِ تُرَتَّلُ
ما كان أحْسَن لو عطفْتِ ولم أقُلْ ، ما كان أقْبَح هجْرُ مَن هو أجملُ
قلبى الـكِمامُ وأنتِ فيه الزَّهْرُ هل ، بُرْضيك بيننُك بالتجنِّى يُشْعَلُ

من مديحها :

فالدهرُ إن رقَم الأُلى فى صفحةِ الْ ، أيامِ فهْو لها حسابٌ مُجْمَلُ
يا خيرَ من فاق الأُلى فى عصرِه ، أنتَ الأخيرُ وفى الفضائل أوّلُ

بك إن يهنّى العبدُ فهْو حقيقةٌ ... ولك الهناء به مجازٌ مُرْسَلُ(١)

***

وقوله من أخرى مستهلُّها :

أما والهوَى لو أوْضحَ العذْرَ كاتِمُهْ ... لأقْصرَ لاحِيه وأحْجَم لائمُهْ

ولو خبَّرُوا ظَبْيَ النفارِ بحالتى ... لآنَس لكنْ مُسْهرَ الجفْن نائمُهْ

برُوحِي وأىُّ الرُّوحِ أبقى لىَ الهوَى ... غزالًا حلَتْ لِي فى هواه عَلاقِمُهْ

رقيقُ الحواشِي كادَ من لُطْفِ عِطْفِه ... يُمَنْطِقُه من رِقّةِ الخصْرِ خاتمُهْ

ترَاءت لمِرآةِ الخدودِ جفونه ... فظَنّ نباتًا فوق خَدّيْه شائمُهْ

كأن حسابَ الحسنِ كان مُفرّقًا ... فجمّعه فى طِرْس خَدّيْه راقمُهْ

كما جمّع الأفْضالَ والمجدَ والنّدَى ... إمامُ الهدى مولَى الزمانِ وعالِمُهْ

منها :

فيا نجْمَ أفْقِ الفضلِ بل شمسَه التى ... أنار بها من غَيْهبِ الجهلِ قاتمُهْ

تهنّ بعيدِ النحرِ يا خيرَ ماجدٍ ... تهنّتْ به أعْيادُه ومواسِمُهْ

ودونَك غرّاء القوافِي كأنّها ... إذا أنْشِدتْ رَوْضٌ تغنّتْ حمائمُهْ

بها ما بجسْمِي من هوَى الغيدِ رِقّةً ... لذلك نمّتْ بالذى أنا كاتمُهْ(٢)

لك الخيرُ هل مُسْتَكثَرٌ شعرُ شاعرٍ ... أُنيطتْ على نظْمِ القريضِ تمائمُهْ

أرانى إذا ما قلتُ شعراً تنكّرتْ ... وُجوهٌ وعابتْهُ علىّ أعاجمُهْ

لئن جهِلوا نثْراً فإنّى بَديعُه ... أو استحسنوا نَظْما فإنّى كشاجمُهْ

فدُمْ وابْقَ واسلَمْ لابْن شيبْانَ مَلْجأً ... تَشيد من العلْياء ما الدهرُ هادمُهْ

فقد مدّتِ العَلْيا عليك ظلالَها ... وحيّتْك من ثغرِ الربيعِ مَباسِمُهْ

***

---

(١) فى ا ، ب : « بل إن يهنى العبد » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ا : « بها ما بجسم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٢٩

حسين بن مُهَنّا*

أديب فصيح المقال، مُرْهفُ طبعِه غنيٌّ عن الصِّقال.

اقتطف القولَ جَنِيًّا، وتناول كأسَه سائغا هَنِيًّا.

ولد بحلب، وتقلَّب في النِّعَم أكرمَ مُنْقلَب.

وتكرَّرت منه إلى دمشقَ الوِفادة، فجلا بها عن صُبح الإفادة والاسْتفادة.

واكتسب تلك الرِّقَّة التي تحسدها رقَّةُ الصَّبا، من امْتزاجه بأبْنائها امْتزاج الماء الزُّلال بالصَّهبا.

تخطبَتْه الحظْوة، وما قصَّرت له الخُطوة.

ودرَّجتْه الأيام والليالي، إلى أن صار بخطابة سليميَّتها المقدَّم وخلفه المصلِّي والتَّالِي.

ثم أقْلع إلى مسقط راسِه، ومنبِت غِراسِه.

وبها تلاحق به الحِمام، فكان من ترابها البدايةُ وإليه التَّمام.

* * *

وقد أثبتُّ له ما تتَّخذ سطورُه رَيْحانا، وترجِع ألفاظُه ألْحانا.

فمنه قوله:

أنُسَيمةٌ بالطَّلِّ تندَى ... باللهِ إن وافيْتِ نَجْدَا

فتحمَّلي للقا الحبيـ ... ـبِ وشمِّري بالجِدِّ بُرْدَا

(*) هذا الضبط من: ج، ضبط قلم.

وتحمَّـــــلى فى طَيِّهِ النَّـ شْرَ النَّدِىَّ عدِمتِ نِدَّا (١)
وتَعهَّدى بَثَّ الهوى بل يَمَّمِى فى السَّيْرِ وَخْدَا (٢)
وإذا وصلتِ إلى الشآ مِ وفاح نادى الروضِ نَدَّا
أدِّى أُلوكَةَ مُغْـــرمٍ ما خان للأحبابِ عهدَا (٣)

منها :

أوَّاه طِيبُ العيش أَذْ نَ بظلِّكم والصَّفْوُ نَدَّا (٤)
مرَّت ليالِىَ فيـــه مُرُّ الشُّهدِ قد ذُقْناه شُهْدَا
من يوم فارَق ناظِرِى ذاكَ الجمالُ عدِمتُ رُشْدَا
وبقِيتُ فى قومٍ رأَوا كلْبَ الغَنِىِّ يفوق أُسْدَا
عقلوا وما عقَلُوا فـــلِى عن حبِّهم مَسْرًى ومغْدَى
لذَوِى المعـــالى والمعا رفِ والكمالِ أجِدُّ جِدَّا
فأحُـــوز منهم ما ينا لُ به الفتى شرفا ورُشْدَا
لـكنَّ أين العَنْدَلِيـ ـبُ رَقِى من الأفنان مُلْدَا (٥)
غنَّى له لمـــا سَقَى فى دَوْرةِ الدُّولاب وجْدَا (٦)
فشــدَا على وردِ الريا ضِ فأحْرق الأحشاءَ وَقْدَا
ورأيتُ ذاتَ الطَّوقِ أَبْـ ـدتْ مثلا قد كان أبْدَى
أترى الزمانَ يُعِيد لِى فى عَوْدٍ من أهْواه رِفْدَا (٧)

---

(١) فى ا : « فى طيه النثر الذى عدمت ندا » . والصواب فى : ب ، ج .

(٢) الوخد : الإسراع .

(٣) الألوكة : الرسالة . (٤) ند : بعد وذهب . (٥) الملد : الغصون الناعمة .

(٦) فى ا : « فى دورة الدولاب خدا » ، وفى ج : « فى دوره الدولاب وجدا » ، والمثبت فى : ب .

(٧) فى ا : « يعيدنى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يا دهرُ خُذْ رُوحِي إذا بشَّرْتَنِي سَلَفاً ونَقْدَا

***

وقوله :

وحقِّ ليالٍ قد مضَيْنَ عفائفاً وحُرْمةِ أيامٍ مضتْ بصفاءِ[1]

لأنتِ بسَوْداوَيْن قلبي وناظرِي وذِكرُكِ ورْدِي بُكْرتي ومَسائِي

وإنِّي على العهدِ الذي كان بيننا مُقيمٌ على وُدِّي وحُسْنِ وَفائِي

***

وقوله مضمِّنًا :

فُتِنتُ بظَبْيٍ أهْيَفِ القَدِّ فاتنٍ بعينٍ لِطاعنٍ قَوْسِ حاجبه جَذْبُ[2]

صبَوْتُ به لما رأيتُ جمالَه ومَن ذا يرى هذا الجمالَ ولا يصْبُو

***

وقوله :

كأنما الخالُ قُرْبَ الثغرِ مِن رَشأٍ مُعذَّرٍ راشِقٍ سهماً من المُقَلِ

شَحْرورُ وردٍ أراد الوِرْدَ ثم رأى صِلًّا يدور حَوالَيْه فلم يصِلِ[3]

***

حام فيه على معنى الحَرْفُوشِيّ[4] في قوله :

كأنما الخالُ فوق الثغرِ حين بدَا وقد غدَا فِتْنةَ الألْباب والمُقَلِ

---

(١) في ا : « وحق لياليا قد مضين خفائفا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « عن قوس حاجبه جدب » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) في ا : « لصايدور » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) تقدمت ترجمته في الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ .

هَزارُ أيْكٍ سعَى من روضةٍ أُنُفٍ   لمَنْهَلٍ راجياً ريًّا فلم يصِلِ (١)

* * *

وله مُلغِزا فى شعير:

ما اسمُ شىءٍ من النَّبات إذا ما   زال حرفٌ منه غدا حيَوانَا

رُبْعه معدِنًا تراه وشمساً   وترى فيه جَهْرةً إنسانَا

وبتصْحِيف بعضِه فهْو نارٌ   وترَوِّى من بعضِه الظمآنَا

⁂



---

(١) فى ا : « روضة ألف » ، والصواب فى : ب ، ج .
وروضة أنف : لم ترع .

١٣٠

محمد بن عبد الرحمن

دُرّة مغفلة ، وخِزانة مُقفلة .

ولولا أني ظفِرتُ باسمه عفوا ، ووردتُ من منْهل أدبه الفيّاض صفْوا .

لبَقِيَ محجوباً عن العَيان ، ونسجتْ عليه عناكبُ النّسيان .

ورأيتُ فضلَه كمَن في إهابِه ، وبراعتَه دثَر رسمُها به .

* * *

وهو مطبوعُ الطبع على النظم ، إلّا أنه إذا نظَم جاء بالمُخّ والعظم .

وولَعُه بأوابِد الكلام ، كولعِه بشوارِد نفَثات الأقلام .

ولابُدّ مع الرُّطَب من سُلّاء النخل [1] ، ومع العسل من إبَر النحل .

فقد أوردتُ له ما يُحمَده عليه ، وتركتُ لأجل ممدوحه تفويق سهم الانتقاد إليه .

فمنه قوله من كافيّة :

خَلِّ العوانِسَ ذاتَ الخَبِّ والرَّتَكِ   تسْرِي بها بِبُحور الآلِ كالفُلُكِ [2]

تَعْلُو الحَزُونَ فلا فُلَّتْ مَناسِمُها   ولا يُغِبُّنها وِرْدٌ بمُشترِكِ [3]

ولا عَداها هَطُولُ المُزْنِ في قَيَفٍ   ولا أُحِيدتْ من الحوماء في شَرَكِ [4]

---

(١) السلاء : شوك النخل .

(٢) في ا : « ذات الخب والزنك » ، وفي ج : « ذات الخب والزنك » ، والمثبت في : ب .
والعوانس : جمع العنس ، وهي الناقة . والخب : ضرب من السير ، وهو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه . والرتك : عدو البعير متقارب الخطو .

(٣) أغب الماشية : جعلها تغب أي ترد يوما ويوما .

(٤) القيف : المكان المستوى أو المفازة لاماء فيها . القاموس (ق ي ف) .

حتى تجُوبَ الفَيافِيَ والوِهادَ وتَسْـ ... تقِـــلَّ فى مَرْبَعٍ بالبِرِّ مُحْتَبِكِ

حيثُ المَلاذُ المُرجَّى المجْتَبَى قِدماً ... المُصطفَى مُنقِذُ العاصِى من الدَّرَكِ

حامِى حِمَى الدِّينِ مَن شأْواه قد رُفِعتْ ... على العُلَى حيث حُطَّت دُرَّةُ الفلَكِ [(١)]

مَن قد سَما وسَما من فوق كل سَما ... حتى وطِى بشُسُوعٍ رِبَّةَ الحُبُكِ [(٢)]

محمدٌ أحمدُ المحمودُ خـــيرُ فتًى ... له فَخارٌ عَلا بالفضل كلَّ ذَكِى

***

وقوله من أخرى :

أحسنُ من بَهْجة نَوْحِ الحَمامْ ... وسجعِ وَرْقاء بمَتْنِ البَشامْ [(٣)]

وصَدْحِ قُمْرِىٍّ شَجِىٍّ عَلَى ... خَمِيلةِ الضَّالِ وأثْلِ الخُزامْ [(٤)]

ومن صفيرٍ صاته بُلْبُلٌ ... على قضيبٍ مائدٍ وهو سامْ

وشَدْوِ شُحْرورٍ فصيحِ اللحونْ ... مُنْتَجِمِ اللفظِ دَغِيمِ الكلامْ

ودَوْحةٍ قد أنبتَتْ زَهرَها ... تروق للناظرِ فى الانتظامْ

وظِـــلِّ أنداءٍ بأوْراقِه ... تنْشُره فيه غَوادِى الغَمامْ [(٥)]

وأرْقمٍ تنْسِج أيدِى النَّسا ... ئِمِ مَوْجاً له كفِرِنْدِ الحُسامْ [(٦)]

وقَهوةٍ حَلْبِ عصيرٍ غدَا ... يسعَى بها ساقٍ كبدرِ التَّمامْ

---

(١) فى الأصول : « درة الفلك » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى ا : « رتبة الحبك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والحبك : الطرق . وهو يعنى السماء .

(٣) البشام : شجر طيب الرائحة . (٤) الضال من السدر : ما كان عذيا ، أو السدر البرى . القاموس (ض ا ل) . (٥) فى ب : « تنشره فيه » ، وفى ج : « تنثر فيه » ، والمثبت فى : ا .

(٦) يعنى بالأرقم النهر المشبه به . وفى ب : « وأرقم تنتج » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومُطْرِبٍ قد شَـــدَّ أطْباقَه   وحَرَّكَ العودَ وأبْدى النَّغامْ

ومن هوًى حسْناء رُعْبُوبةٍ   قد كُحِّلَتْ أجفانُها بالسَّقامْ [1]

مليحةٍ تُخْجِل غصنَ النَّقا   وتَسلُب اللُّبَّ بِلِينِ الـكلامْ

أحسنُ من هذا وذا كلِّه   وكلِّ ذى حُسْن به يُسْتَهامْ

مَدْحُ النبيِّ المصطفى أحمـــدٍ   مَن قد أتى رحمة للْأنامْ

❊

(١) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة الناعمة . القاموس (ر ع ب) .

١٣١

محمد بن الشاه بندر*

هو من حين تحيّز[١] ، بنعمة[٢] بأدواتها تميّز .

تُناديه النَّشْوة وتُراوِحه ، وتُناوِحه أنْفاسُ القَصْف وتَفاوِحه .

فنبَغ ونجَب ، وقَضَى من حقِّ التحصيل ماوجب .

وفتَق ثناء كالمِسك صَدَرًا ووِرْدًا ، وتخلّق بخُلُق كالماء الزُّلال عَذْبا وبَرْدا .

فوجهُ أدبِه شادِخةٌ[٣] غُرَرُه[٤] ، وسِلْكُ نَظْمه مُتَّسِقة دُرَره .

* * *

وهذه قطعة من شعره ، تعلم منها أنه أُوتِيَ الإصابة ، واستَحق أن يُنوَّه به بين هذه العصابة .

وهي قوله[٥] :

ذَرِ الصدَّ إني لستُ أقوى على الصدِّ ... وعُدْ للذي عوَّدْتَنِي منك من وُدِّ

فِطَـامِيَ عن ثُدْيِ الوَلا مُتمنِّعٌ ... وطِفْـلُ نُزوعِي لايُعلَّل بالمَهْدِ

حَنانَيْك ماهـذا التجنِّي فإنني ... لفي نُكرٍ من مَزْجِ هَزْلِك بالجِدِّ

لئن يكُ شَطَّ الوَهْمُ عنِّي لهفْوةٍ ... فَعُدَّ وعُدْ وابْشِر فغُفْرانُها عندِي[٦]

(*) ترجمه الطباخ في إعلام النبلاء ٦/٤١٣–٤١٥ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه ممن توفي آخر هذا القرن ، أي القرن الحادي عشر .

(١) في ج : «تميز» ، والمثبت في : ا ، ب ، وإعلام النبلاء . (٢) في إعلام النبلاء : «في نعمة» .

(٣) شدخت غرة الفرس : انتشرت من الناصية إلى الأنف . (٤) في ا : « غدره » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء . (٥) القصيدة في إعلام النبلاء ٦/٤١٣ ، ٤١٤ .

(٦) في ا : « فقد وعدوا بشرا فغفرانها عندي » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

وحقِّكَ لم أحسَبْكَ قطُّ مُفارِقي ... ولم يكُ ظَنّي فيكَ خُلْفَكَ للوعْدِ
فكيفَ تُنائي وَيْحَ غيرِكَ هاشماً ... حَباكَ بمَحْضِ الودِّ في القربِ والبعدِ [1]
فوالهَفِي لو كانَ يُغني تلهُّفي ... ووا أسَفِي إذ صرتَ أبْطأَ من فِنْدِ [2]
فما هكذا عهدي بفقدِكَ ألْفَتي ... أأحدَثْتَ أمْراً لم يكن منكَ في عَقْدِ [3]
لقد كنتَ لي حسبَ اقْتراحي ومُنْيَتي ... مُفَدًّى إذا أشكو وأنتَ الذي أفْدِي
مجيباً بمطلوبٍ مُلَبٍّ بدعوةٍ ... مُراعٍ بمرغوبٍ سريعاً إلى رِفْدِي [4]
فماذا عسى أنكرتَ منّي وما الذي ... أباحَكَ تعذيبي وقَتْلي على عَمْدِ
أراكَ وقد خلَّفْتني ذا لَواعجٍ ... من البَيْنِ ذا قلبٍ أشدَّ من الصَّلْدِ
لئن صِرْتَ لا زالَتْ بكَ النَّعْلُ غادِياً ... حليفاً وذا أهلٍ وقد كنتَ لي وَحْدي
فيا ناسياً للوُدِّ إنّي ذاكرٌ ... ويا ناقضَ الميثاقِ إنّي على العهدِ
أبى اللهُ أن أرعى ذِمامَكَ جاهداً ... وتَبْخَسني حقّي وتُكْثِرُ في جَهْدي
فلا كانَ لي قلبٌ لغيرِكَ جانحٌ ... ولا صحِبَتْني مُقْلةٌ فيكَ لا تَنْدِي [5]
فقدْتُكَ إبراهيمَ فُقدانَ آدمٍ ... على دَعَةٍ من أمرِهِ جنّةَ الخُلدِ
أُعلِّلُ قلباً لا يحيلُ تعِلّةً ... به عنكَ ذا تَوْقٍ جزيلٍ وذا وَقْدِ
وأُنْشِدُ بيتاً سالفاً حسبَ لوعتي ... إذا هاجَ تَهْيامي وقد فاتني قَصْدي
لعلَّ الذي أبْلَى بهجرِكَ يا فتى ... يرُدُّكَ لي يوماً على أحْسَنِ العهدِ [6]

---

(١) فى الأصول : « فكيف تنائى » ، والمثبت فى إعلام النبلاء . وفى ب ، وإعلام النبلاء : « بالقرب والبعد » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « فوالهفى لئن كان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وفى ا : « ووا أسفى إن صرت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وسيشرح المؤلف فيما يأتى قوله : « أبطأ من فند » .
(٣) فى ج : « لم يكن فى عقد » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء .
(٤) هكذا فى الأصول ، والإعلام : « ملب بدعوة * مراع . . » والصواب النصب ، وبه يختل الوزن .
(٥) لا تندى : لا تسخو بالدمع .
(٦) فى ا : « أبلى بحبك » ، وفى ج : « أبلى بحبك » ، والمثبت فى : ب ، وإعلام النبلاء .

أقلّبُ طَرْفى لا أراكِ فيَثْنى ... بوابلِ دمعٍ كالجمانِ على خَـــدِّى
ووَدَدْتُكِ تدرِى ما الذى بِى من الجوَى ... عسى كنتِ تَرْثِى لى من الهمِّ والوجدِ[1]
أما تذكُرَنْ مادار بالوصلِ بيْننا ... أباريقَ لَذَّاتٍ ألذَّ من الشُّهْدِ
لأيّةِ حالٍ قــد تناسيْتِ خُلَّتِى ... وكيف استجزْتِ الهجرَ والنَّـكْثَ للعهدِ
سلامِى على اللَّذاتِ بعدكِ والهوَى ... وحلوِ التَّصابى والتَّشَوُّقِ للمُرْدِ
فياليتَ شعرِى مَن تبدَّلْتَ بى ومَن ... غداحاسدِى فى القرب بالبَيْنِ تستَعْدِى[2]
فما أمُّ خِشْفٍ راعَها حبلُ صائدٍ ... فأذْهَلها عنه وغابتْ عن الرُّشدِ
تَحِنُّ فتستَهْدِى الأسودُ لِغابِها ... فلا أثراً تلْقَى ولا هادِياً يهْدِى
بأفْجَعَ منِّى حين فارقْتُه ضُحًى ... حليفَ أوارٍ لا أعيدُ ولا أُبْدِى
لئن كنتَ أخلفتَ العهودَ وخُنْتَ بالْـ ... ـمَواثيقِ عن جهلٍ ومِلْتَ عن الرشدِ
فحُبُّكَ فى قلبى وذكرُكَ فى فمِى ... وأنت بعيْنى ماحَيِيتَ إلى اللَّحْدِ

* * *

قوله : « أبْطأُ من فِنْد » مثل .

وفند هـذا مولى عائشة ابنة سعد بن أبى وقاص[3] ، وكان أحد المغنين المحسنين ، وكان يجمع بين الرجال والنساء .

وله يقول ابن قَيْس الرُّقَيّات :

قل لِفِنْدٍ يشيِّـع الأظْعانا ... طالَ ماسَرَّ عيشَنا وكَفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار ، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر ، فخرج معهم ،

---

(١) فى ج : « وودك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء .

(٢) فى ب ، ج : « بالبين مستعدى » ، وفى إعلام النبلاء : « بالبين مسعدى » ، والمثبت فى : ا .

(٣) وكنيته أبو زيد ، كما جاء فى القاموس (ف ن د) والقصة فيـه . وما هنـا منقول عن مجمع الأمثال ٢/٩٢ ، والمثل أيضا فى مجمع الأمثال ١/٧٨ .

فأقام بها سنة ، ثم قدِم فأخذ ناراً ، وجاء يعدو ، فعثر وتبدّد الجمر ، فقال : تعِست العجلة .

وفيه يقول الشاعر :

مارأيْنـــا لِغُرابٍ مثلاً إذ بعثْناه يجِي بالمِشْمَلَهْ
غيرَ فِنْـدٍ أرْسلوه قابساً فثوَى حولاً وسبَّ العجَلَهْ

المشملة : كساء (١ يجمع المِقْدحة وآلاتها ١) .

وقال بعضهم : المَشْملة ، بفتح الميم ، وهى مَهَبُّ الشمال ، يعنى الجانب الذى بعث نوح عليه السلام إليه الغُرَاب ؛ ليأتيه بخبر الأرض أجفّتْ أم لا (٢) ، فاشتغل بجيفة رآها فى طريقه ، وفيه يقال : « أبطأُ من غراب نوح » .



---

(١) فى مجمع الأمثال : « تجمع فيه المقدحة بآلاتها » . (٢) إلى هنا انتهى ما جاء فى مجمع الأمثال .

١٣٢

صالح بن قمر *

هلالُ نَجابته يمدُّ بأقمار ، وفيه وفى نَباهته أحاديث وأسمار .

كتب وقيَّد بخطِّه الكثير ، ونظَم ونثَر فجاء بالدُّرِّ النَّظيم واللؤلؤ النَّثير .

***

وقد أوردت له ما تستبدِعه ، وتحفظُه فى خِزانة النفس وتستودِعُه .

فمنه قوله [(١)] :

يامقـــلةَ الحِبِّ مهلاً　　فقد أخـــذتِ بثارِكْ

وأنتِ ياوجنتيـــــه　　لا تحْرِقينى بنــــارِكْ

فقـــد كفانى لهيبٌ　　أصـــابنى من شَرارِكْ

هيهـــات أنْجُو سليماً　　من بعـــد خَطِّ عِذارِكْ

وخالُك الخـــال غالٍ　　لوقْعِهِ فى نُضـــارِكْ

وثغرُك العذبُ فيـــه　　لنا غِنًى عن عُقـــارِكْ

وقدُّك الغُصْنُ لـكن　　لا يُجْتَنَى من ثمـــارِكْ

أنت الذى مارأيْنـــا　　فى حُسنِه من مُشارِكْ [(٢)]

فارفُق بصَبٍّ عليـــلٍ　　أفْناه بُعْدُ مَـــزارِكْ

(*) ترجمه الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه توفى أواخر القرن الحادى عشر .

(١) القصيدة فى إعلام النبلاء ٦/٤٠٦ ، ٤٠٧ .　　(٢) فى ا : «فى حسنه من يشاركه» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

إلى متى تترُكنى أرْعى نجومَ انتظارِكْ [١]
وكم على ليــلِ ضَعْفِى تسْطُو بجَوْرِ نهارِكْ
إن كان يُرضيك قتْلى عَمْداً بحُسْنِ اختيارِكْ [٢]
فذاك صبٌّ عميـدٌ فى ساحةِ الذلِّ بارِكْ
ولم يزلْ فى التّصابِى بالصبرِ فيك يُعارِكْ
عسى يلوح صَباح ألرِّ م ضَا له من ديارِكْ
وتشمل الصَّبَّ قُرْباً من بعد طولِ ازْوِرارِكْ
فجُدْ وسامحْ وواصِلْ واعطِفْ وعجِّلْ وداركْ

❊



(١) فى ا : إلى متى تتركينى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .
(٢) فى ا : « عهدا بحسن اختيارك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

١٣٣

صالح بن نصر الله المعروف بابن سَلُّوم *

رئيسُ الأطباء للسلطان محمد ونديمُه الذى صحَّ به تركيبُ الزمان ، ووفَّى له الأملُ بالضّمان .

تقدَّم فى حَلْبة النُّبلاء بحلب ، ودرَّ له ضَرْعُ الأمانى فحلَب (١) .

طالما وفَّى العيشَ حقَّه بمُنادمةٍ يهتزُّ لها مرحًا عِطْفُ الشباب ، وسقى السمع كأس مُحاورة تُرقِص السامعين رَقْصَ الحَباب .

حتى تَقَضْقَض (٢) آبنُوسُه ، وأشرف عَناه وبُوسُه .

فأنِف الإقامةَ فى حيِّه ورَبْعه ، ودعاه إلى الرِّحلة حبُّ (٣) الرياسةِ المَرْكوزُ فى طبعه .

(*) صالح بن نصر الله ، ويعرف بابن سلوم ـ بفتح السين المهملة وتشديد اللام ـ الحلبى .

رئيس أطباء الدولة العثمانية ، ونديم السلطان محمد بن إبراهيم .

ولد بحلب ، ونشأ بها ، وأخذ عن أكابر شيوخها ، واشتغل بالعلوم العقلية ، وجد فى تحصيلها ، حتى برع ، وغلب عليه علم الطب .

وكان حسن الصوت ، عارفا بالموسيقى .

تولى مشيخة الأطباء بحلب ، ورحل إلى الروم ، واختلط بكبرائها ، واستدعاه السلطان محمد ، وصيره رئيس الأطباء ، وأعطاه رتبة قضاء قسطنطينية .

وألف فى الطب تأليفا لطيفا ، سماه « برء ساعة » .

سمت همته ، ومدحه الشعراء .

وكانت وفاته بينكى شهر ، وهو فى خدمة السلطان ، سنة إحدى وثمانين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٤٤ ، ٣٤٥ ، خلاصة الأثر ٢/٢٤٠ ـ ٢٤٢ .

وفى ب : « المعروف بسلوم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١) فى ا : « فخلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى الأصول : « تقضقض » ، ولعل الصواب ما أثبته . والتقضقض : صوت الخشب عند كسره .

(٣) فى الأصول : « حيث » ولعل الصواب ما أثبته .

فرحل إلى دار السلطنة العالية ، وحلَّ منها محل العافية من الأبدان العافية (١) البالية .

واتَّفق إثْرَ وصوله وصولُ خبره للسلطان فاستدْناه ، وصيَّره رئيسَ أطبَّائه وندمائه فَبَلَّغه من وُفور الجاه مايتمنَّاه .

وتبدَّلتْ نحوسُه سعودا ، وأنْجَز له الدهرُ الضَّنِين وُعودا .

فأبرز من نفيسِ صَنْعتِه مالم تتنفَّس به لَهَواتُ ابن النَّفِيس (٢) ، وشفَى عليلَ صدور الملهوفين ولابِدْعَ فـ « الشفاء » (٣) للرئيس .

وبالجملة فجُمَل فضائِله مما تقصُر عن وصْفِه جُمَل العبارات ، وإذا وقعتْ لِذاتِ الفضل إشارات فلذلك الرئيس تلك الإشارات .

***

وله فى الأدب روايةٌ طال بها باعا ، ودرايةٌ أبْرأ بها من مرض الزمان قلوبًا وطباعا .

ولم أقِف له إلا على بيْتين أجاد مَعْناهما ، ولم تتمتَّع أذنُ سامعٍ بغيرهما فى معناهما .

وهما قوله(٤) :

سقانِىَ مَن أهوَى كلوْنِ خدودِه ... مُداماً تُرِى سرَّ القلوب مُذاعاَ

ومُذ شبَّب الإبريقُ فى كأسِ حانِنا ... أقامتْ دراويشُ الحَباب سَماعاَ(٥)

*

(١) العافية الأولى : ضد المرض ، والثانية من العفاء .

(٢) علاء الدين على بن أبى الحزم القرشى ، ابن النفيس ، وورد فيه « ابن أبى الحرم » .
ولد بدمشق ، وتوفى بمصر ، وهو علامة زمانه فى الطب .
وكانت وفاته سنة سبع وثمانين .
شذرات الذهب ٥/٤٠١ ، طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/١٢٩ ، وانظر الأعلام ٥/٧٨ ، ٩/١٦ .

(٣) يعنى كتاب الشفاء ، للرئيس ابن سينا .

(٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٢٤١ ، إعلام النبلاء ٦/٣٤٥ ، نقلا عنه .

(٥) فى ا : « ومذشب الإبريق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

١٣٤

مصطفى الزِّيبارِىّ*

هو فى هذه الحَلْبة ، كالعِقد النفيس فى اللَّبَّة .

وله جامعيَّةُ فنون تربُو على الحصر ، وفضائلُ لا يستطيع جُحودَها نُبَهاء العصر .

لكنه أتَى الدهرَ وقد هرِم ، (١ فلم يتروَّ زُهَيْر روضِه بمثل نَدَى هرِم .

فهو يشتكى زمنا بعيد الإحسان ، لا تستجْلبه ولا دعوةُ الغِيد الحِسان ١) .

ويَنظِم الشعرَ على فَاقَة ، ما له منها إفاقة .

بجِدٍّ أمْضَى من النَّصْل ، وهزلٍ أحلَى من الوصل .

وقد ذكرتُ له ما يستلِذُّ وصفَه الوَصَّاف (٢) ، والقولُ فيه أنه غايةٌ فى بابِه من الإنصاف .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها البَهائِىَّ (٣) :

هى الشمسُ إن حَيَّ بها الأوطَفُ البَدْرُ   فخُذْها هنيئًا لا مَلامٌ ولا وِزْرُ (٤)

دهاقًا دَهاقًا غيرَ عانٍ فإنها   إذا صافحتْ ذا عُسْرةٍ حَلَّه اليُسْرُ (٥)

ولا تخشَ إمْلاقًا فإن حَبابَها   فرائدُ ياقوتٍ وذائبُها تِبْرُ

(*) ترجمه الطباخ ، فى إعلام النبلاء ٦/١٠ - ٤١٣ ، نقلا عن النفحة ، وسماه « مصطفى بن حسن الزيبارى » ، وذكر أنه توفى بعد سنة أربع وتسعين وألف .

(١) ساقط من : إعلام النبلاء .   (٢) فى ا : « الوصفان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

(٣) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٢٩١ ، برقم ٩٤ .

والقصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٤١٠ .

(٤) فى ا : « إن حي ربا الأوطف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

والأوطف : غزير شعر الحاجبين .

(٥) كأس دهاق : ممتلئة .

ولا تعتبرْ قولَ المعيبين صَحْبَها ... فأترابُها زُهْرٌ وأكوابُها زَهْرُ[1]

وقُل لمدير الرّاح سِرًّا وجَهْرةً ... ألا فاسْقِنِي خَمْراً وقل لى هى الخمرُ[2]

ومكْسُولةِ الألحاظ معسولةِ اللَّمَى ... تَخال به قَطْر النَّباتِ ولا قَطْرُ

لها لَحَظاتٌ تسلُب اللُّبَّ والحِجَى ... وما فارقتْ جَفْناً وهذا هو السحرُ

وجيدُ مَهاةٍ بل غزالٍ كأنه ... عَمُود لُجَيْنٍ فوقه بَزَغَ البدْرُ

وليلٍ كبحرٍ خُضْتُ أمواجَ جُنْحِه ... على سابحٍ عن سَيْرِه قصَّر النَّسْرُ

أُكَفْكِفُ أذيالَ البوادِي تعسُّفاً ... ولا يرعَوِى إن راعَه الضربُ والزَّجْرُ

كأن أبا الفضلِ البهاء محمّدا ... لنا حيث سِرْنا من صباحتِه فَجْرُ

* * *

وقوله من أخرى ، مطلعها[3] :

أأيّتهنّ إذْ تبدو نَوارُ ... صَدُوف أم كَنُود أم نَوارُ[4]

بعيشِك هل سمعتَ بما سمعنا ... بآرامٍ وليس لها نِفارُ

برَزْنَ من الخدورِ محجّباتٍ ... وعُودٌ من البدرِ السِّرارُ[5]

طلَعْنَ عليك ثم خَنَسْنَ عُجْباً ... كذلك تفعل الغُرّ الجَوارُ[6]

حَذارِ لواحظاً منهن دُعْجاً ... فمقتول الهوى منها جُبارُ[7]

---

(١) فى ب ، ج : «قول المعيبين صحبها» ، والمثبت فى : إعلام النبلاء .

(٢) تضمين لصدر بيت أبى نواس :

ألا فاسْقِنِى خمرًا وقل لى هى الخمرُ ... ولا تسْقِنِى سِرًّا إذا أمْكنَ الجهرُ

ديوانه ٢٧٣ .

(٣) الأبيات فى إعلام النبلاء ٦ / ٤١١ .   (٤) فى إعلام النبلاء : « أتيتهن إذ تبدو نوار » .

والصدوف : الكثير الصد . والكنود : الكافر للنعمة ، والنوار : المرأة تنفر عن الريبة .

(٥) السرار : اختفاء البدر فى آخر ليلة من الشهر .   (٦) كان حق «الجوار» كسرة تحت الراء ، فهى الجوارى ، أى الكواكب الجارية ، ولكن الشاعر اضطر إلى ضمها للقافية .

(٧) فى أ : «لواحظا منهن دعج» ، وفى ب ، ج : «لواحظا منهن دعج» ، والمثبت فى : إعلام النبلاء .
وجبار : هدر . المصباح المنير ١١٠ .

وبِي مِنهنَّ أُمْلُودٌ رَدَاحٌ ... نَأَتْ عنِّي وقد شطَّ المَزارُ[١]

لقد غدرَتْ أُخَيَّ وغادرَتْنِي ... وحيـــــدًا لا أزورُ ولا أُزارُ

* * *

وأنشد له السيد عبد الله الحجازى[٢] ، يهجو قرية أوَارِين[٣] :

ولو أن لى فى كلِّ وقتٍ وساعةٍ ... بقريَةِ أوَارِينَ ما أتَمَنَّـــــاهُ

لقلتُ خليلَيَّ ارْحلا بى عن التى ... تُكَثِّرُ أوْصابِي فلا باركَ اللهُ

*



(١) الأملود : الغصن الناعم اللين ، والرداح : الثقيلة الأوراك . (٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٥٦٥ ، برقم ١١٩ . (٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤١١ .

(نفحة الريحانة ٢/٤١)

١٣٥

مصطفى بن محمد بن نجم الدين الحلفاوى[*]

خطيب وابن خطيب ، وعَبير مستفاد من مسك وطيب .

تناول المجد كابرًا عن كابر ، واستفاده ما بين أسِرَّة ومنابر .

وهو من قوم رَقَوا على الدَّرَج ، وأَمِن مادحُهم من الاعتراض والحَرَج .

لأيديهم فُتحت بالثناء أفواهُ الأعلام ، ولأقدامهم طأطأت رؤوس المنابر والأقلام .

لا تزال النجابة فيهم نَسَقًا على نَسَق ، وإذا لاحت وجوهُهم أضاءت بالليل وما وَسَق .

وأنا إذا أمسكتُ عن ذكرِهم لسانًا رَطِيبا ، فقد قام اشتهارُهم عنّى فى الآفاق خطيبا .

وقد نبغ منهم هذا النَّدْب كما شاءت العُلَى ، فجاء متحلِّيًا من الفضائل الغُرِّ بأنفَس الحُلَى .

وقد عُرِف فيه الرشد ، من حين وُضِع فى اللُّفافة وشُدّ .

إلا أنه اخترمَه الأجلُ وغصنُه يانِع ، وليس له عند التوسُّع فى المآثر مانِع .

* * *

وقد أنشدنى بعضُ الأدباء له بيتين ، جئت بهما فى هذا المحل مثبتين .

وهما قوله[1] :

(*) ترجمه الطباخ فى : إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ ، ٤٠٨ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه توفى آخر القرن الحادى عشر .

(١) البيتان فى إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ .

قالوا سَلَا قلبُه عن حبِّهم وغدا ... مُفرَّغَ الفكرِ منهم خالىَ البالِ

قلتُ اثبِتُوا أن لى قلباً أعيشُ به ... ثم اثبِتُوا أنه عن حبِّهم سالِى

***

وهذا معنى حسن ، وقلت فيه من قطعة[1] :

وظننتَ قلبي سالياً ... أتُرِكْتَ لى قلباً فيسْلُو

وقلت أيضاً[2] :

قال تسلَّى وقد جفاني ... ونام عن صَبْوتى وحُبِّي

صدقتَ بالقلبِ كنتُ أهوى ... وحبيبتي إذ أخذتَ قلبي

والأصل فيه قول بشّار[3] :

عَذِيرِى من العُذَّالِ إذ يَعْذِلونني ... سَفَاهاً وما فى العاذِلين لبيبُ[4]

يقولون لو عزَّيْتَ قلبَك لارْعَوى ... فقلتُ وهل للعاشقين قلوبُ

ومثله لابن الوَضّاح المُرْسِيّ[5] :

يقولون سلَّ القلبَ بعد فراقِهم ... فقلتُ وهل قلبٌ فيسْلُو عن الحُبِّ

وللعَرْجِيّ[6] ماهو منه ولا يبعُد عنه[7] :

---

(١) إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ . (٢) إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ .

(٣) البيتان فى ديوانه ١/١٨٦ ، الأغانى ٣/١٧٧ ، إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، والثانى فى ريحانة الألبا ١/٤٣ .

(٤) رواية الديوان :

عَذِيرِى من العُذَّالِ لا يتركوننى ... بغمِّى أما فى العاذلين لبيبُ

وما هنا رواية الأغانى .

(٥) إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ . (٦) أبو عمر عبد الله بن عمر العرجى ، الأموى ، القرشى .

شاعر أموى ، وفارس شجاع .

توفى فى حبس محمد بن هشام المخزومى ، نحو سنة عشرين ومائة .

الأغانى ١/٣٨٣ ، العقد الثمين ٥/٢١٩ ، معاهد التنصيص ٢/٥٥ .

(٦) إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، ريحانة الألبا ١/٤٤ . (٧) فى الريحانة : « أن الدهر يعقبنى » .

وزعمتِ أن الدهـــــر يُقْنِعنى صـــبْرًا عليك وأين لى صبرُ

وللبهاء زُهَير (١) :

جعل الرُّقادَ لكى يُواصل مَوعِدًا من أين لى فى حبِّه أن أرْقُدَ

ولْلبُوريِنى (٢) :

يقولون فى الصبحِ الدعاءُ مُؤَثِّرٌ فقلتُ نعم لو كان لليلِ له صبحُ

وللشّهاب الخفاجىّ (٣) :

يقولون لى لم تُبْقِ للصلحِ مَوْضِعاً وقد هجرُوا من غير ذَنْب فمَن يَمْحى

صدقْتم وأنتم للفؤادِ ســـــلبتم وماليَ قلبٌ غيره يطلب الصُّلحَ





---

(١) ديوانه ٥٠ ، وإعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، وريحانة الألبا ١/٤٣ ، ٤٤ .

(٢) بدر الدين حسن بن محمد بن حسن البوريني ، الشافعي .

ولد فى قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة .

وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .

واشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام ومساجدها .

وكان عالما محققا ، زكى الطبع ، فصيح العبارة ، طلق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب المفاكهة .

وقد جمع « ديوانا » من شعره .

توفى بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

خبايا الزوايا ، لوحة ١٤ أ ، خلاصة الأثر ٢/٥١ ، ديوان الإسلام لوحة ٢١ ب ، ريحانة الألبا ١/٤٢ .

والبيت فى : إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، خلاصة الأثر ٢/٥٦ ، ريحانة الألبا ١/٤٢ .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، ريحانة الألبا ١/٤٤ .

١٣٦

محمد بن محمد البَخْشِيّ *

من أفراد العلم الكبار ، الحِسان الآثار والأخبار .

وكان من سُمُوّ القدر، واتّساع الصدر ، ونُبْل الهمة ، ورَعْى الذمّة .

فى حدٍّ ما وراءه مَطْمَع ، ولا يتقرّط بمثل خبرِه مَسْمَع .

إلى تقْوى باطنه معمور ، وقَناعة موطنُه ببركاته مغْمور .

وإيثار بما ملَك ، ووَقارٍ يتْبعه أنَّى سلَك .

تُوازَن به السحبُ الهواطِل إذا حَبَا ، ولا ترْضَى أن تُشبِهه الجبالُ الرّوازن إذا احْتَبَى .

صحِبْتُه بالرُّوم فشاهدتُ ملَكا فى صورة إنسان ، مطبوعاً على الخير فلا يُشابُ (١) بشرٍ ولا يُشان .

فما شرَّته مُحِبّاً له مَحَبّة الصحابى للسُّنَّة ، وفارقْتُه فتأَسّفتُ عليه تأَسُّف آدم على الجَنّة .

(*) فى ا ، ب : « النجشي » ، والمثبت فى : ج .

وهو :

محمد بن محمد بن محمد ، البخشي ، البكفالوني ، الحلبي ، الشافعي .

المحدث ، الفقيه ، الصوفي .

ولد بيكفالون ـ بفتح الموحدة ـ قرية من أعمال حلب ، فى سنة ثمان وثلاثين وألف ، وبها قرأ القرآن .

ورحل إلى دمشق ، وأخذ عن بها من العلماء ، مثل : عبد الباقي الحنبلي ، ومحمد الخباز البطنيني .

وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ أيوب الخلوتي ، وقرأ عليه جملة فنون .

ثم توطن حلب ، وأخذ بها عن محمد بن الحسن الكواكبي .

سافر إلى الروم سنة ست وثمانين وألف ، والتقى به المحبي هناك فى أدرنه ، ثم فى قسطنطينية .

وله من التآليف « الشافية نظم الكافية » ، و « شرح على البردة » ، وغيرهما .

ودرس بالمقدمية التي بحلب ، ثم قصد الحج بنية المجاورة ، فقدم مكة حتى توفى سنة ثمان وتسعين وألف ، ودفن بالمعلاة .

إعلام النبلاء ٦/٤٠٢ ـ ٤٠٦ ، خلاصة الأثر ٤/٢٠٨ ـ ٢١١ .

(١) فى ا : « يصاب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أنسى الأيامَ وأذكرُه ، وأذكرُ مكارِمَه فأشكُره .

وهاجر آخر أمرِه إلى مكة ، فكان بها سحاباً ماطراً ، ونسيماً إذا هبَّ هبَّ عاطراً .

فأقبل أكثرُ أهلِها عليه ، وسلَّموا زِمامَ انقيادهم إليه .

ووردُوا مشرعَ وِفاقِه ، وانتظموا في سِلْك رِفاقِه .

ثم لم يلبث أن دعاه الكريمُ إلى دارِه ، فتولَّاه عفوُه بمَنِّه ومِدْرارِه .

***

وكان أملَى عليَّ من أشعارِه قِطَعاً سهلة ، ربما حفظتُها بجَوْدتِها من أول وَهْلة .

ولم أعلِّقها في[1] دفترٍ اعتماداً على الحفظ منِّي ، ولم أدرِ أن الأيام وشواغلَها تنفِّرها عنِّي .

ثم وقفتُ له بمكة على قصيدة فتعلَّقتُ بها وجعلتُها من المعلَّقات ، وأنا من عهدِها شَغِفٌ بترديدها حِرْصاً على تذكُّر تلك الأوقات .

والقصيدة هي هذه ، قالها في مدح الشريف أحمد[2] ، وأخيه الشريف سعد ابني زيد ، وهما بدار الخلافة[3] :

خليلَيَّ إيهٍ عن حديث صَبا نجدِ ... وإن حركت داءً قديماً من الوَجْدِ[4]

فآهٍ على ذاك النسيم تنشُّقاً ... وآهٍ على آهٍ تروِّح أو تُجْدِي

عليلةُ أنفاسٍ تُصبِح نفوسَنا ... مُعطَّرةَ الأردانِ بالشِّيحِ والرَّنْدِ

وهيهاتَ نجدٌ والعُذَيبُ ودونَه ... مَهامِهُ تعوى الكُدْرُ فيها عن الوِرْدِ

ومن كلِّ شِمْراخِ الأهاضبِ خلتُه ... سحابٌ يرومُ الشمسَ بالصدِّ والرَّدِّ

---

(١) سقط من : أ ، وهو في : ب ، ج . (٢) تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ٤١٧ .

(٣) رحل الشريفان أحمد ، وسعد ابنا زيد إلى دار الخلافة سنة خمس وثمانين وألف . انظر خلاصة الأثر ١ / ١٩١ .

والقصيدة في : خلاصة الأثر ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٠٣ – ٢٠٥ ، نقلا عنه .

(٤) في خلاصة الأثر : « من حديث صبا نجد » .

وتَسْرِى الصَّبَا منه فتُمسِى وبيننا ⁂ من البَوْنِ مابين السَّماوةِ والسِّنْدِ [١]

* * *

هذا في المبالغة وقول ابن عُنَيْن [٢] رفيقاً عنان .

وقوله هو [٣] :

ساَمحتُ كُتْبَكَ في القطيعةِ عالِماً ⁂ أن الصحيفةَ لم تَجِدْ من حاملِ [٤]

وعذَرتُ طَيْفَكَ في الوصولِ لأنه ⁂ يَغْدو فيصبح دوننا بمَراحلِ [٥]

* * *

ولا أقول ماقال ابن بَسّام [٦] : قد شنَّع وبشَّع أبو زيد في الكذب ، حيث قال :

وشِمْتَ سيوفَكَ في حِلَّقٍ ⁂ فشامتْ خُراسانُ منها الحَيَا [٧]

وبعَّد وبدَّع مُهَلْهِل ، حيث قال [٨] :

---

(١) في ا : « ... بين السموت والسند » ، والمثبت في ب ، ج .

وبادية السماوة : بين الكوفة والشام . معجم البلدان ٣/١٣١ .

(٢) محمد بن نصر الله بن الحسين ، ابن عنين الدمشقي .

شاعر دمشق ، من أملح أهل زمانه شعرا ، ولكنه كان هجاء .

توفي سنة ثلاثين وستمائة .

معجم الأدباء ١٩/٨٦ ، وفيات الأعيان ٤/١٠٦ .

(٣) ديوان ابن عنين ٨٦ ، والبيت الثاني مضمن ، وهو لأبي العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند ٢/٧٣٤ ، وقد روى الخوارزمي في شرحه البيتين ، وقال : « أنشدني له بعض المستعربة » .

(٤) في الديوان : « أن الصحيفة أعوزت من حامل » .

(٥) في ديوان ابن عنين ، وشروح سقط الزند :

وعذرتُ طيفكَ في الجفاء لأنه ⁂ يَسْرِى فيصبح دوننا بمراحلِ

(٦) لم أجد هذا في طبع حتى الآن من كتاب ابن بسام .

(٧) يقال : شمت السيف : إذا أغمدته ، وشمته أيضا : إذا أخرجته من غمده . الأضداد لابن الأنباري ٢٥٨ ، ٢٥٩ . (٨) الأصمعيات ١٥٥ ، وأمالي القالي ٢/١٣٣ ، وسمط اللآلي ٢/٧٥٥ ، والشعر والشعراء ١/٢٩٧ ، والموشح ١٠٦ ، وانظر ريحانة الألبا ٢/٤٩٣ .

ولولا الريحُ أسمعَ من بحُجرٍ صليلُ البَيض تُقرَعُ بالذُّكورِ[1]

لأن الصَّبا قد تتخلف لمحبوب غيرها أياماً فبيتُ[2] ابن عُنَين كذبه واضح ، والعذر فاضح .

والبيتُ الذى نحن فيه مُنْشِيه موصون[3] بصدق المقال ، ومُنْشِده مُستريحٌ من حَمْل الأثقال .

***

سقا اللهُ من نجدٍ هضاباً رياضُها	تنفَّس عن أزكى من العَنْبَرِ الوَرْدِ[4]
وحيَّى الحَيا حَيًّا نعمْنا بظلّه	بنَعْمانَ ما بين الشَّبيبة والرِّفْدِ[5]
نُغازِل غِزْلاناً كوانِس فى الحشَى	أوانسَ فى ألحاظِها مقتنصُ الأُسْدِ
تُحاكِى الجوارِى الكُنَّسَ الزُّهْرَ بَهْجةً	وتفضُلُها فى رفعةِ الشأنِ والسَّعْدِ
حجازيّةُ الألفاظِ عُذريّةُ الهوى	عراقيّةُ الألحاظِ ورديّةُ الخدِّ
بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ معسولةُ اللَّمى	مُرَهَّفةُ الأجفانِ عسّالةُ القدِّ
تَميسُ وقد أرخَتْ ذوائبَ فرعِها	فتخطُر بين البانِ والعلَمِ الفَرْدِ
وتعطُو بجيدٍ عطَّل الحَلْىُ حسنَه	كأن ظَبيةً تعطو إلى ورَقِ المَرْدِ
وكم ليلةٍ باتت يداها حمائلِى	وباتت يدى من جيدِها مَطْرَحَ العِقْدِ

(١) فى المصادر السابقة : « أسمع أهل حجر » .

وحجر : هى مدينة اليمامة وأم قراها . معجم البلدان ٢ /٢٠٩ .

وقال أبو على : حجر ، قصبة اليمامة ، وحربهم إنما كانت بجزيرة .

انظر الأمالى ٢ /١٣٤ ، مع السمط ٢ /٧٥٥ ، ٧٥٦ .

(٢) فى ا ، ب : «فثبت» ، والمثبت فى : ج .

(٣) كذا فى الأصول ، ولعل الصواب «موصوف» .

(٤) فى ب : « هضابا بأرضها » ، والمثبت فى : ا ، ج . وخلاصة الأثر ، وفى الخلاصة : « تنفس عن أذكى » .

(٥) نعمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة . معجم البلدان ٤ /٧٩٦ .

والرفد : جمع الرفدة ، وهو العصبة من الناس . اللسان (ر ف د) ٣ /١٨٢ .

نُدِيرُ سُلافةً من حديث حَبابِها … على حين ترشافٍ أَلَذَّ من الشُّهْدِ (١)

ولمّا تجلّى الصبحُ يطلُب عَيْنَنا … تكنّفنا ليلٌ من الشَّعَرِ الجَعْدِ

عفيفَيْن عمّا لا يليق تكرُّما … على ما بنا من شدّةِ الشوقِ والوَجْدِ

وقد كاد يسعى الدهرُ في شتّ شَمْلِنا … ولكن توارَى شَفْعُنا عنه بالفَرْدِ

فأصبحتُ أشكو بَيْنَها وفراقَها … بشَطِّ النوى شكوى الأسيرِ إلى القِدِّ (٢)

وإنّي قد استطعتُ دَرْكَ مطالبي … وتبليغَ آمالي وما نَدَّ عن حَدِّي (٣)

[illegible] تَبُلَّ دَوحةِ المجد غارِبِ أ … معالى سَنامِ الفخر بل غُرَّةِ المجدِ (٤)

إمامٍ مُصَلٍّ والمحصَّبِ والصَّفا … وِراثةَ جَدٍّ عن نَبِيٍّ إلى جَدِّ

أبي أحمد زينِ الصناديد في الوغى … بني حسنَ الأُسْدِ الكواسرةِ الحُدِّ

[illegible] العلى الغُرِّ الميامنةِ الأُلى … [illegible] قدرُهم يوم التفاخُرِ عن نِدِّ

غيوثٌ إذا أعفَوْا ليوثٌ إذا سطَوْا … مناقبُهم جلَّتْ عن الحدِّ والعَدِّ

[illegible] أفلَتْ شمسٌ لزيدٍ وقد [illegible] … [illegible] من ضيائها شمسُ أحمدَ أو سعدِ (٥)

هما [illegible] أوج [illegible] وشرفا … [illegible] بروج قصورِ الروم في طالع السعدِ (٦)

ومذ رحلا عن مكةٍ غاب [illegible] … فكانا كنصل السيفِ غاب عن الغِمْدِ

❊ ❊ ❊

ومنها :

جَرَوْا دُونَ في شَطِّ الماجد جُنَّبًا … وحازَ رِهانَ السَّبْقِ في حَلَقِ الضُّمَّرِ (٧)

---

(١) في خلاصة الأثر : « من حبابه حبابها » . (٢) القد : السوط ، أو السير يقد من جلد .

(٣) في خلاصة الأثر : « وإني قد استدركت » . (٤) في ا ، ب : « روضة المجد » ، وفي ج : « روحة المجد » . وفي خلاصة الأثر : « ذروة المجد » ؛ ولعل الصواب ما أثبته .

(٥) في خلاصة الأثر : « شمس أحمد والسعد » . (٦) « عاليا » كذا في الأصل .

(٧) في الأصول : « في شط الماجد حليا » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

وفي ا ، ج : « في حلق الضد » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

بِراحاتِهِمْ إن ينْبُت الجود فى العطا ... فتلك بحورٌ تتَّقى الجزْرَ بالمَدِّ

وإن أحْيَتِ السحبُ النَّباتَ بمائها ... فكمْ أحْيَتِ الراحاتُ أنفسَ مُسْتجْدِى[1]

رياضٌ لمُرتادٍ حصـــونٌ للائذٍ ... رُجومٌ لمُستعْدٍ نجومٌ لمستهدِى

شمائلُ تهزُو بالشَّمائلِ لُطْفُهــا ... وعِطْفُ شَمُولِ الرَّاحِ هِزَّتُه تُبْدِى[2]

منها :

بنو هاشمٍ إن كنتَ تعرف هاشماً ... وما هاشمٌ إلا الأسِنَّةُ للمجـــدِ[3]

بهم فخرَتْ عدْنانُ والعُرْبُ كلُّها ... ودانتْ لهم قَحْطانُ أهلُ القَنا الْمُلْدِ

فمِن مجدهم يُستَقْبَسُ المجــدُ كلُّه ... ومن جُودِهم أهلُ المكارمِ تَستجْدِى

هنيئاً لأبْنا المصطفى الشرفُ الذى ... تسامَى فلا يُحْصَى بعدٍّ ولا حَدِّ[4]

بمدْحتِــكم جاء الكتابُ فما عسى ... تقول الورى من بعد حمٍ والحمدِ[5]

وعُذْراً بنى الزَّهْراء إنِّىَ ظامئ ... إلى المدحِ والأيامُ تُنْئِى عن الوِرْدِ

يودُّ لســـانى لو يُترجِمُ بعضَ ما ... لكمْ فى فؤادِ الصَّبِّ من صادقِ الوعدِ

وقد نضبتْ منه القريحـــةُ نَضْبةً ... على حذَرٍ من حاذرٍ أحْذَرِ الرَّبْدِ[6]

كنَفْثةِ مصدورٍ ولمحـــــةِ عاشقٍ ... تُسارقه عينُ الرقيبِ على بُعْدِ

فإن أعْطَتِ الأيامُ بعضَ قِيادِهـــا ... رأيتُ له من مَدْحِكم أعظمَ الوِرْدِ

(١) فى الأصول : « وإن أحسن السحب » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

(٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة .

وفى الخلاصة : « شمائل تهزا » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « إلا الأسنة للجد » . (٤) فى خلاصة الأثر : « هنيئا لنسل المصطفى » .

(٥) فى ب : « تقول الروى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى الأصول : « وقد نعبت » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفيها : « منه القريحة نفثة » .

وفى الأصول أيضا : « أحذر الربد » ، والمثبت فى الخلاصة .

١٣٧

إبراهيم بن أبي اليُمْن البَتْرُونِيّ *

صَدر منشرِح الصدر ، مُوفية محاسنهُ على الشمسِ والبدر .

من أُسْرَةٍ تَسقوا الفضائل وَلَا ، وسحَبوا من المُعْلوات مطارفَ ومُلَا .

أفْتَرَّ لهم الزمانُ وابْتسم ، وارْتسم بهم نقْشُ المآثرِ واتَّسَم .

كما تبسَّم ثغرُ زهرٍ عن شُعاع ، وترقْرق جَعْد نهرٍ بظِلٍّ لَمَّاع .

وهذا الفاضل محَلُّه منهم محل العينِ الناظرة تُصان عما يقْذِيها ، واليد الباطِشة تُحفظ عما يُؤْذيها .

أوْصافُه لا تُجاريهِ فيها أقدامُ الوطَر ، ونُعوتُه لا تزاحمه عليها مناكبُ الخطَر .

فهى مُسلَّمةٌ إليه إذا نُوزِع من ادَّعاها ، مقرَّةٌ لديه إذا دُوفع من استدْعاها .

وله مآثرُ يفارق فَرْقَ الفرقدَين[(١)] فعيدُها[(٢)] ، إذا وطِئتْ أقدامُه الأرضَ رَبَتْ واهتزَّ فيها صعيدُها .

إلا أن الأيام عاندتْه فى منصب قومِه ، وعوَّضتْه همَّ أمْسِه مضافا إلى يومِه .

(*) إبراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن البترونى ، الحلبي ، الحنفي .

دمشقى ، أديب .

تصدر فى مدينة حلب بعد أبيه ، وسلك طريق القضاء ، وتولى مناصب عديدة .

ثم ترك كل هذا ، وتفرغ للعلم ، وترك له أبوه عما كان بيده من مدارس وجهات ، وسكن بقضاء الحنفية وجه إلى غيره .

كان حسن المحاضرة ، شاعرا مطبوعا .

توفى سنة ثلاث وخمسين وألف ، عن نحو أربع وسبعين سنة ، ودفن بجانب والده ، بالصالحية .

وتقدم ذكر نسبة البترونى ، فى هذا الجزء ، صفحة ٢٠٢ .

إعلام النبلاء ٦/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، خلاصة الأثر ١/ ١٠ ، ١١ .

(١) فى ب : « الفرقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ج : « تعيدها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وعارَضه صادقُ المقدور ، فراح من الدنيا بنفثة المصدور .

* * *

وقد رأيتُ له شعراً يدلُّ على قدره الجليـــل ، دلالة النسيم العليـــل ، على الروضِ البَليل .

فأثبتُّ منه ما ألفيْت ، وبالدلالة عليه اكتفيْت .

فمنه قوله من مكاتبة :

عَلَى فَرْطِ التشوّقِ والبِعـــــادِ ... وإخلاصِ محبّةٍ في العبـــادِ

فإني مُوقِرٌ غُرَرَ التحـــايا ... ومُهْدِيها إلى الشَّهْمِ الجوادِ

خليلي ذي الخِلالِ بلا اختلالٍ ... وخِدْني ذي الفضائلِ والودادِ

وصَفْوتيَ المصـــفّى والموفّى ... حقوقَ مودّتي في كلّ نادِ

* * *

ومنه[1] :

وهل يصفو الزمانُ وقد بلاني ... بأيدي غدرِه من قبلِ عادِ

إذا ما فارقتْ منـــه سهامٌ ... فلا تُخطي توجُّهُها فؤادي

فبي من صرفـــه ما لو تراهُ ... لأَوْدَى بالقُرى والبوادي

ألا قلْ لي فديْتك هل أرى لي ... مُعيناً في البلـــوغ إلى المرادِ

رحيبَ الصدرِ ذا صدقٍ ودينٍ ... لأجعلَـــه ذخيري واعتمادي

* * *

وقوله من قصيدة :

جاءتْ إليك وقد أرتْك قصورَها ... عذراءُ شِيدَتْ بالثناء قصورُها

---

(١) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج .

حسناء صاغ لها المديحُ قلائداً   حلّت بها بين الحسانِ نحورَها[1]

باهتْ بفخرك كلَّ ممتدحٍ وما   تاهتْ وصانتْ عن سواك نظيرَها

واستمطتِ الجوزاء قدْراً حيث إن   كنتَ المآلَ لها وكنتَ سميرَها

يا أيها الصدرُ الذي اقتعد العُلى   بمكارمٍ أضحى الكمالُ سميرَها[2]

منها :

ورجعتَ منصوراً وغدتَ بنعمةٍ   قد نلتَ من رب الورى موفورَها

وحظيتَ بالأجرِ الجزيلِ وهذه   نِعَمٌ فكن بالمكرُماتِ شكورَها

* * *

ويعجبني قوله في التخلُّص من قصيدة قالها في الأمير محمد بن سيفا[3] :

ولقد شكوتُ له الهوى نبرقّ لى   فدَنى عن المُضْنى بقلبٍ جلمدِ

وأبى سوى رِقّى فقلتُ له اتّئدْ   إنّى رفيقٌ للأمير محمدِ[4]

* * *

وله في الفتح بن النحّاس[5] ، وكان يهواه[6] :

مُهلِكَ العشاقِ مَهـــــلاً   فيك لى منك انتقامُ

---

(١) في ا : « خدراء صاغ » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) في ب : « أضحى الكمال سهيرها » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) الأمير محمد بن علي السيفي الطرابلسي .

أحد أمراء بني سيفا حكام طرابلس الشام ، وولاتها المشهورين بالكرم والأدب ، ولي حكومة طرابلس بعد موت الأمير يوسف السيفي ، واختص به كثير من الشعراء .

توفي سنة اثنتين وثلاثين وألف ، بمدينة قونية ، مسموما .

خلاصة الأثر ٤/٤٧ ـ ٤٩ .

والبيتان في : خلاصة الأثر ١/١١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٥ نقلا عنه .

(٤) في ا : « إلى رفيق » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٥) تقدمت ترجمته في هذا الجزء ، صفحات ٥٠٧ ـ ٥٣٢ ، برقم ١١٤ .   (٦) البيتان في : خلاصة الأثر ١/١٠ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٤ ، نقلا عنه .

بشُعَيْرَاتٍ كَمِسْكٍ هي للحسن خِتَامُ

* * *

وله فيه ، من أبيات [١] :

بيني وبينك مدةٌ فإذا انقضَتْ كنتَ الجديرَ بأن تُعَزَّى في الورَى

منها [٢] :

رِفْقًا بقلبٍ أنت فيه ساكنٌ إن الحياةَ إذا قضَى لا تُشْتَرَى

فارْدُدْ على طَرْفِي المُسَهَّدِ نعله يلقَى خيالًا منك في سِنَةِ الكَرَى [٣]

وسَلْ عيونًا لا تملّ من البكا عن حالتي يُنْبِيك دمعي ما جرَى

* * *

وله فيه ، وقد عشق مليحا اسمه موسى ، فتجنَّى عليه [٤] :

كلُّ فِرْعَونَ له موسى وذا في الهوى مُوسَاكَ يُولِيك النَّكَدْ

فكما أكْمدتَ من يَهْواكَ بالصَّدِّ مُتْ صَدًّا وذُقْ طعمَ الكَمَدْ

* * *

---

(١) خلاصة الأثر ١ / ١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٧٤ نقلا عنه .

(٢) الأبيات متصلة في الخلاصة .   (٣) في خلاصة الأثر : « المنام لعله » .

(٤) البيتان في : خلاصة الأثر ١ / ١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

١٣٨
أحمد بن محمد المعروف بابن المُنْلا *

شارح « مغنى اللبيب »

عالِم الشهباء ومصقِّعها ، ومُفرِّط العلماء ومُشنِّفها .

بتآليف وشَّح ببَراعةِ بَراعتها صدورَ المَهارِق ، وأتى فيها من معجزات البلاغة بالخوارِق .

حاز بها[1] فى تلك الحَلْبة غاية[2] الظهور ، وفاز بقصَب السَّبْق فيما بين ذلك الجمهور .

* * *

وله عُقود كلام لو تجسَّم لفظُها لما رُصِّعت إلا على التِّيجان ، وتنزَّهت عن أن تُرى أفرادُها مواضعَ اللؤلؤ والمَرْجان .

تشتمل من رُودِ القوافى ، وخُودِ الغزليات الصوافى .

على غُرَر كقِطع الرياض غِبَّ القَطْر ، وفِقَر أحسن من الغنى بعد الفقر .

فما يتبين فى معانى بلاغته انْحلالُ مَعاقد ، ولا تلين قناةُ براعتِه لغَمْز ناقد .

* * *

(*) أحمد بن محمد بن على الحصكفى ، الحلبى ، الشافعى ، المعروف بابن المنلا .

ولد سنة سبع وثلاثين وتسعمائة .

كان واحد الدهر فى كل فن من فنون الأدب ، جمع بين لطف التحرير ، وعذوبة البيان .

رحل مع والده إلى قسطنطينية ، سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، ثم رجع إلى حلب ، فاشتغل بالتدريس والتأليف ، وتعاطى صناعة النظم والنثر ، فأحسن فيهما إلى الغاية .

إعلام النبلاء ٦/١٣٨–١٥٢ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ١/٢٧٧ – ٢٨٠ .

وانظر ريحانة الألبا ١/٩٧ ، ٩٨ .

(١) فى ج : « فيها » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فمن كلامه الدائر بين الرُّواة ، المرتعيف دُرًّا أصدافه الأفواه .

هذه القطعة من موشّح أطلعها مُنيرة ، وبعث بها الأشجانَ نارَ الوجد مُثيرة . وقد عارض به موشّح ابن سَهْل [1] الذي يقول في مطلعه [2] :

هل درى ظبيُ الحِمَى أن قد حَمَى ... قلبَ صَبٍّ حلَّه عن مَكْنَسِ

* * *

وهو من الموشّح الموزون ، الذي يتسلّى به قلبُ المحزون [3] :

رُبَّ رِيمٍ رامَ قلبي فرمَى ... فيه سهمًا جاء عن غير قِسِي

من رأى ظَبْيا أرانا أسْهُما ... من لحاظٍ كعيونِ النَّرجِسِ

* * *

دور [4]

يانديمي قُمْ صفا وقتُ الهنا ... فامْلَ لي الكأسَ وعجِّلْ بانطلاق [5]

وأدِرْها خمرةً تولي المُنَى ... فزمانُ الأُنسِ بالبِشْرِ حَباك

والحَيَا قد ألْبسَ الروضَ السَّنا ... وعلى الدَّوحِ من الزَّهرِ حُلاك

* * *

وحكتْ بالأنجُمِ الأرضَ السما ... إذْ غدَت بالزُّهْرِ منها تكتسي

وحَبا الأغصانَ طَرْزًا مُعْلَما ... حين ماماسَ بأبْهى مَلْبَسِ

* * *

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي .
كاتب ، شاعر ، كان يهوديا فأسلم .
غرق سنة تسع وأربعين وستمائة .
فوات الوفيات ١ / ٤١ — ٤٨ .

(٢) ديوانه ٤٧ (٣) الموشح في إعلام النبلاء ٦ : ٤٤ ، ١٤٥ .

(٤) زيادة من : ح ، على ما في : ا ، ب ، هنا وفي المواضع التالية .

(٥) في إعلام النبلاء : « وملأ الكأس » .

دور

مائرى ياصاحِ أغصانَ الرُّبى   مائلاتِ القدِّ من خمر السحابْ [1]

رنّحتْها سُحْرةً أيْدِي الصَّبا   فصَبا القلبُ إليها باكْتئابْ

ومن الزَّهْرِ لهـا أعْلى قِبـاَ   ومن الدَّوْحِ لها عالِي القِبابْ [2]

＊＊＊

نقّطتْها السُّحبُ دُرًّا مثلمـا   كستِ الروضَ بثوبٍ سُنْدُسِي

وشـذا عَرْفِ نسيمٍ هَيْنَما   وكذا يفعلُ ذا كى النَّفَسِ [3]

＊＊＊

دور

مالِلاحٍ مُذْ لَحى طاب الهوى   فى حبيبٍ وجهُه يحْـكِى القمرْ

لَذَّ لِي فى حبّه مُرُّ النوى   وارْتـكابُ الهوْلِ يوما إن خطَرْ

ماعلى مَن نجْمه فيـه هوَى   حين ما صَدَّ دَلالا ونفَـرْ

＊＊＊

أحورُ اللحْظِ معسولُ اللَّمَى   فاحِمُ الشعرِ شهِيُّ اللَّعَسِ [4]

ثغْرُه أبدى لنا برقَ الحِمى   وأثيثُ الشعرِ ثوبَ الغَلَسِ

＊＊＊

دور

يالَه بدراً حَمَى عنِّى الـكرَى   قدُّه والطَّرْفُ عَضْبٌ وأسَلْ

فى دُجَى شعرٍ له بدرٌ سرَى   وبشمسِ الوجه ليلٌ قد نَزَلْ

خَنِثٌ فى جَفْنِه أُسْدُ الشَّرَى   وعلى أعْطافِهِ لِينٌ ودَلْ

＊＊＊

---

(١) عجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من إعلام النبلاء .

(٢) فى إعلام النبلاء : « أعلى قبا . . . بها عالى القباب » .

(٣) فى إعلام النبلاء : « عرف نسيما هيما » .

(٤) فى ا : « أحور اللحظ » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

سَاحِرُ المُقْلَةِ معشوقُ الدُّمَى ... تَــرُ الأُفْقِ وظَبْيُ المَــكْنَسِ

ذُو لِحَاظٍ كم أراقتْ من دِمًا ... وهي تُفْدَى بالجواري الــكُنَّسِ (١)

***

ومن بدائعه قوله (٢) :

نَازَعَ الخَــدَّ عِــذَارٌ دائرٌ ... فوق خالٍ مِسْكُه ثَمَّ عَبِقْ

قائلاً للخال هــذا خادمي ... ودليلي أنه لَوْنِي سَرَقْ

فانْتَضَى الطرفُ له سيفَ القضا ... ثم نادَى ما الذي أبْدَى القلقْ (٣)

أيها النُّعمانُ في مذهبِــكم ... حجةُ الخارجِ بالمِلْكِ أحَقّ

***

وقوله (٤) :

وأسمرٍ من بني الأتراكِ ذي غنجٍ ... يهزُّ قدًّا كغصنِ البانِ في هَيَفِ

كأنه حين يعــــلو سورَ قلعتِه ... ويَنْثَنِي شَرَفًا منــــه على الشَّرَفِ

غصنُ الصِّبــا مزهِرًا قد رنَّحتْه صَبًا ... عليه بدرٌ بدا من دَارَةِ الشَّرَفِ

***

ومن تضامينه العجيبة ، قوله في شخص عابَه بانْحسار شعر رأسه :

يَعِيبني أن شعرَ الرأسِ مُنْحسِرٌ ... منه فتًى قد عَرِي من حُلَّةِ الأدبِ

وليس ذلك إلا من ضِرامِ هوًى ... سرَى إلى الرأس منه ساطعُ اللهبِ

---

(١) في ا : « أراقت من دم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وفي ج ، وإعلام النبلاء : « بجوار الــكنس » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) الأبيات في : خلاصة الأثر ١/٢٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ نقلا عنه . (٣) في ب : « فانتضى السيف » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي الخلاصة : « أبدى الفرق » . (٤) الأبيات في : خلاصة الأثر ١/٢٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ ، نقلا عنه .

أقْصِر فَدَيْتُكَ ذا داءٍ بِمَعْرِهِ   والعيبُ في الرأسِ دونَ العيبِ في الذَّنَبِ

* * *

وله في شريف يعرف بالمَشْهَدِيّ يدَّعي الشعر[1]:

المَشْهَدِيُّ لِسانُه   قد فَلَّ كلَّ مُهَنَّدِ

إن رام إنْشادَ القريـ   ـضِ فقُل له يا سيدي

* * *

يُشير إلى قول القائل في[2] ابن الشَّجَرِيّ العَلَوِيّ[3]:

ياسيِّدي والذي يُعيذُكَ مِن   نَظْمِ القَريضِ يَصْدَا به الفِكْرُ

مافيك من جَدِّكَ النبيِّ سوى   أنك لايَنْبغي لك الشِّعْرُ

وفي كتاب « الكناية والتعريض »[4] للثعالِبِيّ : يقولون في فلان فضيلتان من فضائل النبيّ صلى الله عليه وسلم : إحداهما أنه أُمِّيّ ، والثانية أنه لايقول الشعر ، وهاتان الخصْلتان من فضائل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وليستا من غيره بفضيلة .

وإذا كان الرجل مُتشاعِرًا غير شاعر ، قالوا : فلان نَبِيٌّ في الشعر . يعني أنه لايَنْبغي له ذلك ، وعلى هذا بَنَى مَخْلَد المَوْصِلِيّ قوله :

يا نَبِيَّ الله في الشِّـ   ـعرِ وعيسى بنَ مريَمْ

أنتَ من أشْعرِ خَلْـ   ـقِ اللهِ مالمْ تتكلَّمْ

* * *

وله[5] :

قالوا حبيبُك أمسى لاتكلِّمه   ولا تميلُ لرُؤْيا وجهِه النَّضِرِ[6]

---

(١) خلاصة الأثر ١/٢٧٩ ، إعلام النبلاء ٦/٤٦ نقلا عنه .

(٢) في خلاصة الأثر بعد هذا زيادة « قول » .   (٣) البيتان في : خلاصة الأثر ١/٢٧٩ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ ، نقلا عنه .   (٤) الكنايات ٤١ ولم أجد فيه إلامن أول قوله : « وإذا كان . . » . خلاصة الأثر ١/٢٧٩ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦، ١٤٧ .   (٥) البيتان في : خلاصة الأثر ١/٢٧٩ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ ، نقلا عنه .   (٦) في ب : « آسى لاتكلمه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة .

فقلتُ أمرٌ دعانى نحو جَفْوتِهِ والحبُّ للقلبِ لا لِلَّفظِ والنَّظرِ

* * *

وله :

ادَّعَوا أن خَصْره فى انْتحالٍ فإذا بان قَدُّه الممشوقْ
وأقاموا الدليلَ رِدْفًا ثقيــــلًا قلتُ مهـــلًا دليلُكمْ مَطْروقْ

* * *

ومن منشآته قوله من رسالة[1] :

يقبِّل الأرضَ معترفًا برِقِّ العبودية قُرْبًا وبُعْدًا ، ومقِرًّا بأن فِراق تلك الحضرة الزاكية لم يُبْقِ له على مُقاومة التَّصبُّر[2] جُهْدًا .

ارتـكب مجازَ التصبُّر ليفوزَ بحقيقة الاصْطبار ، واسْتعار لقلبه جناحَ الشوق فهو هو يود لوأنه نحوكم قد[3] طار .

عجَّل عليــه البَيْنُ بذُبُول حَيْنه ، وسبكَ فى بودقة خــدوده[4] خالصَ إبْريز دمعةِ عَيْنه .

وقطَّر بتصْعيد أنفاسه لُجَيْن دموعه ، ونَفَى بتأوُّهه وأنينه طيرَ هُجوعه[5] .

بين أيادى من حَلَّاه اللهُ بأشْرف المناقب ، ورفعَ رتبتَه العليَّة على أعلى المراتب .

ونصَب له لواء المجد ، وخفَض له جناح السَّعد .

المجْزوم بأنه أوحــدُ العصر والأوان ، والمحــكومُ بقَصْر الفضل عليه من غــير احتياج إلى حجة وبرهان .

---

(١) الرسالة فى : خلاصة الأثر ١ / ٢٨٠ ، إعلام النبلاء ٦ /١٤٨ ، ١٤٩ ، نقلا عنه .
(٢) فى خلاصة الأثر : « الصبر » . (٣) ساقط من : خلاصة الأثر .
(٤) فى خلاصة الأثر : « خديه » . (٥) هذا آخر ما نقل فى : خلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء .

من فتح لأبناء دهره أبوابَ التحقيق ، وفاق أقرانه بحسن التَّنْقيح والتدقيق .

وحلّ من مُشْكِلات العلوم ما أعجز كل نِحْرير ، وأبرز غوامض الدقائق على أطْراف الثِّمام بأحْسن تقرير .

فهو المستَنَد إليه فى باب العلم ، والمُشار إليه بأنه إمام الحِلْم .

* * *

وله من رسالة أخرى :

انفتح له[1] فى فضل تصريف الأيام أبوابُ المزيد ، وتسلّطت على أصوله أيْدِى العِلَل فعايَن العَذاب الشديد .

فحاله رقّ له[2] أولو التمييز ، ومتى[3] ارتفعت زفراته بِعامل التجنِّى من يوسف الملاحة نادى أيها العَزِيز .

تناوب فى إعْلاله ماضى طَرْفه ومُضارِعُ قَدِّه فقرأتُ «باب تنازُع»[4] العاملين ، وتمادَى موصولُ جَفاه فأرسل سحابَ الناظرين .

وأوقع الفؤادَ فى عَرُوض الأسْقام ، وآذَن بتقطيع الأوصال بسُيوف الغرام .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .   (٣) فى ا : « وقد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « بباب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٣٩

محمد بن حسن الكواكبي*

عنوانُ كتاب العلى ، يُكتَب آخِراً ويُقرأ أوّلا .

له(١) يُفرَضُ الشكرُ ويُختَم ، وبه يبدأ الذكرُ ويُختَتَم .

فلهذه ختمتُ به باب أولى الفتوّة والبَسالة ، كما خُتِمت بمحمد صلى الله عليه وسلم باب النُّبوّة والرِّسالة .

فإنه من خُلّص نُخبته ، القائم بتأييد مِلّته .

ومن تقدّمه بالنِّسْبة إليه ، كلهم في الفقْه عِيالٌ عليه .

فهم مُقدّمات لشكْل الفضل الأوّل ، وهى النتيجة التى عليها فى القياسِ المُعوّل .

فقد يتأخّر الهاطل عن الرعد ، والنائلُ عن الوعد .

ومراتبُ(٢) الأعداد ، ترقى بتأخير رقْمِها وتزْداد .

وتجىء فَذْلَكةُ الحسابِ أخيرةً   لتكون جامعةَ العديد الأوْفرِ

ولا غَرْوَ فالكبير تتقدّمه المواكب ، والشمسُ بطلوعها تغيبُ الكواكب .

(*) محمد بن حسن بن أحمد الكواكبى ، الحلبى ، الحنفى .
مفتى حلب ورئيسها ، والمقدم فيها فى الفنون النقلية والعقلية ، مع الجاه والمال والشهرة .
ولد سنة ثمانى عشرة وألف ، ونشأ بحلب ، وأخذ بها عن علمائها كالشيخ جمال الدين البابولى .
ولى إفتاء حلب ، وتصدر بها ودرس .
وألف المؤلفات العديدة ؛ منها : « نظم الوقاية » فى الفقه ، و « شرحه » أى النظم شرحا مفيدا ، و « حاشية على تفسير البيضاوى » .
توفى سنة ست وتسعين وألف .
إعلام النبلاء ٦/ ٣٨٠ ـ ٣٨٧ ، خلاصة الأثر ٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٢) فى ا : « مراتب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فهو النَّيِّر الأعْظم ، وعَصْماء عِقْد النفاسة المُنظَّم .

مَزاياه تستغرِق الألفاظَ من النَّثِير والنَّظِيم ، والذى قسم الحُظوظ بين الناس حَباه بالخلق العظيم .

وقد متَّعه الله بحواسِّه وأعْضائه ، وأمْتع بَنِى الدنيا بإيناسِه وإغْضائه .

فاقتعد الرتبةَ التى أرتْه إلى الفلك صاعِدا ، وصحِب الهمةَ التى صيَّرتْه يتناول الكواكبَ قاعداً .

وأنا إذا أردتُ وصفَه الذى بهَر ، وبَدا كالصبح إذا اشْتهر .

قلتُ فى شأنِه الباهِر ، ومحلِّه الزاهى الزّاهِر[1] :

ليت الكواكبَ تدْنُو لى فأنْظِمها ... عقودَ مدحٍ فلا أرضَى له كَلِمِى[2]

***

وله من النظم الذى أبدعه فكرُه ، وأكسب صحائفَ الأيام فخر الأبد[3] ذِكْرُه ما يسْمُو إلى الأسْماع سُمُوَّ حَباب الماء ، ويعمل فى القلوبِ عملَ الأفعال فى الأسماء[4] .

فمنه قوله مضمِّنا بيتَى المرسِى[5] :

حتَّى م فى ليل الهمو ... م زِنادَ فكرِك تقْتدِحْ

قلبٌ تحرَّق بالأسَى ... ودموعُ عيْنٍ تنْسفِحْ[6]

ارْفُق بنفسِك واعْتصِمْ ... بحِمَى المهيْمِن تنْشرِحْ[7]

---

(١) البيت ضمن قصيدة لعمارة اليمنى ، فى وفيات الأعيان ٣/١٠٨ . (٢) فى وفيات الأعيان : « فما أرضى لكم » . (٣) فى ا : « الأدب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب ، ج : « بالأسما » ، والمثبت فى : ا . (٥) يعنى أبا العباس أحمد بن عمر المرسى ، المتصوف ، المعروف ، المتوفى بالإسكندرية ، سنة ست وثمانين وستمائة .

النجوم الزاهرة ٧/٣٧١ .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣٠ ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨٢ ، نقلا عنه .

(٦) فى ا ، ب : « ودموع عينى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ب : « بحمى المهيمن تسترح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وَاضْرَعْ له إنْ ضاقَ عنْـ ـكَ خِنَـاقُ حالِكَ تَنْفَسِحْ
ما أَمَّ ساحَـــةَ جُودِه ذُو مِحْنَـــةٍ إلا مُنِحْ
أو جاءَه ذو الْمُعْضِـــلا تِ بمُغْلَقٍ إلا فُتِحْ
فدعِ السِّوَى وانْهَجْ على النَّـ ـهْجِ القَوِيمِ الْمُتَّضِحْ (١)
واسمعْ مقالةَ ناصحٍ إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصِحْ
ماثَمَّ إلا مايُرِيـ ـدُ فدَعْ مُرادَكَ واطَّرِحْ
واتْرُكْ وَساوِسَكَ التى شغلَتْ فؤادَكَ تسْتَرِحْ

***

وله فى الغزل (٢) :

وَرَقْتاه من عهـــدِ الحبيبِ تُتَرْجِمُ لِيَهْنِكَ إنِّى بالْغُوَيْرِ مُخَيِّمُ (٣)
لئن تَسْعَدُ بى إلْفَاً وما شَطَّ حَبِيبُه فإنِّى على شَطِّ الْمَزارِ مُتَيَّمُ
وَهَبْ سَجْعَكَ الموزونَ باللحنِ مُعْرِبٌ فدمعِى أَوْفَى صامتٌ يتـــكلَّمُ (٤)
لكِ مِثْلُ فى العَنْدَلِيبِ وسَجْعِه ولى بالفَراشِ الشِّبْهُ والفَرْقُ يُعْلَمُ (٥)

***

وله (٦) :

يأيُّها البـــدرُ الْمُنيرُ إذا بدَا وإذا رَنَا يأيُّهـــذا الرِّيمُ
ومُعِيرَ الغُصنِ الرَّطيبِ تمايُلاً رقَّ النَّسيمُ لهـــا فصار يَهِيمُ
كَمْ ذا تَمُوِّهُ عن صَبابةِ عاشقٍ صَبٍّ على طولِ الصدودِ مقيمُ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « النهج السوى » . (٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٣٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨١ ، نقلا عنه . (٣) فى خلاصة الأثر : «عن عهد الحبيب» ، وفى ا : « بالعزيز مخيم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى الأصول « لكى » بإشباع الكسرة تحت الكاف وبعدها ياء ، للوزن . (٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٣٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨١ ، نقلا عنه .

فأرِحْ ضَنا جسدِي وحسْنَ تصبُّرِي ... وارْعَ الجميلَ فما الجمـــالُ يدومُ

***

وله في الألكن (1) :

فلا تعجبوا من لُكْنةٍ في لســـانِه ... فمن حُلْوِ فيـــه لا يُفارقُه الشُّهدُ (2)

***

وهذا المعنى أصله بالتركيَّة ، وكنت عرَّبْته قبل أن رأيتُ تعريبَه .

وبيتي هو (3) :

ما الكنةٌ فيه تَشِينُ وإنمـــا ... تأبى حروفٌ فِراقَ شُهْدِ لسانِه

ثم رأيت في « ديوان الشهاب » ما زِيد عليه ، وهو قوله :

باللهِ حـــدِّث عن تَلَجْلُجِ نُطْقِه ... سُـــكْرًا وأُخْفِي بعذْبِ بيانِه

ألضيقٍ فيه ليس يخرُجُ لفظُه ... لا بل يريد فِراقَ عَذْبِ لسانِه

وقد يُستعذَب هنا قول ابن تميم (4) :

عابوا التَّلَجْلُجَ في لسانِ معذِّبي ... فأجبتُهم للصَّبِّ فيـــه بيانُ

إن الذي يَنْشِي الحديثَ لسانُه ... ولسانُه من ريقِـه سَكْرانُ

***

وهــذا الأصل الطيِّب المَغْرِس ، فرعُه لم يزلْ ولا يزال تتعرف فيـه المعاني وتتفرَّس .

---

(1) في ج : « الألكن » ، والمثبت في : ا ، ب .

والبيت في : خلاصة الأثر ٣ / ٣٨ ؛ إعلام النبلاء ٦ / ٣٨١ .

(2) في ا : « ولا تعجبوا » ، والمثبت في : ب ، ج .

وفي خلاصة الأثر : « لا يفارقه الحرف » .

(3) خلاصة الأثر ٣ / ٣٨ ؛ إعلام النبلاء ٦ / ٣٨٢ ، نقلا عنه . (4) في ا : « تمام » ، والمثبت في : ب ، ج .

وانظر التعريف بمجير الدين بن تميم ، في الجزء الأول ، صفحة ٤٤ .

وهو أحمد [١] القائم مَقامَ أبيه فى رُتْبته ، والمُفرِّع لأفانين البلاغة من سامِى هَضْبته .

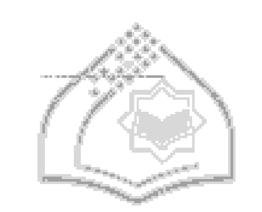
زاده الله تعالى فضلاً ونُبْلا ، وضاعف له الثناء بَعْداً كما ضاعفه [٢] قَبْلا .

وذلك إن كان بَقِيَ مزيدٌ بعد التَّمام ، على أنه لم يَبْقَ إلا الاستدامة كما قال أبو تمّام [٣] :

نعمةُ اللهِ فيــــه لا أسألُ اللّـ ـهَ إليها نُعْمَى سوى أن تدوما [٤]

ولو أنّى سألتُ كنتُ كمن يسألُه وهْو قائمٌ أن يقوما [٥]

* * *



آخر الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

الباب الثالث

فى نوابـغ بلغاء الروم

(١) تأتى ترجمته فى ذيل النفحة ، إن شاء الله تعالى . (٢) فى ا : « ضاعف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ديوانه ٢٩٣ ، ٢٩٤ . (٤) فى الديوان : « نعمة الله فيك » .

(٥) فى الديوان : « ولو أنى فعلت » .

فهرس

تراجم الجزء الثانى